تفسير الجلالين

بهامش المصحف الشريف

بالرسم العثماني

للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي

٧٩١ - ٨٦٤ هـ

والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

٨٤٩ - ٩١١ هـ

مذيلاً بكتاب

لباب النقول في أسباب النزول

للسيوطي

تحقيق

هاني الحاج

المكتبة التوفيقية

مكتبة
التوفيقية
مكتبة
التوفيقية
مكتبة
التوفيقية

تفسير الجلالين

بهامش المصحف الشريف

بالرسم العثماني



المكتبة التوفيقية

القاهرة - مصر
العنوان: أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
تليفون: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠(٠٠٢٠٢)
فاكس: ٦٨٤٧٩٥٧

Al Tawfikia Bookshop

Cairo - Egypt
Add : in front of the Green Door Of El Hussen
Tel : (00202) 5904175 -5922410
Fax : 6847957
shalan@eltawfikiapress.com

إشراف

تفسير الجلالين

بهامش المصحف الشريف بالرسم العثماني

للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (٧٩١-٨٦٤هـ)

والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ)

تحقيق

هاني الحاج

مذيلا بكتاب

لباب النقول في أسباب النزول

للسيوطي



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

٥٩٠٤١٧٥ ٥٩٢٢٤١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد:

فهذا كتاب الجلالين رغبت المكتبة التوفيقية في إخراجه في ثوب جديد وقد رغبوا إليّ أن أخرج الأحاديث الموجودة به فامتثلت لذلك رغبة في خدمة الكتاب، وقد وقعت فيه على مخالفات جمة تتعلق ببعض الصفات الخاصة بالله ﷻ وكذلك بعض المخالفات المنسوبة للأنبياء، إلا أن الكتاب قد انتشر انتشارًا واسعًا، وما ذلك إلا لصدق نية مؤلفيه.

وأنا بإذن الله تعالى أعلق على هذه المخالفات في كتابي: (**التبيين للمخالفات الواقعة في الجلالين**) يسر الله إتمامه بفضله ومنه وسيطبع بإذن الله تعالى في دار إيلاف بإحياء التراث بالكويت.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه إلى الأستاذ/ **عبد العظيم إبراهيم** بالشكر الحسن لما بذل من مجهود ضخم في تنفيذ وإعادة إخراج هذا الكتاب وأيضًا إثبات متن الكتاب من البرنامج بالرسم العثماني من مواطنها في برنامج الحاسب، فجزاه الله خيرًا وجعل ذلك في ميزان حسناته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ.

وكتبه

هاني الحاج

بسم الله الرحمن الرحيم

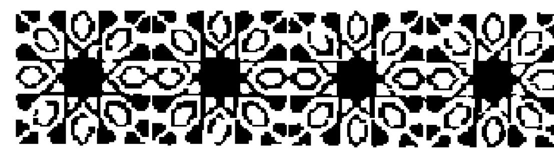
ترجمة الشيخ جلال الدين المحلِّي

هو الشيخ جلال الدين المحلِّي محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم، ينسب للمحلة الكبرى من الغربية بمصر.

ولد سنة (٧٩١) في القاهرة ونشأ بها، فقرأ القرآن، واشتغل بعدة فنون منها: الفقه والأصول والكلام والنحو والمنطق وغيرها.

كان آية في الذكاء والفهم، على قدر من الصلاح والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يخشى في الله لومة لائم مع تمام الهيبة.

وكان لا يقدر على الحفظ، يغلب عليه الملل والسآمة، وكان متقشفًا في ملبوسه ومركوبه، يتكسب بالتجارة[1] (رحمه الله).



---

(١) انظر ترجمته في «حسن المحاضرة» (١/ ٤٤٣-٤٤٤)، «الضوء اللامع» (٨/ ٣٩-٤١)، «طبقات المفسرين» (٢/ ٨٠)، «شذرات الذهب». (٧/ ٣٠٣)، «البدر الطالع» (٢/ ١١٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الإمام السيوطي

اسمه وكنيته ولقبه :

العالم العلامة جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر ابن نجم الدين أبو الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن همام الخضيري الحافظ السيوطي الشافعي.

وقد صرح في مقدمة كتابه (حسن المحاضرة) أن جده الأعلى همام الدين كان من أهل الحقيقة ومن مشايخ الطرق.

ومن دونه كانوا من أهل الوجاهة والرياسة، منهم من ولي الحسبة بها، ومنهم من كان تاجرًا، وبنى بأسيوط مدرسة، ومنهم من كان متمولاً.

أما أبوه فهو العالم الوحيد في الأسرة قبل إمامنا. له مؤلفات في النحو والصرف والتوقيع، توفى والسيوطي صغير سنة ٨٥٥ هـ.

أما بالنسبة إلى الخضيرية وهي محلة ببغداد فقد كان جده الأعلى أعجميًا. فنسب إلى المحلة المذكورة.

مولـــده:

ولد بالقاهرة بعد مغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة من الهجرة النبوية الشريفة، الموافقة لسنة ألف وأربعمائة وخمس وأربعين من ميلاد السيد المسيح -عليه السلام-

وتربى بجزيرة الروضة على ضفاف النيل، وختم القرآن الكريم وله من العمر دون ثمانية أعوام.

ثقافته وأساتذته:

تمتع السيوطي بحافظة قوية وعقل منظم، ومن هنا نجده قد أجاد حفظ القرآن قبل أن يبلغ الثامنة، ثم اتجه إلى العلوم ينهل منها وإلى العلماء يأخذ عنهم؛ فحفظ عمدة الأحكام ومنهاج النووي ومنهاج البيضاوي. وأخذ عن الجلال المحلي والزين العقبي وحضر مع والده صغيرًا مجلس الحافظ ابن حجر، وقرأ الشفا وألفية ابن مالك فما أتمها إلا وقد صنف وأجازه بالعربية، وقرأ علي قطعة من التسهيل، وقرأ على الشمس المرزباني الحنفي الكافية كما قرأ أيضًا على الجوابردي ألفية العراقي ولزمه حتى مات، ولزم أيضًا الشرف المناوي وقرأ عليه ما لا يحصى، ولزم درس محقق الديار المصرية سيف الدين محمد بن الحنفي ودروس العلامة الشمني ودروس الكافيجي وقرأ على العز الكناني. وقرأ في الميقات على مجد الدين بن السباع والعز بن محمد الميقاتي، وفي الطب على محمد بن إبراهيم حتى أجيز بالإفتاء والتدريس.

وقد أحصى تلميذه الداودي واحدًا وخمسين أستاذًا من فطاحل علماء عصره قد أخذ عنهم السيوطي، وقد كان آية كبرى في سرعة التأليف حتى قال عنه تلميذه الداودي: عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفًا وتحريرًا، وكان مع ذلك يملي الحديث ويجيب عما يظن فيه التعارض بأجوبة حسنة، فلقد كان أعلم أهل زمانه بالحديث وفنونه ورجاله وغريبه ومتنه وسنده واستنباط الأحكام منه. وأخبر هو عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث.

وهكذا تجد في السيوطي موسوعة حية تسير على رجلين، يجمع ويؤلف مئات الكتب في عشرات العلوم. ويذكر في مقدمة كتابه حسن المحاضرة: أنه رزق التبحر

في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع. على طريقة العرب البلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة. ويذكر أنه في هذه العلوم سوى الفقه قد وصل فيها إلى ما لم يصل إليه أساتذته.

والمعلوم أن السيوطي لم يتحصل على تلك العلوم وهو في مكانه بل رحل إلى بلاد كثيرة داخل البلاد المصرية وخارجها. فسافر إلى دمياط والإسكندرية، والمحلة، والفيوم، ورحل أيضًا إلى الخارج فدخل الشام واليمن والهند والمغرب والتكرور.

حياته العلمية :

درّس السيوطي علوم النحو واللغة التي بلغ فيها شأوًا بعيدًا في الإجادة. ودرّس الفقه بالجامع الشيخوني وكان تعيينه في هذا الجامع برأي شيخه البلقيني. ثم تقدم السيوطي إلى الإفتاء وإملاء الحديث بالخانقاه الشيخونية. كما تولى مشيخة التصوف بتربة برقوق.

حتى انتقل من ذلك كله إلى مشيخة (الخانقاه البيرسية) أكبر خوانق مصر ومنها انقطع عن جميع أعماله السابقة وتجرد للعبادة والتأليف.

دينه وورعه :

على الرغم من أن السيوطي كان معروفًا بالتدين والصلاح ولكنه لما بلغ الأربعين تجرد للعبادة والانقطاع إلى الله ﷻ والاشتغال به، والإعراض عن الدنيا وأهلها حتى كأنه لم يعرف أحدًا منهم. وأقام في روضة المقياس فلم يتحول عنها إلى أن مات، ولم يفتح طاقات بيته التي على النيل. وكان يرد الأموال النفيسة التي يعرضها عليه زواره من الأغنياء ورُئي له النبي ﷺ يقول له: هات يا شيخ السنة.

ولو لم يكن له من الكرامات إلا كثرة المؤلفات مع تحريرها وتدقيقها لكفى ذلك شاهدًا لمن يؤمن بالقدرة الإلهية وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

مؤلفات السيوطي :

السيوطي كما قلنا من قبل من الأمثلة الواضحة على العقلية الموسوعية، فقد ألف نحو ستمائة كتاب ورسالة بين مطول وموجز في الفقه والتفسير والحديث وتاريخ القرآن والتاريخ والنحو وطبقات النحاة والمفسرين وفي اللغة وفقهها، وفي علوم البلاغة حتى الإنشاء ألف فيها. ونحن نقدم إليك ثبتًا بأسماء كتبه المهمة. وإن كان له المئات غيرها.

العلوم القرآنية :

١ - إكمال التفسير الذي بدأه الشيخ جلال الدين المحلي، ووصل فيه إلى سورة الإسراء؛ أما السيوطي فقد فسر من أول الكهف وحتى سورة الناس مع العلم أنه فسر سورة الفاتحة أيضًا ولذلك سمي تفسير الجلالين، وقد نقى تفسيره من عبث الأساطير والإسرائيليات.

٢- لباب النقول في أسباب النزول.

٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

٤- الإتقان في علوم القرآن.

٥- الإكليل في استنباط التنزيل.

٦- الناسخ والمنسوخ.

٧- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن (من تحقيقنا).

٨- ترجمان القرآن.

علوم الحديث :

٩ - الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج.

١٠- الخصائص الكبرى.

١١- الجامع الصغير.

١٢- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة.

الفقـــه :

١٣- وله في الفقه كتاب قيم يسمى (الوسائل إلى معرفة الأوائل).

١٤- الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض.

أما علوم البلاغة :

١٥- فله أرجوزة مسماة (بعقود الجمان في علم المعاني والبيان) شبيهة بألفية ابن مالك في النحو والصرف، وشرح هذه الأرجوزة أيضًا.

وللسيوطي قصائد شعرية أيضًا أغلبها متوسط الجودة.

وله في التاريخ :

١٦- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة.

١٧- تاريخ الخلفاء.

١٨- الشماريخ في علم التاريخ.

١٩- تحفة الكرام بأخبار الأهرام.

٢٠- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.

٢١- طبقات الحفاظ.

٢٢- طبقات الفقهاء الشافعية.

٢٣- تاريخ أسيوط.

وله في التصوف:

٢٤- تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي.

٢٥- العارض في نصرة ابن الفارض.

وله في فقه اللغة:

٢٦- الاقتراح وهو محاولة عظيمة من السيوطي في علم فقه اللغة أعاننا الله على طبعه وإخراجه.

٢٧- المزهر في علوم اللغة.

وله في النحو:

٢٨- جمع الجوامع.

٢٩- همع الهوامع شرح جمع الجوامع.

٣٠- التسهيل والارتشاف.

٣١-كتاب الأشباه والنظائر النحوية (من تحقيقنا).

وغيرها وغيرها الكثير.

هجوم على السيوطي:

لا يخفى على عاقل أن شخصية مثل شخصية هذا البحر الزاخر لابد وأن تجد أعداء من بين الناس وخصوصًا من منافسيه أصحاب المهنة الواحدة -ولله في خلقه شئون-.

فقد اتهمه السخاوي في كتابه (الضوء اللامع) بأنه اختلس بعض ما كتبه، مثل الخصال الموجبة للظلال، والأسماء النبوية، والصلاة على النبي - ﷺ - وغيرها.

وقال: بل أخذ من كتب المحمودية وغيرها كثيرًا من التصانيف المتقدمة التي لا عهد لكثير من العصريين بها. كل هذا مع أنه لم يصل ولا كاد، ولهذا قيل: إنه تزبب قبل أن يكون حصرمًا (أي صار زبيباً مرة واحدة قبل أن يمر بالمراحل حصرمًا فعنبًا فزبيبًا).

واتهمه أيضًا بأنه لا يعرف شيئًا في علم الحساب، كما أقر السيوطي بذلك على نفسه.

الانتصاف للسيوطي :

سوف أترك للقارئ عشرات الكتب للسيوطي بما فيها من أصالة للرد على السخاوي، والقارئ حينما يقرأ هذا الكتاب الذي نقدم له أو كتبه الأخرى يجد الأمانة العلمية واضحة بأجلى معانيها حينما يعزو كل قول إلى قائله.

فهذا الكتاب الذي بين يديك، والذي يجمع ثمانين كتابًا خدمت بحق الكتاب الكريم (القرآن) فهو يعزو كل قول إلى صاحبه لا ينكر لصاحب فضل فضله.

وأستشهد هنا برجل له ثقله العلمي والديني ألا وهو القاضي محمد بن علي الشوكاني بما قاله عن السيوطي في كتابه:

« **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** » .

يقول بعد أن ذكر بعضًا من كتب السيوطي:

« ... وتصانيفه في كل فن من الفنون مقبولة قد صارت في الأقطار مسير النهار، ولكنه لم يسلم من حاسد لفضله وجاحد لمناقبه، فإن السخاوي في (الضوء اللامع) وهو من أقرانه ترجمه ترجمة ظالمة غالبها ثلب فظيع وسب شنيع وانتقاص وغمط لمناقبه تصريحًا وتلويحًا.

ولا جرم، فذلك دأبه في جميع الفضلاء من أقرانه. وقد تنافس هو والسيوطي منافسة أوجبت تأليف السيوطي لرسالة سماها (الكاوي لدماغ السخاوي) فليعرف المطلع على ترجمة هذا الفاضل في (الضوء اللامع) أنها صدرت من خصم له غير مقبول عليه... » .

حتى يقول: « ولا يخفى على المنصف ما في هذه النقول من التحامل على هذا الإمام السيوطي، وأن ما اعترف به من صعوبة علم الحساب عليه لا يدل على ما ذكره السخاوي من عدم الذكاء، فإن هذا الفن لا يفتح فيه على ذكي إلا نادرًا... » اهـ.

أما هجوم السيوطي على السخاوي في كتابه (الكاوي لدماغ السخاوي) فقد

جاء ردًّا عليه وليس لنا إلا أن نستشهد بكتاب الله تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ صدق الله العظيم.

من كل هذا نعرف مدى أمانة السيوطي وأصالته، وإن كان هناك تقليد فهو في أسماء الكتب فقط لا في محتواها، وقد بقيت له عشرات الكتب حتى الآن شاهدة بفضله، مبينة لعلمه ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ صدق الله العظيم.

وفاتـــه :

مات -رضي الله عنه- بعد أذان الفجر يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة من الهجرة الشريفة الموافقة لسنة ألف وخمسمائة وخمس من ميلاد السيد المسيح عن إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يومًا، وكان قد أصيب بورم شديد في ذراعه اليسرى لم يمهله أكثر من سبعة أيام، وكان له مشهد عظيم ودفن بحوش قوصون خارج باب القرافة من جهة الشرق المعروف ببوابة السيدة عائشة.

أما ما تدعيه العامة من أنه مدفون بأسيوط في الجامع المعروف باسمه فهذا خطأ. فهذا الجامع أنشأه القاضي زين الدين بن أبي بكر بن علي بن محمود الجعفري الأسيوطي في القرن الثامن الهجري.

رحم الله السيوطي وجزاه عن المسلمين خير الجزاء.

لمزيد من المعلومات عن هذا العلم الإسلامي يراجع :

١- الكواكب السائرة ١ : ٢٢٦.

٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨ : ٥١.

٣- خزائن الكتب ٣٧.

٤- الضوء اللامع ٤ : ٦٥.

٥- حسن المحاضرة ١ : ١٨٨ (ترجمة من إنشاء السيوطي نفسه).

٦- الخزانة التيمورية ٣ : ١٥١ .

٧- مخطوطات الظاهرية ٣٥٥ .

٨- شعر الظاهرية ٤٠٦ .





سورة الفاتحة

مكية. سبع آيات بالبسملة إن كانت منها، والسابعة ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ﴾ إلى آخرها وإن لم تكن منها، فالسابعة ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ ﴾ إلى آخرها. ويقدّر في أوّلها: قولوا. ليكون ما قبل «إياك نعبد» مناسبًا له بكونها من مقول العباد.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٢- ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها من أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق، أو مستحق لأن يحمدوه، والله عَلَمٌ على المعبود بحق ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ أي مالك جميع الخلق من الإنس والجنّ والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه «عَالَم»، يقال: عالم الإنس، وعالم الجنّ، إلى غير ذلك. وغلب في جمعه بالياء والنون «أولي العلم» على غيرهم، وهو من العلامة لأنه علامة على موجده. ٣- ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ أي ذي الرحمة وهي إرادة الخير لأهله[1].

٤- ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ أي الجزاء وهو يوم القيامة، وخص بالذكر لأنه لا ملك ظاهرا فيه لأحد إلا لله تعالى، بدليل «لمن الملك اليوم لله» ومن قرأ «مَالك» فمعناه مالك الأمر كله في يوم القيامة: أي هو موصوف بذلك دائما كـ«غافر الذنب» فصح وقوعه صفة لمعرفة.

٥- ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ أي نخصك بالعبادة من توحيد وغيره ونطلب المعونة على العبادة وغيرها. ٦- ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ أي أرشدنا إليه، ويُبْدَلُ منه.

٧- ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ بالهداية، ويبدل من «الذين» بصلته ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ وهم اليهود ﴿ وَلَا ﴾ وغير ﴿ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ وهم النصارى. ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) قلت: هذا من تفسير الرحمة بلازمها، والصحيح إثباتها كما هو مذهب السلف.



سورة البقرة

مدنية مائتان وست أو سبع وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ﴿الٓمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

٢ - ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي هذا ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك والإشارة به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خبر ثان أي هادٍ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار.

٣ - ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدّقون [1] ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ ۝٣﴾ في طاعة الله.

٤ - ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ يعلمون.

٥ - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ الفائزون بالجنة الناجون من النار.

(١) قلت: هذا الحصر للإيمان في التصديق، لا يصح والإجماع على أن الإيمان يشمل التصديق والقول والعمل.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ
أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ
وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ
لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ
أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا
مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ
فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾

٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ لعلم الله منهم ذلك فلا تطمع في إيمانهم. والإنذار إعلام مع تخويف. ٧- ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ طبع عليها واستوثق فلا يدخلها خير ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾ أي مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾ غطاء فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ قوي دائم. ٨- ونزل في المنافقين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ أي يوم القيامة لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ روعي فيه معنى من، وفي ضمير يقول لفظها. ٩- ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم، والمخادعة هنا من واحد كعاقبت اللص، وذكر الله فيها تحسين، وفي قراءة: وما يخدعون. ١٠- ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ شك ونفاق فهو يمرض قلوبهم أي يضعفها ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ بالتشديد أي: نبيَّ الله وبالتخفيف [يَكْذِبون] أي: قولهم آمنا. ١١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ﴾ أي لهؤلاء ﴿لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ وليس ما نحن فيه بفساد. قال الله تعالى ردًا عليهم.

١٢- ﴿أَلَآ﴾ للتنبيه ﴿إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ بذلك.

١٣- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الجهال أي لا نفعل كفعلهم. قال تعالى ردًا عليهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

١٤- ﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾ أصله لقيوا حذفت الضمة للاستثقال ثم الياء لالتقائها ساكنة مع الواو ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ﴾ منهم ورجعوا ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ رؤسائهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ بهم بإظهار الإيمان. ١٥- ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ يجازيهم باستهزائهم(١) ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾ يمهلهم ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ بتجاوزهم الحد في الكفر ﴿يَعۡمَهُونَ﴾ يترددون تحيرا حال. ١٦- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي استبدلوها به ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أي ما ربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.

■ أسباب النزول: بسم الله الرحمن الرحيم وبعد: فهذا كتاب [لباب النقول في أسباب النزول].

(سورة البقرة)

أخرج الفريابي وابن جرير عن مجاهد قال: أربع آيات من أول البقرة نزلت في المؤمنين، وآيتان في الكافرين، وثلاث عشرة آية في المنافقين.

---

(١) قلت: بل استهزاء الله عز وجل بالمنافقين عن حقيقته، وانظر للأهمية. «إعلام الموقعين» (٣/٢١٧-٢١٨).

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

١٧- ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾ أوقد ﴿نَارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ أنارت ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ فأبصر واستدفأ وأمن ممن يخافه ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفأه وجمع الضمير مراعاة لمعنى الذي ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين فكذلك هؤلاء آمنوا بإظهار كلمة الإيمان فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب. ١٨- هم ﴿صُمٌّ﴾ عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول ﴿بُكْمٌ﴾ خرسٌ عن الخير فلا يقولونه ﴿عُمْىٌ﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ عن الضلالة. ١٩- ﴿أَوْ﴾ مثلهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾ أي كأصحاب مطر وأصله صَيْوبٌ من صاب يصوبُ أي ينزل ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي السحاب ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ متكاثفة ﴿وَرَعْدٌ﴾ هو الملك الموكل به وقيل صوته ﴿وَبَرْقٌ﴾ لمعان صوته الذي يزجره به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي أصحاب الصيِّب ﴿أَصَٰبِعَهُمْ﴾ أي أناملهم ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ﴾ أجل ﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ شدّة صوت الرعد لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ خوف ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ من سماعها كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن وفيه ذكرُ الكفر المُشبَّه بالظلمات والوعيد عليه المشبه بالرعد والحُجج البينةِ المُشبَّهَة بالبرق يسدّون آذانهم لئلا يسمعوه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ علما وقدرةً فلا يفوتونه. ٢٠- ﴿يَكَادُ﴾ يقرب ﴿ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ أي في ضوئه ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ وقفوا، تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ووقوفهم عما يكرهون ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ شاءه ﴿قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ ومنه إذهاب ما ذكر. ٢١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾ وحّدوا ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئا ﴿وَ﴾ خلق ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ بعبادته عقابه، و«لعل» في الأصل للترجي، (و) في كلامه تعالى للتحقيق. ٢٢- ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ خلق ﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ حال بساطًا يُفترَشُ لا غاية في الصلابة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ سقفا ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ﴾ أنواع ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء في العبادة ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أنه الخالق ولا تخلقون ولا يكون إلهًا إلا من يخلق. ٢٣- ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي المنزل، ومِنْ للبيان أي هي مثله في البلاغة وحُسْن النظم والإخبار عن الغيب والسورة قطعة لها أول وآخر أقلها ثلاث آيات ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾ آلهتكم التي تعبدونها ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره لتُعينكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ في أن محمدا قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك فإنكم عرب فصحاء مثله، ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى: ٢٤- ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ ما ذكر لعجزكم ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ ذلك أبدا لظهور إعجازه (اعتراض) ﴿فَٱتَّقُوا۟﴾ بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر ﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها، يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ هيئت ﴿لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ يعذبون بها، جملة مستأنفة أو حال لازمة.

■ **أسباب نزول الآية ٦:** أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآيتين أنهما نزلتا في يهود المدينة. وأخرج عن الربيع بن أنس قال: آيتان نزلتا في

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ
رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ
وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾
۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

٢٥- ﴿وَبَشِّرِ﴾ أخبر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدّقوا[1] بالله ﴿وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿أَنَّ﴾ أي بأن ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ حدائق ذات أشجار ومساكن ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ أي تحت أشجارها وقصورها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي المياه فيها، والنهر الموضع الذي يجري فيه الماء لأن الماء ينهره أي يحفره، وإسناد الجري إليه مجاز ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ أطعموا من تلك الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ أي مثل ما ﴿رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبله في الجنة لتشابه ثمارها بقرينة ﴿وَأُتُوا بِهِۦ﴾ أي جيئوا بالرزق ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ يشبه بعضه بعضا لونا ويختلف طعما ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ﴾ من الحور وغيرها ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قذر ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ماكثون أبدا لا يفنون ولا يخرجون، ونزل ردا لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ والعنكبوت في قوله ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة فأنزل الله:

٢٦- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ﴾ يجعل ﴿مَثَلًا﴾ مفعول أوّل ﴿مَّا﴾ نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان: أيَّ مَثَلٍ كان أو زائدة لتأكيد الخسة فما بعدها المفعول الثاني ﴿بَعُوضَةً﴾ مفرد البعوض وهو صغار البق ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي أكبر منها أي لا يترك بيانه لما فيه من الحكم ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي المثل ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ تمييز أي بهذا المثل، وما: استفهام إنكار مبتدأ، وذا بمعنى الذي بصلته خبره أي: أيّ فائدة فيه. قال تعالى في جوابهم: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ أي بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ الخارجين عن طاعته.

٢٧- ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ توكيده عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك، وأن بدل من ضمير به ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. ٢٨- ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يا أهل مكة ﴿بِٱللَّهِ وَ﴾ قد ﴿كُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ نطفا في الأصلاب ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم، والاستفهام للتعجيب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ تردّون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم وقال دليلاً على البعث لمّا أنكروه.

٢٩- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي الأرض وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ بعد خلق الأرض أي قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجملة الآيلة إليه أي صيرها كما في آية أخرى فقضاهن ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ مجملاً ومفصلاً أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهو أعظم منكم قادر على إعادتكم.

---

(١) تقدم أن الإيمان ليس محصورًا في التصديق.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ
لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

٣٠- ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم(١) ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان وكانوا فيها فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي نقول سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننزهك عما لايليق بك، فاللام زائدة والجملة حال، أي فنحن أحق بالاستخلاف ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ من المصلحة في استخلاف آدم وأن ذريته فيهم المطيع والعاصي فيظهر العدل بينهم فقالوا لن يخلق ربنا خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره فخلق الله تعالى آدم من أديم الأرض أي وجهها بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسوّاهُ ونفخ فيه الروح فصار حيوانا حساسا بعد أن كان جمادا.

٣١- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ أي أسماء المسميات ﴿كُلَّهَا﴾ بأن ألقى في قلبه علمها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي المسميات وفيه تغليب العقلاء ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ﴾ لهم تبكيتا ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المسميات ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ في أني لا أخلق أعلم منكم أو أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دل عليه ما قبله. ٣٢- ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيها لك عن الاعتراض عليك ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ إياه ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾ تأكيد للكاف ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. ٣٣- ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم﴾ أي الملائكة ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾: المسميات فسمى كل شيء باسمه وذكر حكمته التي خلق لها، ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ﴾ تعالى لهم موبخا: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ما غاب فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ ما تظهرون من قولكم: أتجعل فيها الخ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ تسرون من قولكم: لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم. ٣٤- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجنّ كان بين الملائكة ﴿أَبَىٰ﴾ امتنع من السجود ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ تكبر عنه وقال أنا خير منه ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ في علم الله.

٣٥- ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير المستتر ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حوّاء بالمدّ وكان خلقها من ضلعه الأيسر ﴿ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ أكلا ﴿رَغَدًا﴾ واسعا لا حجر فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي بالأكل منها. وهي الحنطة أو الكرم أو غيرهما ﴿فَتَكُونَا﴾ فتصيرا ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ العاصين.

٣٦- ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليس أذهبهما وفي قراءة فأزالهما نحاهما ﴿عَنْهَا﴾ أي الجنة بأن قال لهما هل أدلكما علي شجرة الخلد وقاسمهما بالله أنه لهما لمن الناصحين فأكلا منها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ إلى الأرض أي أنتما بما اشتملتما عليه من ذريّتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضكم بعضا ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ ما تتمتعون به من نباتها ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ وقت انقضاء آجالكم. ٣٧- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ ألهمه إيَّاها وفي قراءة بنصب آدم ورفع كلمات [فتلقى آدم من ربه كلمات] أي جاءه وهي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية فدعا بها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبل توبته ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على عباده ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ بهم.

---

(١) قلت: لا يصح إطلاق «فلان خليفة الله» انظر للأهمية اختصاري لابن كثير (١/٧٩). طـ التوفيقية.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

٣٨- ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كرره ليعطف عليه ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ فآمن بي وعمل بطاعتي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ في الآخرة بأن يدخلوا الجنة. ٣٩- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ كتبنا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ماكثون أبدا لا يفنون ولا يخرجون. ٤٠- ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أولاد يعقوب ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي على آبائكم من الإنجاء من فرعون وفلق البحر وتظليل الغمام وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتي ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي عهدت إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ خافونِ في ترك الوفاء به دون غيري. ٤١- ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة بموافقته له في التوحيد والنبوّة ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ من أهل الكتاب لأن خلفكم تبع لكم فإثمهم عليكم ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟﴾ تستبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضا يسيرا من الدنيا أي لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سفلتكم ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ خافون في ذلك دون غيري.

٤٢- ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟﴾ تخلطوا ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الذي تفترونه ﴿وَ﴾ لا ﴿تَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أنه الحق. ٤٣- ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ صلوا مع المصلين محمد وأصحابه، ونزل في علمائهم وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد فإنه حق. ٤٤- ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمد ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ سوء فعلكم فترجعون، فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكاري. ٤٥- ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ اطلبوا المعونة على أموركم ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ الحبس للنفس على ما تكره ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أفردها بالذكر تعظيما لشأنها وفي الحديث «كان ﷺ إذا حزَّبه أمر بادر إلى الصلاة»[1]. وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم عن الإيمان الشره وحب الرياسة فأمروا بالصبر وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الساكنين إلى الطاعة.

٤٦- ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ في الآخرة فيجازيهم.

٤٧- ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي آباءكم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ عالمي زمانهم. ٤٨- ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ وهو يوم القيامة ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾ بالتاء والياء [وَلَا يُقْبَلُ] ﴿مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي ليس لها شفاعة فتقبل فما لنا من شافعين ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يمنعون من عذاب الله.

قتال الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

(١) [حسن]: أخرجه أبو داود وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٧٠٣).

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

٤٩ - ﴿ وَ ﴾ اذكروا ﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰكُم ﴾ أي آباءكم. والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم الله على آبائهم تذكيرا لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا ﴿ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ ﴾ يذيقونكم ﴿ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ أشدّه، والجملة حال من ضمير نجيناكم. ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾ بيان لما قبله ﴿ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ المولودين ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ ﴾ يستبقون ﴿ نِسَآءَكُمْ ﴾ لقول بعض الكهنة له إنّ مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سببا لذهاب ملكك ﴿ وَفِى ذَٰلِكُم ﴾ العذاب أو الإنجاء ﴿ بَلَآءٌ ﴾ ابتلاء أو إنعام ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾. **٥٠** - ﴿ وَ ﴾ اذكروا ﴿ إِذْ فَرَقْنَا ﴾ فلقنا ﴿ بِكُمُ ﴾ بسببكم ﴿ ٱلْبَحْرَ ﴾ حتى دخلتموه هاربين من عدوّكم ﴿ فَأَنجَيْنَٰكُمْ ﴾ من الغرق ﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ قومه معه ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ إلى انطباق البحر عليهم. **٥١** - ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا ﴾ بألف [وَاعَدْنَا] ودونها [وَعَدْنَا] ﴿ مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ الذي صاغه لكم السامريُّ إلها ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أي بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ باتخاذه لوضعكم العبادة في غير محلها. **٥٢** - ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم ﴾ محونا ذنوبكم ﴿ مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ الاتخاذ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ نعمتنا عليكم. **٥٣** - ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة ﴿ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ عطف تفسير أي الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ به من الضلال.

٥٤ - ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ الذين عبدوا العجل ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ إلها ﴿ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ خالقكم من عبادته ﴿ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي ليقتل البريء منكم المجرم ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ القتل ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾ فوفقكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضا فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألفا ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ قبل توبتكم ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

٥٥ - ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ ﴾ وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل وسمعتم كلامه ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ عيانا ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ الصيحة فمتم ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ما حل بكم. **٥٦** - ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم ﴾ أحييناكم ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ نعمتنا بذلك.

٥٧ - ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حرّ الشمس في التيه ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ﴾ فيه ﴿ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ ولا تدّخروا، فكفروا النعمة وادّخروا فقطع عنهم ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ بذلك ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ لأنّ وباله عليهم.

■ أسباب نزول الآية ١٤ - قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾. أخرج الواحدي والثعلبي من طريق محمد بن مروان السدّي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبيّ وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نَفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبيّ: انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء، فذهب فأخذ بيد أبي بكر، فقال: مرحبًا بالصديق سيد بني تَيم، وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله في

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ
وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ
بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

٥٨- ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعد خروجهم من التيه ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعا لا حجر فيه ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ أي بابها ﴿سُجَّدًا﴾ منحنين ﴿وَقُولُوا۟﴾ مسألتنا ﴿حِطَّةٌ﴾ أي أن تحط عنا خطايانا ﴿نَّغْفِرْ﴾ وفي قراءة بالياء [يُغْفَرْ] والتاء [تُغْفَرْ] مبنيًّا للمفعول فيهما ﴿لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴿٥٨﴾﴾ بالطاعة ثوابا. ٥٩- ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ منهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في تقبيح شأنهم ﴿رِجْزًا﴾ عذابا طاعونا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴿٥٩﴾﴾ بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة فهلك منهم في ساعة سبعون ألفا أو أقل.

٦٠- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي طلب السقيا ﴿لِقَوْمِهِۦ﴾ وقد عطشوا في التيه ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ وهو الذي فرّ بثوبه[1] خفيف مربع كرأس الرجل رخام أو كذان فضربه ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ انشقت وسالت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبطٍ منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ موضع شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم وقلنا لهم ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴿٦٠﴾﴾ حال مؤكدة لعاملها من عثى بكسر المثلثة أفسد. ٦١- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي نوع منه ﴿وَٰحِدٍ﴾ وهو المنّ والسلوى ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ شيئا ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ﴾ للبيان ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ حنطتها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾ لهم موسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أخسّ ﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ أشرف، أي أتأخذونه بدله والهمزة للإنكار فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالى فقال تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ انزلوا ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ فيه ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾ من النبات ﴿وَضُرِبَتْ﴾ جعلت ﴿عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ الذل والهوان ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي أثر الفقر من السكون والخزي فهي لازمة لهم، وإن كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكّته ﴿وَبَآءُو﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ﴾ أي الضرب والغضب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كزكريا ويحيى ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي ظلما ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴿٦١﴾﴾ يتجاوزون الحدّ في المعاصي وكرره للتأكيد.

الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله؛ ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحبًا بسيد بني عدي بن كعب، الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله؛ ثم أخذ بيد علي فقال: مرحبًا بابن عم رسول الله وختَنه، سيد بني هاشم ماخلا رسول الله، ثم افترقوا. فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فأثنوا عليه خيرًا. فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبروه بذلك، فنزلت هذه الآية. وهذا الإسناد واهٍ جدًا، فإن السدي الصغير كذاب، وكذا الكلبي، وأبو صالح ضعيف.

■ **أسباب نزول الآية ١٩** – قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ الآية: أخرج ابن جرير من طريق السدي الكبير عن أبي مالك

---

(١) قلت: لا دليل على ذلك.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ (٦٤) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ (٦٥) فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦) وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٦٧) قَالُواْ
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨)
قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ (٦٩)

٦٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالأنبياء من قبل ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ هم اليهود ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ طائفة من اليهود أو النصارى ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ في زمن نبينا ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي ثواب أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾ روعي في ضمير آمن وعمل لفظ مَن وفيما بعده معناها.

٦٣- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ عهدكم بالعمل بما في التوراة ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ الجبل اقتلعناه من أصله عليكم لما أبيتم قبولها وقلنا ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجدّ واجتهاد ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣)﴾ النار أو المعاصي.

٦٤- ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ أعرضتم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ لكم بالتوبة أو تأخير العذاب ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٦٤)﴾ الهالكين.

٦٥- ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمْتُمُ﴾ عرفتم ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ﴾ تجاوزوا الحدّ ﴿مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ بصيد السمك وقد نهيناهم عنه وهم أهل أيلة ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ (٦٥)﴾ مبعدين فكانوا، وهلكوا بعد ثلاثة أيام. ٦٦- ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي تلك العقوبة ﴿نَكَٰلًا﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي الأمم التي في زمانها أو بعدها ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦)﴾ الله، وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم.

٦٧- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ وقد قُتل لهم قتيل لا يُدرى قاتله وسألوه أن يدعوَ الله أن يبينه لهم فدعاه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ مهزوءا بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك ﴿قَالَ أَعُوذُ﴾ أمتنع ﴿بِٱللَّهِ﴾ من ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٦٧)﴾ المستهزئين.

٦٨- فلما علموا أنه عزمٌ ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ أي ما سنها ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ مسنة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌۢ﴾ نصف ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من السنين ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨)﴾ به من ذبحها.

٦٩- ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ شديدة الصفرة ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ (٦٩)﴾ إليها بحسنها أي تعجبهم.

وأبي صالح عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود وناس من الصحابة، قالوا: كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله: فيه رعد شديد وصواعق وبرق، فجعلا كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الفَرَق أن تدخل الصواعق مسامعهما فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، فأتيا مكانهما يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمدًا فنضع أيدينا في يده، فأتياه فأسلما ووضعا أيديهما في يده وحسن إسلامهما. فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة. وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقاً من كلام النبي ﷺ أن ينزل فيهم شيء أو يذكروا بشيء فيقتلوا كما كان ذانك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ فإذا كثرت أموالهم وولدهم، وأصابوا غنيمة أو فتحًا، مشوا فيه، وقالوا: إن دين محمد حينئذ صدق واستقاموا عليه كما كان ذانك المنافقان يمشيان

قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ
تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ
ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ (٧١) وَإِذۡ
قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ (٧٢)
فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ
ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ
مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ
(٧٤) ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ
يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (٧٦)

١١

٧٠- ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة أم عاملة ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ﴾ أي جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ لكثرته فلم نهتد إلى المقصودة ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ (٧٠)﴾ إليها. وفي الحديث: «لو لم يستثنوا لما بينت لهم لآخر الأبد»(١).
٧١- ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ﴾ غير مذللة بالعمل ﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ تقلبها للزراعة، والجملة صفة ذلول داخلة في النفي ﴿وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾ الأرض المهيأة للزراعة ﴿مُسَلَّمَةٞ﴾ من العيوب وآثار العمل ﴿لَّا شِيَةَ﴾ لون ﴿فِيهَا﴾ غير لونها. ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ نطقت بالبيان التام فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بملء مسكها ذهبا ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ (٧١)﴾ لغلاء ثمنها وفي الحديث «لو ذبحوا أي بقرة كانت لأجزأتهم ولكن شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم».
٧٢- ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾ فيه إدغام الدال في التاء أي تخاصمتم وتدافعتم ﴿فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ﴾ مظهر ﴿مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ (٧٢)﴾ من أمرها وهذا اعتراض وهو أول القصة.
٧٣- ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ﴾ أي القتيل ﴿بِبَعۡضِهَا﴾ فضرب بلسانها أو عَجْب ذنبها فحيي وقال: قتلني فلان وفلان لابني عمه ومات. فحرما الميراث وقتلا. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإحياء ﴿يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ (٧٣)﴾ تتدبرون فتعلموا أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون.
٧٤- ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم﴾ أيها اليهود صلبت عن قبول الحق ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات ﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ﴾ في القسوة ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ منها ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الشين ﴿فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ﴾ ينزل من علو إلى أسفل ﴿مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (٧٤)﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم، وفي قراءة بالتحتانية [يَعْمَلُونَ]، وفيه التفات عن الخطاب.
٧٥- ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ﴾ أي اليهود ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ﴾ طائفة ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ أحبارهم ﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ يغيرونه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ (٧٥)﴾ أنهم مفترون، والهمزة للإنكار أي لا تطمعوا فلهم سابقة في الكفر.
٧٦- ﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾ أي منافقو اليهود ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بأن محمدا ﷺ نبيّ وهو المبشر به في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجع ﴿بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ﴾ أي رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أي المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي عرّفكم في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾ ليخاصموكم، واللام للصيرورة ﴿بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ في الآخرة ويقيموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (٧٦)﴾ أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم فتنتبهوا.

إذا أضاء لهما البرق ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾ وكانوا إذا هلكت أموالهم وولدهم، وأصابهم البلاء، قالوا: هذا من أجل دين محمد، وارتدوا كفارًا كما قال ذانك المنافقان حين أظلم البرق عليهما.

---

(١) [ضعيف]: ذكره ابن كثير (١/١٤٣) طـ التوفيقية. وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه وقال: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة» اهـ.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ
أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

٧٧- قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره فيرعووا عن ذلك.

٧٨- ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾ عوامّ ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَمَانِىَّ﴾ أكاذيب تلقوْها من رؤسائهم فاعتمدوها ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ﴾ في جحد نبوّة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ ظنا ولا علم لهم.

٧٩- ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدّة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي مختلقا من عندهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا وهم اليهود غيَّروا صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرهما وكتبوها على خلاف ما أنزل ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المختلق ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ من الرشا «جمع رشوة».

٨٠- ﴿وَقَالُوا۟﴾ لما وعدهم النبيُّ النار ﴿لَن تَمَسَّنَا﴾ تصيبنا ﴿ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قليلة أربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﷺ ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ حذفت منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ﴿عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ ميثاقا منه بذلك ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ به، لا ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾. ٨١- ﴿بَلَىٰ﴾ تمسّكم وتخلدون فيها ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شركا ﴿وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بالإفراد [خطيئته] والجمع [خطيئاته] أي استولت عليه وأحدقت به من كل جانب بأن مات مشركا ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ روعي فيه معنى مَنْ. ٨٢- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾. ٨٣- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في التوراة وقلنا ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بالتاء [لا تعبدون] والياء [لا يعبدون] ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ خبر بمعنى النهي وقرئ: لا تعبدوا ﴿وَ﴾ أحسنوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ برًّا ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة عطف على الوالدين ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ﴾ قولًا ﴿حُسْنًا﴾ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في شأن محمد والرفق بهم وفي قراءة بضم الحاء وسكون السين [حُسْنًا] مصدر وصف به مبالغة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فقبلتم ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفات عن الغيبة، والمراد آباؤهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ عنه كآبائكم.

■ أسباب نزول الآية ٢٦- قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ الآية: أخرج ابن جرير عن السدي بأسانيده: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين: قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾. وأخرج الواحدي من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن موسى بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: إن الله ذكر آلهة المشركين، فقال: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، فقالوا: أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد، أي شيء كان يصنع بهذا؟ فأنزل الله هذه الآية. عبد الغني واه جدًا. وقال عبد الرزاق في تفسيره: أخبرنا مَعْمَر عن قتادة: لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون: «ما بال العنكبوت والذباب يُذكران» فأنزل الله هذه

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

٨٤- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ وقلنا ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ تريقونها بقتل بعضكم بعضا ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضا من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قبلتم ذلك الميثاق ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسكم.

٨٥- ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ بقتل بعضكم بعضا ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الظاء وفي قراءة بالتخفيف على حذفها [تَظَاهَرُونَ] تتعاونون ﴿عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ﴾ بالمعصية ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ وفي قراءة أَسْرَى ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ وفي قراءة: (تُفَادُوهُمْ): تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره وهو مما عهد إليهم ﴿وَهُوَ﴾ أي الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ متصل بقوله وتخرجون والجملة بينهما اعتراض أي كما حرم ترك الفداء وكانت قريظة حالفوا الأوس والنضير الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فإذا أسروا فدوهم وكانوا إذا سئلوا لم تقاتلوهم وتفدوهم؟ قالوا: أمرنا بالفداء، فيقال: فلم تقاتلوهم؟ فيقولون: حياء أن تستذل حلفاؤنا قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ هوانٌ وذل ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقد خزوا بقتل قريظة ونفي النضير إلى الشام وضرب الجزية ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء [يَعْمَلُونَ] والتاء [تَعْمَلُونَ].

٨٦- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ بأن آثروها عليها ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون منه.

٨٧- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي أتبعناهم رسولاً في أثر رسول ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ قوّيناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة أي الروح المقدّسة جبريل لطهارته يسير معه حيث سار فلم تستقيموا ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾ تحب ﴿أَنفُسُكُمُ﴾ من الحق ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن اتباعه جواب كلما وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ ﴿فَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية أي قتلتم كزكريا ويحيى.

٨٨- ﴿وَقَالُوا۟﴾ للنبي استهزاء ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ جمع أغلف أي مغشاة بأغطية فلا تعي ما تقول. قال تعالى: ﴿بَل﴾ للإضراب ﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم من رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل في قلوبهم ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ما زائدة لتأكيد القلة أي إيمانهم قليل جدا.

الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ قال المشركون: ما هذا من الأمثال فيضرب، أو: ما يشبه هذا الأمثال، فأنزل الله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ الآية. قلت: القول الأول أصح إسنادًا وأنسب بما تقدم أول السورة، وذكر المشركين لا يلائم كون الآية مدنية. وما أوردناه عن قتادة والحسن حكاه عنهما الواحدي بلا إسناد بلفظ قالت اليهود وهو أنسب.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

٨٩- ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة هو القرآن ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبيّ المبعوث آخر الزمان[1] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ من الحق وهو بعثة النبيّ ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ حسدا وخوفا على الرياسة، وجواب لما الأولى دل عليه جواب الثانية ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

٩٠- ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟﴾ باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي حظها من الثواب، وما نكرة بمعنى شيئا تمييز لفاعل بئس والمخصوص بالذمّ ﴿أَن يَكْفُرُوا۟﴾ أي كفرهم ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن ﴿بَغْيًا﴾ مفعول له ليكفروا أي حسدا على ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ بالتخفيف [يُنْزِل] والتشديد [يُنَزِّل] ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ الوحي ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل والتنكير للتعظيم ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ ذو إهانة. ٩١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي التوراة. قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ سواه أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ﴾ لهم ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي قتلتم ﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتلهم والخطاب للموجودين في زمن نبينا بما فعل آباؤهم لرضاهم به. ٩٢- ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات كالعصا واليد وفلق البحر ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد ذهابه إلى الميقات ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ باتخاذه.

٩٣- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ على العمل بما في التوراة ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم وقلنا ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجدّ واجتهاد ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي خالط حبه قلوبهم كما يخالط الشراب ﴿بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا﴾ شيئا ﴿يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ بالتوراة عبادة العجل ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ بها كما زعمتم. المعنى لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل والمراد آباؤهم أي فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمدا والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه.

■ أسباب نزول الآية ٤٤- قوله تعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ أخرج الواحدي والثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينه وبينهم رَضَاعٌ من المسلمين: اثبت على الدين الذي أنت عليه، وما يأمرك به هذا الرجل فإن أمره حق، وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه.

(١) قلت: إذا كان المصنف يريد: «أن الله ينصرنا ونحن نقاتلكم مع هذا النبي» فهذا هو الحق، وإن كان يريد الإقسام على الله ﷻ بذاته ﷺ، فهذا لا شك في مخالفته للصواب.

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

٩٤- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ تعلق بتمنوا الشرطان على أنّ الأوّل قيد في الثاني أي إن صدقتم في زعمكم أنها لكم ومن كانت له يؤثرها والموصل إليها الموت فتمنوه. ٩٥- ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ الكافرين فيجازيهم.

٩٦- ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ لام قسم ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَ﴾ أحرص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ المنكرين للبعث عليها لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ لو مصدرية بمعنى أن وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول يودّ ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي أحدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ مبعده ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ النار ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فاعل مزحزحه أي تعميره ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ بالياء [يَعْمَلُونَ] والتاء [تَعْمَلُونَ] فيجازيهم. وسأل ابن صوريا النبي أو عمر عمن يأتي بالوحي من الملائكة فقال: جبريل فقال: هو عدوّنا يأتي بالعذاب ولو كان ميكائيل لآمنا لأنه يأتي بالخصب والسلم فنزل:

٩٧- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ فليمت غيظاً ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ أي القرآن ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾

٩٨- ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾ بكسر الجيم [جِبْرِيل] وفتحها [جَبْرِيل] بلا همز وبه بياء [جَبْرَئيل] ودونها [جَبْرَئل] ﴿وَمِيكَىٰلَ﴾ عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام وفي قراءة ميكائيل بهمزة وياء وفي أخرى بلا ياء [مِيْكَائل] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ أوقعه موقع لهم بيانا لحالهم.

٩٩- ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي واضحات حال، ردّ لقول ابن صوريا للنبي ما جئتنا بشيء ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ كفروا بها.

١٠٠- ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾ على الإيمان بالنبي إن خرج، أو النبي أن لا يعاونوا عليه المشركين ﴿نَّبَذَهُۥ﴾ طرحه ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ بنقضه جواب كلما وهو محل الاستفهام الإنكاري ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

١٠١- ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي التوراة ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله.

■ أسباب نزول الآية ٦٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: أخرج ابن أبي حاتم والعدني في مسنده من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قال سلمان: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ الآية. وأخرج الواحدي من طريق عبد الله بن كثير عن مجاهد

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ
وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ
ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

١٠٢- ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ عطف على نبذ ﴿مَا تَتْلُواْ﴾ أي تلت ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ﴾ عهد ﴿مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه أو كانت تسترق السمع وتضم إليه أكاذيب وتلقيه إلى الكهنة فيدونونه وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفنها فلما مات دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا إنما ملككم بهذا فتعلموه ورفضوا كتب أنبيائهم(١). قال تعالى تبرئة لسليمان وردًا على اليهود في قولهم انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحرًا: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أي لم يعمل السحر لأنه كفر ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ الجملة حال من ضمير كفروا ﴿وَ﴾ يعلمونهم ﴿مَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ أي ألهماه من السحر وقرئ بكسر اللام الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سواد العراق ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين قال ابن عباس هما ساحران كانا يعلمان السحر وقيل ملكان انزلا لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ له نصحًا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ بلية من الله إلى الناس ليمتحنهم بتعليمه فمن تعلمه كفر ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعليمه فإن أبى إلا التعليم علماه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ﴾ بأن يبغض كلا إلى الآخر ﴿وَمَا هُم﴾ أي السحرة ﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ بالسحر ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْۚ﴾ وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمُواْ﴾ أي اليهود ﴿لَمَنِ﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها ومن موصولة ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَبِئْسَ مَا﴾ شيئًا ﴿شَرَوْاْ﴾ باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ﴾ أي الشارين: أي حظها من الآخرة إن تعلموه حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلموه. ١٠٣- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿ءَامَنُواْ﴾ بالنبي والقرآن ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ عقاب الله بترك معاصيه كالسحر، وجواب لو محذوف أي لأثيبوا دل عليه ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ ثواب وهو مبتدأ واللام فيه للقسم ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ خبره، مما شروا به أنفسهم ﴿لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ أنه خير لما آثروه عليه.

١٠٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ﴾ للنبي ﴿رَٰعِنَا﴾ أمر من المراعاة وكانوا يقولون له ذلك وهي بلغة اليهود سب من الرعونة فسرُّوا بذلك وخاطبوا بها النبيَّ ﷺ فنُهي المؤمنون عنها ﴿وَقُولُواْ﴾ بدلها ﴿ٱنظُرْنَا﴾ أي انظر إلينا ﴿وَٱسْمَعُواْۗ﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ مؤلم هو النار. ١٠٥- ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب عطف على أهل الكتاب، ومن للبيان ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ﴾ زائدة ﴿خَيْرٍ﴾ وحي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ حسدا لكم ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ نبوّته ﴿مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾.

---

(١) قلت: هذا الكلام لا يثبت وفيه نظر وانظر لذلك «الإسرائيليات والموضوعات في التفسير» (٢٧٠).

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١٠٨) وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
(١٠٩) وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
(١١٠) وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)

١٠٦- ولما طعن الكفار في النسخ وقالوا إنّ محمدا يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غدا نزل: ﴿ مَا ﴾ شرطية ﴿ نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ أي نزل حكمها: إما مع لفظها أو لا وفي قراءة [نُنسِخْ] بضم النون من أنسخ أي نأمرك أو جبريل بنسخها ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ نؤخرها فلا ننزل حكمها ونرفع تلاوتها أو نؤخرها في اللوح المحفوظ وفي قراءة بلا همز من النسيان: [نُنسِهَا] أي ننسكها أي نمحها من قلبك، وجواب الشرط ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا ﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ في التكليف والثواب. ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) ﴾ ومنه النسخ والتبديل والاستفهام للتقرير.

١٠٧- ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يفعل ما يشاء ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ مِن ﴾ زائدة ﴿ وَلِيٍّ ﴾ يحفظكم ﴿ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧) ﴾ يمنع عنكم عذابه إن أتاكم، ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذهبا:

١٠٨- ﴿ أَمْ ﴾ بل أ ﴿ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ ﴾ أي سأله قومه ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ من قولهم (أرنا الله جهرة) وغير ذلك ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ أي يأخذه بدله بترك النظر في الآيات البينات واقتراح غيرها ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١٠٨) ﴾ أخطأ الطريق الحق والسواء في الأصل الوسط.

١٠٩- ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ ﴾ مصدرية ﴿ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ مفعول له كائنا ﴿ مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ أي حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ﴾ في التوراة ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ في شأن النبيّ ﴿ فَٱعْفُوا۟ ﴾ عنهم أي اتركوهم ﴿ وَٱصْفَحُوا۟ ﴾ أعرضوا فلا تجازوهم ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ فيهم من القتال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾ . ١١٠- ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ (١١٠) ﴾ طاعة كصلة وصدقة ﴿ تَجِدُوهُ ﴾ أي ثوابه ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازيكم به. ١١١- ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ﴾ جمع هائد ﴿ أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبيّ ﷺ أي قال اليهود لن يدخلها إلا اليهود وقال النصارى لن يدخلها إلا النصارى ﴿ تِلْكَ ﴾ القولة ﴿ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ شهواتهم الباطلة ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ حجتكم على ذلك ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١١١) ﴾ فيه.

١١٢- ﴿ بَلَىٰ ﴾ يدخل الجنة غيرهم ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ أي انقاد لأمره وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء فغيره أولى ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ موحد ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ أي ثواب عمله الجنة ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) ﴾ في الآخرة.

قال: لما قص سلمان على رسول الله ﷺ قصة أصحابه قال: هم في النار. قال سلمان: فأظلمت عليّ الأرض، فنزلت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَحْزَنُونَ (٦٢) ﴾ قال فكأنما كشف عني جبل. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي: قال: نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ
قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

١١٣ - ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ معتدّ به وكفرت بعيسى ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ معتدّ به وكفرت بموسى ﴿وَهُمْ﴾ أي الفريقان ﴿يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ المنزل عليهم وفي كتاب اليهود تصديق عيسى وفي كتاب النصارى تصديق موسى، والجملة حال ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي المشركون من العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بيان لمعنى ذلك أي قالوا لكل ذي دين ليسوا على شيء ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ من أمر الدين فيدخل المحق الجنة والمبطل النار.

١١٤ - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي لا أحد أظلم ﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ بالصلاة والتسبيح ﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ بالهدم أو التعطيل. نزلت إخبارا عن الروم الذين خربوا بيت المقدس أو في المشركين لما صدّوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت[1] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر أي أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها أحد آمنا ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ هوان بالقتل والسبي والجزية ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ هو النار.

١١٥ - ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي الأرض كلها لأنهما ناحيتاها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فَثَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ قبلته التي رضيها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ يسع فضله كل شيء ﴿عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه. ١١٦ - ﴿وَقَالُوا۟﴾ بواو وبدونها، [قالوا] اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيها له عنه ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا والملكية تنافي الولادة وعبر بـ«ما» تغليبا لما لا يعقل ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ مطيعون كل بما يراد منه وفيه تغليب العاقل. ١١٧ - ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ موجدهما لا على مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ﴾ أراد ﴿أَمْرًا﴾ أي إيجاده ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ أي فهو يكون، وفي قراءة بالنصب جوابا للأمر. ١١٨ - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي كفار مكة للنبي ﷺ ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ بأنك رسوله ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ مما اقترحناه على صدقك ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من التعنت وطلب الآيات ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في الكفر والعناد، فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون فاقتراح آية معها تعنت.

١١٩ - ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجاب إليه بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه بالنار ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ النار أي الكفار ما لهم لم يؤمنوا إنما عليك البلاغ، وفي قراءة [تَسْأَلْ] بجزم تَسْأَلْ نهيا.

---

(١) القول الثاني هو الراجح وانظر تقرير ذلك في «اختصاري لابن كثير» (١٥٩/١) طـ التوفيقية.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ
مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا
لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ
فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

١٢٠- ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دينهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عداه ضلال ﴿وَلَئِنِ﴾ لام قسم. ﴿ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها فرضا ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الوحي من الله ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يحفظك ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ يمنعك منه.

١٢١- ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي يقرؤونه كما أنزل، والجملة حال وحق نصب على المصدر والخبر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ أي بالكتاب المؤتى بأن يحرّفه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

١٢٢- ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ تقدّم مثله.

١٢٣- ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ تغني ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ يمنعون من عذاب الله.

١٢٤- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ اختبر ﴿إِبْرَٰهِۦمَ﴾ وفي قراءة إبراهام ﴿رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ بأوامر ونواه كلفه بها قيل هي مناسك الحج وقيل المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الشعر وقلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أدّاهن تامات ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قدوة في الدين ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ أولادي اجعل أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾ بالإمامة ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ الكافرين منهم، دل على أنه ينال غير الظالم.

١٢٥- ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾ الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعا يثوبون إليه من كل جانب ﴿وَأَمْنًا﴾ مأمنا لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره، كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يهيجه ﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾ أيها الناس ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ﴾ هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلًّى﴾ مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف، وفي قراءة بفتح الخاء خبر ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أمرناهما ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ جمع راكع وساجد: المصلين. ١٢٦- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ المكان ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلي خلاه ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ بدل من أهله، وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿وَ﴾ أرزق ﴿مَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ بالتشديد والتخفيف [فَأُمْتِعُهُ] في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ ألجئه في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصا ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ المرجع هي.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن
مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

١٢٧- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾ الأسس أو الجدر ﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يبنيه، متعلق بيرفع ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ عطف على إبراهيم يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ بناءنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ بالفعل.

١٢٨- ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ منقادين ﴿لَكَ﴾ ﴿وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ ومن للتبعيض وأتى به لتقدّم قوله له ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ ﴿وَأَرِنَا﴾ علّمنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ شرائع عبادتنا أو حجنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعا وتعليما لذريّتهما.

١٢٩- ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي أهل البيت ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ من أنفسهم وقد أجاب الله دعاءه بمحمد ﷺ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ في صنعه.

١٣٠- ﴿وَمَن﴾ أي لا ﴿يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ فيتركها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ جهل أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته أو استخف بها وامتهنها ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ اخترناه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالرسالة والخلة ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

١٣١- واذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ انقد لله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾.

١٣٢- ﴿وَوَصَّىٰ﴾ وفي قراءة أوصى ﴿بِهَآ﴾ بالملة ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ بنيه قال ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ نهى عن ترك الإسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت. ١٣٣- ولما قال اليهود للنبي ألست تعلم أنّ يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية نزل ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ حضورا ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ بعد موتي ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ عدّ إسماعيل من الآباء تغليب، ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ بدل من إلهك ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ وأم بمعنى همزة الإنكار، أي لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به.

١٣٤- ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما وأنّث لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل أي جزاؤه استئناف ﴿وَلَكُم﴾ الخطاب لليهود ﴿مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ كما لا يسألون عن عملكم والجملة تأكيد لما قبلها.

■ أسباب نزول الآية ٧٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾ الآية: أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: قام النبي ﷺ يوم قُرَيْظَة تحت حصونهم، فقال: يا إخوان القردة، ويا إخوان الخنازير، ويا عبدة الطاغوت، فقالوا: من أخبر هذا محمدًا؟ ما خرج هذا إلا منكم، أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم، فنزلت الآية. وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا أن صاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة؛ ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ قالوا: أيحدث العرب بهذا؟ فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾ الآية. وأخرج عن السدي قال: نزلت في ناس من اليهود آمنوا، ثم نافقوا وكانوا يأتون المؤمنين من العرب بما تحدثوا به، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا: نحن أحب إلى الله منكم وأكرم على الله منكم.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ
عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

١٣٥ - ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾ أو للتفصيل، وقائل الأوّل يهود المدينة والثاني نصارى نجران ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ بَلْ ﴾ نتبع ﴿ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ حال من إبراهيم، مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ .

١٣٦ - ﴿ قُولُوا ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ من القرآن ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ من الصحف العشر ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ أولاده ﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ من التوراة ﴿ وَعِيسَىٰ ﴾ من الإنجيل ﴿ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ من الكتب والآيات ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ .

١٣٧ - ﴿ فَإِنْ آمَنُوا ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿ بِمِثْلِ ﴾ مثل والباء زائدة ﴿ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا ﴾ عن الإيمان به ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ خلاف معك ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ يا محمد شقاقهم ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم ﴿ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم.

١٣٨ - ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ مصدر مؤكد لآمنا ونصبه بفعل مقدر أي صبغنا الله، والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب ﴿ وَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ تمييز ﴿ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ قال اليهود للمسلمين نحن أهل الكتاب الأول وقبلتنا أقدم ولم تكن الأنبياء من العرب ولو كان محمد نبيا، لكان منا فنزل:

١٣٩ - ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَتُحَاجُّونَنَا ﴾ تخاصموننا ﴿ فِي اللَّهِ ﴾ أن اصطفى نبيا من العرب ﴿ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ فله أن يصطفي من يشاء ﴿ وَلَنَا أَعْمَالُنَا ﴾ نجازى بها ﴿ وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ تجازون بها فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء، والهمزة للإنكار والجمل الثلاث أحوال.

١٤٠ - ﴿ أَمْ ﴾ بل أ ﴿ تَقُولُونَ ﴾ بالتاء [تقولون] والياء [يقولون] ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ أي الله أعلم وقد برأ منهما إبراهيم بقوله ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ والمذكورون معه تبع له ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ ﴾ أخفى عن الناس ﴿ شَهَادَةً عِندَهُ ﴾ كائنة ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي لا أحد أظلم منه وهم اليهود كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ تهديد لهم.

١٤١ - ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾ تقدّم مثله.

■ أسباب نزول الآية ٧٩- قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾: أخرج النّسائي عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت في أحبار اليهود، وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة: أكحَل، أعْيَنَ، رَبْعَة، جَعْدَ الشعر، حسن الوجه، فمحوه حسدًا وبغيًا، وقالوا، نجده طويلًا، أزرق، سبط الشعر.

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟
عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ
ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

١٤٢ - ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الجهال ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ اليهود والمشركين ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ أي صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ على استقبالها في الصلاة وهي بيت المقدس، والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي الجهات كلها فيأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ دين الإسلام، أي ومنهم أنتم، دل على هذا:

١٤٣ - ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾ يا أمة محمد ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ خيارا عدولا ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يوم القيامة أن رسلهم بلغتهم ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ صيرنا ﴿ٱلْقِبْلَةَ﴾ لك الآن الجهة ﴿ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ أولا وهي الكعبة، وكان ﷺ يصلي إليها فلما هاجر أمر باستقبال بيت المقدس تألفا لليهود فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهرا ثم حوّل ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فيصدقه ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي يرجع إلى الكفر شكا في الدين وظنا أن النبي ﷺ في حيرة من أمره وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وإنها ﴿كَانَتْ﴾ أي التولية إليها ﴿لَكَبِيرَةً﴾ شاقة على الناس ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لأن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ المؤمنين ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ في عدم إضاعة أعمالهم، والرأفة شدّة الرحمة وقدم الأبلغ للفاصلة.

١٤٤ - ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَرَىٰ تَقَلُّبَ﴾ تصرف ﴿وَجْهِكَ فِى﴾ جهة ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ متطلعا إلى الوحي ومتشوّقا للأمر باستقبال الكعبة، وكان يودّ ذلك لأنها قبلة إبراهيم ولأنه أدعى إلى إسلام العرب ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ نحولنك ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ تحبها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ استقبل في الصلاة ﴿شَطْرَ﴾ نحو ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي الكعبة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ خطاب للأمة ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي التولي إلى الكعبة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ بالتاء أيها المؤمنون من امتثال أمره وبالياء [يعملون] أي اليهود من إنكار أمر القبلة.

١٤٥ - ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿مَّا تَبِعُوا۟﴾ أي لا يتبعون ﴿قِبْلَتَكَ﴾ عنادا ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ قطع لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أي اليهود قبلة النصارى وبالعكس ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الوحي ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ إن اتبعتهم فرضا ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ٨٠- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ الآية: أخرج الطبراني في «الكبير» وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحق عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قدم رسول الله المدينة ويهودُ تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحدًا في النار من أيام الآخرة، فإنما هي سبعة أيام، ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ إلى قوله: ﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (١٤٧) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ (١٥١) فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٣)

١٤٦- ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي محمدا ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم. قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ومعرفتي لمحمد أشدّ ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾ هذا الذي أنت عليه.

١٤٧- ﴿ٱلْحَقُّ﴾ كائنا ﴿مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (١٤٧)﴾ الشاكين فيه أي من هذا النوع فهو أبلغ من أن لا تمتر.

١٤٨- ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الأمم ﴿وِجْهَةٌ﴾ قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهه في صلاته، وفي قراءة مولاها ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ بادروا إلى الطاعات وقبولها ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨)﴾.

١٤٩- ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩)﴾ بالتاء [تعملون] والياء [يعملون] تقدم مثله وكرره لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

١٥٠- ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ كرّره للتأكيد ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي مجادلة في التولي إلى غيره أي لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود يجحد ديننا ويتبع قبلتنا وقول المشركين يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ بالعناد فإنهم يقولون ما تحوّل إليها إلا ميلاً إلى دين آبائه، والاستثناء متصل، والمعنى لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالهم في التولي إليها ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ بامتثال أمري ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ عطف على لئلا يكون ﴿نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)﴾ إلى الحق.

١٥١- ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بأتم، أي إتماما كإتمامها بإرسالنا ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ محمدا ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ (١٥١)﴾.

١٥٢- ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قيل معناه أجازيكم، وفى الحديث عن الله: «من ذكرني فى نفسه ذكرته فى نفسي ومن ذكرني فى ملإ ذكرته فى ملإ خير من ملئه»(1) ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾ نعمتي بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)﴾ بالمعصية .

١٥٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟﴾ على الآخرة ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطاعة والبلاء ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ خصها بالذكر لتكررها وعظمها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالعون.

وأخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس: أن اليهود قالوا: لن ندخل النار إلا تَحلّةَ القَسَم، الأيامَ التي عبدنا فيها العجل، أربعين ليلة؛ فإذا انقضت انقطع عنا العذاب، فنزلت الآية. وأخرج عن عكرمة وغيره.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (التوحيد/٧٤٠٥/فتح)، ومسلم في (الذكر/٢٦٧٥/عبد الباقي).

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
(١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨) إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
(١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
(١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
(١٦٢) وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)

١٥٤- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هم ﴿أَمْوَاتٌ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت لحديث بذلك ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ (١٥٤)﴾ تعلمون ما هم فيه. ١٥٥- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ للعدوّ ﴿وَالْجُوعِ﴾ القحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالهلاك ﴿وَالْأَنفُسِ﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالجوائح أي لنختبرنكم فننظر أتصبرون أم لا ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾ على البلاء بالجنة. ١٥٦- وهم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ بلاء ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ ملكا وعبيدا يفعل بنا ما يشاء ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)﴾ في الآخرة، فيجازينا، وفي الحديث: «من استرجع عند المصيبة آجره الله فيها وأخلف الله عليه خيرا»[1]. وفيه: أن مصباح النبي ﷺ طفئ فاسترجع فقالت عائشة إنما هذا مصباح فقال: «كل ما أساء المؤمن فهو مصيبة» رواه أبو داود في مراسيله.
١٥٧- ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ مغفرة ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ نعمة ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ إلى الصواب. ١٥٨- ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلان بمكة. ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أعلام دينه جمع شعيرة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ أي تلبس بالحج أو العمرة وأصلهما القصد والزيارة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إثم عليه ﴿أَن يَطَّوَّفَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ﴿بِهِمَا﴾ بأن يسعى بينهما سبعا. نزلت لما كره المسلمون ذلك لأنّ أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما، وعن ابن عباس أنّ السعي غير فرض لما أفاده رفع الإثم من التخيير، وقال الشافعي وغيره ركن وبيّن ﷺ فريضته بقوله «إن الله كتب عليكم السعي» رواه البيهقي وغيره وقال: «ابدأوا بما بدأ الله به» يعني الصفا رواه مسلم ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ وفي قراءة بالتحتية وتشديد الطاء مجزوما وفيه إدغام التاء فيها [يَطَّوَّع] ﴿خَيْرًا﴾ أي بخير أي عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لعمله بالإثابة عليه ﴿عَلِيمٌ (١٥٨)﴾ به.
١٥٩- ونزل في اليهود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الناس ﴿مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يبعدهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)﴾ الملائكة والمؤمنون أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة.
١٦٠- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما كتموا ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)﴾ بالمؤمنين. ١٦١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ حال ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١)﴾ أي هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة والناس: قيل عام وقيل: المؤمنون. ١٦٢- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢)﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة.
١٦٣- ونزل لما قالوا صف لنا ربك: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)﴾ وطلبوا آية على ذلك فنزل:

---

(١) [صحيح]: بنحوه أخرجه مسلم في (الجنائز/٩١٨/عبد الباقي).

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

١٦٤- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من التجارات والحمل ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَبَثَّ﴾ فرّق ونشر به ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تقليبها جنوبا وشمالاً حارة وباردة ﴿وَٱلسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿ٱلْمُسَخَّرِ﴾ المذلل بأمر الله تعالى يسير إلى حيث شاء الله ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بلا علاقة ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دالاّت على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ يتدبرون. ١٦٥- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أَندَادًا﴾ أصناما ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي كحبهم له ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من حبهم للأنداد لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما والكفار يعدلون في الشدّة إلى الله ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ تبصر يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل [يَرَوْنَ] والمفعول [يُرَوْنَ] يبصرون ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ لرأيت أمرا عظيما وإذ بمعنى إذا ﴿أَنَّ﴾ أي لأن ﴿ٱلْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ وفي قراءة يَرَى والفاعل ضمير السامع وقيل ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ . فهي بمعنى يعلم وأن وما بعدها سدت مسدّ المفعولين وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا في الدنيا شدّة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة لما اتخذوا من دونه أندادا. ١٦٦- ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ أي الرؤساء ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ أي أنكروا إضلالهم ﴿وَ﴾ قد ﴿رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على تبرأ ﴿بِهِمُ﴾ عنهم ﴿ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة. ١٦٧- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي المتبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ اليوم ولو للتمني ونتبرأ جوابه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما أراهم شدّة عذابه وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السيئة ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ حال ندامات ﴿عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ بعد دخولها. ١٦٨- ونزل فيمن حرّم السوائب ونحوها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾ حال ﴿طَيِّبًا﴾ صفة مؤكدة أي مستلذاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ﴾ طرق ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي تزيينه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ بيّن العداوة. ١٦٩- ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ الإثم ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ القبيح شرعا ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

■ أسباب نزول الآية ٨٩- قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ الآية: أخرج الحاكم في «المستدرك» والبيهقي في «الدلائل» بسند ضعيف عن ابن عباس قال: كانت يهودُ خيبر تقاتل غَطَفَان، فكلما التقوا هزموا يهودَ؛ فعاذت يهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غَطَفَانَ. فلما بعث النبي ﷺ كفروا به، فأنزل الله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس : أن يهودَ كانوا يستفتحون على

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

٢٦

١٧٠- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي الكفار ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُواْ﴾ لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر قال تعالى: ﴿أ﴾ يتبعوهم ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ إلى الحق، والهمزة للإنكار. ١٧١- ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ومن يدعوهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ يصوّت ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ أي صوتا ولا يفهم معناه أي هم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه هم ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ الموعظة. ١٧٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ على ما أحل لكم ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾. ١٧٣- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ أي أكلها إذ الكلام فيه وكذا ما بعدها وهي ما لم يذكَّ شرعا وألحق بها بالسنة ما أبين من حيّ[1] وخص منها السمك والجراد ﴿وَٱلدَّمَ﴾ أي المسفوح كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ خص اللحم لأنه معظم المقصود وغيره تبع له ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي ذبح على اسم غيره والإهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متعدّ عليهم بقطع الطريق ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ بأهل طاعته حيث وسع لهم في ذلك وخرج الباغي والعادي ويلحق بهما كل عاص بسفره كالآبق والمكّاس فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي.

١٧٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المشتمل على نعت محمد وهم اليهود ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا يأخذونه بدله من سفلتهم فلا يظهرونه خوف فوته عليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لأنها مآلهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ غضبا عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من دنس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ مؤلم هو النار.

١٧٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أخذوها بدله في الدنيا ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ المعدّة لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ أي ما أشدّ صبرهم وهو تعجب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة وإلا فأي صبر لهم. ١٧٦- ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر من أكلهم النار وما بعده ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أنّ ﴿ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بنزل فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ بذلك وهم اليهود وقيل المشركون في القرآن حيث قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم كهانة ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ عن الحق.

الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مَبْعَثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه؛ فقال لهم معاذ بن جبل وبشرُ بن البَراء وداودُ بن سَلَمَةَ: يا معشر اليهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا

(١) [صحيح]: أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٥٢).

۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

١٧٧- ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ نزل ردًّا على اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ أي ذا البر، وقرئ بفتح الباء أي البارّ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾ أي الكتب ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ﴾ مع ﴿حُبِّهِۦ﴾ له ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ الطالبين ﴿وَفِى﴾ فك ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ المكاتبين والأسرى ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة وما قبله في التطوّع ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ الله أو الناس ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ نصب على المدح ﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ شدّة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ وقت شدّة القتال في سبيل الله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في إيمانهم أو ادّعاء البر ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ الله. ١٧٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ المماثلة ﴿فِى ٱلْقَتْلَى﴾ وصفا وفعلاً ﴿ٱلْحُرُّ﴾ يقتل ﴿بِٱلْحُرِّ﴾ ولا يقتل بالعبد ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ وبينت السنة أنّ الذكر يقتل بها وأنه تعتبر المماثلة في الدين فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر ولو حرًّا ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ﴾ من القاتلين ﴿مِنْ﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المقتول ﴿شَىْءٌ﴾ بأن ترك القصاص منه وتنكير شيء يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة وفي ذكر أخيه تعطف داع إلى العفو وإيذان بأنّ القتل لا يقطع أخوّة الإيمان، ومَن مبتدأ شرطية أو موصولة والخبر ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ﴾ أي فعلى العافي اتباع للقاتل ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بأن يطالبه بالدية بلا عنف وترتيب الاتباع على العفو يفيد أنّ الواجب أحدهما، وهو أحد قولي الشافعي، والثاني الواجب القصاص والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسمها فلا شيء ورجح ﴿وَ﴾ على القاتل ﴿أَدَآءٌ﴾ للدية ﴿إِلَيْهِ﴾ أي العافي وهو الوارث ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ بلا مطل ولا بخس ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تسهيل ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عليكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بكم حيث وسع في ذلك ولم يحتم واحدا منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ ظلم القاتل بأن قتله ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي العفو ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ مؤلم في الآخرة بالنار أو في الدنيا بالقتل. ١٧٩- ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ أي بقاء عظيم ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذوي العقول لأنّ القاتل إذا علم أنه يقتل ارتدع فأحيا نفسه ومن أراد قتله فشرع ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ القتل مخافة القَوَد. ١٨٠- ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي أسبابه ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالاً ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ مرفوع بكتب ومتعلق بإذا إن كانت ظرفية، ودال على جوابها إن كانت شرطية. وجواب إن أي فليوص ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل بأن لا يزيد على الثلث ولا يفضل الغني ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ الله وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث «لا وصية لوارث»[1] رواه الترمذي.

(١) **[صحيح]**: وهو عن جماعة من الصحابة ﵃ كما في «صحيح الجامع».

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ
يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ
لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ
رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)

١٨١- ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ أي الإيصاء من شاهد ووصي ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ علمه ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾ أي الإيصاء المبدل ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقول الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعل الوصي فمجاز عليه.

١٨٢- ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾ مخففا ومثقلا [مُوَصٍّ] ﴿جَنَفًا﴾ ميلاً عن الحق خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غنيّ مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. ١٨٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها. ١٨٤- ﴿أَيَّامًا﴾ نصب بالصيام أو بصوموا مقدّرا ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي قلائل أو مؤقتات بعدد معلوم وهي رمضان كما سيأتي وقلّله تسهيلا على المكلفين ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ حين شهوده ﴿مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرا سفر القصر وأجهده الصوم في الحالين فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها بدله ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ لكبر أو مرض لا يُرجى برؤه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي قدر ما يأكله في يومه وهو مدّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة [فدْيَةُ طعام مساكين] بإضافة فدية وهي للبيان وقيل «لا» غير مقدرة وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية ثم نسخ بتعيين الصوم بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. قال ابن عباس إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على الولد فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي التطوع ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟﴾ مبتدأ خبره ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه. ١٨٥- تلك الأيام ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه ﴿هُدًى﴾ حال هاديا من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾ آيات واضحات ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ بما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿وَ﴾ من ﴿ٱلْفُرْقَانِ﴾ بما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ حضر ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدّم مثله وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر ولكون ذلك في معنى العلة أيضا للأمر بالصوم عطف عليه ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ بالتخفيف والتشديد [وَلْتُكمِّلُوا] ﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ أي عدّة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك. ١٨٦- وسأل جماعة النبي ﷺ: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ منهم بعلمي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟﴾ يداوموا على الإيمان ﴿بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يهتدون.

بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته، فقال سَلامُ بن مشكَم، أحد بني النَّضِير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

١٨٧- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ بمعنى الإفضاء ﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ بالجماع، نزل نسخا لما كان في صدر الإسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ كناية عن تعانقهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ﴾ تخونون ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالجماع ليلة الصيام. وقع ذلك لعمر وغيره واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم ﴿وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ﴾ إذ أحل لكم ﴿بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهن ﴿وَٱبْتَغُوا۟﴾ اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي أباحه من الجماع أو قدّره من الولد ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ الليل كله ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ يظهر ﴿لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴿١٨٧﴾﴾ أي الصادق بيان للخيط الأبيض وبيان الأسود محذوف أي من الليل شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخيطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أي إلى دخوله بغروب الشمس ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ﴾ أي نساءكم ﴿وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ﴾ مقيمون بنية الاعتكاف ﴿فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾ متعلق بعاكفون نهيٌ لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ حدّها لعباده ليقفوا عندها ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلغ من لا تعتدوها المعبر به في آية أخرى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بيَّن لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ محارمه. ١٨٨- ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم﴾ أي يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ الحرام شرعا كالسرقة والغصب ﴿وَ﴾ لا ﴿تُدْلُوا۟﴾ تلقوا ﴿بِهَآ﴾ أي بحكومتها أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ متلبسين ﴿بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ أنكم مبطلون.

١٨٩- ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ جمع هلال لم تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلئ نورا ثم تعود كما بدت ولا تكون على حالة واحدة، كالشمس ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هِىَ مَوَٰقِيتُ﴾ جمع ميقات ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعُدد نسائهم وصيامهم وإفطارهم ﴿وَٱلْحَجِّ﴾ عطف على الناس أي يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ في الإحرام بأن تنقبوا فيها نقبا تدخلون منه وتخرجون وتتركوا الباب وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه برا ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ أي ذا البر ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الله بترك مخالفته ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ في الإحرام كغيره ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ تفوزون. ١٩٠- ولما صُدَّ ﷺ عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ويُخلوا له مكة ثلاثة أيام وتجهز لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام نزل ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لإعلاء دينه ﴿ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ الكفار ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ المتجاوزين ما حدّ لهم، وهذا منسوخ بآية براءة أو بقوله:

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)

١٩١- ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ وجدتموهم ﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ أي من مكة وقد فعل بهم ذلك عام الفتح ﴿ وَالْفِتْنَةُ ﴾ الشرك منهم ﴿ أَشَدُّ ﴾ أعظم ﴿ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ لهم في الحرم أو الإحرام الذي استعظمتموه ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ أي في الحرم ﴿ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ ﴾ فيه، ﴿ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾ فيه، وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة [ولا تقتلوهم، حتى يقتلوكم، فإن قتلوكم] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ القتل والإخراج ﴿ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) ﴾. ١٩٢- ﴿ فَإِنِ انتَهَوْا ﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لهم ﴿ رَّحِيمٌ (١٩٢) ﴾ بهم. ١٩٣- ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ ﴾ توجد ﴿ فِتْنَةٌ ﴾ شرك ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ ﴾ العبادة ﴿ لِلَّهِ ﴾ وحده لا يعبد سواه ﴿ فَإِنِ انتَهَوْا ﴾ عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا ﴿ فَلَا عُدْوَانَ ﴾ اعتداء بقتل أو غيره ﴿ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) ﴾ ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه. ١٩٤- ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ ﴾ المحرّم مقابل ﴿ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله، ردّ لاستعظام المسلمين ذلك ﴿ وَالْحُرُمَاتُ ﴾ جمع حرمة ما يجب احترامه ﴿ قِصَاصٌ ﴾ أي يقتص بمثلها إذا انتهكت ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ بالقتال في الحرم أو الإحرام أو الشهر الحرام ﴿ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ سمى مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل به في الصورة ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) ﴾ بالعون والنصر.

١٩٥- ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ طاعته بالجهاد وغيره ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ ﴾ أي أنفسكم، والباء زائدة ﴿ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ الهلاك بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه لأنه يقوي العدو عليكم ﴿ وَأَحْسِنُوا ﴾ بالنفقة وغيرها ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾ أي يثيبهم. ١٩٦- ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ أدُّوهما بحقوقهما ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾ منعتم عن إتمامهما بعدو ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ ﴾ تيسر ﴿ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ عليكم وهو شاة ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ ﴾ أي لا تتحللوا ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ ﴾ المذكور ﴿ مَحِلَّهُ ﴾ حيث يحل ذبحه وهو مكان الإحصار عند الشافعي فيذبح فيه بنية التحلل ويفرق على مساكينه ويحلق وبه يحصل التحلل ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ ﴾ كقمل وصداع فحلق في الإحرام ﴿ فَفِدْيَةٌ ﴾ عليه ﴿ مِّن صِيَامٍ ﴾ ثلاثة أيام ﴿ أَوْ صَدَقَةٍ ﴾ بثلاثة أصوع من غالب قوت البلد على ستة مساكين ﴿ أَوْ نُسُكٍ (١٩٦) ﴾ أي ذبح شاة وأو للتخيير وألحق به من حلق لغير عذر لأنه أولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر أو غيره ﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ ﴾ العدو بأن ذهب أو لم يكن ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ ﴾ استمتع ﴿ بِالْعُمْرَةِ ﴾ أي بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام ﴿ إِلَى الْحَجِّ ﴾ أي إلى الإحرام به بأن يكون أحرم بها في أشهره ﴿ فَمَا اسْتَيْسَرَ ﴾ تيسر ﴿ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ عليه وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به والأفضل يوم النحر ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ الهدي لفقده أو فقد ثمنه ﴿ فَصِيَامُ ﴾ أي فعليه صيام ﴿ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾ أي في حال الإحرام به فيجب حينئذ أن يُحْرِمَ قبل السابع من ذي الحجة والأفضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ولا يجوز صومها أيام التشريق على أصح قولي الشافعي ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ إلى وطنكم مكة أو غيرها وقيل إذا فرغتم من أعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ جملة تأكيد لما قبلها ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع ﴿ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع وفي ذكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني لا، والأهل كناية عن النفس وألحق بالمتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من أحرم بالعمرة والحج معا أو يدخل الحج عليها قبل الطواف ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦) ﴾ لمن خالفه.

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ
خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

١٩٧- ﴿ ٱلْحَجُّ ﴾ وقته ﴿ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ شوّال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة وقيل كله ﴿فَمَن فَرَضَ﴾ على نفسه ﴿ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ﴾ بالإحرام به ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ جماع فيه ﴿وَلَا فُسُوقَ ﴾ معاص ﴿وَلَا جِدَالَ ﴾ خصام ﴿ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ وفي قراءة بفتح الأولين والمراد في الثلاثة النهي ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ ﴾ كصدقة ﴿ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ فيجازيكم به. ونزل في أهل اليمن وكانوا يحجون بلا زاد فيكونون كلاً على الناس: ﴿وَتَزَوَّدُوا ﴾ ما يبلغكم لسفركم ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ ما يُتّقى به سؤال الناس وغيره ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩٧)﴾ ذوي العقول. ١٩٨- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ في ﴿ أَن تَبْتَغُواْ ﴾ تطلبوا ﴿فَضْلًا ﴾ رزقا ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ بالتجارة في الحج نزل ردا لكراهتهم ذلك ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم ﴾ دفعتم ﴿ مِّنْ عَرَفَٰتٍ ﴾ بعد الوقوف بها ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ هو جبل في آخر المزدلفة يقال له قزح وفي الحديث «أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جدا» رواه مسلم[1] ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾ لمعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل ﴿وَإِن ﴾ مخففة ﴿كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ قبل هداه ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ (١٩٨)﴾ .

١٩٩- ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ ﴾ يا قريش ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ أي من عرفة بأن تقفوا بها معهم وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفعا عن الوقوف معهم، وثم للترتيب في الذكر ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ (١٩٩)﴾ بهم.

٢٠٠- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم ﴾ أديتم ﴿مَّنَٰسِكَكُمْ ﴾ عبادات حجكم بأن رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ بالتكبير والثناء ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ ﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ من ذكركم إياهم، ونصب أشدّ على الحال من ذكر المنصوب باذكروا إذ لو تأخر عنه لكان صفة له ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا ﴾ نصيبا ﴿فِي ٱلدُّنْيَا ﴾ فيؤتاه فيها ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ (٢٠٠)﴾ نصيب.

٢٠١- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ نعمة ﴿ وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ هي الجنة ﴿ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (٢٠١)﴾ بعدم دخولها. وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين والقصد به الحث على طلب خيري الدارين كما وعد بالثواب عليه بقوله:

٢٠٢- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ ﴾ ثواب ﴿ مِّـ ﴾ ـنْ أجل ﴿مَّا كَسَبُواْ ﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٢٠٢)﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك.

■ **أسباب نزول الآية ٩٤**- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأٓخِرَةُ ﴾ الآية: أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: قالت يهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً ﴾ الآية.

---

(١) [صحيح]: أخرجه مسلم في (الحج/١٢١٨/عبد الباقي).

۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠)

٢٠٣ـ ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ أي أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أي استعجل بالنفر من منى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك أي هم مخيرون في ذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ الله في حجه لأنه الحاج في الحقيقة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

٢٠٤ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك لعداوته لك وهو الأخنس بن شريق كان منافقا حلو الكلام للنبي ﷺ يحلف أنه مؤمن به ومحبّ له فيدني مجلسه فأكذبه الله في ذلك ومر بزرع وحُمُر لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلاً كما قال تعالى.

٢٠٥ـ ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ انصرف عنك ﴿سَعَى﴾ مشى ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ أي لا يرضى به.

٢٠٦ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ حملته الأنفة والحمية على العمل ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الذي أمر باتقائه ﴿فَحَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش هي.

٢٠٧ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾ يبيع ﴿نَفْسَهُ﴾ أي يبذلها في طاعة الله ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ رضاه وهو صهيب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه. ٢٠٨ـ ونزل في عبد الله بن سلام وأصحابه لما عظموا السبت وكرهوا الإبل بعد الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ بفتح السين وكسرها الإسلام ﴿كَافَّةً﴾ حال من السلم أي في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي تزيينه بالتفريق ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بيّن العداوة. ٢٠٩ـ ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ ملتم عن الدخول في جميعه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

٢١٠ـ ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي أمره كقوله: (أو يأتي أَمْرُ رَبِّكَ) أي عذابه ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة ﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾ السحاب ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ تمّ أمر هلاكهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ بالبناء للمفعول [تُرْجَعُ] والفاعل [تَرْجِعُ] في الآخرة فيجازي كلا بعمله.

■ **أسباب نزول الآية ٩٧** - قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ الآية: روى البخاري عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يَخْتَرِفُ، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أولُ أشراط الساعة، وما أولُ طعام أهلِ الجنة، وما يَنزعُ الولدَ إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال أخبرني بهن جبريل آنفا، قال: جبريل؟ قال نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾. قال شيخ الإسلام ابن حجر في «فتح الباري»: ظاهر السياق أن النبي ﷺ قرأ الآية ردًا على اليهود، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذ. قال: وهذا هو المعتمد، فقد صح في سبب نزول الآية قصةٌ غيرُ قصة عبد الله ابن سلام: فأخرج أحمد والترمذي والنَّسـائي من طريق بُكَيْر بن شهاب، عن سعيد بن جـبير، عن ابن عباس قال:

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١) زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢) كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ (٢١٥)

٢١١- ﴿سَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ تبكيتا ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ كم استفهامية معلقة سل عن المفعول الثاني وهي ثاني مفعول آتينا ومميزها ﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ ظاهرة كفلق البحر وإنزال المنّ والسلوى فبدلوها كفرا ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أي ما أنعم به عليه من الآيات لأنها سبب الهداية ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ كفرا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١)﴾ له. ٢١٢- ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾ بالتمويه فأحبوها ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لفقرهم كبلال وعمار وصهيب أي يستهزئون بهم ويتعالون عليهم بالمال ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)﴾ أي رزقا واسعا في الآخرة أو الدنيا بأن يملك المسحور منهم أموال الساخرين ورقابهم.

٢١٣- ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الإيمان فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّۦنَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من الدين ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي الدين ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي الكتاب فآمن بعض وكفر بعض ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرة على التوحيد ومن متعلقة باختلف وهي وما بعدها مقدّم على الاستثناء في المعنى ﴿بَغْيًۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ﴾ للبيان ﴿الْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ بإرادته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣)﴾ طريق الحق.

٢١٤- ونزل في جهد أصاب المسلمين ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِكُم مَّثَلُ﴾ شبه ما أتى ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم﴾ من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾ جملة مستأنفة مبينة ما قبلها ﴿الْبَأْسَآءُ﴾ شدّة الفقر ﴿وَالضَّرَّآءُ﴾ المرض ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ﴾ بالنصب والرفع [يقول]، أي قال ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ﴾ استبطاء للنصر لتناهي الشدّة عليهم ﴿مَتَىٰ﴾ يأتي ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ الذي وعدنا فأجيبوا من قبل الله ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)﴾ إتيانه

٢١٥- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي الذي ينفقونه والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخا ذا مال فسأل النبي ﷺ عما ينفق وعلى من ينفق ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ بيان لـ«ما» شامل للقليل والكثير وفيه بيان المنفق الذي هو أحد شقي السؤال وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ إنفاق أو غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ (٢١٥)﴾ فمجاز عليه.

أقبلت يهودُ إلى رسول الله فقالوا: يا أبا القاسم، إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا هن عرفنا أنك نبي، فذكر الحديث، وفيه: أنهم سألوه عما حرَّم إسرائيل على نفسه، وعن علامة النبي، وعن الرعد وصوته، وكيف تُذكرُ المرأة وتُؤنثُ، وعمن يأتيه بخبر السماء، إلى أن قالوا: فأخبرنا من صاحبك؟ قال: جبريل. قالوا: جبريل ذاك [الذي] ينزل بالحرب والقتال والعذاب، ذاك عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان خيرًا، فنزلت. وأخرج إسحاق بن راهويه في «مسنده» وابن جرير من طريق الشعبي: أن عمر كان يأتي اليهود فيسمع من التوراة، فيتعجب

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا
أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

٢١٦- ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ للكفار ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾ مكروه ﴿لَّكُمْ﴾ طبعا لمشقته ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها فلعل لكم في القتال وإن كرهتموه خيرا لأن فيه إما الظفر والغنيمة أو الشهادة والأجر وفي تركه وإن أحببتموه شرا لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به. ٢١٧- وأرسل النبي ﷺ أوّل سراياه وعليها عبد الله بن جحش فقاتلوا المشركين وقتلوا ابن الحضرمي آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برجب فعيرهم الكفار باستحلاله فنزل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ المحرم ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل اشتمال ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم وزرا مبتدأ وخبر ﴿وَصَدٌّ﴾ مبدأ منع للناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ بالله ﴿وَ﴾ صدّ عن ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي مكة ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون، وخبر المبتدأ ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم وزرا ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ من القتال فيه ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي الكفار ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّىٰ﴾ كي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿٢١٧﴾﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه ولا يعيده كالحج مثلاً وعليه الشافعي ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾.

٢١٨- ولما ظنّ السرية أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر نزل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ فارقوا أوطانهم ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ ثوابه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ بهم. ٢١٩- ﴿۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار ما حكمهما ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فِيهِمَا﴾ أي في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ عظيم، وفي قراءة بالمثلثة لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ باللذة والفرح في الخمر وإصابة المال بلا كدّ في الميسر ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾ أي ما ينشأ عنهما من المفاسد ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِن نَّفْعِهِمَا﴾ ولما نزلت شربها قوم وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي ما قدره ﴿قُلِ﴾ أنفقوا ﴿الْعَفْوَ﴾ أي الفاضل عن الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم، وفي قراءة بالرفع بتقدير هو ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما بيّن لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾.

كيف تُصدِّقُ ما في القرآن. قال: فمرَّ بهم النبي ﷺ، فقلت: نشدتكم بالله، أتعلمون أنه رسول الله؟ فقال عالمهم: نعم، نعلم أنه رسول الله، قلت: فلم لا تتبعونه؟ قالوا: سألناه من يأتيه بنبوته، فقال: عدونا جبريل، لأنه ينزل بالغلظة والشدة والحرب والهلاك. قلت: فمن سِلْمُكم من الملائكة؟ قالوا: ميكائيل، ينزل بالقطر والرحمة، قلت: وكيف منزلتهما من ربهما؟ قالوا: أحدهما عن يمينه، والآخر عن الجانب الآخر. قلت: فإنه لا يحل لجبريل أن يعادي سِلْم ميكائيل ولا يحل لميكائيل أن يسالم عدو جبريل، وإنني أشهد أنهما وربهما سِلْم لمن سالموا، وحرب لمن حاربوا، ثم أتيت النبي ﷺ، وأنا أريد أن أخبره، فلما لقيتـــه قال: ألا أخبرك بآيات أنزلت عليَّ؟ فقلت بلى يا رسول الله، فقرأ:

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ (٢٢٠) وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٢٢٣) وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (٢٢٤)

٢٢٠- ﴿فِي﴾ أمر ﴿ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيهما ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ﴾ وما يلقونه من الحرج في شأنهم فإن واكلوهم يأثموا وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاما وحدهم فحرج ﴿قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ﴾ في أموالهم بتنميتها ومداخلتكم ﴿خَيۡرٞۖ﴾ من ترك ذلك ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ﴾ أي تخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ﴾ أي فهم إخوانكم في الدين ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه أي فلكم ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ بها فيجازي كلا منهما ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ﴾ لضيق عليكم بتحريم المخالطة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٞ (٢٢٠)﴾ في صنعه.

٢٢١- ﴿وَلَا تَنكِحُواْ﴾ تتزوّجوا أيها المسلمون ﴿ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾ أي الكافرات ﴿حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ﴾ حرّة لأنّ سبب نزولها العيب على من تزوّج أمة وترغيبه في نكاح حرّة مشركة ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ﴾ لجمالها ومالها وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ﴿وَلَا تُنكِحُواْ﴾ تزوجوا ﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي الكفار المؤمنات ﴿حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ﴾ لماله وجماله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي أهل الشرك ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ بدعائهم إلى العمل الموجب لها فلا تليق مناكحتهم ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ﴾ على لسان رسله ﴿إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ أي العمل الموجب لهما ﴿بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ بإرادته فتجب إجابته بتزويج أوليائه ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)﴾ يتعظون.

٢٢٢- ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ﴾ أي الحيض أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه ﴿قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾ قذر أو محله ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ اتركوا وطأهنّ ﴿فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ أي وقته أو مكانه ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ﴾ بسكون الطاء [يَطْهُرْنَ] وتشديدها [يَطَّهَّرْنَ] والهاء وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، أي يغتسلن بعد انقطاعه ﴿فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ وبتجنبه في الحيض وهو القُبُل ولا تعدوه إلى غيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾ يثيب ويكرم[1] ﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ من الأقذار.

٢٢٣- ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ أي محل زرعكم الولد ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ﴾ أي محله وهو القبل ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿شِئۡتُمۡۖ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار. ونزل ردًّا لقول اليهود من أتى امرأته في قبلها أي من جهة دبرها جاء الولد أحول ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ﴾ العمل الصالح كالتسمية عند الجماع ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾ بالبعث فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٢٢٣)﴾ الذين اتقوه بالجنة.

٢٢٤- ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ﴾ أي الحلف به ﴿عُرۡضَةٗ﴾ علة مانعة ﴿لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ أي نصبا لها بأن تكثروا الحلف به ﴿أَن﴾ لا ﴿تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ﴾ فتكره اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة ﴿وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ المعنى لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفتم عليه بل ائتوه وكفروا لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٞ (٢٢٤)﴾ بأحوالكم.

﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾ حتى بلغ ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ قلت يا رسول الله، والله ما قمت من عند اليهود إلا إليك، لأخبرك بما قالوا لي وقلت لهم، فوجدت الله قد سبقني. وإسناده صحيح إلى الشعبي لكنه لم يدرك عمر. وقد أخرجه

---

(١) هذا من تفسير المحبة بلازمها مع تعطيل الصفة وقد تقدم.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

٢٢٥- ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف نحو «لا والله وبلى والله» فلا إثم عليه ولا كفارة ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي قصدته من الإيمان إذا حنثتم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما كان من اللغو ﴿حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

٢٢٦- ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ أي يحلفون أن لا يجامعوهن ﴿تَرَبُّصُ﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو﴾ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾ بهم. ٢٢٧- ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾ أي عليه بأن لا يفيئوا فليوقعوه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ بعزمهم، المعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفيئة أو الطلاق. ٢٢٨- ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي لينتظرن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ عن النكاح ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ تمضي من حين الطلاق، جمع قرء بفتح القاف، وهو الطهر أو الحيض قولان وهذا في المدخول بهن أما غيرهن فلا عدّة عليهن لقوله «فما لكم عليهن من عدّة» وفي غير الآيسة والصغيرة فعدّتهن ثلاثة أشهر والحوامل فعدّتهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق والإماء فعدّتهن قرءان بالسُّنة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الولد أو الحيض ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ أزواجهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ بمراجعتهن ولو أبين ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ أي في زمن التربص ﴿إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ بينهما لا إضرار المرأة وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة وهذا في الطلاق الرجعي وأحق: لا تفضيل فيه إذ لا حق لغيرهم في نكاحهن في العدّة ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الأزواج ﴿مِثْلُ ٱلَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعا من حسن العشرة وترك الضرار ونحو ذلك ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ فضيلة في الحق من وجوب طاعتهن لهم لما ساقوه من المهر والإنفاق ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ فيما دبره لخلقه. ٢٢٩- ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ أي التطليق الذي يراجع بعده ﴿مَرَّتَانِ﴾ أي اثنتان ﴿فَإِمْسَاكٌۢ﴾ أي فعليكم إمساكهن بعده بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير إضرار ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ﴾ أي إرسالهن ﴿بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْـًٔا﴾ إذا طلقتموهن ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ أي الزوجان ﴿أَ﴾ ن ﴿لَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي أن لا يأتيا بما حدّه لهما من الحقوق، وفي قراءة يخافا بالبناء للمفعول، فإن لا يقيما بدل اشتمال من الضمير فيه، وقرئ بالفوقانية في الفعلين ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَ﴾ ن ﴿لَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ نفسها من المال ليطلقها أي لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله نفسها من المال ليطلقها أي لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾.

٢٣٠- ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوج بعد الثنتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾ بعد الطلقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾ تتزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ ويطأها كما في الحديث رواه الشيخان[1] ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ أي الزوجة والزوج الأول ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ يتدبرون.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (الشهادات/٢٦٣٩/فتح)، ومسلم في (النكاح/١٤٣٣/عبد الباقي).

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ
ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

٢٣١- ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرر ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿ضِرَارًا﴾ مفعول لأجله ﴿لِّتَعْتَدُواْ﴾ عليهن بالإلجاء إلى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ مهزوءا بها بمخالفتها ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ بأن تشكروها بالعمل به ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ ولا يخفى عليه شيء.

٢٣٢- ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطاب للأولياء أي تمنعوهن من ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ المطلقين لهن، لأن سبب نزولها أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها معقل ابن يسار، كما رواه الحاكم[1] ﴿إِذَا تَرَٰضَوْاْ﴾ أي الأزواج والنساء ﴿بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعا ﴿ذَٰلِكَ﴾ النهي عن العضل ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ لأنه المنتفع به ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي ترك العضل ﴿أَزْكَىٰ﴾ خير ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه المصلحة ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ ذلك فاتبعوا أوامره.

٢٣٣- ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ أي ليرضعن ﴿أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صفة مؤكدة ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ ولا زيادة عليه ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ أي الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إطعام الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع إذا كن مطلقات ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بقدر طاقته ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ أي بسببه بأن تكره على إرضاعه إذا امتنعت ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ أي بسببه بأن يكلف فوق طاقته وإضافة الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ أي وارث الأب وهو الصبي أي على وليه في ماله ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي الوالدان ﴿فِصَالًا﴾ فطاما له قبل الحولين صادرا ﴿عَن تَرَاضٍ﴾ اتفاق ﴿مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما لتظهر مصلحة الصبي فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ﴾ خطاب للآباء ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ مراضع غير الوالدات ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إليهن ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ أي أردتم إيتاءه لهن من الأجرة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالجميل كطيب النفس ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم من طريق آخر عن الشعبي؛ وأخرجه ابن جرير من طريق السدي عن عمر، ومن طريق قتادة عن عمر، وهما أيضًا منقطعان. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أن يهوديًا لقي عمر بن الخطاب، فقال: إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا، فقال عمر: من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدوه. قال: فنزلت على لسان عمر. فهذه طرق يقوّي بعضها بعضًا، وقد نقل ابن جرير الإجماع على أن سبب نزول الآية ذلك.

---

(١) [صحيح]: قلت بل أخرجه البخاري.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

٢٣٤- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ يموتون ﴿مِنكُمْ وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي ليتربصن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ بعدهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل أما الحوامل فعدّتهن أن يضعن حملهن بآية الطلاق، والأمة على النصف من ذلك بالسنّة[1] ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزين والتعرض للخطاب ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعا ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ عالم بباطنه كظاهره. ٢٣٥- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم﴾ لوحتم ﴿بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ المتوفي عنهن أزواجهن في العدّة كقول الإنسان مثلا: إنك لجميلة، ومن يجد مثلك، ورب راغب فيك ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾ أضمرتم ﴿فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن فأباح لكم التعريض ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي نكاحا ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي ما عرف شرعا من التعريض فلكم ذلك ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ أي على عقده ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي المكتوب من العدّة ﴿أَجَلَهُۥ﴾ بأن ينتهي ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيره ﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن يحذره ﴿حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها. ٢٣٦- ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ وفي قراءة (تُمَاسُّوهُنَّ)، أي تجامعوهن ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرا وما مصدرية ظرفية أي لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض بإثم ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾ الضيق الرزق ﴿قَدَرُهُۥ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة ﴿مَتَٰعًۢا﴾ تمتيعا ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعا صفة متاعا ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية أو مصدر مؤكدة ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ المطيعين. ٢٣٧- ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَعْفُونَ﴾ أي الزوجات فيتركنه ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ وهو الزوج فيترك لها الكل وعن ابن عباس: الولي إذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾ مبتدأ خبره ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ فيجازيكم به.

■ **أسباب نزول الآية ٩٩-** قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآيتين: أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: قال ابن صوريا للنبي ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بيّنة، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾. وقال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد إليهم في محمد: والله ما عهد إلينا في محمد، ولا أخذ علينا ميثاقا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ١٠٢-** قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟﴾ الآية: أخرج ابن جرير عن شهر بن حوشب قال: قالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل : يذكر سليمان مع الأنبياء، أفما كان ساحرًا يركب الريح؟ فأنزل

---

(١) فيه نظر وانظر «اختصاري لابن كثير» (٢٧٧/١) طـ التوفيقية.

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ (٢٣٩) وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠) وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢) ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)

٢٣٨- ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها، أقوال[1]؛ وأفردها بالذكر لفضلها ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ في الصلاة ﴿قَٰنِتِينَ (٢٣٨)﴾ قيل مطيعين لقوله ﷺ «كل قنوت في القرآن فهو طاعة» رواه أحمد وغيره، وقيل ساكتين لحديث زيد بن أرقم: «كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام» رواه الشيخان.

٢٣٩- ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدو أو سيل أو سبع ﴿فَرِجَالًا﴾ جمع راجل أي مشاة صلوا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب أي كيف أمكن مستقبلي القبلة أو غيرها ويومئ بالركوع والسجود ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي صلوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ (٢٣٩)﴾ قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها، والكاف بمعنى مثل وما مصدرية أو موصولة.

٢٤٠- ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ فليوصوا ﴿وَصِيَّةً﴾ وفي قراءة بالرفع [وَصِيَّةٌ]، أي عليهم ﴿لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ وليعطوهن ﴿مَّتَٰعًا﴾ ما يتمتعن به من النفقة والكسوة ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿ٱلْحَوْلِ﴾ من موتهم الواجب عليهن تربصه ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال، أي غير مخرجات من مسكنهن ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بأنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ شرعا كالتزين وترك الإحداد وقطع النفقة عنها ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ (٢٤٠)﴾ في صنعه. والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث، وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة في النزول. والسكنى ثابتة لها عند الشافعي رحمه الله.

٢٤١- ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ﴾ يعطينه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الإمكان ﴿حَقًّا﴾ نصب بفعله المقدر ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الله تعالى، كرره ليعم الممسوسة أيضا إذ الآية السابقة في غيرها.

٢٤٢- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما يبين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)﴾ تتدبرون.

٢٤٣- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجب وتشويق إلى استماع ما بعده، أي ألم ينته علمك ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفا ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ مفعول له. وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقيل - بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي - فعاشوا دهرا عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبا إلا عاد كالكفن واستمرت في أسباطهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومنه إحياء هؤلاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)﴾ والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه: ٢٤٤- ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ (٢٤٤)﴾ أي لإعلاء دينه ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم فمجازيكم. ٢٤٥- ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله ﷻ عن طيب قلب ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ وفي قراءة فَيُضَعِّفَهُ بالتشديد ﴿لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما سيأتي ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾ يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاء ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ يوسعه لمن يشاء امتحانا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾ في الآخرة بالبعث فيجازيكم بأعمالكم.

---

(١) الصحيح في ذلك «صلاة العصر» وانظر اختصاري لابن كثير (٢٨٣/١: ٢٨٦).

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟
لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ
هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ
قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ
يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

٢٤٦- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾ الجماعة ﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ﴾ موت ﴿مُوسَىٰٓ﴾ أي إلى قصتهم وخبرهم ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ هو شمويل ﴿ٱبْعَثْ﴾ أقم ﴿لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ﴾ معه ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ﴿قَالَ﴾ النبي لهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بالفتح [عَسَيْتُمْ] والكسر [عَسِيتُمْ] ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَ﴾ ن ﴿لَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ خبر عسى والاستفهام لتقرير التوقع بها ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَ﴾ ن ﴿لَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ بسبيهم وقتلهم، وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت، أي لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟﴾ عنه وجبنوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ فمجازيهم، وسأل النبي ربه إرسال ملك فأجابه إلى إرسال طالوت. ٢٤٧- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة وكان دباغا أو راعيا ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿قَالَ﴾ النبي لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ﴾ اختاره للملك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾ سعة ﴿فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقا ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ إيتاءه لا اعتراض عليه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ بمن هو أهل له. ٢٤٨- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما طلبوا منه آية على ملكه ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الصندوق كان فيه صور الأنبياء[1]. أنزله الله على آدم واستمر إليهم فغلبتهم العمالقة عليه وأخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوّهم ويقدّمونه في القتال ويسكنون إليه كما قال تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ طمأنينة لقلوبكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ أي تركاه هما، وهي نعلا موسى وعصاه وعمامة هارون وقفيز من المنّ الذي كان ينزل عليهم ورضاض من الألواح ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ حال من فاعل يأتيكم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ﴾ على ملكه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت فأقرّوا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد فاختار من شبابهم سبعين ألفا.

الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية: أن اليهود سألوا النبي ﷺ زمانًا عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوا عنه، فيخصمهم؛ فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل إلينا منا، وإنهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ١٠٤** - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾: أخرج ابن المنذر عن السدي قال: كان رجلان من اليهود: مالك بن الصيف، ورفاعة بن زيد، إذا لقيا النبي ﷺ قالا وهما يكلمانه: راعنا سمْعَكَ، واسمع غير مسمع، فظن المسلمون أن هذا الشيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم، فقالوا للنبي ﷺ ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟﴾. وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: راعنا بلسان اليهود: السب القبيح، فلما سمعوا

---

(١) قلت: هذا لا يثبت وانظر اختصاري لابن كثير (١/٢٩٥).

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم
بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا
لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

٢٤٩- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ خرج ﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس وكان الحرُّ شديدا وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي وهو بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي من أتباعي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بالفتح [غَرْفَةً] والضم [غُرْفَةً] ﴿بِيَدِهِ﴾ فاكتفى بها ولم يزد عليها فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لما وافوه بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فاقتصروا على الغرفة، روي أنها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرفة ﴿قَالُوا﴾ أي الذين شربوا ﴿لَا طَاقَةَ﴾ قوة ﴿لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ﴾ بالبعث وهم الذين جاوزوه ﴿كَم﴾ خبرية بمعنى كثير ﴿مِّن فِئَةٍ﴾ جماعة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ بالعون والنصر. ٢٥٠- ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي ظهروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أصبب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾.

٢٥١- ﴿فَهَزَمُوهُم﴾ كسروهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ﴾ أي داود ﴿اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ في بني إسرائيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوّة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لأحد قبله ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كصنعة الدروع ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم﴾ بدل بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ فدفع بعضهم ببعض. ٢٥٢- ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ التأكيد بإنّ وغيرها ردّا لقول الكفار له: لست مرسلاً.

أصحابه [يقولونه أعلنوا بها له، فكانوا] يقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فنزلت، فسمعها منهم سعد بن معاذ، فقال لليهود: يا أعداء الله لئن سمعتها من رجل منكم بعد هذا المجلس لأضربن عنقه. وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: كان الرجل يقول: أرْعِني سمعك، فنزلت الآية. وأخرج عن عطية قال: كان أناس من اليهود يقولون أرْعِنا سَمْعَكَ، حتى قالها أناس من المسلمين، فكره الله لهم ذلك، فنزلت. وأخرج عن قتادة قال: كانوا يقولون: راعنا سمعك، فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك فنزلت. وأخرج عن عطاء قال: كانت لغة الأنصار في الجاهلية، فنزلت. وأخرج عن أبي العالية قال: إن العرب كانوا إذا حدث بعضهم يقول أحدهم لصاحبه: أرْعِني سمعك، فنهوا عن ذلك.

■ أسباب نزول الآية ١٠٦- قوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كان ربما ينزل على النبي ﷺ الوحيُ بالليل وينساه بالنهار، فأنزل الله: ﴿۞ مَا نَنسَخْ﴾ الآية.

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) ﴾

٢٥٣- ﴿ تِلْكَ ﴾ مبتدأ ﴿الرُّسُلُ﴾ نعت أو عطف بيان والخبر ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كموسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أي محمدا ﷺ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ على غيره بعموم الدعوة وختم النبوّة وتفضيل أمته على سائر الأمم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل يسير معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدى الناس جميعا ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم﴾ بعد الرسل أي أممهم ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضا ﴿وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا﴾ لمشيئته ذلك ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ تأكيد ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من توفيق مَنْ شاء وخذلان من شاء. ٢٥٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾ زكاته ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾ فداء ﴿فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ صداقة تنفع ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ بغير إذنه وهو يوم القيامة وفي قراءة برفع الثلاثة [لا بيعٌ، ولا خُلةٌ، ولا شَفَاعةٌ] ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بالله أو بما فرض عليهم ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لوضعهم أمر الله في غير محله.

٢٥٥- ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ﴾ أي لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ الدائم البقاء ﴿الْقَيُّومُ﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿مَن ذَا الَّذِي﴾ أي لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ له فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي من أمر الدنيا والآخرة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ أي لا يعلمون شيئا من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يعلمهم به منها بإخبار الرسل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قيل أحاط علمه بهما وقيل ملكه وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته لحديث «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي السموات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر[1] ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير.

٢٥٦- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ على الدخول فيه ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غيّ نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الشيطان أو الأصنام وهو يطلق على المفرد والجمع ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ تمسك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ بالعقد المحكم ﴿لَا انفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعل.

■ أسباب نزول الآية ١٠٨- قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ الآية: أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: قال رافعُ بنُ حُرَيْملَةَ ووهبُ بنُ زيد لرسول الله: يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، أو فجرْ لنا أنهارًا نتبعك ونصدقك، فأنزل الله في ذلكَ: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وكان حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ وأبو ياسر بن أخطب من أشد اليهود حسدًا للعرب إذ خصهم الله برسوله، وكانوا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: سألت قريش محمدًا ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، فقال: نعم، وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل إن كفرتم،

---

(١) قلت: هذا الكلام مبناه على نفي العلو، وانظر للأهمية في إثبات العلو لله ﷻ «شرح العقيدة الطحاوية» «مختصر العلو» للألباني.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

٢٥٧- ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ﴾ ناصر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ذكر الإخراج إما في مقابلة قوله: يخرجهم من الظلمات، أو في كل من آمن بالنبي قبل بعثته من اليهود ثم كفر به ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾.

٢٥٨- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ﴾ جادل ﴿إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ لـ ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ أي حمله بطره بنعمة الله على ذلك وهو نمرود ﴿إِذْ﴾ بدل من حاج ﴿قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ﴾ لما قال له من ربك الذي تدعونا إليه: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي يخلق الحيــاة والموت في الأجساد ﴿قَالَ﴾ هو ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ بالقتل والعفو عنه، ودعا برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فلما رآه غبيا ﴿قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ﴾ منتقلاً إلى حجة أوضح منها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ أنت ﴿مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ تحير ودهــش ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ بالكفر إلى محجة الاحتجاج.

٢٥٩- ﴿أَوْ﴾ رأيت ﴿كَٱلَّذِى﴾ الكاف زائدة ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هي بيت المقدس راكبا على حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو عزير ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوطها لما خربها بختنصر ﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ استعظاما لقدرته تعالى ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ وألبثه ﴿مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ أحياه ليريه كيفية ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ مكثت هنا ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنه نام أول النهار فقبض وأحيي عند الغروب فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾ التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير مع طول الزمان، والهاء قيل أصل من سانهت وقيل للسكت من سانيت، وفي قراءة بحذفها [لَمْ يَتَسَنَّ] ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف هو فرآه ميتا وعظامه بيض تلوح، فعلنا ذلك لتعلم ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً﴾ على البعث ﴿لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ من حمارك ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ نحييها بضم النون وقرئ بفتحها [نَنْشُرُهَا] من أنشر ونشر لغتان، وفي قراءة نُنْشِزُهَا بضمها والزاي: نحركها ونرفعها ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فنظر إليها وقد تركبت وكسيت لحما ونفخ فيه الروح ونهق ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ وفي قراءة اعْلَمْ: أمر من الله له.

فأبوا ورجعوا، فأنزل الله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ الآية. وأخرج عن السدي قال: سألت العرب محمدًا ﷺ أن يأتيهم بالله فيروه جهْرَة، فنزلت. وأخرج عن أبي العالية قال: قال رجل: يا رسول الله لو كانت كفارتنا ككفارات بني إسرائيل، فقال النبي ﷺ: ما أعطاكم الله خير، كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها، فإن كفرها كانت له خزيًا في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزيًا في الآخرة، وقد أعطاكم الله خيرًا من ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ الآية، والصلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعة كفارات لما بينهن، فأنزل الله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ الآية.

■ أسبابُ نزول الآية ١١٣- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ الآية: أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نَجْرَانَ من النصارى على رســول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود فتنازعــوا، فقال رافع بن حَرْيمَلة:

وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ
تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ
ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا
ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ
لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ
أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ
﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ
أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ
صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ
وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ
تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ
شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

٢٦٠- ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ ﴾ تعالى له ﴿ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن ﴾ بقدرتي على الإحياء سأله مع علمه بإيمانه بذلك ليجيبه بما سأل فيعلم السامعون غرضه ﴿ قَالَ بَلَىٰ ﴾ آمنت ﴿ وَلَٰكِن ﴾ سألتك ﴿ لِّيَطۡمَئِنَّ ﴾ يسكن ﴿ قَلۡبِي ﴾ بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ﴾ بكسر الصاد وضمها، أملهن إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ ﴾ من جبال أرضك ﴿ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ ﴾ إليك ﴿ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا ﴾ سريعا ﴿ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ لا يعجزه شيء ﴿ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ في صنعه فأخذ طاووسا ونسرا وغرابا وديكا وفعل بهن ما ذكر وأمسك رؤوسهن عنده ودعاهن فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رؤوسها.

٢٦١- ﴿ مَّثَلُ ﴾ صفة نفقات ﴿ ٱلَّذِينَ ينفقون أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي طاعته ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ ﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعمائة ضعف ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ ﴾ أكثر من ذلك ﴿ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ فضله ﴿ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ بمن يستحق المضاعفة.

٢٦٢- ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا ﴿٢٦٢﴾ ﴾ على المنفق عليه بقولهم مثلاً: قد أحسنت إليه وجبرت حاله ﴿ وَلَآ أَذٗى ﴾ له بذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿ لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ في الآخرة.

٢٦٣- ﴿ ۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ ﴾ كلام حسن وردّ على السائل جميل ﴿ وَمَغۡفِرَةٌ ﴾ له في إلحاحه ﴿ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗى ﴾ بالمن وتعيير له بالسؤال ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ عن صدقة العباد ﴿ حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ بتأخير العقوبة عن المان والمؤذي.

٢٦٤- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم ﴾ أي أجورها ﴿ بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ إبطالاً ﴿ كَٱلَّذِي ﴾ أي كإبطال نفقة الذي ﴿ يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ مرائيا لهم ﴿ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ وهو المنافق ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ ﴾ حجر أملس ﴿ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ ﴾ مطر شديد ﴿ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗا ﴾ صلبا أملس لا شيء عليه ﴿ لَّا يَقۡدِرُونَ ﴾ استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رئاء الناس، وجمع الضمير باعتبار معنى الذي ﴿ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْ ﴾ عملوا أي لا يجدون له ثوابا في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ .

ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل، فقال رجل من أهل نجران لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله في ذلك: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ١١٤** – قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ ﴾ الآية: أخرج ابن أبي حاتم من الطريق المذكور: أن قريشًا منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل الله: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: نزلت في المشركين حين صدوا رسول الله عن مكة يوم الحديبية.

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

٢٦٥- ﴿وَمَثَلُ﴾ نفقات ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي تحقيقا للثواب عليه بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإنكارهم له، ومن ابتدائية ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بضم الراء [بِرُبْوَةٍ] وفتحها [بِرَبْوَةٍ]، مكان مرتفع مستو ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ﴾ أعطت ﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الكاف [أُكُلَهَا] وسكونها [أُكْلَهَا] ثمرها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مثلي ما يثمر غيرها ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها، المعنى: تثمر وتزكو كثُر المطر أم قل فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثُرت أم قلت ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ فيجازيكم به.

٢٦٦- ﴿أَيَوَدُّ﴾ أيحب ﴿أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا﴾ ثمر ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَ﴾ قد ﴿أَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ فضعف من الكبر عن الكسب ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ أولاد صغار لا يقدرون عليه ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ ريح شديدة ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ ففقدها أحوج ما كان إليها وبقي هو وأولاده عجزة متحيرين لا حيلة لهم، وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمانّ في ذهابها وعدم نفعها أحوج ما يكون إليها في الآخرة، والاستفهام بمعنى النفي. وعن ابن عباس: هو لرجل عمل بالطاعات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بيّن ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ فتعتبروا. ٢٦٧- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾ أي زكوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾ جياد ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ من المال ﴿وَمِـ﴾ ـن طيبات ﴿مَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من الحبوب والثمار ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟﴾ تقصدوا ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ الرديء ﴿مِنْهُ﴾ أي من المذكور ﴿تُنفِقُونَ﴾ ـه في الزكاة، حال من ضمير تيمموا ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ أي الخبيث لو أعطيتموه في حقوقكم ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عن نفقاتكم ﴿حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ محمود على كل حال.

٢٦٨- ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ يخوّفكم به إن تصدّقتم فتمسكوا ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ البخل ومنع الزكاة ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ على الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ رزقا خلفا منه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ بالمنفق.

٢٦٩- ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي العلم النافع المؤديّ إلى العمل ﴿مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لمصيره إلى السعادة الأبدية ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، يتعظ ﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ أصحاب العقول.

■ أسباب نزول الآية ١١٥- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾: أخرج مسلم والترمذي والنّسائي عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعًا أينما توجهت به، وهو جاء من مكة إلى المدينة، ثم قرأ ابن عمر: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ وقال: في هذا نزلت هذه الآية. وأخرج الحاكم عنه قال: أنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع. وقال: صحيح على شرط مسلم. هذا أصح ما ورد في الآية

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

٤٦

٢٧٠- ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ أدّيتم من زكاة أو صدقة ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ فوفيتم به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بمنع الزكاة والنذر أو بوضع الإنفاق في غير محله من معاصي الله ﴿مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ مانعين لهم من عذابه.

٢٧١- ﴿إِن تُبْدُوا۟﴾ تظهروا ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي النوافل ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ أي نعم شيئا إبداؤها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ تسروها ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من إبدائها وإيتائها الأغنياء. أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليقتدى به ولئلا يتهم وإيتاؤها الفقراء متعين ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء والنون مجزوما [وَنُكَفِّرْ] بالعطف على محل «فهو» ومرفوعا [وَنُكَفِّرُ] على الاستئناف ﴿عَنكُم مِّن﴾ بعض ﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء منه.

٢٧٢- ولما منع ﷺ من التصدُّق على المشركين ليسلموا نزل ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ أي الناس إلى الدخول في الإسلام إنما عليك البلاغ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته إلى الدخول فيه ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ لأنّ ثوابه لها ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي ثوابه لا غيره من أعراض الدنيا، خبر بمعنى النهي ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ تنقصون منه شيئا، والجملتان تأكيد للأولى.

٢٧٣- ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الصدقات ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي حبسوا أنفسهم على الجهاد نزلت في أهل الصفة وهم أربعمائة من المهاجرين أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سفرا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ أي لتعففهم عن السؤال وتركه ﴿تَعْرِفُهُم﴾ يا مخاطب ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجهد ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ﴾ شيئا فيلحفون ﴿إِلْحَافًا ۗ﴾ أي لا سؤال لهم أصلاً فلا يقع منهم إلحاف وهو الإلحاح ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ فمجاز عليه.

٢٧٤- ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾.

إسنادًا، وقد اعتمده جماعة، لكنه ليس فيه تصريح بذكر السبب، بل قال: أنزلت في كذا، وقد تقدم ما فيه. وقد ورد التصريح بسبب نزولها: فأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لما هاجرا إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود؛ فاستقبلها بضعة عشر شهرًا، وكان يحب قبلة إبراهيم، وكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ﴾ فارتاب في ذلك اليهود، قالوا:

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ
فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

٢٧٥- ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي يأخذونه وهو الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات في القدر أو الأجل ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ﴿إِلَّا﴾ قياما ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾ يصرعه ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ الجنون هم متعلق بيقومون ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ في الجواز وهذا من عكس التشبيه مبالغة فقال تعالى ردا عليهم: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ﴾ بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ وعظ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ عن أكله ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ قبل النهي أي لا يسترد منه ﴿وَأَمْرُهُۥٓ﴾ في العفو عنه ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أكله مشبها له بالبيع في الحل ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾. ٢٧٦- ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ينقصه ويذهب بركته ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحليل الربا ﴿أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ فاجر بأكله أي يعاقبه. ٢٧٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾.

٢٧٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ﴾ اتركوا ﴿مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ صادقين في إيمانكم فإنّ من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى، نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهي بربا كان له قبل. ٢٧٩- ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ ما أمرتم به ﴿فَأْذَنُواْ﴾ اعلموا ﴿بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ لكم فيه تهديد شديد لهم. ولما نزلت قالوا لا يَدَ لنا بحربه ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ رجعتم عنه ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ﴾ أصول ﴿أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ بنقص. ٢٨٠- ﴿وَإِن كَانَ﴾ وقع غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ له أي عليكم تأخيره ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ بفتح السين [مَيْسَرَة] وضمها [مَيْسُرَة] أي وقت يسر ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ بالتشديد على إدغام التاء في الأصل في الصاد [تَصَّدَّقُوا] وبالتخفيف على حذفها [تَصَدَّقُوا]، أي تتصدقوا على المعسر بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ أنه خير فافعلوه وفي الحديث «من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» رواه مسلم(1). ٢٨١- ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول: [تُرْجَعُونَ] تردون، وللفاعل: [تَرْجِعُونَ] تسيرون ﴿فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ فأنزل الله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ وقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.
إسناده قوي، والمعنى أيضًا يساعده فليعتمد. وفي الآية روايات أخرى ضعيفة: فأخرجه الترمذي وابن ماجه [والدارقطني] من طريق أشعث السمان، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة، فلم ندر أين القبلة، فصلى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله، فنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ قال الترمذي: غريب، وأشعث يُضَعَّفُ في الحديث. وأخرج

---

(١) [صحيح]: أخرجه مسلم في (الزهد/٣٠١٤/عبد الباقي).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ
فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ
مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا
أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا
اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

٢٨٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم﴾ تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ كسلم وقرض ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ استيثاقا ودفعا للنزاع ﴿وَلْيَكْتُب﴾ كتاب الدَّين ﴿بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بالحق في كتابته لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ يمتنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَن يَكْتُبَ﴾ إذا دعي إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي فضله بالكتابة فلا يبخل بها، والكاف متعلقة بيأب ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تأكيد ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ يمل الكتاب ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الدَّين لأنه المشهود عليه فيقرّ ليعلم ما عليه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ ينقص ﴿مِنْهُ﴾ أي الحق ﴿شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ مبذرا ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لصغر أو كبر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ متولي أمره من والدٍ ووصيّ وقيّم ومُترجم ﴿بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا﴾ أشهدوا على الدَّين ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ شاهدين ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ أي بالغي المسلمين الأحرار ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ أي الشهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ يشهدون ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ لدينه وعدالته وتعدّد النساء لأجل ﴿أَن تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بالتخفيف [فَتُذْكِرَ] والتشديد [فَتُذَكِّرَ] ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الذاكرة ﴿الْأُخْرَىٰ﴾ الناسية وجملة الإذكار محل العلة: أي لتذكر إن ضلت، ودخلت على الضلال لأنه سببه. وفي قراءة بكسر «إن» شرطية، ورفع «تذكر» استئناف جوابه ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿دُعُوا﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ تملوا من ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أي ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿صَغِيرًا﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلاً أو كثيرا ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ وقت حلوله، حال من الهاء في تكتبوه ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي الكتب ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي أعون على إقامتها لأنه يذكرها ﴿وَأَدْنَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَ﴾ ن ﴿لَّا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ﴾ تقع ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ وفي قراءة بالنصب [تجارةً حاضرةً] فتكون: ناقصة واسمها ضمير التجارة ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي تقبضونها ولا أجل فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَ﴾ ن ﴿لَّا تَكْتُبُوهَا﴾ والمراد بها المتجر فيه ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عليه فإنه أدفع للاختلاف، وهذا وما قبله أمر ندب ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة ولا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾ ما نهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ خروج عن الطاعة لاحقٌ ﴿بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ مصالح أموركم حال مقدرة أو مستأنف ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾.

الدارقطني وابن مردويه من طريق العرزمي، عن عطاء، عن جابر قال: بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها، فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة منا: قد عرفنا القبلة، هي ههنا قِبَلَ الشمال، فصلوا وخطوا خطوطًا؛ وقال بعضنا: القبلة ههنا قِبَلَ الجنوب، فصلوا وخطوا خطوطًا؛ فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة. فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي ﷺ فسكت، وأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية. وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأخذتهم ضبابة فلم يهتدوا إلى القبلة، فصلوا؛ ثم استبان لهم بعد ما طلعت الشمس أنهم صلوا لغير القبلة، فلما جاءوا إلى رسول الله حدثوه، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن قتادة: أن النبي ﷺ قال: إن أخا لكم قد

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ
ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ
ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣) لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ
وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ
ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ
أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٨٦)

٢٨٣ - ﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وتداينتم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ﴾ وفي قراءة «فرُهُن» جمع رهن ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ تستوثقون بها، وبينت السنة جواز الرهن في الحضر[1] ووجود الكاتب، فالتقييد بما ذكر لأن التوثيق فيه أشدّ، وأفاد قوله «مقبوضة» اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي الدائن المدين على حقه فلم يرتهن ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ﴾ أي المدين ﴿أَمَٰنَتَهُۥ﴾ دَيْنه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ إذا دعيتم لإقامتها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ خص بالذكر لأنه محل الشهادة. ولأنه إذا أثم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣)﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

٢٨٤ - ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من السوء والعزم عليه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تسرّوه ﴿يُحَاسِبْكُم﴾ يخبركم ﴿بِهِ ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه، والفعلان بالجزم [فَيغفرْ، ويُعذّبْ] عطف على جواب الشرط والرفع: [فَيغفرُ، ويُعذبُ] أي فهو ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم. ٢٨٥ - ﴿ءَامَنَ﴾ صدّق ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ من القرآن ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه ﴿كُلٌّ﴾ تنوينه عوض من المضاف إليه ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ بالجمع والإفراد [وَكتابه] ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ يقولون ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي ما أُمِرْنَا به سماع قبول ﴿وَأَطَعْنَا﴾ نسألك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٢٨٥)﴾ المرجع بالبعث. ولما نزلت الآية التي قبلها شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزل: ٢٨٦ - ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير أي ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من الشرّ أي وزره، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه. قولوا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ بالعقاب ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تركنا الصواب لا عن عمد كما آخذت به مَن قبلنا، وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة كما ورد في الحديث، فسؤاله اعتراف بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ أمرا يثقل علينا حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ أي بني إسرائيل من قتل النفس في التوبة وإخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾ قوّة ﴿لَنَا بِهِۦ﴾ من التكاليف والبلاء ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ امح ذنوبنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٨٦)﴾ بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم فإنّ من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء وفي الحديث «لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة: قد فعلت».

---

(١) انظر اختصاري لابن كثير (١/٣٢٦-٣٢٧).

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن
قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ
عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ
شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ
ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ
وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ
مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ
وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ
لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ
ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

٥٠

سورة آل عمران

مدنية وآياتها مائتان أو إلا آية نزلت بعد الأنفال

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده بذلك.
٢- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ .
٣- ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن متلبسا ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ بالصدق في أخباره ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾. ٤- ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي قبل تنزيله ﴿هُدٗى﴾ حال، بمعنى هاديين من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ﴾ ممن تبعهما وعبر فيهما بأنزل وفي القرآن بنزل المقتضي للتكرير لأنهما أنزلا دفعة واحدة بخلافه ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن وغيره ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾ غالب على أمره فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيده ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ عقوبة شديدة ممن عصاه لا يقدر على مثلها أحد. ٥- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ كائن ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزئي وخصهما بالذكر لأن الحس لا يتجاوزهما. ٦- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وغير ذلك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ في صنعه. ٧- ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ واضحات الدلالة ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ لا تفهم معانيها كأوائل السور وجعله كله محكما في قوله «أحكمت آياته» بمعنى أنه ليس فيه عيب ومتشابها في قوله «كتابا متشابها» بمعنى أنه يشبه بعضه بعضا في الحسن والصدق ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ ميل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ﴾ طلب ﴿ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ لجهالهم بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ تفسيره ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾ تفسيره ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ الثابتون المتمكنون ﴿فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ مبتدأ خبره ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي بالمتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه ﴿كُلّٞ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ أصحاب العقول، ويقولون أيضا إذا رأوا من يتبعه:
٨- ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾ تملها عن الحق بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا كما أزغت قلوب أولئك ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ أرشدتنا إليه ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿رَحۡمَةً﴾ تثبيتا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾. ٩- يا ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ تجمعهم ﴿لِيَوۡمٖ﴾ أي في يوم ﴿لَّا رَيۡبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم كما وعدت بذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ موعده بالبعث، فيه التفات عن الخطاب ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى. والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همهم أمر الآخرة ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها. روى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ إلى آخرها، وقال «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[(١)] وروى الطبراني في الكبير عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال» وذكر منها «أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وليس يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب» الحديث.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (التفسير/٤٥٤٧/فتح)، ومسلم في (العلم/٢٦٦٥/عبد الباقي).

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

١٠ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ بفتح الواو: ما توقد به. ١١- دأبهم ﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كعاد وثمود ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ والجملة مفسرة لما قبلها ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ونزل لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام بعد مرجعه من بدر فقالوا له: لا يغرّنك أن قتلت نفرا من قريش أغمارا لا يعرفون القتال. ١٢- ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من اليهود ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ بالتاء [سَتُغْلَبُونَ] والياء [سَيُغْلَبُونَ]، في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية وقد وقع ذلك ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ بالوجهين، في الآخرة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فتدخلونها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراش هي.

١٣- ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ عبرة، وذكر الفعل للفصل ﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين ﴿ٱلْتَقَتَا﴾ يوم بدر للقتال ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي طاعته وهم النبي وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم﴾ أي الكفار ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ أي المسلمين أي أكثر منهم وكانوا نحو ألف ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ أي رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾ يقوي ﴿بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ نصره ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ لذوي البصائر أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟. ١٤- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ما تشتهيه النفس وتدعو إليه زينها الله ابتلاءً أو الشيطان ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ الأموال الكثيرة ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ المجمعة ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الحسان ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي الإبل والبقر والغنم ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يفنى ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ المرجع وهو الجنة فينبغي الرغبة فيه دون غيره. ١٥- ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور من الشهوات، استفهام تقرير ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ الشرك ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خبر مبتدؤه ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ أي مقدّرين الخلود ﴿فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وغيره مما يُستقذر ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ بكسر أوله وضمه [ورُضْوان] لغتان، أي رضا كثير ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ﴾ عالم ﴿بِٱلْعِبَادِ﴾ فيجازي كلاً منهم بعمله.

مات، يعني النجاشي، فصلوا عليه، قالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم؟ فنزلت: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ الآية. قالوا فإنه كان لا يصلي إلى القبلة، فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ﴾ الآية. غريب جدًا، وهو مُرْسَلٌ أو مُعْضل. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: لما نزلت: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ قالوا إلى أين؟ فنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾.

■ أسباب نزول الآية ١١٨- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: قال رافع بن خزيمة لرسول الله ﷺ: إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية.

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ
وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ
ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ
وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ
ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا
عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ
ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

١٦- ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ نعت أو بدل من الذين قبله ﴿ يَقُولُونَ ﴾ يا ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ صدّقنا بك وبرسولك ﴿ فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾. ١٧- ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ على الطاعة وعن المعصية نعت ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في الإيمان ﴿ وَٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ المطيعين لله ﴿ وَٱلۡمُنفِقِينَ ﴾ المتصدقين ﴿ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ ﴾ الله بأن يقولوا اللهم اغفر لنا ﴿ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴾ أواخر الليل خصت بالذكر لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

١٨- ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ بيَّن لخلقه بالدلائل والآيات ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ ﴾ أي لا معبود في الوجود بحق ﴿ إِلَّا هُوَ وَ ﴾ شهد بذلك ﴿ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ بالإقرار ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ﴿ قَآئِمَۢا ﴾ بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الجملة أي تفرّد ﴿ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ بالعدل ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ كرره تأكيدا ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ في ملكه ﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ في صنعه. ١٩- ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ ﴾ المرضيّ ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ هو ﴿ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ أي الشرع المبعوث به الرسل المبني على التوحيد، وفي قراءة بفتح «أنّ» بدل من «أنه الخ» بدل اشتمال ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ اليهود والنصارى في الدين بأن وحَّد بعض وكفر بعض ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ ﴾ بالتوحيد ﴿ بَغۡيَۢا ﴾ من الكافرين ﴿ بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ أي المجازاة له.

٢٠- ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ ﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿ فَقُلۡ ﴾ لهم ﴿ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ ﴾ انقدت له أنا ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ وخص الوجه بالذكر لشرفه فغيره أولى ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ اليهود والنصارى ﴿ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ﴾ مشركي العرب ﴿ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ ﴾ أي أسلموا ﴿ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ ﴾ من الضلال ﴿ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ عن الإسلام ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ التبليغ للرسالة ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ فيجازيهم بأعمالهم وهذا قبل الأمر بالقتال. ٢١- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ﴾ وفي قراءة يقاتلون ﴿ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ بالعدل ﴿ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ وهم اليهود روي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا فنهاهم مائة وسبعون من عُبَّادهم فقتلوهم من يومهم ﴿ فَبَشِّرۡهُم ﴾ أعلمهم ﴿ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ مؤلم، وذكر البشارة تهكم بهم، ودخلت الفاء في خبر إنّ لشبه اسمها الموصول بالشرط.

٢٢- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ ﴾ بطلت ﴿ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ ما عملوا من خير كصدقة وصلة رحم ﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ فلا اعتداد بها لعدم شرطها ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ مانعين من العذاب.

■ **أسباب نزول الآية ١١٩**- قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ الآية. قال عبد الرزاق: أنبأنا الثوري عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ: ليت شعري ما فعل أبواي، فنزلت: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ فما ذكرهما حتى توفاه الله مرسل. وأخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: أخبرني داود بن أبي عاصم أن النبي ﷺ قال ذات يوم: أين أبواي. فنزلت. مرسل أيضًا، [معضل الإسناد، ضعيف...].

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ
ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ
فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ
مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ
مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن
يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ
تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ
إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

٢٣- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾ حظا ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة ﴿يُدْعَوْنَ﴾ حال ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ عن قبول حكمه: نزلت في اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا إلى النبي ﷺ فحكم عليهما بالرجم فأبوا فجيء بالتوراة فوُجد فيها فرُجما فغضبوا.

٢٤- ﴿ذَٰلِكَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ أي بسبب قولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم﴾ متعلق بقوله ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ من قولهم ذلك.

٢٥- ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي في يوم ﴿لَّا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ﴾ أي الناس ﴿لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة. ٢٦- ونزلت لما وعد النبي ﷺ أمته مُلك فارس والروم فقال المنافقون هيهات. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ يا الله ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى﴾ تعطي ﴿ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ من خلقك ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بإيتائه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بنزعه منه ﴿بِيَدِكَ﴾ بقدرتك ﴿ٱلْخَيْرُ﴾ أي والشر ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾. ٢٧- ﴿تُولِجُ﴾ تدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ تدخله ﴿فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي رزقا واسعا.

٢٨- ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ يوالونهم ﴿مِن دُونِ﴾ أي غير ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي يواليهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ﴾ دين ﴿ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ مصدر تقيته: أي تخافوا مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الإسلام ويجري فيمن هو في بلد ليس قويا فيها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ يخوفكم ﴿ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أن يغضب عليكم إن واليتموهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ المرجع فيجازيكم.

٢٩- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من موالاتهم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ تظهروه ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَ﴾ هو ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ ومنه تعذيب من والاهم.

■ أسباب نزول الآية ١٢٠- قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ﴾ الآية: أخرج الثعلبي عن ابن عباس قال: إن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسُوا أن يوافقهم على دينهم، فأنزل الله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ١٢٥- قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ الآية. روى البخاري وغيره عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾؛ وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيرًا منكن، فنزلت كذلك، له طرق كثيرة.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ
ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ
فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ
وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا
وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

٥٤

٣٠- اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ ـــه ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ﴾ ـــه ﴿مِن سُوٓءٍ﴾ مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ كرّر للتأكيد ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴿٣٠﴾﴾.

٣١- ونزل لما قالوا ما نعبد الأصنام إلا حبا لله ليقرّبونا إليـــه ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ بمعنى أنه يثيبكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن اتبعني ما سلف منه قبل ذلك ﴿رَّحِيمٌ﴿٣١﴾﴾ به. ٣٢- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴿٣٢﴾﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر: أي لا يحبهم بمعنى أنه يعاقبهم.

٣٣- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ اختار ﴿ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ بمعنى أنفسهم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٣٣﴾﴾ بجعل الأنبياء من نسلهم. ٣٤- ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ﴾ ولد ﴿بَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿٣٤﴾﴾. ٣٥- اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ حنة لما أسنّت واشتاقت للولد فدعت الله وأحست بالحمل يا ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ﴾ أن أجعل ﴿لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ عتيقا خالصا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدّس ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للدعاء ﴿ٱلْعَلِيمُ﴿٣٥﴾﴾ بالنيات، وهلك عمران وهي حامل. ٣٦- ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ ولدتها جارية وكانت ترجو أن يكون غلاما إذ لم يكن يحرَّر إلا الغلمان ﴿قَالَتْ﴾ معتذرة يا ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾ جملة اعتراض من كلامه تعالى. وفي قراءة بضم التاء [وَضَعْتُ] ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ﴾ الذي طلَبتْ ﴿كَٱلْأُنثَىٰ﴾ التي وهبت لأنه يقصد للخدمة وهي لا تصلح [لها] لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴿٣٦﴾﴾ المطرود. في الحديث «ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها»[1] رواه الشيخان. ٣٧- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي قَبِل مريم من أمها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أنشأها بخلق حسن فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام وأتت بها أمها لأحبار سدنة بيت المقدس فقالت: دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم، فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي، فقالوا: لا حتى نقترع، فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها، فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف كما قال تعالى ﴿وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ضمها إليه وفي قراءة بالتشديد ونصب زكريا ممدودًا [وكَفَّلَهَا زكرياء] ومقصورًا [وكَفَّلَهَا زكريا] والفاعل الله ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ الغرفة وهي أشرف المجالس ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ﴾ من أين ﴿لَكِ هَٰذَا قَالَتْ﴾ وهي صغيرة ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴿٣٧﴾﴾ رزقا واسعا بلا تبعة.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (أحاديث الأنبياء/٣٤٣١/فتح)، ومسلم (الفضائل/٢٣٦٦/عبد الباقي).

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ
يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ
كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر
رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ
عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي
وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ
إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ
مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ
عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

٣٨- ﴿هُنَالِكَ﴾ أي لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادر على الإتيان بالولد على الكبر وكان أهل بيته انقرضوا ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ لما دخل المحراب للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولدا صالحا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾ مجيب ﴿ٱلدُّعَآءِ﴿٣٨﴾﴾.

٣٩- ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي المسجد ﴿أَنَّ﴾ أي بأن وفي قراءة بالكسر [إنّ] بتقدير القول ﴿ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ مثقلاً ومخففا [يَبْشُرُكَ] ﴿بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي بعيسى أنه روح الله، وسُمي كلمة لأنه خلق بكلمة كن ﴿وَسَيِّدًا﴾ متبوعا ﴿وَحَصُورًا﴾ ممنوعا من النساء[1] ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴿٣٩﴾﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها.

٤٠- ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ ولد ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بلغت ثمانية وتسعين سنة ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ من خلق الله غلاما منكما ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴿٤٠﴾﴾ لا يعجزه عنه شيء، ولإظهاره هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بها، ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشَّر به.

٤١- ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أ﴾ ن ﴿لَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي بلياليها ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ إشارة ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ﴾ صلّ ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴿٤١﴾﴾ أواخر النهار وأوائله.

٤٢- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من مسيس الرجال ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٤٢﴾﴾ أي أهل زمانك.

٤٣- ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أطيعيه ﴿وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴿٤٣﴾﴾ أي صلي مع المصلين.

٤٤- ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ في الماء يقترعون ليظهر لهم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يربي ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴿٤٤﴾﴾ في كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي.

٤٥- اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي ولد ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبته إليها تنبيها على أنها تلده بلا أب، إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العلى ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴿٤٥﴾﴾ عند الله.

---

(١) قلت: هذا الكلام فيه نظر وانظر اختصاري لابن كثير عند هذه الآية.

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ
ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ
أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ
وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ
هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ
ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾

٤٦- ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾ أي طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٤٧- ﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ﴾ بتزوّج ولا غيره ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾ من خلق ولد منك بلا أب ﴿ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ أراد خلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ أي فهو يكون.

٤٨- ﴿ونُعَلِّمُهُ﴾ بالنون [ونعلمه] والياء [ويعلمه] ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الخط ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾.

٤٩- ﴿وَ﴾ نجعله ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ، فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم، فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم إني رسول الله إليكم ﴿أَنِّي﴾ أي بأني ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ﴾ علامة على صدقي ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ هي ﴿أَنِّيٓ﴾ وفي قراءة بالكسر [إني] استئنافا ﴿أَخۡلُقُ﴾ أصوّر ﴿لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ مثل صورته، فالكاف اسم مفعول ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا﴾ وفي قراءة طائرا ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ بإرادته، فخلق لهم الخفاش لأنه أكمل الطير خلقا، فكان يطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميَّز فعل المخلوق من فعل الخالق، وهو الله تعالى، وليعلم أن الكمال لله ﴿وَأُبۡرِئُ﴾ أشفي ﴿ٱلۡأَكۡمَهَ﴾ الذي وُلد أعمى ﴿وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾ وخصا بالذكر لأنهما داءا إعياء، وكان بعثه في زمن الطب، فأبرأ في يوم خمسين ألفا بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ كرّره لنفي توهم الألوهية فيه فأحيا عازر صديقا له، وابن العجوز، وابنة العاشر فعاشوا ووُلدَ لهم، وسام بن نوح ومات في الحال ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ تخبئون ﴿فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾ مما لم أعاينه فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

٥٠- ﴿وَ﴾ جئتكم ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ فيها فأحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له. وقيل: أحل الجميع فبعض بمعنى كل ﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ كرّره تأكيدا وليبني عليه ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته. ٥١- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا﴾ الذي آمركم به ﴿صِرَٰطٞ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ فكذبوه ولم يؤمنوا به.

٥٢- ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ﴾ أعواني ذاهبا ﴿إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أعوان دينه وهم أصفياء [و] عيسى أوّل من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا، من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصَّارين يحورون الثياب أي يبيضونها ﴿ءَامَنَّا﴾ صدقنا[1] ﴿بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

---

(١) تقدم أن الإيمان ليس محصورًا في التصديق.

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

٥٣- ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ من الإنجيل ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق. ٥٤- قال تعالى ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ أي كفار بني إسرائيل بعيسى إذ وكلوا به من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ﴾ بهم بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه، ورفع عيسى إلى السماء ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ أعلمهم به.

٥٥- اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ من الدنيا من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ مُبعدك ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ صدّقوا بنبوّتك من المسلمين والنصارى ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بك وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ من أمر الدين.

٥٦- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي والجزية ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ مانعين منه. ٥٧- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء [فيوفيهم] والنون [فنوفيهم] ﴿أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ أي يعاقبهم. روي أن الله تعالى أرسل إليه سحابة فرفعته فتعلقت به أُمُّه وبكت فقال لها: إن القيامة تجمعنا، وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أُمُّه بعده ست سنين. وروى الشيخان حديث «أنه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية». وفي حديث مسلم: «أنه يمكث سبع سنين»[1]. وفي حديث عند أبي داود الطيالسي: «أربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه» فيحتمل أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده. ٥٨- ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿نَتْلُوهُ﴾ نقصُّه ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ حال من الهاء في نتلوه وعامله ما في ذلك من معنى الإشارة ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ المحكم: أي القرآن. ٥٩- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ شأنه الغريب ﴿عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ كشأنه في خلقه من غير أمٍ ولا أب، وهو من تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ﴿خَلَقَهُۥ﴾ أي آدم أي قالبه ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ بشرا ﴿فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ أي فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير أب فكان.

٦٠- ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي أمر عيسى ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ الشاكين فيه.

٦١- ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾ جادلك من النصارى ﴿فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بأمره ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فنجمعهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتضرع في الدعاء ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ بأن نقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى، وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجّوه فيه فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك، فقال ذو رأيهم: لقد عرفتم نبوّته وأنه ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعليٌّ وقال لهم: إذا دعوت فأمِّنوا، فأبَوْا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية. رواه أبو نعيم وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً. وروي: لو خرجوا لاحترقوا.

(١) [صحيح]: أخرجه مسلم في (الفتن/ ٢٩٤٠/عبد الباقي).

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ
إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ
عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ
حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ
بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

٦٢- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ﴾ الخبر ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنْ﴾ زائدة ﴿إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ (٦٢)﴾ في صنعه.

٦٣- ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ (٦٣)﴾ فيجازيهم، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر.

٦٤- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ مصدر بمعنى مستو أمرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هي ﴿أ﴾ ن ﴿لَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كما اتخذتم الأحبار والرهبان ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا۟﴾ أنتم لهم ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾ موحِّدون. ٦٥- ونزل لما قال اليهود إبراهيم يهوديّ ونحن على دينه وقالت النصارى كذلك ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بزمن طويل وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥)﴾ بطلان قولكم. ٦٦- ﴿هَٰ﴾ للتنبيه ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ والخبر ﴿حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ من أمر موسى وعيسى وزعمكم أنكم على دينهما ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ من شأن إبراهيم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شأنه ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦)﴾ به. قال تعالى تبرئة لإبراهيم: ٦٧- ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مُّسْلِمًا﴾ موحدا ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٦٧)﴾.

٦٨- ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾ أحقهم ﴿بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ﴾ محمدٌ ﷺ لموافقته له في أكثر شرعه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من أمّته فهم الذين ينبغي أن يقولوا نحن على دينه لا أنتم ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٦٨)﴾ ناصرهم وحافظهم. ٦٩- ونزل لما دعا اليهود معاذا وحذيفة وعمّارا إلى دينهم ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩)﴾ بذلك. ٧٠- ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠)﴾ تعلمون أنه حق.

منها ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال: لما طاف النبي ﷺ [يوم فتح مكة] قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: نعم، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وأخرج ابن مردويه من طريق عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب: أنه مر بمقام إبراهيم، فقال: يا رسول الله: أليس نقوم مقام [إبراهيم] خليل ربنا؟ قال: بلى، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فلم يلبث إلا يسيرًا حتى نزلت: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وظاهر هذا وما قبله أن الآية نزلت في حجة الوداع.

■ أسباب نزول الآية ١٣٠- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: قال ابن عيينة: روي أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرًا إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبيًا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر، فنزلت فيه الآية.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ
وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ
بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ
لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ
عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ
عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ
يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا
مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ
سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا
خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

٧١- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾ تخلطون ﴿ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بالتحريف والتزوير ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ أي نعت النبي ﷺ ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴿٧١﴾﴾ أنه حق.

٧٢- ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اليهود لبعضهم ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي القرآن ﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أوله ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ﴾ به ﴿ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ﴾ أي المؤمنين ﴿يَرۡجِعُونَ﴿٧٢﴾﴾ عن دينهم إذ يقولون ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه.

٧٣- وقالوا أيضا ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ تصدّقوا ﴿إِلَّا لِمَن﴾ اللام زائدة ﴿تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمۡ﴾ قال تعالى ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد ﷺ ﴿إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام وما عداه ضلال، والجملة اعتراض ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل، و «أن» مفعول تؤمنوا، والمستثنى منه «أحد» قُدِّم عليه المستثنى، المعنى: لا تُقرّوا بأن أحدا يؤتى ذلك إلا لمن تبع دينكم ﴿أَوۡ﴾ بأن ﴿يُحَآجُّوكُمۡ﴾ أي المؤمنون يغلبوكم ﴿عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ يوم القيامة لأنكم أصح دينا. وفي قراءة «أَأَن» بهمزة التوبيخ: أي إيتاء أحد مثله تقرّون به. قال تعالى ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٞ﴿٧٣﴾﴾ بمن هو أهله.

٧٤- ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴿٧٤﴾﴾.

٧٥- ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ﴾ أي: بمال كثير ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ لأمانته كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأدّاها إليه ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا﴾ لا تفارقه، فمتى فارقته أنكره، ككعب بن الأشرف استودعه قرشيٌّ دينارا فجحده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ترك الأداء ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ﴾ بسبب قولهم ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي العرب ﴿سَبِيلٞ﴾ أي إثم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه إليه تعالى. قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴿٧٥﴾﴾ أنهم كاذبون.

٧٦- ﴿بَلَىٰ﴾ عليهم فيه سبيل ﴿مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ﴾ الذي عاهد الله عليه أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴿٧٦﴾﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر: أي يحبهم بمعنى يثيبهم[1].

٧٧- ونزل في اليهود لما بدلوا نعتَ النبي ﷺ وعَهْدَ الله إليهم في التوراة وفيمن حلف كاذبا في دعوى أو في بيع سلعة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي ﷺ وأداء الأمانة ﴿وَأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ حلفهم به تعالى كاذبين ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾ نصيب ﴿لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ غضبا عليهم ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ يرحمهم ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ يطهّرهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴿٧٧﴾﴾ مؤلم.

---

(١) هذا من التفسير باللازم وقد تقدم.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ
مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ
وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾
وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ
قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾
أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٧٨- ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾ طائفة ككعب بن الأشرف ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ أي يعطفونها بقراءته عن المُنزل إلى ما حرّفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي المحرّف ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذي أنزله الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ أنهم كاذبون.

٧٩- ونزل لما قال نصارى نجران إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًّا، ولما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ: ﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ أي الفهم للشريعة ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن﴾ يقول ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ علماء عاملين منسوبين إلى الربّ بزيادة ألف ونون تفخيما ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾ بالتخفيف [تَعْلَمُونَ] والتشديد [تُعَلِّمُونَ] ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي بسبب ذلك فإن فائدته أن تعملوا. ٨٠- ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالرفع استئنافا: أي الله والنصب عطفا على يقول: أي البشر ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾ كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيرا والنصارى عيسى ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ لا ينبغي له هذا. ٨١- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ عهدهم ﴿لَمَا﴾ بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي أخذ في الميثاق، وكسرها متعلقة بأخذ، وما موصولة على الوجهين: أي للذي ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ إياه، وفي قراءة آتيناكم ﴿مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة وهو محمد ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ جواب القسم، إن أدركتموه وأممهم تبع لهم في ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ عهدي ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم. ٨٢- ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾. ٨٣- ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ بالياء والتاء، أي المتولون، ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾ بلا إباء ﴿وَكَرْهًا﴾ بالسيف ومعاينة ما يلجئ إليه ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ بالتاء والياء، والهمزة في أول الآية للإنكار.

▣ أسباب نزول الآية ١٣٥- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا﴾ الآية: أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: قال ابن صوريا للنبي ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد؛ وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾.

أسباب نزول الآية ١٤٢- قوله تعالى: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآيات: قال ابن إسحاق: حدثني إسماعيل ابن أبي خالد عن أبي إسحاق عن البراء قال: كان رسول الله يصلي نحو بيت المقدس، ويُكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ فقال رجل من المسلمين: وددنا لو علمنا علمَ من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة، وكيف بصلاتنا قبلَ بيت المقدس، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ﴾. وقال السفهاء من الناس [وهم أهل الكتاب] ما ولاهم عن

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ
دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٨٥)
كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟
أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٦) أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٨٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ (٩٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ
ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٩١)

٦١

٨٤- ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (٨٤)﴾ مخلصون في العبادة. ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار:

٨٥- ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٨٥)﴾ لمصيره إلى النار المؤبدة عليه.

٨٦- ﴿كَيْفَ﴾ أي لا ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟﴾ أي وشهادتهم ﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَ﴾ قد ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرات على صدق النبي ﷺ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٦)﴾ أي الكافرين.

٨٧- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧)﴾.

٨٨- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨)﴾ يمهلون.

٨٩- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ (٨٩)﴾ بهم.

٩٠- ونزل في اليهود ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بعيسى ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بموسى ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفارا ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ (٩٠)﴾.

٩١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ أدخل الفاء في خبر إن لشبه الذين بالشرط، وإيذانا بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٩١)﴾ مانعين منه.

قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ إلى آخر الآية. له طرق بنحوه. وفي الصحيحين عن البراء: مات على القبلة قبل أن تحوَّل رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾. وأخرج ابن جرير من طريق السدي بأسانيده قال: لما صرف النبي ﷺ نحو الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس، قال المشركون من أهل مكة: تحير على محمد دينُهُ، فتوجه بقبلته إليكم وعلم أنكم أهدى منه سبيلاً، ويوشك أن يدخل في دينكم، فأنزل الله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ١٥٤- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ﴾ الآية. أخرج ابن مندة في «الصحابة» من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: قتل تميم بن الحُمَام ببدر، وفيه وفي غيره نزلت: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ﴾ الآية: قال أبو نعيم: اتفقوا على أنه عمير بن الحمام، وأن السدّي صحفه.

■ أسباب نزول الآية ١٥٨- قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ الآية. أخرج الشيخان وغيرهما عن عروة عن عائشة قال: قلت: أرأيت قول الله [تعالى] ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فما أرى على أحد شيئًا أن لا يطوف بهما، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي، إنها لو كانت على ما أوّلتها عليه كانت: (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) ولكنها إنما أنزلت لأن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ
ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ
إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ
مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟
فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

٩٢- ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ أي ثوابه وهو الجنة ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟﴾ تتصدقوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ فيجازي عليه.

٩٣- ونزل لما قال اليهود إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ حلالاً ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ وهو الإبل لما حصل له عرق النسا - بالفتح والقصر - فنذر إن شفي لا يأكلها فحرم عليهم ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم ولم تكن على عهده حراما كما زعموا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ ليتبين صدق قولكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ فيه فبهتوا ولم يأتوا بها. قال تعالى: ٩٤- ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل. ٩٥- ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ في هذا كجميع ما أخبر به ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن كل دين إلى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

٩٦- ونزل لما قالوا قبلتنا قبل قبلتكم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ متعبدا ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ بالباء لغة في مكة. سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها. بناه الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الأقصى وبينهما أربعون سنة كما في حديث الصحيحين وفي حديث «أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض زبدة بيضاء فدحيت الأرض من تحته» ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من الذي، أي ذا بركة ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ لأنه قبلتهم. ٩٧- ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ منها ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت فأثر قدماه فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه. ومنها تضعيف الحسنات فيه وأن الطير لا يعلوه ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ واجب - بكسر الحاء وفتحها: لغتان في مصدر حج بمعنى قصد - ويبدل من الناس ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ طريقا فسَّره ﷺ بالزاد والراحلة، رواه الحاكم وغيره[1] ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم. ٩٨- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ فيجازيكم عليه. ٩٩- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بتكذيبكم النبي ﷺ وكتم نعته ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي تطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ مصدر بمعنى معوجة أي مائلة عن الحق ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ عالمون بأن الدين المرضي القيم هو دين الإسـلام في كتابكم ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب وإنما يؤخركم إلى وقتكم ليجازيكم.

١٠٠- ونزل لما مر بعض اليهود على الأوس والخزرج وغاظهم تألفهم فذكروهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾.

---

(١) [ضعيف]: وانظر «ضعيف الجامع» (٣٣٥).

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

٦٣

١٠١- ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجيب وتوبيخ ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم﴾ يتمسك ﴿بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

١٠٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ بأن يطاع فلا يعصى ويُشكر فلا يُكفر ويُذكر فلا يُنسى فقالوا: يا رسول الله ومن يقوى على هذا؟ فنسخ بقوله تعالى ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ موحدون.

١٠٣- ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟﴾ تمسكوا ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ أي دينه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ بعد الإسلام ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إِذْ كُنتُمْ﴾ قبل الإسلام ﴿أَعْدَآءً فَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ في الدين والولاية ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفارا ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بالإيمان ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بيّن لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

١٠٤- ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الداعون الآمرون الناهون ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون، ومن للتبعيض لأن ما ذكر فرض كفاية لا يلزم كل الأمة ولا يليق بكل أحد كالجاهل وقيل زائدة، أي لتكونوا أمّة. ١٠٥- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ عن دينهم ﴿وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فيه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. ١٠٦- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي يوم القيامة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم الكافرون فيلقون في النار ويقال لهم توبيخا ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ يوم أخذ الميثاق ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. ١٠٧- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم المؤمنون ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي جنته ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. ١٠٨- ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ بأن يأخذهم بغير جرم.

يهلون لمناة الطاغية [التي كانوا يعبدونها] وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أو نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ وأخرج البخاري عن عاصم بن سليمان قال: سألت أنسًا عن الصفا والمروة قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال: كانت الشياطين في الجاهلية تطوف الليل أجمع بين الصفا والمروة، وكان بينهما أصنام لهم، فلما جاء الإسلام قال المسلمون: يا رسول الله، لا نطوف بين الصفا والمروة فإنه شيء كنا نصنعه في الجاهلية، فأنزل الله هذه الآية.

■ أسباب نزول الآية ١٥٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الآية: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: سأل معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وخارجة بن زيد نفرًا من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم إياه وأبوا أن يخبروهم، فأنزل الله فيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ الآية.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

١٠٩- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾.

١١٠- ﴿كُنتُمْ﴾ يا أمة محمد ﷺ في علم الله تعالى ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ أظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام ﷺ وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ الكافرون.

١١١- ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ أي اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إِلَّآ أَذًى﴾ باللسان من سب ووعيد ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ عليكم بل لكم النصر عليهم. ١١٢- ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ حيثما وجدوا فلا عزّ لهم ولا اعتصام ﴿إلا﴾ كائنين ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ المؤمنين وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية أي لا عصمة لهم غير ذلك ﴿وَبَآءُو﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ﴾ تأكيد ﴿بِمَا عَصَوا۟﴾ أمر الله ﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام.

١١٣- ﴿لَيْسُوا۟﴾ أي أهل الكتاب ﴿سَوَآءً﴾ مستوين ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ مستقيمة ثابتة على الحق كعبد الله بن سلام ﷺ وأصحابه ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ أي في ساعاته ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ يصلون، حال.

١١٤- ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر الله ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين.

١١٥- ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟﴾ بالتاء: أيتها الأمة. والياء: [وما يفعلوا] أي الأمة القائمة ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَن تُكْفَرُوهُ﴾ بالوجهين [فلن تكفروه، فلن يكفروه] أي تعدموا ثوابه بل تجازون عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ١٦٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية: أخرج سعيد بن منصور في «سننه»، والفريابي في «تفسيره»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي الضحى قال: لما نزلت: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ تعجب المشركون وقالوا إله واحد: إن كان صادقًا فليأتنا بآية، فأنزل الله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ قلت: هذا معضل، لكن له شاهد: أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في كتاب «العظمة» عن عطاء قال: نزل على النبي ﷺ بالمدينة: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد، فأنزل الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق جيد موصول عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهبًا، نتقوّى به على عدونا؛ فأوحى الله إليه أني معطيهم [فاجعل لهم الصفا ذهبًا] ولكن إن كفروا بعد ذلك عذبتهم عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، فقال: رب دعني وقومي فأدعوهم يومًا بيوم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وكيف يسألونك الصفا وهم يرون من الآيات ما هو أعظم [من الصفا].

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ
مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ
بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

١١٦ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿شَيْـًٔا﴾ وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

١١٧ - ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ أي الكفار ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي من صدقة أو نحوها ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ حرّ أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ بالكفر الموجب لضياعها.

١١٨ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾ أصفياء تطلعونهم على سركم ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ نصب بنزع الخافض أي لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّواْ﴾ تمنوا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أي عنتكم وهو شدّة الضرر ﴿قَدْ بَدَتِ﴾ ظهرت ﴿ٱلْبَغْضَآءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ بالوقيعة فيكم واطلاع المشركين على سركم ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ ذلك فلا توالوهم.

١١٩ - ﴿هَٰٓ﴾ للتنبيه ﴿أَنتُمْ﴾ يا ﴿أُوْلَآءِ﴾ المؤمنين ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ لقرابتهم منكم وصداقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لمخالفتهم لكم في الدين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ أي بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ شدّة الغضب لما يرون من ائتلافكم ويعبر عن شدّة الغضب بعضِّ الأنامل مجازا وإن لم يكن ثَمَّ عض ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ أي ابقوا عليه إلى الموت فلن تروا ما يسركم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ بما في القلوب ومنه ما يضمره هؤلاء.

١٢٠ - ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةٌ﴾ نعمة كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تحزنهم ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجدب ﴿يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض. والمعنى أنهم متناهون في عداوتكم فلم توالونهم فاجتنبوهم ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الله في موالاتهم وغيرها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بكسر الضاد وسكون الراء [لا يَضِرْكُمْ] وضمهما وتشديدها [لا يَضُرُّكُمْ] ﴿كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ عالم فيجازيهم به.

١٢١ - ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﷺ ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿تُبَوِّئُ﴾ تنزل ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ﴾ مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ بأحوالكم وهو يوم أحد، خرج النبي ﷺ بألف أو إلا خمسين رجلاً والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب يوم السبت سابع من شوال سنة ثلاث من الهجرة وجعل ظهره وعسكره إلى أُحد وسوّى صفوفهم وأجلس جيشا من الرماة وأمّر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا: غُلبنا أو نُصرنا.

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ
أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا
ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ
مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ
﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

١٢٢- ﴿إِذْ﴾ بدل من إذ قبله ﴿هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ بنو سلمة وبنو حارثة جناحا العسكر ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ تجبنا عن القتال وترجعا لما رجع عبد الله بن أبيّ المنافق وأصحابه وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ وقال لأبي جابر السلمي القائل له أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم لو نعلم قتالا لاتبعناكم فثبتهما الله و لم ينصرفا ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ ناصرهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ ليثقوا به دون غيره.

١٢٣- ونزل لما هزموا تذكيرا لهم بنعمة الله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ موضع بين مكة والمدينة ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بقلة العدد والسلاح ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ نعمه.

١٢٤- ﴿إِذْ﴾ ظرف لنصركم ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ توعدهم تطمينا ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ﴾ يعينكم ﴿رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ بالتخفيف [مُنْزَلِين] والتشديد [مُنَزَّلين].

١٢٥- ﴿بَلَىٰٓ﴾ يكفيكم ذلك، وفي الأنفال بألف، لأنه أمدّهم أوّلاً بها ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى ﴿إِن تَصْبِرُوا۟﴾ على لقاء العدو ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الله في المخالفة ﴿وَيَأْتُوكُم﴾ أي المشركون ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ وقتهم ﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ بكسر الواو وفتحها، أي معلمين وقد صبروا وأنجز الله وعده بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم.

١٢٦- ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ يؤتيه من يشاء وليس بكثرة الجند.

١٢٧- ﴿لِيَقْطَعَ﴾ متعلق بنصركم، أي ليهلك ﴿طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿فَيَنقَلِبُوا۟﴾ يرجعوا ﴿خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ لم ينالوا ما راموه.

١٢٨- ونزل لما كسرت رباعيته ﷺ وشج وجهه يوم أحد وقال «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم»(١) ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ بل الأمر لله فاصبر ﴿أَوْ﴾ بمعنى إلى أن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ بالكفر. ١٢٩- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ بأهل طاعته. ١٣٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ بألف [مُضَاعَفَةً] ودونها [مُضَعَّفَةً]، بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ تفوزون. ١٣١- ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ أن تعذبوا بها.

١٣٢- ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

---

(١) [صحيح]: أخرجه مسلم في (الجهاد/١٧٩١/عبد الباقي). وعلقه البخاري في (المغازي).

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠

١٣٣- ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ بواو ودونها [سارعوا] ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أي كعرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض السعة ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ الله بعمل الطاعات وترك المعاصي.

١٣٤- ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ اليسر والعسر ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ الكافين عن إمضائه مع القدرة ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ ممن ظلمهم أي التاركين عقوبتهم ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ بهذه الأفعال أي يُثيبهم(١).

١٣٥- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ ذنبا قبيحا كالزنى ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بما دونه كالقبلة ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي وعيده ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن﴾ أي لا ﴿يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ﴾ يداوموا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ بل أقلعوا عنه ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ أن الذي أتوه معصية.

١٣٦- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ حال مقدّرة، أي مقدّرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ بالطاعة هذا الأجر. ١٣٧- ونزل في هزيمة أحد ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾ مضت ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ﴾ طرائق في الكفار بإمهالهم ثم أخذهم ﴿فَسِيرُواْ﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فأنا أمهلهم لوقتهم. ١٣٨- ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ كلهم ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالة ﴿وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨﴾ منهم. ١٣٩- ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ تضعفوا عن قتال الكفار ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ على ما أصابكم بأحد ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ بالغلبة عليهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ حقا، وجوابه دل عليه مجموع ما قبله.

١٤٠- ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ﴾ يصبكم بأحد ﴿قَرۡحٞ﴾ بفتح القاف [قَرْحٌ] وضمها [قُرْحٌ]: جهد من جرح ونحوه ﴿فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ﴾ الكفار ﴿قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥ﴾ ببدر ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ نصرفها ﴿بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ يوما لفرقة ويوما لأخرى ليتعظوا ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَ﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾ الكافرين أي يعاقبهم وما ينعم به عليهم استدراج.

■ أسباب نزول الآية ١٧٠- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ﴾ الآية: أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام، ورغّبهم فيه، وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال رافع بن حُرَيْملَةَ ومالك بن عوف: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيرًا منا، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ١٧٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ الآية: أخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ والتي في آل عمران ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ نزلتا جميعًا في يهود. وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضل، وكانوا يرجون أن يكون النبيُّ المبعوث منهم؛ فلما بُعث محمد ﷺ من غيرهم خافوا

(١) تقدم أن هذا من التفسير باللازم مع تعطيل الصفة.

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (١٤١) أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ (١٤٣) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٤) وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٥) وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (١٤٧) فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٤٨)

١٤١ - ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم ﴿وَيَمۡحَقَ﴾ يهلك ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ (١٤١)﴾. **١٤٢** - ﴿أَمۡ﴾ بل أ ﴿حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾ علم ظهور ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٢)﴾ في الشدائد. **١٤٣** - ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾ حيث قلتم ليت لنا يوما كيوم بدر لننال ما نال شهداؤه ﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ أي سببه الحرب ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ (١٤٣)﴾ أي بصراء تتأملون الحال كيف هي فلم انهزمتم؟ ونزل في هزيمتهم لما أشيع أن النبي ﷺ قتل وقال لهم المنافقون إن كان قتل فارجعوا إلى دينكم: **١٤٤** - ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ﴾ كغيره ﴿ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾ رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري، أي ما كان معبودا فترجعوا ﴿وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٤)﴾ نعمه بالثبات. **١٤٥** - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بقضائه ﴿كِتَٰبٗا﴾ مصدر، أي كتب الله ذلك ﴿مُّؤَجَّلٗا﴾ مؤقتا لا يتقدّم ولا يتأخر فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحياة ﴿وَمَن يُرِدۡ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي جزاءه منها ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ ما قسم له ولا حظ له في الآخرة ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ أي من ثوابها ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٥)﴾.

١٤٦ - ﴿وَكَأَيِّن﴾ كم ﴿مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ﴾ وفي قراءة قاتل، والفاعل أو نائبه «ربيّون» وقيل ضميره ﴿مَعَهُۥ﴾ خبر مبتدؤه ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ﴾ جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ جبنوا ﴿لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ﴾ خضعوا لعدوّهم كما فعلتم حين قيل قتل النبي ﷺ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٦)﴾ على البلاء أي يثيبهم[1]. **١٤٧** - ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا﴾ تجاوزنا الحدّ ﴿فِيٓ أَمۡرِنَا﴾ إيذانا بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضما لأنفسهم ﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ بالقوّة على الجهاد ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (١٤٧)﴾. **١٤٨** - ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي الجنة وحسنه التفضل فوق الاستحقاق ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٤٨)﴾.

ذهاب مَأْكَلَتِهِمْ وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فغيروها، ثم أخرجوها إليهم وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان، لا يشبه نعت هذا النبي، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ١٧٧** - قوله تعالى: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ﴾ الآية: قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة قال: كانت اليهود تصلي قِبَلَ المغرب، والنصارى قِبَلَ المشرق، فنزلت: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية مثْلَهُ. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن البرّ، فأنزل الله هذه الآية: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ﴾، فدعا الرجل

---

(١) كالذي قبله.

سورة آل عمران — الجزء الرابع

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

٦٩

١٤٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيما يأمرونكم به ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ ١٥٠- ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ فأطيعوه دونهم. ١٥١- ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضمها، الخوف وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستئصال المسلمين فرعبوا و لم يرجعوا ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ﴾ بسبب إشراكهم ﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ حجة على عبادته وهو الأصنام ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ الكافرين هي. ١٥٢- ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ إياكم بالنصر ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بإرادته ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جبنتم عن القتال ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي فقال بعضكم: نذهب فقد نُصر أصحابنا وقال بعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أمره فتركتم المركز لطلب الغنيمة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾ الله ﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾ من النصر، وجواب إذا دل عليه ما قبله، أي منعكم نصره ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ فثبت به حتى قتل كعبد الله بن جبير وأصحابه ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ عطف على جواب إذا المقدر ردّكم للهزيمة ﴿عَنْهُمْ﴾ أي الكفار ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ ما ارتكبتموه ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ بالعفو.

١٥٣- اذكروا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تبعدون في الأرض هاربين ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾ تعرجون ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي من ورائكم يقول «إليّ عباد الله إليّ عباد الله» ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ فجازاكم ﴿غَمًّۢا﴾ بالهزيمة ﴿بِغَمٍّ﴾ بسبب غمكم للرسول بالمخالفة، وقيل: الباء بمعنى على، أي مضاعفا على غم فوت الغنيمة ﴿لِّكَيْلَا﴾ متعلق بعفا أو بأثابكم فـ«لا» زائدة ﴿تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

فتلاها عليه، وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ثم مات على ذلك يرجى له ويطمع له في خير، فأنزل الله ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ وكانت اليهود توجهت قِبَلَ المغرب، والنصارى قِبَلَ المشرق.

■ أسباب نزول الآية ١٧٨- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد ابن جبير قال: إن حيين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل، وكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء، فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا، فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدد والأموال، فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحرُّ منهم، والمرأة منا الرجل منهم، فنزل فيهم: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾.

■ أسباب نزول الآية ١٨٤- قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ الآية، أخرج ابن سعد في «طبقاته» عن مجاهد قال: هذه الآية نزلت في مولاي قيس بن السائب: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، فأفطر وأطعم لكل يوم مسكينًا.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا۟ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا
قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٤- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أمنا ﴿نُّعَاسًا﴾ بدل ﴿يَغْشَىٰ﴾ بالياء [يَغْشَى] والتاء [تَغْشَى] ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ وهم المؤمنون فكانوا يميدون تحت الحجف وتسقط السيوف منهم ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي حملتهم على الهم فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي ﷺ وأصحابه فلم يناموا وهم المنافقون ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ﴾ ظنا ﴿غَيْرَ﴾ الظن ﴿ٱلْحَقِّ ظَنَّ﴾ أي كظن ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قتل أو لا ينصر ﴿يَقُولُونَ هَل﴾ ما ﴿لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي النصر الذي وعدناه ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾ بالنصب توكيدا [كُلَّهُ]، والرفع [كُلُّهُ] مبتدأ وخبره ﴿لِلَّهِ﴾ أي القضاء له يفعل ما يشاء ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكَ يَقُولُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ أي لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل لكن أخرجنا كرها ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كتب اللهُ عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾ خرج ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾ قضي ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة ﴿وَ﴾ فعل ما فعل بأحد ﴿لِيَبْتَلِىَ﴾ يختبر ﴿ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ يميز ﴿مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ بما في القلوب لا يخفى عليه شيء وإنما يبتلي ليظهر للناس.

١٥٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع الكفار بأُحُد، وهم المسلمون إلا اثنا عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾ أزلهم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بوسوسته ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﷺ ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ لا يعجل على العصاة. ١٥٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي المنافقين ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟﴾ سافروا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ جمع غاز فقتلوا ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ أي لا تقولوا كقولهم ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ فلا يمنع عن الموت قعود ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء [تَعْمَلُونَ] والياء [يَعْمَلُونَ] ﴿بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ فيجازيكم به. ١٥٧- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي الجهاد ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ بضم الميم وكسرها [مِتُّمْ]، من مات يموت ويمات أي أتاكم الموت فيه ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه لكم على ذلك، واللام ومدخولها جواب القسم، وهو في موضع الفعل مبتدأ خبره ﴿خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ من الدنيا. بالتاء [تَجْمَعُونَ] والياء [يَجْمَعُونَ].

■ أسباب نزول الآية ١٨٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ الآية، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ وغيرهم من طرق عن جرير بن عبد الحميد، عن عبدة السجستاني، عن الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت عنه، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية، وأخرج عبد الرزاق عن الحسن قال: سأل أصحاب رسول الله ﷺ النبي ﷺ: أين ربنا؟

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

١٥٨- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿مُّتُّمْ﴾ بالوجهين ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في الجهاد أو غيره ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم. ١٥٩- ﴿فَبِمَا﴾ «ما» زائدة ﴿رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿لَهُمْ﴾ أي سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ سيىء الخلق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ جافيا فأغلظت لهم ﴿لَٱنفَضُّوا﴾ تفرقوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ﴾ تجاوز ﴿عَنْهُمْ﴾ ما أتوه ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنبهم حتى أغفر لهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ استخرج آراءهم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي شأنك من الحرب وغيره تطييبا لقلوبهم وليستن بك فكان ﷺ كثير المشاورة لهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثق به لا بالمشاورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه. ١٦٠- ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾ يعنكم على عدوكم كيوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ يترك نصركم كيوم أُحُد ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد خذلانه أي لا ناصر لكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ ليثق ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. ١٦١- ونزلت لما فقدت قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس: لعل النبي ﷺ أخذها ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ يخون في الغنيمة فلا تظنوا به ذلك. وفي قراءة بالبناء للمفعول، أي ينسب إلى الغلول ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ حاملاً له على عنقه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ الغال وغيره جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئا.
١٦٢- ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ فأطاع ولم يغل ﴿كَمَنۢ بَآءَ﴾ رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لمعصيته وغلوله ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع هي؟ لا. ١٦٣- ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي أصحاب درجات ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي مختلفو المنازل فلمن اتبع رضوانه الثواب ولمن باء بسخطه العقاب ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به. ١٦٤- ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي عربيا مثلهم ليفهموا عنه ويشرفوا به لا ملكا ولا أعجميا ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الذنوب ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِن﴾ مخففة أي إنهم ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل بعثه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بين. ١٦٥- ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ بأُحُد بقتل سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم ﴿قُلْتُمْ﴾ متعجبين ﴿أَنَّىٰ﴾ من أين لنا ﴿هَٰذَا﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا. والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنكم تركتم المركز فخُذلتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النصر ومنعه، وقد جازاكم بخلافكم.

فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية. مرسل، وله طرق أخرى. وأخرج ابن عساكر عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: لا تعجزوا عن الدعاء، فإن الله أنزل عليّ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فقال رجل: يا رسول الله، ربنا يسمع الدعاء أم كيف ذلك؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن عطاء بن أبي رباح أنه بلغه لما نزلت ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قالوا: لا نعلم أي ساعة ندعو، فنزلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ إلى قوله ﴿يَرْشُدُونَ﴾.

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ
يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ
فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ
وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ
ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ
بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ
بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ
أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ
فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

١٦٦ - ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ بأحد ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾ الله علم ظهور ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦﴾ حقا.

١٦٧ - ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَ﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمۡ﴾ لما انصرفوا عن القتال وهم عبد الله بن أُبيّ وأصحابه ﴿تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعداءه ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْ﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ﴾ نُحسنُ ﴿قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾ قال تعالى تكذيبا لهم ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾ من النفاق.

١٦٨ - ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله أو نعت ﴿قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ في الدين ﴿وَ﴾ قد ﴿قَعَدُواْ﴾ عن الجهاد ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ أي شهداء أحد أو إخواننا في القعود ﴿مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ﴾ لهم ﴿فَٱدۡرَءُواْ﴾ ادفعوا ﴿عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ في أن القعود ينجي منه. ونزل في الشهداء:

١٦٩ - ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ بالتخفيف [قُتِلوا] والتشديد [قُتِّلوا] ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لأجل دينه ﴿أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ﴾ هم ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت كما ورد في الحديث ﴿يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ يأكلون من ثمار الجنة.

١٧٠ - ﴿فَرِحِينَ﴾ حال من ضمير يرزقون ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَ﴾ هم ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ من إخوانهم المؤمنين وبدل من الذين ﴿أَ﴾ نْ أي بأن ﴿لَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾ في الآخرة المعنى يفرحون بأمنهم وفرحهم.

١٧١ - ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ﴾ ثواب ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ زيادة عليه ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفا على نعمة، والكسر استئنافا ﴿ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾ بل يأجرهم.

١٧٢ - ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ دعاءه بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود وتواعدوا مع النبي ﷺ وأصحابه سوق بدر العام المقبل من يوم أحد ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ﴾ بأحد. وخبر المبتدأ ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ﴾ بطاعته ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ مخالفته ﴿أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ هو الجنة.

١٧٣ - ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ أي نعيم بن مسعود الأشجعي ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ الجموع ليستأصلوكم ﴿فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمۡ﴾ ذلك القول ﴿إِيمَٰنٗا﴾ تصديقا بالله[1] ويقينا ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافينا أمرهم ﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ المفوض إليه الأمر هو وخرجوا مع النبي ﷺ فوافوا سوق بدر وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا. قال الله تعالى:

---

(١) قلت: التصديق لا يتجزأ وهذا التفسير مبناه على حصر الإيمان في التصديق.

فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ
يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾
وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ
شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا
اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا
أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ
عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا
يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا
لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

١٧٤- ﴿فَانقَلَبُوا﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ بسلامة وربح ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته ورسوله في الخروج ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ على أهل طاعته.

١٧٥- ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ أي القائل لكم إن الناس الخ ﴿الشَّيْطَانُ﴾ ﴿يُخَوِّفُ﴾ كم ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ حقًا.

١٧٦- ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ بضم الياء وكسر الزاي [ولا يُحْزِنكَ]، وبفتحها وضم الزاي [ولا يَحْزُنكَ] من حزنه لغه في أحزنه ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعا بنصرته وهم أهل مكة أو المنافقون أي لا تهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بفعلهم وإنما يضرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾ نصيبا ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي الجنة فلذلك خذلهم الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ في النار.

١٧٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي أخذوه بدله ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ﴾ بكفرهم ﴿شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ مؤلم.

١٧٨- ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء [ولا يحسبن] والتاء [ولا تحسبن] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي﴾ أي إملاءنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ وأنّ ومعمولاها سدّت مسدّ المفعولين في قراءة التحتانية [ولا يحسبن]، ومسدّ الثاني في الأخرى [ولا تحسبن] ﴿إِنَّمَا نُمْلِي﴾ نمهل ﴿لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ بكثرة المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ ذو إهانة في الآخرة.

١٧٩- ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليترك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ بالتخفيف [يَمِيزَ] والتشديد [يُمَيِّزَ]، يفصل ﴿الْخَبِيثَ﴾ المنافق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك ففعل ذلك يوم أحد ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾ يختار ﴿مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيطلعه على غيبه كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾.

١٨٠- ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء [ولا يحسبن] والتاء [ولا تحسبن] ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أي بزكاته ﴿هُوَ﴾ أي بخلهم ﴿خَيْرًا لَّهُم﴾ مفعول ثان والضمير للفصل والأوّل بخلهم مقدّرا قبل الموصول على الفوقانية [ولا تحسبن] وقبل الضمير على التحتانية [ولا يحسبن] ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾ أي بزكاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه كما ورد في الحديث(١) ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرثهما بعد فناء أهلهما ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء [يعملون] والتاء [تعملون] ﴿خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ فيجازيكم به.

---

(١) انظر الأحاديث الواردة في ذلك في كتاب الكبائر باب منع الزكاة.

لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (١٨١) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٨٢) ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٨٣)
فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ (١٨٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ
وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ
عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ
إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ (١٨٥) ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ
وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٨٦)

١٨١- ﴿لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ وهم اليهود قالوه لما نزل ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقالوا لو كان غنيا مـــا استقرضنا ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا۟﴾ في صحائف أعمالهم ليجازوا عليه، وفي قراءة بالياء مبنيا للمفعول ﴿وَ﴾ نكتب ﴿قَتْلَهُمُ﴾ بالنصب والرفع [قَتْلُهُمْ] ﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ بالنون والياء [ويقول]، أي الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (١٨١)﴾ النار. ويقال لهم إذا ألقوا. ١٨٢- ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان لأنّ أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ (١٨٢)﴾فيعذبهم بغير ذنب. ١٨٣- ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿قَالُوٓا۟﴾ لمحمد ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ قد ﴿عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصدّقه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ فلا نؤمن لك حتى تأتينا به وهو ما يتقرّب به إلى الله من نعم وغيرها فإن قُبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته وإلا بقي مكانه. وعهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد، قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم توبيخا ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ كزكريا ويحيى فقتلتموهم والخطاب لمن في زمن نبينا محمد ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٨٣)﴾ في أنكم تؤمنون عند الإتيان به.

١٨٤- ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجـــزات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ كصـــحف إبراهيـــم ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ وفي قراءة بإثبات الباء فيهما [وبالزبر وبالكتاب] ﴿ٱلْمُنِيرِ (١٨٤)﴾ الواضح هو التوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا. ١٨٥- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ﴾ بعد ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ نال غاية مطلوبه ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ (١٨٥)﴾ الباطل يتمتع به قليلًا ثم يفنى. ١٨٦- ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين، لتختبرن ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بالفرائض فيها والحوائج ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالعبادات والبلاء ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ اليهود والنصـــارى ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ من العرب ﴿أَذًى كَثِيرًا ۚ﴾ من السّب والطعن والتشبيب بنسائكم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٨٦)﴾ أي من معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها.

■ أسباب نزول الآية ١٨٧- قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ الآية، روى أحمد وأبو داود والحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال: كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا. ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له قيس بن صِرْمَةَ صلى العشاء ثم نام، فلم يأكل و لم يشرب حتى أصبح، فأصبح مجهودًا؛ وكان عمر أصاب من النساء بعد ما نام، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فأنزل الله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾.هذا الحديث مشهور عن ابن أبي ليلى، لكنه لم يسمع من معاذ، وله شواهد: فأخرج البخاري عن البراء قال: كان أصحاب النبي ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صِرْمَةَ الأنصاري كان صائمًا، فلما حضر

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

٧٥

١٨٧- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ أي الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُۥ﴾ أي الكتاب بالياء [لَيُبَيِّنُنَّهُ] والتاء [لَتُبَيِّنُنَّهُ] في الفعلين ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ طرحوا الميثاق ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ﴾ أخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم فكتموه خوف فوته عليهم ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ شراؤهم هذا. ١٨٨- ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء [لا تحسبن] والياء [لا يحسبن] ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ فعلوا من إضلال الناس ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ بالوجهين تأكيد ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ في الآخرة بل هم في مكان يعذبون فيه وهو جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ مؤلم فيها، ومفعولا «يحسب» الأولى دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية، وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط. ١٨٩- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين. ١٩٠- ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ لذوي العقول. ١٩١- ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لما قبله أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين. أي في كل حال. وعن ابن عباس: يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما يقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾ الخلق الذي نراه ﴿بَٰطِلًا﴾ حال، عبثا بل دليلا على كمال قدرتك ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيها لك عن العبث ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾. ١٩٢- ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أهنته ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين، فيه وضع الظاهر موضع المضمر إشعارا بتخصيص الخزي بهم ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ يمنعونهم من عذاب الله تعالى. ١٩٣- ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى﴾ يدعو الناس ﴿لِلْإِيمَٰنِ﴾ أي إليه وهو محمد ﷺ أو القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ﴾ حطّ ﴿عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ فلا تظهرها بالعقاب عليها ﴿وَتَوَفَّنَا﴾ اقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾ في جملة ﴿ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ الأنبياء والصالحين.

١٩٤- ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدتَّنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ﴾ ألسنة ﴿رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك - وإن كان وعده تعالى لا يخلف - سؤال أن يجعلهم من مستحقيه لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له، وتكرير «ربنا» مبالغة في التضرع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ الوعد بالبعث والجزاء.

الإفطار أتى امرأته فقال: هل عندك طعام؟ فقالت: لا، ولكنني أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عينه. وجاءته امرأته فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ ففرحوا بها فرحًا شديدًا، ونزلت: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾. وأخرج البخاري عن البراء قال: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، فكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾. وأخرج

فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ
مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ
ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ
رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنۡ
أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا
قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ
وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

١٩٥- ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ دعاءهم ﴿أَنِّي﴾ أي بأني ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم﴾ كائن ﴿مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ أي الذكور من الإناث وبالعكس، والجملة مؤكدة لما قبلها: أي هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها، نزلت لما قالت أم سلمة: يا رسول الله إني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾ ديني ﴿وَقَٰتَلُواْ﴾ الكفار ﴿وَقُتِلُواْ﴾ بالتخفيف والتشديد [وقتّلوا]. وفي قراءة بتقديمه [وقتلوا وقاتلوا] ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ أسترها بالمغفرة ﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا﴾ مصدر من معنى لأكفرن مؤكد له ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ فيه التفات عن التكلم ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ الجزاء.

١٩٦- ونزل لما قال المسلمون: أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تصرّفهم ﴿فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ بالتجارة والكسب.

١٩٧- هو ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ يتمتعون به يسيرا في الدنيا ويفنى ﴿ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ الفراش هي.

١٩٨- ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ أي مقدّرين الخلود ﴿فِيهَا نُزُلٗا﴾ هو ما يعدّ للضيف، ونصبه على الحال من جنات، والعامل فيها معنى الظرف ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ من متاع الدنيا. ١٩٩- ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ أي القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي التوراة والإنجيل ﴿خَٰشِعِينَ﴾ حال من ضمير «يؤمن» مراعى فيه معنى «من» أي متواضعين ﴿لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من نعت النبي ﷺ ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ من الدنيا بأن يكتموها خوفا على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ ثواب أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ يؤتونه مرتين كما في القصص ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا.

٢٠٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾ على الطاعات والمصائب وعن المعاصي ﴿وَصَابِرُواْ﴾ الكفار فلا يكونوا أشدّ صبرا منكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أقيموا على الجهاد ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد، فرجع عمر من عند النبي ﷺ وقد سمر عنده، فأراد امرأته فقالت: إني قد نمت، قال: ما نمت، ووقع عليها؛ وصنع كعب مثل ذلك. فغدا عمر إلى النبي ﷺ فأخبره، فنزلت الآية قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾. روى البخاري عن سهل بن سعد قال أنزلت: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ ولم ينزل ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود؛ فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بَعْدُ: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ فعلموا أنما يعني الليل والنهار. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾: أخرج ابن جرير عن قتادة قال: كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد جامع إن شاء، فنزلت: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ
بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ
وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ
كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ
مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ
فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ
ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةٗۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٖ مِّنْهُ نَفْسٗا فَكُلُوهُ
هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ
قِيَٰمٗا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلٗا مَّعْرُوفٗا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُواْ
ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدٗا فَٱدْفَعُوٓاْ
إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْۚ وَمَن كَانَ
غَنِيّٗا فَلْيَسْتَعْفِفْۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾

سورة النساء

مدنية وآياتها ست وسبعون ومئة نزلت بعد الممتحنة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي عقابه بأن تطيعوه ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿وَبَثَّ﴾ فرّق ونشر ﴿مِنْهُمَا﴾ من آدم وحوّاء ﴿رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾ كثيرة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في السين، وفي قراءة بالتخفيف بحذفها: [حذف التاء] أي تتساءلون ﴿بِهِۦ﴾ فيما بينكم، حيث يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله، وأنشدك بالله ﴿وَ﴾ اتقوا ﴿ٱلْأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها. وفي قراءة بالجرّ عطفا على الضمير في «به» وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا﴿١﴾﴾ حافظا لأعمالكم فيجازيكم بها أي لم يزل متصفا بذلك. ٢- ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾ الصغار الذين لا أب لهم ﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ الحرام ﴿بِٱلطَّيِّبِ﴾ الحلال أي تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ مضمومة ﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ﴾ أي أكلها ﴿كَانَ حُوبٗا﴾ ذنبا ﴿كَبِيرٗا﴿٢﴾﴾ عظيما ولما نزلت تحرّجوا من ولاية اليتامى وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهن فنزل: ٣- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أ﴾ن ﴿لَّا تُقْسِطُواْ﴾ تعدلوا ﴿فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ فتحرّجتم من أمرهم فخافوا أيضا أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن ﴿فَٱنكِحُواْ﴾ تزوّجوا ﴿مَا﴾ بمعنى مَن ﴿طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ أي اثنتين اثنتين وثلاثًا ثلاثًا وأربعًا أربعًا ولا تزيدوا على ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أ﴾ن ﴿لَّا تَعْدِلُواْ﴾ فيهن بالنفقة والقسم ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ انكحوها ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من الإماء إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح الأربع فقط أو الواحدة أو التسرّي ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴿٣﴾﴾ تجوروا. ٤- ﴿وَءَاتُواْ﴾ أعطوا ﴿ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ جمع صدقة مهورهن ﴿نِحْلَةٗ﴾ مصدر عطية عن طيب نفس ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٖ مِّنْهُ نَفْسٗا﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبنه لكم ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا﴾ طيبا ﴿مَّرِيٓـٔٗا﴿٤﴾﴾ محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة، نزلت ردًّا على من كره ذلك. ٥- ﴿وَلَا تُؤْتُواْ﴾ أيها الأولياء ﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾ المبذرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ أي أموالهم التي في أيديكم ﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمٗا﴾ مصدر قام، أي تقوم بمعاشكم وصلاح أولادكم فيضعوها في غير وجهها، وفي قراءة «قيما» جمع قيمة: ما تقوم به الأمتعة ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أطعموهم منها ﴿وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلٗا مَّعْرُوفٗا﴿٥﴾﴾ عدوهم عدة جميلة بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا. ﴿وَٱبْتَلُواْ﴾ اختبروا ﴿ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في أحوالهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ أي صاروا أهلاً له بالاحتلام أو السن وهو استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ أبصرتم ﴿مِّنْهُمْ رُشْدٗا﴾ صلاحا في دينهم ومالهم ﴿فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافٗا﴾ بغير حق، حال ﴿وَبِدَارًا﴾ أي مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾ رشداء فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَن كَانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنِيّٗا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجرة عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي إلى اليتامى ﴿أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلموها وبرئتم لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البينة وهذا أمر إرشاد ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ الباء زائدة ﴿حَسِيبٗا﴿٦﴾﴾ حافظا لأعمال خلقه ومحاسبهم.

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا
خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ
فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً
فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا
ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ
فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى
بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

٧- ونزل ردًّا لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار ﴿لِلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفون ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي المال ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴿٧﴾﴾ مقطوعا بتسليمه إليهم. ٨- ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ للميراث ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ذوو القرابة ممن لا يرث ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ شيئا قبل القسمة ﴿وَقُولُوا۟﴾ أيها الأولياء ﴿لَهُمْ﴾ إذا كان الورثة صغارا ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴿٨﴾﴾ جميلاً بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وإنه للصغار. وهذا قيل إنه منسوخ وقيل لا ولكن تهاون الناس في تركه، وعليه فهو ندب، وعن ابن عباس واجب. ٩- ﴿وَلْيَخْشَ﴾ أي ليخف على اليتامى ﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟﴾ أي قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي بعد موهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ أولادا صغارا ﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ الضياع ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أمر اليتامى وليأتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذرّيتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا۟﴾ للميت ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴿٩﴾﴾ صوابا بأن يأمروه أن يتصدّق بدون ثلثه ويدع الباقي لورثته ولا يتركهم عالة. ١٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾ أي ملأها ﴿نَارًا﴾ لأنه يؤول إليها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول، يدخلون ﴿سَعِيرًا﴿١٠﴾﴾ نارا شديدة يحترقون فيها. ١١- ﴿يُوصِيكُمُ﴾ يأمركم ﴿ٱللَّهُ فِىٓ﴾ شأن ﴿أَوْلَٰدِكُمْ﴾ بما يذكر ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ﴾ نصيب ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِن كُنَّ﴾ أي الأولاد ﴿نِسَآءً﴾ فقط ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الميت وكذا الاثنتان لأنه للأختين بقوله ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فهما أولى ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الأنثى أولى. و ﴿فَوْقَ﴾ قيل صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَٰحِدَةً﴾ وفي قراءة بالرفع، فكان تامة ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي الميت ويبدل منهما ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى. ونكتة البدل إفادة أنهما لا يشتركان فيه وألحق بالولد ولد الابن وبالأب الجدّ ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ بضم الهمزة وكسرها فرارا من الانتقال من ضمة إلى كسرة لثقله في الموضعين ﴿ٱلثُّلُثُ﴾ أي ثلث المال أو ما يبقى بعد الزوج والباقي للأب ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ أي اثنان فصاعدا ذكورا أو إناثا ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ والباقي للأب ولا شيء للإخوة وإرث من ذكر ما ذكر ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِى﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿بِهَآ أَوْ﴾ قضاء ﴿دَيْنٍ﴾ عليه، وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخرة عنه في الوفاء للاهتمام بها ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ مبتدأ، خبره ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدنيا والآخرة فظانٌّ أن ابنه أنفعُ له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع، وبالعكس، وإنما العالم بذلك هو الله ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴿١١﴾﴾ فيما دبره لهم: أي لم يزل متصفا بذلك.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢) تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٤)﴾

١٢ - ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالإجماع ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي الزوجات تعدّدن أو لا ﴿ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ منهنّ أو من غيرهنّ ﴿فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ وولد الابن في ذلك كالولد إجماعا ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾ صفة، والخبر ﴿كَلَٰلَةً﴾ أي لا والد له ولا ولد ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ تورث كلالة ﴿وَلَهُۥٓ﴾ أي للموروث كلالة ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي من أمّ، وقرأ به ابن مسعود وغيره ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ﴾ مما ترك ﴿فَإِن كَانُوٓا۟﴾ أي الإخوة والأخوات من الأمّ ﴿أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ حال من ضمير يوصي، أي غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث ﴿وَصِيَّةً﴾ مصدر مؤكد ليوصيكم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما دبره لخلقه من الفرائض ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عمن خالفه، وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رقّ. ١٣ - ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ شرائعه التي حدّها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدّوها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بالياء والنون التفاتا ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. ١٤ - ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ بالوجهين ﴿نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ﴾ فيها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة، وروعي في الضمائر في الآيتين لفظ «من» وفي «خالدين» معناها.

- أسباب نزول الآية ١٨٨ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟﴾ الآية: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: إن امرأ القيس ابن عابس وعبدان بن أَشْوَعَ الحَضْرَمِيَ اختصما في أرض، وأراده امرؤ القيس أن يحلف، ففيه نزلت: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾.
- أسباب نزول الآية ١٨٩ — قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: سأل الناس رسول الله ﷺ عن الأهلة فنزلت هذه الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله، لمَ خلقت الأهلة؟ فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾. وأخرج أبو نعيم وابن عساكر في «تاريخ دمشق» من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس: أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة قالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو، أو يطلع دقيقًا، مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان، لا يكون على حال واحدة؟ فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾. قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ الآية روى البخاري عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن جابر قال: كانت قريش تُدْعَى الحُمْسَ، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام، فبينا رسول الله ﷺ في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قُطْبَةُ بن عامر الأنصاري، فقالوا: يا رسول الله، إن قطبة بن عامر رجل فاجر، وإنه خرج معك من الباب، فقال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت،

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ
عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي
ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا
﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا
وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا
﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

١٥- ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ الزنى ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡ﴾ أي من رجالكم المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ عليهنّ بها ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهنّ ﴿فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ وامنعوهنّ من مخالطة الناس ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي ملائكته ﴿أَوۡ﴾ إلى أن ﴿يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾﴾ طريقا إلى الخروج منها، أمروا بذلك أوّل الإسلام، ثم جعل لهنّ سبيلاً بجلد البكر مائة وتغريبها عاما، ورجم المحصنة. وفي الحديث لما بين الحدّ قال «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهنّ سبيلاً»[1] رواه مسلم.

١٦- ﴿وَٱلَّذَانِ﴾ بتخفيف النون وتشديدها ﴿يَأۡتِيَٰنِهَا﴾ أي الفاحشة: الزنى أو اللواط ﴿مِنكُمۡ﴾ أي الرجال ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ بالسبّ والضرب بالنعال ﴿فَإِن تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصۡلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآ﴾ ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا﴾ على من تاب ﴿رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ به، وهذا منسوخ بالحدّ إن أريد بها الزنى، وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي، لكنّ المفعول به لا يرجم عنده وإن كان محصنا بل يُجلد ويُغرّب. وإرادة اللواط أظهر بدليل تثنية الضمير، والأوّل قال: أراد الزاني والزانية، ويردّه تبيينهما بـ«من» المتصلة بضمير الرجال، واشتراكهما في الأذى والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال لما تقدّم في النساء من الحبس.

١٧- ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي التي كتب على نفسه قبولها بفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾ المعصية ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾ حال: أي جاهلين إذا عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾ زمن ﴿قَرِيبٖ﴾ قبل أن يغرغروا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صنعه بهم.

١٨- ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ وأخذ في النزع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه ﴿إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا﴾ أعددنا ﴿لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾﴾ مؤلما.

١٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي ذاتهن ﴿كَرۡهٗا﴾ بالفتح والضم: لغتان، أي مكرهين على ذلك، كانوا في الجاهلية يرثون نساء أقربائهم فإن شاؤوا تزوّجوهن بلا صداق، أو زوّجوهن وأخذوا صداقهن، أو عضلوهن حتى تفتدين بما ورثنه، أو تموت فيرثوها فنُهوا عن ذلك ﴿وَلَا﴾ أن ﴿تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ أي تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكهنّ ولا رغبة لكم فيهنّ ضرارا ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ بفتح الياء وكسرها، أي بُيِّنت أو هي بينة: أي زنى أو نشوز، فلكم أن تضاروهنّ حتى يفتدين منكم ويختلعن ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ أي بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾﴾ ولعله يجعل فيهنّ ذلك بأن يرزقكم منهنّ ولدا صالحا.

---

(١) [صحيح]: أخرجه مسلم في (الحدود/١٦٩٠/عبد الباقي).

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا
غَلِيظًا (٢١) وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ
ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَآءَ سَبِيلًا (٢٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ
مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٣)

٢٠- ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي أخذها بدلها بأن طلقتموها ﴿وَ﴾ قد ﴿ءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ أي الزوجات ﴿قِنطَارًا﴾ مالاً كثيرا صداقا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا﴾ ظلما ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠)﴾ بيّنا، ونصبهما على الحال والاستفهام للتوبيخ وللإنكار في قوله:

٢١- ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ أي بأيّ وجه ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾ وصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ بالجماع المقرّر للمهر ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا﴾ عهداً ﴿غَلِيظًا (٢١)﴾ شديدا وهو ما أمر الله به من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان.

٢٢- ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا﴾ بمعنى من ﴿نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من فعلكم ذلك فإنه معفوّ عنه ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي نكاحهنّ ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾ قبيحا ﴿وَمَقْتًا﴾ سببا للمقت من الله وهو أشدّ البغض ﴿وَسَآءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلًا (٢٢)﴾ طريقا ذلك. ٢٣- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ أن تنكحوهنّ وشملت الجدات من قبَل الأب أو الأمّ ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وشملت بنات الأولاد وإن سفلن ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ من جهة الأب أو الأمّ ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ أي أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ أي أخوات أمّهاتكم وجدّاتكم ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ ويدخل فيهن أولادهم ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قبل استكمال الحولين خمس رضعات كما بينه الحديث[1] ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ويلحق بذلك بالسنة البنات منها وهن من أرضعتهن موطوءته والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت منها، لحديث «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» رواه البخاري ومسلم ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره ﴿ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ تربوها صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي جامعتموهنّ ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاح بناتهنّ إذا فارقتموهنّ ﴿وَحَلَٰٓئِلُ﴾ أزواج ﴿أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رضاع بالنكاح، ويلحق بهما بالسنة الجمع بينها وبين عمتها أو خالتها، ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معا ويطأ واحدة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهلية من نكاحهم بعض ما ذكر فلا جناح عليكم فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا (٢٣)﴾ بكم في ذلك.

قال: إني رجل أحمسي، قال له: فإن ديني دينك، فأنزل الله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ الآية. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه. وأخرج الطيالسي في «مسنده» عن البراء قال: كانت الأنصار إذا قدموا من سفرهم لم يدخل الرجل من قِبَل بابه، فنزلت هذه الآية. وأخرج عبد بن حميد عن قيس بن حبتر النهشلي قال: كانوا إذا أحرموا لم يأتوا بيتًا من قِبَل بابه، وكانت الحُمس بخلاف ذلك، فدخل رسول الله حائطًا ثم خرج من بابه، فاتبعه رجل يقال له رفاعة بن تابوت، ولم يكن من الحُمْس، فقالوا: يا رسول الله نافق رفاعة، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال تبعتك، فقال: إني من الحُمْس، قال: فإن ديننا واحد، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾.

(١) [صحيح]: أخرجه مسلم في (الرضاع/١٤٥٢/عبد الباقي).

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ
بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ
مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ
فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمٗا ٢٤ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ
ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن
فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ
بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ
أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ
مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ
ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
٢٥ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦﴾

٢٤- ﴿وَ﴾ حرّمت عليكم ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتُ﴾ أي ذوات الأزواج ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن حرائر، مسلمات كنّ أو لا ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ من الإماء بالسبي فلكم وطؤهن وإن كان لهنّ أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر: أي كُتبَ ذلك ﴿عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول [وأَحلّ] ﴿لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾ أي سوى ما حرّم عليكم من النساء ﴿أَن تَبۡتَغُواْ﴾ تطلبوا النساء ﴿بِأَمۡوَٰلِكُم﴾ بصداق أو ثمن ﴿مُّحۡصِنِينَ﴾ متزوّجين ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ زانين ﴿فَمَا﴾ فمن ﴿ٱسۡتَمۡتَعۡتُم﴾ تمتعتم ﴿بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾ ممن تزوّجتم بالوطء ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنّ التي فرضتم لهن ﴿فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم﴾ أنتم وهنّ ﴿بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِ﴾ من حطها أو بعضها أو زيادة عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٗا ٢٤﴾ فيما دبره لهم.

٢٥- ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾ أي غنى لـ ﴿أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ الحرائر ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ هو جري على الغالب فلا مفهوم له ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ ينكح ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ فاكتفوا بظاهره وكلُوا السرائر إليه فإنه العالم بتفصيلها، ورب أمَة تفضل الحرّة فيه، وهذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ أي أنتم وهنّ سواء في الدين فلا تستنكفوا من نكاحهنّ ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾ مواليهن ﴿وَءَاتُوهُنَّ﴾ أعطوهنّ ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنّ ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ من غير مَطل ونقص ﴿مُحۡصَنَٰتٍ﴾ عفائف، حال ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ﴾ زانيات جهرا ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖ﴾ أخلاّء يزنون بهنّ سرًّا ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ زُوِّجن، وفي قراءة بالبناء للفاعل [أَحْصَنَّ]: تزوجن ﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ﴾ زنا ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ الحرائر الأبكار إذا زنين ﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ الحدّ فيجلدن خمسين ويغرّبن نصف سنة، ويقاس عليهن العبيد، و لم يجعل الإحصان شرطا لوجوب الحدّ بل لإفادة أنه لا رجم عليهنّ أصلاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح المملوكات عند عدم الطَّوْل ﴿لِمَنۡ خَشِيَ﴾ خاف ﴿ٱلۡعَنَتَ﴾ الزنى وأصله المشقة سمي به الزنى لأنه سببها بالحدّ في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿مِنكُمۡۚ﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحل له نكاحها، وكذا من استطاع طَوْل حرّة، وعليه الشافعي. وخرج بقوله «من فتياتكم المؤمنات» الكافرات فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف ﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ﴾ عن نكاح المملوكات ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ لئلا يصير الولد رقيقا ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٥﴾ بالتوسعة في ذلك. ٢٦- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ﴾ طرائق ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتبعوهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿حَكِيمٞ ٢٦﴾ فيما دبره لكم.

■ أسباب نزول الآية [١٩٠ و: ١٩٤]- قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أخرج الواحدي من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في صلح الحديبية. وذلك أن رسول الله ﷺ لما صد عن البيت [هو وأصحابه، نحر الهَدْيَ بالحديبية] ثم صالحه المشركون على أن ـ حع عامَهُ [ثم يأتي] القابل [على أن يُخلُّوا له مكة ثلاثة أيام،

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن
تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا
وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ
وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ
نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

٢٧- ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرّره ليبني عليه ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة ﴿أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴿٢٧﴾﴾ تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حرّم عليكم فتكونوا مثلهم. ٢٨- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ يسهل عليكم أحكام الشرع ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات. ٢٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ بالحرام في الشرع كالربا والغصب ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَن تَكُونَ﴾ تقع ﴿تِجَارَةً﴾ وفي قراءة بالنصب، أي تكون الأموال أموال تجارة صادرة ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ وطيب نفس فلكم أن تأكلوها ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ بارتكاب ما يؤدّي إلى هلاكها أيا كان في الدنيا أو الآخرة بقرينة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴿٢٩﴾﴾ في منعه لكم من ذلك. ٣٠- ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي ما نُهي عنه ﴿عُدْوَانًا﴾ تجاوزا للحلال. حال ﴿وَظُلْمًا﴾ تأكيد ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ ندخله ﴿نَارًا﴾ يحترق فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴿٣٠﴾﴾ هيِّنا. ٣١- ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وهي ما ورد عليها وعيد كالقتل والزنى والسرقة. وعن ابن عباس: هي إلى السبعمائة أقرب ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصغائر بالطاعات ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها [مَدْخَلاً]: أي إدخالاً أو موضعا ﴿كَرِيمًا﴿٣١﴾﴾ هو الجنة. ٣٢- ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ من جهة الدنيا أو الدين لئلا يؤدي إلى التحاسد والتباغض ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ ثواب ﴿مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ من طاعة أزواجهنّ وحفظ فروجهن. نزلت لما قالت أم سلمة: ليتنا كنا رجالاً فجاهدْنا وكان لنا مثل أجر الرجال ﴿وَاسْأَلُوا﴾ بهمزة ودونها [وسَلُوا] ﴿اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ ما احتجتم إليه يعطكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴿٣٢﴾﴾ ومنه محل الفضل وسؤالكم. ٣٣- ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الرجال والنساء ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ عصبة يُعطَوْن ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ لهم من المال ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ بألف ودونها [عاقدت] ﴿أَيْمَانُكُمْ﴾ جمع يمين بمعنى القسم أو اليد: أي الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النصرة والإرث ﴿فَآتُوهُمْ﴾ الآن ﴿نَصِيبَهُمْ﴾ حظوظهم من الميراث وهو السدس ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴿٣٣﴾﴾ مطلعا ومنه حالكم، وهذا منسوخ بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.

فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء، وصالحهم رسول الله ﷺ؛] فلما كان العام القابل تجهز [رسول الله ﷺ] هو وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تَفيَ قريش بذلك، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام، فأنزل الله ذلك. وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: أقبل نبي الله ﷺ وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدى، حتى إذا كانوا بالحديبية صدهم المشركون، وصالحهم النبي ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك، ثم يرجع من العام المقبل؛ فلما كان العام المقبل أقبل وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام فيها ثلاث ليال، وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردوه، فأقصه الله منهم فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردوه فيه، فأنزل الله: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾.

الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ
قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ
وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ
بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن
يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا
﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ
ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن
كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
مِن فَضْلِهِۦ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

٣٤- ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ ﴾ مسلطون ﴿ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ يؤدِّبونهن ويأخذون على أيديهنّ ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ ﴾ عليهن ﴿ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ منهن ﴿ قَٰنِتَٰتٌ ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ أي لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿ بِمَا حَفِظَ ﴾ لهنّ ﴿ ٱللَّهُ ﴾ حيث أوصى عليهنّ الأزواج ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ عصيانهنّ لكم بأن ظهرت أمارته ﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ فخوّفوهنّ الله ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرن النشوز ﴿ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ ضربا غير مبرِّح إن لم يرجعن بالهجران ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ ﴾ فيما يراد منهنّ ﴿ فَلَا تَبْغُواْ ﴾ تطلبوا ﴿ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ طريقا إلى ضربهن ظلما ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ أن يـ‍اقبكم إن ظلمتموهنّ.

٣٥- ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ علمتم ﴿ شِقَاقَ ﴾ خلاف ﴿ بَيْنِهِمَا ﴾ بين الزوجين والإضافة للاتساع: أي شقاقا بينهما ﴿ فَٱبْعَثُواْ ﴾ إليهما برضاهما ﴿ حَكَمًا ﴾ رجلاً عدلاً ﴿ مِّنْ أَهْلِهِۦ ﴾ أقاربه ﴿ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ ويوكل الزوج حكَمه في طلاق وقبول عوض عليه وتوكل هي حكمها في الاختلاع فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع، أو يفرّقان إن رأياه. قال تعالى: ﴿ إِن يُرِيدَآ ﴾ أي الحكَمان ﴿ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ بين الزوجين: أي يقدّرهما على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بكل شيء ﴿ خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ بالبواطن كالظواهر.

٣٦- ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ وحِّدوه ﴿ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَ ﴾ أحسنوا ﴿ بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ برًّا ولينَ جانب ﴿ وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ القرابة ﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ القريب منك في الجوار أو النسب ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ البعيد عنك في الجوار أو النسب ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ الرفيق في سفر أو صناعة، وقيل الزوجة ﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المنقطع في سفره ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ من الأرقاء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا ﴾ متكبرا ﴿ فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ على الناس بما أوتي. ٣٧- ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ ﴿ يَبْخَلُونَ ﴾ بما يجب عليهم ﴿ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ به ﴿ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ من العلم والمال وهم اليهود، وخبر المبتدأ لهم وعيد شديد ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ بذلك وبغيره ﴿ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ ذا إهانة.

■ أسباب نزول الآية ١٩٥- قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾. روى البخاري عن حذيفة قال: نزلت الآية في النفقة. وأخرج أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان والحاكم وغيرهم عن أبي أيوب الأنصاري قال: نزلت الآية فينا معشرَ الأنصار، لما أعز الله الإسلام، وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرًا إن أموالنا قد ضاعت. وإن الله قد أعز الإسلام، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله يرد علينا ما قلنا: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ فكانت التهلكة: الإقامة على أموالنا وإصلاحها وتركنا الغزو. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: كانت الأنصار يتصدقون ويعطون ما شاء الله، فأصابتهم سنة فأمسكوا، فأنزل الله: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ الآية. وأخرج أيضًا بسند صحيح عن النعمان بن بشير قال: كان الرجل يذنب الذنب فيقول: لا يغفر لي، فأنزل الله: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾. وله شاهد عن البراء أخرجه الحاكم.

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوُا ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى
سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ
أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ
ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

٣٨- ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف على الذين قبله ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مرائين لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾ صاحبا يعمل بأمره كهؤلاء ﴿فَسَآءَ﴾ بئس ﴿قَرِينًا﴾ هو. ٣٩- ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي أيُّ ضرر عليهم في ذلك، والاستفهام للإنكار ولو مصدرية: أي لا ضرر فيه وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بما عملوا. ٤٠- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ أحدا ﴿مِثْقَالَ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة بأن ينقصها من حسناته أو يزيدها في سيئاته ﴿وَإِن تَكُ﴾ الذرّة ﴿حَسَنَةً﴾ من مؤمن. وفي قراءة بالرفع [حسنةٌ] فـ«كان» تامة ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة، وفي قراءة «يُضَعِّفْهَا» بالتشديد ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدّره أحد. ٤١- ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها وهو نبيها ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾.

٤٢- ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم المجيء ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا ٱلرَّسُولَ لَوْ﴾ أي أن ﴿تُسَوَّىٰ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل [تَسَوَّى] مع حذف إحدى التاءين في الأصل ومع إدغامها في السين أي تتسوّى ﴿بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ بأن يكونوا ترابا مثلها لعظم هوله كما في آية أخرى ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه وفي وقت آخر يكتمونه ويقولون ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

٤٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي لا تُصلّوا ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب، لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال السكر ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ بأن تصحوا ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ بإيلاج أو إنزال، ونصبه على الحال وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إِلَّا عَابِرِى﴾ مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾ طريق أي مسافرين ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ فلكم أن تصلوا، واستثناء المسافر لأنّ له حكما آخر سيأتي. وقيل المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة أي المساجد إلا عبورها من غير مكث ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ مرضا يضرّه الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وأنتم جنب أو مُحْدِثُونَ ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ هو المكان المعدّ لقضاء الحاجة أي أحدث ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ وفي قراءة بلا ألف [لمستم]، وكلاهما بمعنى اللمس وهو الجس باليد، قاله ابن عمر وعليه الشافعي، وألحق به الجس بباقي البشرة، وعن ابن عباس: هو الجماع ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً﴾ تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابا طاهرا فاضربوا به ضربتين[1] ﴿فَٱمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المرفقين منه و«مسح» يتعدّى بنفسه وبالحرف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

٤٤- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ حظا ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهم اليهود ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ بالهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا ٱلسَّبِيلَ﴾ تخطئوا الطريق الحق لتكونوا مثلهم.

(١) الصحيح ضربة واحدة كما في الصحيحين، وانظر اختصاري لابن كثير (٤٨٢/١).

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

٤٥- ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ ﴾ منكم فيخبركم بهم لتجتنبوهم ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا ﴾ حافظا لكم منهم ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ مانعا لكم من كيدهم. ٤٦- ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ قوم ﴿ يُحَرِّفُونَ ﴾ يغيّرون ﴿ ٱلۡكَلِمَ ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ التي وضع عليها ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ للنبيّ ﷺ إذا أمرهم بشيء ﴿ سَمِعۡنَا ﴾ قولك ﴿ وَعَصَيۡنَا ﴾ أمرك ﴿ وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ ﴾ حال بمعنى الدعاء: أي لا سمعت ﴿ وَ ﴾ يقولون له ﴿ رَٰعِنَا ﴾ وقد نُهي عن خطابه بها وهي كلمة سب بلغتهم ﴿ لَيَّۢا ﴾ تحريفا ﴿ بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا ﴾ قدحا ﴿ فِي ٱلدِّينِۚ ﴾ الإسلام ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾ بدل وعصينا ﴿ وَٱسۡمَعۡ ﴾ فقط ﴿ وَٱنظُرۡنَا ﴾ انظرْ إلينا بدل راعنا ﴿ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾ مما قالوه ﴿ وَأَقۡوَمَ ﴾ أعدل منه ﴿ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه.

٤٧- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا ﴾ من القرآن ﴿ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم ﴾ من التوراة ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا ﴾ نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ ﴾ فنجعلها كالأقفاء لوحا واحدا ﴿ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ ﴾ نمسخهم قردة ﴿ كَمَا لَعَنَّآ ﴾ مسخنا ﴿ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ ﴾ منهم ﴿ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ قضاؤه ﴿ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾ ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام، فقيل: كان وعيدا بشرط فلما أسلم بعضهم رُفع، وقيل: يكون طمسٌ ومسخٌ قبل قيام الساعة.

٤٨- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ ﴾ أي الإشراك ﴿ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ﴾ سوى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ من الذنوب ﴿ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب ومَن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا ﴾ ذنبا ﴿ عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ كبيرا. ٤٩- ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ ﴾ وهم اليهود حيث قالوا «نحن أبناء الله وأحباؤه» أي ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي ﴾ يطهّر ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾ بالإيمان ﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ قدر قشرة النواة. ٥٠- ﴿ ٱنظُرۡ ﴾ متعجبا ﴿ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ ﴾ بذلك ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾ بيِّنا. ٥١- ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر وحرّضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ صنمان لقريش ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أبي سفيان وأصحابه حين قالوا لهم: أنحن أهدى سبيلاً ونحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني ونفعل ونفعل أم محمد ﷺ وقد خالف دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم؟ ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي أنتم ﴿ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ أقوم طريقا.

■ أسباب نزول الآية ١٩٦ - قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ متضمخًا بالزعفران عليه جبة فقال: كيف تأمرني يا رسول الله في عمرتي؟ فأنزل الله ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾ فقال: أين السائل عن العمرة؟ قال: ها أنا ذا، فقال له: ألق عنك ثيابك، ثم اغتسل واستنشق ما استطعت، ثم ما كنت صانعًا في حجك فاصنعه في عمرتك. قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا ﴾ الآية. روى البخاري

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا
آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ
جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ
لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ
اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ
النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

٥٢- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ﴾ ـــه ﴿اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ مانعا من عذابه. ٥٣- ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ أي شيئا تافها قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم. ٥٤- ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ أي النبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ من النبوّة وكثرة النساء: أي يتمنون زواله عنه، ويقولون لو كان نبيا لاشتغل عن النساء ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ جدّه كموسى وداود وسليمـــان ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ النبـــوّة ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ فكان لداود تسع وتسعون امرأة، ولسليمان ألف ما بين حرّة وسرية. ٥٥- ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾ أعـــرض ﴿عَنْهُ﴾ فلم يؤمن ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ عذابا لمن لا يؤمن. ٥٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ ندخلهم ﴿نَارًا﴾ يحترقـــون فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بأن تعاد إلى حالها الأوّل غير محترقة ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ليقاسوا شدّته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ في خلقه. ٥٧- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قذر ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ دائما لا تنسخه شمس وهو ظل الجنة. ٥٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ أي ما اؤتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ نزلت لما أخذ عليّ ﷺ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي - سادنها - قسرا لما قدم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه، فأمر رسول الله ﷺ بردّه إليه وقال: هاك خالدة تالدة فعجب من ذلك فقرأ له علي الآية فأسلم وأعطاه عند موته لأخيه شيبة فبقي في ولده، والآية وإن وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ﴾ يأمركم ﴿أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا﴾ فيه إدغام ميم «نعم» في «ما» النكرة الموصوفة، أي نعم شيئا ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ بما يفعـــل. ٥٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي﴾ وأصـــحاب ﴿الْأَمْرِ﴾ أي الولاة ﴿مِنكُمْ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي إلى كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ مدة حياته، وبعده إلى سنته أي اكشفوا عليه منهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ أي الرد إليهما ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ مآلا.

عن كعب بن عُجْرَةَ أنه سئل عن قوله ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ قال: حمـــلت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى الجهد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟ قلت: لا. قال: صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك، فنزلت فيّ خاصة وهي لكم عامة. وأخرج أحمد عن كعب قال: كنا مع النبي ﷺ بالحديبيـــة ونحن محرمـــون وقد حصر المشـــركون، وكنت لي وَفْرَةٌ، فجعـــلت الهوام تسّاقط على وجهي، فمر بي النبي ﷺ فقال: أيؤذيك هوام رأســـك؟ فأمره أن يحلق، قال: ونزلت هذه الآية

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

٦٠- ونزل لما اختصم يهودي ومنافق فدعا المنافق إلى كعب ابن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأتياه فقضى لليهودي فلم يرضَ المنافق، وأتيا عمر فذكر له اليهودي ذلك فقال للمنافق: أكذلك؟ فقال: نعم فقتله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ الكثير الطغيان وهو كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ عن الحق. ٦١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ في القرآن من الحكم ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ ليحكم بينكم ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿عَنكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾. ٦٢- ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي، أي أيقدرون على الإعراض والفرار منها؟ لا ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ معطوف على يصدّون ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بالمحاكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ صلحا ﴿وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ تأليفا بين الخصمين بالتقريب في الحكم دون الحمل على مرّ الحق. ٦٣- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعِظْهُمْ﴾ خوّفهم الله ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ مؤثرا فيهم، أي ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم. ٦٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ فيه التفات عن الخطاب تفخيما لشأنه ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم ﴿رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ بهم[1]. ٦٥- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ «لا» زائدة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقا أو شكا ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ به ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ ينقادوا لحكمك ﴿تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ من غير معارضة.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾. وأخرج الواحدي من طريق عطاء عن ابن عباس قال: لما نزلنا الحديبية جاء كعبُ بن عُجْرَةَ تنتثر هوام رأسه على وجهه، فقال: يا رسول الله، هذا القمل قد أكلني [قال: احلق وافده. قال: فحلق كعب ونحر بقرة] فأنزل الله في ذلك الموقف ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ١٩٧- قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ الآية. روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن متوكلون [فإذا قدموا مكة سألوا الناس] فأنزل الله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾.

■ أسباب نزول الآية ١٩٨- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ روى البخاري عن ابن عباس قال: كانت عُكَاظُ ومَجَنَّةُ ذو المَجَاز أسواقًا في الجاهلية، فتأثموا أن يَتَّجِرُوا في الموسم، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج. وأخرج أحمد وابن أبي حاتم وابن جرير والحاكم وغيرهم من طرق عن أبي أمامة التيمي قال: قلت لابن عمر: إنا نُكري فهل لنا من حج؟ فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فدعاه النبي ﷺ فقال: أنتم حجاج.

---

(١) انظر للأهمية اختصاري لابن كثير (٤٩٣/١-٤٩٤).

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن
دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ
بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن
لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾
وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم
مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ
أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ
فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ
شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن
لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ
فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

٦٦- ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ مفسرة ﴿اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ
اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾
أي المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع [قليل] على البدل،
والنصب [قليلاً] على الاستثناء ﴿مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا
يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا
﴿٦٦﴾﴾ تحقيقا لإيمانهم. ٦٧- ﴿وَإِذًا﴾ أي لو تثبتوا ﴿لَّآتَيْنَاهُم
مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ هو الجنة.
٦٨- ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ .
٦٩- قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة
وأنت في الدرجـــات العُلَى، ونحن أسفَلَ منك؟ فنزل[1]:
﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيما أمر به ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ أفاضل أصحاب
الأنبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ القتلى
في سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ غير من ذكر ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ
رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ رفقاء في الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم
وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرّهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم.
٧٠- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي كونه مع من ذكر: مبتدأ، خبره ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ تفضل به عليهم لا أنهم
نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بثواب الآخرة أي فثقوا بما أخبركم به ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.
٧١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من عدوّكم أي احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فَانفِرُوا﴾ انهضوا
إلى قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾ متفرّقين سرية بعد أخرى ﴿أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين. ٧٢- ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾
ليتأخرنّ عن القتال كعبد الله بن أُبيّ المنافق وأصحابه، وجعله منهم من حيث الظاهر. واللام في الفعل
للقسم ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾﴾ حاضرا
فأصاب. ٧٣- ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادما ﴿كَأَن﴾
مخففة واسمها محذوف، أي كأنه ﴿لَّمْ تَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وصداقة، وهذا
راجع إلى قوله ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ اعترض به بين القول ومقوله وهو ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ آخذ حظا وافرا من الغنيمة. قال تعالى:
٧٤- ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾ يستشهد ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يظفر بعدوّه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ ثوابا جزيلا.

■ **أسباب لنزول الآية ١٩٩** - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾. أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كانت العرب تقف بعرفة، وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة، فأنزل الله ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾. وأخرج ابن المنذر عن أسماء بنت أبي بكر قالت: كانت قريش يقفون بالمزدلفة، ويقف الناس بعرفة إلا شيبة بن ربيعة، فأنزل الله ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾.

---

(١) انظر «الصحيح المسند من أسباب النزول» للشيخ مقبل بن هادي (ص٧٠-٧١).

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ
ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا
تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟
هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن
سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

٧٥- ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ استفهام توبيخ: أي لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَ﴾ في تخليص ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي منهم ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين يا ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ مكة ﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالكفر ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يتولى أمورنا ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ يمنعنا منهم وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وبقي بعضهم إلى أن فتحت مكة وولى ﷺ عتاب ابن أسيد، فأنصف مظلومهم من ظالمهم. ٧٦- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ الشيطان ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أنصار دينه تغلبوهم لقوتكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ واهيا لا يقاوم كيد الله بالكافرين. ٧٧- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة لأذى الكفار لهم، وهم جماعة من الصحابة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكفار أي عذابهم بالقتل ﴿كَخَشْيَةِ﴾ ــهم عذاب ﴿ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ من خشيتهم له ونصب «أشد» على الحال، وجواب «لما» دل عليه إذا وما بعدها، أي فاجأهم الخشية ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي جزعا من الموت ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ﴾ لهم ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا﴾ ما يتمتع به فيها أو الاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ﴾ آيل إلى الفناء ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ عقاب الله بترك معصيتــه ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالتاء والياء تنقصون من أعمالكــم ﴿فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ قدر قشرة النواة فجاهدوا. ٧٨- ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ حصون ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ مرتفعة فلا تخشوا القتال خوف الموت ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ خصب وسعة ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ يا محمد أي بشؤمك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلٌّ﴾ من الحسنة والسيئة ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ من قبله ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي لا يقاربون أن يفهموا ﴿حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ يلقى إليهم و«ما» استفهام تعجيب من فرط جهلهم، ونفي مقاربة الفعل أشد من نفيه. ٧٩- ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ أيها الإنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ خير ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أتتك فضلاً منه ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ بلية ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أتتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حال مؤكدة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ على رسالتك.

■ **أسباب نزول الآية ٢٠٠** – قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾ الآية: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم، يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم، ويحمل الحمالات، ويحمل الديات ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة، وذكروا آباءهم في الجاهلية، وفعال آبائهم، فنزلت هذه الآية. وأخرج ابن أبي

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

٨٠- ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن طاعته فلا يهمنك ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ حافظا لأعمالهم بل نذيرا وإلينا أمرهم فنجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٨١- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المنافقون إذا جاؤوك: أمرنا ﴿طَاعَةٞ﴾ لك ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ﴾ خرجوا ﴿مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ﴾ بإدغام التاء في الطاء وتركه، أي أضمرت ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ﴾ لك في حضورك من الطاعة أي عصيانك ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ﴾ يأمر بكتب ﴿مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾ في صحائفهم ليجازوا عليه ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ بالصفح ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ مفوّضا إليه.

٨٢- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ يتأملون ﴿ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾ وما فيه من المعاني البديعة ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾ تناقضا في معانيه وتباينا في نظمه.

٨٣- ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ﴾ عن سرايا النبي ﷺ بما حصل لهم ﴿مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ﴾ بالنصر ﴿أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾ بالهزيمة ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾ أفشوه: نزل في جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبي ﷺ ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ﴾ أي الخبر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ أي ذوي الرأي من أكابر الصحابة: أي لو سكتوا عنه حتى يخبروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو مما ينبغي أن يذاع أو لا. ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ يتتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون ﴿مِنۡهُمۡۗ﴾ من الرسول وأولي الأمر ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالإسلام ﴿وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ لكم بالقرآن ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾ . ٨٤- ﴿فَقَٰتِلۡ﴾ يا محمد ﷺ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ فلا تهتمّ بتخلفهم عنك، المعنى: قاتل ولو وحدك فإنك موعود بالنصر ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ حُثهم على القتال ورغبهم فيه ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ﴾ حرب ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا﴾ منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾ تعذيبا منهم فقال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي» فخرج بسبعين راكبا إلى بدر الصغرى فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب في قلوبهم، ومنع أبي سفيان عن الخروج كما تقدم في آل عمران. ٨٥- ﴿مَّن يَشۡفَعۡ﴾ بين الناس ﴿شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾ موافقة للشرع ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ﴾ من الأجر ﴿مِّنۡهَاۖ﴾ بسببها ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ﴾ مخالفة له ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ﴾ نصيب من الوزر ﴿مِّنۡهَاۗ﴾ بسببها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾﴾ مقتدرا فيجازي كل أحد بما عمل.

٨٦- ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ﴾ كأن قيل لكم: سلام عليكم ﴿فَحَيُّواْ﴾ المحيِّي ﴿بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ بأن تقول له: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ﴿أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ بأن تقولوا له كما قال: أي الواجب أحدهما، والأول أفضل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ محاسبا فيجازي عليه، ومنه رد السلام، وخصت السنة الكافر والمبتدع والفاسق والمسلِّم على قاضي الحاجة ومن في الحمام والآكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره في غير الأخير. ويقال للكافر: وعليك.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ
وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ
أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ
تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ
حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ
حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ
ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ
وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ
مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ
ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ
ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

٨٧- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ والله ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ من قبوركم ﴿إِلَىٰ﴾ في ﴿يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِۗ وَمَنۡ﴾ أي لا أحد ﴿أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾﴾ قولاً.

٨٨- ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم فقال فريق: نقتلهم، وقال فريق: لا. فنزل ﴿فَمَا لَكُمۡ﴾ أي ما شأنكم صرتم ﴿فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ فرقتين ﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم﴾ ردهم ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْۚ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ﴾ ـــه ﴿ٱللَّهُۖ﴾ أي تعدوهم من جملة المهتدين، والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿وَمَن يُضۡلِلِ﴾ـــه ﴿الله فلن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾﴾ طريقا إلى الهدى.

٨٩- ﴿وَدُّواْ﴾ تمنوا ﴿لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ﴾ أنتم وهم ﴿سَوَآءٗۖ﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ توالونهم وإن أظهروا الإيمان ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَخُذُوهُمۡ﴾ بالأسر ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا﴾ توالونه ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾ تنتصرون به على عدوّكم. ٩٠- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ يلجؤون ﴿إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم كما عاهد النبي ﷺ هلال ابن عويمر الأسلمي ﴿أَوۡ﴾ الذين ﴿جَآءُوكُمۡ﴾ وقد ﴿حَصِرَتۡ﴾ ضاقت ﴿صُدُورُهُمۡ﴾ عن ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ﴾ مع قومهم ﴿أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ﴾ معكم أي ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرّضوا إليهم بأخذ ولا قتل. وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ بأن يقوّي قلوبهم ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ﴾ ولكنه لم يشأ فألقى في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ الصلح أي انقادوا ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾﴾ طريقا بالأخذ والقتل.

٩١- ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ﴾ بإظهار الإيمان عندكم ﴿وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم وهم أسد وغطفان ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ دعوا إلى الشرك ﴿أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ﴾ وقعوا أشدّ وقوع ﴿فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ﴾ بترك قتالكـــم ﴿وَ﴾ لم ﴿يُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَ﴾ لم ﴿يَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ عنكـــم ﴿فَخُذُوهُمۡ﴾ بالأسر ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ﴾ وجدتموهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾﴾ برهانا بينا ظاهرا على قتلهم وسبيهم لغدرهم.

حاتم عن ابن عباس قال: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون اللهمَّ اجعله عام غيث، وعام خصب، وعام ولاء وحسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئًا، فأنزل الله فيهم ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾ ويجيء بعدهم آخرون من المؤمنين،فيقولون ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٢٠٤-** قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: لما أصيبت الســـرية التي فيها عاصم ومرثد، قال رجلان من المنـــافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أدّوا رســـالة صاحبهم، فأنزل الله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ﴾

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ
مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟
لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

٩٢- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ مُخطئًا في قتله من غير قصد ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ بأن قصد رمي غيره كصيد أو شجرة فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالبا ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ نسمة ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾ مؤدّاة ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ أي ورثة المقتول ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ يتصدّقوا عليه بها بأن يعفوا عنها وبينت السنة أنها مائة من الإبل: عشرون بنت مخاض وكذا بنات لبون وبنو لبون وحقاق وجذاع، وأنها على عاقلة القاتل، وهم عصبته في الأصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين، على الغني منهم نصف دينار والمتوسط ربعٌ كل سنة فإن لم يفوا فمن بيت المال فإن تعذر فعلى الجاني ﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتــول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله كفارة، ولا دية تسلم إلى أهله لحرابتهم المقتول ﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ عهد كأهل الذمّة ﴿فَدِيَةٌ﴾ له ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهوديا أو نصرانيا، وثلثا عشرها إن كان مجوسيا ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الرقبة بأن فقدها وما يحصلها به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى الطعام كالظهار، وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ فيما دبره لهم. ٩٣- ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله بما يقتل غالبا عالما بإيمانه ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ أبعده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النار، وهذا مؤوّل بمن يستحله، أو بأنّ هذا جزاؤه إن جُوزي، ولا بدع في خلف الوعيد لقوله ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وعن ابن عباس: أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة. وبينت آية البقرة: أنّ قاتل العمد يقتل به وأنّ عليه الدية إن عفي عنه، وسبق قدرها. وبينت السنة: أنّ بين العمد والخطأ قتلاً يسمى: شبه العمد، وهو أن يقتله بما لا يقتل غالبا، فلا قصاص فيه بل دية كالعمد في الصفة والخطأ في التأجيل والحمل، وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطأ.

٩٤- ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بني سليم وهو يسوق غنما فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا إلا تقية فقتلوه واستاقوا غنمه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم للجهاد ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟﴾ وفي قراءة فتثبتوا في الموضعين ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ بألف أو دونها [السَّلَمَ]، أي التحية أو الانقياد بقوله كلمة الشهادة التي هي أمارة على الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك فتقتلوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون بذلك ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمــة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله لماله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرّد قولكم الشهادة ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ أن تقتلوا مؤمنا وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فُعل بكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ فيجازيكم به.

لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾
۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً
وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ
فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

٩٥- ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ على الجهاد ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ بالرفع: صفة، والنصب [غَيْرَ]: استثناء، من زمانة أو عمى أو نحوه ﴿ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ ﴾ لضرر ﴿ دَرَجَةً ﴾ فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَكُلًّا ﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ الجنة ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ ﴾ لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴿٩٥﴾ ﴾ ويبدل منه.

٩٦- ﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ منصوبان بفعلهما المقدّر ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمًا﴿٩٦﴾ ﴾ بأهل طاعته. ونزل في جماعة أسلموا و لم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار:

٩٧- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قَالُوا ﴾ لهم موبخين ﴿فِيمَ كُنتُمْ ﴾ أي في أي شيء كنتم في أمر دينكم ﴿قَالُوا ﴾ معتذرين ﴿ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِي الْأَرْضِ ﴾ أرض مكة ﴿قَالُوا ﴾ لهم توبيخا ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم. قال الله تعالى ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴿٩٧﴾ ﴾ هي.

٩٨- ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾ الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ لا قوّة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴿٩٨﴾ ﴾ طريقا إلى أرض الهجرة.

٩٩- ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴿٩٩﴾ ﴾ .

١٠٠- ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا ﴾ مهاجرا ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ في الرزق ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ ﴾ في الطريق كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي ﴿ فَقَدْ وَقَعَ ﴾ ثبت ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴿١٠٠﴾ ﴾ .

١٠١- ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ ﴾ سافرتم ﴿ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ في ﴿ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ بأن تردّوها من أربع إلى اثنتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ﴾ أي ينالكم بمكروه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بيان للواقع إذ ذاك فلا مفهوم له. وبينت السنة أنّ المراد بالسفر: الطويل، وهو أربعة برد وهي مرحلتان ويؤخذ من قوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ أنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي ﴿ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴿١٠١﴾ ﴾ بيّني العداوة.

الآية. وأخرج ابن جرير عن السدي قال: نزلت في الأخنس بن شريق أقبل إلى النبي ﷺ وأظهر له الإسلام، فأعجبه ذلك منه ثم خرج فمرّ بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر، فأنزل الله الآية.

■ أسباب نزول الآية ٢٠٧ – قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ الآية، أخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده وابن

---

(١) قارن للأهمية بما قاله ابن القيم في «زاد المعاد» مبحث القصر.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟
فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ
وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟
فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ
ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

١٠٢ - ﴿وَإِذَا كُنتَ﴾ يا محمد ﷺ حاضرا ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدوّ ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب فلا مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ وتتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟﴾ أي الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟﴾ أي صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا۟﴾ أي الطائفة الأخرى ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة وقد فعل ﷺ كذلك ببطن نخل. رواه الشيخان ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمتم إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر. وهو أحد قولين للشافعي، والثاني أنه سنة ورجح ﴿وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ من العدوّ أي احترزوا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ ذا إهانة.

١٠٣ - ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فرغتم منها ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ أمنتم ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدّوها بحقوقها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا﴾ مكتوبا أي مفروضا ﴿مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ أي مقدّرا وقتها فلا تؤخر عنه.

ونزل لما بعث ﷺ طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات:

١٠٤ - ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ تضعفوا ﴿فِى ٱبْتِغَآءِ﴾ طلب ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ الكفار لتقاتلوهم ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾ تجدون ألم الجراح ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي مثلكم ولا يجبنون عن قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم فأنتم تزيدون عليهم بذلك فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ في صنعه.

١٠٥ - وسرق طعمة بن أبيرق درعا وخبأها عند يهودي فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومه النبي ﷺ أن يجادل عنه ويبرئه فنزل ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿ٱللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ كطعمة ﴿خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ مخاصما عنهم.

أبي حاتم عن سعيد بن المسيب قال: أقبل صهيب مهاجرًا إلى النبي ﷺ فاتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي قالوا: نعم، فلما قدم على النبي ﷺ المدينة قال: ربح البيع أبا يحيى ربح البيع أبا يحيى ونزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ وأخرج الحاكم في المستدرك نحوه من طريق ابن المسيب عن صهيب موصولاً.

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

١٠٦- ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ مما هممت به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾. ١٠٧- ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ كثير الخيانة ﴿أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾ أي يعاقبه[1]. ١٠٨- ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي طعمة وقومه حياء ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ علما. ١٠٩- ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿جَٰدَلْتُمْ﴾ خاصمتم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي عن طعمة وذويه. وقرئ عنه ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إذا عذبهم ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ يتولى أمرهم ويذب عنهم أي لا أحد يفعل ذلك. ١١٠- ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ ذنبا يسوء به غيره كرمي طعمة اليهودي ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ يعمل ذنبا قاصرا عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ منه أي يتب ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا﴾ له ﴿رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ به. ١١١- ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنبا ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ لأن وباله عليها ولا يضر غيره ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾ في صنعه. ١١٢- ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ ذنبا صغيرا ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ذنبا كبيرا ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ منه ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿بُهْتَٰنًا﴾ برميه ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ بيّنا بكسبه. ١١٣- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بالعصمة ﴿لَهَمَّت﴾ أضمرت ﴿طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ لأن وبال إضلالهم عليهم ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من الأحكام والغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾.

وأخرج أيضًا نحوه من مرسل عكرمة، وأخرجه أيضًا من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت عن أنس وفيه التصريح بنزول الآية، وقال: صحيح على شرط مسلم. وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: نزلت في صهيب وأبي ذر وجندب بن السكن أحد أهل أبي ذر.

■ أسباب نزول الآية ٢٠٨- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾ الآية.. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قال عبد الله بن سلام وثعلبة وابن يامين وأسد وأسيد ابنا كعب وسعيد بن عمرو وقيس بن زيد كلهم من يهود: يا رسول الله يوم السبت يوم نعظمه فدعنا فلنسبت فيه، وإن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها الليل، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٢١٤ – قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية: قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة قال: نزلت هذه الآية في يوم الأحزاب، أصاب النبي ﷺ يومئذ بلاء وحَصْرٌ.

■ أسباب نزول الآية ٢١٥- قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ الآية: أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: سأل المؤمنون رسول الله ﷺ أين يضعون أموالهم، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ الآية.

---

(١) تقدم أن هذا من التفسير باللازم مع تعطيل الصفة.

سورة النساء — الجزء الخامس

﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ١٢١﴾

٩٧

١١٤- ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ﴾ أي الناس أي ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾ نجوى ﴿مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ﴾ عمل بر ﴿أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ طلب ﴿مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ﴾ بالنون والياء، أي الله ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾. ١١٥- ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ ظهر له الحق بالمعجزات[1] ﴿وَيَتَّبِعۡ﴾ طريقا ﴿غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي طريقهم الذي هم عليه من الدين بأن يكفر ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نجعله واليا لما تولاه من الضلال بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ﴿وَنُصۡلِهِۦ﴾ ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَۖ﴾ فيحترق فيها ﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ مرجعا هي.

١١٦- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ عن الحق. ١١٧- ﴿إِن﴾ ما ﴿يَدۡعُونَ﴾ يعبد المشركون ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الله أي غيره ﴿إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ أصناما مؤنثة كاللات والعزى ومناة ﴿وَإِن﴾ ما ﴿يَدۡعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧﴾ خارجا عن الطاعة لطاعتهم له فيها وهو إبليس.

١١٨- ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾ أي الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعلن لي ﴿مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا﴾ حظا ﴿مَّفۡرُوضٗا ١١٨﴾ مقطوعا أدعوهم إلى طاعتي. ١١٩- ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ﴾ ألقي في قلوبهم: طول الحياة وأن لا بعث ولا حساب ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ يقطعن ﴿ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ وقد فعل ذلك بالبحائر ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ﴾ دينه بالكفر وإحلال ما حرم وتحريم ما أحلّ ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا﴾ يتولاه ويطيعه ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩﴾ بينا لمصيره إلى النار المؤبدة عليه. ١٢٠- ﴿يَعِدُهُمۡ﴾ طول العمر ﴿وَيُمَنِّيهِمۡ﴾ نيل الآمال في الدنيا وأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾ باطلا.

١٢١- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ١٢١﴾ معدلاً.

وأخرج ابن المنذر عن أبي حيان أن عمرو بن الجموح سأل النبي ﷺ ماذا ننفق من أموالنا، وأين نضعها، فنزلت.

■ **أسباب نزول الآية ٢١٧** - قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ الآية: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «سننه» عن جندب بن عبد الله: أن رسول الله بعث رهطًا، وبعث عليهم عبد الله بن جحش، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِ﴾ الآية. فقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزرًا ليس لهم أجر، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ وأخرجه ابن منده في «الصحابة» من طريق عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس.

---

(١) قلت: صدق الأنبياء لا ينحصر في المعجزات، بل أيضًا يعرف صدقهم بقرائن أحوالهم. وانظر كتاب «النبوات» لشيخ الإسلام.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾

٩٨

١٢٢- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗا﴾ أي وعدهم الله ذلك وحقه حقا ﴿وَمَنۡ﴾ أي لا أحد ﴿أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾﴾ أي قولاً.

١٢٣- ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب ﴿لَّيۡسَ﴾ الأمر منوطا ﴿بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ بل بالعمل الصالح ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ إما في الآخرة أو في الدنيا بالبلاء والمحن كما ورد في الحديث ﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيّٗا﴾ يحفظه ﴿وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾﴾ يمنعه منه.

١٢٤- ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ﴾ شيئا ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل [يَدْخُلون] ﴿ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾﴾ قدر نقرة النواة.

١٢٥- ﴿وَمَنۡ﴾ أي لا أحد ﴿أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ﴾ أي انقاد وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ موحد ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفٗاۗ﴾ حال. أي مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾﴾ صفيا خالص المحبة له.

١٢٦- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾﴾ علما وقدرة أي لم يزل متصفا بذلك.

١٢٧- ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي﴾ شأن ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ وميراثهن ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن من آية الميراث ويفتيكم أيضا ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾ فرض ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرۡغَبُونَ﴾ أيها الأولياء عن ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن وتعضلوهن أن يتزوجن طمعا في ميراثهن، أي يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ الصغار ﴿مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ أن تعطوهم حقوقهم ﴿وَ﴾ يأمركم ﴿أَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾﴾ فيجازيكم به.

■ **أسباب نزول الآية ٢١٩-** قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ﴾: يأتي حديثها في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾. أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس: أن نفرًا من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي ﷺ فقالوا: إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا، فما ننفق منها؟ فأنزل الله: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾. وأخرج أيضًا عن يحيى أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله إن لنا أرقاء وأهلين فما ننفق من أموالنا؟ فأنزل الله هذه الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٢٢٠-** قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾. أخرج أبو داود والنسائي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ الآية. انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ الآية.

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ
الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا
بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ
فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا
مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ
اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ
اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

١٢٨- ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿ خَافَتْ ﴾ توقعت ﴿ مِنۢ بَعْلِهَا ﴾ زوجها ﴿ نُشُوزًا ﴾ ترفعا عليها بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها لبغضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿ أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ عنها بوجهه ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي قراءة يُصلحا من أصلح ﴿ بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ في القسم والنفقة بأن تترك له شيئا طلبا لبقاء الصحبة فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ من الفرقة والنشوز والإعراض، قال تعالى في بيان ما جبل عليه الإنسان ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾ شدّة البخل أي جبلت عليه فكأنها حاضرته لا تغيب عنه، المعنى أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿ وَإِن تُحْسِنُوا ﴾ عشرة النساء ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ الجور عليهن ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ فيجازيكم به. ١٢٩- ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا ﴾ تسووا ﴿ بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ في المحبة ﴿ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ على ذلك ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ ﴾ إلى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿ فَتَذَرُوهَا ﴾ أي تتركوا الممـــال عنها ﴿ كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ التي لا هي أيم ولا ذات بعل ﴿ وَإِن تُصْلِحُوا ﴾ بالعدل بالقسم ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ الجور ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا ﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿ رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ بكم في ذلك. ١٣٠- ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا ﴾ أي الزوجان بالطلاق ﴿ يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا ﴾ عن صاحبه ﴿ مِّن سَعَتِهِ ﴾ أي فضله بأن يرزقها زوجا غيره ويرزقه غيرها ﴿ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا ﴾ لخلقه في الفضل ﴿ حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ فيما دبره لهم. ١٣١- ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ بمعنى الكتب ﴿ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ يا أهل القرآن ﴿ أَنِ ﴾ أي بأن ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿ وَ ﴾ قلنا لهم ولكم ﴿ إِن تَكْفُرُوا ﴾ بما وصيتم به ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ خلقا وملكا وعبيدا فلا يضره كفركم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ محمودا في صنعه بهم. ١٣٢- ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ كرّره تأكيدا لتقرير موجب التقوى ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ ﴾ شهيدا بأنّ ما فيهما له. ١٣٣- ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ يا ﴿ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾ بدلكم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ . ١٣٤- ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ﴾ بعمله ﴿ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ لمن أراده لا عند غيره فلم يطلب أحدهم الأخس وهلا طلب الأعلى بإخلاصه له حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده؟ ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ .

■ أسباب نزول الآية ٢٢١ - قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والواحدي عن مقاتل قال: نزلت هذه الآية في ابن أبي مرثد الغنوي استأذن النبي ﷺ في عناق أن يتزوجها، وهي مشركة، وكانت ذات حظ وجمال، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ ﴾ الآية. أخرج الواحدي من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم أنه فزع فأتى النبي ﷺ فأخبره وقال لأعتقنهـــا ولأتزوجنها ففعل، فطعن عليه ناس، وقالوا ينكح أمة،

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ
وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن
تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ
ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى
ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

١٣٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ قائمين ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَآءَ﴾ بالحق ﴿لِلَّهِ وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فاشهدوا عليها بأن تقرّوا بالحق ولا تكتموه ﴿أَوِ﴾ على ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ منكم وأعلم بمصالحهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ في شهادتكم بأن تحابوا الغني لرضاه أو الفقير رحمة له لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَعْدِلُواْ ۚ﴾ تميلوا عن الحق ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾ تحرفوا الشهادة، وفي قراءة بحذف الواو الأولى تخفيفا [تَلُوا] ﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ عن أدائها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ فيجازيكم به.

١٣٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ وهو القرآن ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ على الرسل بمعنى الكتب، وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين [والكتاب الذي نَزَّل، والكتاب الذي أَنْزَل] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ عن الحق.

١٣٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بموسى وهم اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعبادة العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ طريقا إلى الحق.

١٣٨- ﴿بَشِّرِ﴾ أخبر يا محمد ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ مؤلما هو عذاب النار.

١٣٩- ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل أو نعت للمنافقين ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوّة ﴿أَيَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ استفهام إنكار: أي لا يجدونها عندهم ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ في الدنيا والآخرة ولا ينالها إلا أولياؤه.

١٤٠- ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول [نُزِّل] ﴿عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن في سورة الأنعام ﴿أَنْ﴾ مخففة واسمها محذوف، أي إنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ﴾ أي الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا﴾ إن قعدتم معهم ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ في الإثم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

فأنزل الله هذه الآية، وأخرجه ابن جرير عن السدي منقطعًا.

■ أسباب نزول الآية ٢٢٢ — قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ الآية، روى مسلم والترمذي عن أنس. أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها و لم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ، فأنزل الله ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ الآية، فقال: اصنعوا كل شيء إلا النكاح. وأخرج الباوردي في الصحابة من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس أن ثابت بن الدحداح سأل النبي ﷺ، فنزلت ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن السدي نحوه.

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَاعْتَصَمُوا۟ بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

١٤١- ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من الذين قبله ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائر ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿مِّنَ اللَّهِ قَالُوٓا۟﴾ لكم ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوٓا۟﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾ نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَ﴾ ألم ﴿نَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم فلنا عليكم المنة، قال تعالى ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ طريقا بالاستئصال.

١٤٢- ﴿إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ اللَّهَ﴾ بإظهارهم خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ مجازيهم على خداعهم [1] فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلين ﴿يُرَآءُونَ النَّاسَ﴾ بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ يصلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء. ١٤٣- ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ مترددين ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿لَآ﴾ منسوبين ﴿إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي الكفار ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي المؤمنين ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾ ـه ﴿اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ طريقا إلى الهدى. ١٤٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بموالاتهم ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ برهانا بيِّنا على نفاقكم. ١٤٥- ﴿إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ فِى الدَّرْكِ﴾ المكان ﴿الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو قعرها ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ مانعا من العذاب. ١٤٦- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ عملهم ﴿وَاعْتَصَمُوا۟﴾ وثقوا ﴿بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من الرياء ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما يؤتونه ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ في الآخرة هو الجنة.

١٤٧- ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمه ﴿وَءَامَنتُمْ﴾ به، والاستفهام بمعنى النفي، أي لا يعذبكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ بخلقه.

■ **أسباب نزول الآية ٢٢٣**- قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الآية. روى الشيخان وأبو داود والترمذي عن جابر قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ وأخرج أحمد والترمذي عن ابن عباس قال: جاء عمر إلى رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله: هلكت، قال: وما أهلكك؟ قال: حولت رحلي الليلة فلم يرد عليه شيئًا، فأنزل الله هذه الآية ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة. وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً أصاب امرأته في دبرها فأنكر الناس عليه ذلك فأنزلت ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الآية، وأخرج البخاري عن ابن عمر قال: أنزلت هذه الآية في إتيان النساء في أدبارهن، وأخرج الطبراني في الأوسط بسند جيد عنه قال:

---

(١) تقدم أن الله تبارك وتعالى يخدعهم على الحقيقة ولا يلزم من ذلك أي نقص بل هذا من الكمال لأنه في مقابلة خداعهم. وانظر ما تقدم عند الآية (١٥) من سورة البقرة.

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ
اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن
سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ
أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ
حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ
يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ
أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا
مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ
الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾
وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

١٤٨ - ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من أحد أي يعاقبه عليه [1] ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ بما يفعل. ١٤٩ - ﴿إِن تُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ من أعمال البر ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تعملوه سرا ﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ﴾ ظلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾. ١٥٠ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأن يؤمنوا به دونهم ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ من الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ طريقا يذهبون إليه. ١٥١ - ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ ذا إهانة هو عذاب النار. ١٥٢ - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ بالياء والنون [نؤتيهم] ﴿أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ بأهل طاعته. ١٥٣ - ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كما أنزل على موسى، تعنتا، فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي آباؤهم ﴿مُوسَىٰ أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ عيانا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الموت عقابا لهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ حيث تعنتوا في السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجزات على وحدانية الله ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ و لم نستأصلهم ﴿وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ تسلطا بينا ظاهرا عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه. ١٥٤ - ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ وهو مظل عليهم ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال [تَعَدُّوا]، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال: أي لا تعتدوا ﴿فِي السَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ على ذلك فنقضوه.

إنما أنزلت على الرسول ﷺ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ رخصة في إتيان الدبر. وأخرج أيضًا عنه: أن رجلاً أصاب امرأة في دبرها في زمن رسول الله ﷺ فأنكر ذلك فأنزل الله ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ وأخرج أبو داود والحاكم عن ابن عباس قال: إن ابن عمر والله يغفر له وهِمَ، إنما كان أهل هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود، وهم أهل كتاب كانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب أنهم لا يأتون النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة. وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحًا ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت: إنما كنا نؤتى على حرف فسرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾

(١) وهذا أيضًا من التفسير باللازم وقد تقدم الكلام عليه.

فِبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ
بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ
أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

١٥٥ - ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم ﴾ «ما» زائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف: أي لعناهم بسبب نقضهم ﴿ مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ ﴾ للنبي ﷺ ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ لا تعي كلامك ﴿ بَلْ طَبَعَ ﴾ ختم ﴿ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ فلا تعي وعظا ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه. ١٥٦ - ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ ﴾ ثانيا بعيسى وكرّر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾ حيث رموها بالزنى.

١٥٧ - ﴿ وَقَوْلِهِمْ ﴾ مفتخرين ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ في زعمهم أي بمجموع ذلك عذبناهم، قال تعالى تكذيبا لهم ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ المقتول والمصلوب وهو صاحبهم بعيسى أي ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ أي في عيسى ﴿ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ من قتله، حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول: الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به، وقال آخرون: بل هو هو ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ ﴾ بقتله ﴿ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ ﴾ استثناء منقطع: أي لكن يتبعون فيه الظنّ الذي تخيّلوه ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ حال مؤكدة لنفي القتل.

١٥٨ - ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا ﴾ في ملكه ﴿ حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ في صنعه.

١٥٩ - ﴿ وَإِن ﴾ ما ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أحد ﴿ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ بعيسى ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ أي الكتابي حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه، أو قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة كما ورد في حديث ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ ﴾ عيسى ﴿ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ بما فعلوه لما بعث إليهم.

١٦٠ - ﴿ فَبِظُلْمٍ ﴾ أي فبسبب ظلم ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ هم اليهود ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ هي التي في قوله تعالى ﴿ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ الآية ﴿ وَبِصَدِّهِمْ ﴾ الناس ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ دينه صدا ﴿ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾.

١٦١ - ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ في التوراة ﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ بالرشا في الحكم ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ مؤلما.

١٦٢ - ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ الثابتون ﴿ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ كعبد الله بن سلام ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ ﴾ من الكتب ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ ﴾ نصب على المدح وقرئ بالرفع ﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ ﴾ بالنون والياء ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ هو الجنة.

أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري السبب الذي ذكره ابن عمر في نزول الآية مشهور، وكأن حديث أبي سعيد حديث لم يبلغ ابن عباس وبلغه حديث ابن عمر فوهمه فيه.

إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ
وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ
تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا
﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا
﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا
لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ
ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

١٦٣- ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَ﴾ كما ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ ابنيه ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾ ابن إسحاق ﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا﴾ أباه ﴿دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾﴾ بالفتح اسم للكتاب المؤتى، والضم [زُبورًا] مصدر بمعنى مزبورا أي مكتوبا. ١٦٤- ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿رُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبيّ: أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس، قاله الشيخ [1] في سورة غافر ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ بلا واسطة ﴿تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾.

١٦٥- ﴿رُّسُلٗا﴾ بدل من رسلاً قبله ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ بالثواب من آمن ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعقاب من كفر، أرسلناهم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ﴾ تقال ﴿بَعۡدَ﴾ إرسال ﴿ٱلرُّسُلِۚ﴾ إليهم فيقولوا ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فبعثناهم لقطع عذرهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾﴾ في صنعه. ١٦٦- ونزل لما سئل اليهود عن نبوته ﷺ فأنكروه ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ يبين نبوّتك ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾ من القرآن المعجز ﴿أَنزَلَهُۥ﴾ ملتبسا ﴿بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ أي عالما به، أو وفيه علمه ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ لك أيضا ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ على ذلك.

١٦٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام بكتمهم نعت محمد ﷺ وهم اليهود ﴿قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ عن الحق. ١٦٨- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَظَلَمُواْ﴾ نبيه بكتمان نعته ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾﴾ من الطرق. ١٦٩- ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي الطريق المؤدّي إليها ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مقدّرين الخلود ﴿فِيهَآ﴾ إذا دخلوها ﴿أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾﴾ هينا. ١٧٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ﴾ به واقصدوا ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ مما أنتم فيه ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾ به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا فلا يضرّه كفركم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾﴾ في صنعه بهم.

◙ أسباب نزول الآية ٢٢٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: حدثت أن قوله ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ الآية، نزلت في أبي بكر في شأن مسطح.

◙ أسباب نزول الآية ٢٢٨ - قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ﴾ الآية، أخرج أبو داود وابن أبي حاتم عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية قالت: طلقت على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة، فانزل الله العدة للطلاق ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ وذكر الثعلبي وهبة الله بن سلامة في الناسخ عن الكلبي ومقاتل أن إسماعيل بن عبد الله الغفاري طلق امرأته قتيلة على عهد رسول الله ولم يعلم بحملها ثم علم فراجعها فولدت فماتت ومات ولدها، فنزلت: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾.

---

(١) أي: جلال الدين المحلي.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ
عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ
ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ
وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ لَّن يَسۡتَنكِفَ
ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ
وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ
إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ
فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥

١٧١- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الإنجيل ﴿لَا تَغۡلُواْ﴾ تتجاوزوا الحدّ ﴿فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا﴾ القول ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ﴾ أوصلها الله ﴿إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ﴾ أي ذو روح ﴿مِّنۡهُ﴾ أضيف إليه تعالى تشريفا له وليس كما زعمتم ابن الله أو إلها معه أو ثالث ثلاثة لأن ذا الروح مركب، والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ﴾ الآلهة ﴿ثَلَٰثَةٌۚ﴾ الله وعيسى وأمّه ﴿ٱنتَهُواْ﴾ عن ذلك وأتوا ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ منه وهو التوحيد ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾ تنزيها له عن ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ خلقا وملكا وعبيدا، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ شهيدًا على ذلك. ١٧٢- ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ﴾ يتكبر ويأنف ﴿ٱلۡمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إله عن ﴿أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيدا وهذا من أحسن الاستطراد، ذكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله، كما ردّ بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك، المقصود خطابهم ﴿وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾ في الآخرة. ١٧٣- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ مؤلما هو عذاب النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيّٗا﴾ يدفعه عنهم ﴿وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣﴾ يمنعهم منه. ١٧٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ﴾ حجة ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ عليكم وهو النبي ﷺ ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ بيّنا وهو القرآن. ١٧٥- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا﴾ طريقا ﴿مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾ هو دين الإسلام.

■ **أسباب نزول الآية ٢٢٩**- قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ الآية، أخرج الترمذي والحاكم وغيرهما عن عائشة قالت: كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة مرة وأكثر حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني ولا آويك أبدًا، قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك فذهبت المرأة فأخبرت النبي ﷺ، فسكت حتى نزل القرآن ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ﴾ الآية، أخرج أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس قال: كان الرجل يأكل مال امرأته من نحله الذي نحلها وغيره لا يرى أن عليه جناحًا فأنزل الله ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾. أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال:نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس، وفي حبيبة وكانت اشتكته إلى رسول الله ﷺ فقال: أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم، فدعاه فذكر ذلك له، قال: وتطيب لي بذلك؟ قال: نعم، قال: قد فعلت، فنزلت: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٢٣٠**- قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن مقاتل بن حيان قال: نزلت هذه الآية في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك، كانت عند رفاعة بن وهب بن عتيك وهو ابن عمها، فطلقها طلاقًا بائنًا، فتزوجت بعده عبدالرحمن ابن الزبير القرظي، فطلقها فأتت النبي ﷺ فقالت إنه طلقني قبل أن يمسني أفأرجع إلى الأول؟ قال ﷺ لا حتى يمسّ، ونزل فيها ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ فيجامعها فإن طلقها بعدما جامعها فلا جناح عليهما أن يتراجعا.

سورة النساء — سورة المائدة

يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ
لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ
إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ
وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦

سُورَةُ المَائِدَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ
ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ
يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ
وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ
ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ
وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ
عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢

١٧٦ - ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ في الكلالة ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ أي ولا والد وهو الكلالة ﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ﴾ من أبوين أو أب ﴿فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ﴾ أي الأخ كذلك ﴿يَرِثُهَآ﴾ جميع ما تركت ﴿إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ﴾ فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء له أو أنثى فله ما فضل عن نصيبها، ولو كانت الأخت أو الأخ من أمّ ففرضه السدس كما تقدّم أوّل السورة ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي الأختان ﴿ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ أي فصاعدا لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ﴾ الأخ ﴿وَإِن كَانُوٓاْ﴾ أي الورثة ﴿إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ شرائع دينكم لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾ ومنه الميراث. روى الشيخان عن البراء أنها آخر آية نزلت: أي من الفرائض.(1)

سورة المائدة

مدنية وآياتها ١٢٠ أو واثنتان، أو وثلاث آية نزلت بعد الفتح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ العهود المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ تحريمه في ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ﴾ أي محرمون، ونصب «غير» على الحال من ضمير لكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه.

٢ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ جمع شعيرة أي معالم دينه بالصيد في الإحرام ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ﴾ ما أهدي إلى الحرم من النعم بالتعرّض له ﴿وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ جمع قلادة، وهي ما كان يقلد به من شجر الحرم ليأمن، أي فلا تتعرّضوا لها ولا لأصحابها ﴿وَلَآ﴾ تحلوا ﴿ءَآمِّينَ﴾ قاصدين ﴿ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ بأن تقاتلوهم ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا﴾ رزقا ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ بالتجارة ﴿وَرِضۡوَٰنٗاۚ﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد، وهذا منسوخ بآية براءة ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ﴾ من الإحرام ﴿فَٱصۡطَادُواْۚ﴾ أمر إباحة ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ يكسبنكم ﴿شَنَـَٔانُ﴾ بفتح النون [شَنَآنُ] وسكونها [شَنۡآنُ]، بُغض ﴿قَوۡمٍ﴾ لأجل ﴿أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ﴾ فعل ما أمرتم به ﴿وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ بترك ما نهيتم عنه ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿عَلَى ٱلۡإِثۡمِ﴾ المعاصي ﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ التعدّي في حدود الله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ لمن خالفه.

■ **أسباب نزول الآية ٢٣١**- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ﴾ الآية أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها بعد انقضاء عدتها، ثم يطلقها يفعل

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري (التفسير/ ٤٦٠٥/ فتح)، ومسلم في (الفرائض/١٦١٨/ عبد الباقي).

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

٣- ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ أي أكلها ﴿ وَٱلدَّمُ ﴾ أي المسفوح كما في الأنعام ﴿ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ بأن يذبح على اسم غيره ﴿ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ ﴾ الميتة خنقاً ﴿ وَٱلْمَوْقُوذَةُ ﴾ المقتولة ضرباً ﴿ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ ﴾ الساقطة من علو إلى أسفل فماتت ﴿ وَٱلنَّطِيحَةُ ﴾ المقتولة بنطح أخرى لها ﴿ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ ﴾ منه ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ أي أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ﴾ اسم ﴿ ٱلنُّصُبِ ﴾ جمع نصاب وهي الأصنام ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ ﴾ تطلبوا القسم والحكم ﴿ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ﴾ جمع زلم بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام، قدح - بكسر القاف - صغير لا ريش له ولا نصل، وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام، وكانوا يحكمونها فإن أمرتهم ائتمروا وإن نهتهم انتهوا ﴿ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ﴾ خروج عن الطاعة. ونزل يوم عرفة عام حجة الوداع ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ ﴾ أن ترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوّته ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾ بإكماله، وقيل بدخول مكة آمنين ﴿ وَرَضِيتُ ﴾ أي اخترت ﴿ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ ﴾ مجاعة إلى أكل شيء مما حرم عليه فأكله ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ ﴾ مائل ﴿ لِّإِثْمٍ ﴾ معصية ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ له ما أكل ﴿ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ به في إباحته له، بخلاف المائل لإثم أي المتلبس به كقاطع الطريق والباغي مثلاً فلا يحل له الأكل. ٤- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ من الطعام ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ المستلذات ﴿ وَ ﴾ صيد ﴿ مَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ ﴾ الكواسب من الكلاب والسباع والطير ﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾ حال من كلبت الكلب بالتشديد: أي أرسلته على الصيد ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ ﴾ حال من ضمير مكلبين، أي تؤدّبونهن ﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ من آداب الصيد ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ وإن قتلن بأن لم يأكلن منه، بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها، وعلامتها أن تسترسل إذا أرسلت وتنزجر إذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه. وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فإن أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبهن فلا يحل أكله كما في حديث الصحيحين.(١) وفيه أن صيد السهم إذا أرسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ عند إرساله ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾. ٥- ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ ﴾ المستلذات ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي ذبائح اليهود والنصارى ﴿ حِلٌّ ﴾ حلال ﴿ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ ﴾ إياهم ﴿ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ ﴾ الحرائر ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ حلّ لكم أن تنكحوهن ﴿ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهن ﴿ مُحْصِنِينَ ﴾ متزوّجين ﴿ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ معلنين بالزنى بهن ﴿ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾ منهن تسرون بالزنى بهنّ ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ أي يرتدّ ﴿ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ الصالح قبل ذلك فلا يعتدّ به ولا يثاب عليه ﴿ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ إذا مات عليه.

---

(١) انظر تخريج الأحاديث الواردة في ذلك في تخريجي لابن كثير.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ
وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ
وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ
أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا
فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ
وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (٦)
وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم
بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ (٧) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ
شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (٨) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ (٩)

٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ﴾ أي أردتم القيام ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وأنتم محدثون ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ أي معها كما بينته السنة ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ الباء للإلصاق أي ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء – وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه، وهو مسح بعض الشعرة – وعليه الشافعي ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ بالنصب عطفا على أيديكم وبالجر على الجوار ﴿إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ أي معهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتئان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم. والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء[1] وعليه الشافعي، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ فاغتسلوا ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ﴾ مرضا يضره الماء ﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ أي أحدث ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ سبق مثله في آية النساء ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾ بعد طلبه ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ اقصدوا ﴿صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ ترابا طاهرا ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم﴾ مع المرفقين ﴿مِّنۡهُۚ﴾ بضربتين والباء للإلصاق. وبينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ من الأحداث والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالإسلام ببيان شرائع الدين ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (٦)﴾ نعمه.

٧- ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَٰقَهُ﴾ عهده ﴿ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ عاهدكم عليه ﴿إِذۡ قُلۡتُمۡ﴾ للنبي ﷺ حين بايعتموه ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ في كل ما تأمر به وتنهى [عنه] مما نحب ونكره ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ في ميثاقه أن تنقضوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٧)﴾ بما في القلوب فبغيره أولى. ٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ قائمين ﴿لِلَّهِ﴾ بحقوقه ﴿شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ بالعدل ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ يحملنكم ﴿شَنَـَٔانُ﴾ بغض ﴿قَوۡمٍ﴾ أي الكفار ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾ فتنالوا منهم لعداوتهم ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ في العدو والولي ﴿هُوَ﴾ أي العدل ﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (٨)﴾ فيجازيكم به.

٩- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وعدا حسنا ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ (٩)﴾ هو الجنة.

ذلك يضارها ويعضلها، فأنزل الله هذه الآية. وأخرج عن السدي قال: نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى إذا انقضت عدها إلا يومين أو ثلاثة راجعها ثم طلقها مضارة، فأنزل الله ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ أخرج ابن أبي عمر في مسنده وابن مردويه عن أبي الدرداء قال: كان الرجل يطلق ثم يقول: لعبت ويعتق ثم يقول لعبت، فأنزل الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ وأخرج ابن المنذر عن عبادة بن الصامت نحوه وأخرج ابن مردويه نحوه عن ابن عباس. وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل الحسن.

---

(١) ثبت أن النبي ﷺ توضأ غير مرتب فدل على استحباب الترتيب لا وجوبه وانظر ذلك في إتمام المنة.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ
إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا
نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا
ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۖ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

١٠- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾.

١١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ هم قريش ﴿أَنْ يَبْسُطُوا﴾ يمدوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ ليفتكوا بكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٢- ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بما يذكر بعد ﴿وَبَعَثْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة، أقمنا ﴿مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصرة ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ أخطأ طريق الحق، والسواء في الأصل: الوسط. فنقضوا الميثاق. قال تعالى:

١٣- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾ «ما» زائدة ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدلونه ﴿وَنَسُوا﴾ تركوا ﴿حَظًّا﴾ نصيبا ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا﴾ أمروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﷺ ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَىٰ خَائِنَةٍ﴾ أي خيانة ﴿مِنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ ممن أسلم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ وهذا منسوخ بآية السيف.

■ أسباب نزول الآية ٢٣٢ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية، روى البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم عن معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين فكانت عنده، ثم طلقها تطليقة و لم يراجعها حتى انقضت العدة. فهويها وهويته، فخطبها مع الخطاب، فقال له: يا لكع أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها والله لا ترجع إليك أبدًا، فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إليه فأنزل الله ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلما سمعها معقل قال: سمع لربي وطاعة، ثم دعاه وقال: أزوجك وأكرمك. وأخرجه ابن مردويه من طرق كثيرة ثم أخرج عن السدي قال: نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري، وكانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فانقضت عدتها، ثم رجع يريد رجعتها، فأبى جابر، فقال: طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها الثانية، وكانت المرأة تريد زوجها قد راضته، فنزلت هذه الآية، والأول أصح، وهو أقوى.

■ أسباب نزول الآية ٢٣٨ - قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ الآية، أخرج أحمد والبخاري في تاريخه وأبو داود والبيهقي وابن جرير عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهاجرة، وكانت أثقل الصلاة على أصحابه، فنزلت ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾. أخرج أحمد والنسائي وابن جرير عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان والناس في قائلتهم وتجارتهم، فأنزل الله ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ وأخرج الأئمة الستة وغيرهم عن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم على عهد رسول الله ﷺ في الصلاة يكلم الرجل

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ
فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ
وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ (١٤) يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ
قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا
كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن
كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ
مُّبِينٞ (١٥) يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ
سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى
ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
(١٦) لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ
ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ
أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (١٧)

١٤- ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ متعلق بقوله ﴿أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل اليهود ﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ في الإنجيل من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾ أوقعنا ﴿بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ بتفرّقهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ (١٤)﴾ فيجازيهم عليه.

١٥- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ﴾ تكتمون ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ التوراة والإنجيل كآية الرجم وصفته ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ من ذلك فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَكِتَٰبٞ﴾ قرآن ﴿مُّبِينٞ (١٥)﴾ بين ظاهر.

١٦- ﴿يَهۡدِي بِهِ﴾ أي بالكتاب ﴿ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ بأن آمن ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ طرق السلامة ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ بإرادته ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (١٦)﴾ دين الإسلام.

١٧- ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ حيث جعلوه إلها وهم اليعقوبية فرقة من النصارى ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ﴾ أي يدفع ﴿مِنَ﴾ عذاب ﴿ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ أي لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلها لقدر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ شاءه ﴿قَدِيرٞ (١٧)﴾.

منا صاحبه وهو على جنبه إلى الصلاة حتى نزلت ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كانوا يتكلمون في الصلاة وكان الرجل يأمر أخاه بالحاجة، فأنزل الله ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٢٤٠- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا﴾ الآية. أخرج إسحق بن راهويه في تفسيره عن مقاتل بن حيان: أن رجلاً من أهل الطائف قدم المدينة وله أولاد رجال ونساء، ومعه أبواه وامرأته، فمات بالمدينة فرفع ذلك إلى النبي ﷺ، فأعطى الوالدين، وأعطى أولاده بالمعروف ولم يعط امرأته شيئًا، غير أنهم أمروا أن ينفقوا عليها من تركة زوجها إلى الحول، وفيه نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٢٤١- قوله تعالى: ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: لما نزلت ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾. قال رجل: إن أحسنت فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل، فأنزل الله ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٢٤٥- قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾ الآية، روى ابن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عمر قال: لما نزلت ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ إلى آخرها قال رسول الله ﷺ : رب زد أمتي، فنزلت ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا
مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا
وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا
الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ
فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ
وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا
فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

١٨- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ﴾ أي كل منهما ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أي كأبنائه في القرب والمنزلة وهو كأبينا في الرحمة والشفقة ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ﴾ لهم يا محمد ﷺ ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ إن صدقتم في ذلك ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم فأنتم كاذبون ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ﴾ من جملة من ﴿خَلَقَ﴾ من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه لا اعتراض عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ المرجع. ١٩- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ شرائع الدين ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ انقطاع ﴿مِّنَ الرُّسُلِ﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول. ومدّة ذلك خمسمائة وتسع وستون سنة لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تقولوا﴾ إذا عذبتم ﴿مَا جَاءَنَا مِن﴾ زائدة ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلا عذر لكم إذا ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه. ٢٠- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ أي منكم ﴿أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ أصحاب خدم وحشم ﴿وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ من المنّ والسلوى وفلق البحر وغير ذلك. ٢١- ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ المطهرة ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أمركم بدخولها وهي الشام ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ تنهزموا خوف العدوّ ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ في سعيكم. ٢٢- ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ من بقايا عاد طوالاً ذوي قوّة ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ لها. ٢٣- ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ مخالفة أمر الله وهما يوشع وكالب من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبابرة ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة فكتما ما اطلعا عليه من حالهم إلا عن موســى بخلاف بقية النقباء فأفشــوه فجبنوا ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ باب القرية ولا تخشوهم فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ قالا ذلك تيقنا بنصر الله وإنجاز وعده ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ .

■ أسباب نزول الآية ٢٥٦- قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ روى أبو داود والنسائي وابن حبان عن ابن عباس قال: كانت المرأة مقلاة، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو مسلمًا، فقال للنبي ﷺ ألا أستكرههما، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله الآية.

■ أسباب نزول الآية ٢٥٧- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أخرج ابن جرير عن عبدة بن أبي لبابة في قوله ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: هم الذين كانوا آمنوا بعيسى، فلما جاءهم محمد ﷺ آمنوا به، وأنزلت فيهم هذه الآية. وأخرج عن مجاهد قال: كان قوم آمنوا بعيسى، وقوم كفروا به. فلما بعث محمد، ﷺ آمن به الذين كفروا بعيسى، وكفر به الذين آمنوا بعيسى، فأنزل الله هذه الآية.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ
يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ
﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا
فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ
مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ
لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي
سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا
ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

٢٤- ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾ هم ﴿ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ عن القتال.

٢٥- ﴿ قَالَ ﴾ موسى حينئذ ﴿ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَ﴾ إلا ﴿ أَخِيۖ ﴾ ولا أملك غيرهما فأجبرهم على الطاعة ﴿ فَٱفۡرُقۡ ﴾ فافصل ﴿ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

٢٦- ﴿ قَالَ ﴾ تعالى لـه ﴿ فَإِنَّهَا ﴾ أي الأرض المقدّسة ﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أن يدخلوها ﴿ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ يَتِيهُونَ ﴾ يتحيرون ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ وهي تسعة فراسخ قاله ابن عباس ﴿ فَلَا تَأۡسَ ﴾ تحزن ﴿ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدؤوا منه، ويسيرون النهر كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين. قيل وكانوا ستمائة ألف. ومات هارون وموسى في التيه وكان رحمة لهما وعذابا لأولئك. وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدّسة رمية بحجر فأدناه كما في الحديث.[1] ونبئ يوشع بعد الأربعين وأمر بقتال الجبارين، فسار بمن بقي معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة، ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم. وروى أحمد في مسنده حديث «إنّ الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالِيَ سار إلى بيت المقدس».

٢٧- ﴿ وَٱتۡلُ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ على قومك ﴿ نَبَأَ ﴾ خبر ﴿ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ ﴾ هابيل وقابيل ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾ متعلق بـ «اتل» ﴿ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا ﴾ إلى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل ﴿ فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا ﴾ وهو هابيل بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿ وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ ﴾ وهو قابيل فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿ قَالَ ﴾ له ﴿ لَأَقۡتُلَنَّكَ ﴾ قال: لم؟ قال: لتقبل قربانك دوني ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٢٨- ﴿ لَئِنۢ ﴾ لام قسم ﴿ بَسَطتَ ﴾ مددت ﴿ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ في قتلك.

٢٩- ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ ﴾ ترجع ﴿ بِإِثۡمِي ﴾ بإثم قتلي ﴿ وَإِثۡمِكَ ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ ﴾ ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك فأكون منهم. قال تعالى ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

٣٠- ﴿ فَطَوَّعَتۡ ﴾ زينت ﴿ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ ﴾ فصار ﴿ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ بقتله، ولم يدر ما يصنع به لأنه أوّل ميت على وجه الأرض من بني آدم فحمله على ظهره.

٣١- ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ينبش التراب بمنقاره وبرجليه، ويثيره على غراب ميت معه حتى واراه ﴿ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ ﴾ يستر جيفة ﴿ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ ﴾ عن ﴿ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ على حمله، وحفر له وواراه.

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري (الجنائز/ ١٣٣٩/ فتح)، ومسلم في (الفضائل/٢٣٧٢/ عبد الباقي).

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

٣٢- ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ﴾ الذي فعله قابيل ﴿ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ ﴾ أي الشأن ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ قتلها ﴿ أَوْ ﴾ بغير ﴿ فَسَادٍ ﴾ أتاه ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ من كفر أو زنى أو قطع طريق أو نحوه ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾ بأن امتنع من قتلها ﴿ فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ قال ابن عباس: من حيث انتهاك حرمتها وصونها ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ ﴾ أي بني إسرائيل ﴿ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ المعجزات ﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ مجاوزون الحدّ بالكفر والقتل وغير ذلك.

٣٣- ونزل في العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ بمحاربة المسلمين ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ بقطع الطريق ﴿ أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ أي أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أو لترتيب الأحوال فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والقطع لمن أخذ المال و لم يقتل، والنفي لمن أخاف فقط: قاله ابن عباس وعليه الشافعي، وأصح قوليه أن الصلب ثلاثا بعد القتل، وقيل قبله قليلا، ويلحق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الجزاء المذكور ﴿ لَهُمْ خِزْيٌ ﴾ ذلّ ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ هو عذاب النار.

٣٤- ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ من المحاربين والقطّاع ﴿ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لهم ما أتوه ﴿ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ بهم، عبر بذلك دون: فلا تحدّوهم ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين: كذا ظهر لي، و لم أر من تعرّض له. والله أعلم. فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب، وهو أصح قولي الشافعي، ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئا، وهو أصح قوليه أيضا.

٣٥- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿ وَٱبْتَغُوٓا۟ ﴾ اطلبوا ﴿ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ ما يقرّ بكم إليه من طاعته ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِي سَبِيلِهِۦ ﴾ لإعلاء دينه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ تفوزون.

٣٦- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ ﴾ ثبت ﴿ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

■ أسباب نزول الآية ٢٦٧- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ الآية، روى الحاكم والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن البراء قال: نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار كنا أصحاب نخل، وكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ الآية. وروى أبو داود والنسائي والحاكم عن سهل بن حنيف قال: كان الناس يتيممون شر ثمارهم يخرجونها في الصدقة فنزلت ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾. وروى الحاكم عن جابر قال: أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر، فجاء رجل بتمر رديء فنزل القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ الآية روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يشترون الطعام الرخيص ويتصدقون به، فأنزل الله هذه الآية.

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ
أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ
لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ
ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ
وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى
ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

٣٧- ﴿يُرِيدُونَ﴾ يتمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ دائم.

٣٨- ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ «أل» فيهما موصولة مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ أي يمين كل منهما من الكوع، وبينت السنة أن الذي يقطع فيه: ربع دينار فصاعدا،[1] وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم، ثم اليد اليسرى، ثم الرجل اليمنى، وبعد ذلك يعزّر ﴿جَزَآءً﴾ نصب على المصدر ﴿بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا﴾ عقوبة لهما ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ في خلقه.

٣٩- ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ رجع عن السرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ في التعبير بهذا ما تقدم، فلا يسقط بتوبته حق الآدمي من القطع وردّ المال، نعم بينت السنة أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الإمام سقط القطع وعليه الشافعي.

٤٠- ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ ومنه التعذيب والمغفرة.

٤١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ﴾ صنع ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ يقعون فيه بسرعة أي يظهرونه إذا وجدوا فرصة ﴿مِنَ﴾ للبيان ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بألسنتهم متعلق بقالوا ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ قوم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي افترته أحبارهم سماع قبول ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾ لأجل قوم ﴿ءَاخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ وهم أهل خيبر: زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدّلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ الحكم المحرف أي الجلد: أي أفتاكم به محمد ﷺ ﴿فَخُذُوهُ﴾ فاقبلوه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فَٱحْذَرُواْ﴾ أن تقبلوه ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ إضلاله ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ في دفعها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر ولو أراده لكان ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ ذل بالفضيحة والجزية ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٢٧٢-** قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ الآية، روى النسائي والحاكم والبزار والطبراني وغيرهم عن ابن عباس قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس «أن النبي ﷺ كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام، فنزلت ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ الآية. فأمر بالتصدق على كل من سأل من كل دين.

(١) **[صحيح]**: أخرجه البخاري في (الحدود/ ٦٧٨٩/ فتح)، ومسلم في (الحدود/ ١٦٨٤/ عبد الباقي).

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

١١٥

٤٢- هم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ بضم الحاء وسكونها [للسُّحْتِ]: أي الحرام كالرشا ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ الآية، فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا وهو أصح قولي الشافعي، فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعا ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ بينهم ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ العادلين في الحكم: أي يثيبهم(١).

٤٣- ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ بالرجم استفهام تعجب: أي لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو أهون عليهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ يُعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

٤٤- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ العلماء منهم ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ الفقهاء ﴿بِمَا﴾ أي بسبب الذي ﴿ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾ استُودِعوه: أي استحفظهم الله إياه ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أن يبدّلوه ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ أنه حق ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرهما ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ في كتمانه ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟﴾ تستبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ به. ٤٥- ﴿وَكَتَبْنَا﴾ فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ أي التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ تقتل ﴿بِٱلنَّفْسِ﴾ إذا قتلتها ﴿وَٱلْعَيْنَ﴾ تفقأ ﴿بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ﴾ يجدع ﴿بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ﴾ تقطع ﴿بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾ تقلع ﴿بِٱلسِّنِّ﴾ وفي قراءة بالرفع في الأربعة [والعينُ، والأنفُ والأذنُ، والسنُّ] ﴿وَٱلْجُرُوحَ﴾ بالوجهين [والجروحَ، والجروحُ] ﴿قِصَاصٌ﴾ أي يقتص فيها إذا أمكن كاليد والرجل والذكر ونحو ذلك، وما لا يمكن فيه الحكومة، وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرّر في شرعنا ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي القصاص بأن مكّن من نفسه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ لما آتاه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القصاص وغيره ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ٢٧٤- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ الآية أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ في أصحاب الخيل يزيد وأبوه مجهولان. وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب، كانت معه أربعة دراهم فأنفق بالليل درهمًا وبالنهار درهمًا وسرًا درهمًا وعلانية درهمًا. وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان في نفقتهم في جيش العسرة.

---

(١) تقدم أن هذا من التفسير باللازم.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ
أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ
ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ
بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

٤٦- ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أتبعنا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي النبيين ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حال ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ لما فيها من الأحكام ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٤٧- ﴿وَ﴾ قلنا ﴿لْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ من الأحكام، وفي قراءة بنصب «يحكم» وكسر لامه عطفا على معمول آتيناه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

٤٨- ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بأنزلنا ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا﴾ شاهدا ﴿عَلَيْهِ﴾ والكتاب بمعنى الكتب ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ عادلا ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيها الأمم ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ طريقا واضحا في الدين يمشون عليه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على شريعة واحدة ﴿وَلَٰكِن﴾ فرّقكم فرقا ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصي ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ سارعوا إليها ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالبعث ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ من أمر الدين ويجزي كلا منكم بعمله.

٤٩- ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ﴾ لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿يَفْتِنُوكَ﴾ يضلوك ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾ بالعقوبة في الدنيا ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ التي أتوها، ومنها التولي ويجازيهم على جميعها في الأخرى ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾. ٥٠- ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ بالياء [يبغون] والتاء [تبغون]: يطلبون من المداهنة والميل إذا تولوا: استفهام إنكاري ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ﴾ عند قوم ﴿يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ به، خصوا بالذكر لأنهم الذين يتدبرونه.

■ أسباب نزول الآية ٢٧٨- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟﴾ الآية. أخرج أبو يعلى في مسنده وابن منده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: بلغنا أن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف. وفي بني المغيرة. وكانت بنو المغيرة يربون لثقيف فلما أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله، فأتى بنو عمرو وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد وهو على مكة، فقال بنو المغيرة: أما جعلنا أشقى الناس الربا، ووضع. عن الناس غيرنا، فقال بنو عمرو: صولحنا أن لنا ربانا، فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها. وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: نزلت هذه الآية في ثقيف منهم مسعود، وحبيب، وربيعة، وعبد يا ليل: بنو عمرو، وبنو عمير.

■ أسباب نزول الآية ٢٨٥- قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية، روى أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ اشتد ذلك على الصحابة. فأتوا رسول الله ﷺ ثم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ
يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾
وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

١١٧

٥١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ توالونهم وتوادّونهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ لاتحادهم في الكفر ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بموالاتهم الكفار.

٥٢- ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد كعبد الله بن أُبي المنافق ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ في موالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ معتذرين عنها ﴿نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ يدور بها الدهر علينا من جدب أو غلبة ولا يتم أمر محمد ﷺ فلا يميرونا. قال تعالى ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لنبيه بإظهار دينه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ من الشك وموالاة الكفار ﴿نَادِمِينَ﴾.

٥٣- ﴿وَيَقُولُ﴾ بالرفع استئنافا، بواو [ويقولُ] ودونها [يقولُ]، وبالنصب عطفا على «يأتي» [ويقولَ] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لبعضهم إذا هتك سترهم تعجبا ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ في الدين قال تعالى ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿خَاسِرِينَ﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب.

٥٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ﴾ بالفك [يَرْتَدِدْ] والإدغام [يَرْتَدَّ] يرجع ﴿مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ إلى الكفر إخبار بما علم الله تعالى وقوعه، وقد ارتدّ جماعة بعد موت النبي ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ بدلهم ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قال ﷺ «هم قوم هذا» وأشار إلى أبي موسى الأشعري.[1] رواه الحاكم في صحيحه ﴿أَذِلَّةٍ﴾ عاطفين ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ﴾ أشدّاء ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله. ونزل لما قال ابن سلام: يا رسول الله إن قومنا هجرونا: ٥٥- ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ خاشعون أو يصلون صلاة التطوّع. ٥٦- ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ لنصره إياهم أوقعه موقع «فإنهم» بيانا لأنهم من حزبه أي أتباعه.

٥٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا﴾ مهزوءا به ﴿وَلَعِبًا مِّنَ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ﴾ المشركين، بالجرّ [والكفارِ] والنصب [والكفارَ] ﴿أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك موالاتهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم.

جثوا على الركب، فقالوا: قد أنزل الله عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾؟ بل قولوا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، فلما اقترأها القوم وذلّت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ الآية. فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلى آخرها. وروى مسلم وغيره عن ابن عباس نحوه.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/٣١٣).

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ (٥٩) قُلْ
هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ
(٦١) وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ (٦٣) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟
بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ
وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٦٤)

٥٨- ﴿ وَ ﴾ الذين ﴿ إِذَا نَادَيْتُمْ ﴾ دعوتم ﴿ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ بالأذان ﴿ ٱتَّخَذُوهَا ﴾ أي الصلاة ﴿ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ بأن يستهزئوا بها ويتضاحكوا ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الاتخاذ ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (٥٨) ﴾ .

٥٩- ونزل لما قال اليهود للنبي ﷺ : بمن تؤمن من الرسل؟ فقال: ﴿ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا... ﴾ الآية فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم دينا شرًّا من دينكم ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ ﴾ تنكرون ﴿ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ ﴾ إلى الأنبياء ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ (٥٩) ﴾ عطف على أن آمنا، المعنى: ما تنكرون إلا إيماننا ومخالفتكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه، وليس هذا مما ينكر.

٦٠- ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم ﴾ أخبركم ﴿ بِشَرٍّ مِّن ﴾ أهل ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الذي تنقمونه ﴿ مَثُوبَةً ﴾ ثوابا بمعنى جزاء ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ هو ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ أبعده من رحمته ﴿ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾ بالمسخ ﴿ وَ ﴾ من ﴿ عَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ الشيطان بطاعته وروعي في «منهم» معنى «من» وفيما قبله لفظها وهم اليهود. وفي قراءة بضم باء عبد وإضافته إلى ما بعده اسم جمع لعبد، ونصبه بالعطف على القردة ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ تمييز، لأن مأواهم النار ﴿ وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ (٦٠) ﴾ طريق الحق، وأصل السواء الوسط، وذكر «شر، وأضل» في مقابلة قولهم: لا نعلم دينا شرا من دينكم.

٦١- ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ ﴾ أي منافقو اليهود ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ ﴾ إليكم متلبسين ﴿ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ ﴾ من عندكم متلبسين ﴿ بِهِۦ ﴾ ولم يؤمنوا ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ (٦١) ﴾ ـــه من النفاق.

٦٢- ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ أي اليهود ﴿ يُسَٰرِعُونَ ﴾ يقعون سريعا ﴿ فِى ٱلْإِثْمِ ﴾ الكذب ﴿ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ الظلم ﴿ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾ الحرام كالرشا ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٦٢) ﴾ ـــه عملهم هذا.

٦٣- ﴿ لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ منهم ﴿ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ ﴾ الكذب ﴿ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ (٦٣) ﴾ ـــه ترك نهيهم.

٦٤- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ ﴾ لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا كنَّوا به عن البخل، تعالى الله عن ذلك. قال تعالى ﴿ غُلَّتْ ﴾ أمسكت ﴿ أَيْدِيهِمْ ﴾ عن فعل الخيرات دعاء عليهم ﴿ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ مبالغة في الوصف بالجود، وثنى اليد لإفادة الكثرة إذ غاية ما يبذله السخيّ من ماله أن يعطي بيديه[1] ﴿ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ من القرآن ﴿ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ لكفرهم به ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ فكل فرقة منهـــم تخالف الأخرى ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ ﴾ أي لحرب النبي ﷺ ﴿ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ أي كلما أرادوه ردّهم ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ أي مفسدين بالمعاصي ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٦٤) ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم.

---

(١) هذا الكلام فيه تعطيل لصفة اليد وانظر للأهمية اختصاري لابن كثير (١/٦٥٧).

وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ﴿٧٠﴾

١١٩

٦٥- ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ الكفر ﴿لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾.

٦٦- ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ بالعمل بما فيهما ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم﴾ من الكتب ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ﴾ بأن يوسع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة ﴿مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ﴾ جماعة ﴿مُّقۡتَصِدَةٞۖ﴾ تعمل به وهم من آمن بالنبي ﷺ كعبد الله ابن سلام وأصحابه ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا﴾ شيئًا ﴿يَعۡمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ ـه.

٦٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ﴾ جميع ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ ولا تكتم شيئا منه خوفا أن تنال بمكروه ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ﴾ أي لم تبلغ جميع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ بالإفراد [رسالتهُ] والجمع [رسالاته]، لأنّ كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ أن يقتلوك، وكان ﷺ يُحرس حتى نزلت فقال: انصرفوا فقد عصمني الله.[1] رواه الحاكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾. ٦٨- ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ من الدّين معتدّ به ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ بأن تعملوا بما فيه ومنه الإيمان بي ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ﴾ لكفرهم به ﴿فَلَا تَأۡسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ إن لم يؤمنوا بك: أي لا تهتم بهم. ٦٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ هم اليهود، مبتدأ ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ فرقة منهم ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ ويبدل من المبتدأ ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ في الآخرة خبر المبتدأ ودالّ على خبر إنّ. ٧٠- ﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ على الإيمان بالله ورسله ﴿وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ﴾ منهم ﴿بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ﴾ من الحق كذبوه ﴿فَرِيقٗا﴾ منهم ﴿كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا﴾ منهم ﴿يَقۡتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ كزكريا ويحيى. والتعبير به دون قتلوا حكاية للحال الماضية للفاصلة.

(سورة آل عمران)

أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع أن النصارى أتوا إلى النبي ﷺ فخاصموه في عيسى، فأنزل الله ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ إلى بضع وثمانين آية منها. وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن سهل بن أبي أمامة قال: لما قدم أهل نجران على رسول الله ﷺ يسألونه عن عيسى ابن مريم، نزلت فيهم فاتحة آل عمران إلى رأس الثمانين منها. أخرجه البيهقي في «الدلائل».

■ أسباب نزول الآية ١٢- قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ﴾. روى أبو داود في سننه والبيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس «أن رسول الله ﷺ لما أصاب ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب

(١) انظر «الصحيح المسند من أسباب النزول» عند هذه الآية.

وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ
ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾
لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ
إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾
مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ
ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ
ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

٧١- ﴿وَحَسِبُوٓا۟﴾ ظنوا ﴿أَ﴾ ن ﴿لَا تَكُونَ﴾ بالرفع فـ «أن» مخففة، والنصب [ألا تكون] فهي ناصبة: أي تقع ﴿فِتْنَةٌ﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فَعَمُوا۟﴾ عن الحق فلم يبصروه ﴿وَصَمُّوا۟﴾ عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ ثانيا ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدل من الضمير ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

٧٢- ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق مثله ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ فإني عبد ولست بإله ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ في العبادة غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ منعه أن يدخلها ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ﴾ زائدة ﴿أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ يمنعونهم من عذاب الله.

٧٣- ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ﴾ آلهة ﴿ثَلَـٰثَةٍ﴾ أي أحدها، والآخران عيسى وأمّه، وهم فرقة من النصارى ﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويوحّدوا ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي ثبتوا على الكفر ﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ مؤلم وهو النار.

٧٤- ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ﴾ مما قالوه، استفهام توبيخ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ به. ٧٥- ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ فهو يمضي مثلهم وليس بإله كما زعموا وإلا لما مضى ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ كغيرهما من الناس ومن كان كذلك لا يكون إلها لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿ٱنظُرْ﴾ متعجبا ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام البرهان. ٧٦- ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ بأحوالكم. والاستفهام للإنكار.

قريشًا، فقالوا: يامحمد لا يغرنَّك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ﴾ إلى قوله ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾.
وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال فنحاص اليهودي يوم بدر: لا يغرنّ محمدًا أن قتل قريشًا وغلبها إن قريشًا لا تحسن القتال فنزلت هذه الآية.

■ أسباب نزول الآية ٢٣- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر عن عكرمة عن ابن عباس قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المدارس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد؟ قال: على ملة إبراهيم ودينه، قال: فإن إبراهيم كان يهوديًا، فقال لهما رسول الله ﷺ: فهلمَّا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ﴾ إلى قوله ﴿يَفْتَرُونَ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٢٦- قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك الروم وفارس في أمته، فأنزل الله ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ الآية.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

١٢١

٧٧- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى ﴿لَا تَغْلُوا۟﴾ تجاوزوا الحدّ ﴿فِى دِينِكُمْ﴾ غلوا ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه فوق حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ بغلوّهم وهم أسلافهم ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ عن طريق الحق، والسواء في الأصل: الوسط. ٧٨- ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا قردة وهم أصحاب أيلة ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير وهم أصحاب المائدة ﴿ذَٰلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾. ٧٩- ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا ﴿عَن﴾ معاودة ﴿مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ فعلهم هذا. ٨٠- ﴿تَرَىٰ﴾ يا محمد ﷺ ﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ﴾ من أهل مكة بغضا لك ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ من العمل لمعادهم الموجب لهم ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾. ٨١- ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾ محمد ﷺ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ﴾ أي الكفار ﴿أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ خارجون عن الإيمان. ٨٢- ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يا محمد ﷺ ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ من أهل مكة لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتباع الهوى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ﴾ أي قرب مودّتهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ علماء ﴿وَرُهْبَانًا﴾ عُبّادا ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة: نزلت في وفد النجاشي القادمين عليهم من الحبشة: قرأ ﷺ سورة يس فبكوا وأسلموا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى. قال تعالى:

■ أسباب نزول الآية ٢٨- قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد وقد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم. فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير بن حثمة لأولئك النفر اجتنبوا هؤلاء النفر من يهود، واحذروا مباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فأبوا، فأنزل الله فيهم ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٣١- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن الحسن قال: قال أقوام على عهد نبينا: والله يا محمد إنا لنحب ربنا، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٥٨- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾. أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: أتى رسول الله ﷺ راهبًا نجران، فقال أحدهما من أبو عيسى؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعجل حتى يؤامر ربه، فنزل عليه ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ إلى ﴿مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: إن رهطًا من نجران قدموا على النبي ﷺ، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ قال: من هو؟ قالوا: عيسى تزعم أنه عبد الله، فقال: أجل، فقالوا: فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده،

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

١٢٢

٨٣- ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ من القرآن ﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ صدّقنا بنبيك وكتابك ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ المقرّين بتصديقهما. ٨٤- ﴿وَ﴾ قالوا في جواب من عيَّرهم بالإسلام من اليهود ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ القرآن: أي لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مقتضيه ﴿وَنَطْمَعُ﴾ عطف على نؤمن ﴿أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ المؤمنين الجنة. قال تعالى:

٨٥- ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ بالإيمان.

٨٦- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾. ٨٧- ونزل لما همّ قوم من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام ولا يقربوا النساء والطيب ولا يأكلوا اللحم ولا يناموا على الفراش ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾. ٨٨- ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ مفعول، والجار والمجرور قبله حال متعلق به ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾. ٨٩- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف، كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾ بالتخفيف [عَقَدتّم] والتشديد [عَقّدتّم]، وفي قراءة: عاقدتم ﴿الْأَيْمَانَ﴾ عليه بأن حلفتم عن قصد ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ أي اليمين إذا حنثتم فيه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ لكل مسكين مدٌّ ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي أقصده وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعي ﴿أَوْ تَحْرِيرُ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حملاً للمطلق على المقيد ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ واحدا مما ذكر ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ كفارته. وظاهره أنه لا يشترط التتابع وعليه الشافعي ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أن تنكثوها ما لم تكن على فعل بر أو إصلاح بين الناس كما في سورة البقرة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ما بيّن لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ ـه على ذلك.

فجاءه جبريل فقال: قل لهم إذا أتوك: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾. وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق مسلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده «أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان «باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد النبي» الحديث وفيه فبعثوا إليه شرحبيل بن وداعة الهمداني، وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي وجبارًا الحرثي، فانطلقوا فأتوه فسألهم وسألوه، فلم يزل به وبهم المسألة، حتى قالوا: ما تقول في عيسى؟ قال: ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآيات ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ إلى قوله ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. وأخرج ابن سعد في الطبقات عن الأزرق بن قيس قال: قدم على النبي ﷺ أسقف نجران والعاقب، فعرض عليهما الإسلام فقالا: إنا كنا مسلمين قبلك، قال كذبتما، إنه منع منكما الإسلام ثلاث:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

٩٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ﴾ المسكر الذي يخامر العقل ﴿وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ القمار ﴿وَٱلۡأَنصَابُ﴾ الأصنام ﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾ قداح الاستقسام ﴿رِجۡسٞ﴾ خبيث مستقذر ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ الذي يزينه ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ أي الرجس المعبر به عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

٩١- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ إذا أتيتموهما لما يحصل فيهما من الشرّ والفتن ﴿وَيَصُدَّكُمۡ﴾ بالاشتغال بهما ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ خصها بالذكر تعظيما لها ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ عن إتيانهما: أي انتهوا. ٩٢- ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ ﴿٩٢﴾﴾ المعاصي ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ عن الطاعة ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الإبلاغ المبيِّن وجزاؤكم علينا. ٩٣- ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾ المحرّمات ﴿وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْ﴾ العمل ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ بمعنى أنه يثيبهم.[1] ٩٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ﴾ ليختبرنَّكم ﴿ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ﴾ يرسله لكم ﴿مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ﴾ أي الصغار منه ﴿أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ الكبار منه، وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون، فكانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ حال: أي غائبا لم يره فيجتنب الصيد ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ النهي عنه فاصطاده ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾﴾.

٩٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾ محرمون بحج أو عمرة ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ﴾ بالتنوين ورفع ما بعده: أي فعليه جزاء هو ﴿مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أي شبهه في الخلقة، وفي قراءة بإضافة جزاء [فَجَزَاءُ مِثْلِ] ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ﴾ أي بالمثل رجلان ﴿ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به، وقد حكَم ابن عباس وعمر وعلي ﷺ في النعامة ببدنة، وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحماره ببقرة، وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة، وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام، لأنه يشبهها في العبّ ﴿هَدۡيَۢا﴾ حال من جزاء ﴿بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ أي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدّق به على مساكينه، ولا يجوز أن يذبح حيث كان، ونصبه نعتا لما قبله وإن أضيف لأنّ إضافته لفظية لا تفيده تعريفا، فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته ﴿أَوۡ﴾ عليه ﴿كَفَّٰرَةٞ﴾ غير الجزاء وإن وجده، هي ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء: لكل مسكين مدّ، وفي قراءة بإضافة كفارة لما بعده، وهي للبيان ﴿أَوۡ﴾ عليه ﴿عَدۡلُ﴾ مثل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامٗا﴾ يصومه عن كل مدّ يوما، وإن وجده وجب ذلك عليه ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ﴾ ثقل جزاء ﴿أَمۡرِهِۦۗ﴾ الذي فعله ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ إليه ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾ غالب على أمره ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ ممن عصاه، وألحق بقتله متعمدا فيما ذكر: الخطأ.

(١) وهذا أيضًا من التفسير باللازم وقد تقدم.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ
عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ
قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟
عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ
سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

٩٦- ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ أيها الناس حلالاً كنتم أو مُحْرمين ﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ أن تأكلوه وهو ما لا يعيش إلا فيه كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البرّ كالسرطان ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ ما يقذفه ميتا ﴿مَتَٰعًا﴾ تمتيعا ﴿لَّكُمْ﴾ تأكلونه ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين منكم يتزوّدونه ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾ وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فلو صاده مُحِل فللمحرم أكله كما بينته السنة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

٩٧- ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ المحرّم ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ يقوم به أمر دينهم بالحج إليه، ودنياهم بأمن داخله وعدم التعرّض له، وجبي ثمرات كل شيء إليه. وفي قراءة «قيما» بلا ألف مصدر قام غير معلّ ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ بمعنى الأشهر الحرم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم ورجب، قياما لهم بأمنهم من القتال فيها ﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ قياما لهم بأمن صاحبهما من التعرّض له ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ فإن جعله ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضارّ عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن.

٩٨- ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ بهم.

٩٩- ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ لكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون من العمل ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ تخفون منه فيجازيكم به. ١٠٠- ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ﴾ الحرام ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾ الحلال ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ أي سرَّك ﴿كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

١٠١- ونزل لما أكثروا سؤاله ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ﴾ تظهر ﴿لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ لما فيها من المشقة ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي في زمن النبي ﷺ ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ المعنى: إذا سألتم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإبدائها، ومتى أبداها ساءتكم فلا تسألوا عنها، قد ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ عن مسألتكم فلا تعودوا ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾. ١٠٢- ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أي الأشياء ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أنبياءهم فأُجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا۟﴾ صاروا ﴿بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ بتركهم العمل بها.

١٠٣- ﴿مَا جَعَلَ﴾ شرع ﴿ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه: روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنع درّها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: التي كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء، والوصيلة: الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى، ثم تثني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينهما ذكر. والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل عليه فلا يحمل عليه شيء وسموه الحامي(1) ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ أن ذلك افتراء، لأنهم قلدوا فيه آباءهم.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (المناقب/ ٣٥٢١/ فتح).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ
أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ
مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ
أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ
أَيْمَـٰنِهِمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

١٠٤- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي إلى حكمه من تحليل ما حرّمتم ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من الدين والشريعة. قال تعالى ﴿أ﴾ حسبهم ذلك ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ إلى الحق، والاستفهام للإنكار. ١٠٥- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي احفظوها وقوموا بصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل المراد: لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، وقيل المراد غيرهم لحديث أبي ثعلبة الخشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائتمروا بالمعروف وتناهوْا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك»[1] رواه الحاكم وغيره ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ فيجازيكم به.

١٠٦- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي أسبابه ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ خبر بمعنى الأمر: أي ليشهد، وإضافة «شهادة» لـ «بين» على الاتساع، و «حين» بدل من «إذا» أو ظرف لـ «حضر» ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي غير ملتكم ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا﴾ توقفونهما صفة «آخران» ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي صلاة العصر ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ يحلفان ﴿بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم فيهما، ويقولان ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ﴾ بالله ﴿ثَمَنًا﴾ عوضا نأخذه بدله من الدنيا بأن نحلف به أو نشهد كذبا لأجله ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقسم له أو المشهود له ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قرابة منه ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ التي أمرنا بها ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إن كتمناها ﴿لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾. ١٠٧- ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ اطلع بعد حلفهما ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ أي فعلا ما يوجبه من خيانة أو كذب في الشهادة ، بأن وجد عندهما مثلا ما اتهما به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوصية وهم الورثة، ويبدل من آخران ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ بالميت: أي الأقربان إليه. وفي قراءة «الأَوَّلِينَ» جمع أوّل صفة أو بدل من الذين ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين ويقولان ﴿لَشَهَـٰدَتُنَآ﴾ يميننا ﴿أَحَقُّ﴾ أصدق ﴿مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾ يمينهما ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ المعنى: ليُشهد المحتضر على وصيته اثنين أو يوصي إليهما من أهل دينه أو غيرهم إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن ارتاب الورثة فيهما فادّعَوْا أنهما خانا بأخذ شيء أو دفعه إلى شخص زعما أنّ الميت أوصى له به فليحلفا إلى آخره، فإن اطلع على أمارة تكذيبهما فادّعيا دافعا له حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادّعوه والحكم ثابت في الوصيين منسوخ في الشاهدَيْن وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة واعتبار صلاة العصر للتغليظ وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها وهي ما رواه البخاري أن رجلا من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن بداء أي وهما نصرانيان فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جامًا من فضة مخوصًا بالذهب فرفعا إلى النبي ﷺ فنزلت فأحلفهما ثم وجد الجام بمكة فقالوا ابتعناه من تميم وعدي فنزلت الآية الثانية فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا. وفي رواية الترمذي فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكان أقرب إليه، وفي رواية فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله فلما مات أخذا الجام ودفعا إلى أهله ما بقي. ١٠٨- ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من ردّ اليمين على الورثة ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن يَأْتُواْ﴾ أي الشهود أو الأوصياء ﴿بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿أَوْ﴾ أقرب إلى أن ﴿يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ على الورثة المدّعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير.

---

(١) [ضعيف]: أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٣٤٤).

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ
لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا
بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ
الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي
وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

١٠٩- اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم توبيخا لقومهم ﴿مَاذَا﴾ أي الذي ﴿أُجِبْتُمْ﴾ به حين دعوتم إلى التوحيد ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ ما غاب عن العباد وذهب عنهم علمه لشدّة هول يوم القيامة وفزعهم ثم يشهدون على أممهم لما يسكنون. ١١٠- اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ اشكرها ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ قوّيتك ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ حال من الكاف في «أيدتك» ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي طفلا ﴿وَكَهْلًا﴾ يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ﴾ كصورة ﴿الطَّيْرِ﴾ والكاف اسم بمعنى مثل: مفعول ﴿بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ بإرادتي ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم أحياء ﴿بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾ حين هموا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَا﴾ الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ وفي قراءة «ساحر» أي عيسى. ١١١- ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ عيسى ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بهما ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾. ١١٢- اذكر ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ ﴿١١٢﴾﴾ أي يفعل ﴿رَبُّكَ﴾ وفي قراءة بالفوقانية ونصب ما بعده [هل تستطيع ربَّكَ]: أي تقدر أن تسأله ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ﴾ لهم عيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في اقتراح الآيات ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. ١١٣- ﴿قَالُوا نُرِيدُ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَنَعْلَمَ﴾ نزداد علما ﴿أَن﴾ مخففة، أي أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادعاء النبوّة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾.

قولكما اتخذ الله ولدًا، وأكلكما لحم الخنزير، وسجودكم للصنم. قالا فمن أبو عيسى. فما درى رسول الله ﷺ ما يرد عليهم حتى أنزل الله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فدعاهما إلى الملاعنة فأبيا وأقرا بالجزية ورجعا.

■ **أسباب نزول الآية ٦٥- قوله تعالى:** ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ الآية، روى ابن إسحاق بسنده المتكرر إلى ابن عباس قال اجتمعت نصارى نجران، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده فقالت الأحبار ما كان إبراهيم إلا يهوديًا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا، فأنزل الله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾. الآية، أخرجه البيهقي في «الدلائل».

■ **أسباب نزول الآية ٧٢- قوله تعالى:** ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ﴾ الآية، روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد، والحارث بن عوف بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع، فيرجعون عن دينهم، فأنزل الله فيهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك قال: كانت اليهود تقول أحبارهم للذين من دونهم: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾.

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى
وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى
نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ
وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ
يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾
لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

١١٤- ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا﴾ أي يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾ نعظمه ونشرفه ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾ بدل من لنا بإعادة الجار ﴿وَءَاخِرِنَا﴾ ممن يأتي بعدنا ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ على قدرتك ونبوّتي ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ إياها ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

١١٥- ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ مستجيبا له ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ أي بعد نزولها ﴿مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فنزلت الملائكة بها من السماء – عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات – فأكلوا منها حتى شبعوا قاله ابن عباس. وفي حديث «أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما فأمروا أن لا يخونوا ولا يدّخروا لغد، فخانوا وادّخروا فمسخوا قردة وخنازير».

١١٦- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي يقول ﴿ٱللَّهُ﴾ لعيسى في القيامة توبيخا لقومه ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ﴾ عيسى وقد أرعد ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك من الشريك وغيره ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ خبر ليس و «لي» للتبيين ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا﴾ أخفيه ﴿فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ﴾ أي ما تخفيه من معلوماتك[1] ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾.

١١٧- ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ وهو ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رقيبا أمنعهم مما يقولون ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ قبضتني بالرفع إلى السماء ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الحفيظ لأعمالهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك ﴿شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ مطلع عالم به.

١١٨- ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي من أقام على الكفر منهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ وأنت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي لمن آمن منهم ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ في صنعه.

١١٩- ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الدنيا كعيسى ﴿صِدْقُهُمْ ۚ﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب.

١٢٠- ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿وَمَا فِيهِنَّ ۚ﴾ أتى بـ «ما» تغليبا لغير العاقل ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب.

---

(١) انظر للأهمية الكلام على «النفس» في «الردود والتعقبات» لمشهور حسن سلمان ص ٢١١ وما بعدها.

سُورَةُ الأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ
نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا
آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

١٢٨

سورة الأنعام

[مكية إلا الآيات: ٢٠ و٢٣ و٩١ و٩٣ و١١٤ و١٤١ و١٥١ و١٥٢ و١٥٣ فمدنية وآياتها ١٦٥ نزلت بعد الحجر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ الْحَمْدُ ﴾ وهو الوصف بالجميل ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به، أو هما؟ احتمالات أفيدها الثالث، قاله الشيخ في سورة الكهف ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿ وَجَعَلَ ﴾ خلق ﴿ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ أي كل ظلمة ونور، وجمعها دونه لكثرة أسبابها، وهذا من دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يسوّون غيره في العبادة. ٢- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ﴾ لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروب ﴿عِندَهُ﴾ لبعثكم ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتدأ خلقكم، ومن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر.

٣- ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ مستحق للعبادة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرّون وما تجهرون به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ تعملون من خير وشرّ. ٤- ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ أي أهل مكة ﴿مِّنْ﴾ زائدة ﴿آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ من القرآن ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾. ٥- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾﴾. ٦- ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أمة من الأمم الماضية ﴿مَّكَّنَّاهُمْ﴾ أعطيناهم مكانا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالقوّة والسعة ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن﴾ نعط ﴿لَّكُمْ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ متتابعًا ﴿ وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتكذيبهم الأنبياء ﴿وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾. ٧- ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ مكتوبا ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾ رقّ كما اقترحوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ من عاينوه، لأنه أنفى للشك ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ تعنتا وعنادا.

٨- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدّقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوا فلم يؤمنوا ﴿لَّقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بهلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا.

▣ أسباب نزول الآية ٧٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ الآية، روى الشيخان وغيرهما أن الأشعث قال: كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني فقدمته إلى النبي ﷺ، فقال ألك بينة؟ قلت لا، فقال لليهودي: احلف، فقلت: يا رسول الله إذن يحلف فيذهب مالي، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية. وأخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلاً أقام سلعة له في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: لا منافاة بين الحديثين، بل يحمل على أن النزول كان بالسببين معًا. وأخرج ابن جرير عن عكرمة: إن الآية نزلت في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهما من اليهود الذين كتموا ما أنزل الله في

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا
يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ
كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

٩- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي المنزل إليهم ﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ﴾ أي الملك ﴿رَجُلًا﴾ أي على صورته ليتمكنوا من رؤيته إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿وَ﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجلا ﴿لَلَبَسْنَا﴾ شبهنا ﴿عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ على أنفسهم بأن يقولوا ما هذا إلا بشر مثلكم. ١٠- ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ وهو العذاب، فكذا يحيق بمن استهزأ بك. ١١- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا. ١٢- ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾ إن لم يقولوه لا جـواب غيره ﴿كَتَبَ﴾ قضى ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ فضلاً منه، وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾. ١٣- ﴿۞ وَلَهُۥ﴾ تعالى ﴿مَا سَكَنَ﴾ حلّ ﴿فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي كل شيء فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ بما يفعل. ١٤- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ أعبده ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ يرزق ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ لا يرزق ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ﴾ لله من هذه الأمة ﴿وَ﴾ قيل لي ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ به.

١٥- ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ بعبادة غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ هو يوم القيامة.

١٦- ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ بالبناء للمفعول [يُصرَفْ] أي العذاب، وللفاعل [يَصرِفْ] أي الله، والعائد محذوف ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ﴾ تعالى أي أراد له الخير[1] ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ النجاة الظاهرة.

١٧- ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاء كمرض وفقر ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحة وغنى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ ومنه مَسُّك به ولا يقدر على ردّه عنك غيره.

١٨- ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ القادر الذي لا يعجزه شيء مستعليا ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ ببواطنهم كظواهرهم. ونزل لما قالوا للنبي ﷺ ائتنا بمن يشهد لك بالنبوّة، فإن أهل الكتاب أنكروك.

التوراة وبدّلوه وحلفوا أنه من عند الله. قال الحافظ ابن حجر: الآية محتملة، لكن العمدة في ذلك ما ثبت في الصحيح.

■ **أسباب نزول الآية ٧٩-** قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآية، أخرج ابن إسحاق والبيهقي عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسـى؟ قال ﷺ: معاذ الله فأنزل الله في ذلك ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ إلى قوله ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. وأخرج عبد الرزاق في تفسيره عن الحسن قال: بلغني أن رجلاً قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال: لا ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ إلى قوله ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

---

(١) أيضًا هذا من التفسير باللازم وقد تقدم.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ
ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ
لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن
يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

١٩- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ تمييز محوّل عن المبتدأ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره، هو ﴿شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم﴾ أخوّفكم يا أهل مكة ﴿بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ عطف على ضمير أنذركم: أي بلغه القرآن من الإنس والجنّ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ استفهام إنكـاري ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّآ أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ معه من الأصنام. ٢٠- ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي محمدا بنعته في كتابهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ منهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ به.

٢١- ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ بذلك. ٢٢- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ توبيخا ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أنهم شركاء الله.

٢٣- ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن﴾ بالتاء [لم تكن] والياء [لم يكن] ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ بالنصب [فِتْنَتَهُمْ] والرفع [فِتْنَتُهُمْ]: أي معذرتهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ أي قولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾ بالجرّ [رَبِّنَا] نعت، والنصب [رَبَّنَا] نداء ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾. ٢٤- قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ـــه على الله من الشركاء. ٢٥- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قـرأت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ يفهموا القرآن ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمما فلا يسمعونه سماع قبول ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيـب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ كالأضاحيك والأعاجيب: جمع أسطورة بالضم. ٢٦- ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ الناس ﴿عَنْهُ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾ يتباعدون ﴿عَنْهُ﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلت في أبي طالب كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ﴿وَإِن﴾ ما ﴿يُهْلِكُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ بذلك. ٢٧- ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﷺ ﴿إِذْ وُقِفُوا۟﴾ عرضوا ﴿عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰ﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ برفع الفعلين استئنافا [ولا نكذبُ ونكونُ]، ونصبهما في جواب التمني [ولا نكذبَ ونكونَ]، ورفع الأوّل [ولا نكذبُ] ونصب الثاني [ونكونَ]، وجواب «لو» لرأيت أمرا عظيما.

■ أسباب نزول الآية ٨٦- قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا﴾ الآيات، روى النسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتدّ ثم ندم فأرسل إلى قومه أرسلوا إلى رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟﴾ إلى قوله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأرسل إليه قومه فأسلم. وأخرج مسدد في مسنده وعبد الرزاق عن مجاهد قال: جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي ﷺ ثم كفر، فرجع إلى قومه. فأنزل الله فيه القرآن ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فحملها إليه رجل من قومه، فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمت لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإن الله لأصدق الثلاثة. فرجع فأسلم وحسن إسلامه.

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا
بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ
نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ
ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾

٢٨- قال تعالى ﴿بَلْ﴾ للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ﴿بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ يكتمون بقولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ بشهادة جوارحهم، فتمنوا ذلك ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟﴾ إلى الدنيا فرضا ﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ من الشرك ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ في وعدهم بالإيمان. ٢٩- ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي منكرو البعث ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِىَ﴾ أي الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾. ٣٠- ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟﴾ عُرضوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لرأيت أمرا عظيما ﴿قَالَ﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخا ﴿أَلَيْسَ هَـٰذَا﴾ البعث والحساب ﴿بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إنه لحقّ ﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ به في الدنيا. ٣١- ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ﴾ بالبعث ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية للتكذيب ﴿إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا﴾ هي شدّة التألم ونداؤها مجاز: أي هذا أوانك فاحضري ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ قصّرنا ﴿فِيهَا﴾ أي الدنيا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ﴾ بأن تأتيهم عند البعث في أقبح شيء صورة وأنتنه ريحا فتركبهم ﴿أَلَا سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ يحملونه حملهم ذلك. ٣٢- ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي الاشتغال بها ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ﴾ وأما الطاعة وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ وفي قراءة «ولدار الآخرة» أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ بالياء [يعقلون] والتاء [تعقلون] ذلك فيؤمنون. ٣٣- ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ لك من التكذيب ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السر لعلمهم أنك صادق. وفي قراءة بالتخفيف [لا يُكْذِبونكُ]: أي لا ينسبونك إلى الكذب ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ وضعه موضع المضمر ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يكذبون. ٣٤- ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ بإهلاك قومهم فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ مواعيده ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ ما يسكن به قلبك. ٣٥- ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام لحرصك عليهم ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا﴾ سربا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾ مصعدا ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ مما اقترحوا فافعل، المعنى: أنك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ بذلك.

■ أسباب نزول الآية ٩٧- قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ الآية، أخرج سعيد بن منصور عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا﴾ الآية. قالت اليهود: فنحن مسلمون، فقال لهم النبي ﷺ: إن الله فرض على المسلمين حج البيت، فقالوا: لم يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا، فأنزل الله ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

■ أسباب نزول الآية ١٠٠- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟﴾ الآية. أخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانت الأوس والخزرج في الجاهلية بينهم شرٌّ، فبينما هم جلوس ذكروا ما بينهم حتى غضبوا، وقام بعضهم إلى بعض بالسلاح، فنزلت ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ الآيـة والآيتان بعدها. وأخرج ابن إسحاق وأبو الشيخ عن زيد

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ (٣٦) وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَمَا
مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ
مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ
يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٩) قُلْ
أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ
إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ
(٤٢) فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا
نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ
حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤)﴾

٣٦- ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي الكفار شبههم بهم في عدم السماع[1] ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦)﴾ يردّون فيجازيهم بأعمالهم.

٣٧- ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ﴾ بالتشديد [يُنَزِّل] والتخفيف [يُنْزِل] ﴿ءَايَةً﴾ مما اقترحوا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم إن جحدوها.

٣٨- ﴿وَمَا مِن﴾ زائدة ﴿دَآبَّةٍ﴾ تمشي ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾ تركنا ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ فلم نكتبه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)﴾ فيقضي بينهم، ويقتص للجمّاء من القرناء، ثم يقول لهم: كونوا ترابا. ٣٩- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿صُمٌّ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿وَبُكْمٌ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ﴾ إضلاله ﴿يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ﴾ هدايته ﴿يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ (٣٩)﴾ دين الإسلام.

٤٠- ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ لا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٠)﴾ في أنّ الأصنام تنفعكم فادعوها. ٤١- ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضرّ ونحوه ﴿إِن شَآءَ﴾ كشفه ﴿وَتَنسَوْنَ﴾ تتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ (٤١)﴾ معه من الأصنام فلا تدعونه. ٤٢- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن﴾ زائدة ﴿قَبْلِكَ﴾ رسلًا فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ شدّة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢)﴾ يتذللون فيؤمنوا. ٤٣- ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلا ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا۟﴾ أي لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضي له ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تلن للإيمان ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ من المعاصي فأصرّوا عليها. ٤٤- ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا۟﴾ وُعظوا وخُوِّفوا ﴿بِهِۦ﴾ من البأساء والضرّاء فلم يتعظوا ﴿فَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من النعم استدراجا لهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ فَرَحَ بطر ﴿أَخَذْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤)﴾ آيسون من كل خير.

ابن أسلم قال: مرَّ شاس بن قيس، وكان يهوديًا على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد العداوة، فأمر شابًا معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يَوْمَ بُعَاث، ففعل؛ فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان: أوس ابن قيظي من الأوس وجبار بن صخر من الخزرج، فتقاولا وغضبَ الفريقان وتواثبوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء حتى وعظهم وأصلح بينهم، فسمعوا وأطاعوا، فأنزل الله في أوس وجبار. ومن كان معهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، وفي شاس بن قيس: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ الآية.

(١) انظر للأهمية اختصاري لابن كثير (٦٧/٣).

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

٤٥ - ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ ﴾ أي آخرهم بأن استؤصلوا ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين. ٤٦ - ﴿ قُلْ ﴾ لأهل مكة ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ ﴾ أصمّكم ﴿ وَأَبْصَٰرَكُمْ ﴾ أعماكم ﴿ وَخَتَمَ ﴾ طبع ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِكُم ﴾ فلا تعرفون شيئا ﴿ مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ بما أخذه منكم بزعمكم ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ﴾ نبيّن ﴿ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ الدلالات على وحدانيتنا ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ يعرضون عنها فلا يؤمنون.

٤٧ - ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾ ليلا أو نهارا ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الكافرون: أي ما يهلك إلا هم. ٤٨ - ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴾ من آمن بالجنة ﴿ وَمُنذِرِينَ ﴾ من كفر بالنار ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ ﴾ بهم ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ عمله ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ في الآخرة. ٤٩ - ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ يخرجون عن الطاعة. ٥٠ - ﴿ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ التي منها يرزق ﴿ وَلَآ ﴾ إني ﴿ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ ما غاب عني ولم يوحَ إليّ ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ من الملائكة ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ الكافر ﴿ وَٱلْبَصِيرُۚ ﴾ المؤمن لا ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ في ذلك فتؤمنوا.

٥١ - ﴿ وَأَنذِرْ ﴾ خوّفْ ﴿ بِهِ ﴾ أي بالقرآن ﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ أي غيره ﴿ وَلِيٌّ ﴾ ينصرهم ﴿ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ يشفع لهم. وجملة النفي حال من ضمير «يحشروا» وهي محل الخوف، والمراد بهم المؤمنون العاصون ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الله بإقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات.

٥٢ - ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ ﴾ بعبادتهم ﴿ وَجْهَهُۥ ﴾ تعالى لا شيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك طمعا في إسلامهم ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن ﴾ زائدة ﴿ شَيْءٍ ﴾ إن كان باطنهم غير مرضيّ ﴿ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾ جواب النفي ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ إن فعلت ذلك.

■ **أسباب نزول الآية ١١٣** - قوله تعالى: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن منده في الصحابة عن ابن عباس قال: لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبد. ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام قالت أحبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد واتبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الآية. وأخرج أحمد وغيره عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم، وأنزلت هذه الآية ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ١١٨** - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن إسحاق عن ابن عباس قال: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ الآية.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ
أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ
ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾
۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى
ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ
فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

٥٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي الشريف بالوضيع والغني بالفقير بأن قدّمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ أي الشرفاء والأغنياء منكرين ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الفقراء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ بالهداية: أي لو كان ما هم عليه هدى ما سبقوا إليه. قال تعالى ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ له فيهديهم، بلى. ٥٤- ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ﴾ قضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ إِنَّهُۥ﴾ أي الشـأن. وفي قراءة بالفتح [أَنَّهُ] بدل من الرحمة ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ منه حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رجع ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعد عمله عنه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ أي الله ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ به. وفي قراءة بالفتح أي فالمغفرة له. ٥٥- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُفَصِّلُ﴾ نبيّن ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ القرآن ليظهر الحق فيعمل به ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ تظهر ﴿سَبِيلُ﴾ طريق ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ فتجتنب، وفي قراءة بالتحتانية [وليستبينَ سبيلُ]. وفي أخرى بالفوقانية ونصـب «سبيل» [ولِيستبينَ سبيلَ] خطاب للنبي ﷺ. ٥٦- ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ في عبادتها ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ إن اتبعتها ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾. ٥٧- ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّى وَ﴾ قد ﴿كَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ بربي حيث أشركتم ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ من العذاب ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ﴾ القضاء ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ الحاكمين. وفي قراءة ﴿يَقُصُّ﴾ أي يقول. ٥٨- ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ بأن أعجله لكم وأستريح، ولكنه عند الله ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ متى يعاقبهم.

٥٩- ﴿۞ وَعِندَهُۥ﴾ تعالى ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ خزائنه أو الطرق الموصلة إلى عمله ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ وهي الخمسة التي في قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية كما رواه البخاري[1] ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾ يحدث ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾ القفار ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ القرى التي على الأنهار ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن﴾ زائدة ﴿وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطف على ورقة ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ هو اللوح المحفوظ. والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله.

■ **أسباب نزول الآية ١٢١** - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾، أخرج ابن أبي حاتم وأبو يعلى عن المسور بن مخرمة قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف: أخبرني عن قصتكم يوم أحد، فقال اقرأ بعد العشرين ومئة من آل عمران تجد قصتنا ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ إلى قوله ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾. قال: هم الذين طلبوا الأمان من المشركين إلى قوله ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ قال: هو تمني المؤمنين لقاء العدو إلى قوله ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ﴾ قال: هو صياح الشـيطان يوم أحد: قتل محمد إلى قوله ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ قال: ألقي عليهم النوم. وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله قال فينا نزلت في بني سلمة وبني حارثة ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن أبي حاتم عن الشعبي: أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين، فشق عليهم، فأنزل الله ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾ إلى قوله ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ فبلغت كرزًا الهزيمة فلم يمد المشركين و لم يمد المسلمون بالخمسة.

(١) **[صحيح]**: أخرجه البخاري في (التفسير/٤٢٦٧/ فتح).

وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ
ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ
وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ
رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ
أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ
ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا
مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم
بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ
نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ
ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

٦٠- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ يقبض أرواحكم عند النوم ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم﴾ كسبتم ﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ أي النهار برد أرواحكم ﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ هو أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ فيجازيكم به.

٦١- ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ﴾ مستعليا ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحصي أعمالكم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ﴾ وفي قراءة «توفاه» ﴿رُسُلُنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ يقصِّرون فيما يؤمرون به.

٦٢- ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ أي الخلق ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ﴾ مالكهم ﴿ٱلۡحَقِّۚ﴾ الثابت العدل ليجازيهم ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك.

٦٣- ﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﷺ لأهل مكة ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ أهوالهما في أسفاركم حين ﴿تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا﴾ علانية ﴿وَخُفۡيَةٗ﴾ سرا تقولون ﴿لَّئِنۡ﴾ لام قسم ﴿أَنجَيۡتَنَا﴾ وفي قراءة «أنجانا» أي الله ﴿مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الظلمات والشدائد ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ المؤمنين.

٦٤- ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ بالتخفيف [يُنْجِيكُمْ] والتشديد [يُنَجِّيكُمْ] ﴿مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ﴾ غمّ سواها ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ به. ٦٥- ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ من السماء كالحجارة والصيحة ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ كالخسف ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ﴾ يخلطكم ﴿شِيَعٗا﴾ فرقا مختلفة الأهواء ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ بالقتال، قال ﷺ لما نزلت: «هذا أهون وأيسر» ولما نزل ما قبله: «أعوذ بوجهك» رواه البخاري.[1] وروى مسلم حديث «سألت ربي أن لا يجعل بأس أمتي بينهم فمنعنيها» وفي حديث: لما نزلت قال: أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ﴾ نبيّن لهم ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الدالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ يعلمون أنّ ما هم عليه باطل.

٦٦- ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الصدق ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾﴾ فأجازيكم، إنما أنا منذر وأمْرُكم إلى الله، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٦٧- ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ﴾ خبر ﴿مُّسۡتَقَرّٞ﴾ وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم ﴿وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ تهديد لهم.

٦٨- ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بالاستهزاء ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ ولا تجالسهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾ بسكون النون والتخفيف [يُنْسِيَنْكَ] وفتحها والتشديد [يُنَسِّيَنَّكَ] ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فقعدت معهم ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ أي تذكُّره ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (التفسير/ ٤٦٢٨/فتح).

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ
أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ
كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ
يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ
وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

٦٩- وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف، فنزل: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ أي الخائضين ﴿مِّن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ فإذا جالسوهم ﴿وَلَٰكِن﴾ عليهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ الخوض.

٧٠- ﴿وَذَرِ﴾ اترك ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ باستهزائهم به ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا تتعرض لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَذَكِّرْ﴾ عظ ﴿بِهِۦٓ﴾ بالقرآن الناس لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌۢ﴾ تُسْلَم إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِىٌّ﴾ ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ تفدِ كلَّ فداءٍ ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ ما تفدى به ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ بكفرهم.

٧١- ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟﴾ أنعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بتركها وهو الأصنام ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ نرجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ أضلّته ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ متحيرا لا يدري أين يذهب. حال من الهاء ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾ رفقة ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ أي ليهدوه الطريق يقولون له ﴿ٱئْتِنَا﴾ فلا يجيبهم فيهلك، والاستفهام للإنكار، وجملة التشبيه حال من ضمير، «نردّ» ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عداه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ أي بأن نسلم ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾.

٧٢- ﴿وَأَنْ﴾ أي بأن ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ تجمعون يوم القيامة للحساب.

٧٣- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي محقا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشيء ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ هو يوم القيامة، يقول للخلق: قوموا فيقوموا ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن، النفخة الثانية من إسرافيل لا ملك فيه لغيره: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ﴾ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ بباطن الأشياء كظاهرها.

■ **أسباب نزول الآية ١٢٨-** قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ الآية. روى أحمد ومسلم عن أنس: أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه، فقال: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ الآية. وروى أحمد والبخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم العن فلانًا، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ إلى آخرها، فتيب عليهم كلهم، وروى البخاري عن أبي هريرة نحوه قال الحافظ ابن حجر: طريق الجمع بين الحديثين أنه ﷺ دعا على المذكورين في صلاته بعدما وقع له من الأمر المذكور يوم أحد، فنزلت الآية في الأمرين معًا فيما وقع له وفيما نشأ عنه من الدعاء عليهم، قال: لكن يشكل على ذلك ما وقع من مسلم من حديث أبي هريرة أنه: ﷺ كان يقول في الفجر: اللهم العن رعلاً وذكوان وعصية، حتى أنزل الله عليه ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ ووجه الإشكال أن الآية نزلت في قصة أحد، وقصة رعل

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ
أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٧٤) وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ (٧٥)
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ
لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا
رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلضَّآلِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ
أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ
سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)

٧٤- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو لقبه، واسمه تارخ ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تعبدها، استفهام توبيخ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ باتخاذها ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ عن الحق ﴿مُّبِينٍ (٧٤)﴾ بيِّن. ٧٥- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ مُلك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ (٧٥)﴾ بها، وجملة وكذلك وما بعدها اعتراض وعطف على «قال». ٧٦- ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ أظلم ﴿عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ قيل هو الزهرة ﴿قَالَ﴾ لقومه وكانوا نجَّامين ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ (٧٦)﴾ أن أتخذهم أربابا، لأنّ الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال، لأنهما من شأن الحوادث فلم ينجع فيهم ذلك. ٧٧- ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ طالعا ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ يثبتني على الهدى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ تعريض لقومه بأنهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك. ٧٨- ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا﴾ ذكَّره لتذكير خبره ﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله من الأصنام والأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث، فقالوا له: ما تعبد؟.
٧٩- ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيِّم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾ به. ٨٠- ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ جادلوه في دينه وهدّدوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ بتشديد النون [أتحاجُّونّي] وتخفيفها [أتحاجُوني] بحذف إحدى النونين وهي نون الرفع عند النحـــاة، ونون الوقاية عند القراء، أتجادلونني ﴿فِي﴾ وحدانية ﴿ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ تعالى إليها ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ ـــه ﴿بِهِۦٓ﴾ من الأصنام أن تصيبني بسوء لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾ من المكروه يصـــيبني فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠)﴾ هذا فتؤمنوا. ٨١- ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله وهي لا تضرّ ولا تنفع ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجة وبرهانا، وهو القادر على كل شيء ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أنحن أم أنتم؟ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)﴾ مَن الأحق به: أي وهو نحن فاتبعوه. قال تعالى:

وذكوان بعدها، ثم ظهرت لي علة الخبر وأن فيه إدراجًا فإن قوله حتى أنزل الله منقطع من رواية الزهري عمن بلغه بيّن ذلك مسلم وهذا البلاغ لا يصح لما ذكرته قال: ويحتمل أن يقال: إنّ قصتهم كانت عقب ذلك، وتأخر نزول الآية عن سببها قليلاً ثم نزلت في جميع ذلك قلت ورد في سبب نزولها أيضًا ما أخرجه البخاري في تاريخه وابن إسحاق عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل من قريش إلى النبي ﷺ، فقال: إنك تنهى عن السب، ثم تحول فحوّل قفاه إلى النبي ﷺ، وكشف أسته، فلعنه ودعا عليه، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية، ثم أسلم الرجل فحسن إسلامه، مرسل غريب.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ
وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ
قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
الْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَٰهُمْ
وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِى
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ
فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَٰفِرِينَ
﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢- ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا﴾ يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي شرك كما فسر بذلك في حديث الصحيحين. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

٨٣- ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ، ويُبْدَل منه ﴿حُجَّتُنَآ﴾ التي احتج بها إبراهيم على وحدانية الله، من أفول الكوكب وما بعده. والخبر ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أرشدناه لها حجة ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالإضافة [درجاتِ] والتنوين [درجاتٍ]. في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ بخلقه. ٨٤- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ﴾ ابنه ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ أي قبل إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ أي نوح ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ابن يعقوب ﴿وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

٨٥- ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ﴾ ابنه ﴿وَعِيسَىٰ﴾ ابن مريم، يفيد أنّ الذرّية تتناول أولاد البنت ﴿وَإِلْيَاسَ ۖ﴾ بن هارون أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾. ٨٦- ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ بن إبراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ اللام زائدة ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ﴾ بن هاران أخي إبراهيم ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ بالنبوّة.

٨٧- ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ﴾ عطف على كلاً أو نوحا، ومن للتبعيض لأنّ بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كافر ﴿وَاجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾.

٨٨- ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدين الذين هـدوا إليه ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ فرضـا ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾. ٨٩- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي بهذه الثلاثة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أرصدنا لها ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ هم المهاجرون والأنصار. ٩٠- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ هَدَى﴾ هم ﴿اللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿اقْتَدِهْ﴾ هاء السكت وقفا ووصلاً [اقْتَدهْ]. وفي قراءة بحذفها وصلاً ﴿قُل﴾ لأهل مكة [اقْتَدِ] ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي القرآن ﴿أَجْرًا ۖ﴾ تعطونيه ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ الإنس والجنّ.

■ **أسباب نزول الآية ١٣٠- قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أخرج الفريابي عن مجاهد قال: كانوا يتبايعون إلى الأجل فإذا حلّ الأجل زادوا عليهم وزادوا في الأجل فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰٓا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ وأخرج أيضًا عن عطاء قال: كانت ثقيف تداين بني النضير في الجاهلية، فإذا جاء الأجل قالوا: نُرْبِيكم وتؤخرون عنا، فنزلت ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰٓا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾.

■ **أسباب نزول الآية ١٤٠ - قوله تعالى** ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما أبطأ على النساء الخبر خرجن ليستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير، فقالت امرأة: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالا: حي، قالت: فلا أبالي يتخذ الله من عباده الشهداء ونزل القرآن على ما قالت ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾.

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

٩١- ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ﴾ أي اليهود ﴿ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ أي ما عظموه حق عظمته، أو ما عرفوه حق معرفته ﴿ إِذْ قَالُوا۟ ﴾ للنبي ﷺ وقد خاصموه في القرآن ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ ﴾ لهم ﴿ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ ﴾ بالياء والتاء في المواضع الثلاثة [يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرًا. و: تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا] ﴿ قَرَاطِيسَ ﴾ أي يكتبونه في دفاتر مقطعة ﴿ يُبْدُونَهَا ﴾ أي ما يحبون إبداءه منها ﴿ وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ مما فيها كنعت محمد ﷺ ﴿ وَعُلِّمْتُم ﴾ أيها اليهود في القرآن ﴿ مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أنزله. إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ ﴾ باطلهم ﴿ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾.

٩٢- ﴿ وَهَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ قبله من الكتب ﴿ وَلِتُنذِرَ ﴾ بالتاء [ولتنذر] والياء [ولينذر] عطف على معنى ما قبله أي أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به. ﴿ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ خوفًا من عقابها.

٩٣- ﴿ وَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بادّعاء النبوّة و لم ينبأ ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ نزلت في مسيلمة ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ وهم المستهزئون قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ المذكورون ﴿ فِى غَمَرَٰتِ ﴾ سكرات ﴿ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ إليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفا ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾ إلينا لنقبضها ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ الهوان ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ بدعوى النبوّة والإيحاء كذبا ﴿ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ تتكبرون عن الإيمان بها، وجواب «لو» لرأيت أمرا فظيعا.

٩٤- ﴿ وَ ﴾ يقال لهم إذا بعثوا ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي حفاة عراة غرلاً ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿ وَ ﴾ يقال لهم توبيخا ﴿ مَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ﴾ الأصنام ﴿ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ ﴾ أي في استحقاق عبادتكم ﴿ شُرَكَٰٓؤُا۟ ﴾ لله ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ وصلكم أي تشتت جمعكم، وفي قراءة بالنصب [بَيْنَكُمْ] ظرف: أي وصلكم بينكم ﴿ وَضَلَّ ﴾ ذهب ﴿ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ في الدنيا من شفاعتها.

■ أسباب نزول الآية ١٤٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس: أن رجالاً من الصحابة كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر أو ليت لنا يومًا كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبلي فيه خيرًا أو نلتمس الشهادة والجنة أو الحياة والرزق فأشهدهم الله أحدًا فلم يلبثوا إلا من شاء الله منهم، فأنزل الله ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ١٤٤ - قوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن عمر قال: تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد فصعدت الجبل فسمعت يهود تقول: قتل محمد، فقلت: لا أسمع أحدًا

إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟
بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

٩٥- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ﴾ شاقّ ﴿ٱلْحَبِّ﴾ عن النبات ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ عن النخل ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ﴾ الفالق المخرج ﴿ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟.

٩٦- ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ مصدر بمعنى الصبح: أي شاق عمود الصبح وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ بالنصب، عطفا على محل الليل ﴿حُسْبَانًا﴾ حسابا للأوقات، أو الباء محذوفة، وهو حال من مقدّر: أي يجريان بحسبان كما في آية الرحمن ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ بخلقه.

٩٧- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في الأسفار ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بيّنا ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ يتدبرون.

٩٨- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هي آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ منكم في الرحم ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ منكم في الصلب. وفي قراءة بفتح القاف [فمستقَر]: أي مكانَ قرارٍ لكم ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ ما يقال لهم.

٩٩- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِۦ﴾ بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ينبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي النبات شيئا ﴿خَضِرًا﴾ بمعنى أخضر ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه بعضا كسنابل الحنطة ونحوها ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ خبر، ويبدل منه ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ أول ما يخرج منها. والمبتدأ ﴿قِنْوَانٌ﴾ عراجين ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريب بعضها من بعض ﴿وَ﴾ أخرجنا به ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾ ورقهما حال ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ ثمرها ﴿ٱنظُرُوٓا۟﴾ يا مخاطبون نظر اعتبار ﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ بفتح الثاء والميم [ثَمَره]، وبضمهما [ثُمُره]: وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿وَ﴾ إلى ﴿يَنْعِهِۦٓ﴾ نضجه إذا أدرك كيف يعود ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

١٠٠- ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ﴾ مفعول ثان ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعول أوّل، ويبدل منه ﴿ٱلْجِنَّ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَ﴾ قد ﴿خَلَقَهُمْ﴾ فكيف يكونون شركاءه ﴿وَخَرَقُوا۟﴾ بالتخفيف [وَخَرَقُوا] والتشديد [وَخَرَّقُوا]: أي اختلقوا ﴿لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حيث قالوا عزير ابن الله، والملائكة بنات الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ بأن له ولدا.

١٠١- هو ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما من غير مثال سبق ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

١٤١

١٠٢- ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحدوه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ حفيظ.

١٠٣- ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي لا تراه، وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وحديث الشيخين: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»[(١)] وقيل المراد: لا تحيط به ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط به علما ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ بهم.

١٠٤- قل يا محمد ﷺ لهم ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾ حجج ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ ها فآمن ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أبصر، لأن ثواب إبصاره له ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عنها فضلّ ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال إضلاله ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ رقيب لأعمالكم، إنما أنا نذير.

١٠٥- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بيَّنا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبيِّن ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ أي الكفار في عاقبة الأمر ﴿دَارَسْتَ﴾ ذاكرت أهل الكتاب. وفي قراءة «دَرَسْتَ» أي كُتُبَ الماضين وجئت بهذا منها ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

١٠٦- ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

١٠٧- ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيبا فتجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال. ١٠٨- ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾ اعتداء وظلما ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي جهلاً منهم بالله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما زيَّنَّا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من الخير والشر فأتوه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ فيجازيهم به.

١٠٩- ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يُنزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت: أي أنتم لا تدرون ذلك ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ لما سبق في علمي. وفي قراءة بالتاء خطابا للكفار. وفي أخرى بفتح «أن» بمعنى لعل، أو معمولة لما قبلها. ١١٠- ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾ نحوِّل قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه ﴿وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ يتردّدون متحيّرين.

يقول قتل محمد إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون، فنزلت الآية. وأخرج ابن أبي

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (المواقيت/ ٥٥٤/ فتح)، مسلم في (المساجد/٦٣٣/ عبد الباقي).

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا
شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ
ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ
أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا
وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن
تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾
فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

١١١- ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما اقترحوا ﴿وَحَشَرْنَا﴾ جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ بضمتين: جمع قبيل، أي فوجا فوجا، وبكسر القاف وفتح الباء: أي معاينة فشهدوا بصدقك ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ لما سبق في علم الله ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إيمانهم فيؤمنوا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ ذلك.

١١٢- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك ويبدل منه ﴿شَيَٰطِينَ﴾ مردة ﴿ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى﴾ يوسوس ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ مموهه من الباطل ﴿غُرُورًا ۚ﴾ أي ليغروهم ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ﴾ أي الإيحاء المذكور ﴿فَذَرْهُمْ﴾ دع الكفار ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

١١٣- ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ عطف على غرورا: أي تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي الزخرف ﴿أَفْـِٔدَةُ﴾ قلوب ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ يكتسبوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ من الذنوب فيعاقبوا عليه. ١١٤- ونزل لما طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل بينه وبينهم حكما، قل ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى﴾ أطلب ﴿حَكَمًا﴾ قاضيا بيني وبينكم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلًا ۚ﴾ مبينا فيه الحق من الباطل ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ الشاكين فيه. والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق. ١١٥- ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ﴾ تمييز ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بنقض أو خلف ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ بما يفعل. ١١٦- ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ دينه ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ يكذبون في ذلك.

١١٧- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ فيجازي كلا منهم. ١١٨- ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي ذبح على اسمه ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

حاتم عن الربيع قال: لما أصابهم يوم أحد ما أصابهم من القرح وتداعوا نبي الله قالوا: قد قتل، فقال أناس: لو كان نبيًا ما قتل، وقال أناس: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به، فأنزل الله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية، وأخرج البيهقي في الدلائل عن أبي نجيح: أن رجلاً من المهاجرين مرَّ على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه، فقال: أشعرت أن محمدًا قد قتل، فقال: إن كان محمد قد قتل، فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم، فنزلت. وأخرج ابن راهوية في مسنده عن الزهري: أن الشيطان صاح يوم أحد أن محمدًا قد قتل، قال كعب بن مالك: أنا أول من عرف رسول الله ﷺ رأيت عينيه من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: هذا رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ١٥٤- قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ الآيات، أخرج ابن راهويه عن الزبير قال: لقد رأيتني يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم، فما منا أحد إلا ذقنه في صــــدره، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ
بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ
ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ
أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾
أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي
ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا
صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

١١٩- ﴿ وَمَا لَكُمْ أ ﴾ ن ﴿ لَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ من الذبائح ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل في الفعلين ﴿ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ في آية ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ ﴿ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ منه فهو أيضا حلال لكم، المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذكر وقد بُيِّن لكم المحرَّم أكله، وهذا ليس منه ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿ بِأَهْوَآئِهِم ﴾ بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ المتجاوزين الحلال إلى الحرام.
١٢٠- ﴿ وَذَرُوا ﴾ اتركوا ﴿ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ علانيته وسرّه، والإثم قيل: الزنى، وقيل: كل معصية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ ﴾ في الآخرة ﴿ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ يكتسبون. ١٢١- ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ بأن مات أو ذبح على اسم غيره، وإلا فما ذبحه المسلم ولم يسم فيه عمدا أو نسيانا فهو حلال. قاله ابن عباس وعليه الشافعي ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي الأكل منه ﴿ لَفِسْقٌ ﴾ خروج عما يحل ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ ﴾ يوسوسون ﴿ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ الكفار ﴿ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ في تحليل الميتة ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ فيه ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾.
١٢٢- ونزل في أبي جهل وغيره ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا ﴾ بالكفر ﴿ فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ بالهدى ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ ﴾ مثل زائدة: أي كمن هو ﴿ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ وهو الكافر، لا ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ من الكفر والمعاصي. ١٢٣- ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما جعلنا فساق مكة أكابرها ﴿ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾ بالصدّ عن الإيمان ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ لأن وباله عليهم ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ بذلك. ١٢٤- ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ﴾ أي أهل مكة ﴿ ءَايَةٌ ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ ﴾ به ﴿ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾ من الرسالة والوحي إلينا لأنا أكثر مالاً وأكبر سنّا. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ بالجمع والإفراد، وحيث مفعول به لفعل دلّ عليه «أعلم» أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلاً لها ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ بقولهم ذلك ﴿ صَغَارٌ ﴾ ذل ﴿ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ أي بسبب مكرهم.

ابن قشير: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا، فحفظتها فأنزل الله في ذلك ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

■ أسباب نزول الآية ١٦١- قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ الآية، أخرج أبو داود والترمذي وحسنه عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء، فقدت يوم بدر فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ إلى آخر الآية. وأخرج الطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ جيشًا فردّت رايته، ثم بعث فردت، ثم بعث فردت، بغلول رأس غزال من ذهب فنزلت ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ
أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ
فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ
وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم
مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ
أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ
أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

١٢٥- ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ بأن يقذف في قلبه نورا فينفسح له ويقبله كما ورد في حديث[1] ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ الله ﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد عن قبوله ﴿حَرَجًا﴾ شديد الضيق بكسر الراء صفة، وفتحها مصدر وصف فيه مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ وفي قراءة «يصّاعد» وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسكونها ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدّته عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ العذاب أو الشيطان أي يسلّطه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

١٢٦- ﴿وَهَٰذَا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﷺ ﴿صِرَٰطُ﴾ طريق ﴿رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكد للجملة، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بيّنّا ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال: أي يتعظون، وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون.

١٢٧- ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي السلامة وهي الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

١٢٨- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون، والياء: أي الله الخلق ﴿جَمِيعًا﴾، ويقال لهم ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ﴾ بإغوائكم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات والجنّ بطاعة الإنس لهم ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ﴾ وهو يوم القيامة، وهذا تحسُّرٌ منهم ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ مأواكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم فإنه خارجها، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ وعن ابن عباس: أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون، فـ «ما» بمعنى «من» ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ بخلقه.

١٢٩- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما متعنا عصاة الإنس والجنّ بعضهم ببعض ﴿نُوَلِّى﴾ من الولاية ﴿بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ أي على بعض ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ من المعاصي.

١٣٠- ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي من مجموعكم أي بعضكم الصادق بالإنس أو رسل الجنّ، أنذرهم الذين يستمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ﴾ أن قد بلغنا. قال تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾.

١٣١- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إرسال الرسل ﴿أَن﴾ اللام مقدّرة وهي مخففة: أي لأنه ﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منها ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ لم يرسل إليهم رسول يبيّن لهم.

---

(١) [ضعيف]: قواه ابن كثير لطرقه وتعقبه الألباني في الضعيفة (٩٦٥) وبين أنه لا يقوى بمجموع طرقه.

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ
أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا
تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ
نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا
فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ
سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ
شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣٢- ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من العاملين ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ جزاء ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ بالياء والتاء.

١٣٣- ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ من الخلق ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ أذهبهم، ولكنه أبقاكم رحمة لكم.

١٣٤- ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَءَاتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ فائتين عذابنا.

١٣٥- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ موصولة مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أنحن أم أنتم؟ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ الكافرون.

١٣٦- ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين ولشركائهم نصيبا يصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ بالفتح والضم ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه وقالوا: إنّ الله غنيّ عن هذا، كما قال تعالى ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي لجهته ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ حكمهم هذا. ١٣٧- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذكر ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بالوأد ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الجنّ. بالرفع فاعل زَيَّن، وفي قراءة ببنائه للمفعول ورفع «قتل» ونصب الأولاد به وجر شركائهم بإضافته، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، ولا يضرّ، وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ يهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ١٦٥- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال: عوقبوا يوم أحد بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفرّ أصحاب النبي ﷺ وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه فأنزل الله ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ١٦٩ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ الآية، روى أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ الآية وما بعدها، وروي الترمذي عن جابر نحوه.

■ أسباب نزول الآية ١٧٢- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: إن الله قذف الرعب في قلب أبي سفيان يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع إلى مكة، فقال النبي ﷺ: إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفًا وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب، وكانت وقعة أحد في شوال، وكان التجار

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

١٣٨- ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حرام ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ من خدمة الأوثان وغيرهم ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي لا حجة لهم فيه ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فلا تركب كالسوائب والحوامي ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ونسبوا ذلك إلى الله ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ عليه.

١٣٩- ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ المحرّمة وهي السوائب والبحائر ﴿خَالِصَةٌ﴾ حلالٌ ﴿لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ أي النساء ﴿وَإِن تَكُن مَّيْتَةً﴾ بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصْفَهُمْ ۚ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم أي جزاءه ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه. ١٤٠- ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿أَوْلَٰدَهُمْ﴾ بالوأد ﴿سَفَهًۢا﴾ جهلاً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ مما ذكر ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾.

١٤١- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مبسوطات على الأرض كالبطيخ ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ بأن ارتفعت على ساق كالنخل ﴿وَ﴾ أنشأ ﴿ٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ ثمره وحبه في الهيئة والطعم ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ ورقهما حال ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ﴾ طعمهما ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ قبل النضج ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ زكاته ﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ بالفتح والكسر، من العشر أو نصفه ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ بإعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شيء ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين مَا حُدَّ لهم. ١٤٢- ﴿وَ﴾ أنشأ ﴿مِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً﴾ صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار ﴿وَفَرْشًا﴾ لا تصلح له كالإبل الصغار والغنم، سميت فرشا لأنها كالفرش للأرض لدنوّها منها ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ طرائقه في التحريم والتحليل ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بيِّن العداوة.

يقدمون المدينة في ذي القعدة فينزلون ببدر الصغرى، وأنهم قدموا بعد وقعة أحد وكان أصاب المؤمنين القرح واشتكوا ذلك، فندب النبي ﷺ الناس لينطلقوا معه فجاء الشيطان فخوّف أولياءه، فقال: إن الناس قد جمعوا لكم فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال: إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد، فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلاً فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء. فأنزل الله ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية، وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما رجع المشركون من أحد قالوا: لا محمدًا قتلتم ولا الكواعب أردفتم، بئسما صنعتم ارجعوا، فسمع رسول الله فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد أو بئر أبي عتبة، فأنزل الله ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية، وقد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة فأتوه فلم يجدوا به أحدًا وتسوّقوا، فأنزل الله ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الآية. وأخرج ابن مردويه عن أبي رافع أن النبي ﷺ وجه عليًا في نفر معه في طلب أبي سفيان فلقيهم أعرابي من خزاعة فقال: إن القوم قد جمعوا لكم، قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل فنزلت فيهم هذه الآية.

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ
قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾
وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ
فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ
فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا
كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا
ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

١٤٣- ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أصناف بدل من حمولة وفرشا ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ﴾ زوجين ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ﴾ بالفتح والسكون ﴿ٱثْنَيْنِ قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى ونسب ذلك إلى الله ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ اللهُ عليكم ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ ذكرا كان أو أنثى ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ فيه، المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام، أو الأنوثة فجميع الإناث، أو اشتمال الرحم فالزوجان، فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للإنكار.

١٤٤- ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ﴾ بل ﴿كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ حضورا ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ التحريم فاعتمدتم ذلك، لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

١٤٥- ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ شيئا ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مَيْتَةً﴾ بالنصب وفي قراءة بالرفع مع التحتانية ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ سائلا، بخلاف غيره كالكبد والطحال ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ حرام ﴿أَوْ﴾ أي إلا أن يكون ﴿فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى شيء مما ذكر فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ به، ويلحق بما ذكر بالسنة كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير.

١٤٦- ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وهو ما لم تفرّق أصابعه كالإبل والنعام ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ الثروب وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ أي ما علق بها منه ﴿أَوِ﴾ حملته ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ الأمعاء. جمع حاوياء أو حاوية ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ منه وهو شحم الألية فإنه أحل لهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ به ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ في أخبارنا ومواعيدنا.

■ أسباب نزول الآية ١٨١- قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ الآية، أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: دخل أبو بكر بيت المدارس فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، فقال له: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير ولو كان غنيًا عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبو بكر فضرب وجهه فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ، فقال يا محمد انظر ما صنع صاحبك بي، فقال: يا أبا بكر ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله قال قولاً عظيمًا يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فجحد فنحاص، فأنزل الله ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتت اليهود النبي ﷺ حين أنزل الله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فقالوا يا محمد افتقر ربك يسأل عباده؟ فأنزل الله ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ الآية.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

١٤٧ - ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئت به ﴿فَقُل﴾ لهم ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ عذابه إذا جاء ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

١٤٨ - ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ نحن ﴿ولا ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راض به. قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما كذب هؤلاء ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ بأن الله راض بذلك ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ أي لا علم عندكم ﴿إن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ تكذبون فيه.

١٤٩ - ﴿قُلْ﴾ إن لم تكن لكم حجة ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ التامة ﴿فَلَوْ شَآءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

١٥٠ - ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾ أحضروا ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ الذي حرّمتموه ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ يشركون. ١٥١ - ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَ﴾ ن ﴿لَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَ﴾ أحسنوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم﴾ بالوأد ﴿مِّنْ﴾ أجل ﴿إِمْلَٰقٍ﴾ فقر تخافونه ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ الكبائر كالزنى ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي علانيتها وسرّها ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ كالقود وحدّ الردّة ورجم المحصن ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ تتدبرون.

▣ أسباب نزول الآية ١٨٦ – قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ الآية، روى ابن أبي حاتم وابن المنذر بسند حسن عن ابن عباس أنها نزلت فيما كان بين أبي بكر وفنحاص من قوله: إن الله فقير ونحن أغنياء، وذكر عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما يهجو به النبي ﷺ وأصحابه من الشعر.

▣ أسباب نزول الآية ١٨٨- قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ الآية، روى الشيخان وغيرهما من طريق حميد ابن عبد الرحمن بن عوف أن مروان قال لبوابه اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم وهذه؟ إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه. وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري أن رجالاً من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف الرسول ﷺ، فإذا قدم اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ الآية. وأخرج عبد الرزاق في تفسيره عن زيد بن أسلم: أن رافع بن خديج وزيد بن ثابت كانا عند مروان. فقال مروان: يا رافع في أي شيء نزلت هذه الآية ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ قال رافع: أنزلت في أناس من المنافقين كانوا إذا خرج النبي ﷺ اعتذروا وقالوا ما حبسنا عنكم إلا شغل. فلوددنا أنا كنا معكـم، فأنزل الله فيهم هذه الآية، وكأن مروان أنكر ذلك

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٢ - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ أى بالخصلة التى ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهى ما فيه صلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بأن يحتلم ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها فى ذلك فإن أخطأ فى الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه كما ورد فى حديث[1] ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ فى حكم أو غيره ﴿فَاعْدِلُوا﴾ بالصدق ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ القول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قرابة ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ بالتشديد، تتعظون والسكون.

١٥٣ - ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح على تقدير اللام، والكسر استئنافا ﴿هَٰذَا﴾ الذي وصيتكم به ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين: تميل ﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

١٥٤ - ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة وثم لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ بيانا ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾ أي بني إسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾. ١٥٥ - ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكفر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾.

١٥٦ - أنزلناه لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن﴾ مخففة واسمها محذوف أي إنا ﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم ﴿لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ لعدم معرفتنا لها إذ ليست بلغتنا.

١٥٧ - ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لجودة أذهاننا ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمن اتبعه ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾ أعرض ﴿عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي أشده ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

فجزع رافع من ذلك فقال لزيد بن ثابت أنشدك بالله هل تعلم ما أقول؟ قال: نعم. قال الحافظ ابن حجر: يجمع بين هذا وبين قول ابن عباس بأنه يمكن أن تكون نزلت في الفريقين معًا. قال وحكى الفراء أنها نزلت في قول اليهود: نحن أهل الكتاب الأول والصلاة والطاعة، ومع ذلك لا يقرون بمحمد وروى ابن أبي حاتم من طرق عن جماعة من التابعين نحو ذلك، ورجحه ابن جرير، ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك، انتهى.

■ أسباب نزول الآية ١٩٠ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ﴾ الآية. أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه، ويد بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فأتوا النبي ﷺ فقالوا ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبًا، فدعا ربه فنزلت الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فليتفكروا فيها.

---

(١) [ضعيف]: انظر «ضعيف الجامع» (٢٠٤٠) وأيضًا ابن كثير عند هذا الموضع (٢٦٣/٣) طـ التوفيقية.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ
بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

١٥٨- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذبون ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي أمره بمعنى عذابه ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أي علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين[1] ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ الجملة صفة نفس ﴿أَوْ﴾ نفسا لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ طاعة أي لا تنفعها توبتها كما في الحديث ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟﴾ أحد هذه الأشياء ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ ذلك. ١٥٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيه فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ فرقا في ذلك. وفي قراءة «فارقوا» أي تركوا دينهم الذي أمروا به وهم اليهود والنصارى ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي فلا تتعرض لهم ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يتولاه ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف. ١٦٠- ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ أي لا إله إلا الله ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي جزاء عشر حسنات ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي جزاؤه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ ينقصون من جزائهم شيئا. ١٦١- ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ويبدل من محله ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ مستقيما ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

١٦٢- ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ عبادتي من حج وغيره ﴿وَمَحْيَايَ﴾ حياتي ﴿وَمَمَاتِي﴾ موتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾. ١٦٣- ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في ذلك ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ أي التوحيد ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ من هذه الأمة. ١٦٤- ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ إلها: أي لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ﴾ مالك ﴿كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ذنبا ﴿إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ﴾ تحمل نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾. ١٦٥- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضا فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أعطاكم ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ بهم.

■ أسباب نزول الآية ١٩٥ - قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ الآية. أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور والترمذي والحاكم وابن أبي حاتم عن أم سلمة أنها قالت يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء. فأنزل الله ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ إلى آخر الآية.

■ أسباب نزول الآية ١٩٩- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية. روى النسائي عن أنس قال: لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله ﷺ: صلوا عليه قالوا يا رسول الله تصلي على عبد حبشي؟ فأنزل الله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ وروى ابن جرير نحوه عن جابر، وفي المستدرك عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت في النجاشي ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ الآية.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (التفسير/ ٤٦٣٥/ فتح)، مسلم في (الإيمان/ ١٥٧/ عبد الباقي).

سورة الأعراف

[مكية، إلا من آية:١٦٣ إلى غاية: ١٧٠ فمدنية. وآياتها ٢٠٥ أو ٢٠٦، نزلت بعد ص]

سُورَةُ الأَعْرَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ٢- هذا ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾ ضيق ﴿ مِّنْهُ ﴾ أن تبلغه مخافة أن تكذب ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ متعلق بأنزل: أي للإنذار ﴿ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ ﴾ تذكرة ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ به. ٣- قل لهم ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي القرآن ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ﴾ تتخذوا ﴿ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ أي الله: أي غيره ﴿ أَوْلِيَآءَ ﴾ تطيعوهم في معصيته تعالى ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ بالتاء والياء: تتعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال وفي قراءة بسكونها، و «ما» زائدة لتأكيد القلة. ٤- ﴿ وَكَم ﴾ خبرية مفعول ﴿ مِّن قَرْيَةٍ ﴾ أريد أهلها ﴿ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ أردنا إهلاكها ﴿ فَجَآءَهَا بَأْسُنَا ﴾ عذابنا ﴿ بَيَٰتًا ﴾ ليلاً ﴿ أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ نائمون بالظهيرة، والقيلولة: استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم. أي مرّة جاءها ليلاً، ومرّة نهارا. ٥- ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ قولهم ﴿ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾. ٦- ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي الأمم عن إجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم ﴿ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ عن الإبلاغ. ٧- ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا. ٨- ﴿ وَٱلْوَزْنُ ﴾ للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد في حديث[1]، كائنٌ ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ العدل: صفة لوزن ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ بالحسنات ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾ الفائزون. ٩- ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ بالسيئات ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم ﴾ بتصييرها إلى النار ﴿ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ يجحدون. ١٠- ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ ﴾ يا بني آدم ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾ بالياء: أسبابا تعيشون بها، جمع معيشة ﴿ قَلِيلًا مَّا ﴾ لتأكيد القلة ﴿ تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ على ذلك. ١١- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ أي أباكم آدم ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ أي صورناه وأنتم في ظهره ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ أبا الجنّ كان بين الملائكة ﴿ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾.

(سورة النساء)

■ **أسباب نزول الآية ٤ - قوله تعالى:** ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن أبي صالح قال: كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عن ذلك، فأنزل ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٧ - قوله تعالى:** ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ ﴾ أخرج أبو الشيخ وابن حبان في كتاب الفرائض من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار من الذكور حتى يدركوا،

---

(١) هذا الخبر لا يثبت، وانظر الكلام على الميزان في «معارج القبول»، «شرح لمعة الاعتقاد».

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

١٥٢

١٢- ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَ﴾ ن ﴿لَا﴾ زائدة ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾. ١٣- ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة، وقيل من السموات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ الذليلين. ١٤- ﴿قَالَ أَنظِرْنِي﴾ أخرني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي الناس. ١٥- ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ وفي آية أخرى ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ أي وقت النفخة الأولى. ١٦- ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي بإغوائك لي، والباء للقسم وجوابه ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي لبني آدم ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ أي على الطريق الموصل إليك. ١٧- ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ أي من كل جهة فأمنعهم عن سلوكه. قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ مؤمنين.

١٨- ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ بالهمز: معيبا أو ممقوتا ﴿مَّدْحُورًا﴾ مُبْعَدا عن الرحمة ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من الناس، واللام للابتداء أو موطئة للقسم، وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ أي منك بذرّيتك ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «من» الشرطية: أي من تبعك أعذبه. ١٩- ﴿وَ﴾ قال ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير في «اسكن» ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حوّاء بالمد ﴿الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها وهي الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾. ٢٠- ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿لِيُبْدِيَ﴾ يظهر ﴿لَهُمَا مَا وُورِيَ﴾ فُوعِلَ: من المواراة ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾ كراهة ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ وقرئ بكسر اللام ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ أي وذلك لازم عن الأكل منها كما في آية أخرى ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾. ٢١- ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ في ذلك. ٢٢- ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ حطّهما عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أي أكلا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ أي ظهر لكلّ منهما قبلهُ وقُبل الآخر ودُبره، وسمي كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ بيّن العداوة، والاستفهام للتقرير.

فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين وابنًا صغيرًا، فجاء ابنا عمه خالد وعرفطة وهما عصبة، فأخذا ميراثه كله، فأتت امرأته رسول الله ﷺ فذكرت له، فقال: ما أدري ما أقول؟ فنزلت ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ١١ – قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ أخرج الأئمة الستة عن جابر بن عبد الله قال: عادني رسول الله وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني ﷺ لا أعقل شيئًا، فدعا بماء فتوضأ، ثم رش عليَّ فأفقت، فقلت ما

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

١٥٣

٢٣- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ بمعصيتنا ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٤- ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟﴾ أي آدم وحوّاء بما اشتملتما عليه من ذرّيتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرّية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضا ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي مكان استقرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ تنقضي فيه آجالكم.

٢٥- ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي الأرض ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول.

٢٦- ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أي خلقناه لكم ﴿يُوَٰرِى﴾ يستر ﴿سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ وهو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن، بالنصب عطف على «لباسا» والرفع مبتدأ خبره: جملة ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب.

٢٧- ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ يضلنّكم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي لا تتبعوه فتفتنوا ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾ بفتنته ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ﴾ حال ﴿عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ﴾ أي الشيطان ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ أعوانا وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

٢٨- ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴿٢٨﴾﴾ كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فنهوا عنها ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ فاقتدينا بهم ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه قاله، استفهام إنكار.

٢٩- ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا۟﴾ معطوف على معنى ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ أي قال: أقسطوا وأقيموا، أو قبله فاقبلوا مقدرا ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي أخلصوا له سجودكم ﴿وَٱدْعُوهُ﴾ اعبدوه، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئا ﴿تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ أي يعيدكم أحياء يوم القيامة. ٣٠- ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

تأمرني أن أصنع في مالي؟ فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾. وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله: هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في أحد شهيدًا، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً ولا تنكحان إلا ولهما مال، فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث قال الحافظ ابن حجر: تمسك بهذا من قال: إن الآية نزلت في قصة ابنتي سعد، ولم تنزل في قصة جابر خصوصًا أن جابرًا لم يكن له يومئذ ولد، قال: والجواب أنها نزلت في الأمرين معًا، ويحتمل أن يكون نزول أولها في قصة البنتين، وآخرها وهو قوله ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ في قصة جابر، ويكون مراد جابر بقوله، فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ﴾: أي ذكر الكلالة المتصل بهذه الآية انتهى.

۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

٣١- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ ما يستر عورتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ ما شئتم ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾. ٣٢- ﴿قُلۡ﴾ إنكارا عليهم ﴿مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ من اللباس ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ المستلذات ﴿مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةٗ﴾ خاصة بهم. بالرفع والنصب، حال ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ نبيّنها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ يتدبرون فإنهم المنتفعون بها. ٣٣- ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ الكبائر كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي جهرها وسرّها ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾ المعصية ﴿وَٱلۡبَغۡيَ﴾ على الناس ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ وهو الظلم ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿سُلۡطَٰنٗا﴾ حجة ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ من تحريم ما لم يحرّم وغيره. ٣٤- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ﴾ مدّة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ عليه.

٣٥- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشرك ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ في الآخرة.

٣٦- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ تكبروا ﴿عَنۡهَآ﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾. ٣٧- ﴿فَمَنۡ﴾ أي لا أحد ﴿أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ﴾ يصيبهم ﴿نَصِيبُهُم﴾ حظهم ﴿مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ أي الملائكة ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ﴾ لهم تبكيتا ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

وقد ورد سبب ثالث، أخرج ابن جرير عن السدي قال كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كحة وخمس بنات، فجاء الورثة يأخذون ماله فشكت أم كحة ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾. ثم قال في أم كحة ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ﴾. وقد ورد في قصة سعد بن الربيع وجه آخر، فأخرج القاضي إسماعيل في أحكام القرآن من طريق عبد الملك بن محمد بن حزم أن عمرة بنت حزم كانت تحت سعد بن الربيع فقتل عنها بأحد، وكان له منها ابنة، فأتت النبي ﷺ تطلب ميراث ابنتها، ففيها نزلت ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول هذه الآية ١٩**- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ روى البخاري وأبو داود والنسائي عن ابن عباس قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند حسن عن أبي

قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾

٣٨- ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم يوم القيامة ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ﴾ جملة ﴿أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾ متعلق بـ «ادخلوا» ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ﴾ النار ﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾ التي قبلها لضلالها بها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾ وهم الأتباع ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ أي لأجلائهم وهم المتبوعون ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا﴾ مضعفا ﴿مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ﴾ تعالى ﴿لِكُلّٖ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعۡفٞ﴾ عذاب مضعَّف ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ بالياء والتاء ما لكل فريق. ٣٩- ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ لأنكم تكفرون بسببنا فنحن وأنتم سواء، قال تعالى لهم ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾. ٤٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ تكبَّروا ﴿عَنۡهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ إذا عُرج بأرواحهم إليها بعد الموت فيُهبط بها إلى سجّين، بخلاف المؤمن فتفتح له ويُصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد في حديث ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ﴾ يدخل ﴿ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ ثقب الإبرة وهو غير ممكن، فكذا دخولهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ بالكفر. ٤١- ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ﴾ فراش ﴿وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖ﴾ أغطية من النار: جمع غاشية، وتنوينه عوَض من الياء المحذوفة ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾. ٤٢- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مبتدأ، وقوله ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾ طاقتها من العمل اعتراض بينه وبين خبره، وهو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

٤٣- ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ﴾ حقْدٍ كان بينهم في الدنيا ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ﴾ تحت قصورهم ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ حذف جواب «لولا» لدلالة ما قبله عليه ﴿لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن﴾ مخففة: أي إنه أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

أمامة بن سهل بن حنيف قال لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية، فأنزل الله ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ وله شاهد عن عكرمة عن ابن جرير. وأخرج ابن أبي حاتم والفريابي والطبراني عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال: توفي أبو قيس بن الأسلت، وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأته، فقالت: إنما أعدّك ولدًا وأنت من صالحي قومك، فأتت النبي فأخبرته، فقال: ارجعي إلى بيتك، فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾، وأخرج ابن سعد عن محمد ابن كعب القرظي قال: كان الرجل إذا توفي عن امرأته كان ابنه أحق بها أن ينكحها إن شاء إن لم تكن أمه أو ينكحها من شاء، فلما مات أبو قيس بن الأسلت قام ابنه محصن فورث نكاح امرأته و لم يورثها من المال شيئًا، فأتت النبي فذكرت ذلك له، فقال ارجعي لعل الله ينزل فيك شيئًا، فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، ونزلت ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ الآية. وأخرج أيضًا عن الزهري قال: نزلت هذه الآية في ناس من الأنصار كان إذا مات الرجل منهم كان أملك الناس بامرأته وليه فيمسكها حتى تموت.

وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا
فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن
لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ
رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ
أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ
ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ
ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ
﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا
مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى
ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا
وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟
لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

٤٤- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ﴾ تقريرا وتبكيتا ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ﴾ كم ﴿رَبُّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ﴾ نادى منادٍ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾. ٤٥- ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجَّة ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

٤٦- ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ أي أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابٌ﴾ حاجز، قيل هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ استوت حسناهم وسيئاهم كما في الحديث[1] ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّۢا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَىٰهُمْ﴾ بعلامتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم، إذ موضعهم عال ﴿وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال تعالى ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ في دخولها، قال الحسن: لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم. وروى الحاكم عن حذيفة قال: «بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلُوا الجنة فقد غفرت لكم». ٤٧- ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿تِلْقَآءَ﴾ جهة ﴿أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾ في النار ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

٤٨- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ﴾ من النار ﴿جَمْعُكُمْ﴾ المال أو كثرتكم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي واستكباركم عن الإيمان، ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين. ٤٩- ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ قد قيل لهم ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ وقرئ «أُدْخِلوا» بالبناء للمفعول، و «دخلوا» فجملة النفي حال أي مقولاً لهم ذلك. ٥٠- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ منعهما ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾. ٥١- ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا﴾ بتركهم العمل له ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ أي وكما جحدوا.

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: قلت لعطاء ﴿وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ﴾ قال: كنا نتحدث أنها نزلت في محمد حين نكح امرأة زيد بن حارثة، قال: المشركون في ذلك، فنزلت ﴿وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ﴾ ونزلت ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾. ونزلت ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٢٤ - قوله تعالى: ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ﴾ الآية، روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال: أصبنا سبايا من سبي أوطاس لهن أزواج فكرهن أن نقع عليهن، ولهن أزواج فسألنا النبي ﷺ فنزلت ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ يقول إلا ما أفاء الله عليكم فاستحللنا بها فروجهن. وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: نزلت يوم حنـين لما فتح الله حنينًا أصاب المسـلمون نساء من نساء أهل الكتاب

---

(١) انظر ما ورد في ذلك والكلام عليه في «تفسير ابن كثير».

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٥٢- ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم﴾ أي أهل مكة ﴿بِكِتَٰبٍ﴾ قرآن ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ بيّناه بالإخبار والوعد والوعيد ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال: أي عالمين بما فصل فيه ﴿هُدًى﴾ حال من الهاء ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ به. ٥٣- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به: ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحد الله ونترك الشرك؟ فيقال لهم: لا. قال تعالى ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ إذ صاروا إلى الهلاك ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ من دعوى الشريك. ٥٤- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا: أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس، ولو شاء خلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك، استواء يليق به ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ مخففا ومشددا: أي يغطي كلاً منهما بالآخر ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ يطلب كل منهما الآخر طلبا ﴿حَثِيثًا﴾ سريعا ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ بالنصب عطفا على السموات، والرفع مبتدأ خبره ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ مذللات ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بقدرته ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جميعا ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿ٱللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾. ٥٥- ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال تذللاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ سرًّا ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ في الدعاء بالتشدّق ورفع الصوت. ٥٦- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ المطيعين، وتذكير «قريب» المخبر به عن «رحمة» لإضافتها إلى الله. ٥٧- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي متفرّقة قدّام المطر. وفي قراءة بسكون الشين تخفيفا. وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدرا. وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون: أي مبشرا، ومفرد الأولى: نَشُور كرسول، والأخيرة بَشير ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر ﴿سُقْنَٰهُ﴾ أي السحاب، وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لا نبات به: أي لإحيائها ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ فتؤمنون.

لهن أزواج، وكان الرجل إذا أراد أن يأتي المرأة قالت: إن لي زوجًا، فسئل ﷺ عن ذلك، فأنزل الله ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية. قوله تعالى ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن معمر بن سليمان عن أبيه قال: زعم حضرمي أن رجالاً كانوا يفرضون المهر ثم عسى أن تدرك أحدهم العسرة، فنزلت ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٣٢** - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟﴾ روى الترمذي والحاكم عن أم سلمة أنها قالت يغزو الرجال ولا يغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ وأنزل فيها

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ
هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

٥٨- ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ حسنا ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ ترابه ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ عسرا بمشقة، وهذا مَثَل للكافر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بيّنا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبيّن ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ الله فيؤمنون. ٥٩- ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ بالجرّ صفة لإله، والرفع بدل من محله ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ هو يوم القيامة.

٦٠- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ بين. ٦١- ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ هي أعم من الضلال، فنفيها أبلغ من نفيه ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾. ٦٢- ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ﴾ أريد الخير ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾. ٦٣- ﴿أَ﴾ كذبتم ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ بها. ٦٤- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من الغرق ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ عن الحق. ٦٥- ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ﴾ الأولى ﴿أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ تخافونه فتؤمنوا. ٦٦- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ جهالة ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ في رسالتك. ٦٧- ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتت امرأة النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله للذكر مثل حظ الأنثيين، وشهادة امرأتين برجل، أفنحن في العمل هكذا؟ إن عملت المرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة فأنزل الله ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٣٣** – قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ الآية: أخرج أبو داود في سننه من طريق ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال: كنت أقرأ على أم سعد ابنة الربيع، وكانت مقيمة في حجر أبي بكر، فقرأت ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ فقالت لا، ولكن والذين عقدت، وإنما نزلت في أبي بكر وابنه حين أبى الإسلام، فحلف أبو بكر أن لا يورثه، فلما أسلم أمره أن يؤتيه نصيبه.

■ **أسباب نزول الآية ٣٤** – قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تستعدي على زوجها أنه لطمها، فقال رسول الله ﷺ: القصاص، فأنزل الله ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، فرجعت بغير قصاص. وأخرج ابن جرير من طرق عن الحسن، وفي بعضها أن رجلا من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص، فنزلت ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ ونزلت: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾، وأخرج نحوه عن ابن جريج والسدي. وأخرج ابن مردويه عن علي قال: أتى النبي ﷺ رجل من الأنصار بامرأة له، فقالت يا رسول الله: إنه ضربني، فأثّر في وجهي، فقال رسول الله: ليس له ذلك، فأنزل الله ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، فهذه شواهد يقوي بعضها بعضًا.

٦٨- ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ مأمون على الرسالة.
٦٩- ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ ﴾ لسان ﴿ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ ﴾ في الأرض ﴿ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ قوة وطولا، وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ ﴾ نعمه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ تفوزون.
٧٠- ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ ﴾ نترك ﴿ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ به من العذاب ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ في قولك. ٧١- ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ ﴾ وجب ﴿ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ ﴾ عذاب ﴿ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ أي سميتم بها ﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ أصناما تعبدونها ﴿ مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾ أي بعبادتها ﴿ مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ حجة وبرهان ﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ العذاب ﴿ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ ذلكم بتكذيبكم لي فأرسلت عليهم الريح العقيم. ٧٢- ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾ أي هودا ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ من المؤمنين ﴿ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ﴾ القوم ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ أي استأصلناهم ﴿ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ عطف على كذبوا. ٧٣- ﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ إِلَىٰ ثَمُودَ ﴾ بترك الصرف مرادا به القبيلة ﴿ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ ﴾ معجزة ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ على صدقي ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ حال عاملها معنى الإشارة، وكانوا سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عيّنوها ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ بعقر أو ضرب ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

■ أسباب نزول الآية ٣٧ – قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: كان علماء بني إسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم، فأنزل الله ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: كان كردم بن زيد حليف كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت يأتون رجالاً من الأنصار ينصحون لهم فيقولون: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون ما يكون، فأنزل الله فيهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٤٣ – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ﴾ الآية، روى أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن علي قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعامًا فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ ﴾ ونحن نعبد ما تعبدون، فأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم وابن المنذر عن علي قال: نزلت هذه الآية قوله ﴿ وَلَا جُنُبًا ﴾ في المسافر تصيبهُ الجنابة فيتيمم ويصلي. وأخرج ابن مردويه عن الأسلع بن شريك قال: كنت أرحِّل ناقة رسول الله ﷺ فأصابتني جنابة في ليلة باردة، فخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأنزل الله ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ الآية كلها. وأخرج

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

٧٤- ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ ﴾ في الأرض ﴿ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ ﴾ أسكنكم ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾ تسكنونها في الصيف ﴿ وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ تسكنونها في الشتاء، ونصبه على الحال المقدّرة ﴿ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

٧٥- ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ تكبّروا عن الإيمان به ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾ أي من قومه بدل مما قبله بإعادة الجار ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ إليكم ﴿ قَالُوٓا۟ ﴾ نعم ﴿ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

٧٦- ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

٧٧- وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم، فملّوا ذلك ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ ﴾ عقرها قدار بأمرهم بأن قتلها بالسيف ﴿ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ به من العذاب على قتلها ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

٧٨- ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ باركين على الركب ميتين.

٧٩- ﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾ أعرض صالح ﴿ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

٨٠- ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ لُوطًا ﴾ ويبدل منه ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ أي أدبار الرجال ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الإنس والجنّ.

٨١- ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال الألف بينهما على الوجهين ﴿ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

الطبراني عن الأسلع قال: كنت أخدم النبي ﷺ وأرحل له، فقال لي ذات يوم: يا أسلع قم فارحل، فقلت: يا رسول الله أصابتني جنابة، فسكت رسول الله ﷺ وأتاه جبريل بآية الصعيد فقال رسول الله ﷺ: قم يا أسلع فتيمم، فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين، فقمت فتيممت ثم رحلت له. وأخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي حبيب: أن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد، فكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممرًا إلا في المسجد، فأنزل الله قوله ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار كان مريضًا فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ، ولم يكن له خادم يناوله فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي قال: نال أصحاب النبي ﷺ جراحة ففشت فيهم، ثم ابتلوا بالجنابة فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ ﴾ الآية كلها.

■ **أسباب نزول الآية ٤٤-** قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء اليهود، وإذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه، وقال أرعنا سمعك يا محمد حتى نفقهك، ثم طعن في الإسلام دعابة، فأنزل الله فيه ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن
قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ
إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ
وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ
مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ
فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

٨٢- ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾
أي لوطا وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾
من أدبار الرجال. ٨٣- ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ
مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ الباقين في العذاب. ٨٤- ﴿وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ﴾ هو حجارة السجيل فأهلكتهم ﴿فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾. ٨٥- ﴿وَ﴾
أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا
لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن
رَّبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿فَأَوْفُواْ﴾ أتموا ﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخَسُواْ﴾ تنقصوا ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى
ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل
﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾
مريدي الإيمان فبادروا إليه. ٨٦- ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ
صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوّفون الناس بأخذ ثيابهم أو
المكس منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾
دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾
تطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾ معوجّة ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ
﴿٨٦﴾﴾ قبلكم بتكذيبهم رسلهم: أي آخر أمرهم من الهلاك. ٨٧- ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ
أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ به ﴿فَٱصْبِرُواْ﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ﴾ وبينكم بإنجاء المحق وإهلاك
المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ أعدلهم.

■ **أسباب نزول الآية ٤٧**– قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: كلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار اليهود، منهم عبد الله بن صوريا وكعب بن أسيد فقال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به الحق، فقالوا ما نعرف ذلك يا محمد فأنزل الله فيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٤٨** – قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ أخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن أبي أيوب الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال: وما دينه؟ قال يصلي ويوحد الله، قال: استوهب منه دينه فإن أبى فابتعه منه، فطلب الرجل ذلك منه فأبى عليه، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحًا على دينه، فنزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٤٩**– قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم، ويقربون قربانهم، ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ . وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ومجاهد وأبي مالك وغيرهم.

■ **أسباب نزول الآية ٥١**– قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ﴾ الآية، أخرج أحمد وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت قريش: ألا ترى هذا المنصبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة، وأهل السقاية ؟ قال: أنتم خير، فنزلت فيهم ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ونزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى ﴿نَصِيرًا﴾. وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان، وبني قريظة: حيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق وأبو رافع والربيع بن أبي الحقيق، وأبو عمارة وهوذة بن قيس، وكان سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش، قالوا هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم
بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلَأُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ
(٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١)
الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا
كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ
عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا
أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ
بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ
آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥)

٨٨- ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ ترجعنّ ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾ ديننا وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيبا لم يكن في ملتهم قط، وعلى نحوه أجاب ﴿قَالَ أَ﴾ نعود فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨)﴾ لها استفهام إنكار. ٨٩- ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي وسع علمه كل شيء، ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩)﴾ الحاكمين. ٩٠- ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ أى قال بعضهم لبعض ﴿لَئِنِ﴾ لام القسم ﴿اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠)﴾.

٩١- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١)﴾ باركين على الركب ميتين.

٩٢- ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف: أي كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم. ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢)﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره للردّ عليهم في قوله السابق. ٩٣- ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ آسَىٰ﴾ أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣)﴾ استفهام بمعنى النفي.

٩٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّا أَخَذْنَا﴾ عاقبنا ﴿أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ شدّة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤)﴾ يتذللون فيؤمنون. ٩٥- ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ كثروا ﴿وَّقَالُوا﴾ كفرا للنعمة ﴿قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه. قال تعالى ﴿فَأَخَذْنَاهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥)﴾ بوقت مجيئه قبله.

بالكتب الأولى، فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله ﴿مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: قال أهل الكتاب زعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع، وله تسع نسوة وليس همه إلا النكاح، فأيُّ مُلك أفضل من هذا؟ فأنزل الله ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ الآية، وأخرج ابن سعد عن عمر مولى عفرة نحوه أبسط منه.

■ **أسباب نزول الآية ٥٨-** قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾، أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما فتح رسول الله مكة دعا عثمان بن طلحة، فلما أتاه قال: أرني المفتاح، فأتاه به فلما بسط يده إليه قام العباس فقال: يا رسول الله بأبي وأمي اجمعه لي مع السقاية، فكفَّ عثمان يده، فقال رسول الله ﷺ هات المفتاح يا عثمان، فقال: هاك أمانة الله، فقام ففتح الكعبة، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم نزل عليه جبريل بردّ المفتاح، فدعا عثمان بن طلحة فأعطاه المفتاح ثم قال: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ حتى فرغ من الآية. وأخرج شعبة في تفسيره عن حجاج عن ابن جريج قال: نزلت هذه الآية في عثمان بن طلحة أخذ منه رسول الله مفتاح الكعبة، فدخل به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان، فناوله المفتاح، قال: وقال عمر بن الخطاب لما خرج

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾
تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ
﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ
فَظَلَمُوا۟ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

٩٦- ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبين ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسلهم ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾. ٩٧- ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبون ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ غافلون عنه. ٩٨- ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهارا ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

٩٩- ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

١٠٠- ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يتبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ بالسكنى ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ هلاك ﴿أَهْلِهَآ أَن﴾ فاعل مخففة، واسمها محذوف: أي إنه ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أصبنا من قبلهم، والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ، والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف. وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأوّل عطفا بـ «أو» ﴿وَ﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ الموعظة سماع تدبُّر. ١٠١- ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ التي مرّ ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ أخبار أهلها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟﴾ كفروا به ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾. ١٠٢- ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ أي الناس ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

١٠٣- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي الرسل المذكورين ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ قومه ﴿فَظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ بالكفر من إهلاكهم.

١٠٤- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ إليك.

رسول الله من الكعبة، وهو يتلو هذه الآية: فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك، قلت: ظاهر هذا أنها نزلت في جوف الكعبة.

■ أسباب نزول الآية ٥٩- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن حُذَافة بن قيس إذ بعثه النبي ﷺ في سرية، كذا أخرجه مختصرًا وقال الداودي هذا وهم، يعني الافتراء على ابن عباس: فإن عبد الله بن حُذَافة خرج على جيش فغضب فأوقد نارًا وقال: اقتحموا فامتنع بعض وهمّ بعض أن يفعل، قال: فإن كانت الآية نزلت قبل، فكيف يخص عبد الله بن حذافة بالطاعة دون غيره، وإن كانت نزلت بعده فإنما قيل لهم: إنما الطاعة في المعروف، وما قيل لهم لِمَ لم تطيعوه، وأجاب الحافظ ابن حجر بأن المقصود في قصته: فإن تنازعتم في شيء فإنهم تنازعوا في امتثال الأمر بالطاعة، والتوقف فرارًا من النار فناسب أن ينزل في ذلك ما يرشدهم إلى ما يفعلونه عند التنازع، وهو الرد إلى الله والرسول، وقد أخرج ابن جرير أنها نزلت في قصة جرت لعمار بن ياسر مع خالد بن الوليد وكان خالد أميرًا، فأجار عمار رجلاً بغير أمره فتخاصما، فنزلت.

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟
أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟
هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

١٠٥- فكذبه. فقال أنا. ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾ أي بأن ﴿لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وفي قراءة بتشديد الياء، فـ «حقيق» مبتدأ خبره «أن» وما بعده ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ وكان استعبدهم. ١٠٦- ﴿قَالَ﴾ فرعون له ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ فيها.

١٠٧- ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ حية عظيمة. ١٠٨- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة. ١٠٩- ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ فائق في علم السحر. وفي الشعراء: أنه من قول فرعون نفسه، فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور. ١١٠- ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

١١١- ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخِّر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ جامعين.

١١٢- ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ وفي قراءة سحار ﴿عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ يفضُل موسى في علم السحر فجمعوا.

١١٣- ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وفي قراءة إن ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾.

١١٤- ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

١١٥- ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ ما معنا.

١١٦- ﴿قَالَ أَلْقُوا۟﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ حبالهم وعصيهم ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ خوّفوهم حيث خيّلوها حيات تسعى ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾.

١١٧- ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل: تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ يقلبون بتمويههم.

١١٨- ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ ثبت وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ من السحر.

١١٩- ﴿فَغُلِبُوا۟﴾ أي فرعون وقومه ﴿هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ صاروا ذليلين.

١٢٠- ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ٦٠ - قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾، أخرج ابن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ إلى قوله ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: كان الجلاس بن الصامت، ومتعب بن قشير، ورافع بن زيد، وبشر يدَّعون الإسلام فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ فدعوهم إلى الكهان حكّام الجاهلية فأنزل الله فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال: كان بين

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ
فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾
قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ
﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ
نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ
ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا
مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

١٢١- ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١﴾. ١٢٢- ﴿رَبِّ
مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا
يتأتى بالسحر. ١٢٣- ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم ١٢٣﴾ بتحقيق
الهمزتين وإبدال الثانية ألفا ﴿بِهِۦ﴾ بموسى ﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ﴾
أنا ﴿لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي صنعتموه ﴿لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي
ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني.
١٢٤- ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ أي يد كل
واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٢٤﴾.
١٢٥- ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان
﴿مُنقَلِبُونَ ١٢٥﴾ راجعون في الآخرة. ١٢٦- ﴿وَمَا تَنقِمُ﴾
تنكر ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ
عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ عند فعل ما توعَّدنا به بنا لئلا نرجع كفارا
﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾. ١٢٧- ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ﴾
له ﴿أَتَذَرُ﴾ تترك ﴿مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾
بالدعاء إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ وكان صنع لهم
أصناما صغارا يعبدونها وقال: أنا ربكم وربها، ولذا قال: أنا ربكم الأعلى ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾ بالتشديد
والتخفيف ﴿أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ المولودين ﴿وَنَسۡتَحۡيِۦ﴾ نستبقي ﴿نِسَآءَهُمۡ﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ
قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل. ١٢٨- ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ
بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾ يعطيها ﴿مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾
المحمودة ﴿لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ الله. ١٢٩- ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ فيها. ١٣٠- ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ
فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ بالقحط ﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾ يتعظون فيؤمنوا.

رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فقال، اليهودي أحاكمك إلى أهل دينك أو قال النبي لأنه قد علم أنه لا يأخذ الرشوة في الحكم، فاختلفا واتفقا على أن يأتيا كاهنًا في جهينة، فنزلت.

■ **أسباب نزول الآية ٦٥** – قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾، أخرج الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج الحرة، فقال: اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك، فقال الأنصاري يا رسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجهه ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدار، ثم أرسل إلى جارك واستوعب للزبير حقه، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾. وأخرج الطبراني في الكبير والحميدي في مسنده عن أم سلمة قالت: خاصم الزبير رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقضى للزبير فقال الرجل: إنما قضى له لأنه ابن عمته، فنزلت ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب في قوله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ الآية قال: أنزلت في الزبير بن العوَّام وحاطب بن أبي بلتعة اختصما في ماء، فقضى النبي ﷺ أن يسقى الأعلى ثم الأسفل. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الأسود قال: اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه ردنا إلى عمر بن الخطاب فأتيا إليه، فقال الرجل: قضى لي رسول الله ﷺ على هذا، فقال ردَّنا إلى عمر، فقال أكذلك؟ قال نعم فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما فأقضي بينكما، فخرج إليهما مشتملاً على سيفه،

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣١- ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ الخصب والغنى ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي نستحقها، ولم يشكروا عليها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا۟﴾ يتشاءموا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ أن ما يصيبهم من عنده. ١٣٢- ﴿وَقَالُوا۟﴾ لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ فدعا عليهم. ١٣٣- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ السوس أو هو نوع من القراد فتتبع ما تركه الجراد ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ في مياههم ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ مبينات ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾. ١٣٤- ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾.

١٣٥- ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم. ١٣٦- ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحر الملح ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ لا يتدبرونها. ١٣٧- ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعباد وهم بنو إسرائيل ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر صفة للأرض وهي الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي قوله ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الخ ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ على أذى عدوهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ من العمارة ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ بكسر الراء وضمها. يرفعون من البنيان.

فضرب الذي قال ردَّنا إلى عمر فقتله، فأنزل الله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية مرسل غريب في إسناده ابن لهيعة وله شاهد أخرجه دُحَيْم في تفسيره من طريق عتبة بن ضمرة عن أبيه. وأخرج ابن جرير عن السدي قال: لما نزلت ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾. افتخر ثابت بن قيس بن شماس، ورجل من اليهود، فقال اليهودي: والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم فقتلنا أنفسنا، فقال ثابت: والله لو كتب علينا اقتلوا أنفسكم لقتلنا أنفسنا، فأنزل الله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٦٩** – قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾، أخرج الطبراني وابن مردويه بسند لا بأس به عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إنك لأحب إليَّ من نفسي، وإنك لأحب إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد النبي ﷺ شيئًا حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال: قال أصحاب محمد ﷺ: يا رسول الله، ما ينبغي لنا أن نفارقك فإنك لو قدمت لرفعت فوقنا ولم نرك فأنزل الله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الآية. وأخرج عن عكرمة قال:

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ
أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ
قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ
مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا
وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم
مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ
أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن
رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ
وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ
سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ
رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ
إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ
رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ
قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

١٣٨- ﴿وَجَٰوَزۡنَا﴾ عبرنا ﴿بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ﴾ فمرّوا ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ﴾ بضم الكاف وكسرها ﴿عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ صنما نعبده ﴿كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه. ١٣٩- ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ﴾ هالك ﴿مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾. ١٤٠- ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا﴾ معبودا، وأصله أبغي لكم ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ في زمانكم بما ذكره في قوله: ١٤١- ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم﴾ وفي قراءة «أنجاكم» ﴿مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أشدّه وهو ﴿يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ﴾ ويستبقون ﴿نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٞ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾﴾ أفلا تتعظون فتنتهوا عما قلتم؟. ١٤٢- ﴿وَوَٰعَدۡنَا﴾ بألف ودونها ﴿مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾ نكلمه عند انتهائها بأن يصومها وهي ذو القعدة فصامها، فلما تمت أنكر خُلوفَ فمه فاستاك، فأمره الله بعشرة أخرى ليكلّمه بخُلوف فمه كما قال تعالى ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرۡبَعِينَ﴾ حال ﴿لَيۡلَةٗ﴾ تمييز ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿ٱخۡلُفۡنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ أمرهم ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ بموافقتهم على المعاصي. ١٤٣- ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بلا واسطة كلاما سمعه من كل جهة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ﴾ نفسك ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ أي لا تقدر على رؤيتي، والتعبير به دون «لن أُرَى» يفيد إمكان رؤيته تعالى ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ﴾ ثبت ﴿مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ أي تثبت لرؤيتي، وإلا فلا طاقة لك ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما في حديث صححه الحاكم[1] ﴿لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ بالقصر والمدّ أي مدكوكا مستويا بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ مغشيا عليه لهول ما رأى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيها لك ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ من سؤال ما لم أُومَر به ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ في زماني.

أتى فتى النبي ﷺ، فقال يا نبي الله إن لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة لا نراك، فإنك في الجنة في الدرجات العلى، فأنزل الله هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: أنت معي في الجنة إن شاء الله، وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل سعيد بن جبير ومسروق والربيع وقتادة والسدي.

■ أسباب نزول الآية ٧٧ – قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ الآية، أخرج النسائي والحاكم عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله: كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا

(١) أخرجه الترمذي في (التفسير/٣٠٧٤).

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا
لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ
شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ
دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ
بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ
سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ
ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ
عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ
سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ
فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا
رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١٤٤- ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ بالجمع والإفراد ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ أي تكليمي إياك ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ لأنعمي.

١٤٥- ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ أي ألواح التوراة وكانت من سدر الجنة أو زبرجد أو زمرد سبعة أو عشرة ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا﴾ تبيينا ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ بدل من الجار والمجرور قبله ﴿فَخُذۡهَا﴾ قبله: «قلنا» مقدّرا ﴿بِقُوَّةٖ﴾ بجدّ واجتهاد ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ فرعون وأتباعه وهي مصر لتعتبروا بهم. ١٤٦- ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ بأن أخذلهم فلا يتكبرون فيها ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿ٱلرُّشۡدِ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ يسلكوه ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ﴾ الصرف ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ تقدّم مثله. ١٤٧- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَبِطَتۡ﴾ بطلت ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير، كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه ﴿هَلۡ﴾ ما ﴿يُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ من التكذيب والمعاصي.

١٤٨- ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلة عرس فبقي عندهم ﴿عِجۡلٗا﴾ صاغه لهم منه السامريّ ﴿جَسَدٗا﴾ بدل لحما ودما ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي صوت يسمع، انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه فإنّ أثره الحياة فيما يوضع فيه، ومفعول اتخذ الثاني محذوف: أي إلها ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا﴾ فكيف يتخذ إلها ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ باتخاذه. ١٤٩- ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوۡاْ﴾ علموا ﴿أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ بها وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

صرنا أذلة قال: إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم، فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، فأنزل الله ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٨٣ – قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ﴾ الآية روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون، طلق رسول الله نساءه، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ فكنت أنا أستنبط ذلك الأمر.

■ أسباب نزول الآية ٨٨– قوله تعالى: ﴿۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ الآية، روى الشيخان وغيرهما عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين فرقة تقول

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى
مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟
يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى
رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ
تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى
نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ
مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ
قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى
مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

١٥٠ - ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ ﴾ من جهتهم ﴿ أَسِفًا ﴾ شديد الحزن ﴿ قَالَ ﴾ لهم ﴿ بِئْسَمَا ﴾ أي بئس خلافة ﴿ خَلَفْتُمُونِى ﴾ ها ﴿ مِنۢ بَعْدِىٓ ﴾ خلافتكم هذه حيث أشركتم ﴿ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ ألواح التوراة غضبا لربه فتكسرت ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ ﴾ أي بشعره بيمينه، ولحيته بشماله ﴿ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ ﴾ غضبا ﴿ قَالَ ﴾ يا ﴿ ٱبْنَ أُمَّ ﴾ بكسر الميم وفتحها أراد: أمي، وذكرُها أعطف لقلبه ﴿ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ ﴾ قاربوا ﴿ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ ﴾ تفرح ﴿ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ ﴾ بإهانتك إياي ﴿ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ بعبادة العجل في المؤاخذة.

١٥١ - ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ﴾ ما صنعت بأخي ﴿ وَلِأَخِى ﴾ أشركه في الدعاء إرضاء له ودفعا للشماتة به ﴿ وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ قال تعالى:

١٥٢ - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ ﴾ إلها ﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ ﴾ عذاب ﴿ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما جزيناهم ﴿ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾
على الله بالإشراك وغيره. ١٥٣ - ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ ﴾ رجعوا عنها ﴿ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ ﴾
بالله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا ﴾ أي التوبة ﴿ لَغَفُورٌ ﴾ لهم ﴿ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ بهم. ١٥٤ - ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ ﴾ سكن
﴿ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ التي ألقاها ﴿ وَفِى نُسْخَتِهَا ﴾ أي ما نسخ فيها أي كتب ﴿ هُدًى ﴾ من الضلالة ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه.

١٥٥ - ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾ أي من قومه ﴿ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره تعالى ﴿ لِّمِيقَـٰتِنَا ﴾ أي للوقت الذي وعدناه بإتيانهم ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل فخرج بهم ﴿ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلة الشديدة. قال ابن عباس: لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل، قال وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقــة ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ ﴾ أي قبل خروجي بهم ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ استفهام استعطاف أي لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ هِىَ ﴾ أي الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ ابتلاؤك ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ ﴾ إضلاله ﴿ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴾ هدايته ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا ﴾ متولي أمورنا ﴿ فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ .

نقتلهم، وفرقة تقول لا فأنزل الله ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾. وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم عن سعد ابن معاذ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس، فقال: من لي بمن يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني، فقال سعد بن معاذ: إن كان من الأوس قتلناه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعناك، فقام سعد بن عبادة فقال: ما بك يا ابن معاذ طاعة رسول الله ﷺ، ولقد عرفت ما هو منك، فقام أسيد بن حضير فقال: إنك يا ابن عبادة منافق وتحب المنافقين، فقام محمد بن مسلمة فقال: اسكتوا يا أيها الناس فإن فينا رسول الله ﷺ وهو يأمرنا فننفــذ أمره، فأنزل الله ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾ الآية. وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن عوف أن قومًا من العرب أتوا رسول الله ﷺ بالمدينة فأسلموا وأصابهم وباء المدينة وحماها فأركسوا خرجوا من المدينة فاستقبلهم نفر من الصحابة، فقالوا لهم: ما

۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا
هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ
فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ
فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾
وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

١٥٦- ﴿وَاكْتُبْ﴾ أوجب ﴿لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ حسنة ﴿إِنَّا هُدْنَا﴾ تبنا ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ تعالى ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ عمت ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾. ١٥٧- ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ محمدا ﷺ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما حرم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ من الميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ثقلهم ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الشدائد ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كقتل النفس في التوبة وقطع أثر النجاسة ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ ووقروه ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ أي القرآن ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾. ١٥٨- ﴿قُلْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ ترشدون. ١٥٩- ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ في الحكم.

لكم رجعتم؟ قالوا: أصابنا وباء المدينة. فقالوا أما لكم في رسول الله أسوة حسنة؟ فقال بعضهم: نافقوا وقال بعضهم: لم ينافقوا، فأنزل الله ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ الآية. في إسناده تدليس وانقطاع.

■ **أسباب نزول الآية ٩٠** – قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن الحسن أن سراقة بن مالك المدلجي حدثهم قال: لما ظهر النبي ﷺ على أهل بدر وأحد وأسلم من حولهم قال سراقة. بلغني أنه يريد أن يبعث خالد ابن الوليد إلى قومي بني مدلج فأتيته فقلت: أنشدك النعمة، بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا لم يحسن تغليب قومك عليهم، فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد، فقال: اذهب معه فافعل ما يريد فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ وإن أسلمت قريش أسلموا معهم، وأنزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ فكان من وصل إليهم كان معهم على عهدهم، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال نزلت ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ في هلال بن عويمر الأسلمي وسراقة بن مالك المدلجي، وفي بني جذيمة بن عامر بن عبد مناف. وأخرج أيضًا عن مجاهد أنها نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي، وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصده ناس من قومه فكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه.

■ **أسباب نزول الآية ٩٢**– قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: كان الحارث ابن يزيد من بني عامر بن لؤي يعذب عياش بن أبي ربيعة مع أبي جهل ثم خرج مهاجرًا إلى النبي ﷺ فلقيه عياش بالحرة فعلاه بالسيف وهو يحسب أنه كافر، ثم جاء النبي فأخبره، فنزلت ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ الآية، وأخرج نحوه عن مجاهد والسدي، وأخرج ابن إسحاق وأبو يعلى والحارث بن أبي أسامة وأبو مسلم الكجي عن القاسم بن محمد نحوه، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه.

■ **أسباب نزول الآية ٩٣**– قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ الآية. أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج عن عكرمة: أن رجلاً من الأنصار قتل أخا مقيس بن صبابة فأعطاه النبي ﷺ الدية فقبلها ثم وثب على قاتل أخيه فقتله، فقال النبي ﷺ لا أؤمنه في حل ولا حرم فقتل يوم الفتح. قال ابن جريج: وفيه نزلت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ الآية.

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ
فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ
قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ
لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾
فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

١٦٠ - ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ حال
﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه: أي قبائل ﴿أُمَمًا﴾ بدل مما قبله
﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ في التيه ﴿أَنِ ٱضْرِب
بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا
عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط
منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ في التيه من حر
الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ هما الترنجبين
والطير السماني - بتخفيف الميم والقصر - وقلنا لهم ﴿كُلُوا۟
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾. ١٦١ - ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ
ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴿٥٨﴾﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ وَقُولُوا۟﴾ أمرنا ﴿حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ أي باب القرية
﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿نَّغْفِرْ﴾ بالنون، والتاء مبنيا
للمفعول ﴿لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة
ثوابا. ١٦٢ - ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى
قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على أستاهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذابا ﴿مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾. ١٦٣ - ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ يا محمد ﷺ توبيخا ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ مجاورة بحر القلزم وهي: أيلة، ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يعتدون ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾
بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذْ﴾ ظرف ليعدون ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ ظاهرة
على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ لا يعظمون السبت: أي سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء من الله
﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثا: ثلث صادوا معهم وثلث
نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي.

◙ أسباب نزول الآية ٩٤ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ الآية، روى البخاري والترمذي والحاكم وغيره عن ابن عباس قال: مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسوق غنمًا له، فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمه النبي ﷺ فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ الآية. وأخرج البزار من وجه آخر عن ابن عباس قال: بعث رسول الله سرية فيها المقداد، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد، فقال له النبي ﷺ: كيف لك بلا إله إلا الله غدًا وأنزل الله هذه الآية. وأخرج أحمد والطبراني وغيرهما عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال: بعثنا رسول الله ﷺ في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة فمر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي، فسلم علينا فحمل علية محلم فقتله، فلما قدمنا على النبي ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير من حديث ابن عمر نحوه. وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن اسم المقتول مرداس بن نهيك من أهل فدك، وأن اسم القاتل أسامة بن زيد، وأن اسم أمير السرية غالب ابن فضالة الليثي، وأن قوم مرداس لما انهزموا بقي هو وحده، وكان ألجأ غنمه بجبل، فلما لحقوه قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد، فلما رجعوا نزلت الآية. وأخرج ابن جرير من طريق السدي وعبد من طريق قتادة نحوه. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر قال: أنزلت هذه

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ
وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ
﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن
يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ
لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ
ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ
وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
وَرِثُوا ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا
وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ
أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

١٦٤ - ﴿وَإِذْ﴾ عطف على «إذ» قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ لم تصد ولم تنه: لمن نهى ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾ موعظتنا ﴿مَعْذِرَةً﴾ نعتذر بها ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لئلا ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ الصيد.

١٦٥ - ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهِۦ﴾ فلم يرجعوا ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

١٦٦ - ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَن﴾ ترك ﴿مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ صاغرين فكانوها، وهذا تفصيل لما قبله. قال ابن عباس: ما أدري ما فعل بالفرقة الساكتة؟ وقال عكرمة: لم تهلك لأنها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون... الخ. وروى الحاكم عن ابن عباس: أنه رجع إليه وأعجبه.

١٦٧ - ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدّونها إلى المجوس إلى أن بعث نبينا ﷺ فضربها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ بهم.

١٦٨ - ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ﴾ فرقناهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقاً ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الكفار والفاسقون ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ﴾ بالنعم ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ النقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ عن فسقهم.

١٦٩ - ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي حطام هذا الشيء الدنيء أي الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الجملة حال أي يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه، وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الإضافة بمعنى في ﴿أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾ عطف على «يؤخذ» قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلمَ كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار؟ ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ بالياء والتاء. أنها خير فيؤثروها على الدنيا. ١٧٠ - ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ الجملة خبر الذين. وفيه وضع الظاهر موضع المضمر: أي أجرهم.

الآية ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ في مرداس، وهو شاهد حسن. وأخرج ابن مندة عن جزء بن الحدرجان قال: وفد أخي مقداد إلى النبي ﷺ من اليمن فلقيته سرية النبي ﷺ فقال لهم: أنا مؤمن فلم يقبلوا منه وقتلوه، فبلغني ذلك فخرجت إلى رسول الله ﷺ، فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ فأعطاني النبي ﷺ دية أخي.

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ
خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا
فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

١٧١ - ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ رفعناه من أصله ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

١٧٢ - ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلاً بعد نسل، كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلاً ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أنت ربنا ﴿شَهِدْنَآ﴾ ذلك والإشهاد لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿يَقُولُوا۟﴾ بالياء والتاء في الموضعين. أي الكفار ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ التوحيد ﴿غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ لا نعرفه.

١٧٣ - ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ تعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك. المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد. والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس.

١٧٤ - ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ عن كفرهم.

١٧٥ - ﴿وَٱتْلُ﴾ يا محمد ﷺ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء - من علماء بني إسرائيل - سئل أن يدعو على موسى وأُهدي إليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فأدركه فصار قرينه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

١٧٦ - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بأن نوفقه للعمل ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾ سكن ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي الدنيا ومال إليها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في دعائه إليها فوضعناه ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ صفته ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثْ﴾ يدلع لسانه ﴿أَوْ﴾ إن ﴿تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك. وجملتا الشرط حال، أي لاهثا ذليلاً بكل حال، والقصد التشبيه في الوضع والخسة، بقرينة الفاء المشعرة بترتيب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى، وبقرينة قوله ﴿ذَّٰلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ يتدبرون فيها فيؤمنوا.

١٧٧ - ﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ أي مثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ بالتكذيب.

١٧٨ - ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ
يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٨٤) أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا
هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ
عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)

١٧٩ - ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله بصر اعتبار ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعــام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارّها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾.

١٨٠ - ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث، والحسنى مؤنث الأحسن ﴿فَادْعُوهُ﴾ سمّوه ﴿بِهَا وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [1] من «ألحد ولحد» يميلون عن الحق ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

١٨١ - ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١)﴾ هم أمّة محمد ﷺ كما في حديث.

١٨٢ - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن من أهل مكة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢)﴾.

١٨٣ - ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣)﴾ شديد لا يطاق.

١٨٤ - ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ محمد ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٨٤)﴾ بيّن الإنذار.

١٨٥ - ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾ ملك ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ﴾ في ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ بيان لـــ «ما» فيستدلوا به على قـــدرة صانعه ووحدانيته ﴿وَ﴾ في ﴿أَنْ﴾ أي إنـــه ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ﴾ قرُب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا كفارا فيصيروا إلى النار فيبـــادروا إلى الإيمان ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي القـــرآن ﴿يُؤْمِنُونَ (١٨٥)﴾.

١٨٦ - ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء والنون مع الرفع استئنافا، والجزم عطفا على محل ما بعد الفاء ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦)﴾ يترددون تحيرا.

١٨٧ - ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَاهَا قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ متى تكون ﴿عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا﴾ يظهرها ﴿لِوَقْتِهَا﴾ اللام بمعنى في ﴿إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ﴾ عظمـــت ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على أهلهما هولها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ مبالغ في السؤال ﴿عَنْهَا﴾ حتى علمتها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ تأكيد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)﴾ أن علمها عنده تعالى.

---

(١) انظر أقسام الإلحاد في أسمائه تعالى أيضًا في المصدر السابق.

قُلْ لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ
أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ
أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم
مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ فَلَمَّا
تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا
ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ
أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ
يَبْطِشُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

١٨٨- ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أجلبه ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ما غاب عني ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضارّ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.

١٨٩- ﴿هُوَ﴾ أي الله ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي آدم ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حوّاء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ﴾ ويألفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ هو النطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦۖ﴾ ذهبت وجاءت لخفته ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ كبر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون بهيمة ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾ ولـدا ﴿صَٰلِحًا﴾ سـويًا ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ لك عليه.

١٩٠- ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ولدا ﴿صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ وفي قراءة بكسر الشين والتنوين: أي شريكا ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ بتسميته عبد الحارث ولا ينبغي أن يكون عبدا إلا الله وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم. وروى سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»(1) رواه الحاكم وقال: صحيح، والترمذي وقال: حسن غريب ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ أي أهل مكة به من الأصنام، والجملة مسببة عطف على «خلقكم» وما بينهما اعتراض.

١٩١- ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾. ١٩٢- ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ بمنعها من أراد بهم سوءا من كسر أو غيره، والاستفهام للتوبيخ. ١٩٣- ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْۚ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ عن دعائهم لا يتبعوه لعدم سماعهم.

١٩٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمْثَالُكُمْۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ في أنها آلهة، ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال: ١٩٥- ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآۖ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَيْدٍ﴾ جمع يد ﴿يَبْطِشُونَ بِهَآۖ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآۖ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۗ﴾ استفهام إنكار: أي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتمُّ حالاً منهم؟ ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد ﷺ ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ إلى هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ تمهلون فإني لا أبالي بكم.

■ أسباب نزول الآية ٩٥- قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ الآية، روى البخاري عن البراء قال: لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النبي ﷺ: ادع فلانًا فجاء ومعه الدواة واللوح والكتف، فقال اكتب: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله أنا ضرير، فنزلت مكانها ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِي ٱلضَّرَرِ﴾ وروى البخاري وغيره من حديث زيد بن

(1) [ضعيف]: أخرجه أحمد والترمذي، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٦٩).

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢٠٦﴾

١٩٦ - ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ متولي أموري ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ بحفظه. ١٩٧ - ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ فكيف أبالي بهم؟. ١٩٨ - ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ﴾ أي الأصنام يا محمد ﷺ ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ أي يقابلونك كالناظر ﴿وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾. ١٩٩ - ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ المعروف ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ فلا تقابلهم بسفههم. ٢٠٠ - ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ أي إن يصرفك عما أمرت به صارف ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف: أي يدفعه عنك ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ بالفعل. ٢٠١ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ﴾ أصابهم ﴿طَٰٓئِفٞ﴾ وفي قراءة «طائف» أي شيء ألمّ بهم ﴿مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ الحق من غيره فيرجعون. ٢٠٢ - ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ﴾ أي إخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمُدُّونَهُمۡ﴾ أي الشياطين ﴿فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ﴾ هم ﴿لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ يكفون عنه بالتبصر كما تبصر المتقون. ٢٠٣ - ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم﴾ أي أهل مكة ﴿بِـَٔايَةٖ﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُواْ لَوۡلَا﴾ هلا ﴿ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾ أنشأتها من قبل نفسك ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَآئِرُ﴾ حجج ﴿مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾. ٢٠٤ - ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ عن الكلام ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه، وقيل في قراءة القرآن مطلقا. ٢٠٥ - ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ أي سرًّا ﴿تَضَرُّعٗا﴾ تذللا ﴿وَخِيفَةٗ﴾ خوفا منه ﴿وَ﴾ فوق السر ﴿دُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ أي قصدا بينهما ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ عن ذكر الله. ٢٠٦ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ يتكبّرون ﴿عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ أي يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم.

ثابت والطبراني من حديث زيد بن أرقم وابن حبان من حديث الفلتان بن عاصم نحوه وروى الترمذي نحوه من حديث ابن عباس وفيه قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم: إنا أعميان، وقد سبقت أحاديثهم في ترجمان القرآن، وعند ابن جرير من طرق كثيرة مرسلة نحو ذلك.

■ أسباب نزول الآية ٩٧ - قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ﴾ الآية، روى البخاري عن ابن عباس أن أناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، فيأتي السهم يُرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ وأخرجه ابن مردويه، وسمى منهم في روايته قيس بن الوليد بن المغيرة وأبا قيس بن الفاكة بن المغيرة والوليد بن عتبة بن ربيعة وعمرو بن أمية بن سفيان وعلي بن أمية بن

الجزء التاسع — سورة الأنفال

سُورَةُ الأَنفَال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

سورة الأنفال

[مدنية إلا من آية: ٣٠ إلى آية ٣٦، فمكية. وآياتها ٧٥ أو ٧٦ أو ٧٧ نزلت بعد البقرة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر فقال الشبان: هي لنا لأنا باشرنا القتال، وقال الشيوخ: كنا ردءا لكم تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم إلينا فلا تستأثروا بها: فنزل:

١ – ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يجعلانها حيث شاءا فقسمها ﷺ بينهم على السواء. رواه الحاكم في المستدرك ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي حقيقة ما بينكم بالمودّة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ حقا.

٢ – ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ أي وعيده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ تصديقا ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ به يثقون لا بغيره.

٣ – ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ في طاعة الله.

٤ – ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقا بلا شك ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ في الجنة.

٥ – ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ «أخرج» ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ الخروج، والجملة حال من كاف «أخرجك» و «كما» خبر مبتدأ محذوف: أي هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم، وقد كان خيرا لهم، فكذلك أيضا، وذلك أنّ أبا سفيان قدم بعير من الشام، فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها، فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبّوا عنها وهم النفير، وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت، فقيل لأبي جهل ارجع فأبى وسار إلى بدر، فشاور ﷺ أصحابه وقال: إنّ الله وعدني إحدى الطائفتين، فوافقوه على قتال النفير، وكره بعضهم ذلك وقالوا: لم نستعد له، كما قال تعالى:

٦ – ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾ القتال ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ إليه عيانا في كراهتهم له.

٧ – ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ أي البأس والسلاح وهي العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلة عَددها وعُددها بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ يظهره ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾ آخرهم بالاستئصال فأمركم بقتال النفير.

٨ – ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ﴾ يمحق ﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾ الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ المشركون ذلك.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ
سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

٩- اذكر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي بأني ﴿مُمِدُّكُم﴾ معينكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضا، وعدهم بها أولاً ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في آل عمران. وقرئ «بآلُف» كأفلُس جمع.
١٠- ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.
١١- اذكر ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ أمنا مما حصل لكم من الخوف ﴿مِّنْهُ﴾ تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ من الأحداث والجنابات ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم على الحقّ ما كنتم ظمأى محدثين والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾ يحبس ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ أن تسوخ في الرمل. ١٢- ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الذين أمدّ بهم المسلمين ﴿أَنِّي﴾ أي بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ﴾ بالإعانة والتبشير ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي الرؤوس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ أي أطراف اليدين والرجلين، فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه، ورماهم ﷺ بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء فهزموا. ١٣- ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ له. ١٤- ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾. ١٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ أي مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ منهزمين. ١٦- ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم لقائهم ﴿دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ منعطفا ﴿لِّقِتَالٍ﴾ بأن يريهم الفرّة مكيدة وهو يريد الكرة ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ منضما ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ المرجع هي، وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعف.

خلف، وذكر في شأنهم أنهم خرجوا إلى بدر، فلما رأوا قلة المسلمين دخلهم شك، وقالوا: غرَّ هؤلاء دينهم فقتلوا ببدر، وأخرجه ابن أبي حاتم وزاد فيهم الحارث بن زمعة بن الأسود والعاص بن منبه بن الحجاج وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان قوم بمكة قد أسلموا فلما هاجر رسول الله ﷺ كرهوا أن يهاجروا وخافوا فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾. وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة قد أسلموا، وكانوا يخفون الإسلام فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: هؤلاء كانوا مسلمين فأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الآية، فكتبوا بها إلى من بقي بمكة منهم، وأنه لا عذر لهم، فخرجوا فلحق بهم المشركون ففتنوهم فرجعوا، فنزلت ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ فكتب إليهم المسلمون بذلك فتحزنوا، فنزلت ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ الآية. فكتبوا إليهم بذلك، فخرجوا فلحقوهم، فنجا من نجا وقتل من قتل، وأخرج ابن جرير من طرق كثيرة نحوه.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ
وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ
تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

١٧- ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ ببدر بقوتكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد ﷺ أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى لأنّ كفا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بإيصال ذلك إليهم، فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ بأحوالهم. ١٨- ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الإبلاء حقّ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾ مضعف ﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

١٩- ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ أيها الكفار أي تطلبوا الفتح أي القضاء حيث قال أبو جهل منكم: اللهم أيُّنا كان أقطعَ للرحم وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة: أي أهلكه ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿نَعُدْ﴾ لنصره عليكم ﴿وَلَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعاتكم ﴿شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ بكسر «إن» استئنافا وفتحها على تقدير اللام. ٢٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ القرآن والمواعظ. ٢١- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون. ٢٢- ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ عن النطق به ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ـــه. ٢٣- ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحا بسماع الحق ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سماعَ تفهُّم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضا وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوا۟﴾ عنه ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ عن قبوله عنادا وجحودا. ٢٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعــة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ فيجازيكم بأعمالكم. ٢٥- ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً﴾ إن أصابتكم ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ بل تعمهم وغيرهم، واتقاؤها بإنكار موجبها من المنكر ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ لمن خالفه.

■ أسباب نزول الآية ١٠٠ – قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم وأبو يعلي بسند جيد عن ابن عباس قال: خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرًا فقال لأهله: احملوني فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ ، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ فنزل الوحي ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير عن أبي ضمرة الزرقي وكان بمكة، فلما نزلت ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ فقال: إني لغنيّ، وإني لذو حيلة، فتجهز يريد النبي ﷺ فأدركه الموت بالتنعيم، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وأخرج ابن جرير نحو ذلك من طرق عن سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي والضحاك وغيرهم، وسمي في بعضها ضمرة بن العيص أو العيص بن ضمرة، وفي بعضها جندب بن ضمرة الجندعي وفي بعضها الضمري، وفي بعضها رجل من بني ضمرة، وفي بعضها رجل من بني خزاعة، وفي بعضها رجل من بني ليث، وفي بعضها من بني كنانة، وفي بعضها من بني بكر، وأخرج ابن سعد في الطبقات

وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟
ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ
أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

٢٦- ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أرض مكة ﴿ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿ فَـَٔاوَىٰكُمْ ﴾ إلى المدينة ﴿ وَأَيَّدَكُم ﴾ قوّاكم ﴿ بِنَصْرِهِۦ ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ الغنائم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ نعمه. ٢٧-ونزل في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكمه، فاستشاروه فأشار إليهم أنه الذبح لأن عيالهُ وماله فيهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَ ﴾ لا ﴿ تَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾ ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره. ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾. ٢٨- ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ لكم صادّة عن أمور الآخرة ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ فلا تفوّتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم. ونزل في توبته:
٢٩- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ بالإنابة وغيرها ﴿ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ بينكم وبين ما تخافون فتنجون ﴿ وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ذنوبكم ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾. ٣٠- ﴿ وَ ﴾ اذكر يا محمد ﷺ ﴿ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ يوثقوك ويحبسوك ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ كلهم قتلة رجل واحد ﴿ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ من مكة ﴿ وَيَمْكُرُونَ ﴾ بك ﴿ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبّروه وأمرك بالخروج ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ أعلمهم به.
٣١- ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا ﴾ القرآن ﴿ قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ قاله النضر بن الحارث لأنه كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدّث بها أهل مكة ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ هَٰذَآ ﴾ القرآن ﴿ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ﴾ أكاذيب ﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾. ٣٢- ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا ﴾ الذي يقرؤه محمد ﷺ ﴿ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ المنزل ﴿ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ مؤلم على إنكاره: قاله النضر وغيره استهزاء وإيهاما أنه على بصيرة وجزم ببطلانه. ٣٣-قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ بما سألوه ﴿ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ لأن العذاب إذا نزل عمّ ولم تعذب أُمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك غفرانك. وقيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال تعالى ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

عن يزيد بن عبد الله بن قسيط: أن جندع بن ضمرة الضمري كان بمكة، فمرض فقال لبنيه: أخرجوني من مكة فقد قتلني غمها، فقالوا إلى أين؟ فأومأ بيده نحو المدينة يريد الهجرة، فخرجوا به، فلما بلغوا أضاة بني غفار مات، فأنزل الله فيه ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم وابن منده والباروديّ في الصحابة عن هشام بن عروة عن أبيه: أن الزبير بن العوّام قال: هاجر خالد بن حزّام إلى أرض الحبشة، فنهشته حية في الطريق فمات، فنزلت فيه ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا ﴾ الآية. وأخرج الأموي في مغازيه عن عبد الملك بن عمير قال: لما بلغ أكثم بن صيفي مخرج النبي ﷺ أراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه قال: فليأت من يبلغه عني ويبلغني عنه، فانتدب له رجلان، فأتيا النبي، فقالا: نحن رسل أكثم بن صيفي وهو يسألك من أنت وما أنت وبم جئت؟ قال: أنا محمد بن عبد الله وأنا عبد الله ورسوله، ثم تلا عليهم ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ الآية، فأتيا أكثم فقالا له ذلك؟ قال: أي قوم إنه يأمر بمكارم الأخلاق

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ
فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ
ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟
فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

٣٤- ﴿ وَمَا لَهُمْ أ ﴾ ن ﴿ لَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ بالسيف بعد خروجك والمستضعفين، وعلى القول الأوّل هي ناسخة لما قبلها، وقد عذبهم الله ببدر وغيره ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أن يطوفوا به ﴿ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ كما زعموا ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن لا ولاية لهم عليه. ٣٥- ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً ﴾ صفيرا ﴿ وَتَصْدِيَةً ﴾ تصفيقا: أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها ﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ ببدر ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

٣٦- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ في حرب النبي ﷺ ﴿ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ ﴾ في عاقبة الأمر ﴿ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ ندامة لفواتها وفوات ما قصدوه ﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ في الدنيا. ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ منهم ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ في الآخرة ﴿ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ يساقون.

٣٧- ﴿ لِيَمِيزَ ﴾ متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد أي يفصل ﴿ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ ﴾ الكافر ﴿ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ المؤمن ﴿ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا ﴾ يجمعه متراكما بعضه على بعض ﴿ فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾. ٣٨- ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ كأبي سفيان وأصحابه ﴿ إِن يَنتَهُوا۟ ﴾ عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ من أعمالهم ﴿ وَإِن يَعُودُوا۟ ﴾ إلى قتاله ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ أي سنتنا فيهم بالإهلاك فكذا نفعل بهم. ٣٩- ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ ﴾ توجد ﴿ فِتْنَةٌ ﴾ شرك ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ وحده ولا يُعبدُ غيره ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ ﴾ عن الكفر ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ فيجازيهم به. ٤٠- ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ عن الإيمان ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ هو ﴿ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي الناصر لكم.

وينهي عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا فيه أذنابًا فركب بعيره متوجهًا إلى المدينة فمات في الطريق فنزلت فيه ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا ﴾ الآية، مرسل إسناده ضعيف. وأخرج أبو حاتم في كتاب المعمرين من طريقين عن ابن عباس: أنه سئل عن هذه الآية، فقال: نزلت في أكثم بن صيفي، قيل فأين الليثي؟ قال: ذا قبل الليثي بزمان وهي خاصة عامة.

■ أسباب نزول الآية ١٠١- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن علي قال: سأل قوم من بني النجار رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي؟ فأنزل الله ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي ﷺ فصلى الظهر، فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم: إن لهم أخرى مثلها في إثرها، فأنزل الله بين الصلاتين ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ إلى قوله ﴿ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ فنزلت صلاة الخوف. وأخرج أحمد والحاكم وصححه البيهقي في الدلائل عن ابن عياش الزرقي قال: كنا مع رسول الله بعسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي ﷺ الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل بهذه

۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

٤١ - ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم ﴾ أخذتم من الكفار قهرا ﴿ مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ يأمر فيه بما شاء ﴿ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل خُمسَ الخمس والأخماس الأربعة الباقية للغانمين. ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ ﴾ فاعلموا ذلك ﴿ وَمَآ ﴾ عطف على «بالله» ﴿ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾ أي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل ﴿ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ المسلمون والكفار ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم. ٤٢ - ﴿ إِذْ ﴾ بدل من «يوم» ﴿ أَنتُم ﴾ كائنون ﴿ بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ القربى من المدينة، وهي بضم العين وكسرها: جانب الوادي ﴿ وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ ﴾ البعدى منها ﴿ وَٱلرَّكْبُ ﴾ العير كائنون بمكان ﴿ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ مما يلي البحر ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ ﴾ أنتم والنفير للقتال ﴿ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن ﴾ جمعكم بغير ميعاد ﴿ لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ في علمه وهو نصر الإسلام ومحق الكفر، فعل ذلك ﴿ لِّيَهْلِكَ ﴾ يكفر ﴿ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ أي بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير ﴿ وَيَحْيَىٰ ﴾ يؤمن ﴿ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾. ٤٣ - اذكر ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ ﴾ أي نومك ﴿ قَلِيلًا ﴾ فأخبرت به أصحابك فسُرُّوا ﴿ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ ﴾ جبنتم ﴿ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ ﴾ اختلفتم ﴿ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ أمر القتال ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾ كم من الفشل والتنازع ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ بما في القلوب. ٤٤ - ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ نحو سبعين أو مائة وهم ألف لتقدموا عليهم ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياهم مثليهم كما في آل عمران ﴿ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ﴾ تصير ﴿ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾. ٤٥ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ جماعة كافرة ﴿ فَٱثْبُتُوا۟ ﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ادعوه بالنصر ﴿ لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ تفوزون.

الآيات بين الظهر والعصر ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وروى الترمذي نحوه عن أبي هريرة وابن جرير نحوه عن جابر بن عبد الله وابن عباس.

■ **أسباب نزول الآية ١٠٢** - قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾، أخرج البخاري عن ابن عباس قال نزلت ﴿ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ ﴾ في عبد الرحمن بن عوف كان جريحًا.

■ **أسباب نزول الآية ١٠٥** - قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ ﴾ الآية، روى الترمذي والحاكم وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق بشر وبشير، وكان بشير رجلا منافقًا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب يقول: قال فلان كذا وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدرمك فجعله في مشربة له فيها

وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

٤٦- ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿فَتَفْشَلُوا۟﴾ تجبنوا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قوتكم ودولتكم ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بالنصر والعون. ٤٧- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ ليمنعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ حيث قالوا: لا نرجع حتى نشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ علما فيجازيهم به. ٤٨- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليس ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ من كنانة، وكان أتاهم في صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ﴾ التقت ﴿ٱلْفِئَتَانِ﴾ المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده في يد الحارث بن هشام ﴿نَكَصَ﴾ رجع ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ هاربا ﴿وَقَالَ﴾ لما قالوا له: أتخذلنا على هذا الحال؟ ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ﴾ من جواركم ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أن يهلكني ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

٤٩- ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهما أنهم ينصرون بسببه. قال تعالى في جوابهم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يثق به يغلب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ في صنعه. ٥٠- ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﷺ ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ حال ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ بمقامع من حديد ﴿وَ﴾ يقولون لهم ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ أي النار، وجواب «لو» لرأيت أمرا عظيما. ٥١- ﴿ذَٰلِكَ﴾ التعذيب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ فيعذبهم بغير ذنب. ٥٢- دأب هؤلاء ﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ جملة «كفروا وما بعدها» مفسرة لما قبلها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ على ما يريده ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾.

سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت فنُقبت المشربة وأُخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وذُهب بطعامنا وسلاحنا، فتحسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، فقال بنو أبيرق، ونحن نسأل في الدار: و الله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل: رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق و الله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة، قالوا إليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فأتيته فقلت: أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي، فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول الله ﷺ: سأنظر في ذلك، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة، فكلموه في ذلك فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا يا رسول الله إن قتادة بن النعمان

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟
مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾
ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ
وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم
مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن
قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ
﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾
وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟
لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

٥٣- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي بسبب أن ﴿ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ مبدلًا لها بالنقمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفرا كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف، وبعث النبي ﷺ إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾. ٥٤- ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ﴾ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾. ٥٥- ونزل في قريظة ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

٥٦- ﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ الله في غدرهم. ٥٧- ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ تجدنهم ﴿فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾ فرّق ﴿بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي الذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يتعظون بهم. ٥٨- ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بأمارة تلوح لك ﴿فَٱنۢبِذْ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ حال: أي مستويا أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

٥٩- ونزل فيمن أفلت يوم بدر ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾ الله أي فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ لا يفوتونه. وفي قراءة بالتحتانية، فالمفعول الأول محذوف: أي أنفسهم. وفي أخرى بفتح «أن» على تقدير اللام. ٦٠- ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم﴾ لقتالهم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ «هي الرمي»(١) رواه مسلم ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ مصدر بمعنى حبسها في سبيل الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخوّفون ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي غيرهم وهم المنافقون أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ تنقصون منه شيئا.

٦١- ﴿وَإِن جَنَحُوا۟﴾ مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ بكسر السين وفتحها: الصلح ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ وعاهدهم. قال ابن عباس: هذا منسوخ بآية السيف وقال مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلت في بني قريظة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ ثق به ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ بالفعل.

وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرموهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ، فقال: عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينة؟ فرجعت فأخبرت عمي فقال: الله المستعان، فلم نلبث أن أنزل القرآن ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ بني أبيرق ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ﴾ أي مما قلت لقتادة إلى قوله ﴿عَظِيمًا﴾ فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فرده إلى رفاعة ولحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد، فأنزل الله ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ إلى قوله ﴿ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

---

(١) أخرجه مسلم في (الإمارة/١٩١٧/عبد الباقي).

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾

٦٢- ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ﴾ بالصلح ليستعدوا لك ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ﴾ كافيك ﴿ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾. ٦٣- ﴿وَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ﴾ بعد الإحن ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ لا يخرج شيء عن حكمته.

٦٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَ﴾ حسبك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

٦٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ﴾ حث ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ للكفار ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ وهذا خبر بمعنى الأمر: أي ليقاتل العشرون منكم المائتين، والمائة ألفا ويثبتوا لهم، ثم نسخ لما كثروا بقوله:

٦٦- ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة أمثالكم ﴿فَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ بإرادته، وهو خبر بمعنى الأمر: أي لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ بعونه. ٦٧- ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن تَكُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿ٱلۡأٓخِرَةَۗ﴾ أي ثوابها بقتلهم ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾﴾ وهذا منسوخ بقوله ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾. ٦٨- ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾.

٦٩- ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾﴾.

وأخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن محمود بن لبيد قال: عدا بشير بن الحارث على علية رفاعة بن زيد عم قتادة ابن النعمان فنقبها من ظهرها وأخذ طعامًا له ودرعين بأداتهما، فأتى قتادة النبي ﷺ فأخبره بذلك فدعا بشيرًا فسأله فأنكر ورمى بذلك لبيد بن سهل رجلاً من أهل الدار ذا حسب ونسب، فنزل القرآن بتكذيب بشير وبراءة لبيد ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ فلما نزل القرآن في بشير وعثر عليه هرب إلى مكة مرتدًا، فنزل على سلافة بنت سعد فجعل يقع في النبي ﷺ وفي المسلمين، فنزل فيه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية، وهجاه حسان بن ثابت حتى رجع وكان ذلك في شهر ربيع سنة أربع من الهجرة.

■ **أسباب نزول الآية ١٢٣-** قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قالت اليهود والنصارى لا يدخل الجنة غيرنا، وقالت قريش إنا لا نبعث فأنزل الله ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾.

وأخرج ابن جرير عن مسروق قال: تفاخر النصارى وأهل الإسلام فقال هؤلاء: نحن أفضل منكم، وقال هؤلاء: نحن أفضل منكم، فأنزل الله ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾. وأخرج نحوه عن قتادة والضحاك والسدي وأبي صالح، ولفظهم: تفاخر أهل الأديان، وفي لفظ جلس ناس من اليهود وناس من النصارى وناس من المسلمين

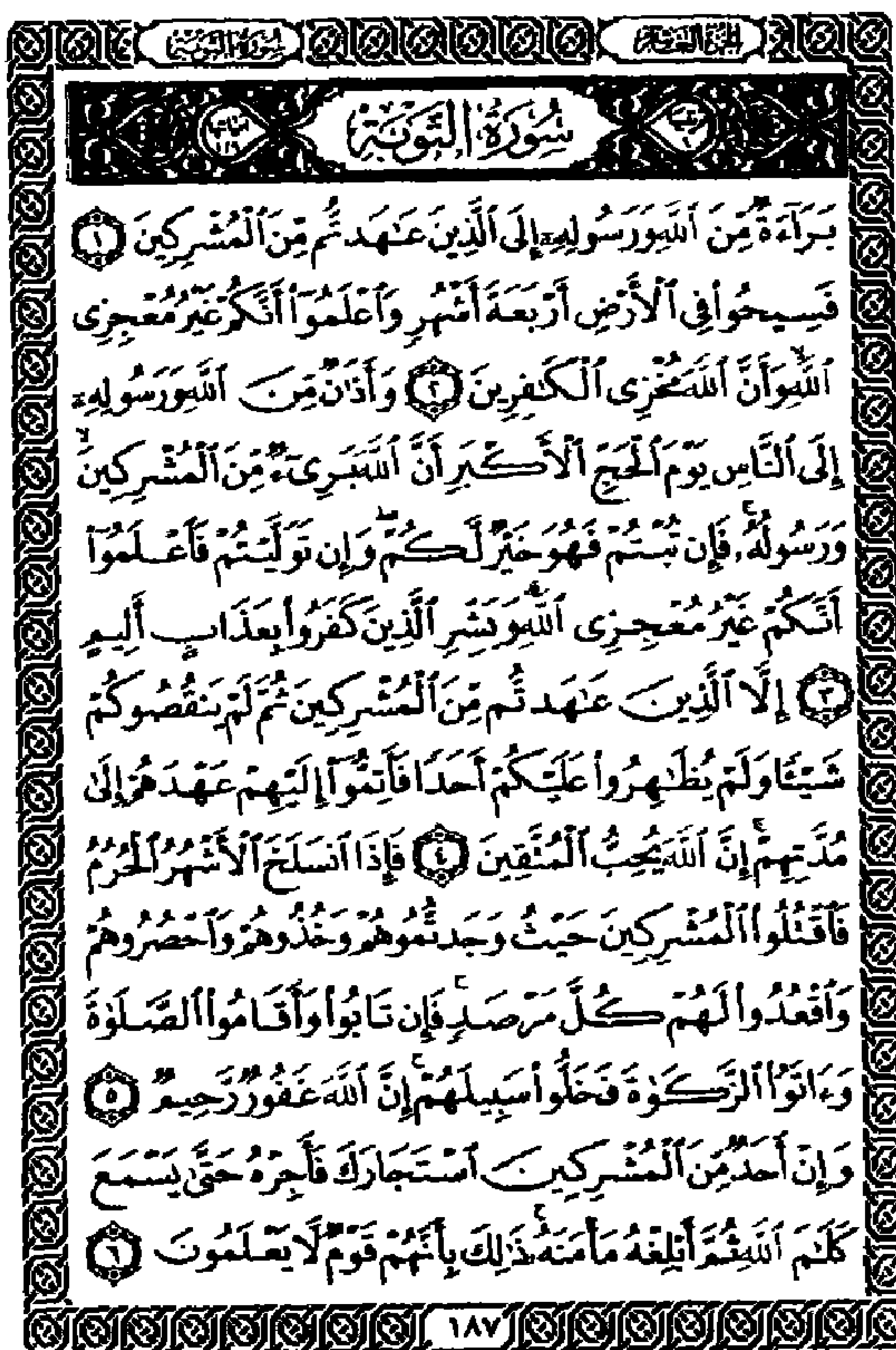
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾

٧٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسَٰرَىٰٓ﴾ وفي قراءة الأسرى ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ إيمانا وإخلاصا ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ من الفداء بأن يضعّفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾﴾. ٧١- ﴿وَإِن يُرِيدُواْ﴾ أي الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بما أظهروا من القول ﴿فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡ﴾ ببدر قتلاً وأسرا فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ في صنعه. ٧٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهم المهاجرون ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾ النبي ﷺ ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ وهم الأنصار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ في النصرة والإرث ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم﴾ بكسر الواو وفتحها ﴿مِّن شَيۡءٍ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ وهذا منسوخ بآخر السورة ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ لهم على الكفار ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ﴾ عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾﴾. ٧٣- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾ في النصرة والإرث، فلا إرث بينكم وبينهم ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾ أي تولي المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام. ٧٤- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾﴾ في الجنة. ٧٥- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ ذوو القرابات ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾﴾ ومنه حكمة الميراث.

فقال هؤلاء: نحن أفضل، وقال هؤلاء نحن أفضل فنزلت. وأخرج أيضًا عن مسروق قال: لما نزلت ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ١٢٧** - قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، روى البخاري عن عائشة في هذه الآية قالت: هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها قد شركته في مالها حتى في العنق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً فيشركه في مالها فيعضلها، فنزلت. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي: كان لجابر بنت عم دميمة ولها مال ورثته عن أبيها، وكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها خشية أن يذهب الزوج بمالها، فسأل النبي ﷺ عن ذلك فنزلت.

■ **أسباب نزول الآية ١٢٨** - قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ﴾ الآية، روى أبو داود والحاكم عن عائشة قالت: فرقَتْ سودة أن يفارقها رسول الله ﷺ حين أسنّت فقالت: يومي لعائشة، فأنزل الله ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا﴾ الآية،



سورة التوبة

مدنية [إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان وآياتها ١٢٩ نزلت بعد المائدة]

ولم تكتب فيها البسملة لأنه ﷺ لم يؤمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم. وأخرج في معناه عن عليّ: أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف. وعن حذيفة: إنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب. وروى البخاري عن البراء أنها آخر سورة نزلت.

١ - هذه ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ واصلة ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾ عهدا مطلقا أو دون أربعة أشهر أو فوقها، ونقض العهد بما يذكر في قوله:

٢ - ﴿فَسِيحُوا۟﴾ سيروا آمنين أيها المشركون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أولها شوّال، بدليل ما سيأتي، ولا أمان لكم بعدها ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي فائتي عذابه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل والآخرة بالنار.

٣ - ﴿وَأَذَٰنٌ﴾ إعلام ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يوم النحر ﴿أَنَّ﴾ أي بأنّ ﴿ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ بريء أيضا، وقد بعث النبي ﷺ عليًا من السنة وهي سنة تسع فأذّن يوم النحر بمنى بهذه الآيات، وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.[1] رواه البخاري ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ﴾ أخبر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ مؤلم وهو القتل والأسر في الدنيا، والنار في الآخرة.

٤ - ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟﴾: يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ﴾ انقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ التي عاهدتم عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ بإتمام العهود.

٥ - ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾ خرج ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ وهي آخر مدة التأجيل ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في حلّ أو حرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ في القلاع والحصون حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ طريق يسلكونه، ونصب «كلّ» على نزع الخافض ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ لمن تاب.

٦ - ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أمّنه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ أي موضع أمنه: وهو دار قومه إن لم يؤمن، لينظر في أمره ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ دينَ الله فلا بدَّ لهم من سماع القرآن ليعلموا.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (الصلاة/٣٦٩/فتح)، مسلم في (الحج/١٣٤٧/عبد الباقي).

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِۦٓ إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا
اسْتَقَٰمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا
عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ
فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا
أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا
أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ
﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا
بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

٧- ﴿ كَيْفَ ﴾ أي لا ﴿ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾ وهم كافرون بهما غادرون ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ يوم الحديبية وهم قريش المستثنون من قبل ﴿ فَمَا اسْتَقَٰمُوا لَكُمْ ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ على الوفاء به و «ما» شرطية ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة. ٨- ﴿ كَيْفَ ﴾ يكون لهم عهد ﴿ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ يظفروا بكم ﴿ لَا يَرْقُبُوا ﴾ يراعوا ﴿ فِيكُمْ إِلًّا ﴾ قرابة ﴿ وَلَا ذِمَّةً ﴾ عهدا بل يؤذوكم ما استطاعوا، وجملة الشرط حال ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ بكلامهم الحسن ﴿ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ الوفاء به ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ ناقضون للعهد. ٩- ﴿ اشْتَرَوْا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ من الدنيا أي تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۦٓ ﴾ دينه ﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ ﴾ بئس ﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ ﴾ ـه عملهم هذا. ١٠- ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

١١- ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ أي فهم إخوانكم ﴿ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ ﴾ نبين ﴿ الْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ يتدبَّرون. ١٢- ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا ﴾ نقضوا ﴿ أَيْمَٰنَهُم ﴾ مواثيقهم ﴿ مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ عابوه ﴿ فَقَٰتِلُوٓا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ رؤساءه، فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ ﴾ عهود ﴿ لَهُمْ ﴾ وفي قراءة بالكسر ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ عن الكفر.

١٣- ﴿ أَلَا ﴾ للتحضيض ﴿ تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا ﴾ نقضوا ﴿ أَيْمَٰنَهُمْ ﴾ عهودهم ﴿ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾ من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة ﴿ وَهُم بَدَءُوكُمْ ﴾ بالقتال ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ أتخافونهم ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾ في ترك قتالهم ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

وروى الترمذي مثله عن ابن عباس. وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمرًا إما كبرًا أو غيره، فأراد طلاقها، فقالت: لا تطلقني واقسم لي ما بدا لك فأنزل الله ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ ﴾ الآية، وله شاهد موصول أخرجه الحاكم من طريق ابن المسيب عن رافع بن خديج. أخرج الحاكم عن عائشة قالت: نزلت هذه الآية ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ في رجل كانت تحته امرأة قد ولدت أولادًا، فأراد أن يستبدل بها، فراضته على أن تقرَّ عنده ولا يقسم لها. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: جاءت امرأة حين نزلت هذه الآية ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ قالت: إني أريد أن تقسم لي من نفقتك، وقد كانت رضيت أن يدعها فلا يطلقها ولا يأتيها، فأنزل الله ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾

■ **أسباب نزول الآية ١٣٥ – قوله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ ﴾ الآية: أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: لما نزلت هذه الآية في النبي ﷺ اختصم إليه رجلان غني وفقير، وكان النبي ﷺ مع الفقير يرى أن الفقير لا يظلم الغني فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير.

سورة التوبة	الجزء العاشر

قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ
غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ
أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

١٨٩

١٤- ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾
يذلّهم بالأسر والقهر ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ بما فعل بهم: هم بنو خزاعة.
١٥- ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كربها ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام كأبي سفيان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾. ١٦- ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ
أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟
مِنكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا
ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ بطانة وأولياء، المعنى: ولم يظهر
المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ
بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾. ١٧- ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟
مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ بالإفراد والجمع بدخوله والقعود به ﴿شَـٰهِدِينَ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ لعدم
شرطها ﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾.
١٨- ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾ أحدا ﴿إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾.
١٩- ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي أهل ذلك ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَـٰهَدَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في الفضل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ الكافرين: نزلت ردّا
على من قال ذلك وهو العباس أو غيره. ٢٠- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ رتبة ﴿عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ من غيرهم ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ الظافرون بالخير.

- **أسباب نزول الآية ١٤٨** - قوله تعالى: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ﴾ الآية، أخرج هناد بن السري في كتاب الزهد عن مجاهد قال: أنزلت ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ﴾ في رجل أضاف رجلا بالمدينة فأساء قراه فتحوّل عنه يثني عليه بما أولاه فرخص له أن يثني عليه بما أولاه.
- **أسباب نزول الآية ١٥٣** - قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله، فأتنا بالألواح حتى نصدقك، فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ إلى قوله ﴿بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا﴾ فجثا رجل من اليهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئا، فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ الآية.
- **أسباب نزول الآية ١٦٣** - قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآية، روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال عدي بن زيد: ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى، فأنزل الله الآية.
- **أسباب نزول الآية ١٦٦** - قوله تعالى: ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ الآية، روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: دخل جماعة من اليهود على رسول الله ﷺ فقال لهم: إني والله أعلم أنكم تعلمون أني رسول الله، فقالوا ما نعلم ذلك، فأنزل الله ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾.
- **أسباب نزول الآية ١٧٦** - قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ﴾ الآية، روى النسائي من طريق أبي الزبير عن جابر قال: اشتكيت فدخل عليَّ رسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله أوصي لأخواتي بالثلث قال: أحسن، قلت بالشطر قال: أحسن ثم خرج ثم دخل عليَّ قال: لا أراك تموت في وجعك هذا إن الله أنزل وبين ما لأخواتك وهو الثلثان فكان جابر يقـول: نزلت هذه الآية فيَّ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ ۚ﴾ قال الحافظ

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ
تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

٢١- ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ دائم.

٢٢- ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدّرة ﴿فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

٢٣- ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٤- ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أقرباؤكم وفي قراءة عشيراتكم ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ عدم نفادها ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ تهديد لهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٥- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبدر وقريظة والنضير ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ واد بين مكة والطائف أي يوم قتالكم فيه هوازن، وذلك في شوال سنة ثمان ﴿إِذْ﴾ بدل من يوم ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فقلتم لن نُغلَب اليوم من قلة، وكانوا اثني عشر ألفا والكفار أربعة آلاف ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «ما» مصدرية أي مع رحبها أي سعتها فلم تجدوا مكانا تطمئنون إليه من شدّة ما لحقكم من الخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ منهزمين وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء، وليس معه غير العباس، وأبو سفيان آخذ بركابه.

٢٦- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فردّوا إلى النبيّ ﷺ لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

ابن حجر: هذه قصة أخرى لجابر غير التي تقدمت في أول السورة، وأخرج ابن مردويه عن عمر أنه سأل النبي ﷺ كيف يورث الكلالة، فأنزل الله ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ إلى آخرها.

«تنبيه» إذا تأملت ما أوردناه من أسباب نزول آيات هذه السورة عرفت الردّ على من قال بأنها مكية.

(سورة المائدة)

■ **أسباب نزول الآية ٢** - قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قدم الحطم بن هند البكري المدينة في عير له يحمل طعامًا فباعه، ثم دخل على النبي ﷺ فبايعه وأسلم، فلما ولى خارجًا نظر إليه فقال لمن عنده لقد دخل علي بوجه فاجر وولى بقفا غادر، فلما قدم اليمامة ارتد عن الإسلام، وخرج في عير له يحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة، فلما سمع به أصحاب النبي ﷺ تهيأ للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقتطعوه في عيره، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ الآية، فانتهى القوم، وأخرج عن السدي نحوه. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ بالحديبية

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

١٩١

٢٧- ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾.

٢٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ قذر لخبث باطنهم ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أي لا يدخلوا الحرم ﴿بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا﴾ عام تسع من الهجرة ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾ فقراً بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ وقد أغناهم بالفتوح والجزية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾.

٢٩- ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وإلا لآمنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو دين الإسلام ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ بيان للذين ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَن يَدٖ﴾ حال أي منقادين أو بأيديهم لا يوكلون بها ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام.

٣٠- ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ﴾ عيسى ﴿ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ يشابهون به ﴿قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ من آبائهم تقليداً لهم ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾ لعنهم ﴿ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يصرفون عن الحق مع قيام الدليل.

٣١- ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ عبّاد النصارى ﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرّم وتحريم ما أحلّ ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ﴾ أي بأن يعبدوا ﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾.

وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة. فقال أصحاب النبي ﷺ نصد هؤلاء كما صدوا أصحابنا، فأنزل الله ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٣ - قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ الآية أخرج ابن مندة في كتاب الصحابة من طريق عبد الله بن جبلة بن حبان بن حجر عن أبيه عن جده حبان قال: كنا مع رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر فيها لحم ميتة، فأنزل تحريم الميتة فأكفأت القدر.

■ أسباب نزول الآية ٤ - قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ﴾ الآية، روى الطبراني والحاكم والبيهقي. وغيرهم عن أبي رافع: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فاستأذن عليه فأذن له فأبطأ، فأخذ رداءه، فخرج إليه وهو قائم بالباب، فقال: قد أذنا لك قال أجل، ولكنا لا ندخل بيتًا فيه صورة ولا كلب، فنظروا فإذا في بعض بيوقم جرو، فأمر أبا رافع لا تدع كلبًا بالمدينة إلا قتلته، فأتاه الناس، فقالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها، فنزلت ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ﴾ الآية وروى ابن جرير عن عكرمة أن الرسول ﷺ بعث أبا رافع في قتل الكلاب حتى بلغ العوالي، فدخل عاصم بن عدي، وسعد بن حثمة، وعويمر بن ساعدة، فقالوا: ماذا أحل لنا يا رسول الله :

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

٣٢- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بأقوالهم فيه ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ﴾ يُظْهر ﴿نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ذلك.

٣٣- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمدا ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ يعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ذلك.

٣٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾ يأخذون ﴿أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كالرشا في الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي الكنوز ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لا يؤدُّون منها حقه من الزكاة والخير ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبرْهُم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ مؤلم.

٣٥- ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾ تحرق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها. ويقال لهم ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي جزاءه. ٣٦- ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ المعتدّ بها للسنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ﴾ أي الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ محرّمة: ذو القعدة وذو الحجة والمحرّم ورجب ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي تحريمها ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ﴾ أي الأشهر الحرم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي، فإنها فيها أعظم وزرا، وقيل: في الأشهر كلها ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ في كل الشهور ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ بالعون والنصر.

فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية، وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: لما أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب قالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة فنزلت. وأخرج من طريق الشعبي أن عدي بن حاتم الطائي قال: أتى رجل رسول الله ﷺ يسأله عن صيد الكلاب، فلم يدر ما يقول له حتى نزلت هذه الآية ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أن عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين سألا رسول الله ﷺ، فقالا يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظباء، وقد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا منها، فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٦- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية، روى البخاري من طريق عمرو بن الحارث عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله ﷺ، ونزل فثنى رأسه في حجري راقدًا وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال حبست الناس في قلادة، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ إلى قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر. وروى الطبراني من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان، وقال أهل الإفك ما قالوا خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضًا عقدي حتى حبس الناس على التماسه، فقال لي أبو بكر: بنية في كل سفر تكونين عناء وبلاء على الناس، فأنزل الله الرخصة في التيمم، فقال أبو بكر: إنك لمباركة.

إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ
إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ
فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ
ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

٣٧- ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ ﴾ أي التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا حل وهم في القتال إلى صفر ﴿ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿ يُضَلُّ ﴾ بضم الياء وفتحها ﴿ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ ﴾ أي النسيء ﴿ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ ﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿ عِدَّةَ ﴾ عدد ﴿ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ من الأشهر فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا ولا ينظروا إلى أعيانها ﴿ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ﴾ فظنّوه حسنا ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

٣٨- ونزل لما دعا النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك وكانوا في عسرة وشدّة حرّ فشقّ عليهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ ﴾ بإدغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل: أي تباطأتم وملتم عن الجهاد ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ والقعود فيها، والاستفهام للتوبيخ ﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ولذاتها ﴿ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي بدل نعيمها ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ﴾ جنب متاع ﴿ ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ حقير.

٣٩- ﴿ إِلَّا ﴾ بإدغام «لا» في نون «إن» الشرطية في الموضعين ﴿ تَنفِرُوا۟ ﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ مؤلما ﴿ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ أي يأت بهم بدلكم.
﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ ﴾ أي الله أو النبي ﷺ ﴿ شَيْـًٔا ﴾ بترك نصره فإن الله ناصر دينه ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ ومنه نصر دينه ونبيه.

٤٠- ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ ﴾ أي النبي ﷺ ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ ﴾ حين ﴿ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ من مكة أي ألجؤوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ ﴾ حال: أي أحد اثنين والآخر أبو بكر، المعنى: نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذلــه في غيرها ﴿ إِذْ ﴾ بدل من «إذ» قبلــه ﴿ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ نقب في جبل ثور ﴿ إِذْ ﴾ بدل ثان ﴿ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ أبي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ بنصره ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾ طمأنينته ﴿ عَلَيْهِ ﴾ قيل على النبي ﷺ وقيل على أبي بكر ﴿ وَأَيَّدَهُۥ ﴾ أي النبي ﷺ ﴿ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ ملائكة في الغار ومواطن قتاله ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي دعوة الشرك ﴿ ٱلسُّفْلَىٰ ﴾ المغلوبة ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ ﴾ أي كلمة الشهادة ﴿ هِىَ ٱلْعُلْيَا ﴾ الظاهرة الغالبــة ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ في ملكــه ﴿ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ في صنعه.

(تنبيهان): الأول: ساق البخاري هذا الحديث من رواية عمرو بن الحارث وفيه التصريح بأن آية التيمم المذكورة في رواية غيره هي آية المائدة، وأكثر الرواة قالوا: فنزلت آية التيمم ولم يبينوها، وقد قال ابن عبد البر: هذه معضلة ما وجدت لدائها دواء، لأنا لا نعلم أي الآيتين عنت عائشة، وقد قال ابن بطال: هي آية النساء، ووجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء، وآية النساء لا ذكر للوضوء بها، فيتجه تخصيصها بآية التيمم، وأورد الواحــدي هذا الحديث في

انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا
مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾
عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ
فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ
لَأَعَدُّوا لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ ٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم
مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

٤١- ﴿ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ نشاطا وغير نشاط، وقيل: أقوياء وضعفاء، أو أغنياء وفقراء، وهي منسوخة بآية ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ ﴿وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ أنه خير لكم فلا تثاقلوا. ونزل في المنافقين الذين تخلفوا:

٤٢- ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عَرَضًا﴾ متاعا من الدنيا ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطا ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ طلبا للغنيمة ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ المسافة فتخلفوا ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ الخروج ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالحلف الكاذب ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ في قولهم ذلك.

٤٣- وكان ﷺ أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه، فنزل عتابا له، وقدَّم العفو تطمينا لقلبه ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ في التخلف وهلا تركتهم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في العذر ﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ فيه.

٤٤- ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ في التخلف عن ﴿أَن يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾

٤٥- ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ في التخلف ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ﴾ شكت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ في الدين ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يتحيرون.

٤٦- ﴿وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأَعَدُّوا لَهُۥ عُدَّةً﴾ أهبة من الآلة والزاد ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي لم يرد خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ كسّلهم ﴿وَقِيلَ﴾ لهم ﴿ٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ المرضى والنساء والصبيان أي قدّر الله تعالى ذلك.

٤٧- ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ فسادا بتخذيل المؤمنين ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَٰلَكُمْ﴾ أي أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ يطلبون لكم ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ بإلقاء العداوة ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ ما يقولون سماع قبول ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

أسباب النزول عند ذكر آية النساء أيضًا ولا شك أن الذي مال إليه البخاري من أنها آية المائدة هو الصواب للتصريح بها في الطريق المذكور.

الثاني: دل الحديث على أن الوضوء كان واجبًا عليهم قبل نزول الآية، ولهذا استعظموا نزولهم على غير ماء، ووقع من أبي بكر في حق عائشة ما وقع قال ابن عبد البر: معلوم عند جميع أهل المغازي أنه ﷺ لم يصلّ منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء ولا يدفع ذلك إلا جاحد أو معاند قال: والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به ليكون فرضه متلوًا بالتنزيل. وقال غيره: يحتمل أن يكون أول الآية مقدمًا نزل مع فرض الوضوء، ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم في هذه القصة. قلت: الأول أصوب فإن الوضوء كان مع فرض الصلاة بمكة، والآية مدنية.

■ **أسباب نزول الآية ١١** - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن عكرمة ويزيد بن أبي زياد واللفظ له: أن النبي ﷺ خرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف

لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

٤٨- ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ﴾ لك ﴿ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أوّل ما قدمت المدينة ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ أي أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ النصر ﴿وَظَهَرَ﴾ عزّ ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ له فدخلوا فيه ظاهرا.

٤٩- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ وهو الجدّ بن قيس قال له النبي ﷺ: هل لك في جلاد بني الأصفر؟ فقال: إني مغرم بالنساء، وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهنّ فأفتتن. قال تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ بالتخلف، وقرئ «سقط» ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ لا محيص لهم عنها.

٥٠- ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ شدّة ﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل هذه المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ بما أصابك.

٥١- ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ إصابته ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ ناصرنا ومتولّي أمورنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

٥٢- ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل: أي تنتظرون أن يقع ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى﴾ العاقبتين ﴿ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ تثنية «حُسْنَى» تأنيث «أحْسَنَ»: النصر أو الشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾ ننتظر ﴿بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ عاقبتكم.

٥٣- ﴿قُلْ أَنفِقُواْ﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ والأمر هنا بمعنى الخبر.

٥٤- ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ﴾ بالياء والتاء ﴿مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ﴾ فاعل، و «أن تقبل» مفعول ﴿كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلون ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ النفقة لأنهم يعدّونها مغرما.

حتى دخلوا على كعب بن الأشرف ويهود بني النضير يستعينهم في عقل أصابه فقالوا نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، فجلس فقال حيي بن أخطب لأصحابه: لا ترونه أقرب منه الآن، اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه ولا ترون شرًا أبدًا. فجاءوا إلى رحى عظيمة ليطرحوها عليه. فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاءه جبريل فأقامه من ثَمَّةَ، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ الآية، وأخرج نحوه عن عبدالله بن أبي بكر وعاصم بن عمير بن قتادة ومجاهد وعبد الله بن كثير وأبي مالك وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا: أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ وهو ببطن نخل في الغزوة السابعة، فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا بالنبي ﷺ فأرسلوا إليه الأعرابي يعني الذي جاءه وهو نائم في بعض المنازل، فأخذ سلاحه وقال من يحول بيني وبينك؟ فقال الله، فشام السيف ولم يعاقبه. وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلاً من محارب يقال له: غورث بن الحارث قال لقومه: أقتل لكم محمدًا، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (٥٥)
وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ
أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧) وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ
فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ (٥٩) ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ
لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ
فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) وَمِنْهُمُ
ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١)

٥٥- ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ﴾ أي لا تستحسن نعمنا عليهم فهي استدراج ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم ﴾ أي أن يعذّبهم ﴿ بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة وفيها من المصائب ﴿ وَتَزْهَقَ ﴾ تخرج ﴿ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (٥٥) ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشدّ العذاب.

٥٦- ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ أي مؤمنون ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية.

٥٧- ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا ﴾ يلجؤون إليه ﴿ أَوْ مَغَٰرَٰتٍ ﴾ سراديب ﴿ أَوْ مُدَّخَلًا ﴾ موضعا يدخلونه ﴿ لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧) ﴾ يُسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعا لا يردّه شيء كالفرس الجموح.

٥٨- ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾ يعيبك ﴿ فِى ﴾ قسْم ﴿ ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) ﴾. ٥٩- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ﴾ كافينا ﴿ ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفينا ﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ (٥٩) ﴾ أن يغنينا، وجواب «لو»: لكان خيرا لهم. ٦٠- ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ ﴾ الزكوات مصروفة ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم ﴿ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ أي الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وحاشر ﴿ وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ ليُسلموا أو يثبت إسلامهم أو يُسلم نظراؤهم أو يذبوا عنّ المسلمين: أقسام. والأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لعزّ الإسلام، بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح ﴿ وَفِى ﴾ فك ﴿ ٱلرِّقَابِ ﴾ أي المكاتبين ﴿ وَٱلْغَٰرِمِينَ ﴾ أهل الدين إن استدانوا لغير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء، أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي القائمين بالجهاد ممن لا فيء لهم ولو [كانوا] أغنياء ﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المنقطع في سفره ﴿ فَرِيضَةً ﴾ نصب بفعله المقدر ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمٌ (٦٠) ﴾ في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء، ولا منعُ صنف منهم إذا وجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض، وأفادت «اللام» وجوب استغراق أفراده، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع، وبينت السنة أن شرط المعطي منها الإسلام وأن لا يكون هاشميا ولا مطلبيا.

٦١- ﴿ وَمِنْهُمُ ﴾ أي المنافقين ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ ﴾ بعيبه وبنقل حديثه ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ إذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه ﴿ هُوَ أُذُنٌ ﴾ أي يسمع كلّ قيل ويقبله، فإذا حلفنا له أنا لم نقل: صدّقنا ﴿ قُلْ ﴾ هو ﴿ أُذُنُ ﴾ مستمع ﴿ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ لا مستمع شرّ ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ ﴾ يصدّق ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم، واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ بالرفع عطفا على «أذنُ» والجرّ عطفا على «خير» ﴿ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١) ﴾.

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ
مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ
أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟
إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ
بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

٦٢- ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ بالطاعة ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ حقا، وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين، أو خبر «الله ورسوله» محذوف.

٦٣- ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ بـ ﴿أَنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿مَن يُحَادِدِ﴾ يشاقق ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاء ﴿خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾.

٦٤- ﴿يَحْذَرُ﴾ يخاف ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾ من النفاق، وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مُظْهر ﴿مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ إخراجه من نفاقكم.

٦٥- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ معتذرين ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ في الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

٦٦- ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ عنه ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِن نَّعْفُ﴾ بالياء مبنيا للمفعول، والنون مبنيا للفاعل ﴿عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها كجحش بن حمير ﴿نُعَذِّبْ﴾ بالتاء والنون ﴿طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ مصرّين على النفاق والاستهزاء.

٦٧- ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ﴾ أي متشابهون في الدين كأبعاض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. ٦٨- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ﴾ جزاء وعقابا ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ دائم.

فقال يا محمد: أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم، فأخذه فاستله وجعل يهزه ويهم به فيكبته الله تعالى: فقال يا محمد أما تخافني؟ قال لا، قال أما تخافني والسيف في يدي؟ قال لا، يمنعني الله منك، ثم أغمد السيف ورده إلى رسول الله فأنزل الله الآية.

■ أسباب نزول الآية ١٥- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: إن النبي ﷺ أتاه اليهود يسألونه عن الرجم، فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى، والذي رفع الطور والمواثيق التي أخذت عليهم أخذه أفكل، فقال: إنه لما كثر فينا جلدنا مائة وحلقنا الرؤوس فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

■ أسباب نزول الآية ١٨- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ الآيات، روى ابن اسحاق عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن قصي وبحر بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم، ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى، فأنزل الله فيهم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ الآية،

كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ
أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ
كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ
كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (٦٩) أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ
نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ
إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ
رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن
كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ (٧٠) وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ (٧١)
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ
وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (٧٢)

٦٩- أنتم أيها المنافقون ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ﴾ تمتعوا ﴿بِخَلَٰقِهِمۡ﴾ نصيبهم من الدنيا ﴿فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم﴾ أيها المنافقون ﴿بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ﴾ في الباطل والطعن في النبي ﷺ ﴿كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ أي كخوضهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (٦٩)﴾.

٧٠- ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ﴾ قرى قوم لوط: أي أهلها ﴿أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ بالمعجزات فكذبوهم فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ (٧٠)﴾ بارتكاب الذنب.

٧١- ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده ﴿حَكِيمٞ (٧١)﴾ لا يضع شيئًا إلا في محله.

٧٢- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ إقامة ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ أعظم من ذلك كله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (٧٢)﴾.

وروى عنه قال: دعا رسول الله ﷺ يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه فأبوا عليه، فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة: يامعشر يهود اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا من قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا ما قلنا لكم هذا وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى، ولا أرسل بشيرًا ولا نذيرًا بعده فأنزل الله ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٣٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في العرنيين ارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل، الحديث. ثم أخرج عن جرير مثله وأخرج عبد الرزاق نحوه عن أبي هريرة.

■ أسباب نزول الآية ٣٨ - قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ الآية، أخرج أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ فقطعت يدها اليمنى فقالت: هل لي من توبة يا رسول الله؟ فأنزل الله في سورة المائدة ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٤١- قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ الآية. روى أحمد وأبو داود عن ابن عباس قال: أنزلها الله في طائفتين من اليهود قهرت إحداهما الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا، فاصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقًا، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق. فكانوا على ذلك حتى قدم الرسول ﷺ فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلاً، فأرسلت العزيزة أن ابعثوا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان ذلك في حيين قط دينهما واحد ونسبتهما واحدة وبلدهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض؟ إنا أعطيناكم هذا ضيمًا منكم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

٧٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ المرجع هي.

٧٤- ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي المنافقين ﴿بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ ما بلغك عنهم من السبّ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ﴾ من الفتك بالنبيّ ليلة العقبة عند عودته من تبوك وهم بضعة عشر رجلا، فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردّوا ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾ أنكروا ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ﴾ بالغنائم بعد شدّة حاجتهم، والمعنى: لم ينلهم منه إلا هذا وليس مما ينقم ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ يمنعهم.

٧٥- ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً ويؤدّي منه كل ذي حق حقه فدعا له فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة[1] كما قال تعالى:

٧٦- ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟﴾ عن طاعة الله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

٧٧- ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي فصيَّر عاقبتهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتا ﴿فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ أي الله وهو يوم القيامة ﴿بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ فيه، فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته فقال «إن الله منعني أن أقبل منك» فجعل يحثو التراب على رأسه، ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثم إلى عمر فلم يقبلها، ثم إلى عثمان فلم يقبلها ومات في زمانه.

٧٨- ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ أي المنافقين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أسرّوه في أنفسهم ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ ما تناجَوْا به بينهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ ما غاب عن العيان.

٧٩- ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدّق بشيء كثير، فقال المنافقون: مراء، وجاء رجل فتصدّق بصاع فقالوا: إن الله غنيّ عن صدقة هذا، فنزل: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾ يعيبون ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتنفلين ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ﴾ والخبر ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾.

لنا وخوفًا وفرَقًا، فأما إذا قدم محمد فلا نعطيكم، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن جعلوا رسول الله ﷺ بينهما، فأرسلوا إليه ناسًا من المنافقين ليختبروا رأيه، فأنزل الله ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ الآية.

---

(١) قلت: هذه القصة لا تثبت في حق الصحابي ثعلبة بن حاطب رضي الله عنه وقد ردها كثير من العلماء وانظر اختصاري لابن كثير (٢٠١/٢).

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ
بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن
تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا
مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا
أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ
أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

٨٠- ﴿اسْتَغْفِرْ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه، قال ﷺ: «إني خُيِّرت فاخترت» يعني الاستغفار. رواه البخاري ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل: المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار. وفي البخاري حديث «لو أعلم أني لو زدت على السبعين غُفِرَ، لزدتُ عليها»[1] وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضاً «وسأزيد على السبعين» فبيَّن له حسم المغفرة بآية ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

٨١- ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي بقعودهم ﴿خِلَافَ﴾ أي بعد ﴿رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿لَا تَنفِرُوا﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ من تبوك فالأولى أن يتقوها بترك التخلف ﴿لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا.

٨٢- ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ في الآخرة ﴿كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ خبر عن حالهم بصيغة الأمر.

٨٣- ﴿فَإِن رَّجَعَكَ﴾ ردّك ﴿اللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ ممن تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُل﴾ لهم ﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم.

٨٤- ولما صلى النبي ﷺ على ابن أُبيّ نزل ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ لدفن أو زيارة ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ كافرون.

٨٥- ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

٨٦- ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ﴾ ذوو الغنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

وروى أحمد ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب قال: مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال: هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟ فقالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟ فقال: لا والله ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك نجد حد الزاني في كتابنا الرجم. ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا زنى الشريف تركناه، وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا تعالوا حتى نجعل شيئاً نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعا على التحميم والجلد، فقال: النبي ﷺ: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله:

(١) [صحيح]: انظر التخريج السابق.

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ
الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ
مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ
مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى
الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا
مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

٨٧- ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ جمع خالفة أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ الخير. ٨٨- ﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي الفائزون. ٨٩- ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾. ٩٠- ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال، أي المعتذرون بمعنى المعذورين، وقرئ به ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾. ٩١- ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ كالشيوخ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ كالعمي والزمنى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ إثم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في حال قعودهم بعدم الإرجاف والتثبيط والطاعة ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ طريق بالمؤاخذة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ بهم في التوسعة في ذلك. ٩٢- ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار، وقيل بنو مقرن ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال ﴿تَوَلَّوا﴾ جواب «إذا» أي انصرفوا ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ﴾ للبيان ﴿الدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ في الجهاد.

٩٣- ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ تقدّم مثله.

﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ يقولون ائتوا محمدًا، فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا إلى قوله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. وأخرج الحميدي في مسنده عن جابر بن عبد الله قال: زنى رجل من أهل فدك، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أن اسألوا محمدًا عن ذلك. فإن أمر بالجلد فخذوه عنه، وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه عنه، فسألوه عن ذلك، فذكر نحو ما تقدم فأمر به فرجم، فنزلت ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ الآية، وأخرج البيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة نحوه.

■ **أسباب نزول الآية ٤٩** – قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فجاؤوه فقالوا يا محمد: إنك قد عرفت إنّا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعتنا يهود و لم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك فأبى ذلك، وأنزل الله فيهم ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ إلى قوله ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٥١** – قوله تعالى ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا﴾ الآية، أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي عن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أُبيّ ابن سلول وقام

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

٩٤- ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ نصدقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أي أخبرنا بأحوالكم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ فيجازيكم عليه. ٩٥- ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ﴾ رجعتم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك أنهم معذورون في التخلف ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ بترك المعاتبة ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ قذر لخبث باطنهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾. ٩٦- ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ أي عنهم، ولا ينفع رضاكم مع سخط الله. ٩٧- ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أولى ﴿أ﴾ن أي بأن ﴿لَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ من الأحكام والشرائع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ في صنعه هم. ٩٨- ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة وخسرانا لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفا وهم بنو أسد وغطفان ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلص. ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالضم والفتح: أي يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ بأفعالهم. ٩٩- ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ جهينة ومزينة ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرُبَاتٍ﴾ تقربه ﴿عِندَ اللَّهِ وَ﴾ وسيلة إلى ﴿صَلَوَاتِ﴾ دعوات ﴿الرَّسُولِ﴾ له ﴿أَلَا إِنَّهَا﴾ أي نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ﴾ بضم الراء وسكونها ﴿لَّهُمْ﴾ عنده ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ بهم.

دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف من الخزرج وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبيّ فحالفهم إلى رسول الله وتبرأ من حلف الكفار وولايتهم، قال: ففيه وفي عبد الله بن أبيّ نزلت القصة في المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٥٥-** قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية، أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مجاهيل عن عمار بن ياسر قال: وقف على علي بن أبي طالب سائل وهو راكع في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فنزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية. وله شاهد قال عبد الرزاق: حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية، قال نزلت في علي بن أبي طالب. وروى ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس مثله. وأخرج عن مجاهد وابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل مثله، فهذه شواهد يقوي بعضها بعضًا.

■ **أسباب نزول الآية ٥٧-** قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ﴾ الآية، روى أبو الشيخ وابن حبان عن ابن عباس قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا، وكان رجل من المسلمين يوادهما، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ﴾ إلى قوله ﴿بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ وبه قال أتى النبي ﷺ نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع وغازي بن عمر

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

١٠٠- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ وهم من شهد بدرا أو جميع الصحابة. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ إلى يوم القيامة ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ في العمل ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بإطاعتهم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وفي قراءة بزيادة «من» ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾. ١٠١- ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يا أهل المدينة ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ﴾ كأسلم وأشجع وغفار ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ﴾ منافقون أيضا ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ لَجُّوا فيه واستمرّوا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة أو القتل في الدنيا وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ هو النار. ١٠٢- ﴿وَ﴾ قوم ﴿ءَاخَرُونَ﴾ مبتدأ ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التخلف نعته، والخبر ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو تخلّفهم ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ فحلهم لما نزلت: ١٠٣- ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ من ذنوبهم فأخذ ثلث أموالهم وتصدّق بها ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ أي ادع لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ﴾ رحمة ﴿لَّهُمْ﴾ وقيل طمأنينة بقبول توبتهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

١٠٤- ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ﴾ يقبل ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على عباده بقبول توبتهم ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ بهم، والاستفهام للتقرير، والقصد به تهييجهم إلى التوبة والصدقة. ١٠٥- ﴿وَقُلِ﴾ لهم أو للناس ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ فيجازيكم به.

١٠٦- ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿مُرْجَوْنَ﴾ بالهمز و[مُرْجَوْن] بتركه مؤخّرون عن التوبة ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فيهم بما شاء ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ في صنعه بهم، وهم الثلاثة الآتون بعد: مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية: تخلفوا كسلا وميلاً إلى الدعة لا نفاقا ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد.

فسألوه عمن يؤمن به من الرسل قال: أؤمن ﴿بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ الآية، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوّته وقالوا لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به، فأنزل الله فيهم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ الآية.

◙ أسباب نزول الآية ٦٤- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ الآية، أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس إن ربك بخيل لا ينفق فأنزل الله ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ﴾ الآية، وأخرج أبو الشيخ من وجه آخر عنه قال: نزلت ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ﴾ في فنحاص رأس يهود قينقاع.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

١٠٧- ﴿وَ﴾ منهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ضِرَارًا﴾ مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وَكُفْرًا﴾ لأنهم بَنَوه بأمر أبي عامر الراهب ليكون معقلاً له يقدَّم فيه من يأتي من عنده، وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يُصلّون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترقبا ﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل بنائه وهو أبو عامر المذكور ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَآ﴾ ببنائه ﴿إِلَّا﴾ الفعلة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ من الرفق بالمسكين في المطر والحرّ والتوسعة على المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ في ذلك، وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه فنزل:

١٠٨- ﴿لَا تَقُمْ﴾ تصلّ ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرّقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بنيت قواعده ﴿عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما في البخاري [1] ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ أي يثيبهم، وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، روى ابن خزيمة في صحيحه عن عويمر بن ساعدة أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال: «إنّ الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تَطهَّرون به؟» قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا. وفي حديث رواه البزار: فقالوا نتبع الحجارة بالماء، فقال: هو ذاك فعليكموه. ١٠٩- ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾ مخافة ﴿مِنَ ٱللَّهِ وَ﴾ رجاء ﴿رِضْوَٰنٍ﴾ منه ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿جُرُفٍ﴾ بضم الراء وسكونها: جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ سقط مع بانيه ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خير؟ تمثيل للبناء على ضدّ التقوى بما يؤول إليه والاستفهام للتقرير، أي: الأوّل خير: وهو مثال مسجد قباء، والثاني: مثال مسجد الضرار ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

١١٠- ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً﴾ شكّا ﴿فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ﴾ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بأن يموتوا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ في صنعه بهم.

١١١- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ جملة استئناف بيان للشراء. وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول. أي فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي لا أحد أوفى منه ﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ المنيل غاية المطلوب.

---

(١) انظر البخاري (المناقب/ ٣٩٠٦/ فتح).

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ
ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ
وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن
يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ
مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾

١١٢- ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ من الشرك والنفاق ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ له على كل حال ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الصائمون ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ أي المصلّون ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ لأحكامه بالعمل بها ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ بالجنة.

١١٣- ونزل في استغفاره ﷺ لعمِّه أبي طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ ذوي قرابة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ النار، بأن ماتوا على الكفر. ١١٤- ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ بقوله سأستغفر لك ربي رجاء أن يسلم ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ﴾ بموته على الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ وترك الاستغفار له ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾﴾ صبور على الأذى.

١١٥- ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ﴾ للإسلام ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية.

١١٦- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم﴾ أيها الناس ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِيّٖ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾﴾ يمنعكم من ضرره.

١١٧- ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ أي أدام توبته ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ أي وقتها، وهي حالهم في غزوة تبوك: كان الرجلان يقتسمان تمرة، والعشرة يتعقبون البعير الواحد، واشتدّ الحرّ حتى شربوا الفرث ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ تَزِيغُ﴾ بالتاء والياء. تميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ عن اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدّة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بالثبات ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ٦٧ - قوله تعالى ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ﴾ الآية، أخرج أبو الشيخ عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعًا، وعرفت أن الناس مكذبيَّ فوعدني لأبلغنَّ أو ليعذبني، فأنزلت ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: لما نزلت: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾. قال: يا ربّ كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون عليّ؟ فنزلت ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾.
وأخرج الحاكم والترمذي عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.
فأخرج رأسه من القبة فقال: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله، في هذا الحديث دليل على أنها أي الآية: ليلية نزلت ليلاً فراشية- والرسول في فراشه- وأخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: كان العباس عم رسول الله ﷺ فيمن يحرسه، فلما نزلت ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ ترك الحرس، وأخرج أيضًا عن عصمة بن مالك الخطمي قال: كنا نحرس رسول الله ﷺ بالليل حتى نزلت: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فترك الحرس. وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة قال: كنا إذا أصبحنا ورسول الله ﷺ في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلها، فينزل تحتها، فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها فجاء فأخذه وقال: يا محمد من يمنعك مني، فقال رسول الله ﷺ الله يمنعني منك ضع السيف فوضعه، فنزلت ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: لما غزا رسول الله ﷺ بني أنمار نزل ذات الرقيع بأعلى نخل فبينا هو جالس على

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم
مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ
عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ
وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ
ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم
بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾
وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

١١٨- ﴿وَ﴾ تاب ﴿عَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ عن التوبة عليهم بقرينة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي مع رحبها أي سعتها فلا يجدون مكانا يطمئنون إليه ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرورٌ ولا أُنس ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا ﴿أَن﴾ مخففة ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. ١١٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بترك معاصيه ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ في الإيمان والعهود بأن تلتزموا الصدق. ١٢٠- ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ إذا غزا ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ﴾ بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد، وهو نهي بلفظ الخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ مصدر بمعنى وطأ ﴿يَغِيظُ﴾ يغضب ﴿ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾ لله ﴿نَّيْلًا﴾ قتلاً أو أسرا أو نهبا ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ﴾ ليجازَوْا عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ أي أجرهم بل يثيبهم.
١٢١- ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ فيه ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بالسير ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ به عمل صالح ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ أي جزاءهم.
١٢٢- ولما وبخوا على التخلف وأرسل النبي ﷺ سرية نفروا جميعا فنزل ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ﴾ إلى الغزو ﴿كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ جماعة ومكث الباقون ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ أي الماكثون ﴿فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ عقاب الله بامتثال أمره ونهيه. قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا، والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ.

رأس بئر قد أدلى رجليه، فقال الوارث من بني النجار لأقتلنَّ محمدًا، فقال له أصحابه كيف تقتله؟ قال أقول له أعطني سيفك فإذا أعطانيه قتلته، فأتاه فقال له يا محمد: أعطني سيفك أشمه، فأعطاه إياه فرعدت يده، فقال رسول الله ﷺ: حال الله بينك وبين ما تريد، فأنزل الله ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ الآية. ومن غريب ما ورد في سبب نزولها ما أخرجه ابن مردويه والطبراني عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يحرس، وكان يرسل معه أبو طالب كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ فأراد أن يرسل معه من يحرسه فقال يا عمّ: إن الله عصمني من الجن والإنس. وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله نحوه وهذا يقتضي أن الآية مكية، والظاهر خلافه.

■ أسباب نزول الآية ٦٨ - قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية، روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: جاء رافع وسلام بن مشكم، ومالك بن الصيف، فقالوا يا محمد: ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا قال بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم بما فيها، وكتمتم ما أمرتم أن تبينوه للناس، فإنا نأخذ بما في أيدينا فإنا على الهدى والحق فأنزل الله ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الآية.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ
وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا
إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوۡنَ
أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ
سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ
ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ
﴿١٢٧﴾ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ
عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ
رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُسَ

٢٠٧

١٢٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ أي الأقرب فالأقرب منهم ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾ شدة: أي أغلظوا عليهم ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ بالعون والنصر. ١٢٤- ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ﴾ من القرآن ﴿فَمِنۡهُم﴾ أي المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لأصحابه استهزاء ﴿أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗا﴾ تصديقا. قال تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ يفرحون بها. ١٢٥- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ ضعف اعتقاد ﴿فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾ كفرا إلى كفرهم لكفرهم بها ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾. ١٢٦- ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ﴾ بالياء: أي المنافقون، والتاء: أيها المؤمنون ﴿أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ﴾ يبتلون ﴿فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ﴾ بالقحط والأمراض ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ يتعظون. ١٢٧- ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ﴾ فيها ذكرهم وقرأها النبي ﷺ ﴿نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ﴾ يريدون الهرب يقولون ﴿هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ﴾ إذا قمتم فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ﴾ على كفرهم ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الهدى ﴿بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ الحق لعدم تدبرهم. ١٢٨- ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي منكم محمد ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ أي عنتكم: أي مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ أن تهتدوا ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ﴾ شديد الرحمة ﴿رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ يريد لهم الخير.

١٢٩- ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلۡ حَسۡبِيَ﴾ كافي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ﴾ الكرسي [1] ﴿ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ خصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات. وروى الحاكم في المستدرك عن أبيّ بن كعب قال: آخر آية نزلت «لقد جاءكم رسول» إلى آخر السورة.

■ أسباب نزول الآية ٨٢ - قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير قالوا: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري، وكتب معه كتابًا إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله ﷺ ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه، وأرسل إلى الرهبان والقسيسين، ثم أمر جعفر بن أبي طالب فقرأ عليهم سورة مريم، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع، فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ﴾ إلى قوله ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾. وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: بعث النجاشي ثلاثين رجلاً من خيار أصحابه إلى رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم سورة يس فبكوا، فنزلت فيهم الآية، وأخرج النسائي عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾. وروى الطبراني عن ابن عباس نحوه أبسط منه.

■ أسباب نزول الآية ٨٧ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ﴾ الآية. روى الترمذي وغيره عن ابن عباس: أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي، فحرمت علي اللحم، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير من طريق العوفي

---

(١) قلت: هذا الكلام فيه نظر فإن العرش غير الكرسي وانظر للأهمية «الصحيحة» (١٠٩).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

سورة يونس

[مكية إلا الآيات: ٤٠، ٩٤، ٩٥، ٩٦ فمدنية وآياتها ١٠٩ أو ١١٠ نزلت بعد الإسراء]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى من ﴿ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ المحكم.

٢- ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة استفهام إنكار، والجار والمجرور حال من قوله ﴿عَجَبًا﴾ بالنصب خبر «كان» وبالرفع اسمها، والخبر وهو اسمها على الأولى ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ أي إيحاؤنا ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنذِرِ﴾ خوّف ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ﴾ أي بأن ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾ سلف ﴿صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي أجرا حسنا بما قدّموه من الأعمال ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ القرآن المشتمل على ذلك ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ بين وفي قراءة لساحر والمشار إليه النبي ﷺ.

٣- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمسٌ ولا قمر، ولو شاء لخلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواء يليق به ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿مَا مِن﴾ زائدة ﴿شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ ردّ لقولهم: إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الخالق المدبّر ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحّدوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال.

٤- ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المقدَّر ﴿إِنَّهُۥ﴾ بالكسر استئنافا، والفتح على تقدير اللام ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ أي بدأه بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بالبعث ﴿لِيَجْزِىَ﴾ يثيب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ أي بسبب كفرهم.

٥- ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ ذات ضياء: أي نور ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرون منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوما ﴿لِتَعْلَمُوا۟﴾ بذلك ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ لا عبثا تعالى عن ذلك ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء والنون: يبين ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ يتدبرون. ٦- ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ ــه فيؤمنون: خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن
تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ
ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ
ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ
مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟
لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ
خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة لإنكارهم لها ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ تاركون النظر فيها. ٨- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ من الشرك والمعاصي.

٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ﴾ يُرشدهم ﴿رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ به بأن يجعل لهم نورا يهتدون به يوم القيامة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾.

١٠- ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾ طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ أي يا الله، فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ﴾ مفسرة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

ونزل لما استعجل المشركون العذاب: ١١- ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم﴾ أي كاستعجالهم ﴿بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع والنصب، بأن يهلكهم ولكن يمهلهم ﴿فَنَذَرُ﴾ نترك ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ يتردّدون متحيّرين. ١٢- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿ٱلضُّرُّ﴾ المرض والفقر ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي مضطجعا ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ أي في كل حال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ على كفره ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف: أي كأنه ﴿لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ﴾ كما زين له الدعاء عند الضرّ والإعراض عند الرخاء ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾. ١٣- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ بالشرك ﴿وَ﴾ قد ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الدالات على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ عطف على «ظلموا» ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ الكافرين. ١٤- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ جمع خليفة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم فتصدّقوا رسلنا.

عن ابن عباس: أن رجالاً من الصحابة منهم عثمان بن مظعون حرَّموا النساء واللحم على أنفسهم، وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم، لكي تنقطع الشهوة ويتفرغوا للعبادة، فنزلت. وأخرج نحو ذلك من مرسل عكرمة وأبي قلابة ومجاهد وأبي مالك والنخعي والسدي وغيرهم، وفي رواية السدي: أنهم كانوا عشرة، منهم: ابن مظعون وعلي بن أبي طالب، وفي رواية عكرمة منهم: ابن مظعون وعلي وابن مسعود والمقداد بن الأسود مولى أبي حذيفة، وفي رواية مجاهد: منهم ابن مظعون وعبد الله بن عمر. وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق السديّ الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رهط من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد بن الأسود وسالم مولى أبي حذيفة، توافقوا أن يجبوا أنفسهم، ويعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحمًا ولا دسمًا ويلبسوا المسوح ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتًا وأن يسيحوا في الأرض كهيئة الرهبان فنزلت. وروى ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أن عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أهله وهو عند النبي ﷺ ثم رجع إلى أهله فوجدهم لم يطعموا ضيفه انتظارًا له فقال لامرأته: حبست ضيوفي من أجلي هو حرام عليَّ، فقالت امرأته: هو عليَّ حرام، فلما رأى ذلك وضع يده وقال: كلوا بسم الله ثم ذهب إلى النبي ﷺ فذكر الذي كان منهم ثم أنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ
أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ
لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ
ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

١٥- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ ليس فيه عيب آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ من تلقاء نفسك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ﴾ قبل ﴿نَفْسِيٓ إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بتبديله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ هو يوم القيامة. ١٦- ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾ أعلمكم ﴿بِهِۦ﴾ و «لا» نافية عطف على ما قبله. وفي قراءة بلام جواب «لو» أي لأعلمكم به على لسان غيري ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾ مكثت ﴿فِيكُمْ عُمُرًا﴾ سنينا أربعين ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ لا أحدثكم بشيء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ أنه ليس من قبلي.

١٧- ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ المشركون. ١٨- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه وهو الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ تخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار، إذ لو كان له شريك لعلمه، إذ لا يخفى عليه شيء ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ ـه معه. ١٩- ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على دين واحد وهو الإسلام من لدن آدم إلى نوح. وقيل: من عهد إبراهيم إلى عمرو ابن لحيّ ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي الناس في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ من الدين بتعذيب الكافرين.

٢٠- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي أهل مكة ﴿لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ﴾ ما غاب عن العباد: أي أمره ﴿لِلَّهِ﴾ ومنه الآيات فلا يأتي بها إلا هو، وإنما عليَّ التبليغ ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ٩٠- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾ الآية. روى أحمد عن أبي هريرة قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله ﷺ عنهما، فأنزل الله ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ الآية. فقال الناس ما حرّم علينا إنما قال إثم كبير وكانوا يشربون الخمر حتى كانوا يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين أمَّ أصحابه في المغرب فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أشد منها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ ثم نزلت آية أشد من ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾. قالوا: انتهينا ربنا، فقال الناس: يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على سرفهم، وكانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجسًا من عمل الشيطان فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ إلى آخر الآية. وروى النسائي والبيهقي عن ابن عباس قال: إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا، فلما أن ثمل القوم عبث بعضهم ببعض، فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر في وجهه ورأسه ولحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان: وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فيقول: والله لو كان بي رؤوفا رحيما ما صنع بي هذا حتى وقعت الضغائن في قلوبهم، فأنزل الله

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

٢١- ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ مطرا وخصبا ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ بؤس وجدب ﴿مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ بالاستهزاء والتكذيب ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاة ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ بالتاء والياء. ٢٢- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ وفي قراءة «ينشركم» ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فيه التفـــات عن الخطاب ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة ﴿وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي أهلكوا ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الدعاء ﴿لَئِنْ﴾ لام القسم ﴿أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ الموحّدين.

٢٣- ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بالشرك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ ظلمكم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ لأن إثمه عليها، هو ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تمتعون فيها قليلا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فنجازيكم عليه. وفي قراءة بنصب «متاع» أي تتمتعون. ٢٤- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾ مطر ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ بسببه ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ واشـتبك بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من البُرِّ والشـعير وغيرهما ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ من الكلأ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ بهجتها من النبات ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ بالزهر، وأصله: تزينت، أبدلت التاء زايا وأدغمت في الزاي ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ قضاؤنا أو عذابنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالمحصود بالمناجل ﴿كَأَن﴾ مخففة أي كأنها ﴿لَّمْ تَغْنَ﴾ تكن ﴿بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾ نبيِّن ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٥- ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي السلامة وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ دين الإسلام.

هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ الآية. قال ناس من المتكلفـــين: هي رجس، وهي في بطن فلان: وقد قتل يوم أحد، فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية.

◙ أسباب نزول الآية ١٠٠ - قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى﴾ الآية. أخرج الواحدي والأصبهاني في الترغيب عن جابر أن النبي ﷺ ذكر تحريم الخمر، فقام أعرابي فقال: إني كنت رجلاً كانت هذه تجارتي فاعتقبت منها مالاً فهل ينفع ذلك المال إن عملت بطاعة الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ: إن الله لا يقبـــل إلا الطيب، فأنزل الله تعالى تصديقًا لرسوله ﷺ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ الآية.

◙ أسباب نزول الآية ١٠١ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ الآية. روى البخاري عن أنس ابن مالك قال: خطب النبي ﷺ خطبة فقال رجل: مَن أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ حتى فرغ من الآية كلها. وأخرج ابن جرير مثله من حديث أبي هريرة، وروى أحمد والترمذي والحاكم عن علي قال: لما نزلت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ قالوا يا رسول الله في كل عام؟ فسكت، قالوا يا رســول الله في كل عام؟ قال: لا، ولو قلت: نعم لوجبت، فأنزل الله ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَالَّذِينَ
كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ
اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩)
هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ
الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠) قُلْ مَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ
فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) ﴾

٢١٢

٢٦- ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي النظر إليه تعالى كما في حديث مسلم[1] ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ كآبة ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾. ٢٧- ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على للذين أحسنوا، أي وللذين ﴿كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ عملوا الشرك ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿عَاصِمٍ ۖ﴾ مانع ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ أُلبست ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾ بفتح الطاء جمع قطعة، وإسكانها أي جزء ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾. ٢٨- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ نصب بالزموا مقدّرا ﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدّر ليعطف عليه ﴿وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ﴾ أي الأصنام ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ ميّزنا ﴿بَيْنَهُمْ ۖ﴾ وبين المؤمنين كما في آية ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ «ما» نافية، وقدّم المفعول للفاصلة. ٢٩- ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن﴾ مخففة أي إنا ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٣٠- ﴿هُنَالِكَ﴾ أي ذلك اليوم ﴿تَبْلُو﴾ من البلوى. وفي قراءة بتاءين من التلاوة ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ﴾ قدّمت من العمل ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ﴾ الثابت الدائم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ عليه من الشركاء. ٣١- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع أي خلقها ﴿وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ﴾ بين الخلائق ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ هو ﴿اللَّهُ ۚ فَقُلْ﴾ لهم ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ ـــه فتؤمنوا. ٣٢- ﴿فَذَٰلِكُمُ﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ﴾ الثابت ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ﴾ استفهام تقرير أي ليس بعده غيره، فمن أخطأ الحــق وهو عبادة الله وقع في الضـــلال ﴿فَأَنَّىٰ﴾ كيف ﴿تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان. ٣٣- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ كفروا. وهي «لأملأنّ جهنم» الآية، أو هي ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

إن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾. وأخرج ابن جرير مثله من حديث أبي هريرة وأبي أمامة وابن عباس قال الحافظ ابن حجر: لا مانع أن تكون نزلت في الأمرين، وحديث ابن عباس في ذلك أصح إسنادًا.

■ أسباب نزول الآية ١٠٦- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ الآية. روى الترمذي وضعفه وغيره عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ قال: برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بداء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام، فأتيا الشام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة، فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله. قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم، ثم اقتسمناه أنا وعدي بن بداء، فلما تقدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا: ما ترك غير هذا وما دفع إلينا غيره فلما أسلمت تأثمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر ودفعت إليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البينة فلم يجدوا، فأمرهم أن يستحلفوه فحلف

---

(١) [صحيح]: أخرجه مسلم في (الإيمان/١٨١/ عبد الباقي).

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣٨)
بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٩)
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُفْسِدِينَ (٤٠) وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ
أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٤١) وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢)

٣٤- ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ
ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤)﴾ تصرفون عن
عبادته مع قيام الدليل. ٣٥- ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن
يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلِ ٱللَّهُ
يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾ يهتدى ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ أحق أن يتبع؟
استفهام تقرير وتوبيخ: أي الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ (٣٥)﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق
اتباعه. ٣٦- ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا
ظَنًّا﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ
شَيْـًٔا﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾
فيجازيهم عليه. ٣٧- ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾
أي افتراء ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلَٰكِن﴾ أنزل
﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾
تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك
﴿فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٧)﴾ متعلق بـ «تصديق» أو بـ «أنزل» المحذوف، وقرئ برفع «تصديق،
وتفصيل» بتقدير هو. ٣٨- ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في
الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فإنكم عرب فصحاء مثلي ﴿وَٱدْعُوا﴾ للإعانة عليه ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣٨)﴾ في أنه افتراء. فلم يقدروا على ذلك. قال تعالى:
٣٩- ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي القرآن ولم يتدبروه ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ عاقبة ما
فيه من الوعيد ﴿كَذَٰلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٩)﴾ بتكذيب الرسل: أي آخر أمرهم من الهلاك، فكذلك نهلك هؤلاء. ٤٠- ﴿وَمِنْهُم﴾
أي أهل مكة ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ لعلم الله ذلك منه ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أبدا ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُفْسِدِينَ (٤٠)﴾ تهديد لهم. ٤١- ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل﴾ لهم ﴿لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي لكل جزاء
عمله ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٤١)﴾ وهذا منسوخ بآية السيف. ٤٢- ﴿وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم
﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ مع الصمم ﴿لَا يَعْقِلُونَ (٤٢)﴾ يتدبرون.

فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا،
فنزعت الخمسمائة درهم من عدي بن بداء.

«تنبيه» جزم الذهبي بأن تميمًا النازل فيه غير تميم الداري وعزاه لمقاتل بن حيان. قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد
للتصريح في هذا الحديث بأنه الداري.

(سورة الأنعام)

■ أسباب نزول الآية ١٩- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ الآية، أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو
عكرمة عن ابن عباس قال: جاء النحام بن زيد وقروم بن كعب وبحري بن عمرو فقالوا يا محمد ما نعلم مع الله إلها
غيره، فقال لا إله إلا الله، بذلك بعثت وإلى ذلك أدعو، فأنزل الله في قولهم ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ الآية.

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ
النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنبِئُونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

٤٣- ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ شبّههم بهم في عدم الاهتداء بل أعظم ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾.

٤٤- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

٤٥- ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن ﴾ أي كأنهم ﴿ لَّمْ يَلْبَثُوا ﴾ في الدنيا أو القبور ﴿ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾ لهول ما رأوا، وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ يعرف بعضهم بعضا إذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدّة الأهوال، والجملة حال مقدرة أو متعلق الظرف ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ بالبعث ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

٤٦- ﴿ وَإِمَّا ﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿ نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف: أي فذاك ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل تعذيبهم ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ ﴾ مُطّلع ﴿ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشدّ العذاب.

٤٧- ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ من الأمم ﴿ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ ﴾ إليهم فكذبوه ﴿ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل فيعذبون وينجى الرسول ومن صدّقه ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ بتعذيبهم بغير جُرم فكذلك نفعل هؤلاء.

٤٨- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ ﴾ للعذاب ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ فيه.

٤٩- ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا ﴾ أدفعه ﴿ وَلَا نَفْعًا ﴾ أجلبه ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أن يقدرني عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ مدّة معلومة لهلاكهم ﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ يتأخّرون عنه ﴿ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ يتقدّمون عليه.

٥٠- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ ﴾ أي الله ﴿ بَيَاتًا ﴾ ليلاً ﴿ أَوْ نَهَارًا مَّاذَا ﴾ أيّ شيء ﴿ يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ﴾ أي العذاب ﴿ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ المشركون، فيه وضع الظاهر موضع المضمر، وجملة الاستفهام جواب الشرط، كقولك: إذا أتيتك ماذا تعطيني، والمراد به التهويل أي ما أعظم ما استعجلوه.

٥١- ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ حلّ بكم ﴿ آمَنتُم بِهِ ﴾ أي الله أو العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير، فلا يقبل منكم ويقال لكم ﴿ آلْآنَ ﴾ تؤمنون ﴿ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ استهزاء.

٥٢- ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾ أي الذي تخلدون فيه ﴿ هَلْ ﴾ ما ﴿ تُجْزَوْنَ إِلَّا ﴾ جزاء ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

٥٣- ﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ ﴾ يستخبرونك ﴿ أَحَقٌّ هُوَ ﴾ أي ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿ قُلْ إِي ﴾ نعم ﴿ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ بفائتين العذاب.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤) أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥) هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠) وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٦١)

٥٤- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ كفرت ﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جميعا من الأموال ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أي أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين الخلائق ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤)﴾ شيئا. ٥٥- ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ ثابت ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ (٥٥)﴾ ذلك.

٥٦- ﴿هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦)﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم. ٥٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كتاب فيه ما لكم وما عليكم، وهو القرآن ﴿وَشِفَآءٌ﴾ دواء ﴿لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)﴾ به. ٥٨- ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ القرآن ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ الفضل والرحمة ﴿فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)﴾ من الدنيا بالياء والتاء. ٥٩- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ خلق ﴿لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ كالبحيرة والسائبة والميتة ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في ذلك بالتحليل والتحريم لا ﴿أَمْ﴾ بل ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩)﴾ تكْذبون بنسبة ذلك إليه.

٦٠- ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ أي أيُّ شيء ظنهم به ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أيحسبون أنه لا يعاقبهم؟ لا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠)﴾.

٦١- ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أمر ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ﴾ أي من الشأن أو الله ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ أنزله عليك ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ خاطبه وأمته ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رقباء ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ تأخذون ﴿فِيهِ﴾ أي العمل ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٦١)﴾ بيّن: هو اللوح المحفوظ.

■ أسباب نزول الآية ٢٦ - قوله تعالى ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ الآية، روى الحاكم وغيره عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في أبي طالب، كان ينهي المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ويتباعد عما جاء به. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال قال: نزلت في عمومة النبي ﷺ، وكانوا عشرة، فكانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر.

■ أسباب نزول الآية ٣٣- قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ﴾ الآية، روى الترمذي والحاكم عن علي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٥٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ الآية، روى ابن حبان والحاكم عن سعيد بن أبي وقاص قال لقد نزلت هذه الآية في ستة: أنا وعبد الله بن مسعود وأربعة قالوا لرسول الله ﷺ اطردهم فإنا نستحيي أن نكون تبعًا لك كهؤلاء، فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله، فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ إلى قوله ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وروى أحمد والطبراني وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء وهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا، لو

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ
ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ
سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٦٢- ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ في الآخرة. ٦٣- هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ الله بامتثال أمره ونهيه. ٦٤- ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فسرت في حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة: يراها الرجل أو تُرى له [1] ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الجنة والثواب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا خلف لمواعيده ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾.

٦٥- ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك «لست مرسلاً» وغيره ﴿إِنَّ﴾ استئناف ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾ القوّة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ بالفعل فيجازيهم وينصرك.

٦٦- ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عبيدا وملكا وخلقا ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره أصناما ﴿شُرَكَآءَ﴾ له على الحقيقة تعالى عن ذلك ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك. ٦٧- ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجاز لأنه يبصر فيه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ سماع تدبر واتعاظ. ٦٨- ﴿قَالُواْ﴾ أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى لهم ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيها له عن الولد ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن كل أحد وإنما يَطلب الولد من يحتاج إليه ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة ﴿بِهَٰذَآ﴾ الذي تقولونه ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ استفهام توبيخ. ٦٩- ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بنسبة الولد إليه ﴿لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ لا يسعدون. ٧٠- لهم ﴿مَتَٰعٌ﴾ قليل ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ يتمتعون به مدّة حياتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ بعد الموت ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

طردت هؤلاء لاتبعناك، فأنزل الله فيهم القرآن ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾ إلى قوله ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك يطرد عنه هؤلاء الأعبد كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه فكلم أبو طالب النبي ﷺ فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون فأنزل الله ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ إلى قوله ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وكانوا بلالاً وعمار بن ياسر وسالمًا مولى أبي حذيفة وصالحًا مولى أسيد وابن مسعود والمقداد بن عبد الله الحنظلي وأشباههم، فأقبل عمر فاعتذر من مقالته، فنزل ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الآية. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن خباب قال: جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم، فخلوا به فقالوا إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال نعم فنزلت ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾

---

(١) [صحيح]: انظر «صحيح الجامع» (٣٥٢٧).

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ (٧٣) ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ (٧٤) ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ (٧٦) قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ (٧٧) قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ (٧٨)﴾

٧١- ﴿وَٱتۡلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ أي كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿نُوحٍ﴾ ويبدل منه ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ شق ﴿عَلَيۡكُم مَّقَامِي﴾ لبثي فيكم ﴿وَتَذۡكِيرِي﴾ وعظي إياكم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ اعزموا على أمر تفعلونه بي ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ الواو بمعنى مع ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ﴾ مستورا، بل أظهروه وجاهروني به ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿وَلَا تُنظِرُونِ (٧١)﴾ تمهلون، فإني لست مباليا بكم. ٧٢- ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ﴾ ثواب عليه فتولوا ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَجۡرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٧٢)﴾. ٧٣- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ السفينة ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ أي من معه ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ في الأرض ﴿وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالطوفان ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ (٧٣)﴾ من إهلاكهم، فكذلك نفعل بمن كذب. ٧٤- ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُ﴾ أي قبل بعث الرسل إليهم ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ (٧٤)﴾ فلا تقبل الإيمان، كما طبعنا على قلوب أولئك. ٧٥- ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ قومه ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التسع ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ (٧٥)﴾. ٧٦- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ (٧٦)﴾ بيِّن ظاهر. ٧٧- ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡ﴾ إنه لسحر ﴿أَسِحۡرٌ هَٰذَا﴾ وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ (٧٧)﴾ والاستفهام في الموضعين للإنكار. ٧٨- ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا﴾ لتردنا ﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ الملك ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ (٧٨)﴾ مصدّقين.

الآية، ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ الآية، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فنزل: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية،قال ابن كثير هذا حديث غريب، فإن الآية مكية والأقرع وعيينة، إنما أسلما بعد الهجرة بدهر. وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ماهان قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا أصبنا ذنوبًا عظامًا فما رد عليهم شيئًا، فأنزل الله ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٦٥-** قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ﴾ الآيات، وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: لما نزلت ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف، قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبدًا أن يقتل بعضنا بعضًا ونحن مسلمون، فنزلت ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ (٦٥) وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ (٦٦) لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (٦٧)﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٨٢-** قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن عبيد الله بن زحر عن بكر بن سوادة قال: حمل رجل من العدو على المسلمين فقتل رجلاً، ثم حمل فقتل آخر ثم حمل فقتل آخر، ثم قال: أينفعني

وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ (٧٩) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ (٨٠) فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ
عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ
ٱلۡمُجۡرِمُونَ (٨٢) فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ
خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (٨٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ
ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ (٨٤) فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ
تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا
بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٨٦) وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ
وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٨٧) وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ
وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ (٨٨)

٧٩- ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ (٧٩)﴾ فائق في علم السحر. ٨٠- ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بعدما قالوا له ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾ ﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ (٨٠)﴾. ٨١- ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ﴾ حبالهم وعصيَّهم ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا﴾ استفهامية مبتدأ، خبره ﴿جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُ﴾ بدل، وفي قراءة بهمزة واحدة: إخبار فـ«ما» اسم موصول مبتدأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾ أي سيمحقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (٨١)﴾. ٨٢- ﴿وَيُحِقُّ﴾ يثبت ويظهر ﴿ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بمواعيده ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ (٨٢)﴾. ٨٣- ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ﴾ طائفة ﴿مِّن﴾ أولاد ﴿قَوۡمِهِۦ﴾ أي فرعون ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡ﴾ يصرفهم عن دينه بتعذيبهم ﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ﴾ متكبّر ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (٨٣)﴾ المتجاوزين الحدّ بادّعاء الربوبية.

٨٤- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ (٨٤)﴾. ٨٥- ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٥)﴾ أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا بنا. ٨٦- ﴿وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٨٦)﴾.

٨٧- ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ اتخذا ﴿لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ مصلّى تصلّون فيه لتأمنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ﴾ أتموها ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٨٧)﴾ بالنصر والجنة. ٨٨- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا﴾ آتيتهم ذلك ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ في عاقبته ﴿عَن سَبِيلِكَۖ﴾ دينك ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ امسخها ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ (٨٨)﴾ المؤلم. دعا عليهم وأمّن هارون على دعائه.

الإسلام بعد هذا؟ فقال رسول الله ﷺ نعم، فضرب فرسه، فدخل فيهم ثم حمل على أصحابه، فقتل رجلاً، ثم آخر، ثم قُتل قال: فيرون أن هذه الآية نزلت فيه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٩١** - قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف فخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين. وكان حبرًا سمينًا، فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له أصحابه: ويحك ولا على موسى؟ فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ الآية مرسل. وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة، وتقدم حديث آخر في سورة النساء، وأخرج ابن جرير من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قالت اليهود: والله ما أنزل الله من السماء كتابًا، فأنزلت

■ **أسباب نزول الآية ٩٣** - قوله تعالى ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ قال: نزلت في مسيلمة، ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي ﷺ، فيملي عليه عزيز حكيم، فيكتب غفور رحيم، ثم يقرأ عليه فيقول نعم سواء، فرجع عن الإسلام ولحق بقريش، وأخرج عن السدي نحوه وزاد قال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحي إليّ، وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد سميعًا عليمًا فقلت أنا عليمًا حكيمًا.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

٨٩- ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فمسخت أموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ في استعجال قضائي. روي أنه مكث بعدها أربعين سنة.

٩٠- ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ﴾ لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ مفعول له ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾ أي بأنه، وفي قراءة بالكسر استئنافا ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ كرّره ليقبل منه فلم يقبل، ودسَّ جبريل في فيه من حمأة البحر مخافة أن تناله الرحمة وقال له. ٩١- ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ تؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان. ٩٢- ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نخرجك من البحر ﴿بِبَدَنِكَ﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ بعدك ﴿ءَايَةً﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك. وعن ابن عباس: أن بعض بني إسرائيل شكُّوا في موته فأُخرج لهم ليَروْه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ لا يعتبرون بها.

٩٣- ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزل كرامة وهو الشام ومصر ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين. ٩٤- ﴿فَإِن كُنتَ﴾ يا محمد ﴿فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضا ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه قال ﷺ «لا أشك ولا أسأل» ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ الشاكّين فيه. ٩٥- ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾. ٩٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

٩٧- ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ فلا ينفعهم حينئذ.

■ أسباب نزول الآية ٩٤- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وغيره عن عكرمة قال: قال النضر بن الحارث سوف تشفع لي اللات والعزى فنزلت هذه الآية ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ إلى قوله ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾.

■ أسباب نزول الآية ١٠٨ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ﴾ الآية. قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة قال: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار، فأنزل الله ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ١٠٩ - قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: كلم رسول الله ﷺ قريشًا، فقالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب به الحجر، وأن عيسى كان يحيي الموتى: وأن ثمود لهم الناقة فأتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: أي شيء تحبون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبًا قال: فإن فعلت تصدقوني؟ قالوا: نعم والله، فقام رسول الله يدعو، فجاء جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهبا، فإن لم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم، فأنزل الله ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿يَجْهَلُونَ﴾.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ
ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ
جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

٩٨- ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أريد أهلها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل نزول العذاب بها ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ عند رؤية أمارة العذاب و لم يؤخروا إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ انقضاء آجالهم. ٩٩- ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ لا. ١٠٠- ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ يتدبرون آيات الله. ١٠١- ﴿قُلِ﴾ لكفار مكة ﴿ٱنظُرُوا۟ مَاذَا﴾ أي الذي ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير أي الرسل ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ في علم الله أي ما تنفعهم. ١٠٢- ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَنتَظِرُونَ﴾ بتكذيبك ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم: أي مثل وقائعهم من العذاب ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ ذلك ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾. ١٠٣- ﴿ثُمَّ نُنَجِّى﴾ المضارع لحكاية الحال الماضي ﴿رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من العذاب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ النبي ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين. ١٠٤- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ أنه حق ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره وهو الأصنام لشككم فيه ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ بقبض أرواحكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾. ١٠٥- ﴿وَ﴾ قيل لي ﴿أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾. ١٠٦- ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضا ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ١١٨ - قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟﴾ الآية. روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس قال: أتى ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أنأكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. وأخرج أبو داود والحاكم وغيرهما عن ابن عباس في قوله ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ قالوا ما ذبح الله لا تأكلون، وما ذبحتم أنتم تأكلون، فأنزل الله الآية، وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾. أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمدًا فقولوا له: ما تذبح أنت بسكين فهو حلال، وما ذبح الله بشعار من ذهب، يعني الميتة فهو حرام، فنزلت هذه الآية ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ قال الشياطين من فارس وأولياؤهم قريش.

■ أسباب نزول الآية ١٢٢ - قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ الآية. أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس في قوله ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ قال: نزلت في عمر وأبي جهل وأخرج عن الضحاك مثله.

■ أسباب نزول الآية ١٤١ - قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة ثم تسارفوا فنزلت هذه الآية. وأخرج عن ابن جريج أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جدَّ نخلة فأطعم حتى أمسى وليس له ثمرة.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

٢٢١

١٠٧- ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ يصبك ﴿ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ﴾ دافع ﴿لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي بالخير ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾. ١٠٨- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ فأجبركم على الهدى. ١٠٩- ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ من ربك ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ﴾ فيهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ أعدلهم، وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية.

سورة هود

[مكية وآياتها ثلاث وعشرون ومائة، إلا الآيات ١٢، ١٧، ١١٤ فمدنية، نزلت بعد سورة يونس]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بيِّنت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ أي الله. ٢- ﴿أَ﴾ ن أي بأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ بالثواب إن آمنتم. ٣- ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُمَتِّعْكُم﴾ في الدنيا ﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ في العمل ﴿فَضْلَهُۥ﴾ جزاءه ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ فيه حذف إحدى التاءين أي تُعرضوا ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ هو يوم القيامة. ٤- ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾ ومنه الثواب والعذاب. ٥- ونزل كما رواه البخاري(١) عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء، وقيل في المنافقين ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ﴾ أي الله ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بها ﴿يَعْلَمُ﴾ تعالى ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ﴾ فلا يغني استخفاؤهم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ أي بما في القلوب.

(سورة الأعراف)

■ أسباب نزول الآية ٣١- قوله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الآية، روى مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة وعلى فرجها خرقة وهي تقول: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله، فنزلت ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ونزلت ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ الآيتين.

■ أسباب نزول الآية ١٨٤ - قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ﴾ الآية، أخرج أبو حاتم وأبو الشيخ عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا فدعا قريشًا فجعل يدعوهم فخذًا فخذًا: يا بني فلان، يحذرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت إلى الصباح فأنزل الله ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

---

(١) انظر «الصحيح المسند من أسباب النزول» عند هذه الآية.

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ
عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ
إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

٦- ﴿وَمَا مِن﴾ زائدة ﴿دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هي ما دبّ عليها ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بعد الموت أو في الرحم ﴿كُلٌّ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ بيّن هو اللوح المحفوظ. ٧- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ﴾ قبل خلقهما ﴿عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ وهو على متن الريح ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ «خلق» أي خلقهما وما فيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي أطوع لله ﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾ يا محمد لهم ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن الناطق بالبعث أوالذي تقوله ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ بيّن، وفي قراءة «ساحر» والمشار إليه النبي ﷺ. ٨- ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ﴾ مجيء ﴿أُمَّةٍ﴾ أوقات ﴿مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ﴾ استهزاء ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ ما يمنعه من النزول. قال تعالى ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعا ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾ من العذاب. ٩- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ غنىً وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ قنوط من رحمة الله ﴿كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾ شديد الكفر به. ١٠- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾ فقر وشدّة ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾ المصائب ﴿عَنِّيٓ﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ بَطِر ﴿فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ على الناس بما أُوتي. ١١- ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الضرّاء ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في النعماء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ هو الجنة. ١٢- ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يصدقه كما اقترحنا ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ حفيظ فيجازيهم.

■ أسباب نزول الآية ١٨٧- قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية.. أخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس قال: قال حمل بن أبي قشير وسموأل بن زيد لرسول الله ﷺ أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيًا كما تقول فإنا نعلم ما هي؟ فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ الآية، وأخرج أيضًا عن قتادة قال: قالت قريش فذكر نحوه.

■ أسباب نزول الآية ٢٠٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أبي هريرة قال: نزلت ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ في رفع الأصوات في الصلاة خلف النبي ﷺ، وأخرج عنه أيضًا قال: كانوا يتكلمون في الصلاة، فنزلت ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ الآية، وأخرج عن عبد الله بن مغفل نحوه وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود مثله. وأخرج عن الزهري قال: نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئًا قرأه، وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال: كانوا يتلقفون من رسول الله ﷺ إذا قرأ شيئًا قرؤوا معه حتى نزلت هذه الآية التي في الأعراف ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ قلت: ظاهر ذلك أن الآية مدنية.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

١٣- ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي القرآن ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ فإنكم عربيون فصحاء مثلي، تحدّاهم بها أوّلاً ثم بسورة ﴿وَٱدْعُوا۟﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ في أنه افتراء. ١٤- ﴿فَإِ﴾ ن ﴿لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ أي من دعوتموهم للمعاونة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ خطاب للمشركين ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ﴾ ملتبسا ﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ وليس افتراء عليه ﴿وَأَن﴾ مخففة أي أنه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ بعد هذه الحجة القاطعة: أي أسلموا. ١٥- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن أصرّ على الشرك، وقيل: هي في المرائين ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسّع عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي الدنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ ينقصون شيئا. ١٦- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُو﴾ ه ﴿فِيهَا﴾ أي الآخرة فلا ثواب له ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾. ١٧- ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهو النبي ﷺ أو المؤمنون وهي القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له بصدقه ﴿مِّنْهُ﴾ أي من الله وه جبريل ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ التوراة شاهد له أيضا ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حال، كمن ليس كذلك، لا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي من كان على بينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي بالقرآن فلهم الجنة ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ جميع الكفار ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾. ١٨- ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ المشركين. ١٩- ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

(سورة الأنفال)

■ أسباب نزول الآية ١ — روى أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «من قتل قتيلاً فله كذا وكذا، ومن أسر أسيرًا فله كذا وكذا، فأما المشيخة فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقالت المشيخة للشبان: أشركونا معكم فإنا كنا لكم ردءا، ولو كان منكم شيء للجأتم إلينا، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾. وروى أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي فقتلت به سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأتيت به النبي ﷺ فقال: اذهب فاطرحه في القبض، فرجعت وبي مالاً يعلمه إلا الله من قتل أخي، وأخذ سلبي فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال النبي ﷺ اذهب فخذ سيفك. وروى أبو داود والترمذي والنسائي عن سعد قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف، فقلت يا رسول الله: إن الله قد شفى صدري من المشركين هب لي هذا السيف، فقال: هذا ليس لي ولا لك، فقلت: عسى أن يعطى هذا من لا يبلي بلائي، فجاءني الرسول ﷺ فقال إنك سألتني وليس

أُولَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

٢٠- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ بإضلالهم غيرهم ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ للحق ﴿وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ به، أي لفرط كراهتهم له، كأنهم لم يستطيعوا ذلك. ٢١- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾ على الله من دعوى الشريك. ٢٢- ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾. ٢٣- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ﴾ سكنوا واطمأنوا أو أنابوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾. ٢٤- ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ الكفار والمؤمنين ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ﴾ هذا مثل الكافر ﴿وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال: تتعظون. ٢٥- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنِّي﴾ أي بأني، وفي قراءة بالكسر على حذف القول ﴿لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ بيّن الإنذار.

٢٦- ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة. ٢٧- ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ وهم الأشراف ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾ ولا فضل لك علينا ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾ أسافلنا كالحاكة والأساكفة ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ بالهمز وتركه: أي ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف: أي وقت حدوث أوّل رأيهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾ فتستحقون به الاتباع منا ﴿بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ في دعوى الرسالة أدرجوا قومه معه في الخطاب. ٢٨- ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ﴾ نبوّة ﴿مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ﴾ خفيتْ ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ وفي قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ أنجبركم على قبولها ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ لا نقدر على ذلك.

لي، وإنه قد صار لي وهو لك، قال: فنزلت ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن مجاهد أنهم سألوا النبي ﷺ عن الخمس بعد الأربعة الأخماس، فنزلت: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٥ - قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة، وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت: ما ترون فيها لعل الله يغنمناها ويسلمنا فخرجنا فسرنا يومًا أو يومين فقال: ما ترون فيهم؟ فقلنا: يا رسول الله ما لنا طاقة بقتال القوم إنما خرجنا للعير فقال المقداد: لا تقولوا كما قال قوم موسى «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» فأنزل الله ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه.

■ أسباب نزول الآية ٩- قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ﴾ الآية، روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: نظر نبيُّ الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه مادًا

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ
قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ
أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ
جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ
نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ
هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ
قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ
فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾

٢٩- ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مَالًاۖ﴾ تعطونيه ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَجۡرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ كما أمرتموني ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ عاقبة أمركم.

٣٠- ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ أي لا ناصر لي ﴿أَفَلَا﴾ فهلا ﴿تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال: تتعظون.

٣١- ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ﴾ إني ﴿أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ بل أنا بشر مثلكم ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ﴾ تحتقر ﴿أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ قلوبهم ﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ إن قلت ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾. ٣٢- ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ فيه. ٣٣- ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ تعجيله لكم فإن أمره إليه لا إليّ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ بفائتين الله.

٣٤- ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ أي إغواءكم، وجواب الشرط دل عليه ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾ ﴿هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ قال تعالى:

٣٥- ﴿أَمۡ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ﴾ أي كفار مكة ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ اختلق محمد القرآن ﴿قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي﴾ إثمي: أي عقوبته ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ من إجرامكم في نسبة الافتراء إليّ.

٣٦- ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ من الشرك، فدعا عليهم بقوله ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلخ، فأجاب الله تعالى دعاءه فقال:

٣٧- ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ أمرنا ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبيَّ الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ فأمدَّهم الله بالملائكة.

■ أسباب نزول الآية ١٧ - قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ﴾ الآية، روى الحاكم عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: أقبل أبيّ بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير، ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أبيّ من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه بحربته عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم، فكسر ضلعًا من أضلاعه فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أعجزك إنما هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتل أبيًا، ثم قال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون، فمات أبيّ قبل أن يقدم مكة، فأنزل الله ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ الآية، صحيح الإسناد، لكنه غريب. وأخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله ﷺ يوم خيبر دعا بقوس، فرمى الحصن فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه، فأنزل الله ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ﴾ الآية، مرسل جيد الإسناد، لكنه غريب، والمشهور أنها نزلت في رمية يوم بدر

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟
مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟
فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ
تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ
فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ
ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ
أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ
بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

٣٨- ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ جماعة ﴿مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ استهزؤوا به ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ إذا نجونا وغرقتم. ٣٩- ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ دائم. ٤٠- ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية للصنع ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء، وكان ذلك علامة لنوح ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ أي ذكر وأنثى: أي من كل أنواعهما ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكرا وأنثى وهو مفعول، وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أي منهم بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان، بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء. ٤١- ﴿وَقَالَ﴾ نوح ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ بفتح الميمين وضمهما مصدران: أي جريها ورسوّها: أي منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ حيث لم يهلكنا. ٤٢- ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ كنعان ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ عن السفينة ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾. ٤٣- ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ عذابه ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن رَّحِمَ﴾ الله فهو المعصوم. قال تعالى ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

٤٤- ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ الذي نبع منك فشربته دون ما نزل من السماء فصار أنهارا وبحارا ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَغِيضَ﴾ نقص ﴿ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ تمَّ أمر هلاك قوم نوح ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكا ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ الكافرين. ٤٥- ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِى﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا خلف فيه ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أعلمهم وأعدلهم.

بالقبضة من الحصباء، روى ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن حكيم بن حزام، قال: لما كان يوم بدر سمعنا صوتًا وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ بتلك الحصباء فانهزمنا، فذلك قوله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ الآية، وأخرج أبو الشيخ نحوه عن جابر وابن عباس، ولابن جرير من وجه آخر مرسلاً نحوه.

■ أسباب نزول الآية ١٩ - قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ الآية، روى الحاكم عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير قال: كان المستفتح أبا جهل فإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتى بما لا يعرف فأحنه الغداة وكان ذلك استفتاحًا فأنزل الله ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ إلى قوله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال: قال أبو جهل: اللهم انصر اعز الفئتين وأكرم الفرقتين، فنزلت.

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٌۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾

٤٦- ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ الناجين أو من أهل دينك ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي سؤالك إياي بنجاته ﴿عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ فإنه كافر ولا نجاة للكافرين. وفي قراءة بكســـر ميم «عَمِل» فعل، ونصب «غَيْر» فالضمير لابنه ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ من إنجاء ابنك ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بسؤالك ما لم تعلم. ٤٧- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٌۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾. ٤٨- ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ أنزل من السفينة ﴿بِسَلَٰمٖ﴾ بسلامة أو تحية ﴿مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾ خيرات ﴿عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ فى السفينة أي من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٞ﴾ بالرفع ممن معك ﴿سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾﴾ فى الآخرة وهم الكفار. ٤٩- ﴿تِلۡكَ﴾ أي هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ﴾ القرآن ﴿فَٱصۡبِرۡۖ﴾ على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ﴾ المحمودة ﴿لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾. ٥٠- ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ﴾ من القبيلة ﴿هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنۡ﴾ زائدة ﴿إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ﴾ ما ﴿أَنتُمۡ﴾ في عبادتكم الأوثان ﴿إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ كاذبون على الله. ٥١- ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجۡرًاۖ إِنۡ﴾ ما ﴿أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾ خلقني ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾.

٥٢- ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾ ارجعوا ﴿إِلَيۡهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر وكانوا قد مُنعوه ﴿عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ كثير الدُّرور ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ﴾ مع ﴿قُوَّتِكُمۡ﴾. بالمال والولد ﴿وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ مشركين. ٥٣- ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ برهان على قولك ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ﴾ أي لقولك ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ٢٧- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية، روى سعيد بن منصور وغيره عن عبد الله بن أبي قتادة قال: نزلت هذه الآية ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ في أبي لبابة بن عبد المنذر سأله بنو قريظة يوم قريظة ما هذا الأمر؟ فأشار إلى حلقه يقول الذبح فنزلت، قال أبو لبابة: ما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله. وروى ابن جرير وغيره عن جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال: إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا إليه واكتموا، فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان: إن محمدًا يريدكم فخذوا حذركم، فأنزل الله ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الآية، غريب جدًا في سنده وسياقه نظر، وأخرج ابن جرير عن السدي قال: كانوا يسمعون من النبي ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين، فنزلت.

■ أسباب نزول الآية ٣٠- قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن نفرًا من قريش ومن أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس في سورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد سمعت بما اجتمعتم له، فأمرت أن أحضركم ولن يعلمكم مني رأي ونصح، قالوا أجل، فادخل معهم،فقال: انظروا في شأن هذا الرجل فقال قائل: احبســـوه في وثاق ثم تربصوا به المنـــون حتى يهلك كما هلك من

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا
مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟
فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا
بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن
نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

٥٤- ﴿إِن﴾ ما ﴿نَّقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ﴾ فخبلك لسبك إياها فأنت تهذي ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ علي ﴿وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ به. ٥٥- ﴿مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى﴾ احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ تمهلون. ٥٦- ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن﴾ زائدة ﴿دَآبَّةٍ﴾ نسمة تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ﴾ أي مالكها وقاهرها فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه، وخص الناصية بالذكر لأن من أخذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ أي طريق الحق والعدل. ٥٧- ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ فيه حذف إحدى التاءين أي تعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ﴾ بإشراككم ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ رقيب. ٥٨- ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ﴾ هداية ﴿مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ شديد.

٥٩- ﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ﴾ إشارة إلى آثارهم: أي فسيحوا في الأرض وانظروا إليها، ثم وصف أحوالهم فقال ﴿جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ جمع لأن من عصى رسولاً عصى جميع الرسل لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟﴾ أي السفلة ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ معاند للحق من رؤسائهم. ٦٠- ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا﴾ من رحمة الله ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾. ٦١- ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم﴾ ابتدأ خلقكم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عمارا تسكنون بها ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ ۚ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه ﴿مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ لمن سأله. ٦٢- ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ نرجو أن تكون سيدا ﴿قَبْلَ هَٰذَآ ۖ﴾ الذي صدر منك ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ موقع في الريب.

قبله من الشعراء زهير والنابغة فإنما هو كأحدهم، فقال عدو الله الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله ليخرجن رائد من محبسه على أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ثم يمنعوه منكم فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم فانظروا غير هذا الرأي، فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم واستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع، فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذه للقلوب بما يستمع من حديثه، والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجمعن عليه ثم ليسيرن إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم، قالوا: صدق والله، فانظروا رأيًا غير هذا، فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد، ما أرى غيره، قالوا: وما هذا؟ قال: تأخذون من كل قبيلة وسيطًا شابًا جلدًا ثم يعطي كل غلام منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلهم وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه، فقال الشيخ النجدي هذا والله هو الرأي، القول ما قال الفتى لا أرى غيره فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له، فأتى

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

٦٣- ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿فَمَن يَنصُرُنِي﴾ يمنعني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾ تضليل. ٦٤- ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ حال عامله الإشارة ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ عقر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ إن عقرتموها. ٦٥- ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها قدار بأمرهم ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَتَّعُوا۟﴾ عيشوا ﴿فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ فيه. ٦٦- ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ وهم أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَ﴾ نجيناهم ﴿مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ بكسر الميم إعرابا، وفتحها بناء لإضافته إلى مبنيّ وهو الأكثر ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ الغالب. ٦٧- ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ باركين على الركب ميتين. ٦٨- ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا۟﴾ يقيموا ﴿فِيهَآ﴾ في دارهم ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ بالصرف وتركه على معنى الحي والقبيلة. ٦٩- ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحق ويعقوب بعده ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ مصدر ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ مشوي. ٧٠- ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ بمعنى أنكرهم ﴿وَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ خوفا ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ لنهلكهم.

٧١- ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ أي امرأة إبراهيم سارة ﴿قَآئِمَةٌ﴾ تخدمهم ﴿فَضَحِكَتْ﴾ استبشارا بهلاكهم ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ﴾ بعد ﴿إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ ولده تعيش إلى أن تراه.

جبريل النبي ﷺ فأمره بأن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت، وأخبره بمكر القوم فلم يبيت رسول الله في بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة يذكره نعمته عليه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية، وأخرج ابن جرير من طريق عبيد بن عمير عن المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال للنبي ﷺ: ما يأتمر بك قومك؟ قال: يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني قال: من حدثك بهذا؟ قال: ربي، قال: نعم الرب بك، فاستوص به خيرًا، قال: أنا أستوصي به! بل هو يستوصي بي، فنزلت ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية، قال ابن كثير: ذكر أبي طالب فيه غريب، بل منكر، لأن القصة ليلة الهجرة، وذلك بعد موت أبي طالب بثلاث سنين.

■ **أسباب نزول الآية ٣١-** قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قتل النبي ﷺ يوم بدر صبرًا عقبة بن أبي معيط وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري، فقال رسول الله ﷺ: إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول، وفيه أنزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٣٢-** قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ﴾، أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ الآية، قال نزلت في النضر بن الحارث، وروى البخاري عن أنس قال: قال أبو جهل بن هشام: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يطوفون

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ
قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

٧٢- ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ﴾ كلمة تقال عند أمر عظيم، والألف مبدلة من ياء الإضافة ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ ﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ ﴾ له مائة وعشرون سنة، ونصبه على الحال، والعامل فيه ما في «ذا» من الإشارة ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ أن يُولد ولدٌ لهرمين.

٧٣- ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ ﴾ قدرته ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ يا ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ ﴾ بيت إبراهيم ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ ﴾ محمود ﴿ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ كريم.

٧٤- ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ ﴾ الخوف ﴿ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ بالولد أخذ ﴿ يُجَٰدِلُنَا ﴾ يجادل رسلنا ﴿ فِي ﴾ شأن ﴿ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾.

٧٥- ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ كثير الأناة ﴿ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ رجَّاع، فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن؟ قالوا: لا قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا؟ قالوا: لا قال: أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا؟ قالوا: لا، قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطا، قالوا: نحن أعلم بمن فيها.... الخ.

٧٦- فلما أطال مجادلتهم قالوا ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ ﴾ الجدال ﴿ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ ﴾ بهلاكهم ﴿ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾.

٧٧- ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ ﴾ حزنَ بسببهم ﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ صدرا لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه ﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ شديد.

٧٨- ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾ لما علموا بهم ﴿ يُهْرَعُونَ ﴾ يُسرعون ﴿ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ ﴾ قبل مجيئهم ﴿ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ وهي إتيان الرجال في الأدبار ﴿ قَالَ ﴾ لوط ﴿ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي ﴾ فتزوَّجوهن ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ تفضحون ﴿ فِي ضَيْفِيٓۖ ﴾ أضيافي ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

٧٩- ﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ حاجة ﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ من إتيان الرجال.

٨٠- ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾ طاقة ﴿ أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ عشيرة تنصرني لبطشت بكم، فلما رأت الملائكة ذلك:

٨١- ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ ﴾ بسوء ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ ﴾ طائفة ﴿ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ ﴾ بالرفع بدلٌ من «أحد» وفي قراءة بالنصب استثناء من الأهل: أي فلا تسر بها ﴿ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ ﴾ فقيل: لم يخرج بها وقيل: خرجت والتفتت فقالت: واقوماه، فجاءها حجر فقتلها وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ ﴾ فقال: أُريد أعْجَل من ذلك، قالوا ﴿ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾.

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ
وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ
وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ
أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن
نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ
مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

٨٢- ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾ أي قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ أي بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبخ بالنار ﴿مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ متتابع. ٨٣- ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة عليها اسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿وَمَا هِيَ﴾ الحجارة أو بلادهم ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي أهل مكة ﴿بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾. ٨٤- ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ نعمة تغنيكم عن التطفيف ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ بكم يهلككم، وصف اليوم به مجازٌ لوقوعه فيه. ٨٥- ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أتموهما ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئا ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ بالقتل وغـــيره من «عثي» بكسر المثلثة: أفسد، ومفسدين: حال مؤكدة لمعنى عاملها «تعثوا». ٨٦- ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ رزقه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البخس ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ﴾. ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ رقيب أجازيكم بأعمالكم، إنما بعثت نذيرا.
٨٧- ﴿قَالُوا۟﴾ له استهزاء ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ المعنى: هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ قالوا ذلك استهزاء. ٨٨- ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ﴾ حلالا، أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟ ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ وأذهب ﴿إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ﴾ فأرتكبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ لكم بالعدل ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ أرجع.

بالبيت ويقولون: غفرانك.. غفرانك، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾. وأخرج ابن جرير عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قال: قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه الله من بيننا ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية، فلما أمسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا: غفرانك اللهم. فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إلى قوله ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾. وأخرج ابن جرير أيضًا عن ابن أبزي قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ فخرج إلى المدينة، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون، فلما خرجوا أنزل الله ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، فأذن في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم.

■ أسباب نزول الآية ٣٥ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾ الآية، أخرج الواحدي عن ابن عمر قال: كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون ويصفرون، فنزلت هذه الآية. وأخرج ابن جرير عن سعيد قال: كانت قريش يعارضون النبي ﷺ في الطواف يستهزئون به ويصفرون ويصفقون، فنزلت.

■ أسباب نزول الآية ٣٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية، قال ابن إسحاق: حدثني الزهري ومحمد بن يحيى ابن حبان وعاصم بن عمير بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن قالوا لما أصـــيبت قريش يوم بدر ورجعوا إلى مكة مشى

وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ
قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم
بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ
سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ
كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدۡ
أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾

٨٩- ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ يكسبنكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾ خلافي فاعل يَجرم، والضمير مفعول أول، والثاني ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ﴾ من العذاب ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ﴾ أيْ منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾﴾ فاعتبروا. ٩٠- ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ﴾ بالمؤمنين ﴿وَدُودٞ ﴿٩٠﴾﴾ محبٌّ لهم.
٩١- ﴿قَالُواْ﴾ إيذانا بقلة المبالاة ﴿يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ﴾ نفهم ﴿كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ﴾ ذليلا ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾ بالحجارة ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾ كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعزة.
٩٢- ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فتتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ﴾ أي الله ﴿وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾ منبوذا خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾﴾ علما فيجازيكم. ٩٣- ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَٰمِلٞۖ﴾ على حالتي ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾﴾ منتظر. ٩٤- ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ باركين على الركب ميتين. ٩٥- ﴿كَأَن﴾ مخففة: أي كأنهم ﴿لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ﴾ يقيموا ﴿فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾. ٩٦- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾﴾ برهان بيِّن ظاهر.
٩٧- ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾﴾ سديد.

عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أبي أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم، فكلموا أبا سفيان ومن كان له في ذلك العير من قريش تجارة. فقالوا: يا معشر قريش إن محمدًا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا أن ندرك منه ثأرًا ففعلوا ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ إلى قوله ﴿يُحۡشَرُونَ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحكم بن عتيبة قال: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين أربعين أوقية من ذهب، وأخرج ابن جرير عن ابن أبزى وسعيد بن جبير قالا: نزلت في أبي سفيان استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش ليقاتل بهم رسول الله ﷺ.

■ أسباب نزول الآية ٤٧- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر بالقيان والدفوف، فأنزل الله ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٤٩- قوله تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ الآية، روى الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله على نبيه بمكة ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ قال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله أي جمع؟ وذلك قبل بدر، فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتًا بالسيف يقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فكانت ليوم بدر، فأنزل الله فيهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ﴾ الآية، وأنزل ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾ رماهم رسول الله ﷺ فوسعتهم الرمية وملأت أعينهم وأفواههم حتى إن الرجل ليقتل وهو يقذي عينيه وفاه، فأنزل الله ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ وأنزل في إبليس: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ الآية، وقال عتبة بن ربيعة وناس معه من المشركين يوم بدر: (غرّ هؤلاء دينهم) فأنزل الله ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ
ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ
ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ
مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا
نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى
ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

٩٨- ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدّم ﴿قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾ أدخلهم ﴿ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ هي.

٩٩- ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ﴾ أي الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لعنة ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ﴾ العون ﴿ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ رفدهم.

١٠٠- ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور، مبتدأ خبره ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي القرى ﴿قَآئِمٌ﴾ هلك أهله دونه ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾ هلك بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل.

١٠١- ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالشرك ﴿فَمَآ أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ تخسير.

١٠٢- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أريد أهلها ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ بالذنوب: أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ الآية.(١)

١٠٣- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَءَايَةً﴾ لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾ فيه ﴿ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ يشهده جميع الخلائق.

١٠٤- ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ لوقت معلوم عند الله.

١٠٥- ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ تعالى ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي الخلق ﴿شَقِىٌّ وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ كتب كلٌّ في الأزل.

١٠٦- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾ في علمه تعالى ﴿فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت شديد ﴿وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ صوت ضعيف.

١٠٧- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي مدّة دوامهما في الدنيا ﴿إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مدّتهما مما لا منتهى له، والمعنى: خالدين فيها أبدا ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾.

١٠٨- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟﴾ بفتح السين وضمها ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدم، ودل عليه فيهم قوله ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ مقطوع، وما تقدم من التأويل هو الذى ظهر وهو خال من التكليف والله أعلم بمراده.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (التفسير/٤٦٨٦/فتح)، مسلم في (البر والصلة/٢٥٨٣/عبد الباقي).

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ
اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ
﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

١٠٩- ﴿فَلَا تَكُ﴾ يا محمد ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ﴾ من الأصنام إنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم﴾ أي كعادتهم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ مثلهم ﴿نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ أي تامًّا. ١١٠- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي المكذبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ مُوقع في الرِّيبة. ١١١- ﴿وَإِنَّ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿كُلًّا﴾ أي كل الخلائق ﴿لَّمَّا﴾ «ما» زائدة، واللام موطئة لقَسَم مقدّر أو فارقة. وفي قراءة بتشديد «لما» بمعنى «إلا» فـ«إن» نافية ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي جزاءها ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ عالم ببواطنه كظواهره. ١١٢- ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿كَمَا أُمِرْتَ وَ﴾ ليستقم ﴿مَن تَابَ﴾ آمن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ فيجازيكم. ١١٣- ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾ تميلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بمودّة أو مداهنة أو رضا بأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾ تصيبكم ﴿النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ تمنعون من عذابه. ١١٤- ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ الغداة والعشيّ: أي الصبح والظهر والعصر ﴿وَزُلَفًا﴾ جمع زلفة. أي طائفة ﴿مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أي المغرب والعشاء ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب الصغائر، نزلت فيمن قَبَّلَ أجنبية، فأخبره النبي ﷺ فقال: ألي هذا؟ فقال: «لجميع أمتي كلهم»(1)، رواه الشيخان ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ عظة للمتعظين. ١١٥ - ﴿وَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﷺ على أذى قومك أو على الصلاة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ بالصبر على الطاعة. ١١٦- ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ المراد به النفي: أي ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نهوا فنجوا، و«من» للبيان ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وترك النهي ﴿مَا أُتْرِفُوا﴾ نعموا ﴿فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾.

١١٧- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منه لها ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ مؤمنون.

■ أسباب نزول الآية ٥٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: نزلت ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في ستة رهط من اليهود فيهم ابن التابوت.

■ أسباب نزول الآية ٥٨- قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ الآية، روى أبو الشيخ عن ابن شهاب قال: دخل جبريل على رسول الله ﷺ، فقال: قد وضعت السلاح وما زلت في طلب القوم، فاخرج فإن الله قد أذن لك في قريظة، وأنزل فيهم ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ الآية.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (المواقيت/٥٢٦/فتح)، مسلم (التوبة/٢٧٦٣/عبد الباقي).

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ
ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ
﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ
فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ
بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

١١٨ - ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أهل دين
واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ في الدين. ١١٩ - ﴿إِلَّا
مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه ﴿وَلِذَٰلِكَ
خَلَقَهُمْ﴾ أي أهل الاختلاف له، وأهل الرحمة لها ﴿وَتَمَّتْ
كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَٱلنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾. ١٢٠ - ﴿وَكُلًّا﴾ نصب بـ «نقص» وتنوينه
عوض عن المضاف إليه: أي كلما يحتاج إليه ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا﴾ بدل من كلا ﴿نُثَبِّتُ﴾ نطمن ﴿بِهِۦ
فُؤَادَكَ﴾ قلبك ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ الأنباء أو الآيات ﴿ٱلْحَقُّ
وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها
في الإيمان بخلاف الكفار. ١٢١ - ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ على
حالتنا، تهديد لهم. ١٢٢ - ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا
مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ ذلك. ١٢٣ - ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾
أي علم ما غاب فيهما ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ﴾ بالبناء للفاعل: يعود،
وللمفعول: يردّ ﴿ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ فينتقم ممن عصى ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ وحّده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وَمَا
رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ وإنما يؤخرهم لوقتهم. وفي قراءة بالفوقانية.

سورة يوسف

[مكية وآياتها إحدى عشر ومائة إلا الآيات ١، ٢، ٣، ٧ فمدنية ونزلت بعد سورة هود]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى من
﴿ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾ المظهر للحق من الباطل. ٢ - ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة
﴿تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ تفقهون معانيه. ٣ - ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانَ وَإِن﴾ مخففة: أي وإنه ﴿كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾. ٤ - اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾
يعقوب ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بالكسر دلالة على ياء الإضافة المحذوفة، والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء
﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد ﴿لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ جمع بالياء والنون
للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء.

◙ أسباب نزول الآية ٦٤ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ الآية، روى البزار بسند ضعيف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم، وأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وله شواهد. أخرج الطبراني وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أسلم مع النبي ﷺ تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة، ثم إن عمر أسلم فكانوا أربعين نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: لما أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة، ثم أسلم عمر نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ الآية، وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن المسيب قال: لما أسلم عمر أنزل الله في إسلامه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ الآية.

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا
إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ
ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ
يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ
بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ
وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ
فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ
أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

٥- ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ يحتالون في هلاكك حسدا لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس أمك والقمر أبوك ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾﴾ ظاهر العداوة. ٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجۡتَبِيكَ﴾ يختارك ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ أولاده ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا﴾ بالنبوة ﴿عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٞ ﴿٦﴾﴾ في صنعه بهم.

٧- ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي﴾ خبر ﴿يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ﴾ وهم أحد عشر ﴿ءَايَٰتٞ﴾ عبر ﴿لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ عن خبرهم. ٨- اذكر ﴿إِذۡ قَالُواْ﴾ أي بعض إخوة يوسف لبعضهم ﴿لَيُوسُفُ﴾ مبتدأ ﴿وَأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ﴾ خبر ﴿إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ﴾ خطإ ﴿مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ بين بإيثارهما علينا. ٩- ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ أي بأرض بعيدة ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ بأن تتوبوا.

١٠- ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ هو يهوذا ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ﴾ اطرحوه ﴿فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ مظلم البئر، وفي قراءة بالجمع ﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك. ١١- ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾﴾ لقائمون بمصالحه.

١٢- ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا﴾ إلى الصحراء ﴿يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ بالنون والياء فيهما: ننشط ونتسع ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾. ١٣- ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ﴾ أي ذهابكم ﴿بِهِۦ﴾ لفراقه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ المراد به الجنس وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ مشغولون.

١٤- ﴿قَالُواْ لَئِنۡ﴾ لام قسم ﴿أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ عاجزون، فأرسله معهم.

▣ أسباب نزول الآية ٦٥- قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ الآية، أخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن ابن عباس قال: لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة ثقل ذلك عليهم وشق فوضع الله عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين، فأنزل الله ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ إلى آخر الآية.

▣ أسباب نزول الآية ٦٧- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ الآية، روى أحمد وغيره عن أنس قال: استشار النبي ﷺ الناس في الأساري يوم بدر، فقال: إن الله قد أمكنكم منهم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، فأعرض عنه، فقام أبو بكر فقال: نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء، فأنزل الله ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ الآية. وروى أحمد والترمذي والحاكم عن ابن مسعود قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسارى قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسارى، الحديث وفيه فنزل القرآن بقول عمر ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ﴾ إلى آخر الآيات. وأخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي قال: لم تحل الغنائم لم تحل لأحد سود الرؤوس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء فتأكلها فلما كان يوم بدر ووقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم فأنزل الله ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ
أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ
بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا
وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ
دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

١٥- ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا﴾ عزموا ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ وجواب «لما» محذوف أي فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله وأدلوه، فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه ليموت فسقط في الماء ثم أوى إلى صخرة فنادوه فأجابهم بظنّ رحمتهم، فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهوذا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ في الجب وحي حقيقة وله سبع عشرة سنة أو دونها تطمينا لقلبه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنيعهم ﴿هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ بك حال الإنباء.

١٦- ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾ وقت المساء ﴿يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾.

١٧- ﴿قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نرمي ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدّق ﴿لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ عندك لاتهمتنا في هذه القصة لمحبة يوسف، فكيف وأنت تسيء الظن بنا؟.

١٨- ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ محله نصب على الظرفية: أي فوقه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي ذي كذب بأن ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحا وعلم كذبهم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزع فيه، وهو خبر مبتدأ محذوف: أي أمري ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ تذكرون من أمر يوسف.

١٩- ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَىٰ﴾ أرسل ﴿دَلْوَهُۥ﴾ في البئر فتعلق بها يوسف، فأخرجه فلما رآه ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾ وفي قراءة «بشراي» ونداؤها مجاز: أي احضري فهذا وقتك ﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ فعلم به إخوته فأتوه ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ أي أخفوا أمره جاعليه ﴿بِضَٰعَةً﴾ بأن قالوا: هذا عبدنا أبق، وسكت يوسف خوفًا من أن يقتلوه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

٢٠- ﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ ناقص ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين ﴿وَكَانُوا﴾ أي إخوته ﴿فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ فجاءت به السيارة إلى مصر، فباعه الذي اشتراه بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين.

٢١- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو قطفير العزيز ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ زليخا ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ مقامه عندنا ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ وكان حصورا ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجيناه من القتل والجبّ وعطفنا عليه قلب العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا. عطف على مقدّر متعلق بمكّنّا: أي لنملكه، أو الواو زائدة ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ تعالى لا يعجزه شيء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ ذلك.

٢٢- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ وهو ثلاثون سنة أو وثلاث ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقها في الدين قبل أن يبعث نبيا ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ لأنفسهم.

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ
وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا
ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ
قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ
أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ
هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ
﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾

٢٣- ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ أي طلبت منه أن يواقعها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتۡ﴾ له ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ أي هلمّ، واللام للتبيين. وفي قراءة بكسر الهاء وأخرى بضم التاء ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الذي اشتراني ﴿رَبِّيٓ﴾ سيدي ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الزناة. ٢٤- ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك[1] ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ قال ابن عباس: مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله، وجواب «لولا» لجامعها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أريناه البرهان ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ الخيانة ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ الزنى ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ في الطاعة. وفي قراءة بفتح اللام: أي المختارين. ٢٥- ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ بادر إليه يوسف للفرار، وهي للتشبث به، فأمسكت ثوبه وجذبته إليها ﴿وَقَدَّتۡ﴾ شقت ﴿قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا﴾ وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾ فنزهت نفسها، ثم ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ زنا ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ﴾ يحبس في سجن ﴿أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾﴾ مؤلم بأن يضرب. ٢٦- ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئاً ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ ابن عمها روى أنه كان فى المهد فقال ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ﴾ قدام ﴿فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾. ٢٧- ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ﴾ خلف ﴿فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾. ٢٨- ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ زوجها ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ﴾ أي قولك ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ﴾ الخ ﴿مِن كَيۡدِكُنَّۖ﴾ أيها النساء ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾. ٢٩- ثم قال يا ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ الأمر ولا تذكره لئلا يشيع ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ الآثمين، واشتهر الخبر وشاع. ٣٠- ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ عبدها ﴿عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾ تمييز: أي دخل حبه شغاف قلبها أي غلافه ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ﴾ أي في خطأ ﴿مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾﴾ بيّن بحبها إياه.

■ **أسباب نزول الآية ٧٠**- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم﴾ الآية. روى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال العباس: فيّ والله نزلت حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي وجدت معي فأعطاني بها عشرين عبدًا كلهم تاجر بمالي في يده مع ما أرجو من مغفرة الله.

■ **أسباب نزول الآية ٧٣** - قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن السدي عن أبي مالك قال: قال رجل: نورث أرحامنا المشركين فنزلت ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٧٥** - قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن ابن الزبير قال: كان الرجل يعاقد الرجل ترثني وأرثك، فنزلت: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ الآية، وأخرج ابن سعد من

---

(١) قلت: هذا الكلام فيه نظر وانظر للتعليق عليه «الإسرائيليات، والموضوعات في التفسير».

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

٢٣٩

٣١- ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ غيبتهنّ لها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ﴾ أعدت ﴿لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ طعاما يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الأترج ﴿وَءَاتَتْ﴾ أعطت ﴿كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ﴾ ليوسف ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أعظمنه ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين ولم يشعرن بالألم لشغل قلبهن بيوسف ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تنزيها له ﴿مَا هَٰذَا﴾ أي يوسف ﴿بَشَرًا إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية. وفي الحديث أنه أُعْطِيَ شطر الحسن.[1] ٣٢- ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حل بهنّ ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾ فهذا هو ﴿ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ في حبه بيان لعذرها ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ امتنع ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ به ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الذليلين فقلن له: أطع مولاتك. ٣٣- ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾ أمل ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُن﴾ أصر ﴿مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ المذنبين، والقصد بذلك الدعاء، فلذا قال تعالى: ٣٤- ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ بالفعل. ٣٥- ﴿ثُمَّ بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدالات على براءة يوسف أن يسجنوه دلّ على هذا ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ﴾ إلى ﴿حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ ينقطع فيه كلام الناس، فسجن. ٣٦- ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ غلامان للملك أحدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه، فرأياه يعبر الرؤيا فقالا لنختبرنه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ وهو الساقي ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي عنبا ﴿وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ﴾ وهو صاحب الطعام ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾ خبِّرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ بتعبيره ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾. ٣٧- ﴿قَالَ﴾ لهما مخبرا أنه عالم بتعبير الرؤيا ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ في منامكما ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ في اليقظة ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ تأويله. ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ فيه حث على إيمانهما، ثم قوّاه بقوله ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ دين ﴿قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: آخي النبي ﷺ بين الزبير بن العوام وبين كعب بن مالك قال الزبير: لقد رأيت كعبًا أصابته الجراحة بأحد، فقلت لو مات فانقطع عن الدنيا وأهلها لورثته فنزلت هذه الآية ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فصارت المواريث بعد للأرحام والقرابات وانقطعت تلك المواريث في المؤاخاة.

(سورة براءة)

■ أسباب نزول الآية ١٤ – قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه نزلت في خزاعة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة. وأخرج عن عكرمة قال: نزلت هذه الآية في خزاعة، وأخرج عن السدي ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قال: هم خزاعة حلفاء النبي ﷺ يشف صدورهم من بني بكر.

---

(١) [صحيح]: هذا اللفظ أخرجه مسلم في (الإيمان/١٦٢/عبد الباقي)، وأصل الحديث في البخاري أيضًا (٣٤٩).

وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ
٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ
أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ
مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١ وَقَالَ لِلَّذِي
ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ
٤٢ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ
سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣

٣٨ - ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَيۡءٖۚ﴾ لعصمتنا ﴿ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ الله فيشركون، ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال:

٣٩ - ﴿يَٰصَٰحِبَيِ﴾ ساكني ﴿ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ خير، استفهام تقرير. ٤٠ - ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي غيره ﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ سميتم بها أصناما ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلۡحُكۡمُ﴾ القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِۚ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فهم يشركون. ٤١ - ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ أي الساقي فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ﴾ سيِّده ﴿خَمۡرٗاۖ﴾ على عادته ﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ هذا تأويل رؤياكما، فقالا: ما رأينا شيئا، فقال ﴿قُضِيَ﴾ تمّ ﴿ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾ سألتما عنه صدقتما أم كذبتما. ٤٢ - ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ أيقن ﴿أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾ وهو الساقي ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ سيِّدك فقل له إنّ في السجن غلاما محبوسا ظلما، فخرج ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ أي الساقيَ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِۦ فَلَبِثَ﴾ مكث يوسف ﴿فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢﴾ قيل سبعا، وقيل اثنتي عشرة. ٤٣ - ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾ ملك مصر الريَّان بن الوليد ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ أي رأيت ﴿سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ﴾ يبتلعهنّ ﴿سَبۡعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٞ﴾ جمع عجفاء ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ﴾ أي سبع سنبلات ﴿يَابِسَٰتٖۖ﴾ قد التوت على الخضر وعلت عليها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾ بيِّنوا لي تعبيرها ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾ فاعبُروها لي.

■ أسباب نزول الآية ١٧ - قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الآيات، أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قال العباس حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله ﴿۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾ الآية، وأخرج مسلم وابن حبان وأبو داود عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وذلك يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله ﴿۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾ إلى قوله ﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وأخرج الفريابي عن ابن سيرين قال: قدم علي بن أبي طالب مكة، فقال للعباس أي عم ألا تهاجر ألا تلحق برسول الله ﷺ، فقال: أعمُرُ المسجد وأحجب البيت، فأنزل الله ﴿۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾ الآية، وقال لقوم سماهم: ألا تهاجروا ألا تلحقوا برسول الله ﷺ، فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا، فأنزل الله ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ﴾ الآية كلها، وأخرج عبد الرزاق عن الشعبي نحوه. وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبة والعباس وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، فقال عليّ: لقد صليت إلى القبلة قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله ﴿۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾ الآية كلها.

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ (٤٤)
وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ
فَأَرۡسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ
سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ (٤٦) قَالَ
تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ
مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ (٤٩) وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي
بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ (٥٠) قَالَ
مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ
ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٥١) ذَٰلِكَ
لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ (٥٢)

٢٤١

٤٤- ﴿قَالُوٓاْ﴾ هذه ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍۖ﴾ أخلاط ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ (٤٤)﴾. ٤٥- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا﴾ أي من الفتيين وهو الساقي ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ فيه إبدال التاء في الأصل دالاً وإدغامها في الدال: أي تذكر ﴿بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ حين: حال يوسف، قال ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ (٤٥)﴾ فأرسلوه، فأتى يوسف فقال: ٤٦- يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ (٤٦)﴾ تعبيرها.

٤٧- ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ﴾ أي ازرعوا ﴿سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾ متتابعة وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ﴾ أي اتركوه ﴿فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لئلا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ (٤٧)﴾ فادرسوه. ٤٨- ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي السبع المخصبات ﴿سَبۡعٞ شِدَادٞ﴾ مجدبات صعاب وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين المخصبات: أي تأكلونه فيهنّ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ (٤٨)﴾ تدّخرون. ٤٩- ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي السبع المجدبات ﴿عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ بالمطر ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ (٤٩)﴾ الأعناب وغيرها لخصبه.

٥٠- ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ﴾ أي بالذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ﴾ أي يوسفَ ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصدا إظهار براءته ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي ﴿بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ (٥٠)﴾ فرجع فأخبر الملك فجمعهن. ٥١- ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ﴾ شأنكنّ ﴿إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ هل وجدتن منه ميلاً إليكن؟ ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ﴾ وضح ﴿ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٥١)﴾ في قوله ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾ فأخبر يوسف بذلك فقال: ٥٢- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي طلب البراءة ﴿لِيَعۡلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ﴾ في أهله ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ (٥٢)﴾ ثم تواضع لله تعالى فقال:

■ أسباب نزول الآية ٢٥- قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾ الآية. أخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس أن رجلاً قال يوم حنين: لن تُغلب من قلة وكانوا اثني عشر ألفًا، فشق ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٢٨- قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يجيئون إلى البيت ويجيئون معهم بالطعام يتجرون فيه، فلما نهوا عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: من أين لنا الطعام، فأنزل الله: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ شق ذلك على المسلمين، وقالوا: من يأتينا بالطعام والمتاع، فأنزل الله: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ وأخرج مثله عن عكرمة وعطية العوفي والضحاك وقتادة وغيرهم.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٥٣) وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ (٥٤) قَالَ
ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ (٥٥) وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (٥٧) وَجَآءَ إِخۡوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ (٥٨) وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ
أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا
كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ (٦٠) قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ
(٦٢) فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ
فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (٦٣)﴾

٥٣- ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ من الزلل ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ﴾ الجنس ﴿لَأَمَّارَةُۢ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا﴾ بمعنى من ﴿رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ فعصمه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1]

٥٤- ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ أجعله خالصا لي دون شريك، فجاءه الرسول وقال: أجب الملك، فقام وودّع أهل السجن ودعا لهم، ثم اغتسل ولبس ثيابا حسانا ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ﴾ له ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ (٥٤)﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا، فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام وازرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وادّخر الطعام في سنبله فتأتي إليك الخلق ليمتاروا منك، فقال: ومن لي بهذا؟. ٥٥- ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ (٥٥)﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل كاتب حاسب. ٥٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ ينزل ﴿مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ بعد الضيق والحبس، وفي القصة أن الملك توّجه وختمه وولاه مكان العزيز وعزله، ومات بعدُ فزوّجه امرأته فوجدها عذراء، وولدت له ولدين، وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٥٦)﴾. ٥٧- ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (٥٧)﴾ ودخلت سنو القحط وأصاب أرض كنعان والشام.

٥٨- ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ (٥٨)﴾ لا يعرفونه لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية، فقال كالمنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله. قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرّيّة وكان أحبَّنا إليه، وبقي شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه، فأمر بإنزالهم وإكرامهم.

٥٩- ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾ وفّى لهم كيلهم ﴿قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾ أي بنيامين لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾ أتمه من غير بخس ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ (٥٩)﴾. ٦٠- ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي﴾ أي ميرة ﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ (٦٠)﴾ نهي أو عطف على محل «فلا كيل» أي تحرموا ولا تقربوا.

٦١- ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾ سنجتهد في طلبه منه ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ (٦١)﴾ ذلك. ٦٢- ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ﴾ وفي قراءة «لفتيانه» غلمانه ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة وكانت دراهم ﴿فِي رِحَالِهِمۡ﴾ أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ﴾ وفرغوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ (٦٢)﴾ إلينا لأنهم لا يستحلون إمساكها.

٦٣- ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾ بالنون والياء ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (٦٣)﴾

---

(١) قلت: هذا الكلام فيه نظر والصحيح أن هذا من كلام امرأة العزيز وانظر كلام ابن كثير عند هذه الآية.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن
قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟
مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا
مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ
أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ
أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ
﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ
مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا
لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا
دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ
لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ
إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

٦٤- ﴿قَالَ هَلْ﴾ ما ﴿ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ وفي قراءة «حفظًا» تمييز كقولهم لله دره فارسا ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ فأرجو أن يمنّ بحفظه.

٦٥- ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى﴾ ما استفهامية أى أى شئ نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا، وقرئ بالفوقانية خطاباً ليعقوب. وكانوا ذكروا له إكرامه لهم ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نأتى بالميرة لهم وهي الطعام ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأخينا ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ سهل على الملك لسخائه. ٦٦- ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾ عهدا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بأن تحلفوا ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به، فأجابوه إلى ذلك ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بذلك ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ شهيد، وأرسله معهم. ٦٧- ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟﴾ مصر ﴿مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لئلا تصيبكم العين ﴿وَمَآ أُغْنِى﴾ أدفع ﴿عَنكُم﴾ بقولي ذلك ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ قدّره عليكم وإنما ذلك شفقة ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

٦٨- قال تعالى ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي متفرّقين ﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي قضائه ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ لتعليمنا إياه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ إلهام الله لأصفيائه. ٦٩- ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ من الحسد لنا، وأمره أن لا يخبرهم وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقيه عنده.

■ أسباب نزول الآية ٣٠- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى ومحمد بن دحية وشاس بن قيس ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرًا ابن الله، فأنزل الله في ذلك ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٣٧ - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن أبي مالك قال: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرًا فيجعلون المحرم صفرًا فيستحلون فيه المحرمات، فأنزل الله ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٣٨ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح، وحين أمرهم بالنفير في الصيف حين طابت الثمار واشتهوا الظلال، وشقّ عليهم المخرج، فأنزل الله ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

■ أسباب نزول الآية ٣٩ - قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن نجدة بن نفيع قال: سألت ابن عباس عن هذه الآية: فقال استنفر رسول الله أحياء من العرب فتثاقلوا عنه، فأنزل الله ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فأمسك عنهم المطر، فكان عذابهم.

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟
عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

٧٠- ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ هي صاع من الذهب مرصع بالجوهر ﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾. ٧١- ﴿قَالُوا۟ وَ﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا﴾ ما الذي ﴿تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ ـــه.

٧٢- ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾ صاع ﴿ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾ بالحمل ﴿زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ كفيل. ٧٣- ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ ما سرقنا قط. ٧٤- ﴿قَالُوا۟﴾ أي المؤذن وأصحابه ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ أي السارق ﴿إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾﴾ في قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم. ٧٥- ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتدأ خبره ﴿مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ﴾ يسترق ثم أكد بقوله ﴿فَهُوَ﴾ أي السارق ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي المسروق لا غير وكانت سنة آل يعقوب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ بالسرقة فصرحوا ليوسف بتفتيش أوعيتهم. ٧٦- ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ لئلا يتهم ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾ أي السقاية ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكيد ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ علّمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقا عن السرقة ﴿فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر لأنّ جزاؤه عنده الضرب وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه: أي لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم بسنتهم ﴿نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالإضافة والتنوين في العلم كيوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى الله تعالى. ٧٧- ﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي يوسف، وكان سرق لأبي أمّه صنما من ذهب فكسره لئلا يعبده ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾ يظهرها ﴿لَهُمْ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله ﴿قَالَ﴾ في نفسه ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ تذكرون من أمره.

٧٨- ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتســـلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُۥٓ﴾ بدلاً منه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ في أفعالك.

■ أسباب نزول الآية ٤١- قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن حضرمي أنه ذكر له أن أناسًا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلاً أو كبيرًا ، فيقول إني آثم، فأنزل الله ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

■ أسباب نزول الآية ٤٣- قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى، فأنزل الله ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٤٩- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى﴾ الآية. أخرج الطبراني وأبو نعيم وابن مردويه عن ابن عباس قال: لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال للجد بن قيس: يا جد بن قيس ما تقول في مجاهدة بني الأصفر، قال: يا رسول الله إني امرؤ صاحب نساء ومتى أرى نســـاء بني الأصفر أفتتن فأذن لي ولا تفتني، فأنزل الله

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

٢٤٥

٧٩- ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ نصب على المصدر حذف فعله وأضيف إلى المفعول: أي نعوذ بالله من ﴿ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾ لم يقل من سرق تحرّزا من الكذب ﴿ إِنَّآ إِذًا ﴾ إن أخذنا غيره ﴿ لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

٨٠- ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ ﴾ يئسوا ﴿ مِنْهُ خَلَصُوا۟ ﴾ اعتزلوا ﴿ نَجِيًّا ﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره: أي يناجي بعضهم بعضا ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ سنّا روبيل، أو رأيا: يهوذا ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا ﴾ عهدا ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ في أخيكم ﴿ وَمِن قَبْلُ مَا ﴾ زائدة ﴿ فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ﴾ وقيل «ما» مصدرية مبتدأ، خبره «من قبل» ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ﴾ أفارق ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ أرض مصر ﴿ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ ﴾ بالعود إليه ﴿ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ﴾ بخلاص أخي ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أعدلهم. ٨١- ﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ ﴾ عليه ﴿ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ تيقناً من مشاهدة الصاع في رحله ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ ﴾ لما غاب عنا حين إعطاء الموثق ﴿ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه.

٨٢- ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ هي مصر: أي أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿ وَٱلْعِيرَ ﴾ أي أصحاب العير ﴿ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ وهم قوم من كنعان ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ في قولنا، فرجعوا إليه وقالوا له ذلك. ٨٣- ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ زيّنت ﴿ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ ففعلتموه، اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ صبري ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ ﴾ بيوسف وأخويه ﴿ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بحالي ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ في صنعه. ٨٤- ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ تاركا خطابهم ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ ﴾ الألف بدل من ياء الإضافة: أي يا حزني ﴿ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ ﴾ انمحق سوادهما وبدل بياضا من بكائه ﴿ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ عليه ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ مغموم مكروب لا يظهر كربه. ٨٥- ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ ﴾ لا ﴿ تَفْتَؤُا۟ ﴾ تزال ﴿ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ مشرفا على الهلاك لطول مرضك، وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿ أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الموتى. ٨٦- ﴿ قَالَ ﴾ لهم ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى ﴾ هو عظيم الحزن الذي لا يُصبَر عليه حتى يُبَث إلى الناس ﴿ وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ لا إلى غيره، فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ من أن رؤيا يوسف صدق وهو حيّ، ثم قال:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّى ﴾ الآية، وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله مثله، وأخرج الطبراني من وجه آخر عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: اغزوا تغنموا بنات بني الأصفر فقال ناس من المنافقين: إنه ليفتنكم بالنساء، فأنزل الله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّى ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٥٠- قوله تعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله قال: جعل المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء يقولون إن محمدًا وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية النبي ﷺ وأصحابه فساءهم ذلك، فأنزل الله ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ الآية.

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ
مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ
﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ
وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ
إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ
لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا
وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾
ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا
وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

٢٤٦

٨٧- ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ اطلبوا خبرهما ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ ﴾ تقنطوا ﴿ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ﴾ رحمته ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف. ٨٨- ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴿٨٨﴾ ﴾ الجوع ﴿ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ ﴾ مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها وكانت دراهم زيوفا أو غيرها ﴿ فَأَوۡفِ ﴾ أتمّ ﴿ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ ﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴾ يثيبهم فرقّ عليهم وأدركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم. ٨٩- ثم ﴿ قَالَ ﴾ لهم توبيخا ﴿ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿ وَأَخِيهِ ﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ ما يؤول إليه أمر يوسف.

٩٠- ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين ﴿ أَءِنَّكَ ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ﴾ أنعم ﴿ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ ﴾ بالاجتماع ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ ﴾ يخف الله ﴿ وَيَصۡبِرۡ ﴾ على ما يناله ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر. ٩١- ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ﴾ فضّلك ﴿ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا ﴾ بالملك وغيره ﴿ وَإِن ﴾ مخففة أي إنا ﴿ كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ آثمين في أمرك فأذللناك.

٩٢- ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ ﴾ عتب ﴿ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ خصه بالذكر لأنّه مظنة التثريب فغيره أولى ﴿ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ وسألهم عن أبيه فقالوا ذهبت عيناه فقال: ٩٣- ﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا ﴾ وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقي في النار كان في عنقه في الجب وهو من الجنة، أمره جبريل بإرساله وقال إن فيه ريحها ولا يلقى على مبتلى إلاّ عوفي ﴿ فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ ﴾ يصرْ ﴿ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾. ٩٤- ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ ﴾ خرجت من عريش مصر ﴿ قَالَ أَبُوهُمۡ ﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ أوصلته إليه الصبا بإذنه تعالى من مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر ﴿ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾ تسفهوني لصدقتموني. ٩٥- ﴿ قَالُواْ ﴾ له ﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ﴾ خطئك ﴿ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ من إفراطك في محبته ورجاء لقائه على بُعد العهد.

■ **أسباب نزول الآية ٥٣**- قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قال الجد بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن، ولكن أعينك بمالي، قال ففيه نزلت ﴿ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ ﴾ قال لقوله: أعينك بمالي.

■ **أسباب نزول الآية ٥٨**- قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ ﴾ الآية، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم قسمًا إذ جاء ذو الخويصرة، فقال: اعدل فقال: ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟ فنزلت ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ الآية، وأخرج ابن أبي حاتم عن جابر نحوه.

■ **أسباب نزول الآية ٦١**- قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان نبتل بن الحارث يأتي رسول الله ﷺ فيجلس إليه فيسمع منه وينقل حديثه إلى المنافقين، فأنزل الله ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾ الآية.

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟
لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ
رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ
قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى
مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

٢٤٧

٩٦- ﴿فَلَمَّآ أَن﴾ زائدة ﴿جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ يهوذا بالقميص وكان قد حمل قميص الدم فأحب أن يفرحه كما أحزنه ﴿أَلْقَىٰهُ﴾ طرح القميص ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ﴾ رجع ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾. ٩٧- ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾. ٩٨- ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ أخّر ذلك إلى السَّحر ليكون أقرب إلى الإجابة أو إلى ليلة الجمعة ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم. ٩٩- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ في مضربه ﴿ءَاوَىٰٓ﴾ ضمَّ ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أباه وأمه أو خالته ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ فدخلوا وجلس يوسف على سريره.

١٠٠- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ أجلسهما معه ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ السرير ﴿وَخَرُّوا۟﴾ أي أبواه وإخوته ﴿لَهُۥ سُجَّدًا﴾ سجود انحناء لا وضع جبهة وكان تحيتَهم في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾ إليّ ﴿إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ لم يقل من الجب تكرّما لئلا يخجل إخوته ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ البادية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾ أفسد ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بخلقه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ في صنعه، وأقام عنده أبوه أربعا وعشرين سنة أو سبع عشرة سنة، وكانت مدّة فراقه ثماني عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة، وحضره الموت فوصَّى يوسفَ أن يحمله ويدفنه عند أبيه فمضى بنفسه ودفنه ثمة، ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثا وعشرين سنة ولما تمّ أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم فقال:

١٠١- ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا ﴿فَاطِرَ﴾ خالق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ﴾ متولي مصالحي ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ من آبائي، فعاش بعد ذلك أسبوعا أو أكثر، ومات وله مائة وعشرون سنة، وتشاحّ المصريون في قبره فجعلوه في صندوق من مرمر ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانبيه، فسبحان من لا انقضاء لملكه.

١٠٢- ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ أخبار ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ في كيده أي عزموا عليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ به أي لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها، وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي.

١٠٣- ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

◙ أسباب نزول الآية ٦٥- قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ الآيات. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأينا مثل قرآن هؤلاء، ولا أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء منهم، فقال له رجل كذبت، ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، قال ابن عمر فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ . ثم أخرج من وجه آخر عن ابن عمر نحوه، وسمى الرجل

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ
سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

١٠٤- ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تأخذه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

١٠٥- ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ دالّة على وحدانية الله ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ لا يتفكرون بها. ١٠٦- ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ حيث يقرّون بأنه الخالق الرازق ﴿إلا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ به بعبادة الأصنام، ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم «لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك» يعنونها. ١٠٧- ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾ نقمة تغشاهم ﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ بوقت إتيانها قبله. ١٠٨- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ وفسرها بقوله ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى﴾ دين ﴿ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ آمن بي عطف على أنا المبتدأ المخبر عنه بما قبله ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيها له عن الشركاء ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ من جملة سبيله أيضاً. ١٠٩- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰٓ﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِم﴾ لا ملائكة ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ الأمصار، لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أي أهل مكة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ بالياء، والتاء: أي يا أهل مكة هذا فتؤمنوا. ١١٠- ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لما دل عليه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أي فتراخى نصرهم حتى ﴿إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ﴾ يئس ﴿ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟﴾ أيقن الرسل ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ بالتشديد تكذيبا لا إيمان بعده، والتخفيف: أي ظنّ الأمم أن الرسل أخلفوا ما وعدوا به من النصر ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ﴾ بنونين مشدّدا ومخففا، وبنون مشدّدا ماض ﴿مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ المشركين. ١١١- ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾ أي الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يختلق ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبيين ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم.

عبدالله بن أبي، وأخرج عن كعب بن مالك قال مخشي بن حمير: لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منكم مائة على أن ننجو من أن ينزل فينا قرآن فبلغ النبي ﷺ فجاءوا يعتذرون، فأنزل الله ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ الآية، فكان الذي عفا الله عنه مخشي بن حمير، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيدًا لا يعلم بمقتله، فقتل يوم اليمامة لا يعلم مقتله إلا من قتله. وأخرج ابن جرير عن قتادة: أن ناسًا من المنافقين قالوا في غزوة تبوك: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات فأطلع الله نبيه ﷺ، على ذلك فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا، قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب فنزلت.

■ أسباب نزول الآية ٧٤- قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان

سُورَةُ الرَّعْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

٢٤٩

سورة الرعد

[مكية إلا الآيتين. ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **الآية،** ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ **الآية، أو مدنية إلا:** ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ **الآيتين، ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية]**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ﴿الٓمٓر ۚ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى من ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن، مبتدأ خبره ﴿ٱلْحَقُّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ بأنه من عند الله تعالى.

٢ - ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ﴾ أي العَمَد جمع عِماد: وهو الاسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ استواء يليق به ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلّل ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِى﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾ يبيّن ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُم﴾ يا أهل مكة ﴿بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ﴾ بالبعث ﴿تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾.

٣ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ﴾ بسط ﴿ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ﴾ من كل نوع ﴿يُغْشِى﴾ يغطي ﴿ٱلَّيْلَ﴾ بظلمته ﴿ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ في صنع الله.

٤ - ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ﴾ بقاعٌ مختلفة ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ متلاصقات، فمنها طيب وسبخ، وقليل الريع وكثيره، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ﴾ بالرفع عطفا على «جنّات» والجرّ على «أعناب» وكذا قوله ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ جمع صنو، وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ منفردة ﴿يُسْقَىٰ﴾ بالتاء: أي الجنات وما فيها، واليـــاء: أي المذكور ﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ﴾ بالنون والياء ﴿بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ بضم الكاف وسكونها، فمن حلو وحامض، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ يتدبرون.

٥ - ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمد ﷺ من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾ حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ منكرين للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لأنّ القادر على إنشاء الخلق وما تقدّم على غير مثال، قادر على إعادتهم، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها، وفي قراءة بالاستفهام في الأوّل والخبر في الثاني وأخرى عكسه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾.

الجلاس بن سويد بن الصامت ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقال: لئن كان هذا الرجل صادقًا لنحن شر من الحمير، فرفع عمير بن سعيد ذلك إلى رسول الله ﷺ، فحلف بالله ما قلت، فأنزل الله ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ الآية، فزعموا أنه تاب وحسنت توبته، ثم أخرج عن كعب بن مالك نحوه، وأخرج ابن سعد في الطبقات نحوه عن عروة وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك قال: سمـــع زيد بن أرقم رجلاً من المنافقين يقول والنـــبي ﷺ

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا
أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ
الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن
وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

٦- ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ الرحمة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ جمع المثلة بوزن الثمرة: أي عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ﴾ مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ وإلا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ لمن عصاه.

٧- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ مخوّف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ نبيّ يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون. ٨- ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ من ذكر وأنثى وواحد ومتعدّد وغير ذلك ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ تنقص ﴿الْأَرْحَامُ﴾ من مدّة الحمل ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ منه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ بقدر وحدّ لا يتجاوزه. ٩- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم ﴿الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ على خلقه بالقهر بياء ودونها. ١٠- ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم ﴿١٠﴾﴾ في علمه تعالى ﴿مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ مستتر ﴿بِاللَّيْلِ﴾ بظلامه ﴿وَسَارِبٌ﴾ ظاهر بذهابه في سربه أي طريقه ﴿بِالنَّهَارِ﴾. ١١- ﴿لَهُ﴾ للإنسان ﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾ ملائكة تتعقبه ﴿مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قدّامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي بأمره من الجنّ وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذابا ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُم﴾ لمن أراد الله بهم سوءا ﴿مِّن دُونِهِ﴾ أي غير الله ﴿مِن﴾ زائدة ﴿وَالٍ ﴿١١﴾﴾ يمنعه عنهم. ١٢- ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافرين من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنشِئُ﴾ يخلق ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ بالمطر.

١٣- ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ هو ملك موكل بالسحاب يسوقه متلبسا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَ﴾ يسبح ﴿الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ فتحرقه: نزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه فقال: مَن رسول الله، وما الله، أمن ذهب هو أم من فضة أم نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه ﴿وَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿يُجَادِلُونَ﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ القوّة أو الأخذ.

يخطب: إن كان هذا صادقًا لنحن شر من الحمير، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فجحد القائل، فأنزل الله ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظل شجرة، فقال إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان فطلع رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا حتى تجاوزوا عنهم، فأنزل الله تعالى ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ الآية، وأخرج عن قتادة قال: إن رجلين اقتتلا: أحدهما من جهينة والآخر من غفار، وكانت جهينة حلفاء الأنصار، وظهر الغفاري على الجهيني، فقال عبد الله بن أُبيّ للأوس: انصروا أخاكم، فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فسعى رجل من المسلمين إلى رسول الله ﷺ،

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾

٢٥١

١٤- ﴿لَهُۥ﴾ تعالى ﴿دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أي كلمته وهي لا إله إلا الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ بالياء والتاء: يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ مما يطلبونه ﴿إِلَّا﴾ استجابة ﴿كَبَٰسِطِ﴾ أي كاستجابة باسط ﴿كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾ على شفير البئر يدعوه ﴿لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾ بارتفاعه من البئر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾ أي فاه أبدا، فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾﴾ ضياع. ١٥- ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا﴾ كالمؤمنين ﴿وَكَرۡهٗا﴾ كالمنافقين ومن أكره بالسيف ﴿وَ﴾ يسجد ﴿ظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ﴾ البكر ﴿وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾﴾ العشايا. ١٦- ﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﷺ لقومك ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ أي غيره. ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ أصناما تعبدونها ﴿لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ﴾ وتركتم مالكهما؟ استفهام توبيخ ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن ﴿أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ الكفر ﴿وَٱلنُّورُ﴾ الإيمان؟ لا ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ﴾ أي خلق الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيۡهِمۡۚ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار: أي ليس الأمر كذلك، ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ لعباده.

١٧- ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال ﴿أَنزَلَ﴾ تعالى ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ مطراً ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ بمقدار مثلها ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ﴾ عالياً عليه وهو ما على وجهه من قذر ونحوه ﴿وَمِمَّا تُوقِدُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ طلب ﴿حِلۡيَةٍ﴾ زينة ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ ينتفع به كالأواني إذا أذيبت ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ أى مثل زبد السيل وهو خبثه، والذى ينفيه الكير ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ﴾ أى مثلهما ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ من السيل وما أوقد عليه من جواهر ﴿فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾ باطلاً مرمياً ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمۡكُثُ﴾ يبقى ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ زماناً كذلك الباطل يضمحل وينمحق وإن علا على الحق فى بعض الأوقات والحق ثابت باق ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضۡرِبُ﴾ يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾﴾. ١٨- ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ أجابوه بالطاعة ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ وهم الكفار ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ﴾ من العذاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ وهو المؤاخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ الفراش هي.

فأرسل إليه. فسأله، فجعل يحلف بالله ما قال، فأنزل الله تعالى ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ الآية، وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: همَّ رجل يقال له الأسود بقتل النبي ﷺ، فنزلت ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ﴾، وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة: أن مولى بني عدي بن كعب قتل رجلاً من الأنصار، فقضى النبي ﷺ بالدية اثني عشر ألفا، وفيه نزلت ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾.

۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ
﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ
﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ
أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟
بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

١٩- ونزل في حمزة وأبي جهل ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴿١٩﴾﴾ فآمن به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول. ٢٠- ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذرّ أو كل عهد ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ بترك الإيمان أو الفرائض. ٢١- ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي وعيده ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ تقدّم مثله.

٢٢- ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟﴾ في الطاعة ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ كالجهل بالحلم، والأذى بالصبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة هي: ٢٣- ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاتهم تكرمة لهم ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ من أبواب الجنة أو القصور أوّل دخولهم للتهنئة. ٢٤- يقولون ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ عقباكم. ٢٥- ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة وهي جهنم. ٢٦- ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسّعه ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿وَفَرِحُوا۟﴾ أي أهل مكة فرح بطر ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي بما نالوه فيها ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى﴾ جنب حياة ﴿ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب. ٢٧- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ إضلاله فلا تغني عنه الآيات شيئا ﴿وَيَهْدِىٓ﴾ يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ رجع إليه، ويبدل «منْ». ٢٨- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي وعده ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ أي قلوب المؤمنين.

■ أسباب نزول الآية ٧٥- قوله تعالى: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ الآية، أخرج الطبراني وابن مردويه وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف عن أبي أمامة: أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، قال: والله لئن آتاني الله مالاً لأوتين كل ذي حق حقه، فدعا له فاتخذ غنمًا، فنمت حتى ضاقت عليه أزقة المدينة فتنحى بها وكان يشهد الصلاة ثم يخرج إليها ثم نمت حتى تعذرت عليه مراعي المدينة فتنحى بها، فكان يشهد الجمعة ثم يخرج إليها ثم نمت فتنحى بها، فترك الجمعة والجماعات، ثم أنزل الله على رسوله ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ فاستعمل على الصدقات رجلين وكتب لهما كتابًا فأتيا ثعلبة فأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: انطلقا إلى الناس، فإذا فرغتم فمرّوا بي ففعلا، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية فانطلقا، فأنزل الله ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلى قوله ﴿يَكْذِبُونَ﴾ الحديث، وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ
لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ
قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ
بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ
وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟
لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

٢٩- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مبتدأ، خبره ﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر من الطيب أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ مرجع.

٣٠- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له: وما الرحمن؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﷺ ﴿هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾.

٣١- ونزل لما قالوا له: إن كنت نبيا فسيِّر عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس ونزرع، وابعث لنا آباءنا الموتى يكلموننا أنك نبي ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ﴾ شققت ﴿بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بأن يحيوا لما آمنوا ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾ لا لغيره، فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره إن أوتوا ما اقترحوا. ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعا في إيمانهم ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ﴾ يعلم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن﴾ مخففة أي إنه ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟﴾ بصنعهم أي كفرهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ يا محمد ﷺ بجيشك ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ مكة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ وقد حل بالحديبية حتى أتى فتح مكة. ٣٢- ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استهزئ بك، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ أي هو واقع موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك. ٣٣- ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر وهو الله؟ كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا. دلّ على هذا ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له مَنْ هم؟ ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي بشريك ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ ـه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استفهام إنكار: أي لا شريك له، إذ لو كان لعلمه، تعالى عن ذلك ﴿أَم﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾.

٣٤- ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ بالقتل والأسر ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ﴾ أشدّ منه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ مانع.

■ **أسباب نزول الآية ٧٩** - قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ الآية، روى الشيخان عن أبي مسعود قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مُرَاء، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزل ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ الآية، وورد نحو هذا من حديث أبي هريرة وأبي عقيل وأبي سعيد الخدري وابن عباس وعميرة بنت سهيل بن رافع، أخرجها كلها ابن مردويه.

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ
أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا
جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

٣٥- ﴿ مَّثَلُ ﴾ صفة ﴿ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ مبتدأ خبره محذوف: أي فيما نقصُّ عليكم ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا ﴾ ما يؤكل فيها ﴿ دَآئِمٌ ﴾ لا يفنى ﴿ وَظِلُّهَا ﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها ﴿ تِلْكَ ﴾ أي الجنة ﴿ عُقْبَى ﴾ عاقبة ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ﴾ الشرك ﴿ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾. ٣٦- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ﴾ كذكر الرَّحمٰن وما عدا القصص ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ ﴾ فيما أنزل إليّ ﴿ أَنْ ﴾ أي بأن ﴿ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ مرجعي. ٣٧- ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ الإنزال ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ أي القرآن ﴿ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ أي الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضـا ﴿ بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ بالتوحيد ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن ﴾ زائدة ﴿ وَلِىٍّ ﴾ ناصر ﴿ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ مانع من عذابه. ٣٨- ونزل لما عيروه بكثرة النساء ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ أولاداً وأنت مثلهم ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ ﴾ منهم ﴿ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ ﴾ مدة ﴿ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ مكتوب فيه تحديده. ٣٩- ﴿ يَمْحُوا ٱللَّهُ ﴾ منه ﴿ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ بالتخفيف والتشـديد، فيه ما يشاء من الأحكام وغيرهـا ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ أصله الذى لا يتغير منه شئ وهو ما كتبـه فى الأزل. ٤٠- ﴿ وَإِمَّا ﴾ فيه إدغـام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿ نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف: أي فذاك ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل تعذيبهم ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ ما عليك إلا التبليغ ﴿ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم. ٤١- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ أي أهل مكة ﴿ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ ﴾ نقصد أرضهم ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ ﴾ في خلقه بما يشاء ﴿ لَا مُعَقِّبَ ﴾ لا رادّ ﴿ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾. ٤٢- ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم بأنبيائهم كما مكروا بك ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾ وليس مكرهم كمكره، لأنه تعالى ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ فيعدّ لها جزاءه، وهذا هو المكر كله، لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ ﴾ المراد به الجنس. وفي قراءة «الكفار» ﴿ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، ألهم أم للنبي ﷺ وأصحابه.

■ **أسباب نزول الآية ٨١**- قوله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ الناس أن ينبعثوا معه وذلك في الصيف، فقال رجل: يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا ننفر في الحر، فأنزل الله ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ الآية. وأخرج محمد بن كعب القرظي قال: خرج رسول الله ﷺ في حر شديد إلى تبوك، فقال رجل من بني سلمة: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ الآية. وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: قال رجل من المنافقين: لا تنفروا في الحر، فنزلت.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾
ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَوَيْلٌ
لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا
مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ
ٱللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

٤٣- ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لك ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ﴾ لهم ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ من مؤمني اليهود والنصارى.

سورة ابراهيم

[مكية إلا آيتي ٢٨، ٢٩ فمدنيتان وآياتها ٥٢ أو ٥٤ أو ٥٥ آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك. هذا القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِمْ﴾ ويبدل من «إلى النور» ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ المحمود.

٢- ﴿ٱللَّهِ﴾ بالجرّ: بدل أو عطف بيان، وما بعده صفة. والرفع: مبتدأ خبره ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾.

٣- ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ النـــاس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإســـلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجّة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ عن الحق.

٤- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ﴾ بلغة ﴿قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ليفهمهم ما أتى به ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ في صنعه.

٥- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع وقلنا له ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ بنعمه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التذكير ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ للنعم.

◙ أسباب نزول الآية ٨٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾ الآية، روى الشيخان عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبيّ جاء ابنه إلى رسول الله فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام ليصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه وقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين، قال: إنما قد خيرني الله، فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وسأزيد على السبعين، فقال: إنه منافق، فصلى عليه، فأنزل الله ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ فترك الصلاة عليهم، ورد ذلك من حديث عمر وأنس وجابر وغيرهم.

◙ أسباب نزول الآية ٩١ - قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فكنت أكتب براءة، فإني لواضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه إذ جاءه أعمى، فقال: كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فنزلت فجاءت عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن معقل المزني، فقال: يا رسول الله أحملنا؟ فقال: والله لا أجد ما أحملكم عليه، فولوا ولهم بكاء، وعزَّ عليهم أن يُحبسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملاً، فأنزل الله ﷻ ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ الآية، وقد ذكرت أسماؤهم في المبهمات قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن مجاهد أنها نزلت في بني مقرن الذين نزلت فيهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ الآية، وأخرج عبد الرحمن بن معقل المزني قال: كنا عشرة ولد مقرن، فنزلت فينا هذه الآية.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي
ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن
بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم
بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

٦- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة إن مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَاءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾. ٧- ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم، دل عليه ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾.
٨- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لقومه ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ محمود في صنعه بهم.
٩- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ استفهام تقرير ﴿نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ لكثرتهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿فَرَدُّوا﴾ أي الأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي إليها ليعضوا عليها من شدّة الغيظ ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ في زعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ موقع في الريبة.
١٠- ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ استفهام إنكار: أي لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه ﴿فَاطِرِ﴾ خالق ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى طاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» زائدة، فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿قَالُوا إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ حجة ظاهرة على صدقكم.

■ أسباب نزول الآية ١٠٢ – قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا﴾ الآية، أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: غزا رسول الله ﷺ فتخلف أبو لبابة وخمسة معه، ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلاك وقالوا: نحن في الظلال والطمأنينة مع النساء ورسول الله ﷺ والمؤمنون معه في الجهاد، والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقها، ففعلوا وبقي ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم، فرجع رسول الله ﷺ من غزوته فقال: من هؤلاء الموثقون بالسواري؟ فقال رجل: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم، فقال: لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم، فأنزل الله ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية، فلما نزلت أطلقهم وعذرهم وبقي الثلاثة الذين لم يوثقوا أنفسهم لم يذكروا بشيء، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ الآية، فجعل أناس يقولون: هلكوا إذ لم ينزل عذرهم، وآخرون يقولون: عسى الله أن يتوب عليهم حتى نزلت ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، وأخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نحوه وزاد: فجاء أبو لبابة وأصحابه بأموالهم حين أطلقوا فقالوا يا رسول الله: هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، فقال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئًا، فأنزل الله ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ الآية، وأخرج هذا القدر وحده عن سعيد بن جبير والضحاك وزيد بن أسلم وغيرهم، وأخرج عبد عن قتادة أنها نزلت في السبعة: أربعة منهم ربطوا أنفسهم في السواري، وهم أبو لبابة ومرداس وأوس بن خذام، وثعلبة ابن وديعة ، وأخرج أبو الشيخ وابن منده في الصحابة من طريق الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ
أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ
وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن
وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ
أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

١١ - ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن﴾ ما ﴿نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كما قلتم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالنبوة ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره لأنا عبيد مربوبون ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ يثقوا به. ١٢- ﴿وَمَا لَنَآ أَ﴾ ن ﴿لَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي لا مانع لنا من ذلك ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ على أذاكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

١٣ - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ لتصيرنّ ﴿فِى مِلَّتِنَا﴾ ديننا ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ الكافرين. ١٤- ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ أرضهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ بعد هلاكهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ أي مقامه بين يديّ ﴿وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ بالعذاب. ١٥- ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾ استنصر الرسل بالله على قومهم ﴿وَخَابَ﴾ وخسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبّر عن طاعة الله ﴿عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ معاند للحق. ١٦- ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ أي أمامه ﴿جَهَنَّمُ﴾ يدخلها ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ فيها ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطا بالقيح والدم. ١٧- ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يبتلعه مرّة بعد مرّة لمرارته ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ يزدرده لقبحه وكراهته ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾ أي أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب. ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ بعد ذلك العذاب ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ قويّ متصل. ١٨- ﴿مَّثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ مبتدأ ويبدل منه ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة كصلة وصدقة في عدم الانتفاع بها ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثورا لا يقدر عليه، والمجرور خبر المبتدأ ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي الكفار ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ عملوا في الدنيا ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي لا يجدون له ثوابا لعدم شرطه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ﴾ الهلاك ﴿ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾.

قال: كان ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في تبوك ستة: أبو لبابة، وأوس بن خدام، وثعلبة بن وديعة، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، فجاء أبو لبابة وأوس وثعلبة، فربطوا أنفسهم بالسواري وجاءوا بأموالهم فقالوا: يا رسول الله خذ هذا الذي حبسنا عنك فقال: لا أحلهم حتى يكون قتال، فنزل القرآن ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية، إسناده قوي وأخرج ابن مردويه بسند فيه الواقدي عن أم سلمة قالت: إن توبة أبي لبابة نزلت في بيتي فسمعت رسول الله ﷺ يضحك في السحر، فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: تيب على أبي لبابة، فقلت: أوذنه بذلك؟ فقال: ما شئت، فقمت على باب الحجرة، وذلك قبل أن يضرب الحجاب، فقلت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فثار الناس ليطلقوه، فقال: حتى يأتي رسول الله ﷺ فيكون هو الذي يطلقني، فلما خرج إلى الصبح أطلقه فنزلت ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ١٠٧** – قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ الآية، أخرج ابن مردويه من طريق ابن إسحاق قال: ذكر ابن شهاب الزهري عن ابن أكيمة الليثي عن ابن أخي أبي رهم الغفاري، أنه سمع أبا رهم وكان ممن بايع تحت الشجرة يقول: أتى من بني مسجد الضرار رسول الله ﷺ وهو متجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إنا بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة الشاتية والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه قال: إني على

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا
أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ
لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ
فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا
أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

١٩ - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر يا مخاطب؟ استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بخلق ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ بدلكم.

٢٠ - ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ شديد.

٢١ - ﴿وَبَرَزُوا﴾ أي الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقيق وقوعه ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ المتبوعين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ «من» الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض ﴿قَالُوا﴾ أي المتبوعون ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ لدعوناكم إلى الهدى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن﴾ زائدة ﴿مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ ملجأ.

٢٢ - ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وأُدخل أهل الجنة الجنة وأهلُ النار النارَ واجتمعوا عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء فصدَقكم ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن﴾ زائدة ﴿سُلْطَانٍ﴾ قوّة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ على إجابتي ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ بفتح الياء وكسرها ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا. قال تعالى ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ مؤلم.

٢٣ - ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدّرة ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَامٌ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٤ - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾﴾.

جناح السفر، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما رجع نزل بذي أوان على ساعة من المدينة، فأنزل الله في المسجد ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ إلى آخر القصة فدعا مالك بن الدخشن ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وأحرقاه ففعلا وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما بنى رسول الله ﷺ مسجد قباء خرج رجال من الأنصار منهم يخدج، فبنوا مسجد النفاق فقال رسول الله ﷺ ليخدج: ويلك ما أردت إلى ما أرى، فقال: يا رسول الله ما أردت إلا الحسنى، فأنزل الله الآية. وأخرج ابن مردويه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: إن أناسًا من الأنصار بنوا مسجدًا، فقال لهم أبو عامر: ابتنوا مسجدكم، واستمدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند فأخرج محمدًا وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا له: لقد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه، فأنزل الله ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ وأخرج الواحدي عن سعد بن أبي وقاص قال: إن المنافقين عرضوا بمسجد يبنونه يضاهون به مسجد قباء لأبي عامر الراهب إذا قدم ليكون إمامهم فيه، فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا بنينا مسجدًا فصل فيه، فنزلت ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ قال: كانوا

تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

٢٥ - ﴿تُؤْتِيٓ﴾ تعطي ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بإرادته كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن وعمله يصعد إلى السماء ويناله بركته وثوابه كل وقت ﴿وَيَضْرِبُ﴾ يبيّن ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يتّعظون فيؤمنون. ٢٦ - ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظل ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ استؤصلت ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ مستقرّ وثبات، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة. ٢٧ - ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ هي كلمة التوحيد ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم، فيجيبون بالصواب، كما في حديث الشيخين[1] ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب، بل يقولون «لا ندري» كما في الحديث ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾. ٢٨ - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي شُكْرَها ﴿كُفْرًا﴾ هم كفار قريش ﴿وَأَحَلُّوا۟﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ الهلاك. ٢٩ - ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ المقرّ هي. ٣٠ - ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿لِّيُضِلُّوا۟﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿تَمَتَّعُوا۟﴾ بدنياكم قليلاً ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ مرجعكم ﴿إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾. ٣١ - ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾ فداء ﴿فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ مخالة: أي صداقة تنفع هو يوم القيامة.

٣٢ - ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾﴾.

٣٣ - ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ جاريين في فلكهما لا يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ لتبتغوا فيه من فضله.

يستنجون بالماء، فنزلت فيهم، وأخرج عمر بن شبية في أخبار المدينة من طريق الوليد بن أبي سندر الأسلمي عن يحيى ابن سهل الأنصاري عن أبيه: أن هذه الآية نزلت في أهل قباء كان يغسلون أدبارهم من الغائط ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ الآية، وأخرج ابن جرير عن عطاء قال: أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء، فنزلت فيهم ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ١١١** - قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ؛ اشترط لربك ولنفسك ما شئت؟ قال: أشترط لربي أن تعبدوهُ ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة. قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾.

---

(١) [**صحيح**]: أخرجه البخاري في (الجنائز/١٣٦٩/فتح)، مسلم في (الجنة/٢٨٧١/عبد الباقي).

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ
قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ
أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾
رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى
عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾
رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

٣٤- ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ على حسب مصالحكم ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ بمعنى إنعامه ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تطيقوا عدّها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه.

٣٥- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ مكة ﴿ءَامِنًا﴾ ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يتخلى خلاه ﴿وَٱجْنُبْنِى﴾ بعِّدني ﴿وَبَنِىَّ﴾ عن ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾.

٣٦- ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ بعبادتهم لها ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ على التوحيد ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ هذا قبل علمه أنه تعالى لا يغفر الشرك. ٣٧- ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي بعضها وهو إسماعيل مع أمّه هاجر ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ هو مكة ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ الذي كان قبل الطوفان ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً﴾ قلوبا ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ﴾ تميل وتحنّ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: لو قال أفئدة الناس لحنت إليه فارس والروم والناس كلهم ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ وقد فعل بنقل الطائف إليه.

٣٨- ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى﴾ نسرّ ﴿وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أو كلام إبراهيم.

٣٩- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى﴾ أعطاني ﴿عَلَى﴾ مع ﴿ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ وُلِدَ وَلَهُ تسع وتسعون سنة ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ وُلِدَ وَلَهُ مائة واثنتا عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾.

٤٠- ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِى﴾ ومَنْ يقيمها، وأتى بـ«من» لإعلام الله تعالى له أن منهم كفارا ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ المذكور.

٤١- ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله ﷻ. وقيل: أسلمت أمه، وقرئ «والدي» مفردا و «ولدي» ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾ يثبت ﴿ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ قال تعالى:

٤٢- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون من أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ لهول ما ترى يقال شخص بصر فلان أي فتحه فلم يغمضه.

▪ **أسباب نزول الآية ١١٣** - قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ﴾ الآية، أخرج الشيخان من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، قال: أي عم قل: لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه حتى آخر شيء كلمهم به هو على ملـة عبد المطلب فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية، وأنزل في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية، وظاهر هذا أن الآية نزلت بمكة. وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن علي قال: سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ وأخرج الحاكم

مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ
هَوَآءٞ (٤٣) وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ
ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم
مِّن زَوَالٖ (٤٤) وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا
لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ (٤٥) وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ
مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ
(٤٦) فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ
ذُو ٱنتِقَامٖ (٤٧) يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ
وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ
مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ
وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ (٥٠) لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ (٥١) هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ
بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٥٢)

٤٣- ﴿مُهۡطِعِينَ﴾ مسرعين ﴿مُقۡنِعِي﴾ رافعي ﴿رُءُوسِهِمۡ﴾ إلى السماء ﴿لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡ﴾ بصرهم ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ﴾ قلوبهم ﴿هَوَآءٞ (٤٣)﴾ خالية من العقل لفزعهم.

٤٤- ﴿وَأَنذِرِ﴾ خوف يا محمد ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكفار ﴿يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ﴾ بأن تردّنا إلى الدنيا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ﴾ بالتوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ﴾ فيقال لهم توبيخا ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم﴾ حلفتم ﴿مِّن قَبۡلُ﴾ في الدنيا ﴿مَا لَكُم مِّن﴾ زائدة ﴿زَوَالٖ (٤٤)﴾ عنها إلى الآخرة. ٤٥- ﴿وَسَكَنتُمۡ﴾ فيها ﴿فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالكفر من الأمم السابقة ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ﴾ من العقوبة فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبۡنَا﴾ بيّنّا ﴿لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ (٤٥)﴾ في القرآن فلم تعتبروا. ٤٦- ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ﴾ بالنبيّ ﷺ ﴿مَكۡرَهُمۡ﴾ حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ﴾ أي علمه أو جزاؤه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿كَانَ مَكۡرُهُمۡ﴾ وإن عظم ﴿لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ (٤٦)﴾ المعنى: لا يعبأ به ولا يضرّ إلا أنفسهم، والمراد بالجبال هنا: قيل حقيقتها، وقيل شرائع الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات، وفي قراءة بفتح لام «لتزول» ورفع الفعل، فـ«إن» مخففة، والمراد تعظيم مكرهم. وقيل: المراد بالمكر كفرهم. ويناسبه على الثانية (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدًّا) وعلى الأول ما قرئ (وما كان). ٤٧- ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ﴾ بالنصر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿ذُو ٱنتِقَامٖ (٤٧)﴾ ممن عصاه.

٤٨- اذكر ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ هو يوم القيامة فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما في حديث الصحيحين: وروى مسلم حديث: سئل النبي ﷺ أين الناس يومئذ؟ قال: على الصراط [1] ﴿وَبَرَزُواْ﴾ خرجوا من القبور ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ (٤٨)﴾. ٤٩- ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد ﷺ: تبصر ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ﴾ مشدودين مع شياطينهم ﴿فِي ٱلۡأَصۡفَادِ (٤٩)﴾ القيود أو الأغلال. ٥٠- ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قمصهم ﴿مِّن قَطِرَانٖ﴾ لأنه أبلغ لاشتعال النار ﴿وَتَغۡشَىٰ﴾ تعلو ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ (٥٠)﴾. ٥١- ﴿لِيَجۡزِيَ﴾ متعلق بـ«برزوا» ﴿ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ﴾ من خير وشرّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ (٥١)﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك. ٥٢- ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾ أي أنزل لتبليغهم ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ بما فيه من الحجج ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ أي الله ﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال: يتعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٥٢)﴾ أصحاب العقول.

والبيهقي في الدلائل وغيرهما عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ يومًا إلى المقابر، فجلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً ثم بكى فبكيت لبكائه، فقال: إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وأخرج أحمد وابن مردويه واللفظ له من حديث بريدة قال: كنت مع النبي ﷺ إذ وقف على عسفان فأبصر قبر أمه فتوضأ وصلى وبكى ثم قال: إني

(١) **[صحيح]**: أخرجه مسلم في (صفة القيامة/٢٧٩١/عبد الباقي).



سورة الحجر

[مكية وآياتها تسع وتسعون]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ الٓر ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿ تِلۡكَ ﴾ هذه الآيات ﴿ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ ﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة.

٢- ﴿ رُّبَمَا ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ يَوَدُّ ﴾ يتمنى ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ﴾ و «رُبَّ» للتكثير، فإنه يكثر منهم تمني ذلك، وقيل للتقليل فإن الأهوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة.

٣- ﴿ ذَرۡهُمۡ ﴾ اترك الكفار يا محمد ﷺ ﴿ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ ﴾ بدنياهم ﴿ وَيُلۡهِهِمُ ﴾ يشغلهم ﴿ ٱلۡأَمَلُ ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣ ﴾ عاقبة أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٤- ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن ﴾ زائدة ﴿ قَرۡيَةٍ ﴾ أريد أهلها ﴿ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ ﴾ أجل ﴿ مَّعۡلُومٞ ۝٤ ﴾ محدود لإهلاكها.

٥- ﴿ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ ﴾ زائدة ﴿ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥ ﴾ يتأخرون عنه.

٦- ﴿ وَقَالُواْ ﴾ أي كفار مكة للنبي ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ ﴾ القرآن في زعمه ﴿ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ ﴾.

٧- ﴿ لَّوۡ مَا ﴾ هلا ﴿ تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ ﴾ في قولك إنك نبيّ، وإن هذا القرآن من عند الله. قال تعالى:

٨- ﴿ مَا نُنَزِّلُ ﴾ فيه حذف إحدى التاءين وقرئ بالنون ﴿ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ بالعذاب ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا ﴾ أي حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿ مُّنظَرِينَ ۝٨ ﴾ مؤخّرين.

٩- ﴿ إِنَّا نَحۡنُ ﴾ تأكيد لاسم «إنّ» أو فصل ﴿ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ ﴾ القرآن ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقص.

١٠- ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ ﴾ رسلاً ﴿ فِي شِيَعِ ﴾ فرق ﴿ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٠ ﴾.

١١- ﴿ وَمَا ﴾ كان ﴿ يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١١ ﴾ كاستهزاء قومك به، وهذا تسلية له ﷺ.

١٢- ﴿ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك نُدخله ﴿ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٢ ﴾ أي كفار مكة.

١٣- ﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾ بالنبيّ ﷺ ﴿ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ ﴾ أي سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وهؤلاء مثلهم.

١٤- ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ ﴾ في الباب ﴿ يَعۡرُجُونَ ۝١٤ ﴾ يصعدون.

١٥- ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ ﴾ سدّت ﴿ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ۝١٥ ﴾ يخيل نا ذلك.

سورة الحجر

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦)
وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا
خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ
لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ
بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣)
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤)
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ
مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن
صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١)

٢٦٣

١٦- ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت: وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب ﴿لِلنَّاظِرِينَ (١٦)﴾.

١٧- ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ بالشهب ﴿مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧)﴾ مرجوم.

١٨- ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ خطفه ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨)﴾ كوكب يضيء يُحْرِقُهُ أو يُثْقِبُهُ أو يخبله.

١٩- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت لئلا تتحرّك بأهلها ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩)﴾ معلوم مقدّر.

٢٠- ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ بالياء من الثمار والحبوب ﴿وَ﴾ جعلنا لكم ﴿مَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠)﴾ ومن العبيد والدوابّ والأنعام فإنما يرزقهم الله.

٢١- ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ مفاتيح خزائنه ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١)﴾ على حسب المصالح.

٢٢- ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ تلقح السحاب فيمتلىء ماء ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿مَاءً﴾ مطرا ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢)﴾ أي ليست خزائنه بأيديكم.

٢٣- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣)﴾ الباقون نرث جميع الخلق.

٢٤- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ أي من تقدّم من الخَلْق من لدن آدم ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤)﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة.(1) ٢٥- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ (٢٥)﴾ بخلقه.

٢٦- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ آدم ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة: أي صوت إذا نقر ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ طين أسود ﴿مَّسْنُونٍ (٢٦)﴾ متغير. ٢٧- ﴿وَالْجَانَّ﴾ أبا الجن وهو إبليس ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل خلق آدم ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧)﴾ هي نار لا دخان لها تنفذ في المسام.

٢٨- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨)﴾.

٢٩- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصار حيًّا وإضافة الروح إليه تشريف لآدم ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩)﴾ سجود تحية بالانحناء.

٣٠- ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠)﴾ فيه تأكيدان.

٣١- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجنّ كان بين الملائكة ﴿أَبَىٰ﴾ امتنع من ﴿أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١)﴾.

---

(١) انظر للأهمية «الصحيحة» (٢٤٧٢).

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ
فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

٣٢- ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ﴾ ما منعك ﴿أَ﴾ ن ﴿لَّا﴾ زائدة ﴿تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾. ٣٣- ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾﴾. ٣٤- ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي من الجنة، وقيل: من السموات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾ مطرود.
٣٥- ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ الجزاء.
٣٦- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي الناس.
٣٧- ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾﴾. ٣٨- ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ وقت النفخة الأولى. ٣٩- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ أي بإغوائك لي، والباء للقسم، وجوابه ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾.
٤٠- ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي المؤمنين.
٤١- ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.
٤٢- وهو ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي المؤمنين ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ قوة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ الكافرين.
٤٣- ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي من اتبعك معك. ٤٤- ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ﴾ أطباق ﴿لِّكُلِّ بَابٖ﴾ منها ﴿مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ﴾ نصيب ﴿مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾.
٤٥- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ تجري فيها. ٤٦- ويقال لهم ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي سالمين من كل مخوف أو مع سلام أي سلموا وادخلوا ﴿ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ من كل فزع. ٤٧- ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾ حقد ﴿إِخۡوَٰنًا﴾ حال منهم ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ حال أيضا: أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرّة بهم.
٤٨- ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ﴾ تعب ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ أبدا. ٤٩- ﴿نَبِّئۡ﴾ خبِّرْ يا محمد ﷺ ﴿عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ﴾ للمؤمنين ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ بهم. ٥٠- ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ المؤلم. ٥١- ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ هم الملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة، منهم جبريل.

استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الآية. وأخرج الطبراني وابن مردويه نحوه من حديث ابن عباس، وأن ذلك بعد أن رجع من تبوك وسافر إلى مكة معتمرًا فهبط عند ثنية عسفان قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون لنزول الآية أسباب، متقدم هو أمر أبي طالب، ومتأخر وهو أمر آمنة، وقصة علي، وجمع غيره بتعدد النزول.

■ أسباب نزول الآية ١١٧ - قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ الآيات. روى البخاري وغيره عن كعب بن مالك قال: لم أتخلف عن النبي ﷺ في غزوة إلا بدرًا حتى كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزوة غزاها، وأذن الناس بالرحيل فذكر الحديث بطوله، وفيه: فأنزل الله توبتنا ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قال: وفينا أنزل ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

■ أسباب نزول الآية ١٢٢ - قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ﴾ الآية.. أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ وقد كان قد تخلف عنه ناس في البدو يفقهون قومهم، فقال المنافقون: قد بقي ناس في البوادي هلك أصحاب البوادي، فنزلت ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ﴾ وأخرج عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسول الله ﷺ سرية خرجوا فيها وتركوا النبي ﷺ بالمدينة في رقة من الناس، فنزلت.

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

٥٢- ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ أي هذا اللفظ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لما عَرَض عليهم الأكل فلم يأكلوا: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ خائفون. ٥٣- ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا﴾ رسل ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ ذي علم كثير، هو إسحاق كما ذكرنا في هود. ٥٤- ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى﴾ بالولد ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ حال أي مع مسه إياي ﴿فَبِمَ﴾ فبأيّ شيء ﴿تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ استفهام تعجب.

٥٥- ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾ الآيسين. ٥٦- ﴿قَالَ وَمَن﴾ أي لا ﴿يَقْنَطُ﴾ بكسر النون وفتحها ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ الكافرون. ٥٧- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾. ٥٨- ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ كافرين: أي قوم لوط لإهلاكهم. ٥٩- ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾﴾ لإيمانهم. ٦٠- ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ الباقين في العذاب لكفرها. ٦١- ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ أي لوطا ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾﴾. ٦٢- ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ لا أعرفكم. ٦٣- ﴿قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا۟﴾ أي قومك ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ يشكون وهو العذاب. ٦٤- ﴿وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾ في قولنا. ٦٥- ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ﴾ امش خلفهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ وهو الشام. ٦٦- ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ أوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ وهو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ حال أي يتم استئصالهم في الصباح. ٦٧- ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ مدينة سدوم، وهم قوم لوط لما أخبروا أن في بيت لوط مردا حسانا وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ حال، طمعا في فعل الفاحشة بهم. ٦٨- ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾. ٦٩- ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم. ٧٠- ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾ عن إضافتهم.

(سورة يونس)

■ أسباب نزول الآية ٢- قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمدًا رسولاً أنكرت العرب ذلك أو من أنكر ذلك منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا، فأنزل الله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الآية، وأنزل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً﴾ الآية، فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا: وإذا كان بشرًا فغير محمد كان أحق بالرسالة ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ يقولون: أشرف من محمد، يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف، فأنزل ردًا عليهم ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ الآية.

(سورة هود)

■ أسباب نزول الآية ٥- روى البخاري عن ابن عباس في قوله ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾، قال: كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا بفروجهم إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم، فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم وأخرج ابن جرير وغيره عن عبد الله بن شداد قال: كان أحدهم إذا مرَّ بالنبي ﷺ ثنى صدره لكي لا يراه، فنزلت.

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ
ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ
ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ
وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ
أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

٧١- ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ (٧١)﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن. قال تعالى:

٧٢- ﴿لَعَمۡرُكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ أي وحياتك ﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ (٧٢)﴾ يترددون.

٧٣- ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صيحة جبريل ﴿مُشۡرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس.

٧٤- ﴿فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾ أي قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ (٧٤)﴾ طين طبخ بالنار.

٧٥- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)﴾ للناظرين المعتبرين.

٧٦- ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي قرى قوم لوط ﴿لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ (٧٦)﴾ طريق قريش إلى الشام لم تندرس أفلا يعتبرون بهم؟.

٧٧- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ لعبرة ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ (٧٧)﴾.

٧٨- ﴿وَإِن﴾ مخففة أي إنه ﴿كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ هي غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب ﴿لَظَٰلِمِينَ (٧٨)﴾ بتكذيبهم شعيبا.

٧٩- ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ بأن أهلكناهم بشدة الحر ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي قرى قوم لوط والأيكة ﴿لَبِإِمَامٖ﴾ طريق ﴿مُّبِينٖ (٧٩)﴾ واضح أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة؟.

٨٠- ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ﴾ واد بين المدينة والشام وهم ثمود ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٨٠)﴾ بتكذيبهم صالحا لأنه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد.

٨١- ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ في الناقة ﴿فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ (٨١)﴾ لا يتفكرون فيها.

٨٢- ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ (٨٢)﴾.

٨٣- ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ (٨٣)﴾ وقت الصباح.

٨٤- ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾ دفع ﴿عَنۡهُم﴾ العذاب ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (٨٤)﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال.

٨٥- ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ﴾ لا محالة فيجازى كل أحد بعمله ﴿فَٱصۡفَحِ﴾ يا محمد ﷺ عن قومك ﴿ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ (٨٥)﴾ أعرض عنهم إعراضا لا جزع فيه. وهذا منسوخ بآية السيف.

٨٦- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ لكل شيء ﴿ٱلۡعَلِيمُ (٨٦)﴾ بكل شيء.

٨٧- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي (٨٧)﴾ قال ﷺ: هي «الفاتحة» رواه الشيخان[1] لأنها تثنى في كل ركعة ﴿وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾. ٨٨- ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا﴾ أصنافا ﴿مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ ألن جانبك ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ (٨٨)﴾.

٨٩- ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿ٱلۡمُبِينُ (٨٩)﴾ البين الإنذار.

٩٠- ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ العذاب ﴿عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ (٩٠)﴾ اليهود والنصارى.

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري في (التفسير/٤٤٧٤/فتح). قلت: وأما عزوه لمسلم فوهم.

سورة النحل

ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ
أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَـٰمَ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

٩١- ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي كتبهم المنزلة عليهم ﴿عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإسلام. وقال بعضهم في القرآن: سحر، وبعضهم كهانة، وبعضهم شعر.

٩٢- ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ سؤال توبيخ.

٩٣- ﴿عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

٩٤- ﴿فَٱصْدَعْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به أي اجهر به وأمضه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ هذا قبل الأمر بالجهاد.

٩٥- ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ بك بإهلاكنا كلاً منهم بآفة وهم: الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وعدي بن قيس والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث.

٩٦- ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ صفة، وقيل مبتدأ، ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره: وهو ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ عاقبة أمرهم.

٩٧- ﴿وَلَقَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ من الاستهزاء والتكذيب.

٩٨- ﴿فَسَبِّحْ﴾ ملتبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي قل «سبحان الله وبحمده» ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ المصلين.

٩٩- ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ الموت.

سورة النحل

[مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية وآياتها ثمان وعشرون ومائة، نزلت بعد الكهف]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- لما استبطأ المشركون العذاب نزل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي الساعة «وأتى» بصيغة الماضي لتحقق وقوعه: أي قرب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ تطلبوه قبل حينه فإنه واقع لا محالة ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ به غيره.

٢- ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ أي جبريل ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ بالوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ بإرادته ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ وهم الأنبياء ﴿أَنْ﴾ مفسرة ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾ خوّفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ خافون. ٣- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي محقا ﴿تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾ به من الأصنام.

٤- ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيّ إلى أن صيره قويا شديدا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة ﴿مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ بينها في نفي البعث قائلاً: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾.

٥- ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ﴾ الإبل والبقر والغنم، ونصبه بفعل مقدّر يفسره ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ من جملة الناس ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها ﴿وَمَنَـٰفِعُ﴾ من النسل والدرّ والركوب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾ قدم الظرف للفاصلة. ٦- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردّونها إلى مراحها بالعشيّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾ تخرجونها إلى المرعى بالغداة.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

٧- ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ بجهدها ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ بكم حيث خلقها لكم. ٨- ﴿وَ﴾ خلق ﴿الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ مفعول له. والتعليل بهما بتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين[1] ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة. ٩- ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا﴾ أي السبيل ﴿جَائِرٌ﴾ حائد عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَاكُمْ﴾ إلى قصد السبيل ﴿أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ فتهتدون اليه باختيار منكم.

١٠- ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ ينبت بسببه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾ ترعون دوابكم. ١١- ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ في صنعه فيؤمنون.

١٢- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ ﴿١٢﴾﴾ بالنصب عطفا على ما قبله، والرفع مبتدأ ﴿وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ﴾ بالوجهين ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ بالنصب حال، والرفع خبر ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون. ١٣- ﴿وَ﴾ سخر لكم ﴿مَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ يتعظون. ١٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ ذلله لركوبه والغوص فيه ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ تمخر الماء أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحد ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ عطف على لتأكلوا تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ الله على ذلك.

- أسباب نزول الآية ٨ – وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: لما نزل: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ قال ناس: إن الساعة قد اقتربت فتناهوا، فتناهى القوم قليلاً ثم عادوا إلى مكرهم مكر السوء، فأنزل الله ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن جريج مثله.
- أسباب نزول الآية ١١٤ – روى الشيخان عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ فقال الرجل: ألي هذه؟ قال ﷺ لجميع أمتي كلهم. وأخرج الترمذي وغيره عن أبي اليسر قال: أتتني امرأة تبتاع تمرًا فقلت إن في البيت أطيب منه، فدخلت معي البيت فأهويت إليها فقبلتها فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: أخلفت غازيًا في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟ وأطرق طويلاً حتى أوحى الله إليه ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ إلى قوله ﴿لِلذَّاكِرِينَ﴾ وورد نحوه من حديث أبي أمامة ومعاذ بن جبل وابن عباس وبريدة وغيرهم وقد استوفيت أحاديثهم في ترجمان القرآن.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (الذبائح/٥٥١٠/فتح)، مسلم في (الصيد/١٩٤٢/عبد الباقي).

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ
أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ
فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ
لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ
قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا
سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

١٥- ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ثوابت لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرّك ﴿بِكُمْ وَ﴾ جعل فيها ﴿أَنْهَٰرًا﴾ كالنيل ﴿وَسُبُلًا﴾ طرقا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴿١٥﴾﴾ إلى مقاصدكم. ١٦- ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ بمعنى النجوم ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴿١٦﴾﴾ إلى الطرق والقبلة بالليل. ١٧- ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وهو الأصنام حيث تشركونها معه في العبادة لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴿١٧﴾﴾ هذا فتؤمنوا. ١٨- ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ تضبطوها فضلاً أن تطيقوا شكرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿١٨﴾﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم. ١٩- ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴿١٩﴾﴾. ٢٠- ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ بالتاء والياء تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴿٢٠﴾﴾ يُصَوَّرون من الحجارة وغيرها.

٢١- ﴿أَمْوَٰتٌ﴾ لا روح فيهم، خبر ثان ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ تأكيد ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي الأصنام ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴿٢١﴾﴾ أي الخلق فكيف يعبدون إذ لا يكون إلها إلا الخالق الحي العالم بالغيب. ٢٢- ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته وهو الله تعالى ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ جاحدة للوحدانية ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴿٢٢﴾﴾ متكبرون عن الإيمان بها. ٢٣- ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم بذلك ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴿٢٣﴾﴾ بمعنى أنه يعاقبهم. ٢٤- ونزل في النضر بن الحارث ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّا﴾ استفهامية ﴿ذَآ﴾ موصولة ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمد ﴿قَالُوٓا۟﴾ هو ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴿٢٤﴾﴾ إضلالاً للناس. ٢٥- ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟﴾ في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَامِلَةً﴾ لم يكفر منها شيء ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ﴾ بعض ﴿أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنهم دعوهم إلى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا في الإثم ﴿أَلَا سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴿٢٥﴾﴾ يحملونه حملهم هذا.

(سورة يوسف)

■ أسباب نزول الآية ٣ - روى الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل على النبي ﷺ القرآن فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فنزل ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ الآية. زاد ابن أبي حاتم فقالوا يا رسول الله: لو ذكرتنا فأنزل الله: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا: يارسول الله لو قصصت علينا، فنزل ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مثله.

(سورة الرعد)

■ أسباب نزول الآية ٨ - أخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس: أن أربد بن قيس وعامر بن الطفيل قدما المدينة على رسول الله ﷺ فقال عامر: يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت؟ قال: لك ما المسلمين وعليك ما عليهم، قال أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: ليس ذلك لك ولا لقومك، فخرجا فقال عامر لأربد: إني أشغل عنك وجه محمد بالحديث فأضربه بالسيف فرجعا، فقال عامر، يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه ووقف يكلمه وسل أربد السيف، فلما

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ
الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ ۚ بَلَىٰ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَاءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ
اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

٢٦- ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وهو نمروذ بنى صرحا طويلاً ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها ﴿فَأَتَى اللَّهُ﴾ قصد ﴿بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ أي وهم تحته ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ من جهة لا تخطر ببالهم، وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل.

٢٧- ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبيخا ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ بزعمكم ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ﴾ تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي يقول ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ يقولونه شماتة بهم. ٢٨- ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ شرك فتقول الملائكة ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فيجازيكم به.

٢٩- ويقال لهم ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٣٠- ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ حياة طيبة ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها، قال تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ هي. ٣١- ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة مبتدأ، خبره ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾. ٣٢- ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾ ويقال لهم في الآخرة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾. ٣٣- ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ العذاب أو القيامة المشتملة عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ بالكفر. ٣٤- ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي العذاب.

وضع يده على قائم سيفه ييبس والتفت رسول الله ﷺ فرآه فانصرف عنهما، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، فأنزل الله ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ إلى قوله ﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

■ أسباب نزول الآية ١٣- وأخرج النسائي والبزار عن أنس قال: بعث رسول الله ﷺ رجلا من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله فقال: أيش ربك الذي تدعوني إليه، أمن حديد، أو من نحاس أو من فضة أو ذهب فأتى النبي ﷺ فأخبره فأعاد الثانية والثالثة، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته، ونزلت هذه الآية ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ إلى آخرها.

■ أسباب نزول الآية ٣١- وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: قالوا للنبي ﷺ إن كان كما تقول فأرنا أشياخنا الأول نكلمهم من الموتى. وأفسح لنا هذه الجبال جبال مكة التي قد ضمتنا، فنزلت ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الآية

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن
شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ
﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ
حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾
وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ
وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ
كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٥- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ من البحائر والسوائب فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به، قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي كذبوا رسلهم فيما جاؤوا به ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ إلا البلاغ البين وليس عليهم هداية. ٣٦- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه ﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الأوثان أن تعبدوها ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فآمن ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ في علم الله فلم يؤمن ﴿فَسِيرُواْ﴾ يا كفار مكة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ رسلهم من الهلاك. ٣٧- ﴿إِن تَحْرِصْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ وقد أضلهم الله لا تقدر على ذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ﴿مَن يُضِلُّ﴾ من يريد إضلاله ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ مانعين من عذاب الله. ٣٨- ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ قال تعالى ﴿بَلَىٰ﴾ يبعثهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر أي وعد ذلك وحقه حقًا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ ذلك. ٣٩- ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ متعلق بيبعثهم المقدر ﴿لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ في إنكار البعث. ٤٠- ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ أي أردنا إيجاده. و «قولنا» مبتدأ، خبره ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ أي فهو يكون. وفي قراءة بالنصب عطفا على «نقول» والآية لتقرير القدرة على البعث.

٤١- ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ بالأذى من أهل مكة وهم النبي ﷺ وأصحابه ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ ننزلهم ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ دارا ﴿حَسَنَةً﴾ هي المدينة ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي الجنة ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي الكفار أو المتخلفون عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم. ٤٢- هم ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن عطية العوفي قال: قالوا للنبي ﷺ لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحرث فيها أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح، أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى لقومه فأنزل الله ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ الآية.

◙ أسباب نزول الآية ٣٨ – وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قالت قريش حين أنزل ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ما نراك يا محمد تملك من شيء لقد فرغ من الأمر، فأنزل الله ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾.

(سورة إبراهيم)

◙ أسباب نزول الآية ٢٨ – وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت هذه الآية في الذين قتلوا يوم بدر ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ الآية.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ
أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ
فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ
رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ
يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ
وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ
ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

٤٣- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ لا ملائكة ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ.

٤٤- ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ متعلق بمحذوف أي أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَٱلزُّبُرِۗ﴾ الكتب ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ في ذلك فيعتبرون.

٤٥- ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ﴾ المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنبي ﷺ في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر في الأنفال ﴿أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ كقارون ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أي من جهة لا تخطر ببالهم وقد أهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدّرون ذلك.

٤٦- ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بفائتي العذاب.

٤٧- ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾ تنقص شيئا فشيئا حتى يهلك الجميع، حال من الفاعل أو المفعول ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

٤٨- ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ له ظل كشجرة وجبل تتميَّل ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾ تتميل ﴿ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ جمع شمال أي عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿سُجَّدٗا لِّلَّهِ﴾ حال، أي خاضعين بما يراد منهم ﴿وَهُمۡ﴾ أي الظلال ﴿دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ صاغرون، نزلوا منزلة العقلاء.

٤٩- ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ﴾ أي نسمة تدب عليها أي تخضع له بما يراد منه، وغلب في الإتيان بـ«ما» لا يعقل لكثرته ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ خصهم بالذكر تفضيلاً ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يتكبرون عن عبادته.

٥٠- ﴿يَخَافُونَ﴾ أي الملائكة، حال من ضمير «يستكبرون» ﴿رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ حال من «هم» أي عاليا عليهم بالقهر ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾﴾ به.

٥١- ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ أتى به لإثبات الإلهية والوحدانية ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ خافون دون غيري، وفيه التفات عن الغيبة.

٥٢- ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ الطاعة ﴿وَاصِبًاۚ﴾ دائما، حال من «الدين» والعامل فيه معنى الظرف ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره، والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

٥٣- ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ لا يأتي بها غيره و «ما» شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ﴾ أصابكم ﴿ٱلضُّرُّ﴾ الفقر والمرض ﴿فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره.

٥٤- ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (55) وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ
تَفْتَرُونَ (56) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ
(57) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
(58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
(60) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (61) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ
لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (62) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ
قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ (63) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64)

٥٥- ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعكم على عبادة الأصنام، أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (55)﴾ عاقبة ذلك.

٥٦- ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها تضر ولا تنفع وهي الأصنام ﴿نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأنعام بقولهم «هذا لله وهذا لشركائنا» ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ سؤال توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (56)﴾ على الله من أنه أمركم بذلك.

٥٧- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عما زعموا ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (57)﴾ ـه أي البنون، والجملة في محل رفع أو نصب بـ«يجعل» المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها، وهو منزه عن الولد، ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونهم فيختصون بالأسنى. كقوله ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (149)﴾ ؟. ٥٨- ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى﴾ تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيرا تغير مغتم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ (58)﴾ ممتلئ غمًّا، فكيف تنسب البنات إليه تعالى؟. ٥٩- ﴿يَتَوَارَى﴾ يختفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي قومه ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفاً من التعيير متردداً فيما يفعل به ﴿أَيُمْسِكُهُ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَى هُونٍ﴾ هوان وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ بأن يئده ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ (59)﴾ حكمهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هن عندهم بهذا المحل. ٦٠- ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي الكفار ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي الصفة السوأى بمعنى القبيحة وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ الصفة العليا وهو: أنه لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ (60)﴾ في خلقه. ٦١- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ بالمعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (61)﴾ عليه.

٦٢- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة وإهانة الرسل ﴿وَتَصِفُ﴾ تقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿الْكَذِبَ﴾ وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ عند الله أي الجنة لقوله ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ قال تعالى ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (62)﴾ متروكون فيها أو مقدّمون إليها. وفي قراءة بكسر الراء: أي متجاوزون الحدّ.

٦٣- ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾ متولي أمورهم ﴿الْيَوْمَ﴾ أي في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)﴾ مؤلم في الآخرة. وقيل المراد باليوم: يوم القيامة، على حكاية الحال الآتية أي لا وليّ لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم.

٦٤- ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَهُدًى﴾ عطف على «لتبين» ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64)﴾ به.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةًۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا
فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾
وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرًا وَرِزۡقًا
حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ
أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي
مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ
ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٍ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ
فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي
رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ
ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾

٦٥- ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالنبات ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ سماع تدبر.

٦٦- ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةً﴾ اعتبارا ﴿نُّسۡقِيكُم﴾ بيان للعبرة ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ أي الأنعام ﴿مِنۢ﴾ للابتداء متعلقة بنسقيكم ﴿بَيۡنِ فَرۡثٍ﴾ ثفل الكرش ﴿وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون أو بينهما ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ سهل المرور في حلقهم لا يغص به.

٦٧- ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ﴾ ثمر ﴿تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرًا﴾ خمرا تسكر، سميت بالمصدر، وهذا قبل تحريمها ﴿وَرِزۡقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزبيب والخل والدبس ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَةً﴾ دالة على قدرته تعالى ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يتدبرون.

٦٨- ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ وحي إلهام ﴿أَنِ﴾ مفسرة أو مصدرية ﴿ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ بيوتا ﴿وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أي الناس يبنون لك من الأماكن وإلا لم تأو إليها. ٦٩- ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه في طلب المرعى ﴿ذُلُلًا﴾ جمع ذلول، حال من السبل، أي مسخرة لك فلا تعسر عليك وإن توعرت، ولا تضلي عن العود منها وإن بعدت. وقيل من الضمير في «اسلكي» أي منقادة لما يراد منك ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ من الأوجاع، قيل لبعضها، كما دل عليه تنكير شفاء أو لكلها بضميمته إلى غيره، أقول وبدونها بنيته وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه، رواه الشيخان [1] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ في صنعه تعالى.

٧٠- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ﴾ ولم تكونوا شيئا ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ أي أخسّه من الهرم والخرف ﴿لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٍ شَيۡـًٔا﴾ قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ على ما يريده. ٧١- ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ فِي ٱلرِّزۡقِ﴾ فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ﴾ أي الموالي ﴿بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ أي بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم ﴿فَهُمۡ﴾ أي المماليك والموالي ﴿فِيهِ سَوَآءٌ﴾ شركاء. المعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له؟ ﴿أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾ يكفرون حيث يجعلون له شركاء.

٧٢- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا﴾ فخلق حواء من ضلع آدم، وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أولاد الأولاد ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ بإشراكهم.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (الطب/٥٦٨٤/فتح)، مسلم في (السلام/٢٢١٧/عبد الباقي).

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن
يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ
أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

٧٣- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْـًٔا﴾ بدل من رزقا ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ يقدرون على شيء وهم الأصنام.

٧٤- ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ﴾ لا تجعلوا لله أشباها تشركونهم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ ذلك.

٧٥- ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ۚ﴾ ويبدل منه ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ صفة تميزه من الحرّ فإنه عبد الله ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لعدم ملكه ﴿وَمَن﴾ نكرة موصوفة أي حرًّا ﴿رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي يتصرّف فيه كيف يشاء، والأول مثل الأصنام، والثاني مثله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ﴾ أي العبيد العجزة والحرّ المتصرف؟ لا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

٧٦- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ وُلد أخرس ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لأنه لا يَفهم ولا يُفهِم ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثقيل ﴿عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ وليّ أمره ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ يصرّفه ﴿لَا يَأْتِ﴾ منه ﴿بِخَيْرٍ﴾ ينجح، وهذا مثل الكافر ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ﴾ أي الأبكم المذكور ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ وهو الثاني المؤمن؟ لا، وقيل هذا مثل لله، والأبكم للأصنام، والذي قبله مثل الكافر والمؤمن.

٧٧- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي علم ما غاب فيهما ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ منه لأنه بلفظ «كن فيكون» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾.

٧٨- ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ الجملة حال ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ﴾ القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ ــه على ذلك فتؤمنوا.

٧٩- ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ مذللات للطيران ﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي الهواء بين السماء والأرض ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عند قبض أجنحتهن أو بسطها أن يقعن ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ هي خلقها بحيث يمكنها الطيران، وخلق الجوّ بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها.

(سورة الحجر)

■ أسباب نزول الآية ٢٤ - قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا﴾ الآية روى الترمذي والنسائي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطيه، فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ وأخرج ابن مردويه عن داود بن صالح أنه سأل سهل ابن حنيفة الأنصاري ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ أنزلت في سبيل الله؟ قال: لا ولكنها في صفوف الصلاة.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

٨٠- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ موضعا تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ كالخيام والقباب ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ للحمل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ سفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي الغنم ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ أي الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ أي المعز ﴿أَثَٰثًا﴾ متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية ﴿وَمَتَٰعًا﴾ تتمتعون به ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ يبلى فيه.

٨١- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظِلَٰلًا﴾ جمع ظل تقيكم حرّ الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ جمع كنّ: وهو ما يستكن فيه كالغار والسرب ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾ قمصا ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ أي والبرد ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ حربكم، أي: الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما خلق هذه الأشياء ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ﴾ في الدنيا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بخلق ما تحتاجون إليه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ توحّدونه. ٨٢- ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ الإبلاغ البيِّن وهذا قبل الأمر بالقتال. ٨٣- ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي يُقرّون بأنها من عنده ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بإشراكهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾. ٨٤- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيّها يشهد لها وعليها وهو يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ لا يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يرضي الله. ٨٥- ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ النار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ يمهلون عنه إذا رأوه.

٨٦- ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟﴾ نعبدهم ﴿مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي قالوا لهم ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ في قولكم إنكم عبدتمونا كما في آية أخرى ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾، ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾.

٨٧- ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ﴾ أي استسلموا لحكمه ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم.

- أسباب نزول الآية ٤٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الآية، أخرج الثعلبي عن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فر ثلاثة أيام هاربًا من الخوف لا يعقل، فجيء به للنبي ﷺ فسأله فقال: يا رسول الله، أنزلت هذه الآية ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾.
- أسباب نزول الآية ٤٧ - قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ قيل وأي غل؟ قال: غل الجاهلية إن بني تميم، وبني عدي وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية عداوة، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة فجعل علي يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر، فنزلت هذه الآية.

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

٨٨- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ الذي استحقوه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقارب أنيابها كالنخل الطوال ﴿بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ بصدّهم الناس عن الإيمان.

٨٩- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وهو نبيّهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ أي قومك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ القرآن ﴿تِبْيَـٰنًا﴾ بيانا ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ الموحِّدين.

٩٠- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ التوحيد أو الإنصاف ﴿وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ أداء الفرائض، أو «أن تعبد الله كأنك تراه» كما في الحديث[1] ﴿وَإِيتَآئِ﴾ إعطاء ﴿ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة: خصه بالذكر اهتماما به ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ الزنا ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ شرعا من الكفر والمعاصي ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾ الظلم للناس: خصه بالذكر اهتماما، كما بدأ بالفحشاء، كذلك ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ تتعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال. وفي المستدرك عن ابن مسعود: وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر. ٩١- ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ بالوفاء حيث حلفتم به، والجملة حال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ تهديد لهم. ٩٢- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ﴾ أفسدت ﴿غَزْلَهَا﴾ ما غزلته ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام له وبَرْم ﴿أَنكَـٰثًا﴾ حال جمع (نكث) وهو ما ينكث: أي يحل إحكامه، وهي امرأة حمقاء من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ حال من ضمير «تكونوا» أي لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه: أي فسادا وخديعة ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بأن تنقضوها ﴿أَن﴾ أي لأن ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿هِىَ أَرْبَىٰ﴾ أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء، فإذا وجدوا أكثر منهم وأعزّ نقضوا حلف أولئك وحالفوهم ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾ يختبركم ﴿ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ أي بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي، أو بكون أُمّة أربى، لينظر أتفون أم لا؟ ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره، بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي.

٩٣- ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾ يوم القيامة سؤال تبكيت ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ لتجازوا عليه.

■ أسباب نزول الآية ٤٩- قوله تعالى ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ﴾ الآية، أخرج الطبراني عن عبد الله بن الزبير قال: مر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه يضحكون فقال: أتضحكون وذكر الجنة والنار بين أيديكم؟ فنزلت هذه الآية ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة، فقال لا أراكم تضحكون،

(١) [صحيح]: أخرجه مسلم في (الإيمان/٨/عبد الباقي). من حديث عمر رضي الله عنه.

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ
هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ
مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ
أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ
أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ
فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ
عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ
بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

٩٤- ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ كرّره تأكيدا ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ﴾ أي أقدامكم عن محجة الإسلام ﴿بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي العذاب ﴿بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي بصدّكم عن الوفاء بالعهد، أو بصدّكم غيركم عنه لأنه يستنّ بكم ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾﴾ في الآخرة. ٩٥- ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مما في الدنيا ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾ ذلك فلا تنقضوا.

٩٦- ﴿مَا عِندَكُمۡ﴾ من الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾ يفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ دائم ﴿وَلَيَجۡزِيَنَّ﴾ بالياء والنون ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ على الوفاء بالعهود ﴿أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ أحسن بمعنى حسن. ٩٧- ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ قيل: هي حياة الجنة، وقيل في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾. ٩٨- ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي أردت قراءته ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٩٩- ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾ تسلّط ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

١٠٠- ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ بطاعته ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ أي الله ﴿مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

١٠١- ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ﴾ بنسخها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ﴾ أي الكفار للنبي ﷺ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ﴾ كذاب تقوله من عندك ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ. ١٠٢- ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بـ«نزل» ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

ثم أدبر، ثم رجع القهقري فقال إني خرجت حتى إذا كنت عند الحجر جاء جبريل فقال: يا محمد إن الله يقول لك: لم تقنط عبادي؟ ﴿۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٩٥-** قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ الآية أخرج البزار والطبراني عن أنس بن مالك قال مرّ النبي ﷺ على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل بإصبعه فوقع مثل الظفر في أجسادهم، فصارت قروحًا حتى نتنوا، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾.

(سورة النحل)

■ **أسباب نزول الآية ١-** أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ ذُعِرَ أصحاب رسول الله ﷺ حتى نزلت ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ فسكتوا، وأخرج عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: لما أنزلت: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ قاموا، فنزلت ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٣٨-** قوله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ﴾ الآية أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين، فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به والذي أرجوه بعد الموت إنه كذا وكذا، فقال له المشرك: إنك لتزعم أنك تبعث من بعد الموت، فأقسم بالله جهد يمينه، لا يبعث الله من يموت فنزلت الآية.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ
ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى
ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟
وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

١٠٣- ﴿وَلَقَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾ القرآنَ ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قين نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه. قال تعالى ﴿لِّسَانُ﴾ لغة ﴿ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾ يميلون ﴿إِلَيْهِ﴾ أنه يعلّمه ﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمي. ١٠٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ مؤلم. ١٠٥- ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴿١٠٥﴾﴾ القرآن، بقولهم: هذا من قول البشر ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ والتأكيد بالتكرار والآية: ردٌّ لقولهم: إنما أنت مفتر. ١٠٦- ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ على التلفظ بالكفر فتلفظ به ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ و «مَنْ» مبتدأ أو شرطية، والخبر أو الجواب: لهم وعيدٌ شديد، دل على هذا ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ له أي فتحه ووسعه، بمعنى طابت به نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾. ١٠٧- ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ اختاروها ﴿عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾. ١٠٨- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ عما يراد بهم. ١٠٩- ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. ١١٠- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ إلى المدينة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾ عُذِّبوا وتلفظوا بالكفر، وفي قراءة بالبناء للفاعل: أي كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي الفتنة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ بهم وخبر «إنّ» الأولى دل عليه خبر الثانية.

- أسباب نزول الآية ٤١ – قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن داود بن أبي هند قال: نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ إلى قوله ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في أبي جندل بن سهيل.
- أسباب نزول الآية ٧٥ – قوله تعالى ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ قال: نزلت في رجل من قريش وعبده، وفي قوله ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ قال: نزلت في عثمان ومولى له كان يكره الإسلام يأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيهما.
- أسباب نزول الآية ٨٣ – قوله تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد: أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فسأله فقرأ عليه ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ قال الأعرابي: نعم ثم قرأ عليه ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ قال: نعم، ثم قرأ عليه كل ذلك يقول: نعم حتى بلغ ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ فولى الأعرابي: فأنزل الله ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.
- أسباب نزول الآية ٩١ – قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟﴾ الآية أخرج ابن جرير عن بريدة قال: نزلت هذه الآية في بيعة النبي ﷺ.
- أسباب نزول الآية ٩٢ – قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: كانت سعيدة الأسدية مجنونة تجمع الشعر والليف. فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾.

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ
جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا
وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ
ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

١١١- اذكر ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ﴾ تحاجّ ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾ لا يهمها غيرها وهو يوم القيامة ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ شيئًا. ١١٢- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿قَرْيَةً﴾ هي مكة والمراد أهلها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من الغارات لا تهاج ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعا ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ بتكذيب النبي ﷺ ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ فقحطوا سبع سنين ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾. ١١٣- ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ الجوع والخوف ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾. ١١٤- ﴿فَكُلُوا۟﴾ أيها المؤمنون ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾. ١١٥- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾. ١١٦- ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ﴾ أي لوصف ألسنتكم ﴿ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ لما لم يحلّه الله ولم يحرّمه ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾. ١١٧- لهم ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ مؤلم. ١١٨- ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي اليهود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ في آية ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ إلى آخرها ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

▣ أسباب نزول الآية ١٠٣ - قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلم قينًا بمكة اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان وكان المشركون يرون رسول الله يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا: إنما يعلمه بلعام فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ الآية، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي قال: كان لنا عبدان: أحدهما يقال له يسار، والآخر جبر، وكانا صقليين فكانا يقرأن كتابهما ويعلمان علمهما، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيستمع قراءتهما، فقالوا: إنما يتعلم منهما فنزلت.

▣ أسباب نزول الآية ١٠٦- قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما أراد النبي ﷺ أن يهاجر إلى المدينة أخذ المشركون بلالاً وخبابًا وعمار بن ياسر، فأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقية، فلما رجع إلى رسول الله ﷺ حدّثه فقال: كيف كان قلبك حين قلت، أكان منشرحًا بالذي قلت؟ قال لا، فأنزل الله ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ وأخرج عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في أناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة أن هاجروا فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش بالطريق ففتنوهم فكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية، وأخرج ابن سعد في الطبقات عن عمر بن الحكم قال: كان عمار بن ياسر يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكان صهيب يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكان أبو فكيهة يعذب حتى لا يدري ما يقول وبلال وعامر بن فهيرة وقوم من المسلمين وفيهم نزلت هذه الآية ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ
وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١١٩- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ الشـرك
﴿بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟﴾ رجعوا ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟﴾ عملهم
﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي الجهالة أو التوبة لـ ﴿لَغَفُورٌ﴾
لهم ﴿رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ بهم. ١٢٠- ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾
إماما قدوة جامعا لخصال الخير ﴿قَانِتًا﴾ مطيعا ﴿لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾
مائلاً إلى الدين القيّم ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.
١٢١- ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ﴾ اصطفاه ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾. ١٢٢- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ فيه التفات عن
الغيبة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هي الثناء الحسن في أهل الأديان
﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ الذين لهم الدرجات
العُلَى. ١٢٣- ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ
مِلَّةَ﴾ دين ﴿إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾
كرّر ردًا على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه.
١٢٤- ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى
ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ على نبيهم وهم اليهود وأمروا أن
يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا نريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته.
١٢٥- ﴿ٱدْعُ﴾ الناس يا محمد ﷺ ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾
مواعظه أو القول الرقيق ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى﴾ أي المجادلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته
والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾
فيجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال. ١٢٦- ونزل لما قتل حمزة ومثل به فقال ﷺ وقد رآه: «لأمثلنّ
بسبعين منهم مكانك». ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عن الانتقام ﴿لَهُوَ﴾ أي
الصبر ﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ فكفّ ﷺ وكفّر عن يمينه. رواه البزار. ١٢٧- ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾
بتوفيقه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي الكفار إن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا
يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ أي لا تهتم بمكرهم فأنا ناصرك عليهم. ١٢٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ الكفر
والمعاصي ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر.

أسباب نزول الآية ١٢٦ - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ الآية، أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل والبزار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به فقال لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ إلى آخر السورة فكف رسول الله ﷺ وأمسك عما أراد وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الأنصار لئن أصبنا منه يومًا مثل هذا لنربين عليهم فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟﴾ الآية، وظاهر هذا تأخر نزولها إلى الفتح وفي الحديث الذي قبله نزولها بأحد وجمع ابن الحصار بأنها نزلت أولاً بمكة ثم ثانيًا بأحد ثم ثالثًا يوم الفتح تذكيرًا من الله لعباده.

سُورَةُ الإِسۡرَاءِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ
إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ
هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ٢
ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣
وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا
عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ
وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ
وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ٦
إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ
وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرٗا ٧

سورة الإسراء

[مكية إلا الآيات: ٢٦، ٣٢، ٥٧، ومن آية ٧٣ إلى غاية ٨٠ فمدنية وآياتها إحدى عشرة ومائة، نزلت بعد القصص]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ أي تنزيه ﴿ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيۡلٗا﴾ نصب على الظرف، والإسراء: سير الليل، وفائدة ذكره الإشارة بتنكيره إلى تقليل مدّته ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى﴾ الشرك ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ بيت المقدس لبُعْده منه ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ بالثمار والأنهار ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ أي العالم بأقوال النبي ﷺ وأفعاله، فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعروجه إلى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى، فإنه ﷺ قال: «أُتيت بالبراق - وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه - فركبته، فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت الفطرة، قال: ثم عُرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل، قيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، فقيل أو قد أرسل إليه؟ قال: قد أُرسل إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم، فرحَّب بي ودعا لي بخير، ثم عُرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا با بني الخالة يحيى وعيسى، فرحبا بي ودَعَوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، فقيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحَّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحَّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل: فقيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون، فرحَّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل فقيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدْرة المنتهى، فإذا أوراقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرُها كالقلال، فلما غشيَها من أمر الله ما غشيها تغيَّرتْ، فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها. قال: فَأَوْحَى اللهُ إليَّ مَا أَوْحَى، وفرض عليَّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلتُ حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمّتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمّتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبَرتُهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: أيْ رَبِّ خفّف عن أمّتي، فحطّ عني خمسا، فرجعت إلى موسى. قال: ما فعلتَ؟ فقلت: قد حطّ عني خمسا. قال: إن أمّتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمّتك. قال: فلم

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحطّ عني خمسا خمسا حتى قال: يا محمد ﷺ، هي خمسُ صلوات في كل يوم وليلة، بكل صلاة عشرٌ فتلك خمسون صلاة، ومَنْ هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا ومن همَّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب فإن عملها كتبت له سيئة واحدة، فنزلتُ حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمّتك فإن أمّتك لا تطيق ذلك، فقلت: قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييت». رواه الشيخان واللفظ لمسلم[1]. وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال: قال ﷺ «رأيت ربي ﷻ». ٢- قال تعالى ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لـ﴿أ﴾ ن ﴿لَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝﴾ يفوّضون إليه أمرهم. وفي قراءة «تتخذوا» بالفوقانية التفاتا فـ«أن» زائدة، والقول مضمر. ٣- يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝﴾ كثير الشكر لنا، حامدا في جميع أحواله. ٤- ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ أوحينا ﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝﴾ تبغون بغياً عظيما. ٥- ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أولى مرّتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أصحاب قوّة في الحرب والبطش ﴿فَجَاسُواْ﴾ ترددوا لطلبكم ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ وسط دياركم ليقتلوكم ويسبوكم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس. ٦- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سـنة بقتل جالوت ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝﴾ عشيرة. ٧- وقلنا ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَهَا﴾ إساءتكم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾ المرّة ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزنا يظهر في وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس فيخرّبوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وخرّبوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ يهلكوا ﴿مَا عَلَوْاْ﴾ غلبوا عليه ﴿تَتْبِيرًا ۝﴾ هلاكا، وقد أفسدوا ثانيا بقتل يحيى، فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم ألوفا وسبى ذرّيتهم وخرّب بيت المقدس. ٨- وقلنا في الكتاب ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرّة الثانية إن تبتم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى الفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلى العقوبة وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ، فسلط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝﴾ محبسا وسجنا. ٩- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾ أي الطريقة التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾ أعدل وأصوب ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝﴾. ١٠- ﴿وَ﴾ يخبر ﴿أَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ مؤلما هو النار.

١١- ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ على نفســه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَآءَهُۥ﴾ أي كدعائه له ﴿بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الجنس ﴿عَجُولًا ۝﴾ بالدعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته.

(سورة الإسراء)

■ أسباب نزول الآية ١٥ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ الآية أخرج ابن عبد البر بسند ضعيف عن عائشة قالت: سألت خديجة رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: هم مع آباؤهم ثم سألته بعد ذلك، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم سألته بعدما استحكم الإسلام فنزلت ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وقال: هم على الفطرة أو قال: في الجنة.

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (الصلاة/٣٤٩/فتح)، مسلم في (الإيمان/١٦٣/عبد الباقي).

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

١٢- ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ دالتين على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي مبصرا فيه بالضوء ﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾ فيه ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالكسب ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟﴾ بهما ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ للأوقات ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ بيّناه تبيينا. ١٣- ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ﴾ عمله يحمله ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ خص بالذكر لأن اللزوم فيه أشدّ وقال مجاهد ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا﴾ مكتوبا فيه عمله ﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ صفتان لكتابا. ١٤- ويقال له ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ محاسبا. ١٥- ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن إثمه عليها ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة: أي لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدا ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ يبيّن له ما يجب عليه.

١٦- ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ منعميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها.

١٧- ﴿وَكَمْ﴾ أي كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ عالما ببواطنها وظواهرها، وبه يتعلق بذنوب. ١٨- ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أى الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ التعجيل له بدل من له بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ﴾ فى الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملوما ﴿مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ مطروداً من الرحمة. ١٩- ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ عمل عملها اللائق بها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ عند الله أي مقبولاً مثابا عليه. ٢٠- ﴿كُلًّا﴾ من الفريقين ﴿نُّمِدُّ﴾ نعطي ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل ﴿مِنْ﴾ متعلق بـ«نمد» ﴿عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ ممنوعا عن أحد. ٢١- ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ من الدنيا فينبغي الاعتناء بها دونها. ٢٢- ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ لا ناصر لك. ٢٣- ﴿۞ وَقَضَىٰ﴾ أمر ﴿رَبُّكَ أَ﴾ ن أي بأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أن تحسنوا ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ بأن تبروهما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾ فاعل ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ وفي قراءة «يبلغان» فأحدهما بدل من ألفه ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ بفتح الفاء وكسرها منونا وغير منون مصدر بمعنى تبا وقبحا ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ تزجرهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ جميلا ليّنا. ٢٤- ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ ألن لهما جانبك الذليل ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي لرقتك عليهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا﴾ رحماني حين ﴿رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾. ٢٥- ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ من إضمار البرّ والعقوق ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ﴾ طائعين لله ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾ الرجّاعين إلى طاعته ﴿غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمرون عقوقا. ٢٦- ﴿وَءَاتِ﴾ أعط ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿حَقَّهُۥ﴾ من البرّ والصلة ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله. ٢٧- ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ أي على طريقتهم ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ شديد الكفر لنعمه، فكذلك أخوه المبذر.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

٢٨- ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ أي المذكورين من ذوي القربى وما بعدهم فلم تعطهم ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ لينا سهلًا بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق. ٢٩- ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجع للأول ﴿مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ منقطعا لا شيء عندك راجع للثاني. ٣٠- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسّعه ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيّقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ عالما ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم. ٣١- ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ بالوأد ﴿خَشْيَةَ﴾ مخافة ﴿إِمْلَٰقٍ﴾ فقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا﴾ إثما ﴿كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ عظيما. ٣٢- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ أبلغ من لا تأتوه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ قبيحا ﴿وَسَآءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ طريقا هو. ٣٣- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾ لوارثه ﴿سُلْطَٰنًا﴾ تسلّطا على القاتل ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ يتجاوز الحدّ ﴿فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ بأن يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

٣٤- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ إذا عاهدتم الله أو الناس ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ عنه. ٣٥- ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ الميزان السويّ ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ مآلا. ٣٦- ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ صاحبه ماذا فعل به؟. ٣٧- ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال؟.

٣٨- ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٢٦** - قوله تعالى ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ أخرج الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: لما أنزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك قال ابن كثير: هذا مشكل فإنه يشعر بأن الآية مدنية، والمشهور خلافه، وروى ابن مردويه عن ابن عباس مثله.

■ **أسباب نزول الآية ٢٨** - قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ الآية أخرج سعيد بن منصور عن عطاء الخراساني قال: جاء ناس من مزينة يستحملون رسول الله ﷺ فقال: لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ظنوا ذلك من غضب رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: نزلت فيمن كان يسأل النبي ﷺ من المساكين.

■ **أسباب نزول الآية ٢٩** - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ﴾ الآية أخرج سعيد بن منصور عن سيار أبي الحكم قال: أتى رسول الله ﷺ بز ثياب، وكان معطيًا كريمًا فقسمه بين الناس، فأتاه قوم فوجدوه قد فرغ منه، فأنزل الله ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ الآية وأخرج ابن مردويه وغيره عن ابن مسعود قال: جاء غلام إلى النبي فقال: إن

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

٣٩- ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ الموعظة ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ مطرودا من رحمة الله.

٤٠- ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ أخلصكم يا أهل مكة ﴿رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ بنات لنفسه بزعمكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ﴾ بذلك ﴿قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

٤١- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيّنا ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ من الأمثال والوعد والوعيد ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ يتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ عن الحق.

٤٢- ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ أي الله ﴿ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟﴾ طلبوا ﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ أي الله ﴿سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ ليقاتلوه.

٤٣- ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الشركاء ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾.

٤٤- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ تنزهه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن﴾ ما ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ من المخلوقات ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾ متلبسا ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾ تفهمون ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأنه ليس بلغتكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

٤٥- ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ أي ساترا لك عنهم فلا يرونك. نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ.

٤٦- ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ من أن يفهموا القرآن أي فلا يفهمونه ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلًا فلا يسمعونه ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ عنه.

٤٧- ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ بسببه من الهزء ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ قراءتك ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ يتناجون أي يتحدثون ﴿إِذْ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في تناجيهم ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى: ٤٨- ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فَضَلُّوا۟﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ طريقا إليه.

٤٩- ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ منكرين للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾.

أمي تسألك كذا وكذا. قال: ما عندنا شيء اليوم، قال: فتقول لك اكسني قميصك، فخلع قميصه فدفعه إليه فجلس في البيت حاسرًا، فأنزل الله ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ وأخرج أيضًا عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال لعائشة: أنفقي ما على ظهر كفي، فقالت: إذن لا يبقى شيء، فأنزل الله ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية، وظاهر ذلك أنها مدنية.

■ أسباب نزول الآية ٤٥ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن ابن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا القرآن على مشركي قريش ودعاهم إلى الكتاب قالوا يهزؤون به ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ فأنزل الله في ذلك قوله ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآيات.

۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى
صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ
وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ
أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ
عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ
يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ
وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾
وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

٥٠- ﴿ ۞ قُلْ ﴾ لهم ﴿ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾ .

٥١- ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات، فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ﴾ إلى الحياة ﴿ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ ﴾ خلقكم ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ولم تكونوا شيئا لأن القادر على البدء قادر على الإعادة، بل هي أهون ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ ﴾ يحركون ﴿ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ تعجبا ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ استهزاء ﴿ مَتَىٰ هُوَ ﴾ أي البعث ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾ .

٥٢- ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿ فَتَسْتَجِيبُونَ ﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ بأمره، وقيل وله الحمد ﴿ وَتَظُنُّونَ إِن ﴾ ما ﴿ لَّبِثْتُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ لهول ما ترون.

٥٣- ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى ﴾ المؤمنين ﴿ يَقُولُوا۟ ﴾ للكفار الكلمة ﴿ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ ﴾ يفسد ﴿ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ بيّن العداوة، والكلمة التي هي أحسن هي:

٥٤- ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ بالتوبة والإيمان ﴿ أَوْ إِن يَشَأْ ﴾ تعذيبكم ﴿ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ بالموت على الكفر ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال.

٥٥- ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة ومحمد ﷺ بالإسراء ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾.

٥٦- ﴿ قُلِ ﴾ لهم ﴿ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾ أنهم آلهة ﴿ مِّن دُونِهِۦ ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ له إلى غيركم.

٥٧- ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ هم آلهة ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ يطلبون ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ القربة بالطاعة ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ بدل من واو يبتغون: أي يبتغيها الذي هو ﴿ أَقْرَبُ ﴾ إليه، فكيف بغيره؟ ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ كغيرهم، فكيف تدعونهم آلهة؟ ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ .

٥٨- ﴿ وَإِن ﴾ ما ﴿ مِّن قَرْيَةٍ ﴾ أريد أهلها ﴿ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ بالموت ﴿ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ بالقتل وغيره ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ اللوح المحفوظ ﴿ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ﴾ مكتوبا.

■ أسباب نزول الآية ٥٦ - قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ﴾ الآية، أخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن فأسلم الجنيون واستمسك الآخرون بعبادتهم فأنزل الله ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ الآية.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ
وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ
إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا
جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ
فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾
وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ
قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي
كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ
مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ
فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ
فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾

٥٩- ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ آية ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾ بيّنة واضحة ﴿فَظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿بِهَاۚ﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴿٥٩﴾﴾ للعباد فيؤمنوا. ٦٠- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ علما وقدرة فهم في قبضته فبلّغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾ عيانا ليلة الإسراء ﴿إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها وارتدّ بعضهم لما أخبرهم بها ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم جعلناها فتنة لهم إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته ﴿وَنُخَوِّفُهُمۡ﴾ بها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمۡ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا﴿٦٠﴾﴾. ٦١- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴿٦١﴾﴾ نصب بنزع الخافض: أي من طين.

٦٢- ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ﴾ أي أخبرني ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ﴾ فضّلت ﴿عَلَيَّ﴾ بالأمر بالسجود له، وأنا خير منه خلقتني من نار ﴿لَئِنۡ﴾ لام قسم ﴿أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ﴾ لأستأصلنّ ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴿٦٢﴾﴾ منهم ممن عصمته. ٦٣- ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ منظرا إلى وقت النفخة الأولى ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ﴾ أنت وهم ﴿جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا﴿٦٣﴾﴾ وافرا كاملاً.

٦٤- ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ﴾ استخفّ ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى المعصية ﴿وَأَجۡلِبۡ﴾ صِحْ ﴿عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ وهم الركاب والمشاة في المعاصي ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ المحرّمة كالربا والغصب ﴿وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ من الزنا ﴿وَعِدۡهُمۡۚ﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴿٦٤﴾﴾ باطلاً. ٦٥- ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ﴾ تسلّط وقوة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴿٦٥﴾﴾ حافظا لهم منك. ٦٦- ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي﴾ يجري ﴿لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ السفن ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ تعالى بالتجارة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴿٦٦﴾﴾ في تسخيرها لكم.

■ أسباب نزول الآية ٥٩- قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ﴾ الآية. أخرج الحاكم والطبراني وغيرهما عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت تؤتهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال: بل تستأني بهم، فأنزل الله ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ الآية، وأخرج الطبراني وابن مردويه عن الزبير نحوه أبسط منه.

■ أسباب نزول الآية ٦٠- قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا﴾ الآية أخرج أبو يعلى عن أم هانئ، أنه ﷺ لما أسري به أصبح يحدث نفرًا من قريش يستهزئون به، فطلبوا منه آية فوصف لهم بيت المقدس، وذكر لهم قصة العير فقال الوليد بن المغيرة هذا ساحر فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ وأخرج ابن المنذر عن الحسن نحوه وأخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي أن رسول الله ﷺ أصبح يومًا مهمومًا فقيل له مالك يا رسول الله لا تهتم فإن رؤياك فتنة لهم، فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ وأخرج ابن جرير من حديث سهل بن سعد نحوه

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ
إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ
بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ
فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ
بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ
أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ
وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ
ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

٦٧- ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ الشدّة ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾ غاب عنكم ﴿مَن تَدْعُونَ﴾ تعبدون من الآلهة فلا تدعونه ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ تعالى، فإنكم تدعونه وحده لأنكم في شدّة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ جحودا للنعم. ٦٨- ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ أي الأرض كقارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ حافظا منه. ٦٩- ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أى البحر ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ أى ريحًا شديدة لا تمر بشئ إلا قصفته فتكسر فلككم ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ ناصراً وتابعاً يطالبنا بما فعلنا بكم. ٧٠- ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ فضّلنا ﴿بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ على الدوابّ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ فـ«مَنْ» بمعنى «ما» أو على بابها وتشمل الملائكة، والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيل أفراده، إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء.

٧١- اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ نبيّهم، فيقال: يا أمّة فلان، أو بكتاب أعمالهم فيقال: يا صاحب الخير، يا صاحب الشر، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ أُوتِىَ﴾ منهم ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ قدر قشرة النواة.

٧٢- ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ﴾ أي الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عن الحق ﴿فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ عن طريق النجاة وقراءة القرآن ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ أبعد طريقا عنه. ونزل في ثقيف وقد سألوه ﷺ أن يحرّم واديهم وألحوا عليه:

٧٣- ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كَادُوا۟﴾ قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ليستنزلونك ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾. ٧٤- ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ على الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾ قاربت ﴿تَرْكَنُ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا﴾ ركونا ﴿قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ لشدّة احتيالهم وإلحاحهم، وهو صريح في أنه ﷺ لم يركن ولا قارب. ٧٥- ﴿إِذًا﴾ لو ركنت ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ﴾ عذاب ﴿ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ﴾ عذاب ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾ أي مثليْ ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ مانعا منه.

وأخرج ابن أبي حاتم من حديث عمرو بن العاص ومن حديث يعلى بن مرة ومن مرسل سعيد بن المسيب نحوها وأسانيدها ضعيفة قوله تعالى ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس قال: لما ذكر الزقوم خوف به هذا الحي من قريش قال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد؟ قالوا: لا، قال: الثريد بالزبد أما لئن أمكننا منها لنزقمنها زقمًا فأنزل الله ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ وأنزل ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ٧٣ - قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآيات، أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال: خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد تعال تمسح بآلهتنا وندخل معك في دينك، وكان يحب إسلام قومه فرقّ

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

٧٦- ونزل لما قال له اليهود: إن كنت نبيا فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا﴾ لو أخرجوك ﴿لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ﴾ فيها ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ ثم يهلكون. ٧٧- ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ تبديلاً. ٧٨- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ أي من وقت زوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ إقبال ظلمته: أي الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. ٧٩- ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ فصلِّ ﴿بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فريضة زائدة لك دون أمّتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ يحمدك فيه الأوّلون والآخرون وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء. ٨٠- ونزل لما أمر بالهجرة ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ المدينة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ إدخالاً مرضيا لا أرى فيه ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ من مكة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إخراجا لا ألتفت بقلبي إليها ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ قوّة تنصرني بها على أعدائك.

٨١- ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ بطل الكفر ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ مضمحلاً زائلاً، وقد دخلها ﷺ وحول البيت ثلثمائة وستون صنما، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت.[1] رواه الشيخان.

٨٢- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ﴾ للبيان ﴿ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ لكفرهم به. ٨٣- ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ ثنى عطفه متبخترا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والشدّة ﴿كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ قنوطا من رحمة الله. ٨٤- ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ طريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ طريقا فيثيبه.

٨٥- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي اليهود ﴿عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الذي يحيا به البدن ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي عِلْمه لا تعلمونه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى. ٨٦- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ .

لهم. فأنزل الله ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ إلى ﴿نَصِيرًا﴾ فلت هذا أصح ما ورد في سبب نزولها وهو إسناد جيد وله شاهد وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر، فقالوا: لا ندعك تستلم حتى تلم بآلهتنا، فقال: رسول الله ﷺ وما عليّ لو فعلت والله يعلم مني خلافه فنزلت، وأخرج نحوه عن ابن شهاب وأخرج عن جبير بن نفير أن قريشًا أتوا النبي ﷺ فقالوا: إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم فنكون نحن أصحابك فركن إليهم فنزلت وأخرج عن محمد بن كعب القرظي أنه قرأ: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ إلى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ فألقى عليه الشيطان: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى، فنزلت

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (التفسير/٤٧٢٠/فتح)، مسلم في (الجهاد/١٧٨١/عبد الباقي).

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

٨٧- ﴿إِلَّا﴾ لكن أبقيناه ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ عظيما حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل. ٨٨- ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ معينا: نزل ردًّا لقولهم: لو نشاء لقلنا مثل هذا. ٨٩- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينّا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لمحذوف: أي مثلاً من جنس كل مَثَل ليتعظوا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ جحودا للحق. ٩٠- ﴿وَقَالُوا۟﴾ عطف على «أبى» ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ عينا ينبع منها الماء. ٩١- ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾. ٩٢- ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قطعا ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ مقابلة وعيانا فنراهم. ٩٣- ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾ تصعد ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ على السلم ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لو رقيت فيها ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَٰبًا﴾ فيه تصديقك ﴿نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ﴾ لهم ﴿سُبْحَانَ رَبِّى﴾ تعجب ﴿هَلْ﴾ ما ﴿كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ كسائر الرسل و لم يكونوا يأتوا بآية إلا بإذن الله. ٩٤- ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾ أي قولهم منكرين ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ ولم يبعث ملكا. ٩٥- ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بدل البشر ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ إذ لا يرسل إلى قوم رسول إلا من جنسهم يمكنهم مخاطبته والفهم عنه. ٩٦- ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ عالما ببواطنهم وظواهرهم.

فما زال مهمومًا حتى أنزل الله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ﴾ الآية وفي هذا دليل على أن هذه الآيات مكية، ومن جعلها مدنية استدل بما أخرجه ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس أن شعيبًا قال للنبي ﷺ أجلنا سنة حتى يهدي إلى آلهتنا، فإن قبضنا الذي يهدي للآلهة أحرزناه ثم أسلمنا، فهمّ أن يؤجلهم وإسناده ضعيف.

■ **أسباب نزول الآية ٧٦-** قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: إن كنت نبيًا فالحق بالشام، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء، فصدق رسول الله ﷺ ما قالوا، فغزا تبوك يريد الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله آيات من سورة بني إسرائيل بعدما ختمت السورة ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ وأمره بالرجوع إلى المدينة وقال له جبريل: سل ربك فإن لكل نبي مسألة، فقال ما تأمرني أن أسأل؟ قال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ فهؤلاء نزلن في رجعته من تبوك، هذا مرسل ضعيف الإسناد وله شواهد من مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم ولفظه: قالت المشركون للنبي ﷺ كانت الأنبياء تسكن الشام فمالك والمدينة فهمّ أن يشخص فنزلت، وله طريقة أخرى مرسلة عند ابن جرير أن بعض اليهود قاله له.

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

٩٧- ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ يهدونهم ﴿مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ماشين ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكن لهبها ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ تلهبا واشتعالاً. ٩٨- ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟﴾ منكرين للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾. ٩٩- ﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي الأناسي في الصغر ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ للموت والبعث ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ جحودا له. ١٠٠- ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ من الرزق والمطر ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ لبخلتم ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ خوف نفادها بالإنفاق فتقتروا ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ بخيلاً. ١٠١- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات وهي اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم أو الطمس والسنين ونقص الثمرات ﴿فَسْـَٔلْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك، أو فقلنا له اسأل. وفي قراءة بلفظ الماضي ﴿إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ مخدوعا مغلوبا على عقلك. ١٠٢- ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ عبرا، ولكنك تعاند. وفي قراءة بضم التاء ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ هالكا أو مصروفا عن الخير. ١٠٣- ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ يُخرج موسى وقومه ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾. ١٠٤- ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ جميعا أنتم وهم.

■ **أسباب نزول الآية ٨٠-** قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ الآية أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ وهذا صريح في أن الآية مكية وأخرجه ابن مردويه بلفظ أصرح منه.

■ **أسباب نزول الآية ٨٥-** قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو متوكئ على عسيب، فمر بنفر من يهود، فقال بعضهم لو سألتموه فقالوا: حدثنا عن الروح فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يُوحى إليه حتى صعد الوحي ثم قال: الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود علمونا شيئًا نسأل هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه، فأنزل الله ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ قال ابن كثير: يجمع بين الحديثين بتعدد النزول، وكذا قال الحافظ ابن حجر، أو يحمل سكوته حين سؤال اليهود على توقع مزيد بيان في ذلك وإلا فما في الصحيح أصح، قلت: ويرجح ما في الصحيح بأن راويه حاضر القصة بخلاف ابن عباس.

■ **أسباب نزول الآية ٨٨ -** قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟﴾ الآية أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: أتى النبي ﷺ سلام بن مشكم في عامة من يهود سماهم فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وإن هذا الذي جئت به لا نراه متناسقًا كما تناسق التوراة، فأنزل الله علينا كتابًا

وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾
وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾
قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ
عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ
خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ
ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ
بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الكَهۡفِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾
قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ
فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾

١٠٥- ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿وَبِٱلۡحَقِّ﴾ المشتمل عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما أنزل لم يعتره تبديل ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾ من آمن بالجنة ﴿وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾﴾ من كفر بالنار.

١٠٦- ﴿وَقُرۡءَانٗا﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿فَرَقۡنَٰهُ﴾ نزلناه مفرقا في عشرين سنة أو وثلاث ﴿لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾ مهل وتؤدة ليفهموه ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾﴾ شيئا بعد شيء على حسب المصالح. ١٠٧- ﴿قُلۡ﴾ لكفار مكة ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ قبل نزوله وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾﴾ ١٠٨- ﴿وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ تنزيها له عن خلف الوعد ﴿إن﴾ مخففة ﴿كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾﴾. ١٠٩- ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ﴾ عطف بزيادة صفة ﴿وَيَزِيدُهُمۡ﴾ القرآن ﴿خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾﴾ تواضعا لله.

١١٠- وكان ﷺ يقول: يا ألله يا رحمن، فقالوا: ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر معه فنزل ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ أي سموه بأيهما أو نادوه، بأن تقولوا يا الله يا رحمن ﴿أَيّٗا﴾ شرطية ﴿مَّا﴾ زائدة، أي: أيّ هذين ﴿تَدۡعُواْ﴾ فهو حسن دلّ على هذا ﴿فَلَهُ﴾ أي لمسماهما ﴿ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ وهذان منهما، فإنها كما في الحديث. «**الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العليّ الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الصمد القادر المقتدر المقدّم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البرّ التواب المنتقم العفوّ الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضارّ النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور**» رواه الترمذي قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾ بقراءتك بها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومَنْ أنزله ﴿وَلَا تُخَافِتۡ﴾ تسرّ ﴿بِهَا﴾ لينتفع أصحابك ﴿وَٱبۡتَغِ﴾ اقصد ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾﴾ طريقا وسطا. ١١١- ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾ في الألوهية ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ﴾ ينصره ﴿مِّنَ﴾ أجل ﴿ٱلذُّلِّ﴾ أي لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾﴾ عظمه عَظَمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل ما لا يليق به وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرّده في صفاته. روى الإمام أحمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول «آية العزّ: الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا و لم يكن له شريك في الملك» إلى آخر السورة والله تعالى أعلم. قال مؤلفه هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الإمام العالم المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه في نفائس أراها إن شاء الله تجدي، وألفته في مدة قدر ميعاد الكليم، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب لمكمل وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول، فرحم الله امرءا نظر بعين الإنصاف إليه ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه وقد قلت:

حمدت الله ربي إذ هداني … لما أبديت مع عجزي وضعفي
فمن لي بالخطأ فأرد عنه … ومن لي بالقبول ولو بحرف

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى
ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

هذا ولم يكن قط في خلدي أن أتعرض لذلك، لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك وعسى الله أن ينفع به نفعًا جمًا ويفتح به قلوبًا غلفا وأعينًا عميًا وآذانًا صمًا، وكأني بمن اعتاد المطولات، وقد أضرب عن التكملة وأصلها حسمًا وعدل إلى صريح العناد ولم يوجه إلى دقائقها فهمًا «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى» رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقا واطلاعًا على دقائق كلماته وتحقيقًا، وجعلنا به «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا» وفرغ من تأليفه يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة، وكان الابتداء في يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة وفرغ من تبييضه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة والله أعلم، قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي أخو شيخنا الشيخ جلال الدين المحلي رحمهما الله تعالى أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور أيهما أحسن وضعي أو وضعك فقال: وضعي فقال: انظر وعرض عليه مواضع فيها وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئًا يجيبه والشيخ يتبسم ويضحك قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة: الذي أعتقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى في قطعته أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لا مرية عندي في ذلك، وأما الذي رؤى في المنام المكتوب أعلاه فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفت وضعه فيها لنكتة وهي يسيرة جدًا ما أظنها تبلغ عشرة مواضع منها أن الشيخ قال في سورة ص: «والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه» وكنت تبعته أولا، فذكرت هذا الحد في سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ الآية فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه فالإمساك عن تعريفها أولى، ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في جمع الجوامع: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ فنمسك عنها. ومنها أن الشيخ قال في سورة الحج: «الصابئون فرقة من اليهود» فذكرت ذلك في سورة البقرة وزدت أو النصارى بيانًا لقول ثان، فإنه المعروف خصوصًا عند أصحابنا الفقهاء وفي المنهاج وإن خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى في أصل دينهم وفي شرحه أن الشافعي ﷺ نص على أن الصابئين فرقة من النصارى، ولا أستحضر الآن موضعًا ثالثا فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

سورة الكهف

[مكية إلا الآية: ٢٨، ومن ٨٢ إلى غاية آية: ١٠١ فمدنية وآياتها عشر ومائة أو خمس عشرة آية نزلت بعد سورة الغاشية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى، وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هما؟ احتمالات، أفيدها الثالث ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾ أي فيه ﴿عِوَجَا ﴿١﴾﴾ اختلافا أو تناقضا، والجملة حال من الكتاب.

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ
يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا
(١٦) ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ
ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ
مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن
يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم
بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ
لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا (٢٠)

٢- ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيما، حال ثانية مؤكدة ﴿لِّيُنذِرَ﴾ يخوّف بالكتاب الكافرين ﴿بَأْسًا﴾ عذابا ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ من قبل الله ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢)﴾. ٣- ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)﴾ هو الجنة. ٤- ﴿وَيُنذِرَ﴾ من جملة الكافرين ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤)﴾. ٥- ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾ بهذا القول ﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ من قبلهم القائلين له ﴿كَبُرَتْ﴾ عظمت ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ كلمة: تمييز مفسر للضمير المبهم، والمخصوص بالذم محذوف: أي مقالتهم المذكورة ﴿إِن﴾ ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا﴾ مقولا ﴿كَذِبًا (٥)﴾ . ٦- ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾ مهلك ﴿نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ بعدهم أي بعد توليهم عنك ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَسَفًا (٦)﴾ غيظا وحزنا منك لحرصك على إيمانهم، ونصبه على المفعول له. ٧- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لنختبر الناس ناظرين إلى ذلك ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)﴾ فيه: أي أزهد له. ٨- ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فتاتا ﴿جُرُزًا (٨)﴾ يابسا لا ينبت. ٩- ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي ظننت ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ الغار في الجبل ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم وقد سئل ﷺ عن قصتهم ﴿كَانُوا۟﴾ في قصتهم ﴿مِنْ﴾ جملة ﴿ءَايَٰتِنَا عَجَبًا (٩)﴾ خبر كان وما قبله حال أي كانوا عجبا دون باقي الآيات أو أعجبها ليس الأمر كذلك . ١٠- اذكر ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ جمع فتى وهو الشاب الكامل، خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من قبلك ﴿رَحْمَةً وَهَيِّئْ﴾ أصلح ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠)﴾ هداية. ١١- ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ أي أنمناهم ﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١)﴾ معدودة. ١٢- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ الفريقين المختلفين في مدّة لبثهم ﴿أَحْصَىٰ﴾ أفعل بمعنى أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوٓا۟﴾ للبثهم متعلق بما بعده ﴿أَمَدًا (١٢)﴾ غاية. ١٣- ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ﴾ نقرأ ﴿عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى (١٣)﴾.

١٤- ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قوّيناها على قول الحق ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾ بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي غيره ﴿إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا (١٤)﴾ أي قولا ذا شطط: أي إفراطا في الكفر إن دعونا إلها غير الله فرضا. ١٥- ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمُنَا﴾ عطف بيان ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا﴾ هلا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ على عبادتهم ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ بحجة ظاهرة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (١٥)﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى. قال بعض الفتية لبعض: ١٦- ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦)﴾ بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس: ما ترفقون به من غداء وعشاء.

١٧- ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ بالتشديد والتخفيف: تميل ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ ناحيته ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم البتة ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧)﴾ . ١٨- ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ لو رأيتهم ﴿أَيْقَاظًا﴾ أي منتبهين لأن أعينهم منفتحة. جمع يقظ بكسر القاف ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام. جمع راقد ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ يديه ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ بفناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨)﴾ بسكون العين وضمها. منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم.

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

١٩- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم ومدّة لبثهم ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها، فظنوا أنه غروب يوم الدخول. ثم ﴿قَالُوا۟﴾ متوقفين في ذلك ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ بسكون الراء وكسرها. بفضتكم ﴿هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يقال إنها المسماة الآن «طرسوس» بفتح الراء ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي: أيّ أطعمة المدينة أحلّ ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾. ٢٠- ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا﴾ أي إن عدتم في ملتهم ﴿أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾. ٢١- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَعْثَرْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوٓا۟﴾ أي قومهم ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق أن القادر على إنامتهم المدّة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء، قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾ لا شكّ ﴿فِيهَآ إِذْ﴾ معمول لـ«أعثرنا» ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ أي المؤمنون والكفار ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي الكفار ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم﴾ أي حولهم ﴿بُنْيَٰنًا﴾ يسترهم ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ أمر الفتية وهم المؤمنون ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم﴾ حولهم ﴿مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ يصلى فيه، وفعل ذلك على باب الكهف[1]. ٢٢- ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ أي يقول بعضهم: هم ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي بعضهم: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والقولان لنصارى نجران ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ أي ظنا في الغيبة عنهم، وهو راجع إلى القولين معا، ونصبه على المفعول له: أي لظنهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الجملة من مبتدأ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو، وقيل: تأكيد أو دالة على لصوق الصفة بالموصوف، ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضيّ وصحيح ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: أنا من القليل وذكرهم سبعة ﴿فَلَا تُمَارِ﴾ تجادل ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ بما أنزل عليك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ تطلب الفتيا ﴿مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾. وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال: أخبركم به غدا ولم يقل إن شاء الله، فنزل: ٢٣- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ﴾ أي لأجل شيء ﴿إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾ أي فيما يستقبل من الزمان. ٢٤- ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي إلا ملتبسا بمشيئة الله تعالى بأن تقول إن شاء الله ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ أي مشيئته معلقا بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ التعليق بها، ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا﴾ من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوّتي ﴿رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ هداية، وقد فعل الله ذلك. ٢٥- ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ﴾ بالتنوين ﴿سِنِينَ﴾ عطف بيان لثلاثمائة، وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكهف شمسية، وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين، وقد ذكرت في قوله ﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ أي تسع سنين، فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية. ٢٦- ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدّم ذكره ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي علمه ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ﴾ أي بالله هي صيغة تعجب ﴿وَأَسْمِعْ﴾ به كذلك، بمعنى ما أبصره وما أسمعه وهما على جهة المجاز، والمراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَهُم﴾ لأهل السموات والأرض ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾ ناصر ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ لأنه غنيّ عن الشريك. ٢٧- ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ ملجأ.

---

(١) انظر اختصاري لابن كثير (٢/٥٧٠).

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾

٢٨- ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ احبسها ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادهم ﴿وَجۡهَهُۥ﴾ تعالى لا شيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء ﴿وَلَا تَعۡدُ﴾ تنصرف ﴿عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ عبر بهما عن صاحبهما ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ أي القرآن: هو عيينة بن حصن وأصحابه ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في الشرك ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ إسرافا. ٢٩- ﴿وَقُلِ﴾ له ولأصحابه هذا القرآن ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ ما أحاط بها ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ كعكر الزيت ﴿يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ من حرّه إذا قُرِّب إليها ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ﴾ هو ﴿وَسَآءَتۡ﴾ أي النار ﴿مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ تمييز منقول عن الفاعل أي قبح مرتفقها وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة ﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾﴾ وإلا فأيّ ارتفاق في النار؟. ٣٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ الجملة خبر «إن الذين» وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنى: أجرهم، أي: نثيبهم بما تضمنه. ٣١- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ إقامة ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ قيل «من» زائدة، وقيل للتبعيض، وهي جمع «أَسْوِرَة» كأحمرة: جمع سوار ﴿مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ﴾ ما رقّ من الديباج ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾ ما غلظ منه. وفي آية الرحمن ﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة وهي السرير في الحجلة، وهي بيت يزيّن بالثياب والستور للعروس ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾ الجزاء الجنة ﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾﴾.
٣٢- ﴿۞ وَٱضۡرِبۡ﴾ اجعل ﴿لَهُم﴾ للكفار مع المؤمنين ﴿مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾ بدل، وهو وما بعده تفسير للمثل ﴿جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ الكافر ﴿جَنَّتَيۡنِ﴾ بستانين ﴿مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾﴾ يقتات به. ٣٣- ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ﴾ كلتا مفرد يدل على التثنية مبتدأ ﴿ءَاتَتۡ﴾ خبره ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿وَلَمۡ تَظۡلِم﴾ تنقص ﴿مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا﴾ أي شققنا ﴿خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾﴾ يجري بينهما. ٣٤- ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ مع الجنتين ﴿ثَمَرٞ﴾ بفتح الثاء والميم وبضمهما وبضم الأوّل وسكون الثاني، وهو جمع ثمرة، كشَجَرَة وشَجَر، وخَشَبَة وخُشُب، وبَدَنة وبُدْن ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يفاخره ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾﴾ عشيرة.

نعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٩٠- قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس: أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب رجلاً من بني عبد الدار وأبا البحتري والأسود بن المطلب وربيعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبد الله بن أمية وأمية بن خلف والعاصي بن وائل ونبيهًا ومنبهًا ابني الحجاج اجتمعوا فقالوا: يا محمد ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد سَبَبْتَ الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرّقت الجماعة فما

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

٣٥- ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ ﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويُريه أثمارها ولم يقل جنتيه إرادة للروضة، وقيل اكتفاء بالواحد ﴿ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ بالكفر ﴿ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ ﴾ تنعدم ﴿ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ ﴾ .

٣٦- ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى ﴾ في الآخرة على زعمك ﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾ مرجعا.

٣٧- ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ يجاوبه ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ لأن آدم خلق منه ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ منيّ ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰكَ ﴾ عدّلك وصيّرك ﴿ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ .

٣٨- ﴿ لَّٰكِنَّا۠ ﴾ أصله «لكن أنا» نقلت حركة الهمزة إلى النون، أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها ﴿ هُوَ ﴾ ضمير الشأن تفسره الجملة بعده، والمعنى: أنا أقول ﴿ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ .

٣٩- ﴿ وَلَوْلَآ ﴾ هلا ﴿ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ﴾ عند إعجابك بها: هذا ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ وفي الحديث «من أعطي خيرا من أهل أو مال فيقول عند ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم ير فيه مكروها» [1] ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ ﴾ ضمير فصل بين المفعولين ﴿ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾. ٤٠- ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ جواب الشرط ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا ﴾ جمع حسبانة أي صواعق ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾ أرضا ملساء لا يثبت عليها قدم. ٤١- ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا ﴾ بمعنى غائراً عطف على يرسل دون تصبح لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿ فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾ حيلة تدركه بها. ٤٢- ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ بأوجه الضبط السابقة. مع جنته بالهلاك فهلكت ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ ﴾ ندما وتحسرا ﴿ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ في عمارة جنته ﴿ وَهِىَ خَاوِيَةٌ ﴾ ساقطة ﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ دعائمها للكرم بأن سقطت ثم سقط الكرم ﴿ وَيَقُولُ يَٰ ﴾ للتنبيه ﴿ لَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾. ٤٣- ﴿ وَلَمْ تَكُن ﴾ بالتاء والياء ﴿ لَّهُۥ فِئَةٌ ﴾ جماعة ﴿ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ عند هلاكها ﴿ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ عند هلاكها بنفسه.

٤٤- ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ ٱلْوَلَٰيَةُ ﴾ بفتح الواو: النصرة، وبكسرها: الملك ﴿ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ بالرفع: صفة الولاية، وبالجرّ: صفة الجلالة ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ﴾ من ثواب غيره لو كان يثيب ﴿ وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ بضم القاف وسكونها عاقبة للمؤمنين، ونصبهما على التمييز.

٤٥- ﴿ وَٱضْرِبْ ﴾ صيّر ﴿ لَهُم ﴾ لقومك ﴿ مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ مفعول أول ﴿ كَمَآءٍ ﴾ مفعول ثان ﴿ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ ﴾ تكاثف بسبب نزول الماء ﴿ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴾ أو امتزج الماء بالنبات فَرَوِيَ وحَسُنَ ﴿ فَأَصْبَحَ ﴾ صار النبات ﴿ هَشِيمًا ﴾ يابسا متفرّقة أجزاؤه ﴿ تَذْرُوهُ ﴾ تنثره وتفرّقه ﴿ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ فتذهب به، المعنى: شبه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرّقته الرياح، وفي قراءة «الريح» ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ قادرا.

---

(١) وهو في «ضعيف الجامع» (٥٠٢٦).

ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى
ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ
أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ
حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ
لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ
بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا
﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ
فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾

٤٦- ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يتجمل بهما فيها ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، زاد بعضهم: ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾﴾ أي ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى.

٤٧- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ﴾ نذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثا. وفي قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمۡ نُغَادِرۡ﴾ نترك ﴿مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾﴾.

٤٨- ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا﴾ حال: أي مصطفين كل أمة صفّ ويقال لهم ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭ﴾ أي فرادى حفاة عراة غرلاً، ويقال لمنكري البعث ﴿بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَن﴾ مخففة من الثقيلة أي إنه ﴿لَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾﴾ للبعث.

٤٩- ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين، وفي شماله من الكافرين ﴿فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مُشۡفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾ عند معاينتهم ما فيه من السيئات ﴿يَٰ﴾ للتنبيه ﴿وَيۡلَتَنَا﴾ هلكتنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً﴾ من ذنوبنا ﴿إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ عدّها وأثبتها تعجبوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗا﴾ مثبتا في كتابهم ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾﴾ لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن.

٥٠- ﴿وَإِذۡ﴾ منصوب باذكر ﴿قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سجود انحناء – لاوضع جبهة – تحية له ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ قيل: هم نوع من الملائكة، فالاستثناء متصل. وقيل: هو منقطع وإبليس هو أبو الجنّ فله ذرية ذكرت معه بعد، والملائكة لا ذرّية لهم ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي خرج عن طاعته بترك السجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ الخطاب لآدم وذريته، والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ تطيعونهم ﴿وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ﴾ أي أعداء، حال ﴿بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾﴾ إبليس وذرّيته في إطاعتهم بدل إطاعة الله.

٥١- ﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾ أي إبليس وذرّيته ﴿خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي لم أحضر بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ﴾ الشياطين ﴿عَضُدٗا ﴿٥١﴾﴾ أعوانا في الخلق فكيف تطيعونهم؟.

٥٢- ﴿وَيَوۡمَ﴾ منصوب باذْكُرْ ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ﴾ الأوثان ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ لم يجيبوهم ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾﴾ واديا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا، وهو من وَبَق بالفتح: هلك.

٥٣- ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ﴾ أي أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي واقعون فيها ﴿وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾﴾ معدلاً.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا
إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ
الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم
مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

٥٤- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيّنّا ﴿فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لمحذوف: أي مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ﴾ أي الكافر ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ خصومة في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم كان، المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه. ٥٥- ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿أَن يُؤْمِنُوا﴾ مفعول ثان ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ فاعل: أي سنتنا فيهم وهي الإهلاك المقدّر عليهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ مقابلة وعيانا وهو القتل يوم بدر. وفي قراءة بضمتين جمع قبيل: أي أنواعا. ٥٦- ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مخوّفين للكافرين ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ بقولهم «أبعث الله بشرا رسولاً»؟ ونحوه ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ﴾ ليبطلوا بجدالهم ﴿الْحَقَّ﴾ القرآن ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ أي القرآن ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ به من النار ﴿هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ سخرية. ٥٧- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي أن يفهموا القرآن: أي فلا يفهمونه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلاً، فلا يسمعونه ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا﴾ أي بالجعل المذكور ﴿أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾. ٥٨- ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ فيها ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ ملجأ. ٥٩- ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ أي أهلها كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾ لإهلاكهم. وفي قراءة بفتح الميم: أي لهلاكهم ﴿مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾.

٦٠- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران ﴿لِفَتَاهُ﴾ يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العلم ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزال أسير ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق: أي المكان الجامع لذلك ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ دهرا طويلًا في بلوغه إن بعد. ٦١- ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ بين البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسي موسى تذكيره ﴿فَاتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ أي جعله بجعل الله ﴿سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ أي مثل السرب وهو الشق الطويل لا نفاذ له، وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت جري الماء فانجاب عنه فبقي كالكوة لم يلتئم وجمد ما تحته منه.

من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه قد غلب بذلنا أموالنا في طلب العلم حتى نبرئك منه، فقال رسول الله ﷺ ما بي ما تقولون ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتابًا، وأمرني أن أكون لكم مبشرًا ونذيرًا قالوا: فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادًا ولا أقل مالاً ولا أشد عيشًا منا فتسأل لنا ربنا الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من قد مضى من آبائنا فإن لم تفعل فسل ربك ملكًا يصدقك بما تقول، وأن يجعل لنا جنانًا وكنوزًا وقصورًا من ذهب وفضة نعينك بها على ما نراك تبتغي فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش، فإن لم تفعل فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل،

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

٦٢- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ وهو ما يؤكل أول النهار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴿٦٢﴾﴾ تعبا، وحصوله بعد المجاوزة. ٦٣- ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ﴾ أي تنبه ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ بذلك المكان ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يبدل من الهاء ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدل اشتمال أي أنسانِي ذكره ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴿٦٣﴾﴾ مفعول ثان أي يتعجب منه موسى وفتاه لما تقدم في بيانه. ٦٤- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي فقدنا الحوت ﴿مَا﴾ أي الذي ﴿كُنَّا نَبْغِ﴾ نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه ﴿فَٱرْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ يقصانها ﴿قَصَصًا﴿٦٤﴾﴾ فأتيا الصخرة. ٦٥- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هو الخضر ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ نبوّة في قول وولاية في آخر، وعليه أكثر العلماء ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ من قبلنا ﴿عِلْمًا﴿٦٥﴾﴾ مفعول ثان. أي معلوما من المغيبات. روى البخاري حديث «أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثَم، فأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه: يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعا رأسيهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت. فانطلقا بقيَّةَ يومهما وليلتهما، حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴿٦٣﴾﴾ قال: وكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا...» الخ[1]. ٦٦- ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴿٦٦﴾﴾ أي صوابا أرشد به. وفي قراءة بضم الراءوسكون الشين. وسأله ذلك لأن الزيادة في العلم مطلوبة. ٦٧- ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴿٦٧﴾﴾. ٦٨- ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴿٦٨﴾﴾ في الحديث السابق عقب هذه الآية «يا موسى إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه، وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه» وقوله «خبرا» مصدر بمعنى لم تحط: أي لم تخبر حقيقته. ٦٩- ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي﴾ أي وغير عاص ﴿لَكَ أَمْرًا﴿٦٩﴾﴾ تأمرني به وقيد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يثقوا إلى أنفسهم طرفة عيْن. ٧٠- ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي﴾ وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون ﴿عَن شَيْءٍ﴾ تنكره مني في علمك واصبر ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴿٧٠﴾﴾ أي أذكره لك بعلته فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم مع العالم. ٧١- ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ التي مرت بهما ﴿خَرَقَهَا﴾ الخضر بأن اقتلع لوحا أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللجج ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وفي قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع «أهلها» ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴿٧١﴾﴾ أي عظيما منكرا. روى أن الماء لم يدخلها. ٧٢- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴿٧٢﴾﴾. ٧٣- ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أي غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ تكلفني ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴿٧٣﴾﴾ مشقة في صحبتي إياك: أي عاملني فيها بالعفو واليسر.

٧٤- ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان أحسنهم وجها ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ الخضر بأن ذبحه بالسكين مضطجعا أو اقتلع رأسه بيده أو ضرب رأسه بالجدار – أقوال – وأتى هنا بالفاء العاطفة لأن القتل عقب اللقاء. وجواب «إذا» ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ﴾ أي طاهرة لم تبلغ حدّ التكليف وفي قراءة «زكِيَّة» بتشديد الياء بلا ألف ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي لم تقتل نفسا ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴿٧٤﴾﴾ بسكون الكاف وضمها: أي منكرا.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (أحاديث الأنبياء/ ٣٤٠١/فتح)، مسلم في (الفضائل/ ٢٣٨٠/عبد الباقي).

قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣)

٧٥- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥)﴾ زاد «لك» على ما قبله لعدم العذر هنا. ٧٦- ولهذا ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ لا تتركني أتبعك ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي﴾ بالتشديد والتخفيف. من قبلي ﴿عُذْرًا (٧٦)﴾ في مفارقتك لي. ٧٧- ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ طلبا منهم الطعام بضيافة ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ ارتفاعه مائة ذراع ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي يقرب أن يسقط لميلانه ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الخضر بيده ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ﴾ وفي قراءة ﴿لَاتَّخَذْتَ﴾ ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)﴾ جُعلا حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام. ٧٨- ﴿قَالَ﴾ له الخضر ﴿هَٰذَا فِرَاقُ﴾ أي وقت فراق ﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فيه إضافة «بين» إلى غير متعدد، سوغها تكريره بالعطف بالواو ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ قبل فراقي لك ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨)﴾. ٧٩- ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ عشرة ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ بها مؤاجرة لها طلبا للكسب ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم﴾ إذا رجعوا، أو أمامهم الآن ﴿مَّلِكٌ﴾ كافر ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَصْبًا (٧٩)﴾ نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ.

٨٠- ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠)﴾ فإنه كما في حديث مسلم «طبع كافرا ولو عاش لأرهقهما» ذلك لمحبتهما له يتبعانه في ذلك. ٨١- ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً﴾ أي صلاحا وتقى ﴿وَأَقْرَبَ﴾ منه ﴿رُحْمًا (٨١)﴾ بسكون الحاء وضمها. رحمة وهي البر بوالديه فأبدلهما تعالى جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا فهدى الله تعالى به أمة.

٨٢- ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ﴾ مال مدفون من ذهب وفضة ﴿لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فحفظا بصلاحه أنفسهما ومالهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي إيناس رشدهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ مفعول له، عامله «أراد» ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ أي ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ أي اختياري بل بأمر، وإلهام من الله ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)﴾ يقال اسطاع واستطاع بمعنى أطاق، ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين ونوعت العبارة في «فأردت فأردنا فأراد ربك». ٨٣- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي اليهود ﴿عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ اسمه الاسكندر ولم يكن نبيا ﴿قُلْ سَأَتْلُو﴾ سأقص ﴿عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾ من حاله ﴿ذِكْرًا (٨٣)﴾ خبرا.

فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل فقام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية، فقال: يا محمد: عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوك أن تعجل ما تخوّفهم به من العذاب، فوالله لا أومن بك أبدًا حتى تتخذ إلى السماء سلمًا ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة فيشهدوا لك أنك كما تقول فانصرف رسول الله ﷺ حزينًا فأنزل الله عليه ما قاله عبد الله بن أبي أمية ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ إلى قوله ﴿بَشَرًا رَّسُولًا﴾ وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير في قوله ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ قال: نزلت في أخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية، مرسل صحيح شاهد لما قبله يجبر المبهم في إسناده.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

٨٤- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبًا﴾ طريقا يوصله إلى مراده. ٨٥- ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ سلك طريقا نحو الغرب. ٨٦- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ موضع غروبها ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات حمأة وهي الطين الأسود، وغروبها في العين – في رأي العين – وإلا فهي أعظم من الدنيا ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ أي العين ﴿قَوْمًا﴾ كافرين ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ بإلهام ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ القوم بالقتل ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالأسر. ٨٧- ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ بالشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ نقتله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ بسكون الكاف وضمها: شديدا في النار. ٨٨- ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي الجنة – والإضافة للبيان – وفي قراءة بنصب «جزاء» وتنوينه، قال الفراء ونصبه على التفسير أي لجهة النسبة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي نأمره بما يسهل عليه. ٨٩- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ نحو المشرق. ٩٠- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ موضع طلوعها ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم الزنج ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾ أي الشمس ﴿سِتْرًا﴾ من لباس ولا سقف لأن أرضهم لا تحمل بناء ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها. ٩١- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الأمر كما قلنا ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما ﴿خُبْرًا﴾ علما. ٩٢- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

٩٣- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ بفتح السين وضمها، هنا وبعدهما، جبلان بمنقطع بلاد الترك سدّ الإسكندر ما بينهما – كما سيأتي – ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي أمامهما ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي لا يفهمونه إلا بعد بطء. وفي قراءة بضم الياء وكسر القاف. ٩٤- ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ بالهمز وتركه. هما اسمان أعجميان لقبيلتين. فلم ينصرفا ﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالنهب والبغي عند خروجهم إلينا ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ جعلاً من المال وفي قراءة «خراجا» ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزا فلا يصلوا إلينا. ٩٥- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ وفي قراءة بنونين من غير إدغام ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ من المال وغيره ﴿خَيْرٌ﴾ من خرجكم الذي تجعلونه لي فلا حاجة بي إليه، وأجعل لكم السد تبرعا ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لما أطلبه منكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ حاجزا حصينا. ٩٦- ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ قطعه على قدر الحجارة التي يبنى بها فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ بضم الحرفين وفتحهما، وضم الأول وسكون الثاني. أي جانبي الجبلين بالبناء ووضع المنافخ والنار حول ذلك ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ فنفخوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي الحديد ﴿نَارًا﴾ أي كالنار ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ هو النحاس المذاب. تنازع فيه الفعلان وحذف من الأول لإعمال الثاني، فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زبره فصارا شيئا واحدا.

٩٧- ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ خرقا لصلابته وسمكه.

أسباب نزول الآية ١١٠ – قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية، أخرج ابن مردويه وغيره عن ابن عباس قال: كان رسول الله بمكة ذات يوم، فدعا فقال في دعائه: يا الله يا رحمن، فقال المشركون انظروا إلى هذا الصابي، ينهانا أن ندعو إلهين وهو يدعو إلهين فأنزل الله ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ﴾ الآية.

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
حَقًّا (٩٨) ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ
فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا (١٠٠)
ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي مِن دُونِيٓ
أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ
أَعْمَٰلًا (١٠٣) ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ
فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ
جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَٰلِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي
لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ
إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟
لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا (١١٠)

٩٨- ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿هَٰذَا﴾ أي السد: أي الإقدار عليه ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ نعمة لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم القريب من البعث ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ مدكوكا مبسوطا ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقًّا (٩٨)﴾ كائنا قال تعالى: ٩٩- ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم خروجهم ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي القرن للبعث ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ﴾ أي الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمْعًا (٩٩)﴾. ١٠٠- ﴿وَعَرَضْنَا﴾ قرّبنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا (١٠٠)﴾. ١٠١- ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بدل من الكافرين ﴿فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي﴾ أي القرآن فهم عمي لا يهتدون به ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١)﴾ أي لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلوه عليهم بغضا له فلا يؤمنون به.

١٠٢- ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي﴾ أي ملائكتي وعيسى وعزيرا ﴿مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أربابا. مفعول ثان لـ«يتخذوا» والمفعول الثاني لـ«حسب» محذوف. المعنى: أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه؟ كلا ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا (١٠٢)﴾ أي هي معدة لهم كالمنزل المعد للضيف. ١٠٣- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا (١٠٣)﴾ تمييز طابق المميز وبينهم بقوله: ١٠٤- ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بطل عملهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ عملاً يجازون عليه. ١٠٥- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ أي وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بطلت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا (١٠٥)﴾ أي لا نجعل لهم قدرا. ١٠٦- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره، مبتدأ خبره ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ أي مهزوءا بهما. ١٠٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ هو وسط الجنة وأعلاها. والإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا (١٠٧)﴾ منزلاً. ١٠٨- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)﴾ تحولًا إلى غيرها. ١٠٩- ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾ أي ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ هو ما يكتب به ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ الدالة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ في كتابتها ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ بالتاء والياء: تفرغ ﴿كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ أي البحر ﴿مَدَدًا (١٠٩)﴾ زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هي، ونصبه على التمييز. ١١٠- ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ «أن» المكفوفة بـ«ما» باقية على مصدريتها، والمعنى: يُوحَى إليّ وحدانيةُ الإله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟﴾ يأمل ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي فيها بأن يرائي ﴿أَحَدًۢا (١١٠)﴾.

أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس في قوله ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ﴾ قال: نزلت ورسول الله ﷺ مُختفٍ وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فكان المشركون إذا سمعوا القرآن سبوه ومن أنزله ومن جاء به فنزلت وأخرج البخاري أيضًا عن عائشة: أنها نزلت في الدعاء وأخرج ابن جرير من طريق ابن عباس مثله ثم رجح الأولى لكونها أصح سندًا، وكذا رجحها النووي وغيره، وقال الحافظ ابن حجر: لكن يحتمل الجمع بينهما

سُورَةُ مَرْيَمَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ
مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا
۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١

سورة مريم

[مكية إلا آيتي ٥٨، ٧١ فمدنيتان وآياتها ٩٨ أو ٩٩ نزلت بعد فاطر]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

٢ - هذا ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾ مفعول رحمة ﴿زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ بيان له. ٣- ﴿إِذْ﴾ متعلق برحمة ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً﴾ مشتملا على دعاء ﴿خَفِيًّا ۝٣﴾ سرًّا في جوف الليل لأنه أسرع للإجابة. ٤- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾ ضعف ﴿ٱلْعَظْمُ﴾ جميعه ﴿مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ مني ﴿شَيْبًا﴾ تمييز محوّل عن الفاعل: أي انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوكَ ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ أي بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ أي خائبا فيما مضى فلا تخيّبني فيما يأتي.

٥ - ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ أي الذين يلونني في النسب كبني العمّ ﴿مِن وَرَآءِي﴾ أي بعد موتي على الدين أن يضيعوه كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا ۝٥﴾ ابنا.

٦ - ﴿يَرِثُنِي﴾ بالجزم جواب الأمر، وبالرفع صفة «وليا» ﴿وَيَرِثُ﴾ بالوجهين ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ جدّي: العلم والنبوة ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ أي مرضيا عندك. قال تعالى في إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته:

٧- ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ يرث كما سألت ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ أي مسمى بيحيى.

٨- ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ من عتا يبس: أي نهاية السنّ مائة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمانيةً وتسعين سنة، وأصل عِتِيٍّ: عُتُوٌّ، وكسرت التاء تخفيفا، وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة، والثانية ياء لتدغم فيها الياء. ٩- ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ من خلق غلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي بأن أردّ عليك قوّة الجماع، وأفتق رحم امرأتك للعلوق ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ قبل خلقك، ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها. ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشَّر به. ١٠- ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ أي بأيامها كما في آل عمران «ثلاثة أيام» ﴿سَوِيًّا ۝١٠﴾ حال من فاعل «تكلم» أي بلا علة. ١١- ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره على العـادة ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ أشـار ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ أوائل النهار وأواخره على العادة، فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى. وبعد ولادته بسنتين قال تعالى له.

بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة، وقد أخرج ابن مردويه من حديث أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى عند البيت رفع صوته بالدعاء فنزلت وأخرج ابن جرير والحاكم عن عائشة قالت: نزلت هذه الآية في التشهد وهي مبينة لمرادها في الرواية السابقة ولابن منيع من مسنده عن ابن عباس كانوا يجهزون بالدعاء: اللهم ارحمني فنزلت فأمروا أن لا يخافتوا ولا يجهروا.

◙ أسباب نزول الآية ١١١ - قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الآية أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولدًا وقالت العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل فأنزل الله ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ﴾.

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾
وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ
وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ
بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾

١٢- ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي التوراة ﴿بِقُوَّةٖ﴾ بجد ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ﴾ النبوة ﴿صَبِيّٗا﴾ ابن ثلاث سنين.(١) ١٣- ﴿وَحَنَانٗا﴾ رحمة للناس ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَوٰةٗ﴾ صدقة عليهم ﴿وَكَانَ تَقِيّٗا﴾ رويَ أنه لم يعمل خطيئة ولم يهمّ بها. ١٤- ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ أي محسنا إليهما ﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبرا ﴿عَصِيّٗا﴾ عاصيا لربه. ١٥- ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ أي في هذه الأيام المخوفة التي يرى فيها ما لم يره قبلها، فهو آمن فيها. ١٦- ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿مَرۡيَمَ﴾ أي خبرها ﴿إِذِ﴾ حين ﴿ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ أي اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار. ١٧- ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ أرسلت سترا تستتر به لتفلي رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ تامّ الخلق. ١٨- ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ فتنتهي عني بتعوّذي. ١٩- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ بالنبوة. ٢٠- ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾ بتزوّج ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ زانية. ٢١- ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾ من خلق غلام منك من غير أب ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ أي بأن ينفخ بأمري جبريل فيك فتحملي به ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ على قدرتنا ﴿وَرَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ به في علمي، فنفخ جبريل في جيب درعها فأحسّت بالحمل في بطنها مصوّرا. ٢٢- ﴿۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ﴾ تنحّت ﴿بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾ بعيدا من أهلها. ٢٣- ﴿فَأَجَآءَهَا﴾ جاء بها ﴿ٱلۡمَخَاضُ﴾ وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ لتعتمد عليه فولدت والحمل والتصوير والولادة في ساعة ﴿قَالَتۡ يَٰ﴾ للتنبيه ﴿لَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ الأمر ﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر. ٢٤- ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ أي جبريل وكان أسفل منها ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ نهر ماء كان قد انقطع. ٢٥- ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ كانت يابسة، والباء زائدة ﴿تُسَٰقِطۡ﴾ أصله بتاءين، قلبت الثانية سينا وأدغمت في السين، وفي قراءة تركها ﴿عَلَيۡكِ رُطَبٗا﴾ تمييز ﴿جَنِيّٗا﴾ صفته.

(سورة الكهف)

أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه كان لهم أمر عجيب. وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو؟ فأقبلا حتى قدما على قريش، فقالا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، فجاؤوا رسول الله ﷺ فسألوه فقال أخبركم غدًا بما سألتم عنه ولم يستثن، فانصرفوا ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف

(١) قلت: هذا لا دليل عليه.

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

٢٦- ﴿فَكُلِي﴾ من الرطب ﴿وَاشْرَبِي﴾ من السريّ ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بالولد، تمييز محوّل من الفاعل أي لتقرّ عينك به أي تسكن فلا تطمح إلى غيره ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تَرَيِنَّ﴾ حذفت منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فيسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي إمساكا عن الكلام في شأنه وغيره من الأناسي، بدليل ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ أي بعد ذلك. ٢٧- ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ حال فرأوه ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ عظيما حيث أتيت بولد من غير أب. ٢٨- ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ هو رجل صالح: أي يا شبيهته في العفة ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ أي زانيا ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ أي زانية، فمن أين لك هذا الولد؟.
٢٩- ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾ أن كلموه ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ أي وجد ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾. ٣٠- ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ أي الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾. ٣١- ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي نفاعا للناس: إخبار بما كتب له ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ أمرني بهما ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾. ٣٢- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ منصوب بـ«جعلني» مقدّرا ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متعاظما ﴿شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ عاصيا لربه. ٣٣- ﴿وَالسَّلَامُ﴾ من الله ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ يقال فيه ما تقدّم في السيد يحيى. ٣٤- ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾ بالرفع خبر مبتدأ مقدّر: أي قول ابن مريم. وبالنصب بتقدير قلت، والمعنى: القول الحق ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ من المرية: أي يشكون وهم النصارى، قالوا: إن عيسى ابن الله كذبوا. ٣٥- ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عن ذلك ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي أراد أن يحدثه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ بالرفع بتقدير «هو»، وبالنصب بتقدير «أن» ومن ذلك خلق عيسى من غير أب. ٣٦- ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ بفتح أن بتقدير اذكر، وبكسرها بتقدير قل بدليل ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ و﴿هَٰذَا﴾ المذكور ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ مؤد إلى الجنة. ٣٧- ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي النصارى في عيسى: أهو ابن الله، أو إله معه، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ فشدّة عذاب ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بما ذكر وغيره ﴿مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ أي حضور يوم القيامة وأهواله. ٣٨- ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ بهم: صيغة تعجب بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخرة ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿الْيَوْمَ﴾ أي في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي بيّن، به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره: أي أعجبْ منهم يا مخاطب في سمعهم وأبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صمًّا عميا.

فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام والنضر بن الحارث وأمية بن خلف والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأبو البحتري في نفر من قريش وكان رسول الله ﷺ قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه إياه، وإنكارهم ما جاء به من النصيحة فأحزنه حزنًا شديدًا فأنزل الله ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾ الآية. وأخرج ابن مردويه أيضًا عن ابن عباس قال: نزلت ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ فقيل يا رسول الله: سنين أو شهورًا؟ فانزل الله ﴿سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾.

وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ (٤٠) وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا (٤١) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا (٤٢) يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا (٤٣) يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا (٤٤) يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا (٤٦) قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا (٤٧) وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا (٤٨) فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا (٤٩) وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا (٥٠) وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا (٥١)

٣٩- ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ﴾ خوِّف يا محمد ﷺ كفار مكة ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾ هو يوم القيامة يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمۡ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفۡلَةٖ﴾ عنه ﴿وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (٣٩)﴾ به. ٤٠- ﴿إِنَّا نَحۡنُ﴾ تأكيد ﴿نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا﴾ من العقلاء وغيرهم بإهلاكهم ﴿وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ (٤٠)﴾ فيه للجزاء. ٤١- ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ لهم ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ أي خبره ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا﴾ مبالغا في الصدق ﴿نَّبِيًّا (٤١)﴾ ويبدل من خبره. ٤٢- ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ﴾ لا يكفيك ﴿شَيۡـٔٗا (٤٢)﴾ من نفع أو ضرّ؟. ٤٣- ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا﴾ طريقا ﴿سَوِيّٗا (٤٣)﴾ مستقيما. ٤٤- ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا (٤٤)﴾ كثير العصيان. ٤٥- ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ إن لم تتب ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا (٤٥)﴾ ناصرا وقرينا في النار. ٤٦- ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ﴾ فتعيبها ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾ عن التعرّض لها ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾ بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرني ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا (٤٦)﴾ دهرا طويلاً. ٤٧- ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾ منِّي أي لا أصيبك بمكروه ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا (٤٧)﴾ من حفي: أي بارًّا فيجيب دعائي، وقد وفى بوعده المذكور في الشعراء « واغفر لأبي » وهذا قبل أن يتبيَّن له أنه عدوّ لله، كما ذكره في براءة. ٤٨- ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ﴾ أعبد ﴿رَبِّي عَسَىٰٓ أَ﴾ ن ﴿لَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي﴾ بعبادته ﴿شَقِيّٗا (٤٨)﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام.

٤٩- ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدّسة ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥٓ﴾ ابنين يأنس بهما ﴿إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا﴾ منهما ﴿جَعَلۡنَا نَبِيّٗا (٤٩)﴾. ٥٠- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم﴾ للثلاثة ﴿مِّن رَّحۡمَتِنَا﴾ المال والولد ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا (٥٠)﴾ رفيعا هو الثناء الحسن في جميع أهل الأديان. ٥١- ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾ بكسر اللام وفتحها، من أخلص في عبادته وخلصه الله من الدنس ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا (٥١)﴾.

◙ أسباب نزول الآية ٢٣ - وأخرج ابن جرير عن الضحاك. وأخرجه ابن مردويه أيضًا عن ابن عباس قال: حلف النبي ﷺ على يمين فمضى له أربعون ليلة. فأنزل الله ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾.

◙ أسباب نزول الآية ٢٨ - قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ الآية تقدّم سبب نزولها في سورة الأنعام في حديث خباب، قوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعۡ﴾ الآية، أخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه الله: من طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة فنزلت، وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال: حدثنا أن النبي ﷺ تصدى لأمية بن خلف وهو ساه غافل عما يقال له فنزلت، وأخرج عن أبي هريرة قال: دخل عيينة بن حصن على النبي ﷺ وعنده سلمان، فقال عيينة: إذا نحن أتيناك فأخرج هذا وأدخلنا فنزلت.

◙ أسباب نزول الآية ١٠٩ - قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ﴾ الآية أخـ ـج الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: قالت قريش

وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن
رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ
صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ
خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا
﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ
وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ
بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ
وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ
أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾

٣٠٩

٥٢- ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ بقول ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ اسم الجبل ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ أي الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴿٥٢﴾﴾ مناجيا بأن أسمعه الله تعالى كلامه. ٥٣- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ﴾ نعمتنا ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿نَبِيّٗا﴿٥٣﴾﴾ حال هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه وكان أسنّ منه.

٥٤- ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ لم يعد شيئا إلا وفى به، وانتظر مَنْ وعده ثلاثة أيام أو حولاً حتى رجع إليه في مكانه ﴿وَكَانَ رَسُولٗا﴾ إلى جرهم ﴿نَّبِيّٗا﴿٥٤﴾﴾

٥٥- ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ﴾ أي قومه ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴿٥٥﴾﴾ أصله «مَرْضُووٌ» قلبت الواوان ياءين والضمة كسرة. ٥٦- ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ﴾ هو جـدّ أبي نوح ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴿٥٦﴾﴾. ٥٧- ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴿٥٧﴾﴾ هو حيّ في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة أو في الجنة: أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيي ولم يخرج منها.

٥٨- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ صفة له ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بيان له، وهو في معنى الصفة وما بعده إلى جملة الشرط صفة للنبيين فقوله ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ أي إدريس ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾ في السفينة: أي إبراهيم ابن ابنه سام ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَ﴾ من ذرية ﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ وهو يعقوب: أي موسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ أي من جملتهم، وخبر أولئك: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا﴿٥٨﴾﴾ جمع ساجد وباك: أي فكونوا مثلهم وأصل بكي: بكوي، قلبت الواو ياء والضمة كسرة. ٥٩- ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بتركها كاليهود والنصارى ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ من المعاصي ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴿٥٩﴾﴾ هو واد في جهنم: أي يقعون فيه.

٦٠- ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾ ينقصون ﴿شَيۡـٔٗا﴿٦٠﴾﴾ من ثوابهم. ٦١- ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ إقامة، بدل من الجنة ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ حال: أي غائبين عنها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ أي موعوده ﴿مَأۡتِيّٗا﴿٦١﴾﴾ بمعنى آتيا، وأصله «مأتوي» أو موعوده هنا الجنة يأتيه أهله.

٦٢- ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ من الكلام ﴿إِلَّا﴾ لكن يسمعون ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾ من الملائكة عليهم، أو من بعضهم على بعض ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴿٦٢﴾﴾ أي على قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبدا. ٦٣- ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ﴾ نعطي وننزل ﴿مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴿٦٣﴾﴾ بطاعته. ٦٤- ونزل لما تأخر الوحي أياما وقال النبي ﷺ لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا﴾ أي أمامنا من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلۡفَنَا﴾ من أمور الدنيا ﴿وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ﴾ أي ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة: أي له علم ذلك جميعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴿٦٤﴾﴾ بمعنى ناسيا: أي تاركا له بتأخير الوحي عنك.

لليهود أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل؟ فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه فنزلت ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ وقالت اليهود أوتينا علمًا كثيرًا، فنزلت ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ الآية.

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ
هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ
أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ
وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ
أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن
كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا
وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ
وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

٣١٠

٦٥- هو ﴿رَّبُّ﴾ مالك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ أي اصبر عليها ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ أي مسمى بذلك لا. ٦٦- ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ المنكر للبعث أبيّ بن خلف أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية ﴿أَءِذَا﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال الألف بينهما بوجهيها وبين الأخرى ﴿مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ من القبر كما يقول محمد ﷺ فالاستفهام بمعنى النفي: أي لا أحيا بعد الموت، و«ما» زائدة للتأكيد وكذا اللام، وردّ عليه بقوله تعالى: ٦٧- ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أصله «يتذكر» أبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذال. وفي قراءة تركها وسكون الذال وضم الكاف ﴿أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾ فيستدل بالابتداء على الإعادة. ٦٨- ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ﴾ أي المنكرين للبعث ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي نجمع كلاً منهم وشيطانه في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿جِثِيّٗا﴾ على الركب: جمع جاث، وأصله: جثوو، أو جثوي، من جثا يجثو، أو يجثي: لغتان. ٦٩- ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ فرقة منهم ﴿أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾ جراءة. ٧٠- ﴿ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا﴾ أحق بجهنم الأشد وغيره منهم ﴿صِلِيّٗا﴾ دخولاً واحتراقا فنبدأ بهم. وأصله «صلوى» من صلي، بكسر اللام وفتحها. ٧١- ﴿وَإِن﴾ أي ما ﴿مِّنكُمۡ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ أي داخل جهنم ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ حتمه وقضى به لا يتركه. ٧٢- ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ مشدّدا ومخففا ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ الشرك والكفر منها ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالشرك والكفر ﴿فِيهَا جِثِيّٗا﴾ على الركب. ٧٣- ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي المؤمنين والكافرين ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ واضحات حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ نحن وأنتم ﴿خَيۡرٞ مَّقَامٗا﴾ منزلاً ومسكنا: بالفتح من قام، وبالضم من أقام ﴿وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾ بمعنى النادي وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه، يعنون: نحن فنكون خيرا منكم. قال تعالى: ٧٤- ﴿وَكَمۡ﴾ أي كثيرا ﴿أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ﴾ أي أمّة من الأمم الماضية ﴿هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا﴾ مالاً ومتاعا ﴿وَرِءۡيٗا﴾ منظرا، من الرؤية، فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء. ٧٥- ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ شرط جوابه ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ﴾ بمعنى الخبر: أي يمدّ ﴿لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ في الدنيا يستدرجه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ﴾ كالقتل والأسر ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ المشتملة على جهنم فيدخلونها ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾ أعوانا أهم أم المؤمنون؟ وجندهم الشياطين، وجند المؤمنين عليهم الملائكة. ٧٦- ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ بالإيمان ﴿هُدٗىۗ﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي الطاعة تبقى لصاحبها ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا﴾ أي ما يردّ إليه ويرجع، بخلاف أعمال الكفار، والخيرية هنا في مقابلة قولهم «أيّ الفريقين خير مقاما».

◘ أسباب نزول الآية ١١٠- قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص عن طاوس قال: قال رجل: يا رسول الله إني أقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطني فلم يردّ عليه شيئاً حتى نزلت هذه الآية ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ مرسل وأخرجه الحاكم في المستدرك موصولاً عن طاوس عن ابن عباس وصححه على شرط الشيخين وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان رجل من المسلمين يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه، فأنزل الله ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الآية وأخرج أبو نعيم وابن

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
(٧٧) أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠) وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤)
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٨٧) وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا
(٩١) وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا (٩٥)

٣١١

٧٧- ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ العاصي بن وائل ﴿وَقَالَ﴾ لخباب بن الأرت القائل له تبعث بعد الموت والمطالب له بمال ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ على تقدير البعث ﴿مَالًا وَوَلَدًا (٧٧)﴾ فأقضيك. قال تعالى: ٧٨- ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ أي أعلمه؟ وأن يؤتى ما قاله، واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٧٨)﴾ بأن يؤتى ما قاله. ٧٩- ﴿كَلَّا﴾ أي لا يؤتى ذلك ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا (٧٩)﴾ نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره.

٨٠- ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا (٨٠)﴾ لا مال له ولا ولد. ٨١- ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الأوثان ﴿ءَالِهَةً﴾ يعبدونهم ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا (٨١)﴾ شفعاء عند الله بأن لا يعذبوا. ٨٢- ﴿كَلَّا﴾ أي لا مانع من عذابهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي ينفونها كما في آية أخرى ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)﴾ أعوانا وأعداء. ٨٣- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ سلطناهم ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ﴾ تهيجهم إلى المعاصي ﴿أَزًّا (٨٣)﴾. ٨٤- ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب العذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿عَدًّا (٨٤)﴾ إلى وقت عذابهم. ٨٥- اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥)﴾ جمع وافد بمعنى راكب. ٨٦- ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)﴾ جمع وارد بمعنى ماش عطشان. ٨٧- ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ أي الناس ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٨٧)﴾ أي شهادة أن لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. ٨٨- ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨)﴾ قال تعالى لهم: ٨٩- ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا (٨٩)﴾ أي منكرا عظيما.

٩٠- ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالتاء وتشديد الطاء بالانشقاق وفي قراءة بالنون ﴿مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا (٩٠)﴾ أي تنطبق عليهم من أجل: ٩١- ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١)﴾ قال تعالى: ٩٢- ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢)﴾ أي ما يليق به ذلك. ٩٣- ﴿إِن﴾ أي ما ﴿كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣)﴾ ذليلاً خاضعاً يوم القيامة منهم عزير وعيسى. ٩٤- ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤)﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم. ٩٥- ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا (٩٥)﴾ بلا مال ولا نصير يمنعه.

عساكر في تاريخه من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قال جندب بن زهير إذا صلى الرجل أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له فزاد في ذلك لمقالة الناس له، فنزلت في ذلك ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ الآية.

(سورة مريم)

■ أسباب نزول الآية ٦٤- قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية أخرج البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: أبطأ جبريل في النزول أربعين يومًا فذكر نحوه. وأخرج ابن مردويه عن أنس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أي البقاع أحب إلى الله وأبغض إلى الله؟ فقال: ما أدري حتى أسأل فنزل جبريل وكان قد أبطأ عليه فقال: لقد أبطأت علي حتى ظننت أن تُرى عليَّ موجدة، فقال ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية، وأخرج

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم
مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ
لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ
فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا
فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ
أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

٩٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴿٩٦﴾﴾ فيما بينهم يتوادّون ويتحابون ويحبهم الله تعالى. ٩٧- ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ العربيّ ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ الفائزين بالإيمان ﴿وَتُنذِرَ﴾ تخوّف ﴿بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴿٩٧﴾﴾ جمع ألدّ: أي جدل بالباطل، وهم كفار مكة. ٩٨- ﴿وَكَمۡ﴾ أي كثيرا ﴿أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ﴾ أي أمّة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ﴿هَلۡ تُحِسُّ﴾ تجد ﴿مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴿٩٨﴾﴾ صوتا خفيا؟ لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

سورة طه

[مكية إلا آيتي ١٢٠، ١٢١ فمدنيتان وآياتها خمس وثلاثون ومائة أو واثنتان نزلت بعد سورة مريم]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿طه﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ٢- ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴿٢﴾﴾ لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل، أي خفف عن نفسك. ٣- ﴿إِلَّا﴾ لكن أنزلناه ﴿تَذۡكِرَةٗ﴾ به ﴿لِّمَن يَخۡشَىٰ﴿٣﴾﴾ يخاف الله.

٤- ﴿تَنزِيلٗا﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له ﴿مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴿٤﴾﴾ جمع عليا، ككبرى وكُبَر. ٥- هو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ وهو في اللغة سرير الملك ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴿٥﴾﴾ استواء يليق به. ٦- ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ من المخلوقات ﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴿٦﴾﴾ هو التراب النديّ، والمراد الأرضون السبع، لأنها تحته. ٧- ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ في ذكر أو دعاء، فالله غني عن الجهر به ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴿٧﴾﴾ منه. أي ما حدّثت به النفس، وما خطر ولم تحدّث به فلا تجهد نفسك بالجهر. ٨- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴿٨﴾﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث، والحسنى مؤنث الأحسن. ٩- ﴿وَهَلۡ﴾ قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴿٩﴾﴾.
١٠- ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ﴾ لامرأته ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ هنا وذلك في مسيره من مدين طالبا مصر ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ﴾ أبصرت ﴿نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ بشعلة في رأس فتيلة أو عود ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴿١٠﴾﴾ أي هاديا يدلني على الطريق وكان أخطأها لظلمة الليل وقال «لعل» لعدم الجزم بوفاء الوعد. ١١- ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ وهي شجرة عوسج ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴿١١﴾﴾. ١٢- ﴿إِنِّيٓ﴾ بكسر الهمزة بتأويل نودي بقيل، وبفتحها بتقدير الباء ﴿أَنَا۠﴾ تأكيد لياء المتكلم ﴿رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ المطهر أو المبارك ﴿طُوٗى﴿١٢﴾﴾ بدل أو عطف بيان بالتنوين وتركه مصروف باعتبار المكان، وغير مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العلمية.

ابن إسحاق عن ابن عباس: أن قريشًا لما سألوه عن أصحاب الكهف مكث خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيًا، فلما نزل جبريل قال له: أبطأت فذكره.

■ أسباب نزول الآية ٧٧- قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الآية، أخرج الشيخان وغيرهما عن خباب بن الأرت قال: جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقًا لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث، قال: فإني لميت ثم لمبعوث؟ فقلت: نعم فقال: إن لي هناك مالاً وولدًا، فنزلت: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا﴾.

■ أسباب نزول الآية ٩٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أخرج ابن جريـــر عن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر إلى

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا
وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن
لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ
أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ
أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

١٣- ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ من قومك ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ إليك مني. ١٤- ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ فيها. ١٥- ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ عن الناس ويظهر لهم قربها بعلاماتها ﴿لِتُجۡزَىٰ﴾ فيها ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ به من خير أو شرّ. ١٦- ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ يصرفنك ﴿عَنۡهَا﴾ أي عن الإيمان بها ﴿مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إنكارها ﴿فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ أي فتهلك إن صددت عنها. ١٧- ﴿وَمَا تِلۡكَ﴾ كائنة ﴿بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها. ١٨- ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ﴾ أعتمد ﴿عَلَيۡهَا﴾ عند الوثوب والمشي ﴿وَأَهُشُّ﴾ أخبط ورق الشجر ﴿بِهَا﴾ ليسقط ﴿عَلَىٰ غَنَمِي﴾ فتأكله ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ﴾ جمع مأربة مثلث الراء: أي حوائج ﴿أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام، زاد في الجواب بيان حاجاته بها. ١٩- ﴿قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾. ٢٠- ﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ﴾ ثعبان عظيم ﴿تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ تمشي على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان - المعبر به فيها - في آية أخرى. ٢١- ﴿قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡ﴾ منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ منصوب بنزع الخافض: أي إلى حالتها ﴿ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ فأدخل يده في فمها فعادت عصا، وتبيّن أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتيها، وأري ذلك السيد موسى لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون. ٢٢- ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ﴾ اليمنى بمعنى الكفّ ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أي جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها ﴿تَخۡرُجۡ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ أي برص تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ وهي وبيضاء حالان من ضمير تخرج. ٢٣- ﴿لِنُرِيَكَ﴾ بها إذا فعلت ذلك لإظهارها ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ الآية ﴿ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾﴾ أي العظمى على رسالتك، وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه كما تقدّم وأخرجها. ٢٤- ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ رسولاً ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ ومن معه ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ جاوز الحدّ في كفره إلى ادّعاء الإلهية. ٢٥- ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾﴾ وسِّعه لتحمل الرسالة. ٢٦- ﴿وَيَسِّرۡ﴾ سهِّل ﴿لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾﴾ لأبلغها. ٢٧- ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾﴾ حدثت من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير. ٢٨- ﴿يَفۡقَهُواْ﴾ يفهموا ﴿قَوۡلِي ﴿٢٨﴾﴾ عند تبليغ الرسالة. ٢٩- ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا﴾ معينا عليها ﴿مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾﴾. ٣٠- ﴿هَٰرُونَ﴾ مفعول ثان ﴿أَخِي ﴿٣٠﴾﴾ عطف بيان. ٣١- ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾﴾ ظهري. ٣٢- ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾﴾ أي الرسالة، والفعلان بصيغتي الأمر والمضارع المجزوم وهو جواب الطلب. ٣٣- ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ﴾ تسبيحا ﴿كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾. ٣٤- ﴿وَنَذۡكُرَكَ﴾ ذكرا ﴿كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾. ٣٥- ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾﴾ عالما فأنعمت بالرسالة. ٣٦- ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ منّا عليك. ٣٧- ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾.

المدينة وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة: منهم شيبة وعتبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ قال: محبة في قلوب المؤمنين.

(سورة طه)

◙ أسباب نزول الآية ١ : أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان أول ما أنزل عليه الوحي يقوم على صدور قدميه إذا صلى، فأنزل الله ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن الربيع

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ
فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ
فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا
فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ
أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ
كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

٣٨- ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ مناما أو إلهاما لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾ في أمرك، ويبدل منه. ٣٩- ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ ألقيه ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ﴾ بالتابوت ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ بحر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ أي شاطئه، والأمر بمعنى الخبر ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ﴾ وهو فرعون ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ بعد أن أخذك ﴿عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ لتحب في الناس فأحبك فرعون وكل من رآك ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ تربى على رعايتي وحفظي لك.[1] ٤٠- ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿تَمْشِىٓ أُخْتُكَ﴾ مريم لتتعرّف خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهن ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ﴾ فأجيبت فجاءت بأمّه فقبل ثديها ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ ۚ﴾ حينئذ ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ هو القبطي بمصر، فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ﴾ اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ عشرا ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ بعد مجيئك إليها من مصر عند شعيب النبيّ وتزوّجك بابنته ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ في علمي بالرسالة وهو أربعون سنة من عمرك ﴿يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾. ٤١- ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾ اخترتك ﴿لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ بالرسالة. ٤٢- ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ إلى الناس ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ التسع ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ تفترا ﴿فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾﴾ بتسبيح وغيره. ٤٣- ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ بادّعائه الربوبية. ٤٤- ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ في رجوعه عن ذلك ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ الله فيرجع، والترجي بالنسبة إليهما لعلمه تعالى بأنه لا يرجع. ٤٥- ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ أي يعجل بالعقوبة ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾علينا أي يتكبر.

٤٦- ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ بعوني ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقول ﴿وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ما يفعل. ٤٧- ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى الشام ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ﴾ أي خلّ عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾ بحجة ﴿مِّن رَّبِّكَ ۖ﴾ على صدقنا بالرسالة ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ أي السلامة له من العذاب. ٤٨- ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ ما جئنا به ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ أعرض عنه، فأتياه وقالا جميع ما ذكر. ٤٩- ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ اقتصر عليه لأنه الأصل ولإدلاله عليه بالتربية. ٥٠- ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الخلق ﴿خَلْقَهُۥ﴾ الذي هو عليه متميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك. ٥١- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان.

ابن أنس قال: قالوا: كان النبي ﷺ يراوح بين قدميه ليقوم على كل رجل حتى نزلت ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لقد شقي هذا الرجل بربه، فأنزل الله ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ١٠٥ - قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ الآية أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: قالت قريش: يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ الآية.

---

(١) انظر للأهمية اختصاري لابن كثير (٥٧٩/٢).

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ
وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا
خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ
أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا
مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ
فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا
سُوٗى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ
وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ
ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم
مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ
كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾

٥٢- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عِلۡمُهَا﴾ أي علم حالهم محفوظ ﴿عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖ﴾ هو اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ يغيب ﴿رَبِّي﴾ عن شيء ﴿وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ ربي شيئا.

٥٣- هو ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جملة الخلق ﴿ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾ فراشا ﴿وَسَلَكَ﴾ سهّل ﴿لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾ طرقا ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ مطرا. قال تعالى تتميما لما وصفه به موسى وخطابا لأهل مكة ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا﴾ أصنافا ﴿مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ صفة أزواجا: أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما. وشتى: جمع شتيت، كمريض ومرضى، من شتّ الأمر: تفرّق.

٥٤- ﴿كُلُواْ﴾ منها ﴿وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ﴾ فيها جمع نَعم وهي الإبل والبقر والغنم، يقال: رعت الأنعام ورعيتها، والأمر للإباحة وتذكير النعمة، والجملة حال من ضمير أخرجنا: أي مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور هنا ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ لعبرا ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ لأصحاب العقول، جمع نُهية، كغُرْفة وغُرَف، سمي به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح.

٥٥- ﴿۞ مِنۡهَا﴾ أي من الأرض ﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً﴾ مرّة ﴿أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

٥٦- ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ﴾ أي أبصرنا فرعون ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم أنه سحر ﴿وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ أن يوحِّد الله تعالى.

٥٧- ﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا﴾ مصر، ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾.

٥٨- ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ يعارضه ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا﴾ لذلك ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا﴾ منصوب بنزع الخافض في ﴿سُوٗى ﴿٥٨﴾﴾ بكسر أوله وضمه: أي وسطا تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين.

٥٩- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضُحٗى ﴿٥٩﴾﴾ وقته للنظر فيما يقع.

٦٠- ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ﴾ أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾ أي ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ بهم الموعد.

٦١- ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ وهم اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا ﴿وَيۡلَكُمۡ﴾ أي ألزمكم الله الويل ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ بإشراك أحد معه ﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾ بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما: أي يهلككم ﴿بِعَذَابٖ﴾ من عنده ﴿وَقَدۡ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ كذَبَ على الله.

٦٢- ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ في موسى وأخيه ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ أي الكلام بينهم فيهما.

٦٣- ﴿قَالُوٓاْ﴾ لأنفسهم ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ﴾ وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالألف في أحواله الثلاث ولأبي عمرو: هذين ﴿لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ مؤنث أمثل بمعنى أشرف: أي بأشرافكم بميلهم إليهما لغلبتهما.

٦٤- ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾ من السحر، بهمزة وصل وفتح الميم من «جَمَع» أي لَمَّ. وبهمزة قطع وكسر الميم من «أَجْمَع»: أحكم ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾ حال: أي مصطفين ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ﴾ فاز ﴿ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ غلب.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ
﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ
كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ
لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا
عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ
عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

٦٥- ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ اختر ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ عصاك أي أوّلاً ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾ عصاه. ٦٦- ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ﴾ فألقوا ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ﴾ أصله «عصوو» قلبت الواوان ياءين وكسرت العين والصاد ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا﴾ حيات ﴿تَسۡعَىٰ﴾ على بطونها. ٦٧- ﴿فَأَوۡجَسَ﴾ أحسّ ﴿فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾ أي خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزته أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به.

٦٨- ﴿قُلۡنَا﴾ له ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ عليهم بالغَلَبة. ٦٩- ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ وهي عصاه ﴿تَلۡقَفۡ﴾ تبتلع ﴿مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖ﴾ أي جنسه ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ بسحره، فألقى موسى عصاه فتلقفت كلّ ما صنعوه.

٧٠- ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾ خرّوا ساجدين لله تعالى ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾. ٧١- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ءَامَنتُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا ﴿لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ معلمكم ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ حال بمعنى مختلفة أي الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ أي عليها ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ يعني نفسه وربّ موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾ أدوم على مخالفته.

٧٢- ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الدالة على صدق موسى ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَا﴾ خلقنا، قسم أو عطف على ما ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ أي اصنع ما قلته ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ النصب على الاتساع: أي فيها وتجزى عليه في الآخرة. ٧٣- ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِ﴾ تعلما وعملاً لمعارضة موسى ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾ منك ثوابا إذا أطيع ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ منك عذابا إذا عصي. ٧٤- قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾ كافرا كفرعون ﴿فَإِنَّ لَهُۥ﴾ نار ﴿جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ حياة تنفعه.

٧٥- ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الفرائض والنوافل ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾ جمع «عُلْيا» مؤنث أعلى.

٧٦- ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ أي إقامة بيان له ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهّر من الذنوب.

■ **أسباب نزول الآية ١١٤**- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه فيخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظه فأنزل الله ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ الآية وتقدم في سورة النساء سبب آخر وهذا أصح.

■ **أسباب نزول الآية ١٣١**- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ الآية، أخرج ابن أبي شيبة وابن مردويه والبزار وأبو يعلي عن أبي رافع قال: أضاف النبي ﷺ ضيفًا فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسلفني دقيقًا إلى هلال رجب فقال: لا إلا برهن فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ
ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾

٧٧- ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ بهمزة قطع من «أسرى» وبهمزة وصل وكسر النون من «سرى» لغتان: أي أسر بهم ليــلاً من أرض مصـــر ﴿فَٱضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُمْ﴾ بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي يابسا فامتثل ما أمر به وأيبس الله الأرض فمرّوا فيها ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ أي أن يدركك فرعون ﴿وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ غرقا.

٧٨- ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وهو معهم ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾ أي البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ فأغرقهم معه.

٧٩- ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ بل أوقعهم في الهلاك، خلاف قوله ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

٨٠- ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون بإغراقه ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ فنؤتي موسى التوراة للعمل بها ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾ هما الترنجبين والطير السماني، بتخفيف الميم والقصر، والمنادى من وجد من اليهود زمن النبي ﷺ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقوله تعالى لهم:

٨١- ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أي المنعم به عليكم ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ بكسر الحاء: أي يجب، وبضمها: أي ينزل ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى﴾ بكسر اللام وضمها ﴿فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ سقط في النار.

٨٢- ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ وحّد الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يصدق بالفرض والنفل ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ باستمراره على ما ذكر إلى موته.

٨٣- ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ لمجيء ميعاد أخذ التوراة ﴿يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾.

٨٤- ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ﴾ أي بالقرب مني، يأتون ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ عني: أي زيادة في رضاك وقبل الجواب أتى بالاعتذار على حسب ظنه وتخلف المظنون لما.

٨٥- ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ أي بعد فراقك لهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾ فعبدوا العجل.

٨٦- ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا ۚ﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ﴾ أي صدقا أنه يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ مدّة مفارقتي إياكـــم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العجل ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾ وتركتم المجيء بعدي.

٨٧- ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ مثلث الميم: أي بقدرتنا أو أمرنا ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾ بفتح الحاء مخففا، وبضمها وكسر الميم مشدّدا ﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالا ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي حلي قوم فرعون استعارها منهم بنو إسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ طرحناها في النار بأمر السامريّ ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾﴾ ما معه من حليهم ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ
إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

٨٨- ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الحليّ ﴿جَسَدًا﴾ لحما ودما ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي صوت يسمع: أي انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثره الحياة فيما يوضع فيه، ووضعه بعد صوغه في فمه ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي السامريّ وأتباعه ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾ موسى ربه هنا وذهب يطلبه. قال تعالى:

٨٩- ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَ﴾ ن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي إنه ﴿لَّا يَرْجِعُ﴾ العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي لا يردّ لهم جوابا ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي دَفْعه ﴿وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ أي جَلْبه: أي فكيف يُتخذ إلها؟.

٩٠- ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل أن يرجع موسى ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ فيها.

٩١- ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ﴾ نزال ﴿عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ على عبادته مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾.

٩٢- ﴿قَالَ﴾ موسى بعد رجوعه ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾﴾ بعبادته.

٩٣-﴿أ﴾ ن ﴿لَّا تَتَّبِعَنِ ۖ﴾ لا زائدة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾ بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى.

٩٤- ﴿قَالَ﴾ هرون ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ بكسر الميم وفتحها: أراد أمي، وذكرها أعطف لقلبه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾ وكان أخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ﴾ وكان أخذ شعره بيمينه غضبا ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾ لو اتبعتك ولا بدّ أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وتغضب عليّ ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ تنتظر ﴿قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ فيما رأيته في ذلك.

٩٥- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ شأنك الداعي إلى ما صنعت ﴿يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾﴾.

٩٦- ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ بالياء والتاء: أي علمت ما لم يعلموه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِ﴾ حافر فرس ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ جبريل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ألقيتها في صورة العجل المصاغ ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ﴾ زينتْ ﴿لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ وألقي فيها أن آخذ قبضة من تراب ما ذكر وألقيها على ما لا روح له يصير له روح، ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلها فحدثتني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم.

٩٧- ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿فَٱذْهَبْ﴾ من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي مدّة حياتك ﴿أَن تَقُولَ﴾ لمن رأيته ﴿لَا مِسَاسَ ۖ﴾ أي لا تقربني، فكان يهيم في البرية وإذا مس أحدا أو مسه أحد حُمّا جميعا ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لعذابك ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بكسر اللام: أي لن تغيب عنه، وبفتحها: أي بل تبعث إليه ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ﴾ أصله «ظللت» بلامين أولاهما مكسورة حذفت تخفيفا: أي دمت ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ﴾ أي مقيما تعبده ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ نذرينّه في هواء البحر، وفعل موسى بعد ذبحه ما ذكره.

٩٨- ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ تميز محوّل عن الفاعل: أي وسع علمه كل شيء.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

٩٩- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما قصصنا عليك يا محمد ﷺ هذه القصة ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من الأمم ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ أعطيناك ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ قرآنا. ١٠٠- ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ حملًا ثقيلًا من الإثم. ١٠١- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي في عذاب الوزر ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ تمييز مفسر للضمير في «ساء» والمخصوص بالذم محذوف تقديره «وزرهم» واللام للبيان ويبدل من يوم القيامة. ١٠٢- ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الثانية. ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ عيونهم مع سواد وجوههم. ١٠٣- ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتساررون ﴿إِن﴾ ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ من الليالي بأيامها. ١٠٤- ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك: أي ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾ أعدلهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يستقلون لبثهم في الدنيا جدًا لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها.

١٠٥- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح.

١٠٦- ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ منبسطا ﴿صَفْصَفًا﴾ مستويا.

١٠٧- ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضا ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ ارتفاعا.

١٠٨- ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم إذ نسفت الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي الناس بعد القيام من القبور ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾ إلى المحشر بصوته وهو إسرافيل، يقول: هلموا إلى عرض الرحمن ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي لاتباعهم: أي لا يقدرون أن لا يتبعوا ﴿وَخَشَعَتِ﴾ سكنت ﴿ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها.

١٠٩- ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ أحدا ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أن يشفع له ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ بأن يقول: لا إله إلا الله.

١١٠- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ لا يعلمون ذلك.

١١١- ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ خضعت ﴿لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ أي الله ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي شركا.

١١٢- ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بزيادة في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بنقص من حسناته. ١١٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ معطوف على «كذلك نقص» أي مثل إنزال ما ذكر ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾ القرآن ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبرون.

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن
يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا
لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ
﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ
ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ
لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا
جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن
ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾

١١٤- ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ عما يقول المشركون ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ أي بقراءته ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾ أي يفرغ جبريل من إبلاغه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾﴾ أي بالقرآن، فكلما أنزل عليه شيء منه زاد به علمه.

١١٥- ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ وصّيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي قبل أكله منها ﴿فَنَسِيَ﴾ ترك عهدنا ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾﴾ حزما وصبرا عما نهيناه عنه.

١١٦- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ وهو أبو الجنّ كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم ﴿أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ عن السجود لآدم. قال: أنا خير منه.

١١٧- ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ﴾ حواء بالمدّ ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك، واقتصر على شقائه لأن الرجل يسعى على زوجته.

١١٨- ﴿إِنَّ لَكَ أَ﴾ ن ﴿لَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾.

١١٩- ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتح الهمزة وكسرها: عطف على اسم «إنّ» وجملتها ﴿لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا﴾ تعطش ﴿وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ لا يحصل لك حرّ شمس الضحى لانتفاء الشمس في الجنة.

١٢٠- ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ﴾ أي التي يخلد من يأكل منها ﴿وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ لا يفنى وهو لازم الخلد.

١٢١- ﴿فَأَكَلَا﴾ أي آدم وحوّاء ﴿مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ أي ظهر لكل منهما قُبله وقُبل الآخر ودُبره، وسمي كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ﴾ أخذا يلزقان ﴿عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ بالأكل من الشجرة.

١٢٢- ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ قرّبه ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ قَبل توبته ﴿وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ أي هداه إلى المداومة على التوبة.

١٢٣- ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا﴾ أي آدم وحوّاء بما اشتملتما عليه من ذرّيتكما ﴿مِنۡهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ من ظلم بعضهم بعضا ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾ أي القرآن ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ في الآخرة.

١٢٤- ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾ أي القرآن فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة، وفسرت في حديث بعذاب الكافر في قبره ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ﴾ أي المعرض عن القرآن ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ أي أعمى البصر.

١٢٥- ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾﴾ في الدنيا وعند البعث.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

١٢٦- ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ الأمر ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ تركتها ولم تؤمن بها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ تترك في النار.

١٢٧- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أشرك ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ أدوم.

١٢٨- ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ يتبين ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿كَمْ﴾ خبرية مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ أي كثيرا إهلاكنا ﴿قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ أي الأمم الماضية بتكذيب الرسل ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير لهم ﴿فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا، وما ذكر من أخذ «إهلاك» من فعله الخالي عن حرف مصدري لرعاية المعنى لا مانع منه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ لعبرا ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ لذوي العقول.

١٢٩- ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ الإهلاك ﴿لِزَامًا﴾ لازما لهم في الدنيا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ مضروب لهم معطوف على الضمير المستتر في «كان» وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد.

١٣٠- ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ منسوخ بآية القتال ﴿وَسَبِّحْ﴾ صلّ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ حال أي ملتبسا به ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾ صلّ المغرب والعشاء ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ عطف على محل «من آناء» المنصوب: أي صلّ الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ بما تعطى من الثواب.

١٣١- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافا ﴿مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ زينتها وبهجتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ بأن يطغوا ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ مما أوتوه في الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ أدوم.

١٣٢- ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ﴾ اصبر ﴿عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ﴾ نكلفك ﴿رِزْقًا﴾ لنفسك ولا لغيرك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ الجنة ﴿لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ لأهلها.

١٣٣- ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي المشركون ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد ﷺ ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ مما يقترحونه ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ بالتاء والياء ﴿بَيِّنَةُ﴾ بيان ﴿مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾ المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

١٣٤- ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ قبل محمد الرسول ﷺ ﴿لَقَالُوا۟﴾ يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المرسل بها ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ في القيامة ﴿وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ في جهنم. ١٣٥- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ في القيامة ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾ الطريق ﴿ٱلسَّوِىِّ﴾ المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾ من الضلالة أنحن أم أنتم؟.

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ
افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

٣٢٢

سورة الأنبياء

[مكية وآياتها مائة واثنتا عشرة آية، نزلت بعد سورة إبراهيم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ - ﴿اقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة منكري البعث ﴿حِسَابُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ عن التأهب له بالإيمان.

٢ - ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ شيئا فشيئا أي لفظ قرآن ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ يستهزئون.

٣ - ﴿لَاهِيَةً﴾ غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن معناه ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ الكلام ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من واو «وأسروا النجوى» ﴿هَلْ هَٰذَا﴾ أي محمد ﷺ ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فما يأتي به سحر ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ تتبعونه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ تعلمون أنه سحر.

٤ - ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائنا ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما أسروه ﴿الْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾ به.

٥ - ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوا﴾ فيما أتى به من القرآن هو ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أخلاط رآها في النوم ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به شعر ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ كالناقة والعصا واليد. قال تعالى:

٦ - ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ لا.

٧ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي﴾ وفي قراءة بالياء وفتح الحاء ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ.

٨ - ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ الرسل ﴿جَسَدًا﴾ بمعنى أجسادا ﴿لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾﴾ في الدنيا.

٩ - ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ﴾ المصدقين لهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾ المكذبين لهم.

١٠ - ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ لأنه بلغتكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ فتؤمنوا به.

(سورة الأنبياء)

■ **أسباب نزول الآية ٦:** أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قال أهل مكة للنبي ﷺ إن كان ما تقول حقًا ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهبًا، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم ينظروا وإن شئت استأنيت بقومك، فأنزل الله ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ (١١) فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢)
لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْـَٔلُونَ (١٣) قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ (١٥) وَمَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا
لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ
عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
(١٨) وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ
(٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ (٢٣) أَمِ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ
وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٤)

١١- ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ أهلكنا ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرة ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾.

١٢- ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين.

١٣- فقالت لهم الملائكة استهزاء ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ﴾ نعمتم ﴿فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ شيئا من دنياكم على العادة.

١٤- ﴿قَالُواْ يَٰ﴾ للتنبيه هلاكنا ﴿وَيْلَنَآ﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بالفكر.

١٥- ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ الكلمات ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ يدعون بها ويردّدونها ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ كالزرع المحصود بالمناجل بأن قتلوا بالسيف ﴿خَٰمِدِينَ﴾ ميتين كخمود النار إذا طفئت.

١٦- ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ عابثين، بل دالّين على قدرتنا ونافعين عبادنا.

١٧- ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ما يلهى به من زوجة أو ولد ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ من عندنا من الحور العين والملائكة ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ذلك، لكنا لم نفعله فلم نُردْه.

١٨- ﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ نرمي ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ الكفر ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ يذهبه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ذاهب، ودَمَغَه في الأصل: أصاب دماغه بالضرب، وهو مقتل ﴿وَلَكُمُ﴾ يا كفار مكة ﴿ٱلْوَيْلُ﴾ العذاب الشديد ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الله به من الزوجة أو الولد.

١٩- ﴿وَلَهُۥ﴾ تعالى ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكا ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ أي الملائكة، مبتدأ خبره ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ لا يعيون.

٢٠- ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ عنه فهو منهم كالنفَس منا لا يشغلنا عنه شاغل.

٢١- ﴿أَمِ﴾ بمعنى بل للانتقال والهمزة للإنكار ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿هُمْ﴾ أي الآلهة ﴿يُنشِرُونَ﴾ أي يحيون الموتى لا ولا يكون إلهاً إلا من يحيي الموتى.

٢٢- ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾ أي السموات والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي غيره ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي خرجتا عن نظامهما المشاهَد، لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدّد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ تنزيه ﴿ٱللَّهِ رَبِّ﴾ خالق ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ الكرسي ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الكفارُ اللّهَ به من الشريك له وغيره.

٢٣- ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ عن أفعالهم.

٢٤- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ تعالى: أي سواه ﴿ءَالِهَةً﴾ فيه استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على ذلك ولا سبيل إليه ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ أمّتي وهو القرآن ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، ليس في واحد منها أنّ مع الله إلها مما قالوا، تعالى عن ذلك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ توحيد الله ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن النظر الموصل إليه.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ
بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم
بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ
وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ
﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ
جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ
يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ
ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ
ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ
ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

٢٥- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ﴾ وفي قراءة بالياء وفتح الحاء ﴿إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ أي وحّدوني.

٢٦- ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ من الملائكة ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ﴾ هم ﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ عنده والعبودية تنافي الولادة.

٢٧- ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي بعده.

٢٨- ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ ما عملوا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ تعالى أن يشفع له ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ﴾ تعالى ﴿مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ خائفون.

٢٩- ﴿۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾ أي الله: أي غيره وهو إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ المشركين.

٣٠- ﴿أَوَلَمۡ﴾ بواو وتركها ﴿يَرَ﴾ يعلم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ سدًا بمعنى مسدودة ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ جعلنا السماء سبعا والأرض سبعا، وفتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت وفتقُ الأرض: أن كانت لا تُنبــت فأنبتت ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ النازل من الســماء والنابع من الأرض ﴿كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ من نبات وغيره: أي فالماء سبب لحياته ﴿أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ بتوحيدي.

٣١- ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ثوابت لـــ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا﴾ الرواسي ﴿فِجَاجٗا﴾ مسالك ﴿سُبُلٗا﴾ بدل: طرقا نافذة واسعة ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار.

٣٢- ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا﴾ للأرض كالسقف للبيت ﴿مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ عن الوقوع ﴿وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لا شريك له.

٣٣- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه. من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم ﴿فِي فَلَكٖ﴾ مستدير كالطاحونة في السماء ﴿يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يسيرون بسرعة كالسّابح في الماء، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل.

٣٤- ونزل لما قال الكفار: إن محمدا ﷺ سيموت ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ﴾ البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ فيها؟ لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري.

٣٥- ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ في الدنيا ﴿وَنَبۡلُوكُم﴾ نختبركم ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ﴾ كفقر وغنى وسقم وصحة ﴿فِتۡنَةٗۖ﴾ مفعول له: أي لننظر، أتصبرون وتشكرون، أو لا؟ ﴿وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فنجازيكم.

■ أسباب نزول الآية ٣٤: وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: نعي إلى النبي ﷺ نفسه، فقال: يا رب فمن لأمتي؟ فنزلت ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَ﴾ الآية.

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ
هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ
ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا
هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا
يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ
بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ
ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ
لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ
أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي
ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

٣٦- ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي مهزوءا به، يقولون ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ أي يعيبها ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ لهم ﴿هُمۡ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ به إذ قالوا ما نعرفه.

٣٧- ونزل في استعجالهم العذاب ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾ أي إنه لكثرة عَجَله في أحواله كأنه خُلق منه ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ مواعيدي بالعذاب ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ فيه، فأراهم القتل ببدر.

٣٨- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ بالقيامة ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ فيه.

٣٩- قال تعالى ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ يمنعون منها في القيامة، وجواب «لو» ما قالوا ذلك.

٤٠- ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم﴾ القيامة ﴿بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ تحيِّرهم ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة.

٤١- ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ وهو العذاب، فكذا يحيق بمن استهزأ بك.

٤٢- ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿مَن يَكۡلَؤُكُم﴾ يحفظكم ﴿بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ من عذابه إن نزل بكم: أي لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له ﴿بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم﴾ أي القرآن ﴿مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ لا يتفكرون فيه.

٤٣- ﴿أَمۡ﴾ فيها معنى الهمزة للإنكار، أي: أ ﴿لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم﴾ مما يسوؤهم ﴿مِّن دُونِنَاۚ﴾ أي ألهم من يمنعهم منه غيرنا؟ لا ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ أي الآلهة ﴿نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ﴾ فلا ينصرونهم ﴿وَلَا هُم﴾ أي الكفار ﴿مِّنَّا﴾ من عذابنا ﴿يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يجارون، يقال: صحبك الله: أي حفظك وأجارك.

٤٤- ﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ﴾ بما أنعمنا عليهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُ﴾ فاغترّوا بذلك ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآ﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ لا بل النبي ﷺ وأصحابه.

■ **أسباب نزول الآية ٣٦-** وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: مرّ النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان وهما يتحدثان فلما رآه أبو جهل ضحك وقال لأبي سفيان: هذا نبي عبد مناف، فغضب أبو سفيان وقال: أتنكرون أن يكون لبني عبد مناف نبي فسمعها النبي ﷺ فرجع إلى أبي جهل فوقع به وخوفه، قال: وما أراك منتهيًا حتى يصيبك ما أصاب من غيّر عهده فنزلت ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾.

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ
ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ
﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ
ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ
مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا ٣٣
بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ
أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ
﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

٤٥- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ من الله لا من قبل نفسي ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ هم لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار كالصمّ.

٤٦- ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ وقعة خفيفة ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَـ﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَآ﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بالإشراك وتكذيب محمد ﷺ.

٤٧- ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ ذوات العدل ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي فيه ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿وَإِن كَانَ﴾ العمل ﴿مِثْقَالَ﴾ زنة ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ أي بموزونها ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ محصين كل شيء.

٤٨- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أي التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿وَضِيَآءً﴾ بها ﴿وَذِكْرًا﴾ عظة بها ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

٤٩- ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ عن الناس: أي في الخلاء عنهم ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ خائفون.

٥٠- ﴿وَهَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ الاستفهام فيه للتوبيخ.

٥١- ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي هداه قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ أي بأنه أهل لذلك.

٥٢- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أي على عبادتها مقيمون.

٥٣- ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ فاقتدينا بهم.

٥٤- ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ بعبادتها ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ بيِّن.

٥٥- ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ في قولك هذا ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾ فيه؟.

٥٦- ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهنّ على غير مثال سبق ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ الذي قلته ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ به.

٥٧- ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ
عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾
وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ
وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

٥٨- ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم ﴿جُذَٰذًا﴾ بضم الجيم وكسرها: فتاتا بفأس ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ علّق الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ (٥٨)﴾ فيروا ما فعل بغيره.

٥٩- ﴿قَالُوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩)﴾ فيه؟.

٦٠- ﴿قَالُوا﴾ أي بعضهم لبعض ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي يعيبهم ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠)﴾.

٦١- ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي ظاهرا ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١)﴾ عليه أنه الفاعل.

٦٢- ﴿قَالُوا﴾ له بعد إتيانه ﴿أَأَنتَ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢)﴾.

٦٣- ﴿قَالَ﴾ ساكتا عن فعله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ﴾ عن فاعله ﴿إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣)﴾ فيه تقديم جواب الشرط، وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلٰها.

٦٤- ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بالتفكر ﴿فَقَالُوا﴾ لأنفسهم ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤)﴾ بعبادتكم من لا ينطق. ٦٥- ﴿ثُمَّ نُكِسُوا﴾ من الله ﴿عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي رُدّوا إلى كفرهم وقالوا: والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥)﴾ أي فكيف تأمرنا بسؤالهم؟.

٦٦- ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي بدله ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦)﴾ شيئا إذا لم تعبدوه.

٦٧- ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر: أي نتنا وقبحا ﴿لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧)﴾ أنّ هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها وإنما يستحقها الله تعالى.

٦٨- ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ أي إبراهيم ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي بتحريقه ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨)﴾ نصرتها، فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورمَوْه في النار، قال تعالى:

٦٩- ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها وبقوله «وسلاما» سلم من الموت ببردها.

٧٠- ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)﴾ في مرادهم.

٧١- ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ ابن أخيه هاران من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١)﴾ بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام، نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم.

٧٢- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي لإبراهيم وكان سأل ولدا كما ذكر في الصافات ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي زيادة على المسؤول، أو هو ولد الولد ﴿وَكُلًّا﴾ أي هو وولداه ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢)﴾ أنبياء.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ
ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا
عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ
نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ
فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

٧٣- ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى ديننا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم، وحذف هاء إقامة تخفيف ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ .

٧٤- ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ فصلاً بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ﴾ أي أهلها الأعمال ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ مصدر ساءه نقيض سرَّه ﴿فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ .

٧٥- ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ بأن أنجيناه من قومه ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

٧٦- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿نُوحًا﴾ وما بعده بدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا على قومه بقوله «رب لا تذر.... الخ» ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل إبراهيم ولوط ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ الذين في سفينته ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ أي الغرق وتكذيب قومه له.

٧٧- ﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾ منعناه ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة على رسالته أن لا يصلوا إليه بسوء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

٧٨- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ أي قصتهما، ويبدل منهما ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ هو زرع أو كرم ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ أي رعته ليلاً بلا راع بأن انفلتت ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين. قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم. وقال سليمان: ينتفع بدرّها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان بإصلاح صاحبها فيردّها إليه.

٧٩- ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ أي الحكومة ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ وحكمهما باجتهاد ورجع داود إلى سليمان وقيل بوحي والثاني ناسخ للأوّل ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿ءَاتَيْنَا﴾ ﴿حُكْمًا﴾ نبوّة ﴿وَعِلْمًا﴾ بأمور الدين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ كذلك سُخِّرا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد فترة لينشط له ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ تسخير تسبيحهما معه وإن كان عجبا عندكم: أي مجاوبته للسيد داود.

٨٠- ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ وهي الدرع لأنها تلبس، وهو أوّل من صنعها وكان قبلها صفائح ﴿لَّكُمْ﴾ في جملة الناس ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالنون لله وبالتحتانية لداود، وبالفوقانية للبوس ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فَهَلْ أَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ نعمي بتصديق الرسول: أي اشكروني بذلك.

٨١- ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وفي آية أخرى رُخاءً أي شديدة الهبوب وخفيفته حسب إرادته ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ من ذلك علم الله تعالى بأنّ ما يعطيه سليمان يدعوه للخضوع لربه، فَفِعْلُه تعالى على مقتضى عِلْمه.

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا
دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ
نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ
﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ
مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا
لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢- ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿مِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ﴾ يدخلون في البحر فيُخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي سوى الغوص من البناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ من أن يفسدوا ما عملوا لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره.

٨٣- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿أَيُّوبَ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس إلا زوجته سنين (ثلاثا أو سبعا أو ثماني عشرة) وضيق عيشه ﴿أَنِّي﴾ بفتح الهمزة بتقدير الباء ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ أي الشدّة ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

٨٤- ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ نداءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ﴾ أولاده الذكور والإناث بأن أُحيُوا له وكل من الصنفين ثلاث أو سبع ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ من زوجته، وزيد في شبابها، وكان له أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول له ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ صفة ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ليصبروا فيثابوا.

٨٥- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ على طاعة الله وعن معاصيه.

٨٦- ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ من النبوّة ﴿إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ لها وسمي ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك وقيل: لم يكن نبيا.

٨٧- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿ذَا النُّونِ﴾ صاحب الحوت وهو يونس بن متّى، ويبدل منه ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا﴾ لقومه: أي غضبان عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له في ذلك ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي نقضي عليه بما قضيناه من حبسه في بطن الحوت أو نضيّق عليه بذلك ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ في ذهابي من بين قومي بلا إذن.

٨٨- ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ بتلك الكلمات ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجيناه ﴿نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين.

٨٩- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿زَكَرِيَّا﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ بقوله ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي بلا ولد يرثني ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ الباقي بعد فناء خلقك.

٩٠- ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ نداءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ﴾ ولدا ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ فأتت بالولد بعد عقمها ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي من ذُكر من الأنبياء ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ﴾ يبادرون ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ في رحمتنا ﴿وَرَهَبًا﴾ من عذابنا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ متواضعين في عبادتهم.

وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ
لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ
يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ
هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

٩١- ﴿ وَ ﴾ اذكر مريم ﴿ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾ حفظته من أن ينال ﴿ فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى ﴿ وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ الإنس والجنّ والملائكة حيث ولدته من غير فحل.

٩٢- ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ ﴾ أي ملة الإسلام ﴿ أُمَّتُكُمۡ ﴾ دينكم أيها المخاطبون: أي يجب أن تكونوا عليها ﴿ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ حال لازمة ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ وحِّدون.

٩٣- ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ أي بعض المخاطبين ﴿ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ ﴾ أي تفرّقوا أمر دينهم متخالفين فيه، وهم طوائف اليهود والنصارى. قال تعالى ﴿ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ أي فنجازيه بعمله.

٩٤- ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ ﴿٩٤﴾ ﴾ أي لا جحود ﴿ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ بأن نأمر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه.

٩٥- ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ ﴾ أريد أهلها ﴿ أَنَّهُمۡ لَا ﴾ زائدة ﴿ يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا.

٩٦- ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿ إِذَا فُتِحَتۡ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾ بالهمز وتركه اسمان أعجميان لقبيلتين، ويقدّر قبله مضاف، أي سدّهما وذلك قرب القيامة ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ ﴾ مرتفع من الأرض ﴿ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ يسرعون.

٩٧- ﴿ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فَإِذَا هِيَ ﴾ أي القصة ﴿ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ في ذلك اليوم لشدّته ويقولون ﴿ يَٰ ﴾ للتنبيه ﴿ وَيۡلَنَا ﴾ هلاكنا ﴿ قَدۡ كُنَّا ﴾ في الدنيا ﴿ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا ﴾ اليوم ﴿ بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ أنفسنا بتكذيبنا للرسل.

٩٨- ﴿ إِنَّكُمۡ ﴾ يا أهل مكة ﴿ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره من الأوثان ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ وقودها ﴿ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ داخلون فيها.

٩٩- ﴿ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الأوثان ﴿ ءَالِهَةٗ ﴾ كما زعمتم ﴿ مَّا وَرَدُوهَا ﴾ دخلوها ﴿ وَكُلّٞ ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

١٠٠- ﴿ لَهُمۡ ﴾ للعابدين ﴿ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ شيئا لشدّة غليانها. ونزل لما قال ابن الزبعرى: عبد عزير والمسيح والملائكة، فهم في النار على مقتضى ما تقدّم.

١٠١- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ﴾ المنزلة ﴿ ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ﴾ ومنهم من ذكر ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

■ أسباب نزول الآية ١٠١: وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ قال ابن الزبعري: عبد الشمس والقمر والملائكة وعزير، هؤلاء في النار مع آلهتنا، فنزلت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ ونزلت ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا ﴾ إلى ﴿ خَصِمُونَ ﴾.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ
﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا
لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ
عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ
رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

١٠٢- ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوتها ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من النعيم ﴿خَالِدُونَ﴾.

١٠٣- ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ﴾ تستقبلهم ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ عند خروجهم من القبور يقولون لهم: ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

١٠٤- ﴿يَوْمَ﴾ منصوب «باذكر» مقدرا قبله ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ اسم مَلَكٍ [1] صحيفة ابن آدم عند موته، واللام زائدة، أو السجل الصحيفة، والكتاب بمعنى المكتوب، واللام بمعنى على وفي قراءة للكُتُب جمعا ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ من عدم ﴿نُعِيدُهُ﴾ بعد إعدامه، فالكاف متعلقة بـ «نعيد» وضميره عائد إلى أوَّل، و«ما» مصدرية ﴿وَعْدًا عَلَيْنَا﴾ منصوب بوعدنا مقدّرا قبله، وهو مؤكد لمضمون ما قبله ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ما وعدناه.

١٠٥- ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ بمعنى الكتاب: أي كتب الله المنزلة ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ بمعنى أُمّ الكتاب الذي عند الله ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ عام في كل صالح.

١٠٦- ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ القرآن ﴿لَبَلَاغًا﴾ كفاية في دخول الجنة ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ عاملين به.

١٠٧- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي للرحمة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجنّ بك.

١٠٨- ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي ما يوحى إليّ في أمر الإله إلا وحدانيته ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون لما يوحى إليّ من وحدانية الإله، والاستفهام بمعنى الأمر.

١٠٩- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ حال من الفاعل والمفعول: أي مستوين في علمه لا أستبدّ به دونكم لتتأهبوا ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب أو القيامة المشتملة عليه، وإنما يعلمه الله.

١١٠- ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ والفعلِ منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ أنتم وغيركم من السرّ.

١١١- ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ أي ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته ﴿فِتْنَةٌ﴾ اختبار ﴿لَكُمْ﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿وَمَتَاعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ أي انقضاء آجالكم، وهذا مقابل للأوّل المترجى بلعل، وليس الثاني محلاً للترجي.

١١٢- ﴿قَلَ﴾ وفي قراءة «قال» ﴿رَبِّ احْكُمْ﴾ بيني وبين مكذبيّ ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعذاب لهم أو النصر عليهم، فعذبوا ببدر وأُحد والأحزاب وحنين والخندق ونصر عليهم ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ من كذبكم على الله في قولكم: اتخذ ولدا، وعليّ في قولكم: ساحر، وعلى القرآن في قولكم: شعر.

---

(١) قارن بما في اختصاري لابن كثير (٢/٦٤٢).

سورة الحج
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ
سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ
﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ
وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي
رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ
وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾
٣٣٢

سورة الحج

[مدنية إلا الآيات ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥ فبين مكة والمدينة، وآياتها ثمان وسبعون آية نزلت بعد سورة النور]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة وغيرهم ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ أي عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب.

٢- ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾ بسببها ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفعل ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ أي تنساه ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي حبلى ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فهم يخافونه.

٣- ونزل في النضر بن الحارث وجماعته ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قالوا الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وأنكروا البعث وإحياء من صار ترابا ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ أي متمرّد.

٤- ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قضي على الشيطان ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي اتبعه ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ﴾ يدعوه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي النار.

٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ أي أصلكم آدم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقنا ذريته ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم الجامد ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ مصوّرة تامّة الخلق ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي غير تامّة الخلق ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ كمال قدرتنا لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿وَنُقِرُّ﴾ مستأنف ﴿فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت خروجه ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمّهاتكم ﴿طِفْلًا﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ نعمركم ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ أي الكمال والقوّة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ يموت قبل بلوغ الأشدّ ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أخسّه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحرّكت ﴿وَرَبَتْ﴾ ارتفعت وزادت ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن﴾ زائدة ﴿كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ حَسَن.

(سورة الحج)

■ أسباب نزول الآية ٣- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ قال: نزلت في النضر بن الحارث.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

٦- ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿ بِأَنَّ ﴾ بسبب أن ﴿ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ الثابت الدائم ﴿ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾.

٧- ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ ﴾ شكّ ﴿ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ ونزل في أبي جهل.

٨- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى ﴾ معه ﴿ وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ له نورٌ معه.

٩- ﴿ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ ﴾ حال: أي لاوي عنقه تكبرا عن الإيمان. والعطف: الجانب عن يمين أو شمال ﴿ لِيُضِلَّ ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي دينه ﴿ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ﴾ عذاب، فقتل يوم بدر ﴿ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾ أي الإحراق بالنار، ويقال له:

١٠- ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ أي قدّمته عبر عنه بهما دون غيرهما لأن أكثر الأفعال تزاوَل بهما ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ ﴾ أي بذي ظلم ﴿ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

١١- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ أي شك في عبادته شبه بالحالّ على حرف جبـل في عدم ثباته. ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ﴾ صحة وسلامة في نفســه وماله ﴿ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ محنة وسقم في نفسه وماله ﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ أي رجع إلى الكفر ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا ﴾ بفوات ما أمله منها ﴿ وَٱلْءَاخِرَةَ ﴾ بالكفر ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ البيّن.

١٢- ﴿ يَدْعُوا۟ ﴾ يعبد ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الصـــنم ﴿ مَا لَا يَضُرُّهُۥ ﴾ إن لم يعبده ﴿ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾ إن عبده ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الدعاء ﴿ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ عن الحق.

١٣- ﴿ يَدْعُوا۟ لَمَن ﴾ اللام زائدة ﴿ ضَرُّهُۥٓ ﴾ بعبادته ﴿ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾ إن نفع بتخيله ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ هو أي الناصر ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ الصاحب هو. وعقب ذكر الشاكّ بالخسران بذكر المؤمنين بالثواب في:

١٤- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ من الفروض والنوافل ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾ من إكرام من يطيعه وإهانة من يعصيه.

١٥- ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي محمدا ﷺ نبيّه ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ﴾ بحبْل ﴿ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي سقف بيته يشدّه فيه. وفي عنقه ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ أي ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض كما في الصحاح ﴿ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ ﴾ في عدم نصرة النبي ﷺ ﴿ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ منها. المعنى: فليختنق غيظا منها، فلا بدّ منها.

◙ أسباب نزول الآية ١١- قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ الآية أخرج البخاري عن ابن عباس قال: كان الرجل يقدم المدينة فيسلم فإن ولدت امرأته غلامًا ونتجت خيله قال هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولدًا ذكرًا ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء، فأنزل الله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ الآية وأخرج ابن مردويه من طريق عطية عن ابن مسعود قال: أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالإسلام، فقال: لم أصب من ديني هذا خيرًا، ذهب بصري ومالي ومات ولدي، فنزلت ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ الآية.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ
(١٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ
وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨) ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ
فِي رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ
مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ
وَٱلْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ
أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ
(٢٢) إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)

١٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إنزالنا الآية السابقة ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن الباقي ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ (١٦)﴾ هداه معطوف على هاء «أنزلناه».

١٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ هم اليهود ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ طائفة منهم ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال غيرهم النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من عملهم ﴿شَهِيدٌ (١٧)﴾ عالم به علم مشاهدة.

١٨- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ أي يخضع له بما يراد منه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ وهم الكافرون لأنهم أبوا السجود المتوقف على الإيمان ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ يُشْقه ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ مُسْعد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾ من الإهانة والإكرام.

١٩- ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم، وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾ أي في دينه ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يلبسونها، يعني أحيطت بهم النار ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ (١٩)﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة.

٢٠- ﴿يُصْهَرُ﴾ يذاب ﴿بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من شحوم وغيرها ﴿وَ﴾ تشوى به ﴿ٱلْجُلُودُ (٢٠)﴾.

٢١- ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١)﴾ لضرب رؤوسهم.

٢٢- ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ أي النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يلحقهم بها ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ ردوا إليها بالمقامع قيل لهم ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٢٢)﴾ أي البالغ نهاية الإحراق.

٢٣- وقال في المؤمنين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ﴾ بالجر: أي منهما بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب. وبالنصب عطفا على محل من أساور ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)﴾ هو المحرّم لبسه على الرجال في الدنيا.

■ أسباب نزول الآية ١٩- قوله تعالى: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي ذر قال: نزلت هذه الآية ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾ في حمزة وعبيدة وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأخرج الحاكم عن علي قال: فينا نزلت هذه الآية في مبارزتنا يوم بدر ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْحَرِيقِ﴾ وأخرج من وجه آخر عنه قال: نزلت في الذين بارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أنها نزلت في أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله منكم وأقدم كتابًا ونبينا قبل نبيكم فقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة مثله.

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

٢٤- ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ وهو لا إله إلا الله ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ أي طريق الله المحمودة ودينه. ٢٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طاعته ﴿وَ﴾ عن ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ﴾ منسكا ومتعبدا ﴿لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ﴾ المقيم ﴿فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾ الطارئ ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ﴾ الباء زائدة ﴿بِظُلۡمٖ﴾ أي بسببه بأن ارتكب منهيا ولو شتم الخادم ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾ مؤلم: أي بعضه. ومن هذا يؤخذ خبر إنّ: أي نذيقهم من عذاب أليم. ٢٦- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ بَوَّأۡنَا﴾ بيّنّا ﴿لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ ليبنيه وكان قد رفع من زمن الطوفان وأمرناه ﴿أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾ المقيمين به ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ جمع راكع وساجد: المصلّين. ٢٧- ﴿وَأَذِّن﴾ ناد ﴿فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ فنادى على جبل أبي قبيس: يا أيها الناس إنّ ربكم بنى بيتا وأوجب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم، والتفت بوجهه يمينا وشمالاً وشرقا وغربا، فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمّهات «لبيك اللهم لبيك» وجواب الأمر ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ مشاة: جمع راجل، كقائم وقيام ﴿وَ﴾ ركبانا ﴿عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ أي بعير مهزول، وهو يطلق على الذكر والأنثى ﴿يَأۡتِينَ﴾ أي الضوامر حملاً على المعنى ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾﴾ طريق بعيد. ٢٨- ﴿لِّيَشۡهَدُواْ﴾ أي يحضروا ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ في الدنيا بالتجارة، أو في الآخرة، أو فيهما أقوال ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ أي عشر ذي الحجة أو يوم عرفة، أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق أقوال ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾ الإبل والبقر والغنم التي تُنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ أي الشديد الفقر. ٢٩- ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ﴾ أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر ﴿وَلۡيُوفُواْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿نُذُورَهُمۡ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ﴾ طواف الإفاضة ﴿بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس. ٣٠- ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدّر: أي الأمر أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هي ما لا يحلّ انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾ أي تعظيمها ﴿خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ أكلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ تحريمه في ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ الآية فالاستثناء منقطع. ويجوز أن يكون متصلاً والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ «من» للبيان: أي الذي هو الأوثان ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ أي الشرك بالله في تلبيتكم أو شهادة الزور.

▣ أسباب نزول الآية ٢٥- قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ عبد الله بن أنيس مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار فافتخروا في الأنساب فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام وهرب إلى مكة فنزلت فيه ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ﴾ الآية.

▣ أسباب نزول الآية ٢٧- قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ الآية أخرج ابن جرير عن مجاهد قال كانوا لا يركبون فأنزل الله ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ فأمرهم بالزاد ورخص لهم الركوب والمتجر.

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ
(٣١) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ
(٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ
ٱلْعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ
ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ
فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ (٣٤) ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٧) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)

٣١- ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ تأكيد لما قبله، وهما حالان من الواو ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ سقط ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ أي تأخذه بسرعة ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي تسقطه ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)﴾ بعيد: أي فهو لا يرجى خلاصه.

٣٢- ﴿ذَٰلِكَ﴾ يقدّر قبله «الأمرُ» مبتدأ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا﴾ أي فإن تعظيمها وهي البُدْنَ التي تهدى للحرم بأن تُستحسن وتُستسمن ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ (٣٢)﴾ منهم، وسميت شعائر لإشعارها بما تعرف به أنها هَدْي كطعن حديدة بسنامها.

٣٣- ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كركوبها والحمل عليها ما لا يضرّها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت نحرها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي مكان حلّ نحرها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ (٣٣)﴾ أي عنده، والمراد الحرم جميعه.

٣٤- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ بفتح السين: مصدر. وبكسرها: اسم مكان، أي: ذبحا قربانا أو مكانــه ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ﴾ عند ذبحها ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ﴾ انقادوا ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ (٣٤)﴾ المطيعين المتواضعين.

٣٥- ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من البلايا ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥)﴾ يتصدّقون.

٣٦- ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ جمع بدنة وهي الإبل ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أعلام دينه ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ نفع في الدنيا كما تقدّم، وأجرٌ في العقبى ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند نحرها ﴿صَوَآفَّ ۖ﴾ قائمة على ثلاث، معقولة اليد اليسرى ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت إلى الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل منها ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ إن شئتم ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ﴾ الذي يقنع بما يُعطَى ولا يَسأل ولا يتعرّض ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ السائل أو المتعرّض ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك التسخير ﴿سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ بأن تنحر وتركب وإلا لم تطق ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦)﴾ إنعامي عليكم.

٣٧- ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ أي لا يُرفعان إليه ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ﴾ أي يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٧)﴾ أي الموحدين.

٣٨- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ﴾ غوائل المشركين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانتــه ﴿كَفُورٍ (٣٨)﴾ لنعمته وهم المشركون، المعنى: أنه يعاقبهم.

▣ **أسباب نزول الآية ٣٧-** قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: كان أهل الجاهلية يضمخون البيت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب النبي ﷺ: فنحن أحق أن نضمخ فأنزل الله ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾ الآية.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن
يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ
كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

٣٩- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ أي للمؤمنين أن يقاتلوا وهذه أوّل آية نزلت في الجهاد ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ظُلِمُوا۟ۚ﴾ لظلم الكافرين إياهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

٤٠- هم ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج ما أخرجوا ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟﴾ أي بقولهم ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ وحده، وهذا القول حق، فالإخـــراج به إخراج بغير حق ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾ بدل بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ﴾ بالتشديد للتكثير، وبالتخفيف ﴿صَوَٰمِعُ﴾ للرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ كنائس للنصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ كنائس لليهود بالعبرانية ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾ أي المواضع المذكورة ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ﴾ وتنقطع العبادات بخرابها ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ﴾ أي ينصر دينه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ على خلقه ﴿عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ منيع في سلطانه وقدرته.

٤١- ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بنصرهم على عدوّهم ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ﴾ جواب الشرط وهو وجوابه صلة الموصول، ويقدّر قبله هم مبتدأ ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ أي إليه مرجعها في الآخرة.

٤٢- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾﴾ قوم صالح.

٤٣- ﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾﴾.

٤٤- ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ﴾ قوم شعيب ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كذبه القبط لا قومه بنو إسرائيل: أي كذب هؤلاء رسلهم فلك أسوة بهم ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أمهلتهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ أي إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم، والاستفهام للتقرير: أي هو واقع موقعه.

٤٥- ﴿فَكَأَيِّن﴾ أي كم ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ وفي قراءة «أهلكتها» ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ أي أهلها بكفرهم ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ ســقوفها ﴿وَ﴾ كـــم من ﴿بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ متروكة بموت أهلهـــا ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ رفيع خال بموت أهله.

٤٦- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ ما نزل بالمكذبـــين قبلهم ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار فيعتبروا ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي القصة ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ تأكيد.

▣ أسباب نزول الآية ٣٩- قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ الآية أخرج أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: خرج النبي ﷺ من مكة فقال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكن، فأنزل الله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ
أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ
ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ
فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

٤٧- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بإنزال العذاب فأنزله يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ بالتاء والياء في الدنيا. ٤٨- ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ المرجع. ٤٩- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ بيّن الإنذار، وأنا بشير للمؤمنين. ٥٠- ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ هو الجنة. ٥١- ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بإبطالها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ من اتبع النبي أي ينسبونهم إلى العجز ويثبطونهم عن الإيمان أو مقدّرين عجزنا عنهم. وفي قراءة «معاجزين» مسابقين لنا: أي يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ النار. ٥٢- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ هو نبيّ أُمر بالتبليغ ﴿وَلَا نَبِىٍّ﴾ أي لم يؤمر بالتبليغ ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قرأ ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهنّ لترتجى ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك،[1] فحزن فسلّي بهذه الآية ليطمئن ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾ يبطل ﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ﴾ يثبتها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ في تمكينه منه يفعل ما يشاء. ٥٣- ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شقاق ونفاق ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ أي المشركين عن قبول الحق ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك.

٥٤- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ﴾ تطمئنّ ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي دين الإسلام.

٥٥- ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ أي القرآن بما ألقاه الشيطان على لسان النبي ﷺ ثم أبطل ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي ساعة موتهم أو القيامة فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ هو يوم بدر لا خير فيه للكفار، كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل بعده.

▣ أسباب نزول الآية ٥٢- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر من طريق بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: قرأ النبي ﷺ بمكة ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ فلما بلغ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجي فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ الآية وأخرجه البزار وابن مردويه من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه قال: لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور وأخرجه البخاري عن ابن عباس بسند فيه الواقدي وابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس وأورده ابن إسحاق في السيرة عن

---

(١) قلت: هذا الكلام باطل وانظر «نصبه المنجنيق» للشيخ الألباني، واختصاري لابن كثير (٦٧٣/٢).

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟
لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى
ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

٥٦- ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿لِّلَّهِ﴾ وحده، وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين بما بيّن بعده ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ فضلاً من الله.

٥٧- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ شديد بسبب كفرهم.

٥٨- ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو رزق الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾ أفضل المعطين.

٥٩- ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها: أي إدخالاً أو موضعا ﴿يَرْضَوْنَهُۥ﴾ وهو الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بنياهم ﴿حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ عن عقاهم.

٦٠- ﴿۞ ذَٰلِكَ﴾ الذي قصصناه عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ جازى من المؤمنين ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ظلما من المشركين: أي قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ منهم: أي ظلم بإخراجه من منزله ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عن المؤمنين ﴿غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ لهم عن قتالهم في الشهر الحرام.

٦١- ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ أي يدخل كلاًّ منهما في الآخر بأن يزيد به، وذلك من أثر قدرته تعالى التي بها النصر ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ دعاء المؤمنين ﴿بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ بهم حيث جعل فيهم الإيمان فأجاب دعاءهم.

٦٢- ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر أيضا ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء: يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ أي العالي على كل شيء بقدرته ﴿ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ الذي يصغر كلّ شيء سواه.

٦٣- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرا ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنبات، وهذا من أثر قدرته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ بما في قلوبهم عند تأخير المطر.

٦٤- ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ على جهة الملك ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عباده ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ لأوليائه.

محمد بن كعب وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وابن جرير عن محمد بن قيس وابن أبي حاتم عن السدي كلهم بمعنى واحد وكلها إما ضعيفة أو منقطعة سوى طريق ابن جبير الأولى.

■ أسباب نزول الآية ٦٠- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت في سرية بعثها النبي ﷺ فلقوا المشركين لليلتين بقيتا من المحرم، فقال المشركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحاب محمد فإنهم يحرمون القتال في الشهر الحرام فناشدهم الصحابة وذكروهم بالله أن لا يتعرضوا لقتالهم فإنهم لا يستحلون القتال في الشهر الحرام فأبى المشركون ذلك وقاتلوهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون ونصروا عليهم، فنزلت هذه الآية.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ (٦٦) لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٧١) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٧٢)

٦٥- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من البهائم ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ من ﴿أن﴾ أو لئلا ﴿تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ فتهلكوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥)﴾ في التسخير والإمساك.

٦٦- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند البعث ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي المشرك ﴿لَكَفُورٌ (٦٦)﴾ لنعم الله بتركه توحيده.

٦٧- ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ بفتح السين وكسرها: شريعة ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ يراد به: لا تنازعهم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي أمر الذبيحة، إذ قالوا: ما قتل الله أحقّ أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ دين ﴿مُّسْتَقِيمٍ (٦٧)﴾.

٦٨- ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ في أمر الدين ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨)﴾ فيجازيكم عليه، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٦٩- ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)﴾ بأن يقول كل من الفريقين خلافَ قول الآخر.

٧٠- ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي ما ذكر ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي علم ما ذكر ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)﴾ سَهْل.

٧١- ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي المشركون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ هو الأصنام ﴿سُلْطَٰنًا﴾ حجّة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِن نَّصِيرٍ (٧١)﴾ يمنع عنهم عذاب الله.

٧٢- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات حال ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي الإنكار لها: أي أثره من الكراهة والعبوس ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي يقعون فيهم بالبطش ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ أي بأكره إليكم من القرآن المتلوّ عليكم: هو ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بأنّ مصيرهم إليها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٧٢)﴾ هي.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ
وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ
مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ
رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧
وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ
عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ
وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨

سُورَةُ المُؤۡمِنُونَ

٧٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ أي أهل مكة ﴿ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ ﴾ وهو ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ ﴾ تعبدون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا ﴾ اسم جنس واحده ذبابة، يقع على المذكر والمؤنث ﴿ وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ ﴾ لخلقه ﴿ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا ﴾ مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخين به ﴿ لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ ﴾ لا يستردّوه ﴿ مِنۡهُۚ ﴾ لعجزهم، فكيف يعبدون شركاء لله تعالى؟ هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب مثل ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ ﴾ العابد ﴿ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ ﴾ المعبود.

٧٤- ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ عظّموه ﴿ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ عظمته إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ﴾ غالب.

٧٥- ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ رسلاً. نزل لما قال المشركون: (أأنزل عليه الذكر من بيننا) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ ﴾ لمقالتهم ﴿ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾ بمن يتخذه رسولاً كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد ﷺ وغيرهم صلى الله عليهم وسلم.

٧٦- ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ ﴾ أي ما قدّموا وما خلفوا وما عملوا وما هم عاملون بعد ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦ ﴾.

٧٧- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ ﴾ أي صلّوا ﴿ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ وحّدوه ﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧ ﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة.

٧٨- ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾ لإقامة دينه ﴿ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾ باستفراغ الطاقة فيه ونصب حقّ على المصدر ﴿ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ اختاركم لدينه ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾ أي ضيق بأن سهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ ﴾ منصوب بنزع الخافض الكاف ﴿ إِبۡرَٰهِيمَۚ ﴾ عطف بيان ﴿ هُوَ ﴾ أي الله ﴿ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ﴾ أي قبل هذا الكتاب ﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾ أي القرآن ﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ ﴾ يوم القيامة أنه بلّغكم ﴿ وَتَكُونُواْ ﴾ أنتم ﴿ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ ﴾ أن رسلهم بلغوهم ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ داوموا عليها ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ ثقوا به ﴿ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ ﴾ ناصركم ومتولّي أموركم ﴿ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ ﴾ هو ﴿ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ الناصر لكم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ
فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ
ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن
سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا
ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

سورة المؤمنون

[مكية وآياتها ١١٨ أو ١١٩ نزلت بعد سورة الأنبياء]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴿١﴾﴾.
٢ - ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴿٢﴾﴾ متواضعون.
٣ - ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ﴿٣﴾﴾
٤ - ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴿٤﴾﴾ مؤدّون. ٥ - ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴿٥﴾﴾ عن الحرام. ٦ - ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ أي من زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي السّراري ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴿٦﴾﴾ في إتيانهنّ. ٧ - ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ من الزوجات والسراري كالاستمناء باليد في إتيانهنّ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴿٧﴾﴾ المتجاوزن إلى ما لا يحل لهم.
٨ - ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ جمعا ومفردا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿رَٰعُونَ﴿٨﴾﴾ حافظون.
٩ - ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ جمعا ومفردا ﴿يُحَافِظُونَ﴿٩﴾﴾ يقيمونها في أوقاتها. ١٠ - ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴿١٠﴾﴾ لا غيرهم.
١١ - ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴿١١﴾﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد ويناسبه ذكر المبدأ بعده. ١٢ - ﴿وَ﴾ الله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ هي من سللت الشيء من الشيء: أي استخرجته منه وهو خلاصته ﴿مِّن طِينٍ﴿١٢﴾﴾ متعلق بسلالة. ١٣ - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الإنسان نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾ منيّا ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴿١٣﴾﴾ هو الرحم. ١٤ - ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دما جامدا ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحمة قدر ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ وفي قراءة «عَظما» في الموضعين. و «خلقنا» في المواضع الثلاث بمعنى صيّرنا ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴿١٤﴾﴾ أي المقدّرين، ومميز أحسن محذوف للعلم به: أي خلقا.
١٥ - ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴿١٥﴾﴾.
١٦ - ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴿١٦﴾﴾ للحساب والجزاء.
١٧ - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ أي سموات جمع طريقة لأنها طرق الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ﴾ التي تحتها ﴿غَٰفِلِينَ﴿١٧﴾﴾ أن تسقط عليهم فتهلكهم، بل نمسكها كآية: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾.

(سورة المؤمنون)

◙ أسباب نزول الآية ٢: أخرج الحاكم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ فطأطأ رأسه. وأخرجه ابن مردويه بلفظ: كان يلتفت في الصلاة. وأخرجه سعيد ابن منصور عن ابن سيرين مرسلاً بلفظ: كان يقلب بصره، فنزلت . وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سيرين مرسلاً: كان الصحابة يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة، فنزلت.

◙ أسباب نزول الآية ١٤: أخرج ابن أبي حاتم عن عمر قال: وافقت ربي في أربع نزلت ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الآية، فلما نزلت قلت أنا: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

١٨- ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ من كفايتهم ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨﴾ فيموتون مع دوابّهم عطشا. ١٩- ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ١٩﴾ صيفا وشتاء. ٢٠- ﴿وَ﴾ أنشأنا ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ جبل (بكسر السين وفتحها) ومنع الصرف للعلميّة والتأنيث للبقعة ﴿تَنۢبُتُ﴾ من الرباعي والثلاثي ﴿بِٱلدُّهْنِ﴾ الباء زائدة على الأوّل ومعدّية على الثاني. وهي شجرة الزيتون ﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ٢٠﴾ عطف على الدهن: أي إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت. ٢١- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظة تعتبرون بها ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بفتح النون وضمها ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾ أي اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ٢١﴾. ٢٢- ﴿وَعَلَيْهَا﴾ الإبل ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ أي السفن ﴿تُحْمَلُونَ ٢٢﴾

٢٣- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أطيعوا الله ووحّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ وهو اسم «ما» وما قبله الخبر، و «من» زائدة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣﴾ تخافون عقوبته بعبادتكم غيره.

٢٤- ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ لأتباعهم ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ﴾ يتشرّف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن يكون متبوعا وأنتم أتباعه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا يعبد غيره ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ بذلك لا بشرا ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ٢٤﴾ الأمم الماضية.

٢٥- ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما نوح ﴿إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ حالة جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ انتظروه ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ٢٥﴾ إلى زمن موته.

٢٦- ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦﴾ بسبب تكذيبهم إياي بأن تهلكهم. قال تعالى مجيبا دعاءه.

٢٧- ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منّا وحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أي ادخل في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ أي ذكر وأنثى أي من كل أنواعهما ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكرا وأنثى وهو مفعول، و «من» متعلقة بـ«اسلك». وفي القصة أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما، فجعل يضرب بيدَيْه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة وفي قراءة «كلٍّ» بالتنوين فـ«زوجين» مفعول و «اثنين» تأكيد له ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان، بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم ثلاثة. وفي سورة هود ﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساءهم. وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا
مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ
﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

٣٤٤

٢٨- ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ﴾ اعتدلت ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ الكافرين وإهلاكهم.

٢٩- ﴿وَقُل﴾ عند نزولك من الفلك ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾ بضم الميم وفتح الزاي مصدرا واسم مكان وبفتح وكسر الزاي مكان النزول ﴿مُّبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ما ذكر.

٣٠- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرة الله تعالى ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه.

٣١- ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾ قوما ﴿ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ هم عاد.

٣٢- ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هودا ﴿أَنِ﴾ بأن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ عقابه فتؤمنوا.

٣٣- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي المصير إليها ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ نعّمناهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

٣٤- ﴿وَ﴾ الله ﴿لَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيه قسم وشرط والجواب لأوّلهما، وهو مغنٍ عن جواب الثاني ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي إذا أطعتموه ﴿لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي مغبونون.

٣٥- ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ هو خبر «أنكم» الأولى، و«أنكم» الثانية تأكيد لها لما طال الفصل.

٣٦- ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ اسم فعل ماض بمعنى مصدر: أي بَعُدَ بَعُدَ ﴿لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ من الإخراج من القبور، واللام زائدة للبيان.

٣٧- ﴿إِنْ هِىَ﴾ أي ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بحياة أبنائنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

٣٨- ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما الرسول ﴿إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ مُصدِّقين بالبعث بعد الموت.

٣٩- ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾.

٤٠- ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان، و«ما» زائدة ﴿لَّيُصْبِحُنَّ﴾ ليصيرنّ ﴿نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ على كفرهم وتكذيبهم.

٤١- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صيحة العذاب والهلاك كائنة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ فماتوا ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ وهو نبت يبس: أي صيّرناهُمْ مثله في اليبس ﴿فَبُعْدًا﴾ من الرحمة ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ المكذّبين.

٤٢- ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾ أقواما ﴿ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا
كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ
هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

٤٣- ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ بأن تموت قبله ﴿ وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ عنه، ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى.

٤٤- ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ بالتنوين وعدمه: أي متتابعين بين كل اثنين زمان طويل ﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو ﴿ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا ﴾ في الهلاك ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

٤٥- ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ حجة بيّنة، وهي اليد والعصا وغيرهما من الآيات.

٤٦- ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ عن الإيمان بها وبالله ﴿ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴾ قاهرين بني إسرائيل بالظلم.

٤٧- ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ مطيعون خاضعون؟.

٤٨- ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴾ .

٤٩- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة ﴿ لَعَلَّهُمْ ﴾ أي قومه بني إسرائيل ﴿ يَهْتَدُونَ ﴾ به من الضلالة وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة.

٥٠- ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ عيسى ﴿ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ لم يقل آيتين، لأن الآية فيهما واحدة: ولادته من غير فحل ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴾ مكان مرتفع وهو بيت المقدس، أو دمشق، أو فلسطين: أقوال ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ ﴾ أي مستوية يستقرّ عليها ساكنوها ﴿ وَمَعِينٍ ﴾ ماء جار ظاهر تراه العيون.

٥١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ الحلالات ﴿ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ من فرض ونفل ﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ فأجازيكم عليه.

٥٢- ﴿ وَ ﴾ اعلموا ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ ﴾ ملة الإسلام ﴿ أُمَّتُكُمْ ﴾ دينكم أيها المخاطبون: أي يجب أن تكونوا عليها ﴿ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ حال لازمة. وفي قراءة بتخفيف النون. وفي أخرى بكسرها مشدّدة استئنافا ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ فاحذرون.

٥٣- ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ أي الأتباع ﴿ أَمْرَهُم ﴾ دينهم ﴿ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾ حال من فاعل «تقطعوا» أي أحزابا متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ أي عندهم من الدين ﴿ فَرِحُونَ ﴾ مسروورون.

٥٤- ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾ اترك كفار مكة ﴿ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ ضلالتهم ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ إلى حين موقم.

٥٥- ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ ﴾ نعطيهم ﴿ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ في الدنيا.

٥٦- ﴿ نُسَارِعُ ﴾ نعجّل ﴿ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ لا ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ أن ذلك استدراج لهم.

٥٧- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم ﴾ خوفهم منه ﴿ مُّشْفِقُونَ ﴾ خائفون من عذابه.

٥٨- ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ يصدّقون.

٥٩- ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ معه غيره.

وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا
عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي
تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ
بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ
ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ
﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ
كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن
ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ
وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

٦٠- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ﴾ يعطون ﴿مَآ ءَاتَواْ﴾ أعطَوْا من الصدقة والأعمال الصالحة ﴿وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ خائفة أن لا تُقبل منهم ﴿أَنَّهُمۡ﴾ يقدّر قبله لام الجرّ ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴿٦٠﴾﴾.

٦١- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴿٦١﴾﴾ في علم الله. ٦٢- ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ طاقتها، فمن لم يستطع أن يصلي قائما فليصلّ جالسا، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل ﴿وَلَدَيۡنَا﴾ عندنا ﴿كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ﴾ بما عملته: وهو اللوح المحفوظ تسطّر فيه الأعمال ﴿وَهُمۡ﴾ أي النفوس العاملة ﴿لَا يُظۡلَمُونَ﴿٦٢﴾﴾ شيئا منها، فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يزاد في السيئات.

٦٣- ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي الكفار ﴿فِي غَمۡرَةٖ﴾ جهالة ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴿٦٣﴾﴾ فيعذبون عليها.

٦٤- ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِٱلۡعَذَابِ﴾ أي السيف يوم بدر ﴿إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ﴿٦٤﴾﴾ يضجّون يقال لهم: ٦٥- ﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴿٦٥﴾﴾ لا تمنعون. ٦٦- ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي﴾ من القرآن ﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴿٦٦﴾﴾ ترجعون القهقرى. ٦٧- ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِۦ﴾ أي بالبيت أو الحرم بأنهم أهله في أمن، بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿سَٰمِرٗا﴾ حال: أي جماعة يتحدّثون بالليل حول البيت ﴿تَهۡجُرُونَ﴿٦٧﴾﴾ من الثلاثي: تتركون القرآن، ومن الرباعي: أي تقولون غير الحق في النبيّ والقرآن. قال تعالى: ٦٨- ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ﴾ أصله «يتدبرون» فأدغمت التاء في الدال ﴿ٱلۡقَوۡلَ﴾ أي القرآن الدال على صدق النبي ﴿أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴿٦٨﴾﴾ . ٦٩- ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴿٦٩﴾﴾. ٧٠- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ﴾ ؟ الاستفهام للتقرير بالحق من صدق النبي ﷺ ومجيء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة، وأن لا جنون به ﴿بَلۡ﴾ للانتقال ﴿جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ أي القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴿٧٠﴾﴾.

٧١- ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي القرآن ﴿أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله تعالى الله عن ذلك. ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدّد الحاكم ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ﴾ أي القرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴿٧١﴾﴾ .

٧٢- ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا﴾ أجرا على ما جئتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أجره وثوابه ورزقه ﴿خَيۡرٞ﴾ وفي قراءة خرْجا في الموضعين. وفي قراءة أخرى خراجا فيهما ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴿٧٢﴾﴾ أفضل من أعطى وآجر.

٧٣- ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴿٧٣﴾﴾ دين الإسلام. ٧٤- ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي الطريق ﴿لَنَٰكِبُونَ﴿٧٤﴾﴾ عادلون.

■ أسباب نزول الآية ٦٧: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: كانت قريش تسمر حول البيت ولا تطوف به ويفتخرون به فأنزل الله ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾.

۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ٧٥ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ٧٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٧٩ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٨٠ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ٨٢ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٨٣ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ
٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ٨٩

٣٤٧

٧٥- ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ أي جوع أصابهم بمكة سبع سنين ﴿لَّلَجُّواْ﴾ تمادوا ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ ٧٥﴾ يتردّدون. ٧٦- ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ الجوع ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ تواضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦﴾ يرغبون إلى الله بالدعاء. ٧٧- ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا﴾ صاحب ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو يوم بدر بالقتل ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ٧٧﴾ آيسون من كل خير. ٧٨- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ تأكيد للقلة ﴿تَشْكُرُونَ ٧٨﴾. ٧٩- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٧٩﴾ تبعثون.

٨٠- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ﴾ ينفخ الروح في المضغة ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالسواد والبياض والزيادة والنقصان ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٨٠﴾ صنعه تعالى فتعتبروا.

٨١- ﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ٨١﴾. ٨٢- ﴿قَالُوٓاْ﴾ الأولون ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ٨٢﴾ لا، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين. ٨٣- ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ البعث بعد الموت ﴿مِن قَبْلُ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ٨٣﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أسطورة بالضم. ٨٤- ﴿قُل﴾ لهم ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ من الخلق ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٨٤﴾ خالقها ومالكها.

٨٥- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال: تتعظون، فتعلموا أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الإحياء بعد الموت.

٨٦- ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ٨٦﴾ الكرسي.

٨٧- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧﴾ تحذرون عبادة غيره.

٨٨- ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾ ملك ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ والتاء للمبالغة ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يحمي ولا يحمى عليه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٨٨﴾.

٨٩- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ وفي قراءة: «الله» في الموضعين نظرا إلى أن المعنى: من له ما ذكر ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ٨٩﴾ تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده: أي كيف تخيل لكم أنه باطل.

■ **أسباب نزول الآية ٧٦**- وأخرج النسائي والحاكم عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك بالله والرحم قد أكلنا العلهز، يعني الوبر والدم، فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾. وأخرج البيهقي في الدلائل بلفظ: أن ابن إياز الحنفي لما أتى به النبي ﷺ وهو أسير خلى سبيله وأسلم فلحق بمكة ثم رجع فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال: بلى، قال: فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فنزلت.

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

٣٤٨

٩٠- ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ في نفيه وهو:

٩١- ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا﴾ أي لو كان معه إله ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مغالبة كفعل ملوك الدنيا ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ به مما ذكر.

٩٢- ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد بالجرّ صفة، والرفع خبر «هو» مُقدَّرا ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ تعظم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ ـــه معه.

٩٣- ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ ـــه من العذاب هو صادق بالقتل ببدر.

٩٤- ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ فأهلك بإهلاكهم.

٩٥- ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

٩٦- ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي الخصلة من الصفح والإعراض عنهم ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أذاهم إياك، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ أي يكذبون ويقولون فنجازيهم عليه.

٩٧- ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾ أعتصم ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ نزغاتهم بما يوسوسون به.

٩٨- ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ في أموري، لأنهم إنما يحضرون بسوء.

٩٩- ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ الجمع للتعظيم.

١٠٠- ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله يكون ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ضيعت من عمري: أي في مقابلته. قال تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ أي لا رجوع ﴿إِنَّهَا﴾ أي «رب ارجعون» ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ ولا فائدة له فيها ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أمامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجز يصدّهم عن الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ ولا رجوع بعده.

١٠١- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يتفاخرون بها ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ عنها خلاف حالهم في الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة وفي بعضها يفيقون. وفي آية: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

١٠٢- ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ الفائزون.

١٠٣- ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيئات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ فهم ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

١٠٤- ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم، ويقال لهم:

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَـٰلَ
كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّورِ

١٠٥- ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى ﴾ من القرآن ﴿ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ تخوّفون بها ﴿ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

١٠٦- ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ وفي قراءة «شَقاوتنا» بفتح أوّله وألف وهما مصدران بمعنى ﴿ وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ عن الهداية.

١٠٧- ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا ﴾ إلى المخالفة ﴿ فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

١٠٨- ﴿ قَالَ ﴾ لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا ﴾ أبعدوا في النار أذلاء ﴿ وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ في رفع العذاب عنكم فينقطع رجاؤهم.

١٠٩- ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى ﴾ هم المهاجرون ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

١١٠- ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ بضم السين وكسرها: مصدر بمعنى الهزء، منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿ حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى ﴾ فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سبب الإنساء فنسب إليهم ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

١١١- ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ النعيم المقيم ﴿ بِمَا صَبَرُوٓا۟ ﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ بكسر الهمزة ﴿ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ بمطلوبهم استئناف، وبفتحها مفعول ثان لجزيتهم.

١١٢- ﴿ قَـٰلَ ﴾ تعالى لهم بلسان مالك. وفي قراءة: قل ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ تمييز.

١١٣- ﴿ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ شكّوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ أي الملائكة المحصين أعمال الخلق.

١١٤- ﴿ قَـٰلَ ﴾ تعالى لهم بلسان مالك. وفي قراءة أيضا «قل» ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ مقدار لبثكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى لبثكم في النار.

١١٥- ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا ﴾ لا لحكمة ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾بالبناء للفاعل وللمفعول؟ لا، بل لنتعبدكم بالأمر والنهي، وترجعون إلينا ونجازي على ذلك ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

١١٦- ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ﴾ عن العبث وغيره مما لا يليق به ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ الكرسي: هو السرير الحسن.

١١٧- ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ صفة كاشفة لا مفهوم لها ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ ﴾ جزاؤه ﴿ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ لا يسعدون.

١١٨- ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ ﴾ المؤمنين، في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ أفضل راحم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
(١) ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ
عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ
مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى
ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ
فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ (٤) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ (٥) وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ
فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٦)
وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٧) وَيَدْرَؤُا۟
عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ
(٨) وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٩)
وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)

سورة النور

[مدنية وآياتها اثنتان أو أربع وستون آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- هذه ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا ﴾ مخففة ومشددة لكثرة المفروض فيها ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ واضحات الدلالات ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال: تتعظون.

٢- ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى ﴾ أي غير المحصنين لرجمهما بالسنة، وأل فيما ذكر موصولة، وهو مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿ فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ أي ضربة، يقال: جلده ضرب جلده، ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام، والرقيق على النصف مما ذكر ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ ﴾ أي حكمه بأن تتركوا شيئا من حدّهما ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ أي يوم البعث. في هذا تحريض على ما قبل الشرط وهو جوابه، أو دالّ على جوابه ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا ﴾ أي الجلد ﴿ طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾ قيل ثلاثة. وقيل أربعة عدد شهود الزنى. ٣- ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ ﴾ يتزوّج ﴿ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ أي المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ ﴾ أي نكاح الزواني ﴿ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣) ﴾ الأخيار. نزل ذلك لما همَّ فقراء المهاجرين أن يتزوّجوا بغايا المشركين وهنّ موسرات لينفقن عليهم، فقيل: التحريم خاص بهم. وقيل: عام ونسخ بقوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾.

٤- ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ العفيفات بالزنى ﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ على زناهنّ برؤيتهم ﴿ فَٱجْلِدُوهُمْ ﴾ أي كل واحد منهم ﴿ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً ﴾ في شيء ﴿ أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٤) ﴾ لإتيانهم كبيرة. ٥- ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾ عملهم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لهم قذفهم ﴿ رَّحِيمٌ (٥) ﴾ بهم بإلهامهم التوبة فبها ينتهي فسقهم وتقبل شهادتهم. وقيل: لا تقبل رجوعا بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة.

٦- ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ ﴾ بالزنى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ ﴾ عليه ﴿ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ ﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ ﴾ مبتدأ ﴿ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ ﴾ نصب على المصدر ﴿ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٦) ﴾ فيما به زوجته من الزنى. ٧- ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٧) ﴾ في ذلك، وخبر المبتدأ: تدفع عنه حدّ القذف. ٨- ﴿ وَيَدْرَؤُا۟ ﴾ يدفع ﴿ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ أي حدّ الزنى الذي ثبت بشهاداته ﴿ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٨) ﴾ فيما رماها به من الزنا. ٩- ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٩) ﴾ في ذلك. ١٠- ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ بالستر في ذلك ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ ﴾ بقبوله التوبة في ذلك وغيره ﴿ حَكِيمٌ (١٠) ﴾ فيما حكم به في ذلك وغيره لبيين الحق في ذلك، وعاجَلَ بالعقوبة من يستحقها .

(سورة النور)

■ **أسباب نزول الآية ٣**- قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ﴾، أخرج النسائي عن عبد الله بن عمرو قال: كانت امرأة يقال لها أمّ مهزول، وكانت تسافح، فأراد رجل من أصحاب النبي ﷺ أن يتزوجها، فأنزل الله ﴿ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مزيد يحمل من الأنبار إلى مكة حتى يأتيهم، وكانت امرأة بمكة صديقة له يقال لها عناق، فاستأذن النبي ﷺ أن ينكحها، فلم يرد عليه شيئًا حتى نزلت ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ الآية، فقال رسول الله :

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

١١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ أسوأ الكذب على عائشة رضي الله عنها أمّ المؤمنين بقذفها ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ جماعة من المؤمنين، قالت: حسان بن ثابت، وعبد الله بن أبيّ، ومسطح، وحمنة بنت جحش ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أيها المؤمنون غير العصبة ﴿شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يأجركم الله به ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه وهو صفوان فإنها قالت كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعدما أنزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا في المدينة وآذن بالرحيل ليلة فمشيت وقضيت شأني وأقبلت إلى الرحل فإذا عقدي انقطع – هو بكسر المهملة القلادة – فرجعت ألتمسه وحملوا هودجي – هو ما يركب فيه – على بعيري يحسبونني فيه وكانت النساء خفافا إنما يأكلن العلقة – هو بضم المهملة وسكون اللام – من الطعام – أي القليل – ووجدت عقدي وجئت بعدما ساروا فجلست في المنزل الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ فغلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان قد عرّس من وراء الجيش فادّلج – هما بتشديد الراء والدال أي نزل من آخر الليل للاستراحة – فسار منه فأصبح في منزله فرأى سواد إنسان نائم – أي شخصه – فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني – أي قوله إنا لله وإنا إليه راجعون – فخمرت وجهي بجلبابي – أي غطيته بالملاءة – والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطئ على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة – أي من أوغر: واقفين في مكان وغر من شدّة الحر – فهلك من هلك وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول. اهـ. قولها رواه الشيخان(١). قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم﴾ أي عليه ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ في ذلك ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي تحمّل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبد الله بن أبيّ ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ هو النار في الآخرة. ١٢- ﴿لَّوْلَآ﴾ هلاّ ﴿إِذْ﴾ حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي ظنّ بعضهم ببعض ﴿خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ كذب بيّن فيه التفات عن الخطاب: أي ظننتم أيها العصبة وقلتم: ١٣- ﴿لَّوْلَا﴾ هلاّ ﴿جَآءُو﴾ أي العصبة ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ شاهدوه ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي في حكمه ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ فيه. ١٤- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ أيها العصبة: أي خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ في الآخرة. ١٥- ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي يرويه بعضكم عن بعض، وحذف من الفعل إحدى التاءين، وإذ منصوب بـ «مسّكم» أو بـ «أفضتم» ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾. ١٦- ﴿وَلَوْلَآ﴾ هلاّ ﴿إِذْ﴾ حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ﴾ هو للتعجب هنا ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ﴾ كذب ﴿عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ في الإثم. ١٧- ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ينهاكم ﴿أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ تتعظون بذلك. ١٨- ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ في الأمر والنهي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يأمر به وينهى عنه ﴿حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ فيه. ١٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ باللسان ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بنسبتها إليهم وهم العصبة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بحدّ القذف ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالنار لحقّ الله ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انتفاءها عنهم ﴿وَأَنتُمْ﴾ أيها العصبة بما قلتم من الإفك ﴿لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ وجودها فيهم. ٢٠- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيها العصبة ﴿وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ بكم لعاجلكم بالعقوبة.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (الشهادات/٢٦٦١/فتح) مسلم في (التوبة/٢٧٧٠/عبد الباقي).

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي
مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ
ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾
يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ
﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ
ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ
وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

٢١- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي طرق تزيينه ﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾ أي المتبع ﴿يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ أي القبيح ﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾ شرعا باتباعها ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ أيها العصبة بما قلتم من الإفك ﴿مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ أي ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي﴾ يطهر ﴿مَن يَشَآءُۗ﴾ من الذنب بقبول توبته منه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بما قلتم ﴿عَلِيمٞ ﴿٢١﴾﴾ بما قصدتم. ٢٢- ﴿وَلَا يَأۡتَلِ﴾ يحلف ﴿أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ﴾ أي أصحاب الغنى ﴿مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن﴾ لا ﴿يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾: نزلت في أبي بكر، حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدريّ لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه، وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدّقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ﴾ عنهم في ذلك ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ للمؤمنين: قال أبو بكر: بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه. ٢٣- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ﴾ بالزنى ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ العفائف ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفواحش بأن لا يقع في قلوبهنّ فعلها ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٤- ﴿يَوۡمَ﴾ ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم ﴿تَشۡهَدُ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ من قول وفعل وهو يوم القيامة. ٢٥- ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ يجازيهم جزاءه الواجب عليهم ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكون فيه، ومنهم عبد الله ابن أبيّ، والمحصنات هنا: أزواج النبي ﷺ لم يذكر في قذفهنّ توبة، ومن ذكر في قذفهنّ أوّل سورة التوبة غيرهُنّ. ٢٦- ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ﴾ من النساء ومن الكلمات ﴿لِلۡخَبِيثِينَ﴾ من الناس ﴿وَٱلۡخَبِيثُونَ﴾ من الناس ﴿لِلۡخَبِيثَٰتِۖ﴾ مما ذكر ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ مما ذكر ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الناس ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾ منهم ﴿لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ مما ذكر: أي اللائق بالخبيث مثله وبالطيب مثله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الطيبون من الرجال والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ أي الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم ﴿لَهُم﴾ للطيبين والطيبات من الرجال ﴿مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾﴾ في الجنة، وقد افتخرت عائشة بأشياء منها أنها: خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما. ٢٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ أي تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ فيقول الواحد: السلام عليكم أأدخل؟ كما ورد في حديث ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من الدخول بغير استئذان ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال: خيريّته فتعملوا به.

يا مزيد ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ﴾ الآية، فلا تنكحها. وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال: لما حرم الله الزنا، فكان زوان عندهن جمال، فقال الناس: لينطلقن فليتزوجن، فنزلت.

■ أسباب نزول الآية ٦- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ الآية، أخرج البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس أن هلال ابن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: البينة أو حدّ في ظهرك، فقال: تالله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: البينة أو حد في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل فأنزل الله عليه ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن
قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾
قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ
آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

٢٨- ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾ بعد الاستئذان ﴿ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ﴾ أي الرجوع ﴿أَزْكَىٰ﴾ أي خير ﴿لَكُمْ﴾ من القعود على الباب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدخول بإذنٍ وغير إذنٍ ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ فيجازيكم عليه. ٢٩- ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ﴾ أي منفعة ﴿لَّكُمْ﴾ باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تُظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره، وسيأتي أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم. ٣٠- ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ عما لا يحل لهم نظره، و «من» زائدة ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عما لا يحلّ لهم فعله بها ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ﴾ أي خير ﴿لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه. ٣١- ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عما لا يحلّ لهنّ نظره ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحل لهن فعله بها ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾ يظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين، والثاني: يحرم، لأنه مظنة الفتنة ورُجِّح حسما للباب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية وهي ما عدا الوجه والكفين ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ جمع بعل: أي زوج ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرّة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج. وخرج بـ«نسائهنّ» الكافرات، فلا يجوز للمسلمات الكشف لهنّ، وشمل «ما ملكت أيمانهن» العبيد ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾ العبيد في فضول الطعام ﴿غَيْرِ﴾ بالجرّ صفة، والنصب استثناء ﴿أُولِي الْإِرْبَةِ﴾ أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ بأن لم ينتشر ذكر كُلّ ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾ بمعنى الأطفال ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾ يطّلعوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ للجماع، فيجوز أن يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ من خلخال يتقعقع ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ تنجون من ذلك لقبول التوبة منه. وفي الآية تغليب الذكور على الإناث.

وأخرجه أحمد بلفظ لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار: أهكذا نزلت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟ قالوا: يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور، والله ما تزوج امرأة فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته، فقال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق وأنها من الله ولكني تعجبت أني لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله لا آتي بهم حتى يقضي حاجته قال: فما لبثوا إلا يسيرًا حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلاً فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهجه حتى أصبح فغدا إلى رسول الله ﷺ وقال له: إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه واجتمعت الأنصار فقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد ابن عبادة، الآن يضرب رسول الله هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجًا،

وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾

٣٢- ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾ جمع أيِّم وهي من ليس لها زوج، بكرا كانت أو ثيبا ومن ليس له زوج، وهذا في الأحرار والحرائر ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ أي المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ و «عباد» من جموع «عَبْد» ﴿إِن يَكُونُوا﴾ أي الأحرار ﴿فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ﴾ بالتزوج ﴿مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ لخلقه ﴿عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ بهم. ٣٣- ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي ما ينكحون به من مهر ونفقة عن الزنى ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ﴾ يوسِّع عليهم ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ فينكحون ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ بمعنى المكاتبة ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة وصيغتها مثلا «كاتبتك على ألفين في شهرين كل شـــهر ألف، فإذا أدّيتها فأنت حرّ» فيقـــول «قبلت» ﴿وَآتُوهُم﴾ أمرٌ للسادة ﴿مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم. وفي معنى الإيتاء حط شيء مما التزموه ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ أي إمائكم ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾ أي الزنى ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعففا عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط ﴿لِّتَبْتَغُوا﴾ بالإكراه ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نزلت في عبد الله بن أبيّ كان يُكرِهُ جواريه على الكسب بالزنى ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لهنّ ﴿رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ بهنّ. ٣٤- ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ بفتح الياء وكسرها في هذه السورة بيّن فيها ما ذكر أو بينة ﴿وَمَثَلًا﴾ خبرا عجيبا وهو خبر عائشة ﴿مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي من جنس أمثالهم: أي أخبارهم العجيبة كخبر يوسف ومريم ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ في قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾... الخ ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم﴾... الخ ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا﴾ ... الخ» وتخصيصها بالمتقين لأنهم المنتفعون بها. ٣٥- ﴿۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي مُنوِّرهما بالشمس والقمر ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي صفته في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ هي القنديل، والمصباح: السراج، أي: الفتيلة الموقودة، والمشكاة: الطاقة غير النافذة: أي الأنبوبة في القنديل ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنور فيها ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي مضيء بكسر الدال وضمها من الدرء بمعنى الدفع، لدفعها الظلام. وبضمها وتشديد الياء منسوب إلى الدرّ اللؤلؤ ﴿تُوقَدُ﴾ المصباح بالماضي. وفي قراءة بمضارع أُوقِد مَبْنيًا للمفعول بالتحتانية. وفي أخرى «تُوقَدُ» بالفوقانية أي الزجاجة ﴿مِن﴾ زيت ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بل بينهما، فلا يتمكن منها حرّ ولا برد مضرّان ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لصفائه ﴿نُّورٌ﴾ به ﴿عَلَىٰ نُورٍ﴾ بالنار، ونور الله: أي هداه للمؤمن نور على نور الإيمان ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ أي دين الإسلام ﴿مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ﴾ يبيِّن ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ تقريبا لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ ومنه ضرب الأمثال. ٣٦- ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق بـــ «يسبح» الآتي. ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ تُعظَّم ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بتوحيده ﴿يُسَبِّحُ﴾ بفتح الموحدة وكسرها: أي يصلي ﴿لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ﴾ مصدر بمعنى الغدوات أي البكر ﴿وَالْآصَالِ﴾ العشايا من بعد الزوال.

فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه، أنزل الله عليه الوحي فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية وأخرج أبو يعلي مثـله من حديث أنس. وأخرج الشـيخان وغيرهما عن سـهل بن سعد قال: جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال: اسـأل لي رسول الله ﷺ، أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجـلا فقتله، أيقتل به؟ أم كيف يصنع؟

رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ
الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن
فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ
يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ
وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

٣٧- ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل «يسبِّح» بكسر الباء. وعلى فتحها نائب الفاعل «له» و«رجال» فاعل فعل مقدّر جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: من يسبحه؟ ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ أي شراء ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ﴾ حذف هاء «إقامة» تخفيف ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾ تضطرب ﴿فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ من الخوف: القلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال: هو يوم القيامة.

٣٨- ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي ثوابه وأحسن بمعنى حسن ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ يقال: فلان ينفق بغير حساب أي يوسع، كأنه لا يحسب ما ينفقه. ٣٩- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ جمع قاع: أي في فلاة. وهو شعاع يرى فيها نصف النهار في شدّة الحر يشبه الماء الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾ يظنه ﴿الظَّمْآنُ﴾ أي العطشان ﴿مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ مما حسبه، كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفعه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله: أي لم ينفعه ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ أي عند عمله ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ أي جازاه عليه في الدنيا ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ أي المجازاة. ٤٠- ﴿أَوْ﴾ الذين كفروا أعمالهم السيئة ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ عميق ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ﴾ أي الموج ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ﴾ أي الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ أي غيم. هذه ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول، وظلمة الثاني، وظلمة السحاب ﴿إِذَا أَخْرَجَ﴾ الناظر ﴿يَدَهُ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ أي لم يقرب من رؤيتها ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ أي من لم يهده الله لم يهتد.

٤١- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومن التسبيح صلاة ﴿وَالطَّيْرُ﴾ جمع طائر بين السماء والأرض ﴿صَافَّاتٍ﴾ حال: باسطات أجنحتهنّ ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ الله ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ فيه تغليب العاقل. ٤٢- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ المرجع.

٤٣- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ بضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ مخارجه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن﴾ زائدة ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السماء: بدل بإعادة الجارّ ﴿مِن بَرَدٍ﴾ أي بعضه ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ﴾ يقرب ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾ لمعانه ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾﴾ الناظرة له: أي يَخْطَفُها.

فسأل عاصم رسول الله ﷺ فعاب رسول الله ﷺ السائل فلقيه عويمر فقال: ما صنعت؟ قال: ما صنعت، إنك لم تأتني بخير سألت رسول الله ﷺ فعاب السائل، فقال عويمر: فوالله لآتينّ رسول الله ﷺ فلأسألنه، فقال: إنه نزل فيك وفي صاحبتك الآيات الحديث. قال الحافظ ابن حجر: اختلفت الأئمة في هذه المواضع، فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضًا، فنزلت في شأنهما معًا، وإلى هذا جنح النووي وتبعه الخطيب فقال: اتفق لهما ذلك في وقت واحد، قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر و لم يكن له علم بما وقع لهلال أعلمه النبي ﷺ بالحكم، ولهذا قال في قصة هلال، فنزل جبريل، وفي قصة عويمر: قد أنزل الله فيك، فيؤول قوله قد أنزل الله فيك، أي فيمن وقع له مثل ما وقع لك، وبهذا أجاب ابن الصباغ في الشامل، وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين، وأخرج البزار من طريق زيد بن مطيع عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر لو رأيت مع أم رومان رجلا ما كنت فاعلا به، قال: كنت فاعلاً به شرًا، قال: وأنت يا عمر؟ قال: كنت أقول: لعن الله الأعجز وإنه لخبيث، فنزلت قال الحافظ ابن حجر: لا مانع من تعدد الأسباب.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾

٤٤- ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ أي يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التقليب ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾ دلالة ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى. ٤٥- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ﴾ أي حيوان ﴿مِّن مَّآءٖ﴾ أي نطفة ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾ كالحيات والهوام ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ﴾ كالإنسان والطير ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ﴾ كالبهائم والأنعام ﴿يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾﴾. ٤٦- ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾ أي بيّنات هي القرآن ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾﴾ أي دين الإسلام. ٤٧- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المنافقون ﴿ءَامَنَّا﴾ صدقنا ﴿بِٱللَّهِ﴾ بتوحيده ﴿وَبِٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﷺ ﴿وَأَطَعۡنَا﴾ فيما حكم الله ورسوله به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ يُعرض ﴿فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ عنه ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المعرضون ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ المعهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم. ٤٨- ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ المبلغ عنه ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ عن المجيء إليه. ٤٩- ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ مسرعين طائعين. ٥٠- ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر ﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ أي شكوا في نبوّته ﴿أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ في الحكم: أي فيظلموا فيه؟ لا ﴿بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ بالإعراض عنه. ٥١- ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ فالقول اللائق بهم ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ﴾ بالإجابة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ حينئذ. ﴿هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ الناجــون. ٥٢- ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَيَتَّقۡهِ﴾ بسكون الهاء وكسرها بأن يطيعه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ بالجنة. ٥٣- ﴿۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ غايتها ﴿لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ﴾ بالجهاد ﴿لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل﴾ لهم ﴿لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ﴾ للنبيّ خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل.

■ أسباب نزول الآيات ١١- ٢١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ الآيات، أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت وذلك بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه، قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافًا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحّلوه ورفعوه فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي عندما سار الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه فظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل قد عرس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان يراني قبل أن يضرب عليَّ الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي، فوالله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته، فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا شهرًا والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت مع أمّ مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح فقلت لها: بئس ما قلت، تسبين رجلا شهد بدرًا؟ فقالت أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ فقلت: وماذا قال؟ فأخبرتني بقول

قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾

٥٤- ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن طاعته بحذف إحدى التاءين خطاب لهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ﴾ من طاعته ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ أي التبليغ البيّن. ٥٥- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بدلاً عن الكفار ﴿كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من بني إسرائيل بدلاً عن الجبابرة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾ وهو الإسلام بأن يظهر على جميع الأديان ويوسع لهم في البلاد فيملكوها ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ﴾ من الكفار ﴿أَمۡنٗاۚ﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر، وأثنى عليهم بقوله ﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ هو مستأنف في حكم التعليل ﴿وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ الإنعام منهم به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ وأوّل من كفر به قتلة عثمان ﷺ فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانا. ٥٦- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أي رجاء الرحمة. ٥٧- ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ﴾ بالفوقانية والتحتانية، والفاعل الرسول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ لنا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ بأن يفوتونا ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ﴾ مرجعهم ﴿ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ المرجع هي. ٥٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ من العبيد والإماء ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ﴾ من الأحرار وعرفوا أمر النساء ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ﴾ في ثلاثة أوقات ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي وقت الظهر ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ بالرفع: خبر مبتدأ مقدّر بعده مضاف، وقام المضاف إليه مقامه: أي هي أوقات. وبالنصب بتقدير أوقات منصوبا بدلا من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه، وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي المماليك والصبيان ﴿جُنَاحُۢ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿بَعۡدَهُنَّۚ﴾ أي بعد الأوقات الثلاثة، هم ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ للخدمة ﴿بَعۡضُكُمۡ﴾ طائف ﴿عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ والجملة مؤكدة لما قبلها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بيّن ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ﴾ أي الأحكام ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأمور خلقه ﴿حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾﴾ بما دبّره لهم، وآية الاستئذان: قيل منسوخة، وقيل لا، ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان.

أهل الإفك، فازددت مرضًا إلى مرضي فلما دخل عليّ رسول الله ﷺ قلت: أتأذن لي أن آتي أبوي، وأنا أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي، فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أماه ما يتحدث الناس؟ قالت: أي بنية هوني عليك لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، قلت: سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا! فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم من براءة أهله، فقال يا رسول الله: هم أهلك ولا نعلم إلا خيرًا، وأما عليّ فقال: لن يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، فدعا بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ؟ قالت: والذي بعثك بالحق إن رأيت أمرًا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله S على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبيّ فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فو الله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ثم بكيت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، ثم دخل رسول ﷺ فسلم ثم جلس وقد لبث شهرًا

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

٥٩- ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ﴾ أيها الأحرار ﴿ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ ﴾ في جميع الأوقات ﴿ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي الأحرار الكبار ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾. ٦٠- ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ قعدن عن الحيض والولد لكبرهنّ ﴿ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ لذلك ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ من الجلباب والرداء، والقناع فوق الخمـــار ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ ﴾ مظهرات ﴿ بِزِينَةٍ ﴾ خفية كقلادة وسوار وخلخال ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ ﴾ بأن لا يضعنها ﴿ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لقولكم ﴿ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ بما في قلوبكم. ٦١- ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ في مؤاكلة مقابليهم ﴿ وَلَا ﴾ حرج ﴿ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ ﴾ بيوت أولادكم ﴿ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ أي خزنتموه لغيركم ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ وهو من صدقكم في مودّته. المعنى: يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا: أي إذا علم رضاهم به ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا ﴾ مجتمعين ﴿ أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ متفرّقين، جمع شت: نزل فيمن تحرّج أن يأكل وحده وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا ﴾ لكم لا أهل بها ﴿ فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي قولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد عليكم وإن كان بها أهل فسلموا عليهم ﴿ تَحِيَّةً ﴾ مصدر حيا ﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ يثاب عليها ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ أي يفصل لكم معالم دينكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ لكي تفهموا ذلك.

لا يوحى إليه في شأني شيء فتشهد ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت قد ألممت بذنب فاستغفري الله ثم توبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه فلما قضى مقالته قلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فقال: والله ما أدري ما أقول، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فقالت: والله ما أدري ما أقول، فقلت وأنا جارية حديثة السن: والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم: إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني، وفي رواية ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، وإني والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، فلما سُرّي عنه كان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي وأنزل الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ عشـــر آيات: فقال أبو بكر: وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره، والله لا أنفق عليه شيئا بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ إلى قوله ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾.

- **أسباب نزول الآية ٢٢:** قال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح ما كان ينفق عليه، وفي الباب عن ابن عباس وابن عمر عند الطبراني وأبي هريرة عند البزار وأبي اليسر عند ابن مردويه.
- **أسباب نزول الآية ٢٣:** وأخرج الطبراني عن خصيف قلت لسعيد بن جبير: أيما أشد، الزنا أو القذف؟ قال: الزنا، قلت: إن الله يقول ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ قال: إنما أنزل هذا في شأن عائشة خاصة، في إسناده يحيى الحماني ضعيف. وأخرج أيضًا عن الضحاك بن مزاحم قال: نزلت هذه الاية في نساء النبي ﷺ خاصة

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

٦٢- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي الرسول ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كخطبة الجمعة ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ لعروض عذر لهم ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ بالانصراف ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾. ٦٣- ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ بأن تقولوا: يا محمد ﷺ بل قولوا: يا نبيَّ الله، يا رسول الله، في لين وتواضع وخفض صوت ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ أي يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء. وقد للتحقيق ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي الله أو رسوله ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاء ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ في الآخرة. ٦٤- ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ﴾ أيها المكلفون ﴿عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿وَ﴾ يعلم ﴿يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ فيه التفات عن الخطاب: أي متى يكون ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ فيه ﴿بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ﴾ من الخير والشرّ ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾.

سورة الفرقان

[مكية إلا الآيات ٦٨، ٦٩، ٧٠ فمدنية وآياتها سبع وسبعون نزلت بعد سورة يس]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿تَبَارَكَ﴾ تعالى ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي الإنس والجنّ دون الملائكة ﴿نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ مخوفًا من عذاب الله.

٢- ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من شأنه أن يُخلق ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ سوّاه تسوية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ الآية، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عائشة خاصة، وأخرج ابن جرير عن عائشة قالت: رُميت بما رميت وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك فبينا رسول الله ﷺ عندي إذ أوحي إليه ثم استوى جالسًا فمسح وجهه وقال: يا عائشة أبشري فقلت بحمد الله لا بحمدك، فقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ حتى بلغ ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٢٦**: وأخرج الطبراني بسند رجاله ثقات عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية، قال: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرأها الله من ذلك، وأخرج الطبراني بسندين فيهما ضعف عن ابن عباس قال: نزلت ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية في الذين قالوا في زوج النبي ﷺ ما قالوا من البهتان وأخرج الطبراني عن الحكم بن عتيبة قال: لما خاض الناس في أمر عائشة أرسل رسول الله إلى عائشة، فقال: يا عائشة ما يقول الناس؟ فقالت: لا أعتذر بشيء حتى ينزل عذري من السماء، فأنزل الله فيها خمس عشرة آية من سورة النور، ثم قرأ حتى بلغ ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية، مرسل صحيح الإسناد.

■ **أسباب نزول الآية ٢٧**- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا﴾ الآية، أخرج الفريابي وابن جرير عن عدي بن ثابت

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾

٣- ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ أي الكفار ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي الله: أي غيره ﴿آلِهَةً﴾ هي الأصنام ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي جره ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً﴾ أي إماتة لأحد وإحياء لأحد ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ أي بعثا للأموات. ٤- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا﴾ أي ما القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب ﴿افْتَرَاهُ﴾ محمد ﷺ ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ وهم من أهل الكتاب. قال تعالى ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ كفرا وكذبا: أي بهما.

٥- ﴿وَقَالُوا﴾ أيضا هو ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم، جمع أسطورة بالضم ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ انتسخها من ذلك القوم بغيره ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ غدوة وعشيا. قال تعالى ردا عليهم: ٦- ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ الغيب ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم. ٧- ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ يصدقه. ٨- ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي من ثمارها فيكتفي بها. وفي قراءة «نأكل» بالنون: أي نحن، فيكون له مزية علينا بها ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ أي الكافرون للمؤمنين ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ مخدوعا مغلوبا على عقله. قال تعالى: ٩- ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور والمحتاج إلى ما ينفقه وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقا إليه. ١٠- ﴿تَبَارَكَ﴾ تكاثر خير ﴿الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذي قالوه من الكنز والبستان ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي في الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَل﴾ بالجزم ﴿لَّكَ قُصُورًا﴾ أيضا. وفي قراءة بالرفع استئنافا. ١١- ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ نارا مسعرة: أي مشتدة.

قال: جاءت امرأة من الأنصار، فقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟ فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: لما نزلت آية الاستئذان في البيوت، قال أبو بكر: يا رسول الله، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام ولهم بيوت معلومة على الطريق فكيف يستأذنون يسلمون وليس فيها سكان؟ فنزلت ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٣١**- قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية، وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: بلغنا أن جابر ابن عبد الله حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في نخيل لها فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات فيبدو ما في أرجلهن يعني الخلاخل وتبدو صدورهن وذوائبهن فقالت أسماء: ما أقبح هذا فأنزل الله في ذلك ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية وأخرج ابن جرير عن حضرمي أن امرأة اتخذت صرتين من فضة واتخذت جزعًا، فمرت على قوم فضربت برجلها فوقع الخلخال على الجزع فصوت فأنزل الله ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٣٢**- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ الآية. أخرج ابن السكن في معرفة الصحابة عن عبد الله بن صبيح عن أبيه قال: كنت مملوكًا لحويطب بن عبد العزي فسألته الكتاب، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ الآية.

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا
أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي
هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

١٢- ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ غليانا كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب ﴿وَزَفِيرًا﴾ صوتا شديدا أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه. ١٣- ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بالتشديد والتخفيف بأن يضيق عليهم، و«منها» حال من مكانا، لأنه في الأصل صفة له ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مصفدين قد قرنت أي جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديد للتكثير ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ هلاكا فيقال لهم: ١٤- ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ كعذابكم. ١٥- ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ﴾ ها ﴿الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه تعالى ﴿جَزَاءً﴾ ثوابا ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعا. ١٦- ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ وعدهم ما ذكر ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾ يسأله من وعد به ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أو تسأله لهم الملائكة ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ﴾. ١٧- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون والتحتانية ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجنّ ﴿فَيَقُولُ﴾ تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين إثباتا للحجة على العابدين ﴿أَأَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ﴾ أوقعتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ طريق الحق بأنفسهم. ١٨- ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي﴾ يستقيم ﴿لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ أي غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول أول، و«من» زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني فكيف نأمر بعبادتنا ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ من قبلهم بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى. قال تعالى: ١٩- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ أي كذب المعبودون العابدين ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ بالفوقانية أنهم آلهة ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتحتانية والفوقانية: أي لا هم ولا أنتم ﴿صَرْفًا﴾ دفعا للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ ومنعا لكم منه ﴿وَمَن يَظْلِم﴾ يشرك ﴿مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ شديدا في الآخرة. ٢٠- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فأنت مثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ بلية ابتلي الغني بالفقير، والصحيح بالمريض، والشريف بالوضيع: يقول الثاني في كلّ: ما لي لا أكون كالأوّل في كلّ ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر: أي اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبر وبمن يجزع.

أسباب نزول الآية ٣٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ الآية. أخرج مسلم من طريق أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: كان عبد الله بن أبيّ يقول لجارية له اذهبي فأبغينا شيئا، فأنزل الله ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ الآية وأخرج أيضًا من هذا الطريق أن جارية لعبد الله بن أبيّ يقال لها مسيكة، وأخرى يقال لها أميمة، فكان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ الآية وأخرج الحاكم من طريق أبي الزبير عن جابر قال: كانت مسيكة لبعض الأنصار، فقالت: إن سيدي يكرهني على البغاء فنزلت ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ الآية، وأخرج البزار والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كانت لعبد الله ابن أبيّ جارية تزني في الجاهلية فلما حرم الزنا قالت: لا والله لا أزني أبدًا، فنزلت ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ وأخرج البزار بسند ضعيف عن أنس نحوه وسمى الجارية معاذة، وأخرج سعيد بن منصور

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

٢١- ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فنخبر بأن محمدا رسوله. قال تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ تكبّروا ﴿فِىٓ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ﴾ طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴿٢١﴾﴾ بطلبهم رؤية الله تعالى في الدنيا. وعتوا: بالواو على أصله، بخلاف عتي بالإبدال في مريم.

٢٢- ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ في جملة الخلائق: هو يوم القيامة، ونصبه بـ«اذكر» مقدّرا ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي الكافرين، بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴿٢٢﴾﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدّة: أي عوذا معاذا، يستعيذون من الملائكة. قال تعالى:

٢٣- ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ عمدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴿٢٣﴾﴾ هو ما يرى في الكوى التي عليها الشمس كالغبار المفرّق: أي مثله في عدم النفع به، إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا. ٢٤- ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴿٢٤﴾﴾ منهم: أي موضع قائلة فيها وهي الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار كما ورد في حديث. ٢٥- ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي كلّ سماء ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ أي معه وهو غيم أبيض ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من كل سماء ﴿تَنزِيلًا﴿٢٥﴾﴾ هو يوم القيامة، ونصبه بـ«اذكر» مقدّرا. وفي قراءة: بتشديد شين «تشقق» بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها. وفي أخرى «نُنزل» بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة. ٢٦- ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ لا يشركه فيه أحد ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴿٢٦﴾﴾ بخلاف المؤمنين. ٢٧- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ المشرك عقبة ابن أبي معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبيّ بن خلف ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ندما وتحسرا في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يَٰ﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﷺ ﴿سَبِيلًا﴿٢٧﴾﴾ طريقا إلى الهدى. ٢٨- ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ ألفه عوض عن ياء الإضافة: أي ويلتي، ومعناه هلكتي ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ أي أُبيًّا ﴿خَلِيلًا﴿٢٨﴾﴾. ٢٩- ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ﴾ بأن ردّني عن الإيمان به. قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ﴾ الكافر ﴿خَذُولًا﴿٢٩﴾﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء. ٣٠- ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾ قريشا ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴿٣٠﴾﴾ متروكا. قال تعالى: ٣١- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدوّا من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ﴾ قبلك ﴿عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ﴾ المشركين، فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴿٣١﴾﴾ ناصرا لك على أعدائك. ٣٢- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا ۚ﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كالتوراة والإنجيل والزبور. قال تعالى نزلناه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي متفرّقا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ نقوّي قلبك ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴿٣٢﴾﴾ أي أتينا به شيئا بعد شيء بتمهّل وتؤدة لتيسير فهمه وحفظه.

عن شعبان عن عمرو بن دينار عن عكرمة أن عبد الله بن أبيّ كانت له أمتان: مسيكة ومعاذة، فكان يكرههما على الزنا فقالت إحداهما إن كان خيرًا فقد استكثرت منه وإن كان غير ذلك فإنه ينبغي أن أدعه، فأنزل الله ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ الآية.

سورة الفرقان — الجزء التاسع عشر

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

٣٦٣

٣٣- ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ بيانا. ٣٤- هم ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي يُساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ هو جهنم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ أخطأ طريقا من غيرهم وهو كفرهم. ٣٥- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ معينا. ٣٦- ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي القبط - فرعون وقومه - فذهبا إليهم بالرسالة فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ أهلكناهم إهلاكا. ٣٧- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿قَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾ بتكذيبهم نوحا لطول لبثه فيهم فكأنّه رسُل، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ جواب «لما» ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ﴾ بعدهم ﴿ءَايَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ مؤلما سوى ما يحلّ بهم في الدنيا. ٣٨- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿عَادًا﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَاْ﴾ قوم صالح ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ اسم بئر، ونبيهم قيل شعيب، وقيل غيره: كانوا قعودا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم ﴿وَقُرُونًا﴾ أقواما ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ أي بين عاد وأصحاب الرسّ. ٣٩- ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ في إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ أهلكنا إهلاكا بتكذيبهم أنبياءهم. ٤٠- ﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ﴾ أي مرَّ كفار مكة ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ مصدر ساء أي بالحجارة وهي عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة ﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا﴾ في سفرهم إلى الشام فيعتبرون، والاستفهام للتقرير ﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ بعثا فلا يؤمنون.

٤١- ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ مهزوءا به يقولون ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ في دعواه محتقرين له عن الرسالة. ٤٢- ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي إنه ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ يصرفنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لصرفنا عنها. قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ عيانا في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أخطأ طريقا: أهم أم المؤمنون؟. ٤٣- ﴿أَرَءَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي مهويه: قدّم المفعول الثاني لأنه أهمّ، وجملة «من اتخذ» مفعول أوّل لرأيت، والثاني ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ حافظا تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

◙ أسباب نزول الآية ٤٨- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ﴾ أخرج ابن أبي حاتم من مرسل الحسن قال كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعى إلى النبي ﷺ وهو محق أذعن وعلم أن النبي ﷺ سيقضي له بالحق وإذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي ﷺ أعرض فقال انطلق إلى فلان فأنزل الله ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية.

◙ أسباب نزول الآية ٥٥- قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية. أخرج الحاكم وصححه، والطبراني عن أبيّ بن كعب قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله، فنزلت ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن البراء قال: فينا نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد.

◙ أسباب نزول الآية ٦١- قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ الآية، قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كان الرجل يذهب بالأعمى والأعرج والمريض إلى بيت أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته أو بيت خالته، فكان الزمني

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ
لَكُمُ الَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ الرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ وَأَنزَلْنَا
مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ
مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَٰفِرِينَ
وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ
الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ
نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

٤٤- ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تقول لهم ﴿إِن﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴿٤٤﴾﴾ أخطأ طريقا منها لأنها تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم.

٤٥- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَىٰ﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ ربك ﴿لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ مقيما لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ أي الظل ﴿دَلِيلًا﴿٤٥﴾﴾ فلولا الشمس ما عرف الظل.

٤٦- ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ أي الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴿٤٦﴾﴾ خفيّا بطلوع الشمس.

٤٧- ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساترا كاللباس ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للأبدان بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴿٤٧﴾﴾ منشورا فيه لابتغاء الرزق وغيره.

٤٨- ﴿وَهُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ الرِّيَٰحَ﴾ وفي قراءة: الرِّيحَ ﴿نُشُرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي متفرّقة قدّام المطر. وفي قراءة بسكون الشين تخفيفا. وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدرا. وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون: أي مبشرات، ومفرد الأولى: نَشُور، كرسول والأخيرة: بشير. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴿٤٨﴾﴾ مطهّرا.

٤٩- ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث: ذكره باعتبار المكان ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾ أي الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا﴾ إبلا وبقرا وغنما ﴿وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴿٤٩﴾﴾ جمع إنسان، وأصله: أناسين فأبدلت النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع إنسي.

٥٠- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾ أي الماء ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ أصله يتذكروا أدغمت التاء في الذال. وفي قراءة «ليذْكُروا» بسكون الذال وضم الكاف أي نعمة الله به ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴿٥٠﴾﴾ جحودا للنعمة حيث قالوا: مطرنا بنوء كذا.

٥١- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴿٥١﴾﴾ يخوّف أهلها ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيرا ليعظم أجرك.

٥٢- ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَٰفِرِينَ﴾ في هواهم ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴿٥٢﴾﴾.

٥٣- ﴿۞ وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما متجاورين ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴿٥٣﴾﴾ أي سترا ممنوعا به اختلاطهما.

٥٤- ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَآءِ بَشَرًا﴾ من المني إنسانا ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾ ذا نسب ﴿وَصِهْرًا﴾ ذا صهر بأن يتزوج – ذكرا كان أو أنثى – طلبا للتناسل ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴿٥٤﴾﴾ قادرا على ما يشاء.

٥٥- ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي الكفار ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بتركها وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴿٥٥﴾﴾ معينا للشيطان بطاعته.

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

٥٦- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مخوفاً من النار. ٥٧- ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على تبليغ ما أرسلت به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ طريقًا بإنفاق ماله في مرضاته تعالى فلا أمنعه من ذلك.

٥٨- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ﴾ متلبساً ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي قل سبحان الله والحمد لله ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ عالمًا تعلق به الذنوب. ٥٩- هو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا أي في قدرها - لأنه لم يكن ثم شمس - ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغة سرير الملك ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بدل من ضمير «استوى» أي استواء يليق به ﴿فَسْـَٔلْ﴾ أيها الإنسان ﴿بِهِۦ﴾ بالرحمن ﴿خَبِيرًا﴾ يخبرك بصفاته. ٦٠- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لكفار مكة ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بالفوقانية والتحتانية. والآمر محمد ﷺ ولا نعرفه، لا ﴿وَزَادَهُمْ﴾ هذا القول لهم ﴿نُفُورًا ۩﴾ عن الإيمان قال تعالى: ٦١- ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظمَ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. وهي منازل الكواكب السبعة السيارة، المريخ: وله الحمل والعقرب، والزهرة: ولها الثور والميزان، وعطارد: وله الجوزاء والسنبلة، والقمر، وله السرطان، والشمس، ولها الأسد، والمشتري: وله القوس والحوت، وزحل: وله الجدي والدلو ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضا ﴿سِرَٰجًا﴾ هو الشمس ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ في قراءة «سُرجًا» بالجمع: أي نيرات. وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة. ٦٢- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي يخلف كل منهما الآخر ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ بالتشديد والتخفيف كما تقدم. ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أي شكرا لنعمة ربه عليه فيهما. ٦٣- ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مبتدأ، وما بعده صفات له إلى «أولئك يجزون» غير المعترض فيه ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي قولاً يسلمون فيه من الإثم. ٦٤- ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَٰمًا﴾ بمعنى قائمين أي يصلون بالليل. ٦٥- ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي لازما. ٦٦- ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ﴾ بئست ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هي أي موضع استقرار وإقامة. ٦٧- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟﴾ على عيالهم ﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ بفتح أوله وضمه: أي يضيقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ وسطا.

يتحرجون من ذلك يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فنزلت هذه الآية رخصة لهم ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ تحرج المسلمون وقالوا: الطعام من أفضل الأموال فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فكف الناس عن ذلك، فنزل ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ إلى قوله ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ الآية. وأخرج الضحاك قال: كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي ﷺ لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض ولا أعرج، لأن الأعمى لا يبصر طيب الطعام، والمريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح والأعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام، فنزلت رخصة في مؤاكلتهم وأخرج عن مقسم قال: كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ
ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا (٦٨) يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ
مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا
فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ
مَتَابًا (٧١) وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ
مَرُّواْ كِرَامًا (٧٢) وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا (٧٥) خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)

سُورَةُ ٱلشُّعَرَآءِ

٦٨- ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي واحدا من الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا (٦٨)﴾ أي عقوبة. ٦٩- ﴿يُضَٰعَفْ﴾ وفي قراءة «يضعَّف» بالتشديد ﴿لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾ بجزم الفعلين بدلاً، وبرفعهما استئنافا ﴿مُهَانًا (٦٩)﴾ حال. ٧٠- ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ منهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ المذكورة ﴿حَسَنَٰتٍ ۗ﴾ في الآخرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠)﴾ أي لم يزل متصفا بذلك.

٧١- ﴿وَمَن تَابَ﴾ من ذنوبه غير من ذكر ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا (٧١)﴾ أي يرجع إليه رجوعا فيجازيه خيرا. ٧٢- ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي الكذب والباطل ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُّواْ كِرَامًا (٧٢)﴾ معرضين عنه. ٧٣- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وعظوا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّواْ﴾ يسقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣)﴾ بل خرّوا سامعين ناظرين منتفعين.

٧٤- ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾ بالجمع والإفراد ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لنا بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)﴾ في الخير. ٧٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على طاعة الله ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء ﴿فِيهَا﴾ في الغرفة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا (٧٥)﴾ من الملائكة. ٧٦- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦)﴾ موضع إقامة لهم و«أولئك» وما بعده خبر «عباد الرحمن» المبتدأ. ٧٧- ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لأهل مكة ﴿مَا﴾ نافية ﴿يَعْبَؤُاْ﴾ يكترث ﴿بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ إياه في الشدائد فيكشفها ﴿فَقَدْ﴾ أي فكيف يعبأ بكم وقد ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول والقرآن؟ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامًا (٧٧)﴾ ملازما لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا فقتل منهم يوم بدر سبعون. وجواب «لولا» دل عليه ما قبلها.

والأعرج فنزلت وأخرج الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال: خرج الحارث غازيًا مع رسول الله ﷺ فخلف على أهله خالد بن زيد فحرج أن يأكل من طعامه وكان مجهودًا فنزلت. قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ الآية. أخرج البزار بسند صحيح عن عائشة قالت: كان المسلمون يرغبون في النفر مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتحهم إلى زمناهم ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما أحببتم، وكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا إنهم أذنوا عن غير طيب نفس، فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ إلى قوله ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ وأخرج ابن جرير عن الزهري أنه سئل عن قوله ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ ما بال الأعمى والأعرج والمريض ذكروا هنا فقال أخبرني عبد الله بن عبد الله قال: إن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، وكانوا يتحرجون في ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب، فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم، وأخرج عن قتادة قال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ﴾ في حي من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده، وكان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه وأخرج عن عكرمة وأبي صالح قالا، كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم، فنزلت رخصة لهم.

■ أسباب نزول الآية ٦٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية أخرج ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن عروة ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما قالوا: لما أقبلت قريش عام الأحزاب نزلوا بمجمع الأسيال من رومة بئر بالمدينة، قائدها أبو سفيان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ
إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

سورة الشعراء

[مكية إلا آية ١٩٧، ٢٢٤ إلى آخر السورة فمدنية وآياتها سبع وعشرون ومائتان آية نزلت بعد سورة الواقعة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ٢- ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، الإضافة بمعنى من ﴿ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ المظهر الحق من الباطل. ٣- ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتلها غمّا من أجل ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟﴾ أي أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ ولعل هنا للإشفاق: أي أشفق عليها بتخفيف هذا الغمّ. ٤- ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ﴾ بمعنى المضارع: أي تظل: أي تدوم ﴿أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها جمعت الصفة منه جمع العقلاء. ٥- ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ قرآن ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ صفة كاشفة ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾. ٦- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾.

٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ ينظروا ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ أي كثيرا ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ نوع حسن. ٨- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ دلالة على كمال قدرته تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ في علم الله، و «كان» قال سيبويه: زائدة. ٩- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ ذو العزة ينتقم من الكافرين ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ يرحم المؤمنين.

١٠- ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ رسولاً. ١١- ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله، وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿أَلَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري ﴿يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ الله بطاعته فيوحّدونه. ١٢- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾. ١٣- ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ من تكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ بأداء الرسالة للعقدة التي فيه ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ﴾ أخي ﴿هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾ معي. ١٤- ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ بقتل القبطي منهم ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ به.

١٥- ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿كَلَّا﴾ لا يقتلونك ﴿فَٱذْهَبَا﴾ أي أنت وأخوك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ ما تقولون وما يقال لكم، أجريا مجرى الجماعة. ١٦- ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا﴾ أي كلا منا ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ إليك. ١٧- ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾ إلى الشام ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ فأتياه فقالا له ما ذكر. ١٨- ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ ثلاثين سنة يَلْبسُ من ملابس فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه. ١٩- ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ هي قتله القبطي ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد.

وأقبلت غطفان حتى نزلوا بنعمي إلى جانب أحد، وجاء رسول الله ﷺ الخبر، فضرب الخندق على المدينة وعمل فيه وعمل المسلمون فيه وأبطأ رجال من المنافقين وجعلوا يأتون بالضعيف من العمل فيتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذ نابته النائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر لرسول الله ﷺ ويستأذنه في اللحوق لحاجته فيأذن له، وإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ إلى قوله ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ
﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

٢٠- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي حينئذ ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة. ٢١- ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ علما ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ . ٢٢- ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ﴾ أصله تمن بها عليَّ ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ بيان لـ«تلك» أي اتخذتهم عبيدا و لم تستعبدني، لا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم. وقدّر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للإنكار. ٢٣- ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لموسى ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ الذي قلت إنك رسوله: أي أي شيء هو، ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى وإنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها. ٢٤- ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أي خالق ذلك ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ بأنه تعالى خالقه فآمنوا به وحده. ٢٥- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ من أشراف قومه ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال. ٢٦- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ وهذا وإن كان داخلاً فيما قبله يغيظ فرعون، ولذلك. ٢٧- ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾. ٢٨- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أنه كذلك فآمنوا به وحده. ٢٩- ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ كان سجنه شديدا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحدا. ٣٠- ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَوَلَوْ﴾ أي أتفعل ذلك ولو ﴿جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ أي برهان بيّن على رسالتي. ٣١- ﴿قَالَ﴾ فرعون له ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ فيه. ٣٢- ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ حية عظيمة. ٣٣- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ وأخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة. ٣٤- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ فائق في علم السحر. ٣٥- ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ . ٣٦- ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخّر أمرهما ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ جامعين. ٣٧- ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ يفضل موسى في علم السحر. ٣٨- ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة.

٣٩- ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ٦٣- قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟﴾ الآية، أخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فأنزل الله: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ فقالوا: يا نبيّ الله، يا رسول الله.

(سورة الفرقان)

■ أسباب نزول الآية ١٠: أخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن جرير وابن أبي حاتم عن خيثمة قال: قيل للنبي ﷺ إن شئت أعطيناك مفاتيح الأرض وخزائنها لا ينقصك ذلك عندنا شيئاً في الآخرة وإن شئت جمعتهما لك في الآخرة قال: بل اجمعهما في الآخرة فنزلت ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٢٠: أخرج الواحدي من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: لما عير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق حزن رسول الله ﷺ فنزل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

٤٠- ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾. الاستفهام للحث على الاجتماع والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى. ٤١- ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾.

٤٢- ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي حينئذ ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

٤٣- ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بعد ما قالوا له ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم توسلا به إلى إظهار الحق. ٤٤- ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

٤٥- ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ يقلبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى. ٤٦- ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾. ٤٧- ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٤٨- ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر. ٤٩- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ءَامَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفا ﴿لَهُۥ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ فعلمكم شيئا منه وغلبكم بآخر ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. ٥٠- ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ﴾ لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأيِّ وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة. ٥١- ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ نرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن﴾ أي بأن ﴿كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماننا. ٥٢- ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزيدوا إلا عتوًا ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ بني إسرائيل. وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة «أسر» من سرى لغة في أسرى: أي سر بهم ليلا إلى البحر ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر فأنجيكم وأغرقهم. ٥٣- ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسيرهم ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ قيل كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية ﴿حَٰشِرِينَ﴾ جامعين الجيش قائلا: ٥٤- ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾ قيل كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا ومقدّمة جيشه سبعمائة ألف، فقلّلهم بالنظر إلى كثرة جيشه. ٥٥- ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ فاعلون ما يغيظنا. ٥٦- ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ مستعدون. وفي قراءة «حاذرون» متيقظون. ٥٧- قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ أي فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى وقومه ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾ بساتين كانت على جانبي النيل ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار جارية في الدور من النيل.

٥٨- ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزا لأنه لم يعط حق الله تعالى منها ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم. ٥٩- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إخراجنا كما وصفنا ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعد إغراق فرعون وقومه. ٦٠- ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ لحقوهم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس.

إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير نحوه من طريق سعيد وعكرمة عن ابن عباس.

◙ أسباب نزول الآية ٢٧: وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان أُبيّ بن خلف يحضر النبي ﷺ فيزجره عقبة ابن أبي معيط فنزل ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ إلى قوله ﴿خَذُولًا﴾ وأخرج مثله عن الشعبي ومقسم، وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه والضياء في المختارة عن ابن عباس قال: قال المشركون: إن كان محمد كما يزعم نبيًا فلم يعذبه ربه؟ ألا ينزل

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب
بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم
مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ
نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ
نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ
تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ
﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ
﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

٦١- ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ أي رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ يدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به. ٦٢- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿كَلَّآ﴾ أي لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بنصره ﴿سَيَهۡدِينِ﴾ طريق النجاة. ٦٣- قال تعالى: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ فضربه ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ فانشق اثني عشر فرقا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ الجبل الضخم بينها مسالك سلكوها لم يبتلّ منها سرج الراكب ولا لبده. ٦٤- ﴿وَأَزۡلَفۡنَا﴾ قرّبنا ﴿ثَمَّ﴾ هناك ﴿ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم. ٦٥- ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة. ٦٦- ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه. ٦٧- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي إغراق فرعون وقومه ﴿لَأٓيَةٗ﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون، وحزقيل مؤمن آل فرعون، ومريم بنت ناموصى التي دلت على عظام يوسف عليه السلام. ٦٨- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين فأنجاهم من الغرق. ٦٩- ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ ويبدل منه. ٧٠- ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾. ٧١- ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ أي نقيم نهارا على عبادتها: زادوه في الجواب افتخارا به. ٧٢- ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ﴾ حين ﴿تَدۡعُونَ﴾. ٧٣- ﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ كم إن لم تعبدوهم.
٧٤- ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ أي مثل فعلنا. ٧٥- ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ﴾.
٧٦- ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ﴾. ٧٧- ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ﴾ لا أعبدهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فإني أعبده. ٧٨- ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ إلى الدين. ٧٩- ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ﴾.
٨٠- ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾. ٨١- ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾.
٨٢- ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ﴾ أرجو ﴿أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ أي الجزاء.
٨٣- ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا﴾ علما ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ النبيين.

عليه القرآن جملة واحدة، فينزل عليه الآية والآيتين، فأنزل الله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾.

◙ أسباب نزول الآية ٦٨: وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك قلت: ثم أي ؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك، فأنزل الله تصديقها ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾ وأخرج الشيخان عن ابن عباس أن ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفـارة، فنزلت ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله ﴿غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ ونزل ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ الآية. وأخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: لما أنزلت في الفرقان ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي﴾ الآية، قال مشركو أهل مكة: قد قتلنا النفس بغير حق ودعونا مع الله إلهًا آخر وأتينا الفواحش، فنزلت ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ الآية.

وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ
أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا
إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

٨٤- ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء حسنا ﴿فِي ٱلْآخِرِينَ﴾
الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة. ٨٥- ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ
جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي ممن يُعطاها. ٨٦- ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ بأن تتوب عليه فتغفر له، وهذا قبل أن يتبين
له أنه عدوّ لله كما ذكر في سورة براءة. ٨٧- ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾
تفضحني ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي الناس. ٨٨- قال تعالى فيه:
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أحـدا. ٨٩- ﴿إِلَّا﴾ لكن
﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك والنفاق وهو قلب المؤمن
فإنه ينفعه ذلك. ٩٠- ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قُرِّبتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾
فيروها. ٩١- ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ الكافرين.
٩٢- ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ . ٩٣- ﴿مِن دُونِ
ٱللَّهِ﴾ أي غيره من الأصنام ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب
عنكم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم؟ لا.
٩٤- ﴿فَكُبْكِبُوا﴾ ألقوا ﴿فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾.
٩٥- ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أتباعه ومن أطاعه من الجـنّ والإنس
﴿أَجْمَعُونَ﴾.
٩٦- ﴿قَالُوا﴾ أي الغاوون ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مع معبوديهم. ٩٧- ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها
محذوف: أي إنه ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن. ٩٨- ﴿إِذْ﴾ حيث ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في العبادة.
٩٩- ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ عن الهدى ﴿إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي الشياطين أو أوّلونا الذين اقتدينا بهم. ١٠٠- ﴿فَمَا لَنَا
مِن شَٰفِعِينَ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين. ١٠١- ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي يهمه أمرنا.
١٠٢- ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ «لو» هنا للتمني، و «نكون» جوابه.
١٠٣- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قصة إبراهيم وقومه ﴿لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾. ١٠٤- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ . ١٠٥- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبهم له لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، أو
لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل، وتأنيث «قوم» باعتبار معناه، وتذكيره باعتبار لفظه. ١٠٦- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ﴾ نسبا ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله. ١٠٧- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على تبليغ ما أرسلت به.
١٠٨- ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته. ١٠٩- ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على
تبليغه ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ﴾ أي ثوابي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ١١٠- ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾
كرّره تأكيدا. ١١١- ﴿۞ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ﴾ نصدّق ﴿لَكَ﴾ لقولك ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾ وفي قراءة «وأتباعك» جمع تابع
مبتدأ ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾السفلة كالحاكة والأساكفة.

(سورة الشعراء)

▣ أسباب نزول الآية ٢٠٥ - أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جهضم قال: رؤي النبي ﷺ كأنه متحير فسألوه عن ذلك فقال:
و لم؟ ورأيت عدوي يكون من أمتي بعدي، فنزلت ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ فطابت نفسه.
▣ أسباب نزول الآية ٢١٤- وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ بدأ بأهل بيته
وفصيلته فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾
▣ أسباب نزول الآية ٢٢٤- وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العـوفي عن ابن عباس قال: تهاجى رجلان على عهد

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن
مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

١١٢- ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي﴾ أي علم لي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ١١٣- ﴿إِنْ﴾ ما ﴿حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ فيجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ تعلمون ذلك ما عبدتموهم. ١١٤- ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ١١٥- ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بيِّن الإنذار. ١١٦- ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ﴾ عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ بالحجارة أو بالشتم.

١١٧- ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾. ١١٨- ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ أي احكم ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ١١٩- قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء من الناس والحيوان والطير. ١٢٠- ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي بعد إنجائهم ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه.

١٢١- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

١٢٢- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. ١٢٣- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾. ١٢٤- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾. ١٢٥- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾. ١٢٦- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾. ١٢٧- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

١٢٨- ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع ﴿آيَةً﴾ بناء علما للمارة ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بمن يمرّ بكم وتسخرون منهم، والجملة حال من ضمير تبنون. ١٢٩- ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للمـاء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ كأنكـم ﴿تَخْلُدُونَ﴾ فيها لا تموتون. ١٣٠- ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بضرب أو قتل ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ من غير رأفة.

١٣١- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أمرتكم به. ١٣٢- ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾ أنعم عليكـم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾. ١٣٣- ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾. ١٣٤- ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار.

١٣٥- ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة إن عصيتموني. ١٣٦- ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ مستو عندنا ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أصلاً: أي لا نرعوي لوعظك.

رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء، فأنزل الله ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ الآيات، وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة نحوه، وأخرج عن عروة قال: لما نزلت ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾ إلى قوله تعالى ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ قال عبد الله بن رواحة: قد علم الله أني منهم، فأنزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى آخر السورة وأخرج ابن جرير والحاكم عن أبي حسن البراد قال: لما نزلت ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾ الآية جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت، فقالوا يا رسول الله، والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء هلكنا فأنزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية، فدعاهم رسول الله ﷺ فتلاها عليهم.

(سورة القصص)

▣ أسباب نزول الآية ٥١ - أخرج ابن جرير والطبراني عن رفاعة القرظي قال: نزلت ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ في عشرة أنا أحدهم. وأخرج ابن جرير عن علي بن رفاعة قال: خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم رفاعة يعني أباه، إلى النبي ﷺ فآمنوا فأوذوا، فنزلت ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ الآية، وأخرج عن قتادة قال: كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على الحق حتى بعث الله محمدًا ﷺ فآمنوا، منهم عثمان وعبد الله بن سلام.

▣ أسباب نزول الآية ٥٢ – قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ الآية، سيأتي سبب نزولها في سورة الحديد.

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

١٣٧- ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ الذي خوفتنا به ﴿إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ أي اختلاقهم وكذبهم. وفي قراءة بضم الخاء واللام: أي ما هذا الذي نحن عليه من إنكار للبعث إلا خلق الأولين أي طبيعتهم وعادتهم. ١٣٨- ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾.
١٣٩- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ في الدنيا بالريح ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾. ١٤٠- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾. ١٤١- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾. ١٤٢- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾.
١٤٣- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾. ١٤٤- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾﴾. ١٤٥- ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾. ١٤٦- ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ﴾ من الخيرات ﴿ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾﴾. ١٤٧- ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾﴾.
١٤٨- ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ لطيف لين.
١٤٩- ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ بطرين. وفي قراءة «فارهين» حاذقين. ١٥٠- ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾﴾ فيما أمرتكم به. ١٥١- ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾. ١٥٢- ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ بطاعة الله. ١٥٣- ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم. ١٥٤- ﴿مَآ أَنتَ﴾ أيضا ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ في رسالتك.
١٥٥- ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾. ١٥٦- ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ بعظم العذاب. ١٥٧- ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي عقرها بعضهم برضاهم ﴿فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ على عقرها. ١٥٨- ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ الموعود به فهلكوا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾. ١٥٩- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٥٦ - قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية. أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: قل لا إله إلا الله أشهد لك يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني نساء قريش يقلن إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ وأخرج النسائي وابن عساكر في تاريخ دمشق بسند جيد عن أبي سعيد بن رافع قال: سألت ابن عمر عن هذه الآية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أفي أبي جهل وأبي طالب؟ قال نعم.
■ أسباب نزول الآية ٥٧- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أن أناسًا من قريش قالوا للنبي ﷺ: إن نتبعك تخطفنا الناس، فنزلت، وأخرج النسائي عن ابن عباس أن الحارث بن عامر بن نوفل هو الذي قال ذلك.
■ أسباب نزول الآية ٦١- قوله تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ الآية أخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ الآية قال: نزلت في النبي ﷺ وفي أبي جهل بن هشام، وأخرج من وجه آخر عنه: أنها نزلت في حمزة وأبي جهل.
■ أسباب نزول الآية ٨٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

١٦٠- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾.

١٦١- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾.

١٦٢- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾﴾ .

١٦٣- ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾﴾.

١٦٤- ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾.

١٦٥- ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ أي من الناس.

١٦٦- ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ أي أقبالهن ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

١٦٧- ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن إنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ من بلدتنا.

١٦٨- ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ المبغضين.

١٦٩- ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ أي من عذابه.

١٧٠- ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ .

١٧١- ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ امرأته ﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾ الباقين أهلكناها.

١٧٢- ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ أهلكناهم.

١٧٣- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ حجارة من جملة الإهلاك ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ مطرهم.

١٧٤- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾﴾ .

١٧٥- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾ .

١٧٦- ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْـَٔيْكَةِ﴾ وفي قراءة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء: هي غيضة شجر قرب مدين ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾.

١٧٧- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

١٧٨- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ .

١٧٩- ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾﴾.

١٨٠- ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ .

١٨١- ﴿۞ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾﴾ الناقصين.

١٨٢- ﴿وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾ الميزان السوي.

١٨٣- ﴿وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئا ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ بالقتل وغيره، من عثي بكسر المثلثة: أفسد. ومفسدين: حال مؤكدة لمعنى عاملها.

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ
مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ
عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾
فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

٣٧٥

١٨٤ - ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ ﴾ الخليقة ﴿ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ .

١٨٥ - ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

١٨٦ - ﴿ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي إنه ﴿ نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ .

١٨٧ - ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ بسكون السين وفتحها: قطعا ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ في رسالتك.

١٨٨ - ﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ فيجازيكم به.

١٨٩ - ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ هي سحابة أظلتهم بعد حرّ شديد أصابهم فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ .

١٩٠ - ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ .

١٩١ - ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾ .

١٩٢ - ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي القرآن ﴿ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ ﴾.

١٩٣ - ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ جبريل.

١٩٤ - ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ .

١٩٥ - ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ بيّن. وفي قراءة بتشديد «نزل» ونصب «الروح» والفاعل الله.

١٩٦ - ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي ذكر القرآن المنزل على محمد ﷺ ﴿ لَفِي زُبُرِ ﴾ كتب ﴿ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ كالتوراة والإنجيل.

١٩٧ - ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ﴾ لكفار مكة ﴿ آيَةً ﴾ على ذلك ﴿ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ كعبد الله ابن سلام وأصحابه من الذين آمنوا فإنهم يخبرون بذلك. و«يكن» بالتحتانية ونصب «آيةً» وبالفوقانية ورفع «آيةٌ».

١٩٨ - ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ جمع أعجم.

١٩٩ - ﴿ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم ﴾ كفار مكة ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ أنفة من اتباعه.

٢٠٠ - ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿ سَلَكْنَاهُ ﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ أي كفار مكة بقراءة النبيّ ﷺ.

٢٠١ - ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

٢٠٢ - ﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾.

٢٠٣ - ﴿ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ لنؤمن؟ فيقال لهم: لا، قالوا: متى هذا العذاب؟ قال تعالى:

٢٠٤ - ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ .

٢٠٥ - ﴿ أَفَرَأَيْتَ ﴾ أخبرني ﴿ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾.

٢٠٦ - ﴿ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ من العذاب.

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ (٢٠٧) وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٠٩) وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمۡ
عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ (٢١٢) فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ (٢١٣) وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ (٢١٤) وَٱخۡفِضۡ
جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٢١٥) فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي
بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٢١٧) ٱلَّذِي
يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ (٢٢٠) هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ (٢٢٢) يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ (٢٢٣)
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ (٢٢٤) أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ
يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ
بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)

سُورَةُ النَّمۡلِ

٢٠٧- ﴿مَآ﴾ استفهامية بمعنى: أيّ شيء ﴿أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه: أي لم يغن.
٢٠٨- ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ رسل تنذر أهلها. ٢٠٩- ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ عظة لهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم ونزل رداً لقول المشركين:
٢١٠- ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾.
٢١١- ﴿وَمَا يَنۢبَغِي﴾ يصلح ﴿لَهُمۡ﴾ أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ ذلك. ٢١٢- ﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمَعۡزُولُونَ﴾ بالشهب. ٢١٣- ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾ إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه. ٢١٤- ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد أنذرهم جهارا. رواه البخاري ومسلم. ٢١٥- ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ ألنْ جانبك ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الموحدين. ٢١٦- ﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ﴾ أي عشيرتك ﴿فَقُلۡ﴾ لهم ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ من عبادة غير الله. ٢١٧- ﴿وَتَوَكَّلۡ﴾ بالواو، والفاء ﴿عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الله: أي فوِّض إليه جميع أمورك. ٢١٨- ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصلاة. ٢١٩- ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ في أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا ﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي المصلّين. ٢٢٠- ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾. ٢٢١- ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ﴾ أي يا كفارَ مكـة ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل. ٢٢٢- ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذّاب ﴿أَثِيمٖ﴾ فاجر مثل مسيلمة وغيره من الكهنة. ٢٢٣- ﴿يُلۡقُونَ﴾ أي الشياطين ﴿ٱلسَّمۡعَ﴾ أي ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ يضمون إلى المسموع كذبا كثيرا، وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء. ٢٢٤- ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ في شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون. ٢٢٥- ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يَهِيمُونَ﴾ يمضون فيجاوزون الحد مدحًا وهجاء. ٢٢٦- ﴿وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ﴾ فعلنا ﴿مَا لَا يَفۡعَلُونَ﴾ يكذبون. ٢٢٧- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الشعراء ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ أي لم يشغلهم الشعر عن الذكر ﴿وَٱنتَصَرُواْ﴾ بهجوهم الكفار ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾ بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين قال الله تعالى: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾، وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾، ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ﴾ مرجع ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ يرجعون بعد الموت.

(سورة العنكبوت)

■ أسباب نزول الآية ١: وأخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي في قوله ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ الآية. قال: أنزلت في أناس كانوا بمكة قد أقرُّوا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة أنه لا يقبل منكم حتى تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فتبعهم المشركون فردوهم، فنزلت هذه الآية فكتبوا إليهم أنه قد نزل فيكم كذا وكذا، فقالوا نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه، فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ الآية، وأخرج عن قتـادة قال: أنزلت: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ في أناس من أهل مكة خرجوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ
وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن
لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا
جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ
سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ
مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ
﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

سورة النمل

[مكية وآياتها ٩٣ أو ٩٤ أو ٩٥ آية نزلت بعد سورة الشعراء]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿طسٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾ آيات منه ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة. ٢- هو ﴿هُدًى﴾ أي هاد من الضلالة ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ المصدّقين به بالجنة.

٣- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ يعلمونها بالاستدلال وأعيد «هم» لما فصل بينه وبين الخبر. ٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾ يتحيّرون فيها لقبحها عندنا. ٥- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ أشدُّه في الدنيا القتل والأسر ﴿وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم. ٦- ﴿وَإِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي يلقى عليك بشدّة ﴿مِن لَّدُنْ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ في ذلك. ٧- اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾ أبصرت من بعيد ﴿نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق وكان قد ضلّها ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بالإضافة للبيان وتركها: أي شعلة نار في رأس فتيلة أو عود ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾ والطاء بدل من تاء الافتعال، من صَلى بالنار بكسر اللام وفتحها: تستدفئون من البرد. ٨- ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ﴾ أي بأن ﴿بُورِكَ﴾ أي بارك الله ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ أي موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي الملائكة أو العكس. وبارك يتعدى بنفسه وبالحرف، ويقدّر بعد في مكان ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾ من جملة ما نودي، ومعناه تنزيه الله من السوء.

٩- ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ﴾ الشأن ﴿أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ ١٠- ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ حية خفيفة ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يرجع. قال تعالى ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ منها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ﴾ عندي ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ من حية وغيرها. ١١- ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا﴾ أتاه ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ أي تاب ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾ أقبلُ التوبة وأغفر له. ١٢- ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ طوق قميصك ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف لونها من الأدمة ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ برص لها شعاع يغشى البصر آية ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ مرسلا بها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾. ١٣- ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي مضيئة واضحة ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ بيّن ظاهر.

يريدون النبي فعرض لهم المشركون فرجعوا، فكتب إليهم إخوانهم بما نزل فيهم فخرجوا فقتل من قتل وخلص من خلص، فنزل القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الآية، وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: نزلت في عمار ابن ياسر إذ كان يُعذّب في الله ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ الآية.

◙ أسباب نزول الآية ٨- قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ الآية، أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال: قالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر، والله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أموت أو تكفر، فنزلت ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ الآية.

◙ أسباب نزول الآية ١٠- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ الآية تقدم سبب نزولها في سورة النساء.

وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ
وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾
وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ
وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ
لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ
مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ
نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا
تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ
ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ
أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

١٤- ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ أي لم يقرّوا ﴿وَ﴾ قد ﴿ٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي تيقنوا أنها من عند الله ﴿ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى راجع إلى الجحد ﴿فَٱنظُرۡ﴾ يا محمد ﷺ ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ التي علمتها من إهلاكهم. ١٥- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾ ابنه ﴿عِلۡمٗا﴾ بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَا﴾ شكرا لله ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا﴾ بالنبوّة وتسخير الجنّ والإنس والشياطين ﴿عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾. ١٦- ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ النبوّة والعلم دون باقي أولاده ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ أي فهم أصواته ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾ تؤتاه الأنبياءوالملوك ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المؤتى ﴿لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ البيّن الظاهر. ١٧- ﴿وَحُشِرَ﴾ جمع ﴿لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ﴾ في مسير له ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ يجمعون ثم يساقون. ١٨- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ هو بالطائف أو بالشام نمله صغار أو كبار ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾ ملكة النمل وقد رأت جند سليمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ يكسرنكم ﴿سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم. ١٩- ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سليمان ابتداء ﴿ضَاحِكٗا﴾ انتهاء ﴿مِّن قَوۡلِهَا﴾ وقد سمعه من ثلاثة أميال: حملته إليه الريح فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم وكان جنده ركبانا ومشاة في هذا السير ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ ألهمني ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء. ٢٠- ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ﴾ ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض ويدل عليه بنقره فيها، فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة فلم يره ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ أي أعرض لي ما منعني من رؤيته؟ ﴿أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ فلم يره لغيبته، فلما تحققها: ٢١- قال ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا﴾ تعذيبا ﴿شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام ﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾ بقطع حلقومه ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي﴾ بنون مشدّدة مكسورة، أو مفتوحة يليها نون مكسورة ﴿بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾﴾ ببرهان بيّن ظاهر على عذره. ٢٢- ﴿فَمَكَثَ﴾ بضم الكاف وفتحها ﴿غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾ أي يسيرا من الزمان، وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ أي اطّلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ﴾ بالصرف وتركه: قبيلة باليمن سميت باسم جدّ لهم باعتباره صرف ﴿بِنَبَإٖ﴾ خبر ﴿يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ٥١ – قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والدارمي في مسنده من طريق عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال: جاء أناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود، فقال النبي ﷺ: كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم، فنزلت ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٦٠ – قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ﴾ الآية أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي وابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: يا ابن عمر ما لك لا تأكل ؟ قلت: لا أشتهيه قال: لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعامًا و لم أجده

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا
عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا
فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ
تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ
فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً
أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

٢٣- ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ أي هي ملكة لهم اسمها بلقيس ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدّة ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ﴾ سرير ﴿عَظِيمٞ﴿٢٣﴾﴾ طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا، مضروب من الذهب والفضة، مكلل بالدرّ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، عليه سبعة أبواب، على كل بيت باب مغلق(١).

٢٤- ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الحق ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴿٢٤﴾﴾. ٢٥- ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ﴾ أي أن يسجدوا له، فزيدت «لا» وأدغم فيها نون «أن» كما في قوله تعالى ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ والجملة في محل مفعول «يهتدون» بإسقاط إلى ﴿ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ﴾ في قلوبهم ﴿وَمَا تُعۡلِنُونَ﴿٢٥﴾﴾ بألسنتهم. ٢٦- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩﴿٢٦﴾﴾ استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس، وبينهما بون عظيم. ٢٧- ﴿۞ قَالَ﴾ سليمان للهدهد ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴿٢٧﴾﴾ أي من هذا النوع فهو أبلغ من أم كذبت فيه. ثم دلّهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضؤوا وصلّوا، ثم كتب سليمان كتابا، صورته: «من عبد الله سليمان ابن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد فلا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين» ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للهدهد: ٢٨- ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ انصرف ﴿عَنۡهُمۡ﴾ وقفْ قريبا منهم ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴿٢٨﴾﴾ يردّون من الجواب، فأخذه وأتاها وحولها جندها وألقاه في حجرها، فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفا، ثم وقفت على ما فيه. ٢٩- ثم ﴿قَالَتۡ﴾ لأشراف قومها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا مكسورة ﴿أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴿٢٩﴾﴾ مختوم. ٣٠- ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ مضمونه ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴿٣٠﴾﴾.

٣١- ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴿٣١﴾﴾. ٣٢- ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا: أي أشيروا عليّ ﴿فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا﴾ قاضيته ﴿حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴿٣٢﴾﴾ تحضرون.

٣٣- ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴿٣٣﴾﴾ أي أصحاب شدّة في الحرب ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ نا نطعك. ٣٤- ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا﴾ بالتخريب ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴿٣٤﴾﴾ أي مرسلو الكتاب.

٣٥- ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴿٣٥﴾﴾ من قبول الهدية أو ردّها: إن كان ملكا قبلها، أو نبيا لم يقبلها فأرسلت خدما ذكورا وإناثا ألفا بالسوية، وخمسمائة لبنة من الذهب، وتاجا مكللاً بالجواهر ومسكا وعنبرا وغير ذلك مع رسول بكتاب فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر، فأمَرَ أن تضرب لبنات الذهب والفضة، وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميدانا وأن يبنوا حوله حائطا مشرفا من الذهب والفضة، وأن يؤتى بأحسن دواب البرّ والبحر مع أولاد الجنّ عن يمين الميدان وشماله.

---

(١) كل هذه الأشياء لم يرد عليها دليل.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

٣٦- ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ الرسول بالهدية ومعه أتباعه ﴿سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من النبوّة والملك ﴿خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من الدنيا ﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴿٣٦﴾﴾ لفخركم بزخارف الدنيا. ٣٧- ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ بما أتيت من الهدية ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ﴾ لا طاقة ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ﴾ من بلدهم سبأ سميت باسم أبي قبيلتهم ﴿أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴿٣٧﴾﴾ أي إن لم يأتوني مسلمين، فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور، وأغلقت الأبواب وجعلت عليها حرسا، وتجهزت للمسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به، فارتحلت في اثني عشر ألف قيل، مع كل قيل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها. ٣٨- ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ﴾ في الهمزتين ما تقدّم ﴿يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴿٣٨﴾﴾ منقادين طائعين فلي أخذه قبل ذلك لا بعده. ٣٩- ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ هو القويّ الشديد ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ الذي تجلس فيه للقضاء وهو من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي على حمله ﴿أَمِينٞ﴿٣٩﴾﴾ أي على ما فيه من الجواهر وغيرها. قال سليمان: أريد أسرع من ذلك. ٤٠- ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ المنزل وهو آصف بن برخيا كان صدّيقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجيب ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ إذا نظرت به إلى شيء فقال له: انظر إلى السماء فنظر إليها ثم ردّ بطرفه فوجده موضوعا بين يديه، ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به، فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا﴾ أي ساكنا ﴿عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا﴾ أي الإتيان لي به ﴿مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ﴾ ليختبرني ﴿ءَأَشۡكُرُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه ﴿أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ النعمة ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ أي لأجلها، لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٞ﴿٤٠﴾﴾ بالإفضال على من يكفرها. ٤١- ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾ أي غيّروه إلى حال تنكره إذا رأته ﴿نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ﴾ إلى معرفته ﴿أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ﴿٤١﴾﴾ إلى معرفة ما يغير عليهم قصد بذلك اختبار عقلها. قيل له: إن فيه شيئا فغيّروه بزيادة أو نقص أو غير ذلك. ٤٢- ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ﴾ لها ﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ﴾ أي أمثل هذا عرشك؟ ﴿قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ أي فعرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها إذ لم يقل: أهذا عرشك؟ ولو قيل هذا، قالت نعم. قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلما ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴿٤٢﴾﴾. ٤٣- ﴿وَصَدَّهَا﴾ عن عبادة الله ﴿مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴿٤٣﴾﴾. ٤٤- ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضا ﴿ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَ﴾. هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له إن ساقيها وقدميها كقدمي الحمار ﴿فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ﴾ من الماء ﴿وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ﴾ لتخوضه وكان سليمان على سريره في صدر الصرح فرأى ساقيها وقدميها حسانا[1] ﴿قَالَ﴾ لها ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ﴾ مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ أي زجاج ودعاها إلى الإسلام ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ بعبادة غيرك ﴿وَأَسۡلَمۡتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴿٤٤﴾﴾ وأراد تزوّجها فكره شعر ساقيها فعملت له الشياطين النورة فأزالته، فتزوجها وأحبها وأقرّها على ملكها. وكان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان. روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه.

---

(١) هذا الكلام فيه نظر وانظر الكلام عليه في «الإسرائيليات والموضوعات».

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾

٤٥ - ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ﴾ من القبيلة ﴿صَٰلِحًا أَنِ﴾ أي بأن ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ في الدين: فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم، وفريق كافرون.

٤٦ - ﴿قَالَ﴾ للمكذبين ﴿يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ أي بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم: إن كان ما أتيتنا به حقا فأتنا بالعذاب ﴿لَوۡلَا﴾ هلا ﴿تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ من الشرك ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فلا تعذبوا .

٤٧ - ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا﴾ أصله: تطيرنا أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل: أي تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾ أي المؤمنين، حيث قحطوا المطر وجاعوا ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ﴾ شؤمكم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أتاكم به ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ تختبرون بالخير والشر.

٤٨ - ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ مدينة ثمود ﴿تِسۡعَةُ رَهۡطٖ﴾ أي رجال ﴿يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعاصي، منها قرضهم الدنانير والدراهم ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ بالطاعة.

٤٩ - ﴿قَالُواْ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ أي احلفوا ﴿بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ بالنون والتاء وضم التاء الثانية ﴿وَأَهۡلَهُۥ﴾ أي مَن آمن به: أي نقتلهم ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالنون والتاء وضم اللام الثانية ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي ولي دمه ﴿مَا شَهِدۡنَا﴾ حضرنا ﴿مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾ بضم الميم وفتحها: أي إهلاكهم أو هلاكهم، فلا ندري من قتلهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

٥٠ - ﴿وَمَكَرُواْ﴾ في ذلك ﴿مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾ أي جازيناهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

٥١ - ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾ أهلكناهم ﴿وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ بصيحة جبريل، أو برمي الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم.

٥٢ - ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ﴾ أي خالية، ونصبه على الحال، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ﴾ بظلمهم أي كفرهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ لعبرة ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ قدرتنا فيتعظون.

٥٣ - ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصالح وهم أربعة آلاف ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ الشرك.

٥٤ - ﴿وَلُوطًا﴾ منصوب بـ«اذكر» مقدرا قبله، ويبدل منه ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ أي اللواط ﴿وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ أي يبصر بعضكم بعضا انهماكا في المعصية.

٥٥ - ﴿أَئِنَّكُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ عاقبة فعلكم.

ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا لقيت قومًا يخبؤون رزق سنتهم ويضعف اليقين؟ قال: فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾. فقال رسول الله ﷺ إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات ألا وإني لا أكنز دينارًا ولا درهمًا ولا أخبأ رزقًا لغد.

۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ
لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ (٥٨) قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ
عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)
أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ
أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)
أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ
مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ
رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣)

٥٦- ﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ ﴾ أهله ﴿ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) ﴾ من أدبار الرجال..

٥٧- ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا ﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٥٧) ﴾ الباقين في العذاب.

٥٨- ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ ﴾ هو حجارة السجيل فأهلكتهم ﴿ فَسَآءَ ﴾ بئس ﴿ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ (٥٨) ﴾ بالعذاب مطرهم.

٥٩- ﴿ قُلِ ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على هلاك كفار الأمم الخالية ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ﴾ هم ﴿ ءَآللَّهُ ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿ خَيْرٌ ﴾ لمن يعبده ﴿ أَمَّا تُشْرِكُونَ (٥٩) ﴾ بالتاء والياء: أي أهل مكة به، الآلهة خير لعابديها:

٦٠- ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا ﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿ بِهِۦ حَدَآئِقَ ﴾ جمع حديقة وهو البستان المحوّط ﴿ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ حسن ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ ﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿ أَءِلَٰهٌ ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضعه السبعة ﴿ مَّعَ ٱللَّهِۚ ﴾ أعانه على ذلك؟ أي ليس معه إله ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) ﴾ يشركون بالله غيره.

٦١- ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ لا تميد بأهلها ﴿ وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ ﴾ فيما بينها ﴿ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً أثبت بها الأرض ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ ﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) ﴾ توحيده.

٦٢- ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ ﴾ المكروب الذي مسّه الضرّ ﴿ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ عنه وعن غيره ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ ﴾ الإضافة بمعنى في: أي يخلف كل قرن القرن الذي قبله. ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾ تتعظون بالفوقانية والتحتانية، وفيه إدغام التاء في الذال، و «ما» زائدة لتقليل القليل.

٦٣- ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهارا ﴿ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓۗ ﴾ أي قدّام المطر ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) ﴾ به غيره.

■ أسباب نزول الآية ٦٧- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ الآية. أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنهم قالوا: يا محمد، ما يمنعنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس لتقتلنا والأعراب أكثر منا، فمتى ما يبلغهم أنا قد دخلنا في دينك اختطفنا فكنا أكلة رأس، فأنزل الله ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾.

أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ
أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤
قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ
أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ
فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا
هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨
قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
٦٩ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ٧٠
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٧١ قُلۡ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ٧٢ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٧٣ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٤ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ
فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٧٥ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦

٦٤- ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد الموت وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بالنبات ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي لا يفعل شيئا مما ذكر إلا الله ولا إله معه ﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﷺ ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ حجتكم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٦٤)﴾ أن معي إلها فعل شيئا مما ذكر. وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل:

٦٥- ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿ٱلۡغَيۡبَ﴾ أي ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱللَّهُ﴾ يعلمه ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي كفار مكة كغيرهم ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبۡعَثُونَ (٦٥)﴾.

٦٦- ﴿بَلِ﴾ بمعنى هل ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ وزن أكرم. وفي قراءة أخرى «ادَّارك» بتشديد الدال. وأصله تدارك، أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، واجتلبت همزة الوصل: أي بلغ ولحق، أو تتابع وتلاحق ﴿عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي بها حتى سألوا عن وقت مجيئها، ليس الأمر كذلك ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَا بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ (٦٦)﴾ من عمى القلب وهو أبلغ مما قبله. والأصل عميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

٦٧- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أيضا في إنكار البعث ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ (٦٧)﴾ من القبور.

٦٨- ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ (٦٨)﴾ جمع أسطورة بالضم أي ما سطر من الكذب.

٦٩- ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ (٦٩)﴾ بإنكارهم وهي هلاكهم بالعذاب.

٧٠- ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ (٧٠)﴾ تسلية للنبي ﷺ أي لا تهتم بمكرهم عليك فإنا ناصروك عليهم.

٧١- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٧١)﴾ فيه.

٧٢- ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ﴾ قرب ﴿لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ (٧٢)﴾ فحصل لهم القتل ببدر وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت.

٧٣- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ (٧٣)﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه.

٧٤- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ (٧٤)﴾ بألسنتهم.

٧٥- ﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الهاء للمبالغة: أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ (٧٥)﴾ بيّن هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى، ومنه تعذيب الكفار.

٧٦- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الموجودين في زمان نبينا ﴿أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ (٧٦)﴾ أي ببيان ما ذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا.

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى
ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا
وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو
قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ
صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

٧٧- ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴿٧٧﴾﴾ من العذاب. ٧٨- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِۦ ۚ﴾ أي عدله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلْعَلِيمُ﴿٧٨﴾﴾ بما يحكم به، فلا يمكن أحدا مخالفته، كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه. ٧٩- ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثق به ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴿٧٩﴾﴾ الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار ثم ضرب أمثالاً لهم بالموتى وبالصم وبالعمى فقال:

٨٠- ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴿٨٠﴾﴾.

٨١- ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴿٨١﴾﴾ مخلصون بتوحيد الله. ٨٢- ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العــذاب أن ينزل بهم في جـملة الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنا ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي كفار مكة، وعلى قراءة فتح همزة «أنّ» تقدّر الباء بعد تكلمهم ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴿٨٢﴾﴾ أي لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر، كما أوحى الله إلى نوح ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾. ٨٣- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وهم رؤساؤهم المتبعون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴿٨٣﴾﴾ أي يجمعون بردّ آخرهــم إلى أوّلهم ثم يســاقون. ٨٤- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ مكان الحســاب ﴿قَالَ﴾ تعالى لهــم ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ أنبيائي ﴿بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟﴾ من جهة تكذيبكم ﴿بِهَا عِلْمًا أَمَّا﴾ فيه إدغام «ما» الاستفهامية ﴿ذَا﴾ موصول: أي ما الذي ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٨٤﴾﴾ مما أمرتم به؟. ٨٥- ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ حقَّ العذاب ﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ أي أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴿٨٥﴾﴾ إذ لا حجة لهم. ٨٦- ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ كغيرهم ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ﴾ بمعنى يبصر فيه ليتصــرّفوا فيه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرتــه تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴿٨٦﴾﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين. ٨٧- ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى من إسرافيل ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى «فصعق» والتعبير فيه بالماضي لتحقق وقوعه ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ أي جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. وعن ابن عباس: هم الشهداء إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه: أي وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَتَوْهُ﴾ بصيغة الفعل واسم الفاعل ﴿دَٰخِرِينَ﴿٨٧﴾﴾ صاغرين، والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقق وقوعه.

٨٨- ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تَحْسَبُهَا﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها لعظمها ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ المطر إذا ضربته الريح: أي تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبثوثة، ثم تصير كالعهن، ثم تصير هباء منثورا ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله: أي صنع الله ذلك صنعا ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ﴾ أحكم ﴿كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴿٨٨﴾﴾ بالياء والتاء: أي أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ
ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى
لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ ٱلْقَصَصِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ
طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

٣٨٥

٨٩- ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ أي لا إله إلا الله، يوم القيامة ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ﴾ ثواب ﴿مِّنْهَا﴾ أي بسببها وليس للتفضيل، إذ لا فعل خير منها. وفي آية أخرى «عشر أمثالها» ﴿وَهُم﴾ أي الجاؤون بها ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ بالإضافة وكسر الميم وفتحها، و «فزعٍ» منوّنا وفتح الميم ﴿ءَامِنُونَ﴾.

٩٠- ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي الشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ بأن وليتها، وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس، فغيرها من باب أولى، ويقال لهم تبكيتا: ﴿هَلْ﴾ أي ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي؟ قل لهم:

٩١- ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ أي مكة ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ أي جعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم إنسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها، وذلك من النعم على قريش أهلها في رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿وَلَهُۥ﴾ تعالى ﴿كُلُّ شَىْءٍ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ لله بتوحيده.

٩٢- ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ عليكم تلاوة الدعوى إلى الإيمان ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ له ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ أي لأجلها فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿فَقُلْ﴾ له ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ المخوِّفين فليس عليّ إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٩٣- ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ فأراهم الله يوم بدر القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء، وإنما يمهلهم لوقتهم

سورة القصص

[مكية إلا من آية ٥٢ إلى آية ٥٥ فمدنية وآية ٨٥ فبالجحفة نزلت أثناء الهجرة، وآياتها ثمان وثمانون نزلت بعد سورة النمل]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿طسٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك

٢- ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الإضافة بمعنى من ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ المظهر الحق من الباطل

٣- ﴿نَتْلُوا۟﴾ نقصّ ﴿عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ﴾ خبر ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأجلهم لأنهم المنتفعون به.

٤- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تعظّم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقا في خدمته ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ هم بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ يستبقيهنّ أحياء، لقول بعض الكهنة له: إن مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره.

٥- ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: يقتدى بهم في الخير ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ملك فرعون.

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨)
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ
أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن
رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
(١١) ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢)
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)

٦- ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ وفي قراءة «ويرى» بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه.

٧- ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ وحي إلهام أو منام ﴿إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وهو المولود المذكور ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ البحر: أي النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي، وخافت عليه فوضعته في تابوت مطلي بالقار من داخل ممهد له فيه وأغلقته وألقته في بحر النيل ليلاً.

٨- ﴿فَالْتَقَطَهُ﴾ بالتابوت صبيحة الليل ﴿آلُ﴾ أعوان ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوضعوه بين يديه وفُتح وأُخرج موسى منه وهو يمص من إبهامه لبنا ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَدُوًّا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم وفي قراءة بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كأحزنه ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝﴾ من الخطيئة: أي عاصين فعوقبوا على يديه.

٩- ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد همَّ مع أعوانه بقتله هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝﴾ بعاقبة أمرهم معه.

١٠- ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لما علمت بالتقاطه ﴿فَارِغًا﴾ مما سواه ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي بأنه ابنها ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالصبر أي سكّناه ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ المصدّقين بوعد الله، وجواب «لولا» دل عليه ما قبلها.

١١- ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ مريم ﴿قُصِّيهِ﴾ أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾ أبصرته ﴿عَن جُنُبٍ﴾ من مكان بعيد اختلاسا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝﴾ أنها أخته وأنها ترقبه.

١٢- ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل ردّه إلى أمّه: أي منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمّه فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنوّهم عليه ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۝﴾ وفسرت ضمير «له» بالملك جوابا لهم فأجيبت، فجاءت بأمّه فقبل ثديها وأجابتهم عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن فأذن لها في إرضاعه في بيتها، فرجعت به كما قال تعالى:

١٣- ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بردّه إليها ﴿حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ بهذا الوعد ولا بأنّ هذه أخته وهذه أمّه، فمكث عندها إلى أن فطمته وأجرى عليها أجرها لكل يوم دينار، وأخذتها لأنها مال حربيّ، فأتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝﴾.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ
فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ
فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ
﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ
يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ
أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ
يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

١٤ - ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ وهو ثلاثون سنة أو ثلاث ﴿ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ أي بلغ أربعين سنة ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا ﴾ حكمة ﴿ وَعِلْمًا ﴾ فقها في الدين قبل أن يبعث نبيا ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما جزيناه ﴿ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ لأنفسهم.

١٥ - ﴿ وَدَخَلَ ﴾ موسى ﴿ ٱلْمَدِينَةَ ﴾ مدينة فرعون وهي منف بعد أن غاب عنها مدّة ﴿ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ وقت القيلولة ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ أي إسرائيليّ ﴿ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ أي قبطي يسخر إسرائيليا ليحمل حطبا إلى مطبخ فرعون ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ فقال له موسى: خلّ سبيله، فقيل إنه قال لموسى: لقد هممت أن أحمله عليك ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ ﴾ أي ضربه بجمع كفه وكان شديد القوّة والبطش ﴿ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ أي قتله ولم يكن قصد قتله ودفنه في الرمل ﴿ قَالَ هَٰذَا ﴾ أي قتله ﴿ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ المهيّج غضبي ﴿ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ ﴾ لابن آدم ﴿ مُّضِلٌّ ﴾ له ﴿ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ بيّن الإضلال.

١٦ - ﴿ قَالَ ﴾ نادما ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى ﴾ بقتله ﴿ فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ أي المتصف بهما أزلاً وأبدا.

١٧ - ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ ﴾ بحق إنعامك ﴿ عَلَىَّ ﴾ بالمغفرة اعصمني ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ﴾ عونا ﴿ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ الكافرين بعد هذه إن عصمتني.

١٨ - ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتيل ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾ يستغيث به على قبطيّ آخر ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ بيّن الغواية لما فعلته بالأمس واليوم.

١٩ - ﴿ فَلَمَّآ أَنْ ﴾ زائدة ﴿ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ لموسى والمستغيث به ﴿ قَالَ ﴾ المستغيث ظانّا أنه يبطش به لما قال له ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن ﴾ ما ﴿ تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ فسمع القبطي ذلك فعلم أن القاتل موسى، فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك، فأمر فرعون الذبّاحين بقتل موسى فأخذوا في الطريق إليه.

٢٠ - ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ ﴾ هو مؤمن آل فرعون ﴿ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾ آخرها ﴿ يَسْعَىٰ ﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ ﴾ من قوم فرعون ﴿ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾ يتشاورون فيك ﴿ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ ﴾ من المدينة ﴿ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ في الأمر بالخروج.

٢١ - ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ لحوق طالب أو غوث الله إياه ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ قوم فرعون.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

٢٢- ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ قصد بوجهه ﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ جهتها وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين بن إبراهيم ولم يكن يعرف طريقها ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴿٢٢﴾﴾ أي قصد الطريق أي الطريق الوسط إليها، فأرسل الله له ملكا بيده عنزة فانطلق به إليها.

٢٣- ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ بئر فيها أي وصل إليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي سواهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسى لهما ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ جمع راع: أي يرجعوا من سقيهم خوف الزحام فنسقي وفي قراءة «يُصْدر» من الرباعي: أي يصرفوا مواشيهم عن الماء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴿٢٣﴾﴾ لا يقدر أن يسقي.

٢٤- ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربهما رفع حجرا عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾ انصرف ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ لسمرة من شدّة حرّ الشمس وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَقِيرٌ﴿٢٤﴾﴾ محتاج، فرجعتا إلى أبيهما في زمن أقلّ مما كانتا ترجعان فيه، فسألهما عن ذلك فأخبرتاه بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: ادعيه لي. قال تعالى:

٢٥- ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي واضعة كُمَّ درعها على وجهها حياءً منه ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ﴾ فأجابها منكرا في نفسه أخذ الأجرة كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدها، فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها، فقال لها: امشي خلفي ودُلّيني على الطريق، ففعلت إلى أن جاء أباها وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء فقال له: اجلس فتعشَّ. قال: أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وإنّا أهلُ بيت لا نطلب على عمل خير عوضا. قال لا، عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام، فأكل وأخبره بحاله. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ مصدر بمعنى المقصوص من قتله القبطي وقصدهم قتله وخوفه من فرعون ﴿قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿٢٥﴾﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين.

٢٦- ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ﴾ اتخذه أجيرا يرعى غنمنا: أي بدلنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴿٢٦﴾﴾ أي استأجره لقوّته وأمانته، فسألها عنه فأخبرته بما تقدّم من رفع حجر البئر، ومن قوله لها: امشي خلفي، وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوّب رأسه فلم يرفعه، فرغب في إنكاحه.

٢٧- ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾ وهي الكبرى أو الصغرى ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي﴾ تكون أجيرا لي في رعي غنمي ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾ أي سنين ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي رَعْيَ عشر سنين ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ التمام ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ﴾ باشتراط العشر ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ للتبرّك ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴿٢٧﴾﴾ الوافين بالعهد.

٢٨- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قلته ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ الثمان أو العشر، و «ما» زائدة: أي رعيه ﴿قَضَيْتُ﴾ به أي فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكِيلٌ﴿٢٨﴾﴾ حفيظ أو شهيد، فتمّ العقد بذلك وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصيّ الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة فأخذها موسى بعلم شعيب.

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

٣٨٩

٢٩- ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ أي رعيه وهو ثمان أو عشر سنين وهو المظنون به ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾ زوجته بإذن أبيها نحو مصر ﴿ ءَانَسَ ﴾ أبصر من بعيد ﴿ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾ اسم جبل ﴿ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ ﴾ هنا ﴿ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ عن الطريق وكان قد أخطأها ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ ﴾ بتثليث الجيم قطعة وشعلة ﴿ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلى بالنار بكسر اللام وفتحها.

٣٠- ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ﴾ جانب ﴿ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ لموسى ﴿ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ ﴾ لموسى لسماعه كلام الله فيها ﴿ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ بدل من «شاطئ» بإعادة الجار لنباتها فيه، وهي شجرة عناب أو عُلّيق أو عوسج ﴿ أن ﴾ مفسرة لا مخففة ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

٣١- ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ فألقاها ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ ﴾ تتحرّك ﴿ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ هاربا منها ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أي يرجع فنودي ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

٣٢- ﴿ ٱسْلُكْ ﴾ أدخل ﴿ يَدَكَ ﴾ اليمنى، بمعنى الكفّ ﴿ فِى جَيْبِكَ ﴾ هو طوق القميص وأخرجها ﴿ تَخْرُجْ ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ أي برص فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس تغشي البصر ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ بفتح الحرفين وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه: أي الخوف الحاصل من إضاءة اليد بأن تدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها الأولى، وعبر عنها بالجناح لأنها للإنسان كالجناح للطائر ﴿ فَذَٰنِكَ ﴾ بالتشديد والتخفيف: أي العصا واليد وهما مؤنثان، وإنما ذكر المشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره ﴿ بُرْهَـٰنَانِ ﴾ مرسلان ﴿ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

٣٣- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا ﴾ هو القبطي السابق ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾ به. ٣٤- ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ﴾ أبين ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا ﴾ معينا، وفي قراءة بفتح الدال بلا همزة ﴿ يُصَدِّقُنِىٓ ﴾ بالجزم جواب الدعاء، وفي قراءة بالرفع وجملته صفة «ردْءا» ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾.

٣٥- ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ ﴾ نقوّيك ﴿ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا ﴾ غلبة ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ بسوء، اذهبا ﴿ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ لهم.

(سورة الروم)

■ أسباب نزول الآية ١ : أخرج الترمذي عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ يعني: بفتح الغين. وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود نحوه. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال: بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة قبل أن يخرج رسول الله ﷺ، فيقولون يشهدون أنهم أهل كتاب وقد غلبتهم المجوس وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم، فكيف غلب

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ
لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ
لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا
لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى
ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

٣٦- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات حال ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ مختلق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ كائنا ﴿فِيٓ﴾ أيام ﴿ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

٣٧- ﴿وَقَالَ﴾ بواو وبدونها ﴿مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾ الضمير للرب ﴿وَمَن﴾ عطف على «مَنْ» قبلها ﴿تَكُونُ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة: أي هو أنا في الشقين فأنا محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ الكافرون.

٣٨- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ فاطبخ لي الآجر ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ قصرًا عاليًا ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أنظر إليه وأقف عليه ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ في ادعائه إلها آخر وأنه رسوله.

٣٩- ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ بالبناء للفاعل، وللمفعول.

٤٠- ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحر المالح فغرقوا ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

٤١- ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ بدفع العذاب عنهم.

٤٢- ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزيا ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ المبْعَدين.

٤٣- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال من الكتاب: جمع بصيرة وهي نور القلب: أي أنوارا للقلوب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

المجوس الروم وهم أهل كتاب؟ فسنغلبكم كما غلب فارس الروم، فأنزل الله ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾. وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ويحيى بن يعمر وقتادة، فالرواية الأولى على قراءة غلبت بالفتح، لأنها نزلت يوم غلبهم يوم بدر، والثنية على قراءة الضم، فيكون معناه: وهم من بعد غلبهم فارس سيغلبهم المسلمون، حتى يصح معنى الكلام، وإلا لم يكن له كبير معنى.

■ **أسباب نزول الآية ٢٧**: وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى، فنزلت ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٢٨**: وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان يلبي أهل الشرك: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، فأنزل الله ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ الآية. وأخرج جويبر مثله عن داود بن أبي هند عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ
لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

٤٤- ﴿ وَمَا كُنتَ ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ بِجَانِبِ ﴾ الجبل أو الوادي أو المكان ﴿ ٱلْغَرْبِيِّ ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿ إِذْ قَضَيْنَآ ﴾ أوحينا ﴿ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ لذلك فتعلمه فتخبر به.

٤٥- ﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا ﴾ أمما من بعد موسى ﴿ فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾ أي طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي، فجئنا بك رسولاً وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا ﴾ مقيما ﴿ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ خبر ثان فتعرف قصتهم فتخبر بها ﴿ وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ لك وإليك بأخبار المتقدّمين.

٤٦- ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾ الجبل ﴿ إِذْ ﴾ حين ﴿ نَادَيْنَا ﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوّة ﴿ وَلَٰكِن ﴾ أرسلناك ﴿ رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ وهم أهل مكة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ يتعظون.

٤٧- ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾ عقوبة ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من الكفر وغيره ﴿ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ ﴾ هلا ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ﴾ المرسل بها ﴿ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ وجواب «لولا» محذوف وما بعدها مبتدأ. والمعنى: لولا الإصابة المسبب عنها قولهم، أو لولا قولهم المسبب عنها أي لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولاً.

٤٨- ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ محمد ﷺ ﴿ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ ﴾ هلا ﴿ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ﴾ من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما. أو الكتاب جملة واحدة؟ قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ حيث ﴿ قَالُواْ ﴾ فيه وفي محمد ﷺ ﴿ سَٰحِرَانِ ﴾ وفي قراءة ﴿ سِحْرَانِ ﴾ أي القرآن والتوراة ﴿ تَظَٰهَرَا ﴾ تعاونا ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ ﴾ من النبيّين والكتابَيْن ﴿ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

٤٩- ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ ﴾ من الكتابين ﴿ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ في قولكم.

٥٠- ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ ﴾ دعاءَك بالإتيان بكتاب ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ في كفرهم ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي لا أضلُّ منه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ الكافرين.

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ
ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ
أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن
نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ
حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا
كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

٥١- ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ بيّنا ﴿لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ القرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ يتعظون فيؤمنوا.

٥٢- ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أيضا نزلت في جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام.

٥٣- ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ موحّدين.

٥٤- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بإيمانهم بالكتابين ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم على العمل بهما ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ منهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ يتصدّقون.

٥٥- ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام متاركة أي سلمتم منّا من الشتم وغيره ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ لا نصحبهم.

٥٦- ونزل في حرصه ﷺ على إيمان عمه أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

٥٧- ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي قومه ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ أي نُنتزع منها بسرعة. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعيْن من بعض العرب على بعض ﴿يُجْبَىٰٓ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من كل أوْب ﴿رِّزْقًا﴾ لهم ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ أي عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أنّ ما نقوله حق.

٥٨- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي عيشها، وأريد بالقرية أهلها ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للمارّة يوما أو بعضه ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ منهم.

٥٩- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ بظلم منها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ أي أعظمها ﴿رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ بتكذيب الرسل.

(سورة لقمان)

■ أسباب نزول الآية ٦ : أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ قال: نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية. وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: نزلت في النضر ابن الحارث اشترى قينة وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته: أطعميه واسقيه وغذيه هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة وأن تقاتل بين يديه، فنزلت.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا
فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ
يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ
ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

٣٩٣

٦٠- ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ﴾ أي تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠)﴾ بالتاء والياء أنّ الباقي خير من الفاني؟.

٦١- ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ مصيبه وهو الجنة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ (٦١)﴾ النار؟ الأوّل المؤمن، والثاني الكافر: أي لا تَساوِيَ بينهما.

٦٢- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢)﴾ ــهم شركائي.

٦٣- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بدخول النار وهم رؤساء الضلالة ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ هم مبتدأ وصفة ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾ خبره فغووا ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ لم نكرههم على الغيّ ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣)﴾ «ما» نافية، وقدّم المفعول للفاصلة.

٦٤- ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوُا۟﴾ هم ﴿ٱلْعَذَابَ ۚ﴾ أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ (٦٤)﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

٦٥- ﴿وَ﴾ واذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ (٦٥)﴾ إليكم.

٦٦- ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ الأخبار المنجيــة في الجواب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي لم يجدوا خبرا لهم فيه نجــاة ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ (٦٦)﴾ عنه فيسكتوا.

٦٧- ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ صدّق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدّى الفرائض ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ (٦٧)﴾ النّاجين بوعد الله.

٦٨- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ﴾ ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾ للمشركين ﴿ٱلْخِيَرَةُ ۚ﴾ الاختيار في شيء ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨)﴾ عن إشراكهم.

٦٩- ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تُسرّ قلوبهم من الكفر وغيره ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩)﴾ بألسنتهم من ذلك.

٧٠- ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾ الدنيا ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ الجنة ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)﴾ بالنشور.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

٧١- ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أي أخبروني ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائما ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ ذلك سماع تفهُّم فترجعون عن الإشراك.

٧٢- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ﴾ تستريحون ﴿فِيهِ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه.

٧٣- ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ تعالى ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النهار للكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ النعمة فيهما.

٧٤- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ ذكر ثانيًا ليبني عليه.

٧٥- ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على ما قلتم من الإشراك ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾ في الإلهية ﴿لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ في الدنيا من أنّ معه شريكا تعالى عن ذلك.

٧٦- ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ ابن عمه وابن خالته وآمن به ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالكبر والعلوّ وكثرة المال ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾ تثقل ﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُو۟لِى﴾ أصحاب ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾ أي تثقلهم فالباء للتعدية. وعدّهم: قيل سبعون، وقيل أربعون، وقيل عشرة، وقيل غير ذلك. اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فرَح بطر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ بذلك.

٧٧- ﴿وَٱبْتَغِ﴾ اطلب ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من المال ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَنسَ﴾ تترك ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي أن تعمل فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِن﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ بمعنى أنه يعاقبهم.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ
وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا
مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا
بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟
مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ
وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

٣٩٥

٧٨- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ﴾ أي في مقابلته وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهارون. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ﴾ للمال: أي هو عالم بذلك ويهلكهم الله ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب.

٧٩- ﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ بأتباعه الكثيرين ركبانا متحلّين بملابس الذهب والحرير على خيول وبغال متحلية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰ﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾ نصيب ﴿عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ واف فيها.

٨٠- ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بما وعد الله في الآخرة ﴿وَيْلَكُمْ﴾ كلمة زجر ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة بالجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ مما أُوتي قارون في الدنيا ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي الجنة المثاب بها ﴿إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ على الطاعة وعن المعصية.

٨١- ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾ بقارون ﴿وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ منه.

٨٢- ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي من قريب ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ﴾ يوسّع ﴿ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ يضيّق على من يشاء. و«وي» اسم فعل بمعنى: أعجب: أي أنا والكاف بمعنى اللام ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ لنعمة الله كقارون.

٨٣- ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالبغي ﴿وَلَا فَسَادًا ۚ﴾ بعمل المعاصي ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ عقاب الله بعمل الطاعات.

٨٤- ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ﴾ ثواب بسببها وهو عشر أمثالها ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي مثله.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ
أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ
تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۖ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ ٱلۡعَنكَبُوتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا
يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

٨٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أنزله ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ إلى مكة وكان قد اشتاقها ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ نزل جوابا لقول كفار مكة له: إنك في ضلال، أي: فهو الجائي بالهدى وهم في ضلال. و «أعلم» بمعنى عالم.

٨٦- ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿إِلَّا﴾ لكن ألقي إليك ﴿رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ معينا ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ على دينهم الذي دعوك إليه.

٨٧- ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ أصله: يصدوننك، حذفت نون الرفع للجازم والواو للفاعل لالتقائها مع النون الساكنة ﴿عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ﴾ أي لا ترجع إليهم في ذلك ﴿وَٱدۡعُ﴾ الناس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ بتوحيده وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ بإعانتهم، ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه.

٨٨- ﴿وَلَا تَدۡعُ﴾ تعبد ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ إلا إياه ﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ القضاء النافذ ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ بالنشور من قبوركم.

سورة العنكبوت

[مكية إلا من آية ١ لغاية ١١ فمدنية وآياتها تسع وستون نزلت بعد الروم]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

٢- ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ﴾ أي بقولهم ﴿ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم. ونزل في جماعة آمنوا فآذاهم المشركون:

٣- ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في إيمانهم علم مشاهدة ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ فيه.

٤- ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الشرك والمعاصي ﴿أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾ يفوتونا فلا ننتقم منهم ﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا﴾ الذي ﴿يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾﴾ ـه حكمهم هذا؟!

٥- ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ﴾ يخاف ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ به ﴿لَأٓتٖۚ﴾ فليستعدّ له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾ بأفعالهم.

٦- ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ جهاد حَرْب أو نفس ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ فإن منفعة جهاده له لا لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ الإنس والجنّ والملائكة وعن عبادتهم.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

٧- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ بعمل الصالحات ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ﴾ بمعنى حسن ونصبه بنزع الخافض: الباء ﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ وهو الصالحات.

٨- ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗا﴾ أي إيصاءً ذا حُسن بأن يبرَّهما ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿عِلۡمٞ﴾ موافقة للواقع فلا مفهوم له ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ﴾ في الإشراك ﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ فأجازيكم به.

٩- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم.

١٠- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أذاهم له ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الخوف منه فيطيعهم فينافق ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿جَآءَ نَصۡرٞ﴾ للمؤمنين ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ حذف نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡ﴾ في الإيمان فأشركونا في الغنيمة. قال تعالى ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ﴾ أي بعالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ قلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى.

١١- ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم.

١٢- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ ديننا ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ في اتباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخبر. قال تعالى ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ في ذلك.

١٣- ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ﴾ أوزارهم ﴿وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡ﴾ بقولهم للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا، وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ يكذبون على الله سؤال توبيخ، واللام في الفعلين لام قسم، وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع.

١٤- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ أي الماء الكثير: طاف بهم وعلاهم فغرقوا ﴿وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ مشركون.

▣ أسباب نزول الآية ٢٧: وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح، فأنزل الله: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ فقالوا: تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً، وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، فنزلت ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ﴾ الآية.

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
(١٥) وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَإِن تُكَذِّبُوا۟
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ (٢٢) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)

١٥- ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي نوحا ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ أي الذين كانوا معه فيها ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ عبرة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ (١٥)﴾ لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتى كثر الناس.

١٦- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ خافوا عقابه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦)﴾ الخير من غيره.

١٧- ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ﴾ تقولون كذبا أن الأوثـان شركاء لله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ اطلبوه منه ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)﴾.

١٨- ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ أي تكذبوني يا أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ من قبلي ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (١٨)﴾ إلا البلاغ البين فى هاتين القصتين تسلية للنبي ﷺ وقال تعالى فى قومه.

١٩- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ بالياء والتاء: ينظروا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ هو بضم أوله. وقرئ بفتحه من: بدأ وأبدأ بمعنىً: أي يخلقهم ابتداء ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُۥٓ﴾ أي الخلق كما بدأهم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (١٩)﴾ فكيف ينكرون الثاني.

٢٠- ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ﴾ لمن كان قبلكم وأماتهم ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ﴾ مَدًّا وقصرا مع سكون الشين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾ ومنه البدء والإعادة.

٢١- ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١)﴾ تُردّون.

٢٢- ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربكم عن إدراككم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لو كنتم فيها أي لا تفوتونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِىٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ (٢٢)﴾ ينصركم من عذابه .

٢٣- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ أي القرآن والبعـث ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ أي جنتي ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)﴾ مؤلم.

وأخرج ابن إسحاق عن عطاء بن يسار قال: نزلت بمكة ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فلما هاجر إلى المدينة أتاه أحبار اليهود فقالوا: ألم يبلغنا عنك أنك تقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إيانا تريد أم قومك؟ فقال: كُلاًّ عنيت، قالوا: فإنك تتلو أنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: هي في علم الله قليل، فأنزل الله ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ وأخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس. وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة وابن جرير عن قتادة قال: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفذ، فنزل ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ
إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ
وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ
مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ
أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

٢٤- قال تعالى في قصة إبراهيم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ التي قذفوه فيها بأن جعلها عليه بَرْدا وسلاما ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي إنجائه منها ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ هي عدم تأثيرها فيه مع عظمها وإخمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يصدّقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنتفعون بها.

٢٥- ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ تعبدونها و «ما» مصدرية ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ خبر «إن» وعلى قراءة النصب مفعول له، و «ما» كافة، المعنى: توادتم على عبادتها ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾ مصيركم جميعا ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ مانعين منها.

٢٦- ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾ صدّق بإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو ابن أخيه هاران ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ أي إلى حيث أمرني ربي، وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ في صنعه.

٢٧- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ بعد إسمٰعيل ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذرّيته ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب: أي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

٢٨- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ الإنس والجنّ.

٢٩- ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ طريق المارّة بفعلكم الفاحشة بمن يمرّ بكم، فترك الناس المَمرّ بكم ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ أي متحدّثكم ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ فعل الفاحشة بعضكم ببعض ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ في استقباح ذلك وأن العذاب نازل بفاعليه.

٣٠- ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بتحقيق قولي في إنزال العذاب ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ العاصين بإتيان الرجال، فاستجاب الله دعاءه.

■ أسباب نزول الآية ٣٤: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: جاء رجل من أهل البادية فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني بما تلد؟ وبلادنا مجدبة فأخبرني متى ينزل الغيث، وقد علمت متى ولدت، فأخبرني متى أموت؟ فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا
أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ
وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ
هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ
لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

٣١- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أي قرية لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ كافرين.

٣٢- ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا﴾ أي الرسل ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب.

٣٣- ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرا لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف، فخاف عليهم قومه، فأعلموه أنهم رسل ربه ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ونصب «أهلك» عطف على محلّ الكاف.

٣٤- ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ عذابا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا﴾ بالفعل الذي ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ به أي بسبب فسقهم.

٣٥- ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ ظاهرة هي آثار خرابها ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

٣٦- ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ اخشوه هو يوم القيامة ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها من عثي بكسر المثلثة: أفسد.

٣٧- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ باركين على الرُّكب ميتين.

٣٨- ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿عَادًا وَثَمُودَ﴾ بالصرف وتركه بمعنى الحيّ والقبيلة ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ إهلاكهم ﴿مِّن مَّسَاكِنِهِمْ﴾ بالحجر واليمن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ذوي بصائر.

(سورة السجدة)

- أسباب نزول الآية ١٦: أخرج البزار عن بلال قال: كنا نجلس في المسجد وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء، فنزلت هذه الآية ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ في إسناده عبد الله بن شبيب ضعيف.
- أسباب نزول الآية ١٨: وأخرج الترمذي وصححه عن أنس: أن هذه الآية ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة. وأخرج الواحدي وابن عساكر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب: أنا أحدُّ منك سنانًا، وأبسط منك لسانًا، وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق. فنزلت ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ﴾ وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار مثله. وأخرج ابن عدي والخطيب في تاريخه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله. وأخرج الخطيب وابن عساكر من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس: أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط وذلك في سباب كان بينهما، كذا في هذه الرواية: أنها نزلت في عقبة بن الوليد، لا الوليد.

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ
لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

٤٠١

٣٩- ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿قَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ من قبل ﴿مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الحجج الظاهرات ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ فائتين عذابنا.

٤٠- ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحا عاصفة فيها حصباء كقوم لوط ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كثمود ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ بارتكاب الذنب.

٤١- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ أي أصناما يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾ أضعف ﴿ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ لا يدفع عنها حرًّا ولا بردا، كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ ذلك ما عبدوها.

٤٢- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ بمعنى الذي ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بالياء والتاء ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ غيره ﴿مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ في صنعه.

٤٣- ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نجعلها ﴿لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ أي يفهمها ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ المتدبرون.

٤٤- ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ أي محقا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ دالة على قدرته تعالى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ خُصُّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

٤٥- ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ شرعا: أي من شأنها ذلك ما دام المرء فيها. ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ من غيره من الطاعات ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ فيجازيكم به.

▣ أسباب نزول الآية ٢٨: وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: قال الصحابة: إن لنا يومًا يوشك أن نستريح فيه وننعم، فقال المشركون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فنزلت.

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ
إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ
إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ
وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ
ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ
ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ
مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

٤٦ - ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي﴾ أي المجادلة التي ﴿هِيَ أَحۡسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يقرّوا بالجزية، فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوٓاْ﴾ لمن قَبل الإقرار بالجزية إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ مطيعون.

٤٧ - ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ القرآن كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة كعبد الله ابن سلام وغيره ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أهل مكة ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بعد ظهورها ﴿إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي اليهود، وظهر لهم أنّ القرآن حق والجائي به محق وجحدوا ذلك.

٤٨ - ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا﴾ أي لو كنت قارئا كاتبا ﴿لَّٱرۡتَابَ﴾ شكّ ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة أنه أُمّي لا يقرأ ولا يكتب.

٤٩ - ﴿بَلۡ هُوَ﴾ أي القرآن الذي جئت به ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ أي المؤمنون يحفظونه ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أي اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم.

٥٠ - ﴿وَقَالُواْ﴾ أي كفار مكة ﴿لَوۡلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ أي محمد ﴿ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وفي قراءة «آية» كناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية.

٥١ - ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ﴾ فيما طلبوا ﴿أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الكتاب ﴿لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ﴾ عظة ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

٥٢ - ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗا﴾ بصدقي ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ منكم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

٥٣- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ له ﴿لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ بوقت إتيانه.

٥٤- ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ في الدنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

٥٥- ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَنَقُولُ﴾ فيه بالنون: أي نأمر بالقول: وبالياء: يقول أي الموكل بالعذاب ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي جزاءه فلا تفوتونا.

٥٦- ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ في أرض تيسرت فيها العبادة بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها. نزل في ضعفاء مسلمي مكة كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها.

٥٧- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ بالتاء والياء بعد البعث.

٥٨- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ ننزلهم. وفي قراءة بالمثلثة بعد النون من الثواء: الإقامة، وتعديته إلى غرفا بحذف «في» ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ مقدّرين الخلود ﴿فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ هذا الأجر، هم:

٥٩- ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

٦٠- ﴿وَكَأَيِّن﴾ كم ﴿مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لضعفها ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ بضمائركم.

٦١- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم﴾ أي الكفار ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك.

٦٢- ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتحانا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿لَهُ﴾ بعد البسط: أي لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ ومنه محل البسط والتضييق.

٦٣- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فكيف يشركون به ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ثبوت الحجة عليكم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ تناقضهم في ذلك.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ
لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى
ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ
ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ
جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

٦٤- ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ وأما القُرَب فمن أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ بمعنى الحياة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ذلك ما آثروا الدنيا عليها.

٦٥- ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: أي الدعاء أي لا يدعون معه غيره لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ به.

٦٦- ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام. وفي قراءة بسكون اللام: أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ عاقبة ذلك.

٦٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعلموا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم مكة ﴿حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قتلا وسبيا دونهم ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ بإشراكهم.

٦٨- ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾ النبيّ أو الكتاب ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ أي فيها ذلك وهم منهم. ٦٩- ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ في حقنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي طريق السير إلينا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ المؤمنين بالنصر والعون.

سورة الروم

[مكية إلا آية ١٧ فمدنية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

٢- ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ وهم أهل الكتاب، غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان، ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم.

٣- ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة التقى فيها الجيشان، والبادئ بالغزو الفرس ﴿وَهُم﴾ أي الروم ﴿مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ أضيف المصدر إلى المفعول: أي غلبة فارس إياهم ﴿سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ فارس.

٤- ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول وغلبت الروم فارس ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ أي من قبل غلب الروم ومن بعده، المعنى أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانيا بأمر الله، أي إرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم تغلب الروم ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾.

٥- ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ إياهم على فارس، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ بالمؤمنين.

وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ
﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ
﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ
بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ
وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ
أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ
يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ
شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾

٤٠٥

٦- ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله، والأصل: وعدهم الله النصر ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ وعده تعالى بنصرهم.

٧- ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغرس وغير ذلك ﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ إعادة «هم» تأكيد.

٨- ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ لذلك تفنى عند انتهائه، وبعده البعث ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ أي لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

٩- ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من الأمم وهي إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ حرثوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي كفار مكة ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الظاهرات ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بإهلاكهم بغير جرم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ بتكذيبهم رسلهم.

١٠- ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ: الأقبح، خبر كان على رفع «عاقبة» واسم كان على نصب «عاقبة» والمراد بها جهنم وإساءتهم ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾. ١١- ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ أي ينشىء الخلق خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي خلقهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ بالياء والتاء.

١٢- ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ يسكت المشركون لانقطاع حجتهم.

١٣- ﴿وَلَمۡ يَكُن﴾ أي لا يكون ﴿لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ﴾ ممن أشركوهم بالله وهم الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ﴾ أي يكونون ﴿بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي متبرّئين منهم.

١٤- ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ﴾ تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي المؤمنون والكافرون.

١٥- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ﴾ جنة ﴿يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ يسرّون.

(سورة الأحزاب)

■ أسباب نزول الآية ١: أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن أهل مكة منهم: الوليد بن المغيرة وشيبة ابن ربيعة دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوّفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

١٦- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَآيِٕ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

١٧- ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي سبِّحوا الله بمعنى صلّوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي تدخلون في المساء، وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح.

١٨- ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض ومعناه يحمده أهلها ﴿وَعَشِيًّا﴾ عطف على حين وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر.

١٩- ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي يبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من القبور بالبناء للفاعل والمفعول.

٢٠- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ تعالى الدالة على قدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾ من دم ولحم ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ في الأرض.

٢١- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فخلقت حوّاء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطف الرجال والنساء ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ وتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾ جميعا ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله تعالى.

٢٢- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ من بياض وسواد وغيرهما وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها: أي ذوي العقول وأولي العلم.

٢٣- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾. بإرادته راحة لكم ﴿وَٱبْتِغَآؤُكُم﴾ بالنهار ﴿مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي تصرّفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار.

٢٤- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾ أي إراءتكم ﴿ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي يبسها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبَّرون.

■ أسباب نزول الآية ٤- قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ﴾ أخرج الترمذي وحسنه عن ابن عباس قال: قام النبي ﷺ يومًا يصلي فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترى أن له قلبين: قلبًا معكم، وقلبًا معه، فأنزل الله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق خصيف عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة قالوا: كان رجل يدعي ذا القلبين، فنزلت. وأخرج ابن جرير من طريق قتادة عن الحسن مثله، وزاد وكان يقول: لي نفس تأمرني ونفس تنهاني. وأخرج من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: نزلت

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى
مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى
مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

٢٥- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ بإرادته من غير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ منها أحياء فخروجكم منها بدعوة من آياته تعالى.

٢٦- ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ مطيعون.

٢٧- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ للناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ من البدء بالنظر إلى ما عند المخاطبين من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي الصفة العليا وهي أنه لا إله إلا الله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ في خلقه.

٢٨- ﴿ضَرَبَ﴾ جعل ﴿لَكُم﴾ أيها المشركون ﴿مَّثَلًا﴾ كائنا ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وهو ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي من مماليككم ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ لكم ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال وغيره ﴿فَأَنتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ أي أمثالكم من الأحرار، والاستفهام بمعنى النفي. المعنى: ليس مماليككم شركاء لكم إلى آخره عندكم، فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له؟ ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يتدبرون.

٢٩- ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ بالإشراك ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ أي لا هادي له ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ مانعين من عذاب الله.

٣٠- ﴿فَأَقِمْ﴾ يا محمد ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ﴾ مائلاً إليه: أي أخلص دينك لله أنت ومن تبعك ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ خلقته ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ وهي دينه أي الزموها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ لدينه: أي لا تبدلوه بأن تشركوا ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم: توحيد الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ توحيد الله.

٣١- ﴿۞ مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى بما أمر به ونهى عنه: حال من فاعل أقم وما أريد به: أي أقيموا ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ خافوه ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ .

٣٢- ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ بدل بإعادة الجار ﴿فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ فرقا في ذلك ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ مسرورون. وفي قراءة «فارقوا» أي تركوا دينهم الذي أُمروا به.

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ (٣٥) وَإِذَآ أَذَقْنَا
ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا
لِّيَرْبُوَا فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ (٣٩) ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠) ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)

٣٣- ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ﴾ أي كفار مكة ﴿ ضُرٌّ ﴾ شدّة ﴿ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ ﴾ راجعين ﴿ إِلَيْهِ ﴾ دون غيره ﴿ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً ﴾ بالمطر ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) ﴾.

٣٤- ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ أريد به التهديد ﴿ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) ﴾ عاقبة تمتعكم، فيه التفات عن الغيبة.

٣٥- ﴿ أَمْ ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا ﴾ حجة وكتابا ﴿ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ ﴾ تكلم دلالة ﴿ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ (٣٥) ﴾ أي يأمرهم بالإشراك؟ لا.

٣٦- ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ ﴾ كفار مكة وغيرهم ﴿ رَحْمَةً ﴾ نعمة ﴿ فَرِحُوا بِهَا ﴾ فرح بطر ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ شدّة ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) ﴾ ييأسون من الرحمة، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدّة.

٣٧- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ يعلموا ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يوسّعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ امتحانا ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيّقه لمن يشاء ابتلاء ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) ﴾ بها.

٣٨- ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ القرابة ﴿ حَقَّهُۥ ﴾ من البرّ والصِّلة ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المسافر من الصدقة وأُمّة النبيّ تبع له في ذلك ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ أي ثوابه بما يعملون ﴿ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٣٨) ﴾ الفائزون.

٣٩- ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا ﴾ بأن يعطي شيئا هبة أو هدية ليطلب أكثر منه، فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿ لِّيَرْبُوَا فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ المعطين: أي يزيد ﴿ فَلَا يَرْبُوا ﴾ يزكو ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي لا ثواب فيه للمعطين ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ ﴾ صدقة ﴿ تُرِيدُونَ ﴾ بها ﴿ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ (٣٩) ﴾ ثوابهم بما أرادوه، فيه التفات عن الخطاب.

٤٠- ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم ﴾ ممن أشركتم بالله ﴿ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾ ؟ لا ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠) ﴾ به.

٤١- ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ ﴾ أي القفار بقحط المطر وقلة النبات ﴿ وَٱلْبَحْرِ ﴾ أي البلاد التي على الأنهار بقلة مائها ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ من المعاصي ﴿ لِيُذِيقَهُم ﴾ بالياء والنون ﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا ﴾ أي عقوبته ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) ﴾ يتوبون.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم
مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم
بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ
فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

٤٢ - ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومساكنهم ومنازلهم خاوية.

٤٣ - ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ دين الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد: يتفرّقون بعد الحساب إلى الجنة والنار.

٤٤ - ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال كفره وهو النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يوطؤون منازلهم في الجنة.

٤٥ - ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ «يصّدّعون» ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ يثيبهم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أي يعاقبهم.

٤٦ - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ تعالى ﴿أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ بمعنى لتبشركم بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ بها ﴿مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ المطر والخصب ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ السفن بها ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ هذه النعم يا أهل مكة فتوحّدونه.

٤٧ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم فكذبوهم ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ أهلكنا الذين كذبوهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

٤٨ - ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تزعجه ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ بفتح السين وسكونها قطعا متفرقة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي وسطه ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ بالودق ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يفرحون بالمطر.

٤٩ - ﴿وَإِن﴾ وقد ﴿كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ﴾ تأكيد ﴿لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ آيسين من إنزاله.

٥٠ - ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ﴾ وفي قراءة «أثر» ﴿رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أي نعمته بالمطر ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي ييسها بأن تنبت ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

في رجل من بني فهم قال: إني في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له: جميل بن معمر.

■ أسباب نزول الآية ٥- قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ الآية. أخرج البخاري عن ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد ابن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٩- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية. أخرج البيهقي في الدلائل عن حذيفة قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعودًا وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة أسفل

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا
مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا
مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾
وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ
كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ
وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ
لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

٥١- ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مضرّة على نبات ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾ صاروا جواب القسم ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد اصفراره ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يجحدون النعمة بالمطر.

٥٢- ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

٥٣- ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون بتوحيد الله.

٥٤- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر وهو ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ أي قوّة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم. والضعف في الثلاثة بضم أوّله وفتحه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

٥٥- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ﴾ يحلف ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَبِثُوا﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق: البعث، كما صرفوا عن الحق: الصدق في مدة اللّبث.

٥٦- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ من الملائكة وغيرهم ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقوعه.

٥٧- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العُتبى أي الرجوع إلى ما يرضي الله.

٥٨- ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيها لهم ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿جِئْتَهُم﴾ يا محمد ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿لَّيَقُولَنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ أي محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أصحاب أباطيل.

٥٩- ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوحيد كما طبع على قلوب هؤلاء.

٦٠- ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرك عليهم ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث: أي لا يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر: أي لا تتركه.

نخافهم على ذرارينا وما أتت قط علينا ليلة أشد ظلمة ولا أشد ريحًا منها فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ يقولون: إن بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له فيتسللون إذا استقبلنا النبي ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى عليّ، فقال: ائتني بخبر القوم فجئت فإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرًا فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضربهم بها وهم يقولون: الرحيل الرحيل، فجئت فأخبرته خبر القوم، وأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ الآية.

سُورَةُ لُقْمَانَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

٤١١

سورة لقمان

[مكية إلا الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩ فمدنية وآياتها ٣٤ نزلت بعد سورة الصافات]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده به.

٢- ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ ذي الحكمة، والإضافة بمعنى من.

٣- هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ وفي قراءة العامّة بالنصب حالاً من الآيات العامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة.

٤- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بيان للمحسنين ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ «هم» الثاني تأكيد.

٥- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ الفائزون. ٦- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ أي ما يلهي منه عما يعني ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب عطفا على يضل وبالرفع عطفا على «يشتري» ﴿هُزُوًا﴾ مهزوءا بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ ذو إهانة.

٧- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبرا ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ صمما، وجملتا التشبيه حالان من ضمير «ولّى» أو الثانية بيان للأولى ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ أعلمه ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ مؤلم، وذكر البشارة تهكم به وهو النضر بن الحارث: كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدّث بها أهل مكة ويقول: إن محمدا يحدّثكم أحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.

٨- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ .

٩- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدّرة: أي مقدّرا خلودهم فيها إذا دخلوها ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أي وعدهم الله ذلك وحقّه حقًّا ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ الذي لا يضع شيئا إلا في محله.

١٠- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي العَمَد جمع عماد وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً مرتفعة لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرّك ﴿بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ صنف حسن.

١١- ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أي مخلوقه ﴿فَأَرُونِى﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ غيره: أي آلهتكم حتى أشركتموها به تعالى، وما استفهام إنكار مبتدأ، وذا بمعنى الذي بصلته خبره، وأروني معلق عن العمل، وما بعده سدّ مسدّ المفعولين ﴿بَلِ﴾ للانتقال ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ بيّن بإشراكهم وأنتم منهم.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

١٢- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ منها العلم والديانة والإصابة في القول، وحكمه كثيرة مأثورة: كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كفيت، وقيل له: أيّ الناس شرٌّ؟ قال: الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئا ﴿أَنِ﴾ أي وقلنا له أن ﴿ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه.

١٣- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ﴾ بالله ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴿١٣﴾﴾ فرجع إليه وأسلم.

١٤- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أمرناه أن يبرّهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ فوهنت ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي ضعفت للحمل وضعفت للطلق وضعفت للولادة ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي فطامه ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ وقلنا له ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴿١٤﴾﴾ أي المرجع.

١٥- ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ موافقة للواقع ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ بالمعروف البر والصلة ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ﴾ بالطاعة ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴿١٥﴾﴾ فأجازيكم عليه وجملة الوصية وما بعدها اعتراض.

١٦- ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ﴾ أي الخصلة السيئة ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ فيحاسب عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴿١٦﴾﴾ بمكانها.

١٧- ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ بسبب الأمر والنهي ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴿١٧﴾﴾ أي معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها.

١٨- ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ وفي قراءة «تُصاعِرْ» ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تُمِلْ وجهك عنهم متكبرا ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي خيلاء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴿١٨﴾﴾ على الناس.

١٩- ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ توسط فيه بين الدبيب والإسراع وعليك السكينة والوقار ﴿وَٱغْضُضْ﴾ اخفض ﴿مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ أقبحها ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴿١٩﴾﴾ أوّله زفير وآخره شهيق.

سورة لقمان

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

٤١٣

٢٠- ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ تعلموا يا مخاطبين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الثمار والأنهار والدواب ﴿وَأَسْبَغَ﴾ أوسع وأتم ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً﴾ وهي حسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك ﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي المعرفة وغيرها. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ من رسول الله ﷺ ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ أنزله الله بل بالتقليد.

٢١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ قال تعالى ﴿أَوَ﴾ يتبعونه ﴿لَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ أي موجباته؟ لا.

٢٢- ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يقبل على طاعته ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ مرجعها.

٢٣- ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ﴾ يا محمد ﴿كُفْرُهُۥٓ﴾ لا تهتم بكفره ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ أي بما فيها كغيره فمجاز عليه.

٢٤- ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ أيام حياتهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصا.

٢٥- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ وجوبه عليهم.

٢٦- ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ المحمود في صنعه.

٢٧- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ﴾ عطف على اسم أن ﴿يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مدادا ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ المعبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد ولو بأكثر من ذلك لأن معلوماته تعالى غير متناهية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ لا يخرج شيء عن علمه وحكمته.

٢٨- ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ خلقا وبعثا لأنه بكلمة كن فيكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ يبصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ
فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

٢٩- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا مخاطب ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ﴾ يدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو يوم القيامة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

٣٠- ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء يعبدون ﴿مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ على خلقه بالقهر ﴿ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ العظيم.

٣١- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ عبرا ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾ لنعمته.

٣٢- ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ أي علا الكفار ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ كالجبال التي تظل من تحتها ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي الدعاء بأن ينجيهم أي لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ متوسط بين الكفر والإيمان ومنهم باق على كفره ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ومنها الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدار ﴿كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ لنعم الله تعالى.

٣٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِي﴾ يغني ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ فيه سينا ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بالبعث ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ الشيطان.

٣٤- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ٱلْغَيْثَ﴾ بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ أذكر أم أنثى ولا يعلم واحدا من الثلاثة غير الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شر ويعلمه الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ بباطنه كظاهره روى البخاري عن ابن عمر حديث مفاتيح الغيب خمسة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.... إلى آخر السورة.(١)

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (التفسير/٤٦٢٧/فتح).

سورة السجدة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾

سورة السجدة

[مكية إلا من آية ١٦ إلى غاية ٢٠ فمدنية وآياتها ٣٠ نزلت بعد سورة المؤمنون]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

٢- ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿لَا رَيۡبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ خبر أول ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ خبر ثان.

٣- ﴿أَمۡ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ محمد لا ﴿بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوۡمٗا مَّآ﴾ نافية ﴿أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ بإنذارك.

٤- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ هو في اللغة سرير الملك استواء يليق به ﴿مَا لَكُم﴾ يا كفار مكة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِيّٖ﴾ اسم ما بزيادة من أي ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنوا.

٥- ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ﴾ يرجع الأمر والتدبير ﴿إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا وفي سورة سأل خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث.

٦- ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخالق المدبر ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته.

٧- ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ بفتح اللام فعلاً ماضيا صفة وبسكونها بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ آدم ﴿مِن طِينٖ﴾.

٨- ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾ ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٖ﴾ علقة ﴿مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ ضعيف هو النطفة.

٩- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ أي جعله حيا حساسا بعد أن كان جمادا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي لذريته ﴿ٱلسَّمۡعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ ما زائدة مؤكدة للقلة.

١٠- ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي منكرو البعث ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ غبنا فيها بأن صرنا ترابا مختلطا بترابها ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢ﴾ استفهام إنكار بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين قال تعالى ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾ بالبعث. ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

١١- ﴿۞ قُلۡ﴾ لهم ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ أي بقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ أحياء فيجازيكم بأعمالكم.

وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ
رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
﴿١٢﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ
مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾
فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ
وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ
رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ
عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ
يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ
بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ
لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ
جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ
فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

١٢- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ مطأطئوها حياء يقولون ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾ ما أنكرنا من البعث ﴿وَسَمِعۡنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَٱرۡجِعۡنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون، وجواب «لو» لرأيت أمرا فظيعا. قال تعالى:

١٣- ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾ وهو ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ الجنّ ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها: ١٤- ﴿فَذُوقُواْ﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ﴾ أي بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ الدائم ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ من الكفر والتكذيب.

١٥- ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وعُظوا ﴿بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ﴾ متلبسين ﴿بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ أي قالوا: سبحان الله وبحمده ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ عن الإيمان والطاعة. ١٦- ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ﴾ ترتفع ﴿عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجدا ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعٗا﴾ في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ يتصدقون. ١٧- ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ﴾ خُبِّئ ﴿لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ ما تقرّ به أعينهم. وفي قراءة بسكون الياء مضارع ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾. ١٨- ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ أي المؤمنون والفاسقون.

١٩- ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا﴾ هو ما يعدّ للضيف ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾. ٢٠- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ .

▣ **أسباب نزول الآية ١٢**: وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن أبيه عن جده قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب، فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدّورة، فأخذ رسول الله ﷺ المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيّ المدينة، فكبر وكبر المسلمون، ثم ضرب الثانية فصدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها فكبر وكبر المسلمون، ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، فكبر وكبر المسلمون، فسئل عن ذلك، فقال: ضربت الأولى فأضاءت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثانية فأضاءت لي قصور الحمر من أرض الروم، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة فأضاءت لي قصور صنعاء، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، فقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزل القرآن ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾﴾، وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في متعب بن قشير الأنصاري وهو صاحب هذه المقالة.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

٢١- ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ عذاب الدنيا بالقتل والأسر والجدب سنين والأمراض والفتن ﴿دُونَ﴾ قبل ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ أي عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ إلى الإيمان.

٢٢- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ﴾ أي لا أحد أظلم منه ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي المشركين ﴿مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ .

٢٣- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ وقد التقيا ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي موسى أو الكتاب ﴿هُدًى﴾ هاديا ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾ .

٢٤- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: قادة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ على دينهم، وعلى البلاء من عدوّهم وفي قراءة: بكسر اللام وتخفيف الميم ﴿وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ .

٢٥- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من أمر الدين.

٢٦- ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ أي يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيرا ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم بكفرهم ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير «لهم» ﴿فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾ سماع تدبر واتعاظ؟.

٢٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾، اليابسة التي لا نبات فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ هذا فيعلموا أنا نقدر على إعادتهم.

٢٨- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ بيننا وبينكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾ .

٢٩- ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ بإنزال العذاب بهم ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة.

٣٠- ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ﴾ إنزال العذاب بهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي أيضًا عن عروة بن الزبير ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما قال: قال متعب بن قشير: كان محمد يرى أن يأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط، وقال أوس بن قيظي في ملأ من قومه: إن بيوتنا عورة، وهي خارجة من المدينة ائذن لنا فنرجع إلى نسائنا وأبنائنا، فأنزل الله على رسوله حين فزع عنهم ما كانوا فيه من البلاء يذكرهم نعمته عليهم وكفايته إياهم بعد سوء الظن منهم ومقالة من قال من أهل النفاق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ الآية.

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن
رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي
جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ
وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ
يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ
هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم
بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ
وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم
مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

سورة الأحزاب

[مدنية وآياتها ٧٣ نزلت بعد سورة آل عمران]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ دُمْ على تقواه ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بما يكون قبل كونه ﴿ حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾ فيما يخلقه.

٢- ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي القرآن ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ وفي قراءة بالتحتانية.

٣- ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ في أمرك ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾ حافظا لك. وأمته تبع له في ذلك كله.

٤- ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ ردًا على من قال من الكفار: إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى ﴾ بهمزة وياء وبلا ياء ﴿ تُظَٰهِرُونَ ﴾ بلا ألف قبل الهاء وبها، والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء ﴿ مِنْهُنَّ ﴾ يقول الواحد مثلاً لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي ﴿ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ أي كالأمهات في تحريمها بذلك المعدّ في الجاهلية طلاقا، وإنما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر في سورة المجادلة ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ ﴾ جمع دعيّ وهو من يدعى لغير أبيه ابنا له ﴿ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ حقيقة ﴿ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ﴾ أي اليهود والمنافقين قالوا لما تزوّج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد ابن حارثة الذي تبناه النبي ﷺ قالوا تزوّج محمد امرأة ابنه، فأكذبهم الله تعالى في ذلك ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ ﴾ في ذلك ﴿ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾ سبيل الحق.

٥- لكن ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ ﴾ أعدل ﴿ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ بنو عمكم ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾ في ذلك ﴿ وَلَٰكِن ﴾ في ﴿ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ فيه وهو بعد النهي ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿ رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ بكم في ذلك. ٦- ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ في حرمة نكاحهن عليهم ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ ﴾ ذوو القرابات ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ في الإرث ﴿ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ أي من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فنسخ ﴿ إِلَّآ ﴾ لكن ﴿ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ﴾ بوصية فجائز ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ ﴾ أي نسخ الإرث بالإيمان والهجرة بإرث ذوي الأرحام ﴿ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾ وأريد بالكتاب في الموضعين اللّوح المحفوظ. ٧- ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ ﴾ حين أُخرجوا من صلب آدم، كالذّرّ جمع ذرة: وهي أصغر النمل ﴿ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ شديدا بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى، ثم أخذ الميثاق.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ
لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا
اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

٨- ﴿ لِّيَسْأَلَ ﴾ الله ﴿ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ في تبليغ الرسالة تبكيتا للكافرين بهم ﴿ وَأَعَدَّ ﴾ تعالى ﴿ لِلْكَافِرِينَ ﴾ بهم ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ مؤلما هو عطف على «أخذنا».

٩- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ من الملائكة ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ بالتاء من حفر الخندق، وبالياء من تحزيب المشركين ﴿ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾.

١٠- ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴾ مالت عن كل شيء إلى عدوّها من كل جانب ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم من شدّة الخوف ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ ﴾ المختلفة بالنصر واليأس.

١١- ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ اختبروا ليتبين المخلص من غيره ﴿ وَزُلْزِلُوا ﴾ وحرِّكوا ﴿ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ من شدّة الفزع. ١٢- ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ ضعف اعتقاد ﴿ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ بالنصر ﴿ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ باطلا. ١٣- ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي المنافقين ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ﴾ هي أرض المدينة، ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ بضم الميم وفتحها: أي لا إقامة ولا مكانة ﴿ فَارْجِعُوا ﴾ إلى منازلكم من المدينة وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع جبل خارج المدينة للقتال ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ ﴾ في الرجوع ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ غير حصينة يخشى عليها. قال تعالى ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن ﴾ ما ﴿ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ من القتال.

١٤- ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ ﴾ أي المدينة ﴿ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ﴾ نواحيها ﴿ ثُمَّ سُئِلُوا ﴾ أي سألهم الداخلون ﴿ الْفِتْنَةَ ﴾ الشرك ﴿ لَآتَوْهَا ﴾ بالمدّ والقصر: أي أعطوها وفعلوها ﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾.

١٥- ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ عن الوفاء به.

■ أسباب نزول الآية ٢٣- قوله تعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾ الآية، أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن بدر فكبر عليه فقال: أول مشهد قد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، لئن أراني الله مشهدًا مع رسول الله ليرين الله ما أصنع، فشهد يوم أحد، فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية، ونزلت هذه الآية ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ إلى آخرها.

■ أسباب نزول الآية ٢٨- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ﴾ الآية. أخرج مسلم وأحمد والنسائي من طريق أبي الزبير عن جابر قال أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن له، ثم أذن لهما فدخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة آنفًا فوجأت عنقها. فضحك النبي ﷺ حتى بدا ناجذه، وقال: هن حولي يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها وقام عمر إلى حفصـــة، كلاهما يقول: تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده وأنزل الله الخيار،

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ
ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ
لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ
فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

٤٢٠

١٦- ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا﴾ إن فررتم ﴿لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴿١٦﴾﴾ بقية آجالكم.

١٧- ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم﴾ يجيركم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ هلاكا وهزيمة ﴿أَوْ﴾ يصيبكم بسوء إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾ خيرا ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴿١٧﴾﴾ يدفع الضرّ عنهم.

١٨- ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ المثبّطين ﴿مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ﴾ تعالـــوا ﴿إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴿١٨﴾﴾ رياء وسمعة.

١٩- ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة جمع شحيح: وهو حال من ضمير «يأتون» ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى﴾ كنظر أو كدوران الذي ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي سكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم ﴿سَلَقُوكُم﴾ آذوكم أو ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي الغنيمة يطلبونها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ حقيقة ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴿١٩﴾﴾ بإرادته.

٢٠- ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ إلى مكة لخوفهم منهم ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كرّة أخرى ﴿يَوَدُّوا۟﴾ يتمنوا ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي كائنون في البادية ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ أخباركم مع الكفار ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾ هذه الكرّة ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴿٢٠﴾﴾ رياء وخوفا من التعيير.

٢١- ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ بكسر الهمزة وضمها ﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتداء به في القتال والثبات في مواطنه ﴿لِّمَن﴾ بدل من «لكم» ﴿كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴿٢١﴾﴾ بخلاف من ليس كذلك. ٢٢- ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الوعد ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ تصديقا بوعد الله ﴿وَتَسْلِيمًا﴿٢٢﴾﴾ لأمره.

فبدأ بعائشة، فقال ﷺ: إني ذاكر لك أمرًا ما أحب أن تتعجلي فيه حتى تستأمري أبويك، قالت: ما هو؟ فتلا عليها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ الآية، قالت عائشة: أفيك أستأمر أبوي، بل أختار الله ورسوله.

■ **أسباب نزول الآية ٣٥**- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الآية، وأخرج الترمذي وحسنه من طريق عكرمة عن أم عمارة الأنصاري أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجـــال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية، وأخرج الطبراني بسند لا بأس به عن ابن عباس قال: قالت النساء: يا رسول الله، ما باله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات، فنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية، وتقدم حديث أم سلمة في آخر سورة آل عمران وأخرج ابن سعد عن قتادة قال: لما ذكر أزواج النبي ﷺ قال النساء: لو كان فينا خير لذكرنا، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية.

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

٢٣- ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع النبي ﷺ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ مات أو قتل في سبيل الله ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ذلك ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ في العهد وهم بخلاف حال المنافقين.

٢٤- ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ بأن يميتهم على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ به.

٢٥- ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ مرادهم من الظفر بالمؤمنين ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يريده ﴿عَزِيزًا﴾ غالبا على أمره.

٢٦- ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم، جمع صيصة وهو ما يُتحصن به ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ منهم وهم المقاتلة ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ منهم: أي الذراري.

٢٧- ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ بعد وهي خيبر: أُخذت بعد قريظة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾. ٢٨- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ وهُنَّ تسع وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أي متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ أطلقكنّ من غير ضرار.

٢٩- ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ أي الجنة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ﴾ بإرادة الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ أي الجنة، فاخترن الآخرة على الدنيا.

٣٠- ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ بفتح الياء وكسرها: أي بينت، أو هي بينة ﴿يُضَـٰعَفْ﴾ وفي قراءة «يضعَّف» بالتشديد، وفي أخرى «نُضعِّف» بالنون معه ونصب العذاب ﴿لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفي عذاب غيرهنّ: أي مثليه ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٣٦-** قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ الآية، أخرج الطبراني بسند صحيح عن قتادة قال خطب النبي ﷺ زينب هو يريدها لزيد فظنت أنه يريدها لنفسه، فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ الآية، فرضيت وسلمت. وأخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه، وقالت: أنا خير منه حسبًا، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ الآية كلها، وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت أول امرأة هاجرت من النساء فوهبت نفسها للنبي ﷺ، فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها قالا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده، فنزلت.

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

٣١- ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ ﴾ يطع ﴿ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ أي مثلي ثواب غيرهنّ من النساء، وفي قراءة بالتحتانية في «تعمل» «ونؤتها» ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ في الجنة زيادة.

٣٢- ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ ﴾ كجماعة ﴿ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ الله فإنكنّ أعظم ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ ﴾ للرجال ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ نفاق ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ من غير خضوع.

٣٣- ﴿ وَقَرْنَ ﴾ بكسر القاف وفتحها ﴿ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ من القرار، وأصله: اقررن، بكسر الراء وفتحها من «قررت» بفتح الراء وكسرها، نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ ﴾ بترك إحدى التاءين من أصله ﴿ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ الإثم يا ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أي نساء النبي ﷺ ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ ﴾ منه ﴿ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾.

٣٤- ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ السنة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا ﴾ بأوليائه ﴿ خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ بجميع خلقه.

٣٥- ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ المطيعات ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ في الإيمان ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾ على الطاعات ﴿ وَٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ المتواضعين ﴿ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ ﴾ عن الحرام ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً ﴾ للمعاصي ﴿ وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ على الطاعات.

■ **أسباب نزول الآية ٣٧**- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ ﴾ الآيات، أخرج البخاري عن أنس أن هذه الآية ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾، نزلت في بنت جحش وزيد بن حارثة، وأخرج الحاكم عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش، فقال النبي ﷺ أمسك عليك أهلك، فنزلت ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾، وأخرج مسلم وأحمد والنسائي قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: اذهب فاذكرها علي، فانطلق فأخبرها فقالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ، فدخل عليها بغير إذن، ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه، ثم أخبرته أن القوم قد خرجوا، فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٤٠**- وأخرج الترمذي عن عائشة قالت: لما تزوج النبي ﷺ زينب قالوا: تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٤٣**- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ ﴾ الآية، أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال: لما نزلت

سورة الأحزاب

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٤٢٣

٣٦- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي الاختيار ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ خلاف أمر الله ورسوله: نزلت في عبد الله ابن جحش وأخته زينب، خطبها النبي ﷺ لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما بظنهما قبل أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا للآية ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ بينا، فزوّجها النبي ﷺ لزيد، ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع في نفسه حبها وفي نفس زيد كراهتها، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها فقال: أمسك عليك زوجك كما قال تعالى:

٣٧- ﴿وَإِذْ﴾ منصوب بـ«اذكر» ﴿تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق: وهو زيد بن حارثة، كان من سبي الجاهلية، اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أمر طلاقها ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ مظهره من محبتها،[1] وأن لو فارقها زيد تزوّجتها ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أن يقولوا تزوّج زوجة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ في كل شيء وتزوّجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدّتها. قال تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن وأشبع المسلمين خبزا ولحما ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ مقضيُّه ﴿مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

٣٨- ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾ أحلّ ﴿ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي كسنة الله، فنصب بنزع الخافض ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فعله ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ مقضيا. ٣٩- ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ حافظا لأعمال خلقه ومحاسبتهم.

٤٠- ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ فليس أبا زيد، أي والده فلا يحرم عليه التزوّج بزوجته زينب ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا. وفي قراءة بفتح التاء كآلة الختم: أي به ختموا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ منه بأن لا نبيّ بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته. ٤١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾. ٤٢- ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أوّل النهار وآخره. ٤٣- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ أي يرحمكم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ أي يستغفرون لكم ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ ليديم إخراجه إياكم ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: الإيمان ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾، قال أبو بكر: يا رسول الله، ما أنزل الله عليك خيرًا إلا أشركنا فيه، فنزلت ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٤٧- قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري قالا لما نزلت ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال رجال من المؤمنين: هنيئا لك يا رسول الله، قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ الآية، وأنزل في سورة الأحزاب ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن الربيع بن أنس قال: لما نزلت ﴿وَمَآ أَدْرِى

---

(١) قلت: هذا التفسير باطل وانظر الكلام عليه في «الإسرائيليات والموضوعات في التفسير» ص٣٢٣ وما بعدها.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

٤٤- ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ منه تعالى ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ بلسان الملائكة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴿٤٤﴾﴾ هو الجنة. ٤٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على من أرسلت إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدّقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴿٤٥﴾﴾ منذرا من كذبك بالنار.

٤٦- ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴿٤٦﴾﴾ أي مثله في الاهتداء به. ٤٧- ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴿٤٧﴾﴾ هو الجنة. ٤٨- ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعْ﴾ اترك ﴿أَذَىٰهُمْ﴾ لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فهو كافيك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴿٤٨﴾﴾ مفوّضا إليه. ٤٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ وفي قراءة «تماسّوهنّ» أي تجامعوهنّ ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ تحصونها بالأقراء وغيرها ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به: أي إن لم يسمّ لهن أصدقة وإلا فلهنّ نصف المسمى فقط قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴿٤٩﴾﴾ خلوا سبيلهنّ من غير إضرار. ٥٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنّ ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسبي كصفية وجويرية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ بخلاف من لم يهاجرن ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ يطلب نكاحها بغير صداق ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صداق ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي المؤمنين ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ من الأحكام بأن لا يزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوّجوا إلا بوليّ وشهود ومهر ﴿وَ﴾ في ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ من الإماءِ بشراء وغيره بأن تكون الأمَة ممن تحلّ لمالكها، كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنيّة، وأن تستبرأ قبل الوطء ﴿لِكَيْلَا﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ فيما يعسر التحرّز عنه ﴿رَّحِيمًا﴿٥٠﴾﴾ بالتوسعة في ذلك.

﴿مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ نزل بعدها ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقالوا: يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فنزل ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ قال: الفضل الكبير الجنة.

■ **أسباب نزول الآية ٥٠-** قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ الآية، أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من طريق السدي عن أبي صالح عن ابن عباس عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني، فأنزل الله ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ إلى قوله ﴿ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، فلم أكن أحل له لأني لم أهاجر، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن أم هانئ، قالت: نزلت فيّ هذه الآية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ أراد النبي ﷺ أن يتزوجني فنهي عني، إذ لم أهاجر قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ الآية، أخرج ابن سعد عن عكرمة في قوله ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ الآية، قال نزلت في أم شريك الدوسية وأخرج ابن سعد عن منير بن عبد الله الدؤلي أن أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية عرضت نفسها على النبي ﷺ وكانت جميلة فقبلها، فقالت عائشة، ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شـريك: فأنا تلك، فسـماها الله مؤمنة، فقال ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ فلما نزلت الآية، قالت عائشة: إن الله يسرع لك في هواك.

■ **أسباب نزول الآية ٥١-** قوله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ﴾، أخرج الشيخان عن عائشة أنها كانت تقول: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها؟ فأنزل الله ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ﴾ الآية، فقالت عائشة: أرى ربك يسارع لك في هواك وأخرج ابن

﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ
وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ
النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا
﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن
يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ
فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ
ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا
يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن
وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ
لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ
مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن
تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

٥١- ﴿تُرْجِي﴾ بالهمزة والياء بدله: تؤخّر ﴿مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ أي أزواجك عن نوبتها ﴿وَتُؤْوِي﴾ تضمّ ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ منهنّ فتأتيها ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ﴾ طلبت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في طلبها وضمها إليك، خُيِّر في ذلك بعد أن كان القسم واجبا عليه ﴿ذَٰلِكَ﴾ التخيير ﴿أَدْنَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ﴾ ما ذكر المخير فيه ﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيد للفاعل في «يرضين» ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهنّ، وإنما خيرناك فيهنّ تيسيرا عليك في كل ما أردت ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَلِيمًا﴾ عن عقابهم.

٥٢- ﴿لَّا يَحِلُّ﴾ بالتاء والياء ﴿لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ﴾ بعد التسع التي اخترنك ﴿وَلَا أَن تَبَدَّلَ﴾ بترك إحدى التاءين في الأصل ﴿بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ بأن تطلقهنّ أو بعضهنّ وتنكح بدل من طلقت ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الإماء فتحل لك، وقد ملك ﷺ بعدهنّ مارية وولدت له إبراهيم ومات في حياته ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ حفيظا.

٥٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في الدخول بالدعاء ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ فتدخلوا ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾ منتظرين ﴿إِنَاهُ﴾ نضجه، مصدر أنى يأني ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا﴾ تمكثوا ﴿مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ المكث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ أن يُخرجكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ أن يخرجكم: أي لا يترك بيانه. وقرئ «يستحي» بياء واحدة ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي أزواجَ النبي ﷺ ﴿مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ستر ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر المريبة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بشيء ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ﴾ ذنبا ﴿عَظِيمًا﴾.

٥٤- ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في نكاحهنّ بعد ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيجازيكم عليه.

سعد عن أبي رزين قال: همّ رسول الله ﷺ أن يطلق من نسائه، فلما رأين ذلك جعلنه في حل من أنفسهن يؤثر من يشاء فأنزل الله ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ إلى قوله ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٥٢-** قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ﴾ أخرج ابن سعد عن عكرمة قال: خيَّر رسول الله ﷺ أزواجه فاخترن الله ورسوله، فأنزل الله ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٥٣-** قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا﴾ الآية، تقدم حديث عمر في سورة البقرة وأخرج الشيخان عن أنس قال: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلم رأى ذلك قام وقام من القوم من قام، وقعد ثلاثة ثم انطلقوا، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم انطلقوا، فجاء حتى دخل وذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه وأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ وأخرج الترمذي وحسنه عن أنس قال: كنت مع رسول الله ﷺ فأتى باب امرأة عرس بها فإذا عندها قوم، فانطلق ثم رجع وقد خرجوا فدخل فأرخى بيني وبينه سترًا فذكرته لأبي طلحة فقال: لئن كان كما تقول لينزلنّ في هذا شيء، فنزلت آية الحجاب،

سورة الأحزاب

لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾

٤٢٦

٥٥- ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ أي المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ﴾ من الإماء والعبيد أن يروهنّ ويكلموهنّ من غير حجاب ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾ فيما أُمرتنّ به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴿٥٥﴾﴾ لا يخفى عليه شيء.

٥٦- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ محمد ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴿٥٦﴾﴾ أي قولوا: اللهم صلّ على سيدنا محمد وسلّم.

٥٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهم الكفار يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴿٥٧﴾﴾ ذا إهانة وهو النار.

٥٨- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا﴾ تحمّلوا كذبا ﴿وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴿٥٨﴾﴾ بيّنا.

٥٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة أي يُرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهنّ إلا عينا واحدة ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ بأنهنّ حرائر ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ بالتعرّض لهنّ بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههنّ، فكان المنافقون يتعرّضون لهنّ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ لما سلف منهن من ترك الستر ﴿رَّحِيمٗا﴿٥٩﴾﴾ بهنّ إذ سترهنّ.

٦٠- ﴿۞ لَّئِن﴾ لام القسم ﴿لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ بالزنا ﴿وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم قد أتاكم العدو وسراياكم قتلوا أو هزموا ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ﴾ لنسلطنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ يساكنونك ﴿فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا﴿٦٠﴾﴾ ثم يخرجون.

٦١- ﴿مَّلۡعُونِينَۖ﴾ مُبعدينَ عن الرحمة ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ وُجدوا ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴿٦١﴾﴾ أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به.

٦٢- ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي سنّ الله ذلك ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ﴾ من الأمم الماضية في منافقيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴿٦٢﴾﴾ منه.

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن عائشة قالت: كنت آكل مع النبي ﷺ في قعب فمر عمر، فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي، فقال: أوه لو أطاع فيكـن ما رأتكن عين، فنزلت آية الحجاب وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: دخل رجل على النبي ﷺ فأطال الجلوس فخرج النبي ﷺ ثلاثة مرات ليخرج فلم يفعل فدخل عمر فرأى الكراهية في وجهه، فقال للرجل: لعلك آذيت النبي ﷺ فقال النبي ﷺ لقد قمت ثلاثًا لكي يتبعني فلم يفعل فقال عمر: يا رسول الله، لو اتخذت حجـابًا فإن نساءك لسـن كسائر النساء وذلك أطهر لقلوبهـن، فنزلت آية

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ
وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

٤٢٧

٦٣- ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تكون ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك بها. أي أنت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ﴾ توجد ﴿قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ . ٦٤- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ نارا شديدة يدخلونها. ٦٥- ﴿خَـٰلِدِينَ﴾ مقدّرا خلودهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ يدفعها عنهم. ٦٦- ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـ﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ . ٦٧- ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي الأتباع منهم ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ وفي قراءة «ساداتنا» جمع الجمع ﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ طريق الهدى. ٦٨- ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي مثلي عذابنا ﴿وَٱلْعَنْهُمْ﴾ عذبهم ﴿لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ عدده. وفي قراءة بالموحدة: أي عظيما. ٦٩- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟﴾ مع نبيكم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ بقولهم مثلاً: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففرّ الحجر به حتى وقف بين ملأ من بني إسرائيل، فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به فرأوه لا أدرة به وهي نفخة في الخصية ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ ذا جاه. ومما أوذي به نبينا ﷺ «أنه قسم قسما فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى فغضب النبي ﷺ من ذلك وقال: يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[1]. رواه البخاري. ٧٠- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ صوابا.
٧١- ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ يتقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ نال غاية مطلوبه. ٧٢- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب ﴿عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيهما فهما ونطقا ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بما حمله ﴿جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ به.
٧٣- ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ۚ﴾ اللام متعلقة بـ«عرضنا» المترتب عليه حمل آدم ﴿ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ﴾ المضيّعين الأمانة ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ المؤدّين الأمانة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ بهم.

الحجاب، قال الحافظ ابن حجر، يمكن الجمع بأن ذلك وقع قبل قصة زينب فلقربه منها أطلق نزول آية الحجاب بهذا السبب ولا مانع من تعدد الأسباب وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا نهض إلى بيته بادروه فأخذوا المجالس فلا يعرف ذلك في وجه رسول الله ﷺ ولا يبسط يده إلى الطعام استحياء منهم فعوتبوا في ذلك فأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ الآية. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: بلغ النبي ﷺ أن رجلا يقول: لو قد توفي النبي ﷺ تزوجت فلانة من بعده، فنزلت ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ الآية، وأخرج عن ابن عباس قال: نزلت في رجل همّ أن يتزوج بعض نساء

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (فرض الخمس/٣١٥٠/فتح)، مسلم في (الزكاة/١٠٦٢/عبد الباقي).

سورة سَبَإٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ
ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ
قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

سورة سبأ

[مكية إلا الآية ٦ فمدنية وآياتها ٥٤ أو ٥٥ نزلت بعد سورة لقمان]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد تعالى نفسه بذلك، والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد: وهو الوصف بالجميل لله تعالى ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ كالدنيا: يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ بخلقه. ٢- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كماء وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كنبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من رزق وغيره ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ من عمل وغيره ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه ﴿ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ لهم. ٣- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ بالجرّ صفة، والرفع خبر مبتدأ وعلاّم بالجر ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ بيّن: هو اللوح المحفوظ. ٤- ﴿لِّيَجْزِىَ﴾ فيها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ حسن في الجنة. ٥- ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ﴾ إبطال ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ وفي قراءة هنا وفيما يأتي «مُعْجزِينَ» أي مقدّرين عجزنا أو مسابقين لنا، فيفوتونا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ سيِّء العذاب ﴿أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾ مؤلم بالجر، والرفع صفة لرجز أو عذاب. ٦- ﴿وَيَرَى﴾ يعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿هُوَ﴾ فصل ﴿ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ أي الله ذو العزة المحمود.

٧- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي قال بعضهم على جهة التعجب لبعض ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم أنكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ قطعتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بمعنى تمزيق ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾ .

النبي ﷺ بعده قال سفيان: ذكروا أنها عائشة، وأخرج عن السدي قال: بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أيحجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده، فأنزلت هذه الآية، وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن عمرو بن حزم قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنه قال: إذا توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة، وأخرج جويبر عن ابن عباس: أن رجلاً أتى بعض أزواج النبي ﷺ فكلمها وهو ابن عمها، فقال النبي ﷺ، لا تقومن هذا المقام بعد يومك هذا، فقال: يا رسول الله، إنها ابنة عمي والله ما قلت لها منكرًا ولا قالت لي قال النبي ﷺ قد عرفت ذلك أنه ليس أحد أغير من الله، وأنه ليس أحد أغير مني فمضى ثم قال: يمنعني من كلام ابنة عمي لأتزوجنها من بعده فأنزل الله هذه الآية، قال ابن عباس: فأعتق ذلك الرجل رقبة وحمل على عشرة أبعرة في سبيل الله وحجّ ماشيًا توبة من كلمته.

■ أسباب نزول الآية ٥٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية، قال: نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي، وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن أبيّ وناس معه قذفوا عائشة، فخطب النبي ﷺ وقال: من يعذرني من رجل يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني فنزلت.

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

٨- ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام واستغني بها عن همزة الوصل ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ جنون تخيل به ذلك؟ قال تعالى ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ عن الحق في الدنيا.

٩- ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾ ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ بسكون السين وفتحها: قطعًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وفي قراءة في الأفعال الثلاثة بالياء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المرئيّ ﴿لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء. ١٠- ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ نبوّة وكتابا وقلنا ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾ ارجعي ﴿مَعَهُۥ﴾ بالتسبيح ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ بالنصب عطفا على محل الجبال: أي ودعوناها تسبح معه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ فكان في يده كالعجين. ١١- وقلنا ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ منه ﴿سَـٰبِغَـٰتٍ﴾ دروعا كوامل يجرها لابسها على الأرض ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي نسج الدروع قيل لصناعها سراد أي اجعله بحيث تتناسب حلقه ﴿وَٱعْمَلُوا۟﴾ أي آل داود معه ﴿صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازيكم به.

١٢- ﴿وَ﴾ سخّرنا ﴿لِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ وقراءة الرفع بتقدير: تسخير ﴿غُدُوُّهَا﴾ مسيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾ أي مسيرته ﴿وَأَسَلْنَا﴾ أذبنا ﴿لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي النحاس فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمـــان ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ﴾ يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ النار في الآخرة، وقيل في الدنيا، بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه.

١٣- ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَـٰثِيلَ﴾ جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء: أي صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراما في شريعته ﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع جفنة ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ جمع جابية وهي حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرّك عن أماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلالم وقلنا ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ يا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ العامل بطاعتي شكرا لنعمتي.

١٤- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ أي مات ومكث قائما على عصاه حولاً ميتا. والجنّ تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته حتى أكلت الأرضة عصاه فخرّ ميتا ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ مصدر أُرضَت الخشبة بالبناء للمفعول أكلتها الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ بالهمز وتركه بألف: عصاه، لأنها يُنسأ: يُطرد ويُزجر بها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتا ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ انكشف لهم ﴿أَن﴾ مخففة: أي أنهم ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ العمل الشاقّ لهم لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضة من العصا بعد موته يوما وليلة مثلاً.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ
اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

٤٣٠

١٥- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف وعدمه: قبيلة سميت باسم جدّ لهم من العرب ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ باليمن ﴿ءَايَةٌ﴾ دالة على قدرة الله تعالى ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين واديهم وشماله. وقيل لهم ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ليس فيها سباخ ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، ويمرّ الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها ﴿وَ﴾ الله ﴿رَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾. ١٦- ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع عرمة وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته: أي سيل واديهم الممسوك بما ذكر، فأغرق جنّتيهم وأموالهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ مرّ بشع بإضافة «أكل» بمعنى مأكول وتركها ويعطف عليه ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾.

١٧- ﴿ذَٰلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ بالياء والنون مع كسر الزاي ونصب الكفور: أي ما يناقش إلا هو.

١٨- ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر، وهي قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء: أي وقلنا ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار.

١٩- ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ﴾ وفي قراءة «بَعِّدْ» ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء فبطروا النعمة ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فرقناهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبرا ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ على النعم.

٢٠- ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي الكفار، منهم سبأ ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ فصدق بالتخفيف في ظنه أو صدّق بالتشديد ظنه: أي وجده صادقا ﴿إِلَّا﴾ بمعنى لكن ﴿فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ للبيان أي هم المؤمنون لم يتبعوه.

٢١- ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾ تسليط ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ فنجازي كلا منهما ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ رقيب.

٢٢- ﴿قُلِ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أي زعمتموهم آلهة ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره لينفعوكم بزعمكم، قال تعالى فيهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شر ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ شركه ﴿وَمَا لَهُ﴾ تعالى ﴿مِنْهُم﴾ من الآلهة ﴿مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ معين.

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ
﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ
وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل
لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ
﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

٢٣- ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ تعالى ردّ لقولهم إن آلهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ بفتح الهمزة وضمها ﴿لَهُۥ﴾ فيها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الفزع بالإذن فيها ﴿قَالُوا۟﴾ قال بعضهم لبعض استبشارا ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها ﴿قَالُوا۟﴾ القول ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أي قد أذن فيها ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ العظيم.

٢٤- ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النبات ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ أي أحد الفريقين ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ بيِّن في الإبهام تلطُّف بهم داع إلى الإيمان إذا وفقوا له.

٢٥- ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أذنبنا ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ لأنا بريئون منكم. ٢٦- ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ بما يحكم به.

٢٧- ﴿قُلْ أَرُونِىَ﴾ أعلموني ﴿ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ في تدبيره لخلقه فلا يكون له شريك في ملكه.

٢٨- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾ حال من الناس، قدم للاهتمام ﴿لِّلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ مبشرا للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرا للكافرين بالعذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ذلك.

٢٩- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فيه.

٣٠- ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ عليه وهو يوم القيامة.

٣١- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي تقدمه كالتوراة والإنجيل الدالين على البعث لإنكارهم له. قال تعالى فيهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ الرؤساء ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ صددتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ بالنبي.

■ أسباب نزول الآية ٥٩- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ الآية، أخرج البخاري عن عائشة قالت: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي: فقال لي عمر كذا وكذا قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: إنه قد أذن لكنّ أن تخرجن لحاجتكنّ، وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي مالك قال: كان نساء النبي ﷺ يخرجن بالليل لحاجتهن، وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذين، فشكوا ذلك فقيل ذلك للمنافقين فقالوا: إنما نفعله بالإماء، فنزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ ثم أخرج نحوه عن الحسن ومحمد بن كعب القرظي.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ
عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ
تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ
هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا
زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ
بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ
ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ
إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ
أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

٤٣٢

٣٢- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ﴾ لا ﴿بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾ في أنفسكم.

٣٣- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي مكر فيهما منكم بنا ﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ شركاء ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ أي الفريقان ﴿ٱلنَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان به ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ أي أخفاها كلٌّ عن رفيقه مخافة التعبير ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ في النار ﴿هَلۡ﴾ ما ﴿يُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جـــزاء ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ في الدنيا.

٣٤- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ رؤساؤها المتنعمون ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

٣٥- ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا﴾ ممن آمن ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

٣٦- ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحانا ﴿وَيَقۡدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

٣٧- ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ قربى أي تقريبا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ أي جزاء العمل. الحسنة مثلاً بعشر فأكثر ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ﴾ من الجنة ﴿ءَامِنُونَ﴾ الموت وغيره. وفي قراءة «الغرْفة» بمعنى الجمع.

٣٨- ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بالإبطال ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ لنا مقدرين عجزنا وأنهم يفوتوننا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾.

٣٩- ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ امتحانا ﴿وَيَقۡدِرُ﴾ يضيقه ﴿لَهُۥۚ﴾ بعد البســـط أو لمن يشاء ابتلاء ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ في الخير ﴿فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يقال كل إنسان يرزق عائلته أي من رزق الله.

(سورة سبأ)

- أسباب نزول الآية ١٥- أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح، قال: حدثني فلان أن فروة بن مسيك الغطفاني قدم على رسول الله ﷺ فقال: يا نبيَّ الله إن سبأ قوم كان لهم في الجاهلية عز، وإني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام، أفأقاتلهم؟ فقال: ما أمرت فيهم بشيء بعد، فأنزلت هذه الآية ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ﴾ الآيات.
- أسباب نزول الآية ٣٤- وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق سفيان عن عاصم عن ابن رزين قال: كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الشام وبقي الآخر فلما بعث النبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله ما عمل؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش إلا رذالة الناس ومساكينهم، فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال: دلني عليه،

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ
وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن
تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم
مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

٤٣٣

٤٠- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي المشركين ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى ياء وإسقاطها ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

٤١- ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيها لك عن الشريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ الشياطين أي يطيعونهم في عبادتهم إيانا ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ مصدّقون فيما يقولون لهم.

٤٢- قال تعالى ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿نَّفْعًا﴾ شفاعة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ تعذيبا ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

٤٣- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات بلسان نبينا محمد ﷺ ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ من الأصنام ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿مُّفْتَرًى﴾ على الله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ بيّن.

٤٤- قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ فمن أين كذبوك.

٤٥- ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟﴾ أي هؤلاء ﴿مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من القوّة وطول العمر وكثرة المال ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾ إليهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك: أي هو واقع موقعه.

٤٦- ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ هي ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ أي لأجله ﴿مَثْنَىٰ﴾ اثنين اثنين ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾ واحدا واحدا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ محمد ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ﴾ أي قبل ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ في الآخرة إن عصيتموه.

٤٧- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا سَأَلْتُكُم﴾ على الإنذار والتبليغ ﴿مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي لا أسألكم عليه أجرا ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ مطّلع يعلم صدقي.

٤٨- ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ يلقيه إلى أنبيائه ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾ ما غاب عن خلقه في السموات والأرض.

وكان يقرأ بعض الكتب، فأتى النبي ﷺ فقال: إلام تدعو؟ فقال: إلى كذا وكذا فقال: أشهد أنك رسول الله فقال: وما علمك بذلك؟ قال: إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم فنزلت هذه الآية ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ فأرسل إليه النبي ﷺ: إن الله قد أنزل تصديق ما قلت.

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

٤٩- ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴿٤٩﴾﴾ أي لم يبق له أثر.

٥٠- ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ أي إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٌ﴿٥٠﴾﴾.

٥١- ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﷺ ﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾ عند البعث لرأيت أمرا عظيما ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لهم منا أي لا يفوتوننا ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴿٥١﴾﴾ أي القبور.

٥٢- ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بمحمد ﷺ أو القرآن ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ بواو وبالهمزة بدلها أي تناول الإيمان ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴿٥٢﴾﴾ عن محله إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا.

٥٣- ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا يرمون ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ يرمون ﴿بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴿٥٣﴾﴾ أي بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا في النبي: ساحر، شاعر، كاهن، وفي القرآن: سحر، شعر، كهانة.

٥٤- ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان أي قبوله ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ أشباههم في الكفر ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي قبلهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴿٥٤﴾﴾ موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدّوا بدلائله في الدنيا.

سورة فاطر

[مكية وآياتها ٤٥ أو ٤٦ نزلت بعد سورة الفرقان]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد تعالى نفسه بذلك كما بين في أول سورة سبأ ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴿١﴾﴾.

٢- ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ﴾ من ذلك ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ أي بعد إمساكه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴿٢﴾﴾ في فعله.

٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ﴾ «من» زائدة و«خالق» مبتدأ ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بالرفع والجر نعت لـ«خالق» لفظا ومحلا وخبر المبتدأ ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطر ﴿وَ﴾ من ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ النبات. والاستفهام للتقرير: أي لا خالق رازق غيره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴿٣﴾﴾ من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق.

(سورة فاطر أو الملائكة)

■ **أسباب نزول الآية ٨**- أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا
فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ
﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

٤- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد ﷺ في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ في ذلك فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾ في الآخرة فيجازي المكذبين وينصر المرسلين.

٥- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿الْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ الشيطان.

٦- ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ أتباعه في الكفر ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ النار الشديدة.

٧- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ هذا بيان ما لموافقي الشيطان وما لمخالفيه.

٨- ونزل في أبي جهل وغيره ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ بالتمويه ﴿فَرَآهُ حَسَنًا﴾ «مَن» مبتدأ خبره: كمن هداه الله، لا. دل عليه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ على المزين لهم ﴿حَسَرَاتٍ﴾ باغتمامك أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ فيجازيهم عليه.

٩- ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ وفي قراءة «الريح» ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية: أي تزعجه ﴿فَسُقْنَاهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ بالتشديد والتخفيف. لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها أي أنبتنا به الزرع والكلأ ﴿كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ أي البعث والإحياء.

١٠- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي في الدنيا والآخرة فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ يعلمه وهو: لا إله إلا الله، ونحوها ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يقبله ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بالنبي في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر في الأنفال ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ يهلك.

١١- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي منيّ بخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ حال: أي معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي ما يزاد في عمر طويل العمر ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ أي ذلك المعمر أو معمر آخر ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ هيّن.

الآية، حيث قال النبي ﷺ: «اللهم أعزّ دينك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام» فهدى الله عمر وأضل أبا جهل ففيهما أنزلت.

■ أسباب نزول الآية ٢٩- وأخرج عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن ابن عباس أن حصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي، نزل فيه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ الآية.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

١٢- ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ شربه ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من الملح وقيل منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِيهِ﴾ في كل منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾ تمخر الماء: أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ الله على ذلك.

١٣- ﴿يُولِجُ﴾ يدخل الله ﴿ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ غيره وهم الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ لفافة النوى .

١٤- ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا﴾ فرضا ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ ما أجابوكم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ بإشراككم إياهم مع الله: أي يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ عالم وهو الله تعالى.

١٥- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بكل حال ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ المحمود في صنعه بهم.

١٦- ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ بدلكم

١٧- ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ شديد.

١٨- ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة أي لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ﴾ نفس ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ منه أحدا ليحمل بعضه ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعوّ ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ قرابة كالأب والابن، وعدم الحمل في الشقين حكم من الله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي يخافونه وما رأوه لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهّر من الشرك وغيره ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ فصلاحه مختص به ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ المرجع فيجزي بالعمل في الآخرة.

■ أسباب نزول الآية ٣٥- وأخرج البيهقي في البعث وابن أبي حاتم من طريق نفيع بن الحارث عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله إن النوم مما يقر الله به أعيننا في الدنيا فهل في الجنة من نوم؟ قال: لا إن النوم شريك الموت، وليس في الجنة موت، قال فما راحتهم؟ فأعظم ذلك رسول الله ﷺ وقال: ليس فيها لغوب كلّ أمرهم راحة فنزلت ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ
﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ
إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ
أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ
أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ
ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا
أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

١٩- ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ الكافر والمؤمن.

٢٠- ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ الكفر ﴿وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾ الإيمان.

٢١- ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ الجنة والنار.

٢٢- ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ المؤمنون ولا الكفار، وزيادة «لا» في الثلاثة تأكيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ هدايته فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ أي الكفار، شبههم بالموتى، فيجيبوا.

٢٣- ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ منذر لهم.

٢٤- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجاب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ نبي ينذرها.

٢٥- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ هو التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا.

٢٦- ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتكذيبهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك: أي هو واقع موقعه.

٢٧- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ جمع جدة طريق في الجبل وغيره ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ وصفر ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ بالشدة والضعف ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ عطف على «جدد» أي صخور شديدة السواد. يقال كثيرا أسود غربيب، وقليلاً غربيب أسود.

٢٨- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ بخلاف الجهّال ككفار مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

٢٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرؤون ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ تهلك. ٣٠- ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ لطاعتهم.

■ أسباب نزول الآية ٤٢- وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي هلال: أنه بلغه أن قريشًا كانت تقول: لو أن الله بعث منا نبيًا ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها، ولا أسمع لنبيها، ولا أشد تمسكًا بكتابها منا فأنزل الله ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ و ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ الآية، ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ
يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم
مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ
فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾
وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ
عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ
أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ
فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ
غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

٣١- ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾﴾ عالم بالبواطن والظواهر.

٣٢- ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا﴾ أعطينا ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ وهم أمتك ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إيراثهم الكتاب ﴿هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾.

٣٣- ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ إقامة ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول خبر «جناتُ» المبتدأ ﴿يُحَلَّوۡنَ﴾ خبر ثان ﴿فِيهَا مِنۡ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗا﴾ مرصع بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾﴾.

٣٤- ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ للطاعة.

٣٥- ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ أي الإقامة ﴿مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ﴾ تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾﴾ إعياء من التعب لعدم التكليف فيها وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه.

٣٦- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُواْ﴾ يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾﴾ كافر بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب «كل».

٣٧- ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدّة وعويل يقولون ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا﴾ منها ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ﴾ فيقال لهم ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا﴾ وقتا ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ الرسول فيما أجبتم ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ يدفع العذاب عنهم.

٣٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾ بما في القلوب فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس.

جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِ﴾ وكانت اليهود تستفتح به على النصارى فيقولون: إنا نجد نبيًا يخرج.

هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا
يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩) قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ
بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن
جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ
وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا
(٤٣) أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)

٣٩- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضا ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ منكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي وبال كفره ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ غضبا ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩)﴾ للآخرة.

٤٠- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شركة مع الله ﴿فِي﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾ حجة ﴿مِّنْهُ﴾ بأنّ لهم معي شركة، لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِن﴾ ما ﴿يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠)﴾ باطلاً بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

٤١- ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أي يمنعهما من الزوال ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿زَالَتَآ إِنْ﴾ ما ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾ يمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ أي سواه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١)﴾ في تأخير عقاب الكفار.

٤٢- ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم أي: أيّ واحدة منها لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضا إذ قالت اليهود ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا (٤٢)﴾ تباعدا عن الهدى.

٤٣- ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ عن الإيمان، مفعول له ﴿وَمَكْرَ﴾ العمل ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾ من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وهو الماكر ووصف المكر بالسيء أصل، وإضافته إليه قيل استعمال آخر، قدر فيه مضاف حذرا من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣)﴾ أي لا يبدّل بالعذاب غيره ولا يحوّل إلى غير مستحقه.

٤٤- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ﴾ يسبقه ويفوته ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي بالأشياء كلها ﴿قَدِيرًا (٤٤)﴾ عليها.

(سورة يس)

■ أسباب نزول الآية ١- أخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في السجدة فيجهر بالقراءة حتى تأذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم، وإذا هم عمي لا يبصرون فجاؤوا إلى النبي ﷺ فقالوا: ننشدك الله والرحم يا محمد، فدعا حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت ﴿يس (١) وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ (٢)﴾ إلى قوله ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)﴾ قال فلم يؤمن من ذلك النفر أحد.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ
ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا (٤٥)

سُورَةُ يسٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ (١) وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤) تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٥) لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)

٤٥- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ أي الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا (٤٥)﴾ فيجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

سورة يس

[مكية إلا آية ٤٥ فمدنية وآياتها ٨٣ نزلت بعد سورة الجن]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿يسٓ (١)﴾ الله أعلم بمراده به.

٢- ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ (٢)﴾ المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني. ٣- ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣)﴾.

٤- ﴿عَلَىٰ﴾ متعلق بما قبله ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤)﴾ أي طريق الأنبياء قبلك التوحيد والهدى. والتأكيد بالقسم وغيره ردّ لقول الكفار له «لست مرسلاً». ٥- ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمِ (٥)﴾ بخلقه خبر مبتدأ مقدّر: أي القرآن.

٦- ﴿لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾ متعلق بـ«تنزيل» ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ أي لم ينذروا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ﴾ أي القوم ﴿غَٰفِلُونَ (٦)﴾ عن الإيمان والرشد. ٧- ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ وجب ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧)﴾ أي الأكثر. ٨- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ بأن تضم إليها الأيدي لأنّ الغل يجمع اليد إلى العنق ﴿فَهِىَ﴾ أي الأيدي مجموعة ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن وهي مجتمع اللحيين ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨)﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له. ٩- ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)﴾ تمثيل أيضا لسد طرق الإيمان عليهم. ١٠- ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)﴾.

١١- ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ خافه ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)﴾ هو الجنة. ١٢- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُواْ﴾ في حياتهم من خير وشرّ ليجازوا عليه ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ ما استنّ به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ نصبه بفعل يفسره ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾ ضبطناه ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)﴾ كتاب بيّن هو اللوح المحفوظ(1).

■ أسباب نزول الآية ٨- وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا لأفعلن ولأفعلن فأنزل الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ إلى قوله ﴿لَا يُبْصِرُونَ (٩)﴾ فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو؟ أين هو؟ ولا يبصر.

■ أسباب نزول الآية ١٢- وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ فقال النبي ﷺ: إن آثاركم تكتب فلا تنتقلوا، وأخرج الطبراني عن ابن عباس مثله.

(١) انظر الصحيح المسند من أسباب النزول (١٧٤).

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

١٣- ﴿وَاضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُم مَّثَلًا﴾ مفعول أول ﴿أَصْحَابَ﴾ مفعول ثان ﴿الْقَرْيَةِ﴾ أنطاكية ﴿إِذْ جَاءَهَا﴾ إلى آخره بدل اشتمال من أصحاب القرية ﴿الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ أي رسل عيسى. ١٤- ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخره بدل من «إذ» الأولى ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد قوّينا الاثنين ﴿بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ . ١٥- ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ .

١٦- ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جار مجرى القسم وزيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكار في ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾. ١٧- ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ التبليغ المبين الظاهر بالأدلة الواضحة وهي إبراء الأكمه والأبرص والمريض وإحياء الميت. ١٨- ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾ تشاءمنا ﴿بِكُمْ﴾ لانقطاع المطر عنا بسببكم ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ مؤلم. ١٩- ﴿قَالُوا طَائِرُكُم﴾ شؤمكم ﴿مَّعَكُمْ﴾ بكفركم ﴿أَئِن﴾ همزة استفهام دخلت على «إن» الشرطية وفي همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى ﴿ذُكِّرْتُم﴾ وُعظتم وخوّفتم. وجواب الشرط محذوف: أي تطيرتم وكفرتم؟ وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ متجاوزون الحد بشرككم.

٢٠- ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسل ومنزله بأقصى البلد ﴿يَسْعَىٰ﴾ يشتد عدوًا لما سمع بتكذيب القوم الرسل ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ .

٢١- ﴿اتَّبِعُوا﴾ تأكيد للأول ﴿مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ على رسالته ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ فقيل له: أنت على دينهم؟. ٢٢- فقال ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني: أي لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها، وأنتم كذلك ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بعد الموت فيجازيكم بكفركم.

٢٣- ﴿أَأَتَّخِذُ﴾ في الهمزتين منه ما تقدم في «أأنذرهم» وهو استفهام بمعنى النفي ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿آلِهَةً﴾ أصناما ﴿إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ﴾ التي زعمتموها ﴿شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ صفة آلهة. ٢٤- ﴿إِنِّي إِذًا﴾ أي إن عبدت غير الله ﴿لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ بين.

٢٥- ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ أي اسمعوا قولي فرجموه فمات.

٢٦- ﴿قِيلَ﴾ له عند موته ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ وقيل دخلها حيا ﴿قَالَ يَا﴾ حرف تنبيه ﴿لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾. ٢٧- ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٧٧-** وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: جاء العاصي بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته، فقال يا محمد أيبعث هذا بعد ما أرم؟ قال: نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم، فنزلت الآيات ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ إلى آخر السورة وأخرج ابن أبي حاتم من طرق عن مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي نحوه وسموا الإنسان أبيّ بن خلف.

وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ
٢٩ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ
٣٢ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا
فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ
وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ
وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ
ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ
ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠

٢٨- ﴿وَمَآ﴾ نافية ﴿أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ أي حبيب ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ بعد موته ﴿مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي ملائكة لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨﴾ ملائكة لإهلاك أحد.

٢٩- ﴿إِن﴾ ما ﴿كَانَتۡ﴾ عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩﴾ ساكنون ميتون.

٣٠- ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فأهلكوا، وهي شدة التألم من الصوت، ونداؤها مجاز: أي هذا أوانك فاحضري ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾ مسوق لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المؤدي إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة.

٣١- ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ أي أهل مكة القائلون للنبي لست مرسلاً والاستفهام للتقرير أي علموا ﴿كَمۡ﴾ خبرية بمعنى كثيرا معمولة لما بعدها معلقة لما قبلها عن العمل، والمعنى: إنّا ﴿أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم﴾ كثيرا ﴿مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الأمم ﴿أَنَّهُمۡ﴾ أي المهلكين ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ أي المكذبين ﴿لَا يَرۡجِعُونَ ٣١﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ و «أنهم... الخ» بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور.

٣٢- ﴿وَإِن﴾ نافية أو مخففة ﴿كُلّٞ﴾ أي كل الخلائق، مبتدأ ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد بمعنى إلا، أو بالتخفيف فاللام فارقة و «ما» مزيدة ﴿جَمِيعٞ﴾ خبر المبتدأ أي مجموعون ﴿لَّدَيۡنَا﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحۡضَرُونَ ٣٢﴾ للحساب، خبر ثان.

٣٣- ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ﴾ على البعث، خبر مقدم ﴿ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾ بالماء، مبتدأ ﴿وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا﴾ كالحنطة ﴿فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣﴾.

٣٤- ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤﴾ أي بعضها.

٣٥- ﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ بفتحتين وبضمتين، أي ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ أي لم تعمل الثمر ﴿أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥﴾ أنعمه تعالى عليهم.

٣٦- ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة.

٣٧- ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ﴾ على القدرة العظيمة ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ﴾ نفصل ﴿مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ داخلون في الظلام. ٣٨- ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي﴾ إلى آخره من جملة الآية لهم، أو آية أخرى، والقمر كذلك ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ أي إليه لا تتجاوزه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي جريها ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ بخلقه.

٣٩- ﴿وَٱلۡقَمَرَ﴾ بالرفع والنصب، وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده ﴿قَدَّرۡنَٰهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما، وليلة إن كان تسعة وعشرين يوما ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩﴾ أي كعود الشماريخ إذا عتق فإنه يرق ويتقوس ويصفر.

٤٠- ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي﴾ يسهل ويصح ﴿لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وَكُلّٞ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَكٖ﴾ مستدير ﴿يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ يسيرون نزلوا منزلة العقلاء.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

٤١- ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وفي قراءة «ذرياتهم» أي آباءهم الأصول ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ أي سفينة نوح ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ المملوء.

٤٢- ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي مثل فلك نوح، وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ فيه.

٤٣- ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾ مغيث ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ ينجون.

٤٤- ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم.

٤٥- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيرهم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أعرضوا.

٤٦- ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

٤٧- ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي قال فقراء الصحابة ﴿لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾ علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ استهزاء بهم ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ في معتقدكم هذا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيِّن وللتصريح بكفرهم موقع عظيم.

٤٨- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه.

٤٩- قال تعالى ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي نفخة إسرافيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ بالتشديد: أصله يختصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد. أي وهم في غفلة عنها بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك، وفي قراءة «يَخْصِمُونَ» كيضربون أي يخصم بعضهم بعضا.

٥٠- ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي أن يوصوا ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها.

٥١- ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ هو القرن، النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي المقبورون ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ يخرجون بسرعة.

٥٢- ﴿قَالُوا۟﴾ أي الكفار منهم ﴿يَٰ﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا. وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿هَٰذَا﴾ أي البعث ﴿مَا﴾ أي الذي ﴿وَعَدَ﴾ به ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أقرّوا حين لا ينفعهم الإقرار، وقيل يقال لهم ذلك.

٥٣- ﴿إِن﴾ ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا﴾ عندنا ﴿مُحْضَرُونَ﴾.

٥٤- ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ
أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ
أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

٥٥- ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ بسكون الغين وضمها. عما فيه أهل النار مما يتلذذون به كافتضاض الأبكار، لا شغل يتعبون فيه، لأن الجنة لا نصب فيها ﴿فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ناعمون خبر ثان لـ«إن» والأول «في شغل».

٥٦- ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾ جمع ظلة أو ظل خبر أي لا تصيبهم الشمس ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة وهو السرير في الحجلة أو الفرش فيها ﴿مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ خبر ثان متعلق «على».

٥٧- ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم﴾ فيها ﴿مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يتمنون.

٥٨- ﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ ﴿قَوْلًا﴾ أي بالقول خبره ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ بهم أي يقول لهم سلام عليكم:

٥٩- ﴿وَ﴾ يقول ﴿ٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أي انفردوا عن المؤمنين، عند اختلاطهم بهم.

٦٠- ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ آمركم ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ على لسان رسلي ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ لا تطيعوه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ بيِّن العداوة.

٦١- ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ وحِّدوني وأطيعوني ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

٦٢- ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾ خلقا جمع جبيل كقديم. وفي قراءة بضم الباء ﴿كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ عداوته وإضلاله، أو ما حل بهم من العذاب فتؤمنوا. ويقال لهم في الآخرة:

٦٣- ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ بها.

٦٤- ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

٦٥- ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي الكفار لقولهم «والله ربنا ما كنا مشركين» ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ وغيرها ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه.

٦٦- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ لأعميناها طمسا ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟﴾ ابتدروا ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنَّىٰ﴾ فكيف ﴿يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ حينئذ أي لا يبصرون.

٦٧- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ قردة وخنازير أو حجارة ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ وفي قراءة «مكاناتهم» جمع مكانة بمعنى مكان أي في منازلهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ أي لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء.

٦٨- ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ بإطالة أجله ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ وفي قراءة بالتشديد من التنكيس ﴿فِى ٱلْخَلْقِ﴾ أي خلقه فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفا وهرما ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون وفي قراءة بالتاء.

٦٩- ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي النبي ﴿ٱلشِّعْرَ﴾ ردّ لقولهم: إن ما أتى به من القرآن شعر ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾ يسهل ﴿لَهُۥٓ﴾ الشعر ﴿إِنْ هُوَ﴾ ليس الذي أتى به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ مظهر للأحكام وغيرها. ٧٠- ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء والتاء به ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ وهم كالميتين لا يعقلون ما يُخاطبون به.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا
خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

٧١- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ يعلموا. والاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعطف ﴿ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم ﴾ في جملة الناس ﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ أي عملناه بلا شريك ولا معين ﴿ أَنْعَامًا ﴾ هي الإبل والبقر والغنم ﴿ فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) ﴾ ضابطون. ٧٢- ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا ﴾ سخرناها ﴿ لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ ﴾ مركوبهم ﴿ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) ﴾.

٧٣- ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿ وَمَشَارِبُ ﴾ من لبنها جمع مشرب بمعنى شرب أو موضعه ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) ﴾ المنعم عليهم بها فيؤمنوا أي ما فعلوا ذلك.

٧٤- ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ آلِهَةً ﴾ أصناما يعبدونها ﴿ لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) ﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم.

٧٥- ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أي آلهتهم نزلوا منزلة العقلاء ﴿ نَصْرَهُمْ وَهُمْ ﴾ آلهتهم من الأصنام ﴿ لَهُمْ جُندٌ ﴾ بزعمهم نصرهم ﴿ مُّحْضَرُونَ (٧٥) ﴾ في النار معهم.

٧٦- ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ لك لست مرسلاً وغير ذلك ﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦) ﴾ من ذلك وغيره فنجازيهم عليه.

٧٧- ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ ﴾ يعلم، وهو العاصي بن وائل ﴿ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ منيّ إلى أن صيّرناه شديدا قويا ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ ﴾ شديد الخصومة لنا ﴿ مُّبِينٌ (٧٧) ﴾ بيّنها في نفي البعث.

٧٨- ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا ﴾ في ذلك ﴿ وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ من المنيّ، وهو أغرب من مثله ﴿ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) ﴾ أي بالية ولم يقل رميمة بالتاء لأنه اسم لا صفة. وروي أنه أخذ عظما رميما ففتته وقال للنبي ﷺ: أترى يُحْيِي الله هذا بعد ما بلي ورمّ؟ فقال ﷺ: نعم ويدخلك النار.

٧٩- ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ ﴾ مخلوق ﴿ عَلِيمٌ (٧٩) ﴾ مجملاً ومفصلاً قبل خلقه وبعد خلقه. ٨٠- ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم ﴾ في جملة الناس ﴿ مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ﴾ المرخ والعفار أو كل شجر إلا العناب ﴿ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) ﴾ تقدحون، وهذا دال على القدرة على البعث، فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفىء النار ولا النار تحرق الخشب.

٨١- ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ مع عظمهما ﴿ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ أي الأناسيّ في الصغر؟ ﴿ بَلَىٰ ﴾ أي هو قادر على ذلك أجاب نفسه ﴿ وَهُوَ الْخَلَّاقُ ﴾ الكثير الخلق ﴿ الْعَلِيمُ (٨١) ﴾ بكل شيء.

٨٢- ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ ﴾ شأنه ﴿ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا ﴾ أي خلق شيء ﴿ أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) ﴾ أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفا على «يقول».

٨٣- ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ ﴾ مُلْك: زيدت الواو والتاء للمبالغة: أي القدرة على ﴿ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾ تُردّون في الآخرة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا (١) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا (٢) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا (٣)
إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ (٤) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ
ٱلۡمَشَٰرِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ (٦) وَحِفۡظٗا
مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٖ (٨) دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنۡ خَطِفَ
ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ (١٠) فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا
أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ (١١) بَلۡ عَجِبۡتَ
وَيَسۡخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ
(١٤) وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ (١٥) أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ (١٦) أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ (١٧) قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ
(١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ (١٩) وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا
يَوۡمُ ٱلدِّينِ (٢٠) هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢١)
۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ
ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ (٢٤)

سورة الصافات

[مكية وآياتها ١٨٢ نزلت بعد سورة الأنعام]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا (١)﴾ الملائكة تصف نفوسها في العبادة أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تؤمر به. ٢- ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا (٢)﴾ الملائكة تزجر السحاب: أي تسوقه. ٣- ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ أي قرّاء القرآن يتلونه ﴿ذِكۡرًا (٣)﴾ مصدر من معنى التاليات. ٤- ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿لَوَٰحِدٞ (٤)﴾. ٥- ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ (٥)﴾ أي والمغارب للشمس: لها كل يوم مشرق ومغرب. ٦- ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ (٦)﴾ أي بضوئها أو بها، والإضافة للبيان. كقراءة تنوين «زينة» المبينة بالكواكب. ٧- ﴿وَحِفۡظٗا﴾ منصوب بفعل مقدّر: أي حفظناها بالشهب ﴿مِّن كُلِّ﴾ متعلق بالمقدّر ﴿شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ (٧)﴾ عات، خارج عن الطاعة. ٨- ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ أي الشياطين مستأنفٌ، وسماعهم هو في المعنى المحفوظ عنه ﴿إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ الملائكة في السماء، وعدى السماع بـ«إلى» لتضمنه معنى الإصغاء. وفي قراءة بتشديد الميم والسين: أصله يتسمعون، أدغمت التاء في السين ﴿وَيُقۡذَفُونَ﴾ أي الشياطين بالشهب ﴿مِن كُلِّ جَانِبٖ (٨)﴾ من آفاق السماء. ٩- ﴿دُحُورٗا﴾ مصدر دحره: أي طرده وأبعده، وهو مفعول له ﴿وَلَهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٞ وَاصِبٌ (٩)﴾ دائم. ١٠- ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ﴾ مصدر: أي المرّة والاستثناء من ضمير «يسمعون» أي لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ﴾ كوكب مضيء ﴿ثَاقِبٞ (١٠)﴾ يثقبه أو يحرقه أو يخبله. ١١- ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ استخبر كفار مكة. تقريرا أو توبيخا ﴿أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآ﴾ من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما؟ وفي الإتيان بـ«من» تغليب العقلاء ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم﴾ أي أصلهم آدم ﴿مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ (١١)﴾ لازم يلصق باليد. المعنى: أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بإنكار النبي والقرآن المؤدّي إلى هلاكهم اليسير. ١٢- ﴿بَلۡ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر، وهو الإخبار بحاله وحالهم ﴿عَجِبۡتَ﴾ بفتح التاء خطابا للنبي ﷺ: أي من تكذيبهم إياك ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسۡخَرُونَ (١٢)﴾ من تعجبك. ١٣- ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وُعظوا بالقرآن ﴿لَا يَذۡكُرُونَ (١٣)﴾ لا يتعظون. ١٤- ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ﴾ كانشقاق القمر ﴿يَسۡتَسۡخِرُونَ (١٤)﴾ يستهزئون بها. ١٥- ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ فيها ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ (١٥)﴾ بيّن. وقالوا منكرين للبعث: ١٦- ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ (١٦)﴾ في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين. ١٧- ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ (١٧)﴾ بسكون الواو عطفا بـ«أو» وبفتحها، والهمزة للاستفهام، والعطف بالواو والمعطوف عليه محل «إنّ» واسمها، أو الضمير في «لمبعوثون» والفاصل همزة الاستفهام. ١٨- ﴿قُلۡ نَعَمۡ﴾ تبعثون ﴿وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ (١٨)﴾ صاغرون. ١٩- ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ ضمير مبهم يفسره ﴿زَجۡرَةٞ﴾ صيحة ﴿وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ﴾ الخلائق أحياء ﴿يَنظُرُونَ (١٩)﴾ ما يفعل بهم. ٢٠- ﴿وَقَالُواْ﴾ أي الكفار ﴿يَٰ﴾ للتنبيه ﴿وَيۡلَنَا﴾ هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه وتقول لهم الملائكة ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ (٢٠)﴾ أي الحساب والجزاء. ٢١- ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ بين الخلائق ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢١)﴾ ويقال للملائكة.

٢٢- ﴿۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أنفسهم بالشرك ﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ قرناءهم من الشياطين ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ (٢٢)﴾.

٢٣- ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره من الأوثان ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ﴾ دلّوهم وسوقوهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ (٢٣)﴾ طريق النار.

٢٤- ﴿وَقِفُوهُمۡ﴾ احبسوهم عند الصراط ﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ (٢٤)﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم، ويقال لهم توبيخا:

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١)

٢٥- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥)﴾ لا ينصر بعضكم بعضا كحالكم في الدنيا، ويقال لهم: ٢٦- ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)﴾ منقادون أذلاء. ٢٧- ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧)﴾ يتلاومون ويتخاصمون. ٢٨- ﴿قَالُوا﴾ أي الأتباع منهم للمتبوعين ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨)﴾ عن الجهة التي كنا نأمنكم منها لحلفكم أنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم المعنى: إنكم أضللتمونا. ٢٩- ﴿قَالُوا﴾ أي المتبعون لهم ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩)﴾ وإنما يصدق الإضلال منا أن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الإيمان إلينا. ٣٠- ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة تقهرهم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠)﴾ ضالين مثلنا. ٣١- ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعا ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ بالعذاب: أي قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِنَّا﴾ جميعا ﴿لَذَائِقُونَ (٣١)﴾ العذاب بذلك القول، ونشأ عنه قولهم. ٣٢- ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ المعلل بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢)﴾. ٣٣- قال تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣)﴾ أي لاشتراكهم في الغواية. ٣٤- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما نفعل بهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤)﴾ غير هؤلاء: أي نعذبهم، التابع منهم والمتبوع. ٣٥- ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي هؤلاء، بقرينة ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)﴾. ٣٦- ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا﴾ في همزتيه ما تقدم ﴿لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦)﴾ أي لأجل قول محمد ﷺ؟. ٣٧- قال تعالى ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧)﴾ الجائين به وهو أن لا إله إلا الله. ٣٨- ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨)﴾. ٣٩- ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)﴾. ٤٠- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾ أي المؤمنين استثناء منقطع، ذكر جزاؤهم في قوله: ٤١- ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾ في الجنة ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١)﴾ بكرة وعشيا. ٤٢- ﴿فَوَاكِهُ﴾ بدل أو بيان للرزق: وهو ما يؤكل تلذذا لا لحفظ صحة، لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢)﴾ بثواب الله سبحانه وتعالى. ٤٣- ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣)﴾. ٤٤- ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٤)﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض. ٤٥- ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ على كل منهم ﴿بِكَأْسٍ﴾ هو الإناء بشرابه ﴿مِّن مَّعِينٍ (٤٥)﴾ من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء. ٤٦- ﴿بَيْضَاءَ﴾ أشد بياضا من اللبن ﴿لَذَّةٍ﴾ لذيذة ﴿لِّلشَّارِبِينَ (٤٦)﴾ بخلاف خمرة الدنيا فإنها كريهة عند الشرب. ٤٧- ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ما يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧)﴾ بفتح الزاي وكسرها، من نزف الشارب وأنزف: أي يسكرون بخلاف خمر الدنيا. ٤٨- ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ حابسات الأعين على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لحسنهم عندهن ﴿عِينٌ (٤٨)﴾ ضخام الأعين حسانها. ٤٩- ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿بَيْضٌ﴾ للنعام ﴿مَّكْنُونٌ (٤٩)﴾ مستور بريشه لا يصل إليه غبار، ولونه وهو البياض في صفرة أحسن ألوان النساء. ٥٠- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠)﴾ عما مر بهم في الدنيا. ٥١- ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١)﴾ صاحب ينكر البعث.

(سورة الصافات)

■ أسباب نزول الآية ٦٤- أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قال أبو جهل: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر، وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد، فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجرة ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ الآية، وأخرج نحوه عن السدي.

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

٥٢- ﴿يَقُولُ﴾ لي تبكيتا ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث. ٥٣- ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم ﴿لَمَدِينُونَ﴾ مجزيُّون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضا. ٥٤- ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا. ٥٥- ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ ذلك القائل من بعض كوى الجنة ﴿فَرَءَاهُ﴾ أي رأى قرينه ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي في وسط النار. ٥٦- ﴿قَالَ﴾ له تشميتا ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كِدتَّ﴾ قاربْت ﴿لَتُرْدِينِ﴾ لتهلكني بإغوائك. ٥٧- ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ عليَّ بالإيمان ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ معك في النار ويقول أهل الجنة:
٥٨- ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾. ٥٩- ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ هو استفهام تلذذ وتحدّث بنعمة الله تعالى من تأبيد الحياة وعدم التعذيب. ٦٠- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذكرت لأهل الجنة ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. ٦١- ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ قيل يقال لهم ذلك، وقيل هم يقولونه.
٦٢- ﴿أَذَٰلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ وهو ما يعدّ للنازل من ضيف وغيره ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ المعدّة لأهل النار، وهي من أخبث الشجر المرّ بتهامة ينبتها الله في الجحيم كما سيأتي. ٦٣- ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ أي الكافرين من أهل مكة إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبته؟. ٦٤- ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.
٦٥- ﴿طَلْعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي الحيات القبيحة المنظر.
٦٦- ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي الكفار ﴿لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾ مع قبحها لشدّة جوعهم ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ .
٦٧- ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي ماء حارّ يشربونه فيختلط بالمأكول منها فيصير شوبا له.
٦٨- ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم وأنه خارجها.
٦٩- ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟﴾ وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾. ٧٠- ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ يزعجون إلى اتباعهم فيسرعون إليه. ٧١- ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الماضية. ٧٢- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ من الرسل مخوّفين.
٧٣- ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الكافرين: أي عاقبتهم العذاب. ٧٤- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أو لأنّ الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام.
٧٥- ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ بقوله: رب «أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ» ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ له نحن: أي دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق.
٧٦- ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي الغرق.

■ أسباب نزول الآية ١٥٨- وأخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية في ثلاثة أحياء من قريش: سليم، وخزاعة، وجهينة، ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ الآية، وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد قال: قال كبار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم؟ قالوا: بنات سراة الجن، فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ الآية.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ
يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

٤٤٩

٧٧- ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ فالناس كلهم من نسله عليه السلام وكان له ثلاثة أولاد: سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك. ٧٨- ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ﴾ ثناء حسنا ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة.

٧٩- ﴿سَلَـٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾. ٨٠- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ٨١- ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. ٨٢- ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ كفار قومه. ٨٣- ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي ممن تابعه في أصل الدين ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة، وكان بينهما هود وصالح. ٨٤- ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ أي تابعه وقت مجيئه ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشكّ وغيره. ٨٥- ﴿إِذْ قَالَ﴾ في هذه الحالة المستمرّة له ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ موبّخا ﴿مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَعْبُدُونَ﴾. ٨٦- في همزتيه ما تقدّم ﴿أَئِفْكًا﴾ في همزتيه ما تقدم ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ و «إفكا» مفعول له، و «آلهة»: مفعول به لتريدون والإفك: أسوأ الكذب: أي أتعبدون غير الله؟. ٨٧- ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ إذ عبدتم غيره أنه يترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نجامين فخرجوا إلى عيد لهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم، زعموا التبرك عليه، فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا لسيدنا إبراهيم: اخرج معنا. ٨٨- ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ إيهاما لهم أنه يعتمد عليها ليعتمدوه.

٨٩- ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ عليل: أي سأسقم. ٩٠- ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ إلى عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ﴾. ٩١- ﴿فَرَاغَ﴾ مال في خفية ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ وهي الأصنام وعندها الطعام. ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ؟ فلم ينطقوا. ٩٢- فقال ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ ؟ فلم تجب. ٩٣- ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ بالقوّة فكسرها، فبلغ قومه ممن رآه. ٩٤- ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ أي يسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها؟. ٩٥- ﴿قَالَ﴾ لهم موبّخا ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ من الحجارة وغيرها أصناما؟. ٩٦- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ من نحتكم ومنحوتكم، فاعبدوه وحده، و «ما» مصدرية، وقيل موصولة، وقيل موصوفة.

٩٧- ﴿قَالُوا۟﴾ بينهم ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا﴾ فاملؤوه حطبا وأضرموه بالنار فإذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ النار الشديدة.

٩٨- ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار لتهلكه ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ المقهورين فخرج من النار سالما.

٩٩- ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ مهاجر إليه من دار الكفر ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه وهو الشام، فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال:

١٠٠- ﴿رَبِّ هَبْ لِى﴾ ولدًا ﴿مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾

١٠١- ﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ﴾ أي ذي حلم كثير.

١٠٢- ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي أن يسعى معه ويعينه. قيل: بلغ سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة ﴿قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ أي رأيت ﴿فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء حق وأفعالهم بأمر الله تعالى ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرأي: شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به ﴿قَالَ يَـٰٓأَبَتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ على ذلك.

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ (١٠٣) وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدۡ
صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ (١٠٧) وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي
ٱلۡأٓخِرِينَ (١٠٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ
(١١٠) إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ (١١٢) وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ (١١٣) وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ (١١٤) وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ
(١١٥) وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ (١١٦) وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلۡمُسۡتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكۡنَا
عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ (١١٩) سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
(١٢٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنۡ
عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٢٢) وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (١٢٣)
إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ
ٱلۡخَٰلِقِينَ (١٢٥) ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ (١٢٦)

١٠٣- ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ خضعا وانقادا لأمر الله تعالى ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ صرعه عليه، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة، وكان ذلك بمنى، وأمرّ السكين على حلقه فلم تعمل شيئا بمانع من القدرة الإلهية. ١٠٤- ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾.

١٠٥- ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح: أي يكفيك ذلك، فجملة «ناديناه» جواب «لمّا» بزيادة الواو ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناك ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ لأنفسهم بامتثال الأمر بإفراج الشدّة عنهم.

١٠٦- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذبح المأمور به ﴿لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي الاختبار الظاهر. ١٠٧- ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ﴾ أي المأمور بذبحه وهو إسماعيل، أو إسحاق: قولان ﴿بِذِبۡحٍ﴾ بكبش ﴿عَظِيمٖ﴾ من الجنة: وهو الذي قرّبه هابيل، جاء جبريل عليه السلام فذبحه السيد إبراهيم مكبّرا.

١٠٨- ﴿وَتَرَكۡنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ ثناء حسنا.

١٠٩- ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾. ١١٠- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ لأنفسهم. ١١١- ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. ١١٢- ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ﴾ استدلّ بذلك على أن الذبيح غيره ﴿نَبِيّٗا﴾ حال مقدّرة: أي يوجد مقدّرا نبوّته ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

١١٣- ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ﴾ بتكثير ذرّيته ﴿وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ﴾ ولده بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ﴾ مؤمن ﴿وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ كافر ﴿مُبِينٞ﴾ بين الكفر. ١١٤- ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ بالنبوّة.

١١٥- ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي استعباد فرعون إياهم.

١١٦- ﴿وَنَصَرۡنَٰهُمۡ﴾ على القبط ﴿فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾. ١١٧- ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ﴾ البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها وهو التوراة. ١١٨- ﴿وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

١١٩- ﴿وَتَرَكۡنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ ثناء حسنا.

١٢٠- ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

١٢١- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهما ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾. ١٢٢- ﴿إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

١٢٣- ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ﴾ بالهمزة أوّله وتركه ﴿لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ قيل هو ابن أخي هرون أخي موسى وقيل غيره، أرسل إلى قوم ببعلبك ونواحيها. ١٢٤- ﴿إِذۡ﴾ منصوب بـ «اذكر» مقدّر ﴿قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله. ١٢٥- ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضا مضافا إلى «بَكّ» أي أتعبدونه ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تتركون ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ فلا تعبدونه؟ ١٢٦- ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ برفع الثلاثة على إضمار «هو» وبنصبها على البدل من «أحسن».

■ أسباب نزول الآية ١٦٥ - وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي مالك قال: كان الناس يصلون متبددين، فأنزل الله ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ الآية، فأمرهم أن يصفوا وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حدثت فذكر نحوه.

■ أسباب نزول الآية ١٧٦ - وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: قالوا: يا محمد، أرنا العذاب تخوّفنا به عجلة لنا، فنزلت ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ الآية، صحيح على شرط الشيخين.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا
لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ
وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

١٢٧- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في النار.
١٢٨- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها. ١٢٩- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسنا.
١٣٠- ﴿سَلَامٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ هو إلياس المتقدّم ذكره. وقيل: هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليبا، كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وعلى قراءة ﴿آلِ يَاسِينَ﴾ بالمدّ أي أهله: المراد به إلياس أيضا. ١٣١- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.
١٣٢- ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. ١٣٣- ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ١٣٤- اذكر ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾
١٣٥- ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي الباقين في العذاب.
١٣٦- ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿الْآخَرِينَ﴾ كفار قومه.
١٣٧- ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ أي وقت الصباح يعني بالنهار.
١٣٨- ﴿وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يا أهل مكة ما حلّ بهم فتعتبرون به. ١٣٩- ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ١٤٠- ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ هرب ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ السفينة المملوءة حين غاضبَ قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به، فركب السفينة فوقفت في لجة البحر فقال الملاحون: هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة.
١٤١- ﴿فَسَاهَمَ﴾ قارع أهل السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ المغلوبين بالقرعة، فألقوه في البحر.
١٤٢- ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي آت بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه. ١٤٣- ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ الذاكرين بقوله كثيرا في بطن الحوت ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. ١٤٤- ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ لصار بطن الحوت قبرا له إلى يوم القيامة. ١٤٥- ﴿۞ فَنَبَذْنَاهُ﴾ أي ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ بوجه الأرض: أي بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوما ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ عليل كالفرخ الممعط. ١٤٦- ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ وهي القرع تظله بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له، وكانت تأتيه وعلة صباحا ومساء يشرب من لبنها حتى قوي.
١٤٧- ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ بعد ذلك كقبله إلى قوم بنينوى من أرض الموصل ﴿إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾ بل ﴿يَزِيدُونَ﴾ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفا.
١٤٨- ﴿فَآمَنُوا﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أي أبقيناهم ممتعين بمالهم ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ تنقضي آجالهم فيه.
١٤٩- ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ استخبر كفار مكة توبيخا لهم ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ﴾ بزعمهم أن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ فيختصون بالأسنى.
١٥٠- ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ خلقنا فيقولون ذلك؟.
١٥١- ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ﴾. ١٥٢- ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيه. ١٥٣- ﴿أَصْطَفَى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغنى بها عن همزة الوصل فحذفت أي اختار ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا
لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ ص

١٥٤- ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد.

١٥٥- ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الذال أنه سبحانه وتعالى منزه عن الولد. ١٥٦- ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ حجة واضحة أن لله ولداً. ١٥٧- ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ التوراة فأروني ذلك فيه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم ذلك.

١٥٨- ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي المشركون ﴿بَيْنَهُ﴾ تعالى ﴿وَبَيْنَ الْجِنَّةِ﴾ أي الملائكة لاجتنانهم عن الأبصار ﴿نَسَبًا﴾ بقولهم إنها بنات الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي قائلي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ للنار يعذبون فيها.

١٥٩- ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن لله ولدا. ١٦٠- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي المؤمنين استثناء منقطع: أي فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء.

١٦١- ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام. ١٦٢- ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على معبودكم، و «عليه» متعلق بقوله ﴿بِفَاتِنِينَ﴾ أي أحدا. ١٦٣- ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ في علم الله تعالى. ١٦٤- قال جبريل للنبي ﷺ ﴿وَمَا مِنَّا﴾ معشر الملائكة أحدٌ ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ في السموات يعبد الله فيه لا يتجاوزه. ١٦٥- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ أقدامنا في الصلاة.

١٦٦- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ المنزهون الله عما لا يليق به. ١٦٧- ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَانُوا﴾ أي كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾. ١٦٨- ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ كتابا ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي من كتب الأمم الماضية.

١٦٩- ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ العبادة له. ١٧٠- قال تعالى ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ أي بالكتاب الذي جاءهم وهو القرآن، الأشرف من تلك الكتب، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم. ١٧١- ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ وهي ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾. ١٧٢- أو هي قوله ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾.

١٧٣- ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا﴾ أي المؤمنين ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ الكفار بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة.

١٧٤- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تؤمر فيه بقتالهم.

١٧٥- ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

١٧٦- فقالوا استهزاء: متى نزول هذا العذاب؟ قال تعالى تهديدا لهم ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

١٧٧- ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم، قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ﴿فَسَاءَ﴾ بئس صباحًا ﴿صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر. ١٧٨- ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

١٧٩- ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ كرّر تأكيدا لتهديدهم وتسلية له ﷺ.

١٨٠- ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ لأن له ولدًا.

١٨١- ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ المبلّغين عن الله التوحيد والشرائع.

١٨٢- ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
صٓۚ وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا اخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ
عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ
﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم
مُّلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾
جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ أُولَٰٓئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

٤٥٣

سورة ص

[مكية وآياتها ٨٦ أو ٨٨ آية نزلت بعد سورة القمر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿صٓ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي البيان أو الشرف، وجواب هذا القسم محذوف: أي ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدّد الآلهة. ٢- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ حمية وتكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾ خلاف وعداوة للنبي ﷺ.

٣- ﴿كَمْ﴾ أي كثيرً ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أي أمّة من الأمم الماضية ﴿فَنَادَوا﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي ليس الحين حين فرار، والتاء زائدة، والجملة حال من فاعل «نادوا» أي استغاثوا والحال أن لا مهرب ولا منجى، وما اعتبر بهم كفار مكة. ٤- ﴿وَعَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوّفهم النار بعد البعث وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ الْكَٰفِرُونَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾. ٥- ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ حيث قال لهم: قولوا لا إله إلا الله: أي كيف يسع الخلق كلهم إله واحد ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ أي عجيب. ٦- ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ قولوا لا إله إلا الله ﴿أَنِ امْشُوا﴾ أي يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ منا. ٧- ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ أي ملة عيسى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا اخْتِلَٰقٌ﴾ كذب. ٨- ﴿أَءُنزِلَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿الذِّكْرُ﴾ أي القرآن ﴿مِن بَيْنِنَا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؟ أي لم ينزل عليه. قال تعالى ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ وحيي: أي القرآن، حيث كذبوا الجائي به ﴿بَل لَّمَّا﴾ لم ﴿يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ ولو ذاقوه لصدّقوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ. ٩- ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْوَهَّابِ﴾ من النبوّة وغيرها فيعطونها من شاؤوا. ١٠- ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن زعموا ذلك ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَٰبِ﴾ الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به مَن شاءوا. و أم في الموضعين بمعنى همزة الإنكار. ١١- ﴿جُندٌ مَّا﴾ أي هم جند حقير ﴿هُنَالِكَ﴾ أي في تكذيبهم لك ﴿مَهْزُومٌ﴾ صفة لجند ﴿مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ صفة «جند» أيضا: أي كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأولئك قد قهروا وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء. ١٢- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ كان يَتِدُ لكلّ من يغضب عليه أربعة أوتاد يشدّ إليها يديه ورجليه ويعذبه. ١٣- ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ أي الغيضة وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿أُولَٰٓئِكَ الْأَحْزَابُ﴾. ١٤- ﴿إِن﴾ ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم، لأنّ دعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابِ﴾. ١٥- ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾ ينتظر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي كفار مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي نفخة القيامة تحلّ بهم العذاب ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ بفتح الفاء وضمها: رجوع. ١٦- ﴿وَقَالُوا﴾ لما نزل «فأما من أوتي كتابه بيمينه» الخ ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ
مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا
الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ
خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً
وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
مَا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ
﴿٢٥﴾ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

١٧- قال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾ أي القوّة في العبادة: كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴿١٧﴾﴾ رجّاع إلى مرضاة الله. ١٨- ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴿١٨﴾﴾ وقت الضحى: وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها.

١٩- ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿الطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كُلٌّ﴾ من الجبال والطير ﴿لَهُ أَوَّابٌ﴿١٩﴾﴾ رجّاع إلى طاعته بالتسبيح. ٢٠- ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قوّيناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ النبوّة والإصابة في الأمور ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴿٢٠﴾﴾ البيان الشافي في كل قصد. ٢١- ﴿۞ وَهَلْ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أَتَاكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴿٢١﴾﴾ محراب داود: أي مسجده، حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة: أي خبرهم وقصتهم. ٢٢- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ نحن ﴿خَصْمَانِ﴾ قيل فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع. وقيل اثنان، والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر وهما ملكان جاءا في صورة خصمين وقع لهما ما ذكر على سبيل الفرض لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها[1] وتزوّجها ودخل بها ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ تجرْ ﴿وَاهْدِنَا﴾ أرشدنا ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴿٢٢﴾﴾ وسط الطريق الصواب. ٢٣- ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي﴾ أي على ديني ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ يعبر بها عن المرأة ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي اجعلني كافلها ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبني ﴿فِي الْخِطَابِ﴿٢٣﴾﴾ أي الجدال وأقرّه الآخر على ذلك. ٢٤- ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ ليضمّها ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ﴾ الشركاء ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ «ما» لتأكيد القلة، فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه، فتنبه داود. قال تعالى ﴿وَظَنَّ﴾ أي أيقن ﴿دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أوقعناه في فتنة: أي بلية بمحبته تلك المرأة ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي ساجدا ﴿وَأَنَابَ ۩﴿٢٤﴾﴾. ٢٥- ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴿٢٥﴾﴾ مرجع في الآخرة. ٢٦- ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تدبر أمر الناس ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا﴾ بنسيانهم ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴿٢٦﴾﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

(سورة ص)

■ أسباب نزول الآية ٥- أخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاءه النبي ﷺ فشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: أريد منهم كلمة

(١) قلت: هذا الباطل لا يليق أبدًا بداود عليه السلام وانظر الكلام على ذلك في «الإسرائيليات والموضوعات» (٢٦٤) وما بعدها.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

٢٧- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾. أي عبثا ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي خلق ما ذكر لا لشيء، ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فَوَيْلٌ﴾ وادٍ ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴿٢٧﴾﴾. ٢٨- ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴿٢٨﴾﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نعطى في الآخرة مثل ما تعطون. و «أم» بمعنى همزة الإنكار. ٢٩- ﴿كِتَابٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف: أي هذا ﴿أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا﴾ أصله يتدبروا أدغمت التاء في الدال ﴿آيَاتِهِ﴾ ينظروا في معانيها فيؤمنوا ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ يتعظ ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴿٢٩﴾﴾ أصحاب العقول.

٣٠- ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ أي سليمان ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴿٣٠﴾﴾ رجّاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات.

٣١- ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ الخيل: جمع صافنة، وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر، وهو من صفن يصفن صفونا ﴿الْجِيَادُ﴿٣١﴾﴾ جمع جواد وهو السابق: المعنى أنها إذا استوقفت سكنت، وإن ركضت سبقت، وكانت ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر لإرادته الجهاد عليها لعدوّ، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتمّ.

٣٢- ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾ أي أردت ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أي الخيل ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ أي الشمس ﴿بِالْحِجَابِ﴿٣٢﴾﴾ أي استترت بما يحجبها عن الأبصار.

٣٣- ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي الخيل المعروضة فردّوها ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ بالسيف ﴿بِالسُّوقِ﴾ جمع ساق ﴿وَالْأَعْنَاقِ﴿٣٣﴾﴾ أي ذبحها وقطع أرجلها تقرّبا إلى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدّق بلحمها فعوّضه الله تعالى خيرا منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف شاء[1]. ٣٤- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ابتليناه بسلب ملكه وذلك لتزوّجه بامرأة هواها وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه فنزعه عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته فجاءها جنّيّ في صورة سليمان فأخذه منها ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ هو ذلك الجني وهو صخر أو غيره: جلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان في غير هيئته فرآه على كرسيه وقال للناس: أنا سليمان فأنكروه ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴿٣٤﴾﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه. ٣٥- ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي﴾ لا يكون ﴿لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾ أي سواي، نحو «فمن يهديه من بعد الله» أي سوى الله ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴿٣٥﴾﴾. ٣٦- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ لينة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴿٣٦﴾﴾ أراد. ٣٧- ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ﴾ يبني الأبنية العجيبة ﴿وَغَوَّاصٍ﴿٣٧﴾﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ. ٣٨- ﴿وَآخَرِينَ﴾ منهم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ مشدودين ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴿٣٨﴾﴾ القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم. ٣٩- وقلنا له ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾ أعط منه من شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن الإعطاء ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴿٣٩﴾﴾ أي لا حساب عليك في ذلك. ٤٠- ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴿٤٠﴾﴾ تقدم مثله. ٤١- ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي﴾ أي بأني ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ ضرّ ﴿وَعَذَابٍ﴿٤١﴾﴾ ألم، ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدّبا معه تعالى. ٤٢- وقيل له ﴿ارْكُضْ﴾ اضرب ﴿بِرِجْلِكَ﴾ الأرض، فضرب فنبعت عين ماء، فقيل ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌ﴾ ماء تغتسل به ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴿٤٢﴾﴾ تشرب منه، فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره.

---

(١) هذا الكلام أيضًا فيه نظر انظره في المصدر السابق.

وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ
﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ
نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى
ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ
إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ
وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ
﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾
۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ
ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَاۚ وَإِنَّ
لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾
قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

٤٣- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ أي أحيا الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم ﴿رَحۡمَةٗ﴾ نعمة ﴿مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ﴾ عظة ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ لأصحاب العقول. ٤٤- ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا﴾ هو حزمة من حشيش أو قضبان ﴿فَٱضۡرِب بِّهِۦ﴾ زوجتك، وكان قد حلف ليضربنّها مائة ضربة لإبطائها عليه يوما ﴿وَلَا تَحۡنَثۡ﴾ بترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾﴾ رجّاع إلى الله تعالى. ٤٥- ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ البصائر في الدين. وفي قراءة «عَبْدَنَا» وإبراهيم بيان له، وما بعده عطف على «عبدنا». ٤٦- ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ﴾ هي ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ الآخرة أي ذكرها والعمل لها. وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان. ٤٧- ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ﴾ المختارين ﴿ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ جمع «خيّر» بالتشديد. ٤٨- ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ﴾ هو نبيّ واللام زائدة ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِ﴾ اختلف في نبوّته. قيل: كفل مائة نبيّ فرّوا إليه من القتل ﴿وَكُلّٞ﴾ أي كلهم ﴿مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ جمع «خيّر» بالتثقيل. ٤٩- ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾﴾ مرجع في الآخرة. ٥٠- ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ بدل أو عطف بيان لـ«حسن مآب» ﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ منها. ٥١- ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾﴾. ٥٢- ﴿۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ حابسات العين على أزواجهنّ ﴿أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ أسنانهنّ واحدة: وهي بنات ثلاث وثلاثين سنة جمع ترب.

٥٣- ﴿هَٰذَا﴾ المذكور ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ بالغيبة وبالخطاب التفاتا ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾ أي لأجله.

٥٤- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ والجملة حال من «رزقنا» أو خبر ثان لـ«إنّ» أي دائما أو دائم.

٥٥- ﴿هَٰذَاۚ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ مستأنف ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾﴾.

٥٦- ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾﴾ الفراش.

٥٧- ﴿هَٰذَا﴾ أي العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ﴾ أي ماء حارّ محرق ﴿وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾﴾ بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار.

٥٨- ﴿وَءَاخَرُ﴾ بالجمع والإفراد ﴿مِن شَكۡلِهِۦٓ﴾ أي مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ أصناف. أي عذابهم من أنواع مختلفة.

٥٩- ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ﴾ جمع ﴿مُّقۡتَحِمٞ﴾ داخل ﴿مَّعَكُمۡ﴾ النار بشدّة فيقول المتبعون ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾ أي لا سعة عليهم ﴿إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾﴾.

٦٠- ﴿قَالُواْ﴾ أي الأتباع ﴿بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ﴾ أي الكفر ﴿لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾ لنا ولكم النار.

٦١- ﴿قَالُواْ﴾ أيضا ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا﴾ أي مثل عذابه على كفره ﴿فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾.

تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية، كلمة واحدة قال: ما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فقالوا: إلها واحدًا إن هذا لشيء عجاب فنزل فيهم ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ إلى قوله ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾﴾ الآية.

وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ
سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ
ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۢ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ
إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ
لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ
أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ
مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾

٤٥٧

٦٢- ﴿وَقَالُواْ﴾ أي كفار مكة وهم في النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾﴾

٦٣- ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ بضم السين وكسرها: أي كنا نسخر بهم في الدنيا والياء للنسب: أي أمفقــودون هم؟ ﴿أَمۡ زَاغَتۡ﴾ مالت ﴿عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾فلم نرهم؟ وهم فقراء المسلمين كعمار وبلال وصهيب وسلمان.

٦٤- ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ﴾ واجب وقوعه وهو ﴿تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾كما تقدّم.

٦٥- ﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﷺ لكفار مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞ﴾ مخوّف بالنار ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾ لخلقه.

٦٦- ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾لأوليائه.

٦٧- ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ .

٦٨- ﴿أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أي القرآن الذي أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحي وهو قوله:

٦٩- ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۢ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾ أي الملائكة ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ في شأن آدم حين قال الله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾. ٧٠- ﴿إِن﴾ ما ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠﴾ أي أني ﴿نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ بيِّن الإنذار. ٧١- اذكر ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾﴾ هو آدم.

٧٢- ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخۡتُ﴾ أجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصار حيا، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ سجود تحية بالانحناء.

٧٣- ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ فيه تأكيدان.

٧٤- ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ هو أبو الجنّ كان بين الملائكة ﴿ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ في علم الله تعالى.

٧٥- ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ أي توليت خلقه[1]، وهذا تشريف لآدم فإن كل مخلوق تولى الله خلقه ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ الآن على السجود استفهام توبيخ ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ المتكبّرين فتكبرت عن السجود لكونك منهم. ٧٦- ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾﴾ .

٧٧- ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي من الجنة، وقيل: من السموات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾﴾ مطرود.

٧٨- ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ الجزاء. ٧٩- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي الناس.

٨٠- ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾﴾. ٨١- ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾﴾وقت النفخة الأولى.

٨٢- ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

٨٣- ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ أي المؤمنين.

---

(١) هذا الكلام فيه نفي صفة اليد وانظر الكلام على ذلك في «مختصر الصواعق المرسلة» لابن القيم.

قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۢ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ
مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ
فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ
كَفَّارٞ ﴿٣﴾ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا
يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

٤٥٨

٨٤- ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ بنصبهما ورفع الأوّل ونصب الثاني، فنصبه بالفعل بعده، ونصب الأول قيل بالفعل المذكور، وقيل على المصدر: أي أحق الحق وقيل على نزع حرف القسم، ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر: أي فالحق مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم:

٨٥- ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ بذريّتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾ أي الناس ﴿أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

٨٦- ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مِنۡ أَجۡرٖ﴾ جعْل ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ المتقوّلين القرآن من تلقاء نفسي.

٨٧- ﴿إِنۡ هُوَ﴾ أي ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ عظة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ للإنس والجنّ العقلاء دون الملائكة.

٨٨- ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأَهُۥ﴾ خبر صدقه ﴿بَعۡدَ حِينِۢ ﴿٨٨﴾﴾ أي يوم القيامة، وعلم بمعنى عرف واللام قبلها لام قسم مقدّر: أي والله.

سورة الزمر

[مكية إلا الآيات ٥٢،٥٣،٥٤ فمدنية وآياتها ٧٥ نزلت بعد سورة سبأ]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ في صنعه.
٢- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بـ«أنزل» ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ من الشرك: أي موحدا له. ٣- ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ الأصنام ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ وهم كفار مكة، قالوا ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ قربى: مصدر بمعنى تقريبا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ وبين المسلمين ﴿فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٞ ﴿٣﴾﴾ بعبادته غير الله.
٤- ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا﴾ كما قالوا «اتخذ الرحمن ولدا» ﴿لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ واتخذه ولدا غير من قالوا: إنّ الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تنزيها له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ لخلقه. ٥- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق به ﴿يُكَوِّرُ﴾ يدخل ﴿ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾ لأوليائه.

(سورة الزمر)

■ **أسباب نزول الآية ٣**- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ الآية، أخرج جويبر عن ابن عباس في هذه الآية قال: أنزلت في ثلاثة أحياء، عامر، وكنانة، وبني سلمة، كانوا يعبدون الأوثان، ويقولون: الملائكة بناته، فقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾.

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

٦- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حوَّاء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الإبل والبقر، والغنم: الضأن والمعز ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ﴾ من كلّ زوجان ذكر وأنثى كما بيّن في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي نطفا ثم علقا ثم مضغا ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ﴾ هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره.

٧- ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ وإن أراده من بعضهم ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟﴾ الله فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ﴾ بسكون الهاء، وضمها مع إشباع ودونه: أي الشكر ﴿لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ ۗ﴾ أي لا تحمله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ بما في القلوب.

٨- ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي الكافر ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ﴾ تضرّع ﴿مُنِيبًا﴾ راجعا ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً﴾ أعطاه إنعاما ﴿مِّنْهُ نَسِىَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟﴾ يتضرّع ﴿إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ وهو الله، فـ«ما» في موضع «من» ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿لِّيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ بقية أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾.

٩- ﴿أَمَّنْ﴾ بتخفيف الميم ﴿هُوَ قَٰنِتٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ في الصلاة ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ﴾ جنة ﴿رَبِّهِۦ ۗ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره. وفي قراءة «أَمْ مَنْ» فـ«أم» بمعنى بل والهمزة ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ أي لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ أصحاب العقول.

١٠- ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ أي عذابه بأن تطيعوه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةٌ ۗ﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ﴾ فهاجروا إليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطاعة وما يبتلون به ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ بغير مكيال ولا ميزان.

▣ أسباب نزول الآية ٩- قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر في قوله تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ الآية، قال: نزلت في عثمان بن عفان وأخرج ابن سعد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت في عمار بن ياسر، وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: نزلت في ابن مسعود وعمار بن ياسر وسالم مولى أبي حذيفة وأخرج جويبر عن عكرمة قال: نزلت في عمار بن ياسر.

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ
قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

١١- ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ من الشرك.

١٢- ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ ﴾ أي بأن ﴿ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ من هذه الأمّة.

١٣- ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

١٤- ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ من الشرك.

١٥- ﴿ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ غيره، فيه تهديد لهم وإيذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ بتخليد الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور المعدّة لهم في الجنة لو آمنوا ﴿ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ البيِّن.

١٦- ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ طباق ﴿ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ من النار ﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ﴾ أي المؤمنين ليتقوه، يدل عليه ﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ .

١٧- ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ الأوثان ﴿ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ ﴾ أقبلوا ﴿ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ بالجنة ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾.

١٨- ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ وهو ما فيه صلاحهم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أصحاب العقول.

١٩- ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ الآية ﴿ أَفَأَنتَ تُنقِذُ ﴾ تخرج ﴿ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر، والهمزة للإنكار، والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار.

٢٠- ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ ﴾ بأن أطاعوه ﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أي من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ منصوب بفعله المقدّر ﴿ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ وعده.

٢١- ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تعلم ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ ﴾ أدخله أمكنة نبع ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾ ييبس ﴿ فَتَرَىٰهُ ﴾ بعد الخضرة مثلاً ﴿ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ﴾ فتاتا ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ ﴾ تذكيرا ﴿ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ يتذكرون به لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته.

■ أسباب نزول الآية ١٧- قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ الآية، أخرج جويبر بسنده عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ ﴾ الآية، أتى رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي سبعة مماليك وإني قد أعتقت لكل باب منها مملوكا، فنزلت فيه هذه الآية ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾، قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أن هذه الآية نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله، زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي.

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

٢٢- ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كمن طبع على قلبه؟ دل على هـذا ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي عن قبول القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ بيِّن.

٢٣- ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ بدل من أحسن: أي قرآنا ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ أي يشبه بعضه بعضا في النظم وغـيره ﴿مَّثَانِىَ﴾ ثُني فيه الوعد والوعيد وغيرهما ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يخافـون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئنّ ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ عند ذكر وعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الكتاب ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٤- ﴿أَفَمَن يَتَّقِى﴾ يلقى ﴿بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي أشدّه بأن يلقى في النار مغلولة يداه إلى عنقه كمن أمن منه بدخول الجنة؟ ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي كفار مكة ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي جزاءه.

٢٥- ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم في إتيان العذاب ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من جهة لا تخطر ببالهم.

٢٦- ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ الذلّ والهوان من المسخ والقتل وغيره ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟﴾ أي المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ عذابها ما كذبوا.

٢٧- ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يتعظون.

٢٨- ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي لبس واختلاف ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ الكفر.

٢٩- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ للمشرك والموحِّد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدل من «مثلا» ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ متنازعون سيئة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ خالصا ﴿لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾ تمييز: أي لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد فإنّ الأوّل إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك والثاني مثل للموحِّد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

٣٠- ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت: نزلت لما استبطؤوا موته ﷺ.

٣١- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ٣٢- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ﴾ الآية، تقدم سببها في سورة يوسف.

■ أسباب نزول الآية ٣٦- قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الآية، أخرج عبد الرزاق عن معمر: قال لي رجل: قالوا للنبي ﷺ لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فلتخبلنك، فنزلت ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٤٥- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن مجاهد أنها نزلت في قراءة النبي ﷺ النجم عند الكعبة وفرحهم عند ذكر الآلهة.

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ
إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ
أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ
ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

٣٢- ﴿۞ فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ بلى.

٣٣- ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هم المؤمنون، فـ «الذي» بمعنى الذين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الشرك.

٣٤- ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ لأنفسهم بإيمانهم.

٣٥- ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ «أسوأ» و «أحسن» بمعنى السيء والحسن.

٣٦- ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ أي النبي؟ بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخطاب له ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ أي الأصنام: أي تقتله أو تخبله ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾.

٣٧- ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب على أمره ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ من أعدائه؟ بلى.

٣٨- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾ لا. وفي قراءة بالإضافة فيهما ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يثق الواثقون.

٣٩- ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

٤٠- ﴿مَن﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ دائم هو عذاب النار، وقد أخزاهم الله ببدر.

■ أسباب نزول الآية ٥٣ - قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ الآية، تقدم حديث الشيخين في سورة الفرقان، وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية في مشركي أهل مكة، وأخرج الحاكم والطبراني عن ابن عمر قال: كنا نقول ما لمفتتن توبة إذا ترك دينه بعد إسلامه ومعرفته، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل فيهم ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ الآية، وأخرج الطبراني بسند فيه ضعف عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو زنى أو أشرك يلقى أثامًا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا، وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الآية، فقال وحشي هذا شرط شديد ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فقال وحشي هذا أرى بعده مشيئة فلا أدري أيغفر لي أم لا؟ فهل غير هذا؟ فأنزل الله ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ الآية، قال وحشي هذا نعم، فأسلم.

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ
فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي
لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ
وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ
قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ
إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

٤٦٣

٤١- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بـ«أنزل» ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦ﴾ اهتداؤه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴿٤١﴾﴾ فتجبرهم على الهدى.

٤٢- ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَ﴾ يتوفى ﴿ٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا﴾ أي يتوفاها وقت النوم ﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ أي وقت موتها والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ دلالات ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴿٤٢﴾﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك.

٤٣- ﴿أَمِ﴾ بل ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام آلهة ﴿شُفَعَآءَۚ﴾ عند الله بزعمهم ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿أ﴾ يشفعون ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعۡقِلُونَ﴿٤٣﴾﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا.

٤٤- ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ أي هو مختص بها فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴿٤٤﴾﴾.

٤٥- ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾ أي دون آلهتهم ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾ نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الأصنام ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴿٤٥﴾﴾.

٤٦- ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ بمعنى يا الله ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مبدعهما ﴿عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴿٤٦﴾﴾ من أمر الدين: اهدني لما اختلفوا فيه من الحق.

٤٧- ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴿٤٧﴾﴾ يظنون.

■ أسباب نزول الآية ٦٤- قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ﴾ الآية، سيأتي سبب نزولها في سورة الكافرون، وأخرج البيهقي في الدلائل عن الحسن البصري قال: قال المشركون للنبي ﷺ: أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد؟ فأنزل الله ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ﴾ إلى قوله ﴿مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ
وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟
وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن
رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

٤٨ - ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم﴾ نزل ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي العذاب.

٤٩ - ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾ أعطيناه ﴿نِعْمَةً﴾ إنعاما ﴿مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ من الله بأني له أهل ﴿بَلْ هِىَ﴾ أي القولة ﴿فِتْنَةٌ﴾ بلية يبتلى بها العبد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن التخويل استدراج وامتحان.

٥٠ - ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كقارون وقومه الراضين بها ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

٥١ - ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي جزاؤها ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين عذابنا، فقحطوا سبعَ سنين ثم وسع عليهم.

٥٢ - ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسّعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحانا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

٥٣ - ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟﴾ بكسر النون وفتحها. وقرئ بضمها: تيأسوا ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشرك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

٥٤ - ﴿وَأَنِيبُوٓا۟﴾ ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟﴾ أخلصوا العمل ﴿لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ بمنعه إن لم تتوبوا.

٥٥ - ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ هو القرآن ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قبل إتيانه بوقته.

٥٦ - فبادروا قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ أصله: يا حسرتي: أي ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي طاعته ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة: أي وإني ﴿كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ بدينه وكتابه.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

٥٧- ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ عذابه.
٥٨- ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ المؤمنين، فيقال له من قبل الله.
٥٩- ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي﴾ القرآن وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾.
٦٠- ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ عن الإيمان؟ بلى.
٦١- ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ﴾ من جهنم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشرك ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي بمكان فوزهم من الجنة بأن يجعلوا فيه ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾
٦٢- ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ متصرف فيه كيف يشاء.
٦٣- ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرهما. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ متصل بقوله ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ﴿٦١﴾﴾ الخ، وما بينهما اعتراض.
٦٤- ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ غير منصوب بـ «أعبد» المعمول لـ «تأمروني» بتقدير «أن» بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك.
٦٥- ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ والله ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ يا محمد فرضا ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾.
٦٦- ﴿بَلِ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ إنعامه عليك.
٦٧- ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال أي السبع ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾ أي مقبوضة له أي في ملكه وتصرفه ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ﴾ مجموعات ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ بقدرته ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ معه.

■ أسباب نزول الآية ٦٧- وأخرج الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: مرّ يهودي بالنبي ﷺ فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السماوات على ذه والأرضين على ذه والماء على ذه والجبال على ذه، فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية، والحديث في الصحيح بلفظ فتلا دون فأنزل، وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن، قال: غدت اليهود فنظروا في خلق السماوات والأرض والملائكة فلما فرغوا أخذوا يقدرونه، فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ وأخرج عن سعيد بن جبير قال: تكلمت اليهود في صفة الرب. فقالوا بما لم يعلموا ولم يروا، فأنزل الله الآية، وأخرج ابن المنذر عن الربيع بن أنس قال: لما نزلت ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قالوا: يا رسول الله، هذا الكرسي هكذا فكيف العرش؟ فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ
﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى
ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

٤٦٦

٦٨- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾ مات ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ﴾ أي جميع الخلائق الموتىٰ ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴿٦٨﴾﴾ ينتظرون ما يفعل بهم.

٦٩- ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلى لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي بمحمد ﷺ وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴿٦٩﴾﴾ شيئا.

٧٠- ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴿٧٠﴾﴾ فلا يحتاج إلى شاهد.

٧١- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بعنف ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعات متفرقة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ جواب إذا ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي لأملان جهنم الآية ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴿٧١﴾﴾.

٧٢- ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مقدّرين الخلود ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴿٧٢﴾﴾ جهنم.

٧٣- ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ الواو فيه للحال بتقدير «قد» ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ حال ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴿٧٣﴾﴾ مقدّرين الخلود فيها، وجواب «إذا» مقدّر: أي دخلوها، وسَوْقهم، وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكرمة لهم. وسوق الكفار، وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرّها إليهم إهانة لهم.

٧٤- ﴿وَقَالُوا۟﴾ عطف على دخولها المقدر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ ننزل ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴿٧٤﴾﴾ الجنة.

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ
ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

٧٥- ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ حال ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ من كل جانب منه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حال من ضمير «حافين» ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين جميع الخلائق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي العدل، فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة.

سورة غافر أو المؤمن

[مكية إلاَّ آيتي ٥٦، ٥٧ فمدنيتان وآياتها ٨٥ نزلت بعد سورة الزمر]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده به.

٢- ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ بخلقه.

٣- ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ للمؤمنين ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ لهم، مصدر ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ للكافرين: أي مشدّده ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ أي الإنعام الواسع، وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات فإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ المرجع.

٤- ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾ للمعاش سالمين، فإن عاقبتهم النار.

٥- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يقتلوه ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟﴾ يزيلوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ لهم: أي هو واقع موقعه.

٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي «لأملأنّ جهنم» الآية ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾﴾ بدل من «كلمة».

٧- ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ مبتدأ ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ عطف عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ خبره ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ تعالى ببصائرهم: أي يصدقون بوحدانيته ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يقولون ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي وسعت رحمتُك كلَّ شيء وعلمُك كلَّ شيء ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من الشرك ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ دين الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ النار.

(سورة غافر أو المؤمن)

■ أسباب نزول الآية ٤ - أخرج ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك في قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال: نزلت في الحارث بن قيس السهمي.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ
ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ
ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾
فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

٨- ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ﴾ عطف على «هم» في «وأدخلهم» أو في «وعدتهم» ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ في صنعه.

٩- ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي عذابها ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

١٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ من قبل الملائكة وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

١١- ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ إماتتين ﴿وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ إحياءتين لأنهم كانوا نطفا أمواتا فأحيوا، ثم أميتوا، ثم أحيوا للبعث ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا ﴿مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ طريق؟ وجوابهم لا.

١٢- ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي العذاب الذي أنتم فيه ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ أي بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾ يجعل له شريك ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾ تصدّقوا بالإشراك ﴿فَٱلْحُكْمُ﴾ في تعذيبكم ﴿لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ﴾ على خلقه ﴿ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ العظيم.

١٣- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائل توحيده ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ يرجع عن الشرك.

١٤- ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ إخلاصكم منه.

١٥- ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ أي الله عظيم الصفات، أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالقه ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أي قوله ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ﴾ يخوّف الملقى عليه الناس ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ بحذف الياء وإثباتها يوم القيامة لتلاقي أهل السماء والأرض والعابد والمعبود والظالم والمظلوم فيه.

١٦- ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ يقوله تعالى ويجيب نفسه ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ أي لخلقه.

الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ
لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ
كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ
قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ
فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ
عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

١٧- ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك.

١٨- ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ يوم القيامة من أزف الرحيل قرب ﴿إِذِ الْقُلُوبُ﴾ ترتفع خوفا ﴿لَدَى﴾ عند ﴿الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ ممتلئين غمًّا. حال من «القلـــوب» عوملـــت بالجمع باليـــاء والنون معاملة أصـــحابها ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ محبّ ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ لا مفهوم للوصف إذ لا شفيع لهم أصلاً «فما لنا من شافعين» أو له مفهوم بناء على زعمهم أنّ لهم شفعاء: أي لو شفعوا فرضا لم يقبلوا.

١٩- ﴿يَعْلَمُ﴾ أي الله ﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ القلوب.

٢٠- ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون أي كفار مكة بالياء والتـــاء ﴿مِن دُونِهِ﴾ وهـــم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ فكيف يكونون شركاء الله ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ بأفعالهم.

٢١- ﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وفي قراءة «منكم» ﴿قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ عذابه؟.

٢٢- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

٢٣- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ برهان بين ظاهر.

٢٤- ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا﴾ هو ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٥- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصـــدق ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا﴾ استبقوا ﴿نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ هلاك.

سورة غافر

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ
ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي
يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ
أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

٢٦- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ لأنهم كانوا يكفونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتكم إياي فتتبعوه ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ من قتل وغيره. وفي قراءة «أو» وفي أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال.

٢٧- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لقومه وقد سمع ذلك ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ .

٢٨- ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن﴾ أي لأن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي ضرر كذبه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ به من العذاب عاجلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ مفتر.

٢٩- ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين. حال ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ عذابه إن قتلتم أولياءه ﴿إِن جَآءَنَا﴾ أي لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي وهو قتل موسى ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ طريق الصواب.

٣٠- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾﴾ أي يوم حزب بعد حزب.

٣١- ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ «مثل» بدل من «مثل» قبله أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾.

٣٢- ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ بحذف الياء وإثباتها أي يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها، وغير ذلك.

٣٣- ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ مانع ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ .

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ
مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ
دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ
وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

٤٧١

٣٤- ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب في قول عمر إلى زمن موسى، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب، في قول ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ من غير برهان ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ﴾ أي فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلالكم ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ شاك فيما شهدت به البينات.

٣٥- ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ معجزاته مبتدأ ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ برهان ﴿أَتَىٰهُمْ كَبُرَ﴾ جدالهم: خبر المبتدأ ﴿مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلالهم ﴿يَطْبَعُ﴾ يختم ﴿ٱللَّهُ﴾ بالضلال ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ بتنوين «قلْب» ودونه ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس و «كلّ» على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلب.

٣٦- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ بناء عاليا ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾.

٣٧- ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ طرقها الموصلة إليها ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بالرفع عطفا على «أبلغُ» وبالنصب جوابا لـ«ابن» ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي موسى ﴿كَٰذِبًا ۚ﴾ في أن له إلها غيري. قال فرعون ذلك تمويها ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ﴾ طريق الهدى، بفتح الصاد وضمها ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ خسار.

٣٨- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ﴾ بإثبات الياء وحذفها ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ تقدم.

٣٩- ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ تمتع يزول ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾.

٤٠- ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء وبالعكس ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ رزقا واسعا بلا تبعة.

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى
ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ
لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى
ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ
مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ
يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ
ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي
ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا
لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ
قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾

٤٧٢

٤١- ﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾.

٤٢- ﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾ لمن تاب.

٤٣- ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ لأعبده ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ﴾ أي استجابة دعوة ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾ مرجعنا ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ الكافرين ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾

٤٤- ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ﴾ إذا عاينتم العذاب ﴿أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ قال ذلك لما توعّدوه بمخالفة دينهم.

٤٥- ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ قومه معه ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ الغرق.

٤٦- ثم ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ يحرقون بها ﴿غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ صباحا ومساء ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يقال ﴿أَدۡخِلُوٓاْ﴾ يا ﴿ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء، أمرٌ للملائكة ﴿أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ عذاب جهنم.

٤٧- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ يَتَحَآجُّونَ﴾ يتخاصم الكفار ﴿فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبٗا﴾ جزءا ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾.

٤٨- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار.

٤٩- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا﴾ أي قدر يوم ﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾.

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ
بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ
(٥٠) إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ (٥١) يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٥٢) وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى
ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ (٥٣) هُدٗى
وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٥٤) فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ
وَٱلۡإِبۡكَٰرِ (٥٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡبَصِيرُ (٥٦) لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ
خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٥٧)
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)

٥٠- ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ أي الخزنة تهكما ﴿ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿ قَالُواْ بَلَىٰۚ ﴾ أي فكفروا بهم ﴿ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ ﴾ أنتم فإنا لا نشفع للكافرين. قال تعالى ﴿ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ (٥٠) ﴾ انعدام.

٥١- ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ (٥١) ﴾ جمع شاهد وهم الملائكة. يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب.

٥٢- ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ﴾ بالياء والتاء ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡ ﴾ عذرهم لو اعتذروا ﴿ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ ﴾ أي البعد من الرحمة ﴿ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٥٢) ﴾ الآخرة أي شدّة عذابها.

٥٣- ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ التوراة والمعجزات ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ من بعد موسى ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ (٥٣) ﴾ التوراة.

٥٤- ﴿ هُدٗى ﴾ هاديا ﴿ وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٥٤) ﴾ تذكرة لأصحاب العقول.

٥٥- ﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ ﴾ بنصر أوليائه ﴿ حَقّٞ ﴾ وأنت ومن تبعك منهم ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ ليستنّ بك ﴿ وَسَبِّحۡ ﴾ صلِّ متلبسا ﴿ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ (٥٥) ﴾ الصلوات الخمس.

٥٦- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ ﴾ برهان ﴿ أَتَىٰهُمۡ إِن ﴾ ما ﴿ فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ ﴾ تكبر وطمع أن يعلوا عليك ﴿ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ ﴾ من شرهم ﴿ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم ﴿ ٱلۡبَصِيرُ (٥٦) ﴾ بأحوالهم. ونزل في منكري البعث:

٥٧- ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ابتداء ﴿ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ ﴾ مرة ثانية وهي الإعادة ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي كفار مكة ﴿ لَا يَعۡلَمُونَ (٥٧) ﴾ ذلك فهم كالأعمى ومن يعلمه كالبصير.

٥٨- ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَ ﴾ لا ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وهو المحسن ﴿ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ ﴾ فيه زيادة «لا» ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) ﴾ يتعظون بالياء والتاء أي تذكرهم قليل جدًا.

■ أسباب نزول الآية ٥٦- وأخرج عن أبي العالية قال: جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ فذكروا الدجال، فقالوا: يكون منا في آخر الزمان فعظموا أمره وقالوا: يصنع كذا، فأنزل الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾ فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ
﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ
بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ
مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلۡ
إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ
ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

٥٩- ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ﴾ شك ﴿فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ بها.

٦٠- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ أي اعبدوني أثبكم بقرينة ما بعده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ صاغرين.

٦١- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ إسناد الإبصار إليه مجازي لأنه يبصر فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ الله فلا يؤمنون.

٦٢- ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟.

٦٣- ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ﴾ أي مثل إفك هؤلاء إفك ﴿ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ معجزاته ﴿يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

٦٤- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ سقفا ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

٦٥- ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾ من الشرك ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

٦٦- ﴿۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ دلائل التوحيد ﴿مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٥٧** - قوله تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ قال: من خلق الدجال، وأخرج عن كعب الأحبار في قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾ قال هم اليهود، نزلت فيما ينتظرونه من أمر الدجال.

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

٤٧٥

٦٧- ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ يبقيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ تكامل قوّتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾ بضم الشين وكسرها ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل الأشدّ والشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وقتا محدودا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ دلائل التوحيد فتؤمنوا.

٦٨- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراد إيجادَ شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ بضم النون وفتحها بتقدير «أن» أي يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور.

٦٩- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ عن الإيمان.

٧٠- ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من التوحيد والبعث، وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ عقوبة تكذيبهم.

٧١- ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ «إذ» بمعنى إذا ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ عطف على الأغلال فتكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف: أي في أرجلهم، أو خبر ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ أي يجرّون بها.

٧٢- ﴿فِي ٱلْحَمِيمِ﴾ أي جهنم ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ يوقدون.

٧٣- ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تبكيتا ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾﴾ .

٧٤- ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ معه وهي الأصنام ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلا نراهم ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أنكروا عبادتهم إياها ثم أحضرت. قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أي وقودها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

٧٥- ويقال لهم أيضا: ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ تتوسعون في الفرح.

٧٦- ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾

٧٧- ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بعذابهم ﴿حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ فيه «إن» الشرطية مدغمة، و «ما» زائدة تؤكد معنى الشرط أوّل الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك: وجواب الشرط محذوف: أي فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ فنعذبهم أشدّ العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط.

■ أسباب نزول الآية ٦٦- وأخرج جويبر عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة قالا: يا محمد ارجع عما تقول وعليك بدين آبائك وأجدادك، فأنزل الله ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ
بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ
لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم
مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

٤٧٦

٧٨- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبيّ: أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿قُضِيَ﴾ بين الرسل ومكذبيها ﴿بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ أي ظهر القضاء والخسران للناس وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

٧٩- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ قيل الإبل خاصة هنا، والظاهر: والبقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

٨٠- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ من الدرّ والنسل والوبر والصوف ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البرّ ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ السفن في البحر ﴿تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

٨١- ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي الدالة على وحدانيته ﴿تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ استفهام توبيخ، وتذكير «أيّ» أشهر من تأنيثه.

٨٢- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

٨٣- ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُوا۟﴾ أي الكفار ﴿بِمَا عِندَهُم﴾ أي الرسل ﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ فرح استهزاء وضحك منكرين لـه ﴿وَحَاقَ﴾ نـزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ أي العذاب.

٨٤- ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ أي شدّة عذابنا ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

٨٥- ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدّر من لفظه ﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ في الأمم أن لا ينفعهم الإيمان وقت نـ زول العـذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ تبين خسرانهم لكل أحد وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ
ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ
هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

٤٧٧

سورة فصّلت (حم السجدة)

[مكية وآياتها ٥٣ أو ٥٤ نزلت بعد سورة غافر]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده به.

٢- ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ مبتدأ.

٣- ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبره ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من كتاب بصفته ﴿لِّقَوْمٍ﴾ متعلق بفصلت ﴿يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ يفهمون ذلك وهم العرب.

٤- ﴿بَشِيرًا﴾ صفة «قرآنا» ﴿وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ سماع قبول.

٥- ﴿وَقَالُوا۟﴾ للنبيّ ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ثقل ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين ﴿فَٱعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾ على ديننا.

٦- ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾

٧- ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾ .

٨- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾ مقطوع.

٩- ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال ألف بينها - بوجهيها - وبين الأولى ﴿لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ الأحد والاثنين ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾ جمع عالم وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون، تغليبا للعقلاء.

١٠- ﴿وَجَعَلَ﴾ مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي» للفاصل الأجنبي ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بكثرة المياه والزرع والضروع ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسم ﴿فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِىٓ﴾ تمام ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي الجعل وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء ﴿سَوَآءً﴾ منصوب على المصدر: أي استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص ﴿لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

١١- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ في موضع الحال: أي طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا﴾ بمن فينا ﴿طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ فيه تغليب المذكر العاقل أو نزلتا لخطابهما منزلته.

(سورة السجدة أو فصلت)

■ **أسباب نزول الآية ١٢-** أخرج الشيخان والترمذي وأحمد وغيرهم عن ابن مسعود قال: اختصم عند البيت ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول، فقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآية.

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً
فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي
ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى
ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

١٢- ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه: أي صيرها ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الخميس والجمعة: فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم، ولذلك لم يقل هنا سواء، ووافق ما هنا آيات خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أمر به من فيها من الطاعة والعبادة ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ بنجوم ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب بفعله المقدّر: أي حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ بخلقه.

١٣- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ أي كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ خوّفتكم ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ أي عذابا يهلككم مثل الذي أهلكهم.

١٤- ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي والإهلاك في زمنه فقط ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ﴾ علينا ﴿مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ على زعمكم ﴿كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

١٥- ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ﴾ لما خُوِّفوا بالعذاب ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي لا أحد: كان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ المعجزات ﴿يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

١٦- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردة شديدة الصوت بلا مطر ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ بكسر الحاء وسكونها: مشؤومات عليهم ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾ الذلّ ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ أشدّ ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ بمنعه عنهم.

١٧- ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ بيّنا لهم طريق الهدى ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ﴾ اختاروا الكفر ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ المهين ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

١٨- ﴿وَنَجَّيْنَا﴾ منها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ الله.

١٩- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ﴾ بالياء والنون المفتوحة وضم الشين وفتح همزة ﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ يساقون.

٢٠- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن
يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ
كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ
أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

٤٧٩

٢١- ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴿٢١﴾﴾ قيل هو من كلام الجلود، وقيل هو من كلام الله تعالى كالذي بعده وموقعه قريب مما قبله بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت أحياء قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم.

٢٢- ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ عند استتاركم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴿٢٢﴾﴾ .

٢٣- ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدل منه ﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ نعت، والخبر ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴿٢٣﴾﴾.

٢٤- ﴿فَإِن يَصْبِرُواْ﴾ على العذاب ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ﴾ يطلبوا العتبى أي الرضا ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴿٢٤﴾﴾ المرضيين.

٢٥- ﴿۞ وَقَيَّضْنَا﴾ سببنا ﴿لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ من الشياطين ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة بقولهم لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية ﴿فِىٓ﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴿٢٥﴾﴾ .

٢٦- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عند قراءة النبي ﷺ ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ ائتوا باللغط ونحوه وصيحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴿٢٦﴾﴾ فيسكت عن القراءة.

٢٧- قال الله تعالى فيهم: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴿٢٧﴾﴾ أي أقبح جزاء عملهم.

٢٨- ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الشديد وأسوأ الجزاء ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واوا ﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ أي إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَآءً﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدّر ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴿٢٨﴾﴾ .

٢٩- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النار ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ أي إبليس وقابيل سنّا الكفر والقتل ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴿٢٩﴾﴾ أي أشدّ عذابا منا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ
ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ
إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ
وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

٣٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أن﴾ بأن ﴿لَا تَخَافُوا﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم من أهل وولد فنحن نخلفكم فيه ﴿وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ .

٣١- ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي نحفظكم فيها ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ تطلبون.

٣٢- ﴿نُزُلًا﴾ رزقا مُهَيَّئاً منصوب بـ «جعل» مقدّرا ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ أي الله.

٣٣- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي لا أحد أحسن قولاً ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ .

٣٤- ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتهما، لأن بعضهما فوق بعض ﴿ٱدْفَعْ﴾ السيئة ﴿بِٱلَّتِى﴾ أي بالخصلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ أي فيصير عدوّك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فـ «الذي» مبتدأ، و «كأنه» الخبر، و «إذا» ظرف لمعنى التشبيه.

٣٥- ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي يؤتى الخصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾ ثواب ﴿عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

٣٦- ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف: أي يدفعه عنك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ بالفعل.

٣٧- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ أي الآيات الأربع ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ .

٣٨- ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي فالملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يصلون ﴿لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ لا يملّون.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن
يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ
وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

٤٨١

٣٩- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ يابسة لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ ۚ﴾ انتفخت وعلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

٤٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من ألحد ولحد ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بالتكذيب ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ﴾ فنجازيهم ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ تهديد لهم.

٤١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ نجازيهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ منيع.

٤٢- ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ أي الله المحمود في أمره.

٤٣- ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ للكافرين.

٤٤- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الذكر ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا﴾ هلا ﴿فُصِّلَتْ﴾ بينت ﴿ءَايَٰتُهُۥ﴾ حتى نفهمها ﴿ءَ﴾ قرآن ﴿أَعْجَمِىٌّ وَ﴾ نبي ﴿عَرَبِىٌّ ۗ﴾ استفهام إنكار منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفا بإشباع ودونه ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِفَآءٌ﴾ من الجهل ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ ثقل فلا يسمعونه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ﴾ فلا يفهمونه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ أي هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به.

٤٥- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي المكذبين به ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾ مُوقع في الريبة.

٤٦- ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ أي فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ أي بذي ظلم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴿٤٠﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ٤٠- وأخرج ابن المنذر عن بشير بن فتح قال: نزلت هذه الآية في أبي جهـل وعمار بن ياسر ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٤٤- وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجميًا وعربيًا، فأنزل الله ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ الآية. وأنزل الله بعد هذه الآية فيه بكل لسان قال ابن جرير: والقراءة على هذا أعجمي بلا استفهام.

۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾
لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ
أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ
﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم
بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ
ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

٤٨٢

٤٧- ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ﴾ متى تكون لا يعلمها غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَةٍ﴾ وفي قراءة: ثمرات ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها جمع «كِمّ» بكسر الكاف، إلا بعلمه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّـٰكَ﴾ أعلمناك الآن ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ أي شاهد بأن لك شريكا.

٤٨- ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَظَنُّوا۟﴾ أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾ مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين معلق عن العمل، وجملة النفي سدّت مسد المفعولين.

٤٩- ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والشدّة ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

٥٠- ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَذَقْنَـٰهُ﴾ آتيناه ﴿رَحْمَةً﴾ غنىً وصحة ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ شدّة وبلاء ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾ أي بعملي ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ أي الجنة ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ شديد، واللام في الفعلين لام قسم.

٥١- ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ الجنس ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ ثنى عطفه متبخترا. وفي قراءة بتقديم الهمزة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ كثير.

٥٢- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ كما قال النبي ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ عن الحق: أوقع هذا موقع منكم بيانا لحالهم.

٥٣- ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾ أقطار السموات والأرض من النيرات والنبات والأشجار ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿ٱلْحَقُّ ۗ﴾ المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به وبالجائي به ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ فاعل يكف ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ بدل منه: أي أوَ لم يكفهم في صدقك أنّ ربك لا يغيب عنه شيء مّا.

٥٤- ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ﴾ شكّ ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ﴾ لإنكارهم البعث ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ علما وقدرة فيجازيهم بكفرهم.

سُورَةُ الشُّورَىٰ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ
ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ
ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ
﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ
حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي
ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ
مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾
أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

سورة الشورى

[مكية إلا الآيات ٢٣و ٢٤و ٢٥و ٢٦ فمدنية وآيتها ٥٣ نزلت بعد فصلت]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾.

٢- ﴿عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ الله أعلم بمراده به.

٣- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك الإيحاء ﴿يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَ﴾ أوحى ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ﴾ فاعل الإيحاء ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ في صنعه.

٤- ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ على خلقه ﴿ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ الكبير.

٥- ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾ بالنون. وفي قراءة: بالتاء والتشديد ﴿مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ أي تنشق كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ أي ملابسين للحمد ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ لأوليائه ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ بهم. ٦- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الأصنام ﴿أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ﴾ مُحْصٍ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ ليجازيهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾﴾ تحصل المطلوب منهم ما عليك إلا البلاغ.

٧- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ﴾ تخوّف ﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿وَتُنذِرَ﴾ الناس ﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ أي يوم القيامة تجمع فيه الخلائق ﴿لَا رَيۡبَ﴾ شك ﴿فِيهِۚ فَرِيقٞ﴾ منهم ﴿فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ النار.

٨- ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أي على دين واحد وهو الإسلام ﴿وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾ يدفع عنهم العذاب.

٩- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الأصنام ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ «أم» منقطعة بمعنى «بل» التي للانتقال والهمزة للإنكار: أي ليس المتخذون أولياء ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ أي الناصر للمؤمنين، والفاء لمجرّد العطف ﴿وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾﴾.

١٠- ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ﴾ مع الكفار ﴿فِيهِ مِن شَيۡءٖ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ﴾ مردود ﴿إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ يوم القيامة يفصل بينكم قل لهم ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ أرجع.

(سورة الشورى)

■ أسباب نزول الآية ١٦- أخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾﴾ قال المشركون بمكة لمن بين أظهرهم من المؤمنين: قد دخل الناس في دين الله أفواجًا فاخرجوا من بين أظهرنا، فعلام تقيمون بين أظهرنا، فنزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ الآية. وأخرج عبد الرزاق عن قتادة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ﴾ الآية، قال: هم اليهود والنصارى قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم.

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ
يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ
وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

١١- ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ مبدعهما ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ حيث خلق حواء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ ذكورا وإناثا ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ بالمعجمة يخلقكم ﴿فِيهِ ۚ﴾ في الجعل المذكور. أي يكثركم بسببه بالتوالد، والضمير للأناسي والأنعام بالتغليب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الكاف زائدة لأنه تعالى لا مثل له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ لما يفعل.

١٢- ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسِّعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحانا ﴿وَيَقْدِرُ ۚ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

١٣- ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ هو أوّل أنبياء الشريعة ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ هذا هو المشروع الموصى به والموحى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد ﴿كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ من التوحيد ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾ إلى التوحيد ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ يقبل إلى طاعته.

١٤- ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟﴾ أي أهل الأديان في الدين بأن وحّد بعض وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغْيًۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ بتعذيب الكافرين في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من محمد ﷺ ﴿مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ موقع في الريبة.

١٥- ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿فَٱدْعُ﴾ يا محمد الناس ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ عليه ﴿كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في تركه ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ أي بأن أعدل ﴿بَيْنَكُمُ﴾ في الحكم ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ فكلٌّ يجازى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾ خصومة ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالجهاد ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ المرجع.

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

١٦- ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى﴾ دين ﴿ٱللَّهِ﴾ نبيه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴿١٦﴾﴾.

١٧- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿وَٱلْمِيزَانَ ۗ﴾ العدل ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي إتيانها ﴿قَرِيبٌ﴿١٧﴾﴾ ولعل معلق للفعل عن العمل، وما بعده سدّ مسدّ المفعولين.

١٨- ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ﴾ يقولون: متى تأتي، ظنا منهم أنها غير آتية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ يجادلون ﴿فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴿١٨﴾﴾.

١٩- ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ برِّهم وفاجرهم، حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ على مراده ﴿ٱلْعَزِيزُ﴿١٩﴾﴾ الغالب على أمره.

٢٠- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي كَسْبها وهو الثواب ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ بالتضعيف فيه الحسنة إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ بلا تضعيف ما قسم له ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴿٢٠﴾﴾.

٢١- ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ هم شياطينهم ﴿شَرَعُوا۟﴾ أي الشركاء ﴿لَهُم﴾ لكفار مكة ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي القضاء السابق بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٢١﴾﴾ مؤلم.

٢٢- ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها ﴿وَهُوَ﴾ أي الجزاء عليها ﴿وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ أنزهها بالنسبة إلى من دونهم ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴿٢٢﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ٢٣- وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: قالت الأنصار: لو جمعنا لرسول الله ﷺ مالاً فأنزل الله ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾ فقال بعضهم: إنما قال هذا ليقاتل عن أهل بيته وينصرهم، فأنزل الله ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ إلى قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ فعرض لهم التوبة، إلى قوله ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾.

ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ
لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ
عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ
وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ
لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ
خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟
وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ
إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

٢٣- ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ﴾ من البشارة مخففا ومثقلاً به ﴿ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾ استثناء منقطع، أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضا: فإن له في كل بطن من قريش قرابة ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾ يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ للقليل فيضاعفه.

٢٤- ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة القرآن إلى الله تعالى ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ﴾ يربط ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره، وقد فعل ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ الذي قالوه ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾ يثبته ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ المنزلة على نبيه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ بما في القلوب.

٢٥- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ منهم ﴿وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المتاب عنها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بالياء والتاء.

٢٦- ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

٢٧- ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ جميعهم ﴿لَبَغَوْا۟﴾ جميعهم أي طغوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف وضده، من الأرزاق ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ فيبسطها لبعض عباده دون بعض، وينشأ عن البسط البغي ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾.

٢٨- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ المطر ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ يئسوا من نزوله ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ﴾ يبسط مطره ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ المحسن للمؤمنين ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ المحمود عندهم.

٢٩- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ﴾ خلق ﴿مَا بَثَّ﴾ فرق ونشر ﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ﴾ هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ للحشر ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ في الضمير تغليب العاقل على غيره.

٣٠- ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ خطاب للمؤمنين ﴿مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ بلية وشدة ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي كسبتم من الذنوب. وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ منها فلا يجازي عليه. وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة. أما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة.

٣١- ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ يا مشركون ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ الله هربا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فتفوتوه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾ يدفع عذابه عنكم.

■ **أسباب نزول الآية ٢٧**- وأخرج الحاكم وصححه عن علي قال: نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا، فتمنوا الدنيا، وأخرج الطبراني عن عمرو بن حريث مثله.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

٣٢- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ﴾ السفن ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ (٣٢)﴾ كالجبال في العظم.

٣٣- ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾ يصرن ﴿رَوَاكِدَ﴾ ثوابت لا تجري ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣)﴾ هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء.

٣٤- ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ عطف على «يُسكن» أي يغرقهن بعصف الريح بأهلهن ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي أهلهن من الذنوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ (٣٤)﴾ منها فلا يغرق أهله.

٣٥- ﴿وَيَعْلَمَ﴾ بالرفع مستأنف، وبالنصب معطوف على تعليل مقدر: أي يغرقهم لينتقم منهم ويعلم ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٣٥)﴾ مهرب من العذاب، وجملة النفي سدت مسدّ مفعولي «يعلم» والنفي معلق عن العمل.

٣٦- ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ من أثاث الدنيا ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦)﴾ ويعطف عليهم.

٣٧- ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ موجبات الحدود من عطف البعض على الكل ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧)﴾ يتجاوزون.

٣٨- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الذي يبدو لهم ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ يتشاورون فيه ولا يعجلون ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ (٣٨)﴾ في طاعة الله، ومن ذكر صنف:

٣٩- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ الظلم ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩)﴾ صنف أي ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه، كما قال تعالى:

٤٠- ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى في الصورة وهذا ظاهر فيما يقتصّ فيه من الجراحات، قال بعضهم: وإذا قال له: أخزاك الله، فيجيبه: أخزاك الله ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عن ظالمه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ الودّ بينه وبين المعفوّ عنه ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي إن الله يأجره لا محالة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠)﴾ أي البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه.

٤١- ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أي ظلم الظالم إياه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١)﴾ مؤاخذة.

٤٢- ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾ يعملون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بالمعاصي ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)﴾ مؤلم.

٤٣- ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ فلم ينتصر ﴿وَغَفَرَ﴾ تجاوز ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (٤٣)﴾ أي معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا.

٤٤- ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾ إلى الدنيا ﴿مِّن سَبِيلٍ (٤٤)﴾ طريق.

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟
فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ
وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

٤٥- ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ أي النار ﴿ خَٰشِعِينَ ﴾ خائفين متواضعين ﴿ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ ﴾ إليها ﴿ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ ضعيف النظر مسارقة، و «من» ابتدائية أو بمعنى الباء ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ بتخليدهم في النار، وعدم وصولهم إلى الحور المعدّة لهم في الجنة لو آمنوا. والموصول خبر «إن» ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الكافرين ﴿ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ دائم هو من مقول الله تعالى.

٤٦- ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره يدفع عذابه عنهم ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة.

٤٧- ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم ﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ ﴾ هو يوم القيامة ﴿ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي إنه إذا أتى به لا يرده ﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ ﴾ تلجؤون إليه ﴿ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ إنكار لذنوبكم.

٤٨- ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ ﴾ عن الإجابة ﴿ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم ﴿ إِنْ ﴾ ما ﴿ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ نعمة كالغنى والصحة ﴿ فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ ﴾ الضمير للإنسان باعتبار الجنس ﴿ سَيِّئَةٌۢ ﴾ بلاء ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي قدموه، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ للنعمة.

٤٩- ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ من الأولاد ﴿ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

٥٠- ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ﴾ أي يجعلهم ﴿ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ ﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ ﴾ بما يخلق ﴿ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾على ما يشاء.

٥١- ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا ﴾ أن يوحي إليه ﴿ وَحْيًا ﴾ في المنام أو بإلهام ﴿ أَوْ ﴾ إلا ﴿ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام ﴿ أَوْ ﴾ إلا أن ﴿ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ ملكا كجبريل ﴿ فَيُوحِىَ ﴾ الرسول إلى المرسل إليه أي يكلمه ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ أي الله ﴿ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ الله ﴿ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ ﴾ عن صفات المحدثين ﴿ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ في صنعه.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ
وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ
وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

٥٢- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ هو القرآن به تحيي القلوب ﴿مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الذي نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي شرائعه ومعالمه، والنفي معلق للفعل عن العمل، وما بعده سد مسدّ المفعولين ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الروح أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ دين الإسلام.

٥٣- ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ ترجع.

سورة الزخرف

[مكية وقيل إلا آية ٤٥ فمدنية وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده به.

٢- ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه من الشريعة.

٣- ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ أوجدنا الكتاب(١) ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ تفهمون معانيه.

٤- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مثبت ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصل الكتب أي اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ بدل عندنا ﴿لَعَلِىٌّ﴾ على الكتب قبله ﴿حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ ذو حكمة بالغة.

٥- ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ نمسك ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحًا﴾ إمساكا فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾ مشركين، لا.

٦- ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾﴾.

٧- ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِم﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾﴾ كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له ﷺ.

٨- ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿وَمَضَىٰ﴾ سبق في آيات ﴿مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ صفتهم في الإهلاك فعاقبه قومك كذلك.

٩- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات. وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ آخر جوابهم أي الله ذو العزة والعلم، زاد تعالى:

١٠- ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشا كالمهد للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ إلى مقاصدكم في أسفاركم.

---

(١) قرر ابن كثير هنا جعلناه: أي أنزلناه.

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ
ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم
بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى
ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

١١- ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ﴾ أي بقدر حاجتكم إليه ولم ينزله طوفانا ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ أحيينا ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الإحياء ﴿تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾ من قبوركم أحياء.

١٢- ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ كالإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ حذف العائد اختصارا، وهو مجرور في الأول: أي فيه، منصوب في الثاني.

١٣- ﴿لِتَسْتَوُۥا﴾ لتستقروا ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ ذكر الضمير وجمع الظهر نظرا للفظ «ما» ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ مطيقين.

١٤- ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ لمنصرفون.

١٥- ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ﴾ حيث قالوا الملائكة بنات الله لأن الولد جزء الوالد، والملائكة من عباد الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ القائل ما تقدم ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ بيّن ظاهر الكفر.

١٦- ﴿أَمِ﴾ بمعنى همزة الإنكار والقول مقدر أي أتقولون ﴿ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ لنفسه ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ خصكم ﴿بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ اللازم من قولكم السابق فهو من جملة المنكر.

١٧- ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ جعل له شبها بنسبة البنات إليه، لأن الولد يشبه الوالد، المعنى: إذا أخبر أحدهم بالبنت تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ متغيرا تغير مغتم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ ممتلىء غما فكيف ينسب البنات إليه؟ تعالى عن ذلك.

١٨- ﴿أَوَ﴾ همزة الإنكار وواو العطف بجملة أي يجعلون لله ﴿مَن يُنَشَّؤُا فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ مظهر الحجة لضعفه عنها بالأنوثة.

١٩- ﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا﴾ حضروا ﴿خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ بأنهم إناث ﴿وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ عنها في الآخرة فيترتب عليها العقاب.

٢٠- ﴿وَقَالُوا لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ﴾ أي الملائكة فعبادتنا إياهم بمشيئته فهو راض بها. قال تعالى ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ يكذبون فيه فيترتب عليهم العقاب به.

٢١- ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن بعبادة غير الله ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي لم يقع ذلك.

٢٢- ﴿بَلْ قَالُوٓا إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا﴾ ماشون ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بهم وكانوا يعبدون غير الله.

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)
۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟
إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٢٤) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ
إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ
(٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ
مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩)
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا۟
لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم
بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) وَلَوْلَآ
أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣)

٢٣- ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ متنعموها مثل قول قومك ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)﴾ متبعون.
٢٤- ﴿۞ قَٰلَ﴾ لهم ﴿أ﴾ تتبعون ذلك ﴿وَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ أنت ومن قبلك ﴿كَٰفِرُونَ (٢٤)﴾ قال تعالى تخويفا لهم.
٢٥- ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي من المكذبين للرسل قبلك ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٢٥)﴾.
٢٦- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ بريء ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦)﴾.
٢٧- ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ خلقني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ (٢٧)﴾ يرشدني لدينه.
٢٨- ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي كلمة التوحيد المفهومة من قوله ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ (٩٩)﴾ ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ ذرّيته فلا يزال فيهم من يوحد الله ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾ عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم.
٢٩- ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المشركين ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ ولم أعاجلهم بالعقوبة. ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩)﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد ﷺ.
٣٠- ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ القرآن ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٣٠)﴾.
٣١- ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ﴾ أهل ﴿ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ من أية منهما ﴿عَظِيمٍ (٣١)﴾ أي الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.
٣٢- ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ﴾ النبوّة ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ فجعلنا بعضهم غنيا وبعضهم فقيرا ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بالغنى ﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم﴾ الغنيّ ﴿بَعْضًا﴾ الفقير ﴿سُخْرِيًّا ۗ﴾ مسخرا في العمل له بالأجرة. والياء للنسب، وقرئ بكسر السين ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾ في الدنيا. ٣٣- ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الكفر ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ بـدل من «لمن» ﴿سُقُفًا﴾ بفتح السين وسكون القاف، وبضمهما جمعا ﴿مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ كالدرج من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣)﴾ يعلون إلى السطح.

(سورة الزخرف)

■ أسباب نزول الآية ١٩ - أخرج ابن المنذر عن قتادة قال: قال ناس من المنافقين: إن الله صاهر الجن فخرجت من بينهم الملائكة فنزل فيهم ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ﴾

■ أسباب نزول الآية ٣١ - وتقدم في سورة يونس سبب قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ﴾ الآيتين.

■ أسباب نزول الآية ٣٦ - وأخرج ابن المنذر عن قتادة قال: قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقول محمد حقًا أنزل علي هذا القرآن أو على ابن مسعود الثقفي فنزلت. وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان المخزومي أن قريشًا قالت: قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلاً يأخذه فقيضوا لأبي بكر طلحة، فأتاه وهو في القوم فقال أبو بكر:

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

٣٤- ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا﴾ من فضة ﴿وَ﴾ جعلنا لهم ﴿سُرُرًا﴾ من فضة جمع سرير ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴿٣٤﴾﴾

٣٥- ﴿وَزُخْرُفًا ۚ﴾ ذهبا، المعنى: لولا خوف الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطيناه ذلك لقلة خطر الدنيا عندنا وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا﴾ بالتخفيف فـ «ما» زائدة، وبالتشديد بمعنى إلا فـ «إن» نافية ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾ الجنة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴿٣٥﴾﴾. ٣٦- ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ يعرض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي القرآن ﴿نُقَيِّضْ﴾ نسبب ﴿لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴿٣٦﴾﴾ لا يفارقه. ٣٧- ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي العاشين ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي طريق الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴿٣٧﴾﴾ في الجمع رعاية معنى من.

٣٨- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ﴾ له ﴿يَٰ﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي مثل بُعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴿٣٨﴾﴾ أنت لي. قال تعالى: ٣٩- ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ﴾ أي العاشين تمنيكم وندمكم ﴿ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أي تبين لكم ظلمكم. بالإشراك في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ﴾ مع قرنائكم ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴿٣٩﴾﴾ علة بتقدير اللام لعدم النفع و «إذ» بدل من اليوم. ٤٠- ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴿٤٠﴾﴾ بيّن أي فهم لا يؤمنون.

٤١- ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴿٤١﴾﴾ في الآخرة. ٤٢- ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم﴾ على عذابهم ﴿مُّقْتَدِرُونَ﴿٤٢﴾﴾ قادرون. ٤٣- ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن. ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴿٤٣﴾﴾. ٤٤- ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾ لشرف ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴿٤٤﴾﴾ عن القيام بحقه. ٤٥- ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي غيره ﴿ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴿٤٥﴾﴾ قيل هو على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء، وقيل المراد: أمم من أيٍّ أهل الكتابين؟ ولم يسأل على واحد من القولين لأنّ المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله. ٤٦- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ أي القبط ﴿فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٤٦﴾﴾.

٤٧- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴿٤٧﴾﴾.

إلام تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى، قال أبو بكر: وما اللات؟ قال: ربنا، قال: وما العزى؟ قال: بنات الله، قال: فمن أمهم؟ فسكت طلحة فلم يجبه، فقال طلحة لأصحابه: أجيبوا الرجل، فسكت القوم، فقال طلحة: قم يا أبا بكر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فأنزل الله ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ الآية.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

٤٨- ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ من آيات العذاب كالطوفان - وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام - والجراد ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ قرينتها التي قبلها ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ عن الكفر.

٤٩- ﴿وَقَالُوا﴾ لموسى لما رأوا العذاب ﴿يَٰٓأَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ أي العالم الكامل لأنّ السحر عندهم علم عظيم ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العـــذاب عنا إنْ آمنا ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أي مؤمنون.

٥٠- ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ينقضون عهدهم ويصرّون على كفرهم.

٥١- ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ افتخارا ﴿فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَٰرُ﴾ أي من النيل ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ أي تحت قصوري؟ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ عظمتي.

٥٢- ﴿أَمْ﴾ تبصرون وحينئذ ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي موسى ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ يظهر كلامه للثغته بالجمرة التي تناولها في صغره. ٥٣- ﴿فَلَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ إن كان صادقا ﴿أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ جمع، أَسْوِرة كأغربة جمع سوار. كعادتهم فيمن يسوّدونه أن يلبسوه أسورة ذهب ويطوّقونه طوق ذهب ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ متتابعين يشهدون بصدقه.

٥٤- ﴿فَاسْتَخَفَّ﴾ استفز فرعون ﴿قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما يريدون من تكذيب موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ . ٥٥- ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

٥٦- ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ جمع سالف كخادم وخدم: أي سابقين، عبرة ﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم. ٥٧- ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ جعل ﴿ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حين نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» فقال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى لأنه عبد من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي المشركون ﴿مِنْهُ﴾ من المثل ﴿يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ يضحكون فرحا بما سمعوا. ٥٨- ﴿وَقَالُوٓا ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي عيسى؟ فنرضى أن تكون آلهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ خصومة بالباطل لعلمهم أن «ما» لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ شديدو الخصومة. ٥٩- ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوّة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ بوجوده من غير أب ﴿مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ أي كالمثل لغرابته. يستدل به على قدرة الله تعالى على ما يشاء.

٦٠- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ بدلكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ بأن نهلككم.

■ أسباب نزول الآية ٥٧- وأخرج أحمد بسند صحيح والطبراني عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لقريش: إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير، فقالوا: ألست تزعم أن عيسى كان نبيًا وعبدًا صالحًا وقد عبد من دون الله. فأنزل الله ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ الآية.

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

٤٩٤

٦١- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي تشكن فيها. حذف منه نون الرفع للجزم وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَ﴾ قل لهم ﴿ٱتَّبِعُونِ﴾ على التوحيد ﴿هَٰذَا﴾ الذي آمركم به ﴿صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾. ٦٢- ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾ يصرفنكم عن دين الله ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾ بيّن العداوة.

٦٣- ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالنبوّة وشرائع الإنجيل ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره فبين لهم أمر الدين ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾.

٦٤- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾. ٦٥- ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ في عيسى. أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ مؤلم. ٦٦- ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي كفار مكة أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل من الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ بوقت مجيئها قبله. ٦٧- ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍۭ﴾ يوم القيامة متعلق بقوله ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ المتحابين في الله على طاعته فإنهم أصدقاء. ويقال لهم:

٦٨- ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾. ٦٩- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نعت لعبادي ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾. ٧٠- ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ زوجاتكم ﴿تُحْبَرُونَ﴾ تسرون وتكرمون. خبر المبتدأ. ٧١- ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ بقصاع ﴿مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب وهو إناء لا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ تلذذا ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ نظرا ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾. ٧٢- ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

٧٣- ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا﴾ أي بعضها ﴿تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله.

■ أسباب نزول الآية ٨٠- وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي فقال واحد منهم: ترون الله يسمع كلامنا، فقال آخر: إذا جهرتم سمع وإذا أسررتم لم يسمع، فأنزلت ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ الآية.

(سورة الدخان)

■ أسباب نزول الآية ١٠- أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: إن قريشًا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، فاستسقى، فسقوا فنزلت.

■ أسباب نزول الآية ١٥ و١٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ يعني يوم بدر.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ
ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ
ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ
إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن
شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

٤٩٥

٧٤- ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.
٧٥- ﴿ لَا يُفَتَّرُ ﴾ يخفف ﴿ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ساكتون سكوت يأس. ٧٦- ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ . ٧٧- ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ ﴾ هو خازن النار ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ ليمتنا ﴿ قَالَ ﴾ بعد ألف سنة ﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ مقيمون في العذاب دائما. ٧٨- قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم ﴾ أي أهل مكة ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ على لسان الرسول ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ . ٧٩- ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ ﴾ أي كفار مكة أحكموا ﴿ أَمْرًا ﴾ في كيد محمد النبي ﴿ فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ محكمون كيدنا في إهلاكهم. ٨٠- ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ ﴾ ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم؟ ﴿ بَلَىٰ ﴾ نسمع ذلك ﴿ وَرُسُلُنَا ﴾ الحفظة ﴿ لَدَيْهِمْ ﴾ عندهم ﴿ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ ذلك. ٨١- ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ فرضا ﴿ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ للولد لكن ثبت أن لا ولد له تعالى، فانقضت عبادته. ٨٢- ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ ﴾ الكرسي ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه. ٨٣- ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ ﴾ في باطلهم ﴿ وَيَلْعَبُوا۟ ﴾ في دنياهم ﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ فيه العذاب وهو يوم القيامة.

٨٤- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ﴾ هو ﴿ فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ ﴾ بتحقيق الهمزتين وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء. أي معبود ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ ﴾ وكل من الظرفين متعلق بما بعده ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في تدبير خلقه ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾ بمصالحهم.

٨٥- ﴿ وَتَبَارَكَ ﴾ تعظم ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ متى تقوم ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ بالياء والتاء.

٨٦- ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ يعبدون أي الكفار ﴿ مِن دُونِهِ ﴾ أي من دون الله ﴿ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ لأحد ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي قال: لا إله إلا الله ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم. وهم: عيسى وعزير والملائكة، فإنهم يشفعون للمؤمنين.

٨٧- ﴿ وَلَئِن ﴾ لام قسم ﴿ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ حذف منه نون الرفع وواو الضمير ﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يصرفون عن عبادة الله؟. ٨٨- ﴿ وَقِيلِهِۦ ﴾ أي قول محمد النبي ﷺ . ونصبه على المصدر بفعله المقدر: أي وقال: ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾. ٨٩- قال تعالى ﴿ فَٱصْفَحْ ﴾ أعرض ﴿ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ﴾ منكم. وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ بالياء والتاء تهديد لهم.

◙ أسباب نزول الآية ٤٣ - وأخرج سعيد بن منصور عن أبي مالك قال: إن أبا جهل كان يأتي بالتمر والزبد فيقول: تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد، فنزلت ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾.

◙ أسباب نزول الآية ٤٩ - وأخرج الأموي في مغازيه عن عكرمة قال: لقي رسول الله أبا جهل فقال: إن الله أمرني أن أقول لك ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ قال فنزع ثوبه من يده فقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء لقد علمت أني أمنع أهل بطحاء وأنا العزيز الكريم، فقتله الله يوم بدر وأذله وعيره بكلمته ونزل فيه ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ وأخرج ابن جرير عن قتادة نحوه.



سورة الدخان

[مكية إلا آية ١٥ وآياتها ٥٦ أو ٥٧ أو ٥٩]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿حمٓ ١﴾ الله أعلم بمراده به.

٢- ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلۡمُبِينِ ٢﴾ المظهر الحلال من الحرام.

٣- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ هي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان[1]، نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣﴾ مخوِّفين به.

٤- ﴿فِيهَا﴾ أي في ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان ﴿يُفۡرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ محكم من الأرزاق والآجال وغيرهما التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة.

٥- ﴿أَمۡرٗا﴾ فرقا ﴿مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥﴾ الرسل: محمدا ﷺ ومَن قبله.

٦- ﴿رَحۡمَةٗ﴾ رأفة بالمرسل إليهم ﴿مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٦﴾ بأفعالهم.

٧- ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾ برفع «ربُّ» خبر ثالث، وبجره بدل من «ربِّك» ﴿إِن كُنتُم﴾ يا أهل مكة ﴿مُّوقِنِينَ ٧﴾ بأنه تعالى ربّ السموات والأرض فأيقنوا بأن محمدا ﷺ رسوله.

٨- ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨﴾.

٩- ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ﴾ من البعث ﴿يَلۡعَبُونَ ٩﴾ استهزاء بك يا محمد ﷺ، فقال: «اللهم أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف».

١٠- قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ لهم ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ فأجدبت الأرض واشتدّ بهم الجوع إلى أن رأوا من شدّته كهيئة الدخان بين السماء والأرض.

١١- ﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ﴾ فقالوا ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١﴾.

١٢- ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢﴾ مصدِّقون نبيَّك.

١٣- قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ أي لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب ﴿وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣﴾ بيِّن الرسالة.

١٤- ﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ﴾ أي يعلمه القرآن بشر ﴿مَّجۡنُونٌ ١٤﴾.

١٥- ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي الجوع عنكم زمنا ﴿قَلِيلًاۚ﴾ فكشف عنهم ﴿إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥﴾ إلى كفركم فعادوا إليه. ١٦- اذكر ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾ منهم، والبطش: الأخذ بقوّة. ١٧- ﴿۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا﴾ بلونا ﴿قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ﴾ معه ﴿وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ﴾ هو موسى عليه السلام ﴿كَرِيمٌ ١٧﴾ على الله تعالى.

١٨- ﴿أَنۡ﴾ أي بأن ﴿أَدُّوٓاْ إِلَيَّ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان: أي أظهروا إيمانكم بالطاعة لي يا ﴿عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٨﴾ على ما أرسلت به.

---

(١) قلت: الجمهور على أنها ليلة القدر.

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ
﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا
نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ
﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

١٩- ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا﴾ تتجبروا ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿مُّبِينٍ ﴿١٩﴾﴾ بيِّن على رسالتي فتوعَّدوه بالرجم.

٢٠- فقال: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾ بالحجارة.

٢١- ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾ تصدقوني ﴿فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ فاتركوا أذاي فلم يتركوه.

٢٢- ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ﴾ أي بأن ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ مشركون.

٢٣- فقال تعالى: ﴿فَأَسْرِ﴾ بقطع الهمزة ووصلها ﴿بِعِبَادِي﴾ بني إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يتبعكم فرعون وقومه.

٢٤- ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ﴾ إذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾ ساكنا منفرجا حتى يدخله القبط ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ فاطمأن بذلك فأغرقوا.

٢٥- ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ تجري.

٢٦- ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ مجلس حسن.

٢٧- ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ متعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ ناعمين.

٢٨- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ أي الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي أموالهم ﴿قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ أي بني إسرائيل.

٢٩- ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ مؤخرين للتوبة.

٣٠- ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء.

٣١- ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ قيل بدل من العذاب بتقدير مضاف أي عذاب وقيل حال من العذاب ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

٣٢- ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أي عالمي زمانهم أي العقلاء.

٣٣- ﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ نعمة ظاهرة من فلق البحر والمن والسلوى وغيرها.

٣٤- ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

٣٥- ﴿إِنْ هِيَ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ أي وهم نطف ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾ بمبعوثين أحياء بعد الثانية.

٣٦- ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾ أحياء ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أنا نبعث بعد موتنا أي نحيا.

٣٧- قال تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو نبي أو رجل صالح ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بكفرهم والمعنى ليسوا أقوى منهم وأهلكوا. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ .

٣٨- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ بخلق ذلك حال.

٣٩- ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي محقين في ذلك ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

٤٠- ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ للعذاب الدائم.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٤٢) إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ (٤٣)
طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ (٤٤) كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ
ٱلْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ
صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
(٥٠) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ
(٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٥٣)
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ
إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا
مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ (٥٩)

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

٤١- ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾ بقرابة أو صداقة أي لا يدفع عنه ﴿شَيْـًٔا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١)﴾ يمنعون منه و «يوم» بدل من «يوم الفصل».

٤٢- ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ وهم المؤمنون فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿ٱلرَّحِيمُ (٤٢)﴾ بالمؤمنين.

٤٣- ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ (٤٣)﴾ هي من أخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم.

٤٤- ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ (٤٤)﴾ أبي جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير.

٤٥- ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ أي كدردي الزيت الأسـود خبر ثان ﴿تَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ (٤٥)﴾ بالفوقانية خبر ثالث وبالتحتانية حال من المهل.

٤٦- ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ (٤٦)﴾ الماء الشديدة الحرارة.

٤٧- ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية خذوا الأثيم ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ بكسر التاء وضمها جروه بغلظة وشدة ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ (٤٧)﴾ وسط النار.

٤٨- ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ (٤٨)﴾ أي من الحميم الذي لا يفارقه العذاب فهو أبلغ مما في آية: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ (١٩)﴾.

٤٩- ويقال له ﴿ذُقْ﴾ أي العذاب. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ (٤٩)﴾ بزعمك وقولك ما بين جبليها أعز وأكرم مني. ٥٠- ويقال لهم ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ترون من العذاب ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ (٥٠)﴾ فيه تشكون.

٥١- ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ مجلس ﴿أَمِينٍ (٥١)﴾ يؤمن فيه الخوف.

٥٢- ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ (٥٢)﴾.

٥٣- ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي ما رق من الديباج وما غلظ منه ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ (٥٣)﴾ حال أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم.

٥٤- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يقدر قبله الأمر ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ من التزويج أو قرناهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ (٥٤)﴾ بنساء بيض واسعات الأعين حسانها. ٥٥- ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي الجنة أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ منها ﴿ءَامِنِينَ (٥٥)﴾ من انقطاعها ومضرها ومن كل مخوف حال.

٥٦- ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي التي في الدنيا بعد حياتهم فيها قال بعضهم إلا بمعنى بعد ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (٥٦)﴾.

٥٧- ﴿فَضْلًا﴾ مصدر بمعنى تفضلاً منصوب بتفضل مقدرا ﴿مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٥٧)﴾.

٥٨- ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨)﴾ يتعظون فيؤمنون لكنهم لا يؤمنون.

٥٩- ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ (٥٩)﴾ هلاكك وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ
اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

سورة الجاثية

[مكية إلا الآية ١٣ فمدنية وآياتها ٣٦ أو ٣٧]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.
٢- ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن: مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾
في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.
٣- ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي في خلقهما ﴿لَآيَاتٍ﴾
دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته تعالى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾
٤- ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ أي في خلق كل منكم من نطفة ثم
علقة ثم مضغة إلى أن صار إنسانا ﴿وَ﴾ خلق ﴿مَا يَبُثُّ﴾
يفرق في الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض
من الناس وغيرهم ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.
٥- ﴿وَ﴾ في ﴿اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذهابهما ومجيئهما
﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ﴾ مطر لأنه سبب الرزق
﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ تقليبها مرة
جنوبا ومرة شمالاً، وباردة وحارّة ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدليل فيؤمنون. ٦- ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورة
﴿آيَاتُ اللَّهِ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿نَتْلُوهَا﴾ نقصُّها ﴿عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ «نتلو» ﴿فَبِأَيِّ
حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أي حديثه وهو القرآن ﴿وَآيَاتِهِ﴾ حججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي كفار مكة أي لا يؤمنون.
وفي قراءة بالتاء. ٧- ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذّاب ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم.
٨- ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿كَأَن
لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم. ٩- ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي القرآن ﴿شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ أي
مهزوءا بها ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة. ١٠- ﴿مِّن وَرَائِهِمْ﴾ أي أمامهم
لأنهم في الدنيا ﴿جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا﴾ من المال والفعال ﴿شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي
الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. ١١- ﴿هَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ حظ ﴿مِّن رِّجْزٍ﴾ أي عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ موجع. ١٢- ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ
لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ السفن ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾. ١٣- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من
دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها: أي خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد ﴿مِّنْهُ﴾ حال: أي سخرها
كائنة منه تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فيؤمنون.

(سورة الجاثية)

■ أسباب نزول الآية ٢٣ - أخرج ابن المنذر وابن جرير عن سعيد بن جبير قال: كانت قريش تعبد الحجر حينًا من
الدهر. فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر، فأنزل الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾
الآية.

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢)

١٤- ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ﴾ يخافون ﴿ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ وقائعه: أي اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿ لِيَجْزِىَ ﴾ أي الله. وفي قراءة بالنون ﴿ قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (١٤) ﴾ من الغفر للكفار أذاهم.

١٥- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ عمل ﴿ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ أساء ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥) ﴾ تصيرون فيجازي المصلح والمسيء.

١٦- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة ﴿ وَٱلْحُكْمَ ﴾ به بين الناس ﴿ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ لموسى وهرون منهم ﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ الحلالات كالمنّ والسلوى ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦) ﴾ عالمي زمانهم العقلاء.

١٧- ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ أمر الدين من الحلال والحرام وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ ﴾ في بعثته ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ أي لبغي حدث بينهم حسدا له ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ﴾.

١٨- ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ ﴾ طريقة ﴿ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ أمر الدين ﴿ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) ﴾ في عبادة غير الله.

١٩- ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ ﴾ يدفعوا ﴿ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ من عذابه ﴿ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الكافرين ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ (١٩) ﴾ المؤمنين.

٢٠- ﴿ هَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ ﴾ معالم يتبصرون بها في الأحكام والحدود ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) ﴾ بالبعث.

٢١- ﴿ أَمْ ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ﴾ اكتسبوا ﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الكفر والمعاصي ﴿ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً ﴾ خبر ﴿ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ مبتدأ ومعطوف، والجملة بدل من الكاف، والضميران للكفار. المعنى: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين: أي في رغد من العيش مُساوٍ لعيشهم في الدنيا حيث قالوا للمؤمنين: لئن بعثنا لنعطى من الخير مثل ما تعطون. قال تعالى - علىٰ وفق إنكاره بالهمزة - ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) ﴾ أي ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب على خلاف عيشهم في الدنيا. والمؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحات في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك. و «ما» مصدرية: أي بئس حكما حكمهم هذا.

٢٢- ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ ﴾ خلق ﴿ ٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ متعلق بـ «خلق» ليدلّ على قدرته ووحدانيته ﴿ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ من المعاصي والطاعات فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢) ﴾ .

■ أسباب نزول الآية ٢٤- وأخرج عن أبي هريرة قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، فأنزل الله ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾.

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

٢٣- ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منه تعالى: أي عالما بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ فلم يسمع الهدى ولم يعقله ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً﴾ ظلمة فلم يبصر الهدى، ويقدر هنا المفعول الثاني لرأيت: أيهتدي ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي بعد إضلاله إياه: أي لا يهتدي ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ تتعظون، فيه إدغام إحدى التاءين في الذال. ٢٤- ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي منكرو البعث ﴿مَا هِىَ﴾ أي الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ التي في ﴿ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي يموت بعض ويحيا بعض بأن يولدوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي مرور الزمان. قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾. ٢٥- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾ من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾ واضحات حال ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أحياء ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أنا نبعث. ٢٦- ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ حين كنتم نطفا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ أحياء ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم القائلون ما ذكر ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾. ٢٧- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يبدل منه ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الكافرون: أي يظهر خسرانهم بأن يصيروا إلى النار. ٢٨- ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾ أي أهل دين ﴿جَاثِيَةً﴾ على الركب أو مجتمعة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا﴾ كتاب أعمالها، ويقال لهم ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي جزاءه. ٢٩- ﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا﴾ ديوان الحفظة ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نثبت ونحفظ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾. ٣٠- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ جنته ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ البين الظاهر. ٣١- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فيقال لهم ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى﴾ القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ كافرين. ٣٢- ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لكم أيها الكفار ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ﴾ بالرفع والنصب ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن﴾ ما ﴿نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ قال المبرد، أصله: إن نحن إلا نظنّ ظنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أنها آتية.

(سورة الأحقاف)

▣ أسباب نزول الآية ١٠ - أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي قال: انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه، فسكتوا فما أجابه منهم أحد، ثم انصرف فإذا رجلٌ من خلفه فقال: كما أنت يا محمد، فأقبل فقال: أي رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك قبلك ولا من جدك قبل أبيك قال: فإني أشهد أنه النبي الذي تجدون في التوراة قالوا: كذبت ثم ردوا عليه وقالوا فيه شرًا، فأنزل الله ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ الآية، وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال: في عبد الله بن سلام نزلت ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن سلام قال: في نزلت.

▣ أسباب نزول الآية ١١ - وأخرج أيضًا عن قتادة: قال ناس من المشركين: نحن أعز ونحن ونحن فلو كان خيرًا ما

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾

٥٠٢

٣٣- ﴿وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ في الدنيا: أي جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي العذاب. ٣٤- ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ نترككم في النار ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي تركتم العمل للقائه ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ مانعين منه. ٣٥- ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى قلتم لا بعث ولا حساب ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة، لأنها لا تنفع يومئذ. ٣٦- ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ الوصف بالجميل على وفاء وعده في المكذبين ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ خالق ما ذكر، والعالم: ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، و «رب» بدل.

٣٧- ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ العظمة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حال: أي كائنة فيهما ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ تقدم.

سورة الأحقاف

[مكية إلا الآيات ١٠ و١٥ و٣٥ فمدنية وآيتها ٣٤ أو ٣٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ الله أعلم بمراده به. ٢- ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن: مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ في صنعه. ٣- ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا﴾ خلقا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فنائهما يوم القيامة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ خوفوا به من العذاب ﴿مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾. ٤- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام مفعول أول ﴿أَرُونِى﴾ أخبروني ما تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟﴾ مفعول ثان ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بيان «ما» ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشاركة ﴿فِى﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مع الله. و «أم» بمعنى همزة الإنكار ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ﴾ منزل ﴿مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ﴾ بقية ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها تقربكم إلى الله ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ في دعواكم. ٥- ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي: أي لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهم الأصنام: لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبدا ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

سبقنا إليه فلان وفلان، فنزل ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وأخرج ابن المنذر عن عون بن أبي شداد قال: كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله يقال لها — زنين — فكان عمر يضربها على إسلامها حتى يفتر، وكان كفار قريش يقولون: لو كان خيرًا ما سبقتنا إليه زنين، فأنزل الله في شأنها ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ الآية. وأخرج ابن سعد نحوه عن الضحاك والحسن.

■ أسباب نزول الآية ١٧ — وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: نزلت هذه الآية ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ في عبد الرحمن بن أبي بكر قال لأبويه وكانا قد أسلما وأبى هو أن يُسلم فكانا يأمرانه بالإسلام فيرد عليهما ويكذبهما

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ
وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ
فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا
ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

٦- ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟﴾ أي الأصنام ﴿لَهُمْ﴾ لعابديهم ﴿أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ بعبادة عابديهم ﴿كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ جاحدين. ٧- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي أهل مكة ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات: حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ منهم ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ بيِّن ظاهر. ٨- ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل وهمزة الإنكار ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي القرآن ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ فرضاً ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿شَيْـًٔا﴾ أي لا تقدرون على دفعه عني إذا عذبني الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تقولون في القرآن ﴿كَفَىٰ بِهِۦ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ تعالى لمن تاب ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ لمن تاب بهم فلم يعاجلهم العقوبة.

٩- ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا﴾ بديعا ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي أوّل مرسل قد سبق قبلي كثير منهم فكيف تكذبوني؟ ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ في الدنيا: أأخرج من بلدي، أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي، أو ترجموني بالحجارة، أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم؟ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي القرآن، ولا أبتدع من عندي شيئا ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ بيِّن الإنذار. ١٠- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ماذا حالكم ﴿إِن كَانَ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ جملة حالية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي عليه أنه من عند الله ﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشاهد ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإيمان. وجواب الشرط بما عطف عليه: ألستم ظالمين؟ دل عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

١١- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي في حقهم ﴿لَوْ كَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟﴾ أي القائلون ﴿بِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ﴾ أي القرآن ﴿إِفْكٌ﴾ كذب ﴿قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

١٢- ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين به: حالان ﴿وَهَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ للكتاب قبله ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من الضمير في «مصدّق» ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ مشركي مكة ﴿وَ﴾ هو ﴿بُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ المؤمنين.

١٣- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾.

١٤- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿جَزَآءًۢ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدّر: أي يجزون ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

ويقول: فأين فلان، وأين فلان، يعني مشايخ قريش ممن قد مات، ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ الآية. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله. لكن أخرج البخاري من طريق يوسف بن ماهان قال: قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر: إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري. وأخرج عبد الرزاق من طريق مكي، أنه سمع عائشة تنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر وقالت: إنما نزلت في فلان وسمت رجلاً، قال الحافظ ابن حجر: ونفي عائشة أصح إسناداً وأولى بالقبول.

■ أسباب نزول الآية ٢٩- وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: إن الجن هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن

سورة الأحقاف

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ
عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى
ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ
لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن
قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ
فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ
بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

٥٠٤

١٥- ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ وفي قراءة ﴿إِحْسَٰنًا﴾ أي أمرناه أن يحسن إليهما، فنصب إحسانا على المصدر بفعله المقدّر، ومثله «حسنا» ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي على مشقة ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ من الرضاع ﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ ستة أشهر أقل مدّة الحمل، والباقي أكثر مدّة الرضاع. وقيل: إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لجملة مقدّرة: أي وعاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ هو كمال قوّته وعقله ورأيه: أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي تمامها وهو أكثر الأشدّ ﴿قَالَ رَبِّ﴾ الخ نزل في أبي بكر الصديق لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ آمن ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ وهي التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ فكلهم مؤمنون ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

١٦- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي قائلو هذا القول أبو بكر وغيره ﴿ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى حسن ﴿مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ حال: أي كائنين في جملتهم ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ . ١٧- ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ وفي قراءة بالإدغام أريد به الجنس ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر: أي نتنا وقبحا ﴿لَّكُمَآ﴾ أتضجّر منكما ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ﴾ وفي قراءة بالإدغام ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ من القبر ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ﴾ الأمم ﴿مِن قَبْلِى﴾ ولم تخرج من القبور ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يسألانه الغوث برجوعه ويقولان إن لم ترجع ﴿وَيْلَكَ﴾ أي هلاكك بمعنى هلكت ﴿ءَامِنْ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾ أي القول بالبعث ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ أكاذيبهم. ١٨- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾. ١٩- ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي المؤمنون من الطاعات والكافرون من المعاصي ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ أي الله. وفي قراءة بالنون ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي جزاءها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ شيئا ينقص للمؤمنين ويزاد للكفار. ٢٠- ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ بأن تكشف لهم، يقال لهم ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمـــزة، وبهمزتين، وبهمزة ومدّة، وبهما وتسهيل الثانيـــة ﴿طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ تمتعتم ﴿بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتكبرون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ به وتعذبون بها.

ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، وكانوا تسعة أحدهم زوبعة، فأنزل الله ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ إلى قوله: ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾.

(سورة القتال أو محمد)

■ أسباب نزول الآية ١: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾﴾ قال: هم أهل مكة نزلت فيهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال: هم الأنصار.

وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ
مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣)
فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا
بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ
شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٦) وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
(٢٧) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨)

٢١- ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود عليه السلام ﴿إِذْ﴾ الخ: بدل اشتمال ﴿أَنذَرَ قَوْمَهُ﴾ خوفهم ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ واد باليمن به منازلهم ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ مضت الرسل ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي من قبل هود ومن بعده إلى أقوامهم ﴿أَ﴾ ن أي بأن قال: ﴿لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وجملة ﴿وَقَدْ خَلَتِ﴾ معترضة ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غير الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١)﴾

٢٢- ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ لتصرفنا عن عبادتها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب على عبادتها ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢)﴾ في أنه يأتينا.

٢٣- ﴿قَالَ﴾ هود ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾ هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ إليكم ﴿وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣)﴾ باستعجالكم العذاب.

٢٤- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي ما هو العذاب ﴿عَارِضًا﴾ سحابا عرض في أفق السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي ممطر إيانا. قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ بدل من «ما» ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤)﴾ مؤلم.

٢٥- ﴿تُدَمِّرُ﴾ تهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مرت عليه ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ بإرادته أي كل شيء أراد إهلاكه بها فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥)﴾ غيرهم.

٢٦- ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا﴾ في الذي ﴿إِن﴾ نافية أو زائدة ﴿مَّكَّنَّاكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿فِيهِ﴾ من القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ بمعنى أسماعا ﴿وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ قلوبا ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾ أي شيئا من الإغناء و«من» زائدة ﴿إِذْ﴾ معمولة لـ «أغنى» وأشربت معنى التعليل ﴿كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بحججه البينة ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٦)﴾ أي العذاب.

٢٧- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ﴾ أي من أهلها كثمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ كررنا الحجج البينات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧)﴾. ٢٨- ﴿فَلَوْلَا﴾ هلا ﴿نَصَرَهُمُ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿قُرْبَانًا﴾ متقربا بهم إلى الله ﴿آلِهَةً﴾ معه وهم الأصنام ومفعول «اتخذ» الأول ضمير محذوف يعود على الموصول أي هم و «قربانا» الثاني و «آلهة» بدل منه ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي اتخاذهم الأصنام آلهة قربانا ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨)﴾ يكذبون و «ما» مصدرية أو موصولة والعائد محذوف: أي فيه.

■ أسباب نزول الآية ٤- وأخرج عن قتادة في قوله ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد ورسول الله ﷺ في الشعب وقد نشبت فيهم الجراحات والقتل وقد نادى المشركون يومئذ: أعل هبل، ونادى المسلمون: الله أعلى وأجل، فقال المشركون: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم.

■ أسباب نزول الآية ١٣- وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس قال: لما خرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار نظر إلى مكة

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ
﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ
فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ
إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ
أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

٥٠٦

٢٩- ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذْ صَرَفْنَآ ﴾ أملنا ﴿ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ جن نصيبين باليمن، أو جن نينوى، وكانوا سبعة أو تسعة، وكان ﷺ ببطن نخل يصلي بأصحابه الفجر(1) رواه الشيخان ﴿ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿ أَنصِتُواْ ﴾ أصغوا لاستماعه ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ ﴾ فرغ من قراءته ﴿ وَلَّوْاْ ﴾ رجعوا ﴿ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ مخوّفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا وكانوا يهودا وقد أسلموا.

٣٠- ﴿ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا ﴾ هو القرآن ﴿ أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي تقدمه كالتوراة ﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾ الإسلام ﴿ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي طريقه.

٣١- ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ محمدا ﷺ إلى الإيمان ﴿ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ ﴾ الله ﴿ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ أي بعضها لأن منها المظالم ولا تغفر إلا برضا أصحابها ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ مؤلم. ٣٢- ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته ﴿ وَلَيْسَ لَهُۥ ﴾ لمن لا يجب ﴿ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ أي الله ﴿ أَوْلِيَآءُ ﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين لم يجيبوا ﴿ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ بيّن ظاهر. ٣٣- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ يعلموا أي منكرو البعث ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ﴾ لم يعجز عنه ﴿ بِقَٰدِرٍ ﴾ خبر «أنّ» وزيدت الباء فيه لأن الكلام في قوة: أليس الله بقادر؟ ﴿ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ ﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٣٤- ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ بأن يعذبوا بها يقال لهم ﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا ﴾ التعذيب ﴿ بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾. ٣٥- ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ على أذى قومك ﴿ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ ﴾ ذوو الصبر والثبات على الشدائد ﴿ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ قبلك فتكون ذا عزم و «من» للبيان فكلهم ذوو عزم وقيل للتبعيض فليس منهم آدم لقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ ولا يونس لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ ﴿ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ لقومك نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم فأحب نزول العذاب بهم فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب فإنه نازل بهم لا محالة ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ ﴾ من العذاب في الآخرة لطوله ﴿ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ ﴾ في الدنيا في ظنهم ﴿ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾ هذا القرآن ﴿ بَلَٰغٌ ﴾ تبليغ من الله إليكم ﴿ فَهَلْ ﴾ أي لا ﴿ يُهْلَكُ ﴾ عند رؤية العذاب ﴿ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي الكافرون؟

فقال: أنت أحب بلاد الله إليّ ولولا أن أهلك أخرجوني منك لم أخرج منك، فأنزل الله ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ١٦** - وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي ﷺ فيستمع المؤمنون منهم ما يقول ويعونه، ويسمعه المنافقون فلا يعونه فإذا خرجوا سألوا المؤمنين: ماذا قال آنفا، فنزلت ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٣٣** - وأخرج ابن أبي حاتم ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبي العالية قال: كان أصحاب

---

(١) **[صحيح]**: أخرجه البخاري في (الأذان/٧٧٣/فتح)، مسلم في (الصلاة/٤٤٩/عبد الباقي).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

٥٠٧

سورة القتال أو محمد

[مدنية إلا الآية ١٣ أو مكية وآياتها ٣٨ أو ٣٩]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿وَصَدُّوا﴾ غيرهم ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي الإيمان ﴿أَضَلَّ﴾ أحبط ﴿أَعْمَالَهُمْ ①﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام فلا يرون لها في الآخرة ثوابا ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى. ٢ - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي الأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ أي القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ﴾ غفر لهم ﴿سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ②﴾ أي حالهم فلا يعصونه. ٣ - ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إضلال الأعمال وتكفير السيئات ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ الشيطان ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ القرآن ﴿مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك البيان ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ③﴾ يبين أحوالهم أي فالكافر يحبط عمله والمؤمن من يغفر زلله. ٤ - ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله. أي فاضربوا رقابهم: أي اقتلوهم وعبر بـ «ضرب الرقاب» لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَشُدُّوا﴾ أي فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا ﴿الْوَثَاقَ﴾ ما يوثق به الأسرى ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله أي تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾ أي تفادوهم بمال أو أسرى مسلمين ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ﴾ أي أهلها ﴿أَوْزَارَهَا﴾ أثقالها من السلاح وغيره بأن يسلم الكفار أو يدخلوا في العهد، وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر: أي الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ بغير قتال ﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم به ﴿لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ منهم في القتال، فيصير من قتل منكم إلى الجنة، ومنهم إلى النار ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ وفي قراءة «قاتلوا»، الآية، نزلت يوم أحد وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾ يحبط ﴿أَعْمَالَهُمْ ④﴾. ٥ - ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ⑤﴾ حالهم فيهما وما في الدنيا لمن لم يقتل وأدرجوا في «قتلوا» تغليبا. ٦ - ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا﴾ بينها ﴿لَهُمْ ⑥﴾ فيهتدون إلى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال. ٧ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ أي دينه ورسوله ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ⑦﴾ يثبتكم في المعترك. ٨ - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة. مبتدأ، خبره تعسوا يدل عليه ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ أي: هلاكا وخيبة من الله ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ⑧﴾ عطف على: «تعسوا». ٩ - ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي التعس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ⑨﴾. ١٠ - ﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ⑩﴾ أي: أمثال عاقبة من قبلهم. ١١ - ﴿ذَٰلِكَ﴾ نصر المؤمنين وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى﴾ ولي وناصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ⑪﴾.

رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ㉝﴾ فخافوا أن يبطل الذنب العمل.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾

١٢- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ أي ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ أي مَنزل ومقام ومصير. ١٣- ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أريد بها أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ﴾ قوة أهل مكة ﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ روعي لفظ «قرية» ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ روعي معنى «قرية» ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ من إهلاكنا. ١٤- ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ حجة وبرهان ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهم المؤمنون ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ فرآه حسنا وهم كفار مكة ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ في عبادة الأوثان أي لا مماثلة بينهما. ١٥- ﴿مَّثَلُ﴾ أي صفة ﴿ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ المشتركة بين داخليها، مبتدأ خبره ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ بالمدّ والقصر كضارب وحَذر، أي غير متغير، بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾ بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ﴾ لذيذة ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى﴾ بخلاف عسل الدنيا فإنه بخروجه من بطون النحل يخالط الشمع وغيره ﴿وَلَهُمۡ فِيهَا﴾ أصناف ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ فهو راض عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر، بخلاف سيد العبيد في الدنيا، فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطا عليهم ﴿كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ﴾ خبر مبتدأ مقدّر، أي: أمّن هو في هذا النعيم ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا﴾ أي شديد الحرارة ﴿فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ أي مصارينهم فخرجت من أدبارهم وهو جمع معيً بالقصر، وألفه عن ياء، لقولهم: معيان. ١٦- ﴿وَمِنۡهُم﴾ أي الكفار ﴿مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ﴾ في خطبة الجمعة وهم المنافقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ لعلماء الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ بالمدّ والقصر: أي الساعة: أي لا نرجع إليه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ بالكفر ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ في النفاق. ١٧- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمۡ﴾ الله ﴿هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ ألهمهم ما يتقون به النار. ١٨- ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون: أي كفار مكة ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم﴾ بدل اشتمال من الساعة: أي ليس الأمر إلا أن تأتيهم ﴿بَغۡتَةٗ﴾ فجأة ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا﴾ علاماتها منها: بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ﴾ الساعة ﴿ذِكۡرَىٰهُمۡ﴾ تذكرهم؟ أي لا ينفعهم. ١٩- ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي دم يا محمد على علمك بذلك النافع في القيامة ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ لأجله، قيل له ذلك مع عصمته لتستنّ به أمته وقد فعله، قال ﷺ «إني لأستغفر الله في كل يوم مئة مرة»(١) ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾ متصرفكم لأشغالكم في النهار ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل: أي هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

(سورة الفتح)

■ **أسباب نزول الآية ١-** أخرج الحاكم وغيره عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قال: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها.

---

(١) [صحيح]: أخرجه مسلم في (الذكر/٢٧٠٢/عبد الباقي).

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ
مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ
﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ
فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ
ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ
﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ
وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

٥٠٩

٢٠- ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ طلبا للجهاد ﴿ لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ نُزِّلَتْ سُورَةٌ ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ ﴾ أي لم ينسخ منها شيء ﴿ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ﴾ أي طلبه ﴿ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي شك، وهم المنافقون ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ خوفا منه وكراهة له: أي فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾ مبتدأ خبره.

٢١- ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ أي حسن لك ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي فرض القتال ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ وجملة «لو» جواب «إذا».

٢٢- ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ ﴾ بكسر السين وفتحها، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب: أي لعلكم ﴿ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي تعودوا إلى أمر الجاهلية من البغي والقتال.

٢٣- ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ أي المفسدون ﴿ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ ﴾ عن استماع الحق ﴿ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ عن طريق الهدى. ٢٤- ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ فيعرفون الحق ﴿ أَمْ ﴾ بل ﴿ عَلَىٰ قُلُوبٍ ﴾ لهم ﴿ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ فلا يفهمونه. ٢٥- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ ﴾ بالنفاق ﴿ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ ﴾ أي زيّن ﴿ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ بضم أوّله، وبفتحه واللام والمملي الشيطان بإرادته تعالى، فهو المضل لهم. ٢٦- ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي إضلالهم ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ ﴾ أي للمشركين ﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾ أي المعاونة على عداوة النبي ﷺ وتثبيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سرا فأظهره الله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ بفتح الهمزة جمع سرّ، وبكسرها مصدر. ٢٧- ﴿ فَكَيْفَ ﴾ حالهم ﴿ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ ﴾ حال من الملائكة ﴿ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾ ظهورهم بمقامع من حديد. ٢٨- ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي التوفي على الحالة المذكورة ﴿ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ أي العمل بما يرضيه ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾.
٢٩- ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ يظهر أحقادهم على النبيّ ﷺ والمؤمنين.

■ أسباب نزول الآية ٢ - وأخرج الشيخان والترمذي والحاكم عن أنس قال: أنزلت على النبي ﷺ ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ مرجعه من الحديبية فقال النبي ﷺ: لقد نزلت عليَّ آية أحب إليَّ مما على الأرض ثم قرأها عليهم فقالوا: هنيئًا مريئًا لك يا رسول الله قد بيّن الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ﴾

■ أسباب نزول الآية ١٨ - وأخرج ابن أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع قال: بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: يا أيها الناس البيعة نزل روح القدس، فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه، فأنزل الله ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٢٤ : وأخرج مسلم والترمذي والنسائي عن أنس قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً في السلاح من جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ فأخذوا فأعتقهم فأنزل الله

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى
لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾
۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟
أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟
وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ
وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ
وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ
تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ
لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن
تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

٣٠- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ عرفناكهم، وكرّرت اللام في ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ علامتهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أي معناه إذا تكلموا عندك بأن يعرّضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾.

٣١- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ نختبركم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الجهاد وغيره ﴿وَنَبْلُوَا۟﴾ نظهر ﴿أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره بالياء والنون في الأفعال الثلاثة.

٣٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريق الحق ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ خالفوه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ هو معنى سبيل الله ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾ يبطلها من صدقة ونحوها فلا يرون لها في الآخرة ثوابا: نزلت في المطعمين من أصحاب بدر، أو في قريظة والنضير.

٣٣- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ بالمعاصي مثلاً. ٣٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريقه وهو الهدى ﴿ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ نزلت في أصحاب القليب. ٣٥- ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ تضعفوا ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ بفتح السين وكسرها: أي الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ حذف منه واو لام الفعل: الأغلبون القاهرون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ ينقصكم ﴿أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ أي ثوابها. ٣٦- ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي الاشتغال فيها ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ الله وذلك من أمور الآخرة ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ جميعها، بل الزكاة المفروضة فيها.

٣٧- ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ يبالغ في طلبها ﴿تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ﴾ البخل ﴿أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ لدين الإسلام. ٣٨- ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ما فرض عليكم ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ﴾ يقال بخل عليه وعنه ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن نفقتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ﴾ إليه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي يجعلهم بدلكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ في التولي عن طاعته، بل مطيعين له عز وجل.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ الآية، وأخرج مسلم نحوه من حديث سلمة بن الأكوع، وأحمد والنسائي نحوه من حديث عبد الله بن مغفل المزني وابن إسحاق نحوه من حديث ابن عباس.

■ أسباب نزول الآية ٢٥- وأخرج الطبراني وأبو يعلى عن أبي جمعة جنيد بن سبع قال: قاتلت النبي ﷺ أول النهار كافرًا وقاتلت معه آخر النهار مسلمًا وكنا ثلاثة رجال وسبع نسوة وفينا نزلت ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٢٧- وأخرج الفريابي وعبد بن حميد والبيهقي في الدلائل عن مجاهد قال: أري النبي ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين فلما نحر الهدي بالحديبية قال أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ فنزلت ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾ الآية.

سُورَةُ الفَتْح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ
الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَٰتِ الظَّآنِّينَ
بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

سورة الفتح

[مدنية نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية وآياتها ٢٩]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴾ قضينا بفتح مكة وغيرها في المستقبل عنوة بجهادك ﴿ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾ بيّنا ظاهرا.
٢- ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ بجهادك ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ منه لترغب أمّتك في الجهاد وهو مؤوّل لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بالدليل العقلي القاطع، من الذنوب، واللام للعلة الغائية فمدخولها مسبب لا سبب ﴿ وَيُتِمَّ ﴾ بالفتح المذكور ﴿ نِعْمَتَهُۥ ﴾ إنعامه ﴿ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ ﴾ به ﴿ صِرَٰطًا ﴾ طريقا ﴿ مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾ يثبتك عليه وهو دين الإسلام. ٣- ﴿ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ ﴾ به ﴿ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ ذا عزّ لا ذلّ له. ٤- ﴿ هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ الطمأنينة ﴿ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ ﴾ بشرائع الدين كلما نزل واحدة منها آمنوا بها ومنها الجهاد ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ في صنعه: أي لم يزل متصفا بذلك. ٥- ﴿ لِّيُدْخِلَ ﴾ متعلق بمحذوف: أي أمر بالجهاد ﴿ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ﴾
٦- ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَٰتِ الظَّآنِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ بفتح السين وضمها في المواقع الثلاثة: ظنوا أنه لا ينصر محمدا ﷺ والمؤمنين ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ ﴾ بالذل والعذاب ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ﴾ أبعدهم ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ مرجعا.
٧- ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ﴾ في ملكه ﴿ حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾ في صنعه: أي لم يزل متصفا بذلك. ٨- ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾ على أمّتك في القيامة ﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾ لهم في الدنيا بالجنة ﴿ وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ منذرا مخوّفا فيها من عمل سوءا بالنار. ٩- ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ ينصروه. وقرئ بزايين مع الفوقانية ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ يعظموه وضميرهما لله أو لرسوله ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ أي الله ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ بالغداة والعشيّ.

(سورة الحجرات)

■ أسباب نزول الآية ١ - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ ﴾ الآيتين، أخرج البخاري وغيره من طريق ابن جريج عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبره أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ ﴾ وأخرج ابن المنذر عن الحسن: أن أناسًا ذبحوا قبل رسول الله ﷺ يوم النحر فأمرهم أن يعيدوا ذبحًا، فأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ . وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الأضاحي بلفظ: ذبح رجل قبل الصلاة فنزلت، وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة: أن ناسًا

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

١٠ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بيعة الرضوان بالحديبية ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ هو نحو «مَنْ يُطع الرسول فقد أطاع الله» ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ التي بايعوا بها النبي، أي هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها[1] ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ نقض البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾ يرجع وبال نقضه ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ﴾ بالياء والنون ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾. ١١ - ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة أي الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفا من تعرّض قريش لك عام الحديبية إذا رجعت منها ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله من ترك الخروج معك. قال تعالى مكذبا لهم ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾ أي من طلب الاستغفار وما قبله ﴿مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قُلْ فَمَن﴾ استفهام بمعنى النفي أي لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ بفتح الضاد وضمها ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾﴾ أي لم يزل متصفا بذلك.

١٢ - ﴿بَلْ﴾ في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر ﴿ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي أنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ هذا وغيره ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ جمع بائر: أي هالكين عند الله بهذا الظنّ.

١٣ - ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ نارا شديدة.

١٤ - ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ أي لم يزل متصفا بما ذكر.

١٥ - ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ هي مغانم خيبر ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنأخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ وفي قراءة «كَلِمَ الله» بكسر اللام أي مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل عودنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ﴾ أي نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ منهم.

كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبي ﷺ، فأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾. وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أن ناسًا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا، فأنزل الله ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

■ أسباب نزول الآية ٢: وأخرج عنه قال: كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون أصواهم فأنزل الله ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ الآية.

■ أسباب نزول الآية ٣: وأخرج أيضًا عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي بن العجلان فقال: ما

(١) قلت: نفي المصنف بهذا التفسير صفة اليد وصفة العلو، وأهل السنة على إثبات اليد والعلو لله ﷻ وكما ذكرت من قبل أنه لا يلزم من إثبات الصفات المماثلة فليس كمثله شيء سبحانه وتعالى.

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ
عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ
فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ
ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا
مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

١٦- ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ المذكورين اختبارا ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى﴾ أصحاب ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قيل هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل فارس والروم ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾ حال مقدرة هي المدعو إليها في المعنى ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يُسْلِمُونَ﴾ فلا تقاتلون ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ مؤلما. ١٧- ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في ترك الجهاد ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ بالياء والنون ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ﴾ بالياء والنون ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾.

١٨- ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديبية ﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ هي سمرة، وهم ألف وثلاثمائة أو أكثر، ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشا وأن لا يفرّوا من الموت ﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية. ١٩- ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من خيبر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك. ٢٠- ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ في عيالكم لما خرجتم، وهمت بهم اليهود فقذف الله في قلوبهم الرعب ﴿وَلِتَكُونَ﴾ أي المعجلة عطف على مقدّر: أي لتشكروه ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ أي طريق التوكل عليه وتفويض الأمر إليه تعالى. ٢١- ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ صفة «مغانم» مقدّرا مبتدأ ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ هي من فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾ أي لم يزل متصفا بذلك. ٢٢- ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالحديبية ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾. ٢٣- ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين: أي سنّ الله ذلك سنة ﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ منه.

يبكيك؟ قال: هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في وأنا صيت رفيع الصوت، فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا به فقال: أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة، قال: رضيت ولا أرفع صوتي أبدًا على صوت رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٤** - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ الآيتين أخرج الطبراني وأبو يعلى بسند حسن عن زيد ابن أرقم قال: جاء ناس من العرب إلى حجر النبي ﷺ فجعلوا ينادون: يا محمد يا محمد، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ الآية، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد إن مدحي زين وإن شتمي شين، فقال النبي ﷺ: ذاك هو الله، فنزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ الآية، مرسل له شواهد مرفوعة من حديث البراء وغيره عند الترمذي بدون نزول الآية، وأخرج ابن جرير نحوه عن الحسن، وأخرج

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ
مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ
لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ
لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ
وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾
لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

٢٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالحديبية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فإنّ ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم فأخذوا وأُتي بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى سبيلهم، فكان ذلك سبب الصلح ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ بالياء والتاء أي لم يزل متصفا بذلك.

٢٥- ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي عن الوصول إليه ﴿وَالْهَدْيَ﴾ معطوف على «كُمْ» ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوسا حال ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾ أي تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم في الفتح بدل اشتمال من «هم» ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ أي إثم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منكم به وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور وجواب «لولا» محذوف: أي لأذن لكم في الفتح لكن لم يؤذن فيه حينئذ ﴿لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ كالمؤمنين المذكورين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة حينئذ بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ مؤلما.

٢٦- ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ متعلق «بعذبنا» ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ بدل من الحمية وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلوهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ عطف تفسيري ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ أي لم يزل متصفا بذلك، ومن معلومه تعالى أنهم أهلها.

٢٧- ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت. وقوله «بالحق» متعلق بـ «بصدق» أو حال من «الرؤيا» وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ للتبرك ﴿آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ أي جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها، وهما حالان مقدرتان ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ أبدا ﴿فَعَلِمَ﴾ في الصلح ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الصلاح ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي الدخول ﴿فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل.

٢٨- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ أي دين الحق ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ أنك مرسل بما ذكر. كما قال الله تعالى:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

٢٩- ﴿مُحَمَّدٌ﴾ مبتدأ ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي أصحابه من المؤمنين مبتدأ خبره ﴿أَشِدَّآءُ﴾ غلاظ ﴿عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ خبر ثان، أي متعاطفون متوادّون كالوالد مع الولد ﴿تَرَىٰهُمْ﴾ تبصرهم ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ حالان ﴿يَبْتَغُونَ﴾ مستأنف يطلبون ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم مبتدأ ﴿فِى وُجُوهِهِم﴾ خبره، وهو نور وبياض يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر، أي كائنة. وأعرب حالاً من ضميره المنتقل إلى الخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم مبتدأ ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ خبره ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ مبتدأ خبره ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ بسكون الطاء وفتحها فراخه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بالمد والقصر وأعانه ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ غلظ ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ قوي واستقام ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ أصوله جمع ساق ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أي زراعه لحسنه مثل الصحابة ﷺ بذلك لأنهم بدأوا في قلة وضعف فكثروا وقووا على أحسن الوجوه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله أي شبهوا بذلك ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ الصحابة ومن لبيان الجنس لا للتبعيض لأنهم كلهم بالصفة المذكورة ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ الجنة وهما لمن بعدهم أيضاً في آيات .

سورة الحجرات [مدنية وآياتها ١٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟﴾ من قدم بمعنى تقدم: أي لا تقدموا بقول ولا فعل ﴿بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ المبلغ عنه أي بغير إذنهما ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ بفعلكم نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ. ٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ إذا نطقتم ﴿فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ إذا نطق ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ إذا ناجيتموه ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بل دون ذلك إجلالاً له ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ أي خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين. ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم: ٣- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ﴾ اختبر ﴿ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي لتظهر منهم ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾ الجنة. ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة والنبي ﷺ في منزله فنادوه: ٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ حجرات نسائه ﷺ، جمع حجرة وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه، وكان كل واحد منهم نادى خلف حجرة لأنهم لم يعلموه في أي حجرة: مناداة الأعراب بغلظة وجفاء ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ فيما فعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم.

أحمد بسند صحيح عن الأقرع بن حابس أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فلم يجبه فقال: يا محمد إن حمدي لزين وإن ذمي لشين، فقال: ذلكم الله. وأخرج ابن جرير وغيره عن الأقرع أيضًا أنه أتى النبي ﷺ فقال: يامحمد أخرج إلينا فنزلت:

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ٥ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟
أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ٦
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ
ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٨ وَإِن طَآئِفَتَانِ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا
عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ
فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٠ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ
عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ
ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ١١

٥- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ «أنهم» في محل رفع بالابتداء، وقيل فاعل لفعل مقدر أي ثبت ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥﴾ لمن تاب منهم.

٦- ونزل في الوليد بن عقبة وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مصدقا فخافهم لترة كانت بينه وبينهم في الجاهلية فرجع وقال إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله فهمّ النبي ﷺ بغزوهم فجاؤوا منكرين ما قاله عنهم. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ خبر ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ صدقه من كذبه وفي قراءة «فتثبتوا» من الثبات ﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا﴾ مفعول له أي خشية ذلك ﴿بِجَهَـٰلَةٍ﴾ حال من الفاعل أي جاهلين ﴿فَتُصْبِحُوا۟﴾ تصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾ من الخطأ بالقوم ﴿نَـٰدِمِينَ ٦﴾ وأرسل ﷺ إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالدا فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبي بذلك. ٧- ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ﴾ فلا تقولوا الباطل فإن الله يخبره بالحال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لأثمتم دونه إثم التسبب إلى المرتب ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ﴾ حسّنه ﴿فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حبب إليه الإيمان الخ غايرت صفته صفة من تقدم ذكره ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ الثابتون على دينهم. ٨- ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقـدر أي أفضل ﴿وَنِعْمَةً ۚ﴾ منه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿حَكِيمٌ ٨﴾ في إنعامه عليهم. ٩- ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية: نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حمارا ومرّ على ابن أبيّ، فبال الحمار فسدّ ابن أبيّ أنفه، فقال ابن رواحة: والله لبول حماره أطيب ريحا من مسكك، فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾ جُمع نظرا إلى المعنى لأن كل طائفة جماعة. وقـرئ «اقتتلتا» ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ ثني نظرا إلى اللفـظ ﴿فَإِنۢ بَغَتْ﴾ تعدّت ﴿إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ﴾ ترجع ﴿إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ الحق ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟﴾ أعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٩﴾.

١٠- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ إذا تنازعا وقرئ «إخوتكم» بالفوقانية ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٠﴾. ١١- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ﴾ الآية: نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب. والسخرية: الازدراء والاحتقار ﴿قَوْمٌ﴾ أي رجال منكم ﴿مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ عند الله ﴿وَلَا نِسَآءٌ﴾ منكم ﴿مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ لا تعيبوا فتعابوا: أي لا يعب بعضكم بعضا ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ﴾ لا يدعو بعضكم بعضا بلقب يكرهه ومنه يا فاسق ويا كافر ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ﴾ أي المذكور من السخرية واللمز والتنابز ﴿ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ﴾ بدل من «الاسم» لإفادته أنه فسق لتكرره عادة ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ من ذلك ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ١١﴾ .

■ **أسباب نزول الآية ٦:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ﴾ أخرج أحمد وغيره بسند جيد عن الحارث بن ضرار الخزاعي قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فأقررت به ودخلت فيه ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته فترسل إلى الإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة فلما جمـع الحارث الزكاة وبلغ الإبان احتبس الرسول فلم يأته فظن

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

١٢ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي مؤثم وهو كثير، كظنّ السوء بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه بالفساق منهم فلا إثم فيه في نحو ما يظهر منهم ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ حذف منه إحدى التاءين: لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ بالتخفيف والتشديد أي لا يحسن به ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه فاكرهوا الأول ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي عقابه في الاغتياب بأن تتوبوا منه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ قابل توبة التائبين ﴿رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ بهم. ١٣ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ آدم وحوّاء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شعب - بفتح الشين - هو أعلى طبقات النسب ﴿وَقَبَائِلَ﴾ هي دون الشعوب، وبعدها العمائر، ثم البطون، ثم الأفخاذ، ثم الفصائل آخرها. مثاله: خزيمة شعب. كنانة قبيلة. قريش عمارة - بكسر العين - قصيّ بطن. هاشم فخذ. العباس فَصيلة ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ حذف منه إحدى التاءين ليعرف بعضكم بعضا لا لتفاخروا بعلوّ النسب، وإنما الفخر بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ ببواطنكم. ١٤ - ﴿۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ نفر من بني أسد ﴿آمَنَّا﴾ صدّقنا بقلوبنا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي انقدنا ظاهرا ﴿وَلَمَّا﴾ أي لم ﴿يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ إلى الآن، لكنه يتوقع منكم ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالإيمان وغيره ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾ بالهمز وتركه وبإبداله ألفا: لا ينقصكم ﴿مِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾ من ثوابها ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ بهم. ١٥ - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الصادقون في إيمانهم كما صرح به بعد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكّوا في الإيمان ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجهادهم يظهر بصدق إيمانهم ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ في إيمانهم لا من قالوا آمنا و لم يوجد منهم غير الإسلام. ١٦ - ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ مضعّف «علم» بمعنى: شعر، أي أتشعرونه بما أنتم عليه في قولكم «آمنا» ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾. ١٧ - ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض: الباء، ويقدّر قبل «أن» في الموضعين ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ في قولكم «آمنا». ١٨ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ما غاب فيهما ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ بالياء والتاء: لا يخفى عليه شيء منه.

الحارث أنه قد حدث فيه سخطه فدعا سروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان قد وقت وقتًا يرسل إليّ رسوله ليقبض ما عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أدري حبس رسوله إلا من سخطه فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده فلما أن سار الوليد فرق فرجع فقال: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث فقال لهم: إلى أين بعثتم؟ قالوا: إليك قال: ولِمَ؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته ولا أتاني فلما دخل على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي، قال: لا والذي بعثك بالحق فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ إلى قوله ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ رجال

سُورَةُ قٓ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ
فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ
رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ
٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ
مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ
وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠
رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ
لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥

سورة ق

[مكية إلا آية ٣٨ فمدنية وآياتها ٤٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿قٓ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ①﴾ الكريم، ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ. ٢- ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ رسول من أنفسهم يخوِّفهم بالنار بعد البعث ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾ الإنذار ﴿شَيۡءٌ عَجِيبٌ ②﴾

٣- ﴿أَءِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ﴾ نرجع ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ③﴾ في غاية البعد. ٤- ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ تأكل ﴿مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ④﴾ هو اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء المقدرة. ٥- ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ﴾ في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ⑤﴾ مضطرب قالوا مرة: ساحر وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن وكهانة. ٦- ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ﴾ بعيوهم، معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ كائنة ﴿فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ بلا عَمَد ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ⑥﴾ شقوق تعيبها. ٧- ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ معطوف على موضع «إلى السماء» كيف ﴿مَدَدۡنَٰهَا﴾ دحوناها على وجه الماء ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً تثبتها ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ﴾ صنف ﴿بَهِيجٖ ⑦﴾ يبهج به لحسنه. ٨- ﴿تَبۡصِرَةٗ﴾ مفعول له: أي فعلنا ذلك تبصيرا منا ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ تذكيرا ﴿لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ⑧﴾ رجّاع إلى طاعتنا. ٩- ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾ كثير البركة ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿وَحَبَّ﴾ الزرع ﴿ٱلۡحَصِيدِ ⑨﴾ المحصود. ١٠- ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ طوالاً: حال مقدّرة ﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ⑩﴾ متراكب بعضه فوق بعض. ١١- ﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ﴾ مفعول له ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الإحياء ﴿ٱلۡخُرُوجُ ⑪﴾ من القبور، فكيف تنكرونه؟ والاستفهام للتقرير. والمعنى: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر. ١٢- ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ تأنيث الفعل بمعنى قوم ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام، ونبيهم: قيل حنظلة بن صفوان، وقيل غيره ﴿وَثَمُودُ ⑫﴾ قوم صالح. ١٣- ﴿وَعَادٞ﴾ قوم هود ﴿وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ⑬﴾. ١٤- ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ أي الغيضة: قوم شعيب ﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ﴾ هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه ﴿كُلّٞ﴾ من المذكورين ﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ كقريش ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ ⑭﴾ وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك. ١٥- ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ أي لم نعي به فلا نعيا بالإعادة ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ﴾ شك ﴿مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ⑮﴾ وهو البعث.

إسناده ثقات، وروى الطبراني نحوه من حديث جابر بن عبد الله وعلقمة بن ناجية وأم سلمة وابن جرير نحوه من طريق العوفي عن ابن عباس ومن طرق أخرى مرسلة.

■ أسباب نزول الآية ٩ - قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ أخرج الشيخان عن أنس أن النبي ﷺ ركب حمارًا وانطلق إلى عبد الله بن أبي فقال: إليك عني فقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحماره أطيب ريحًا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال فنزلت فيهم ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾، وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير عن أبي مالك قال:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ
﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ
ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ
يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ
كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ
﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ
ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا
بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

١٦- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ﴾ حال بتقدير: نحن ﴿مَا﴾ مصدرية ﴿تُوَسْوِسُ﴾ تحدّث ﴿بِهِۦ﴾ الباء زائدة أو للتعدية، والضمير للإنسان ﴿نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ الإضافة للبيان، والوريدان: عرقان بصفحتي العنق. ١٧- ﴿إِذْ﴾ منصوبة باذكر مقدّرا ﴿يَتَلَقَّى﴾ يأخذ ويثبت ﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ الملكان الموكلان بالإنسان ما يعمله ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ منه ﴿قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ أي قاعدان، وهو مبتدأ خبره ما قبله. ١٨- ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ حاضر، وكل منهما بمعنى المثنى. ١٩- ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ غمرته وشدّته ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ من أمر الآخرة حتى يراها المنكر لها عيانا وهو نفس الشدّة ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الموت ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ تهرب وتفزع. ٢٠- ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ للبعث ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي يوم النفخ ﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ للكفار بالعذاب. ٢١- ﴿وَجَآءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المحشر ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾ ملك يسوقها إليه ﴿وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ يشهد عليها بعملها وهو الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر: ٢٢- ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ في الدنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ النازل بك اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ حادٌّ تدرك به ما أنكرته في الدنيا. ٢٣- ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الملك الموكل به ﴿هَٰذَا مَا﴾ أي الذي ﴿لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ حاضر، فيقال لمالك: ٢٤- ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ أي ألق ألق، أو ألقينْ، وبه قرأ الحسن فأبدلت النون ألفا ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ معاند للحق. ٢٥- ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كالزكاة ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾ شاكّ في دينه.

٢٦- ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ مبتدأ، ضمّن معنى الشرط، خبره ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ تفسيره مثل ما تقدّم. ٢٧- ﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الشيطان ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أضللته ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ فدعوته فاستجاب لي، وقال هو: أطغاني بدعائه لي. ٢٨- ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ أي ما ينفع الخصام هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ في الدنيا ﴿بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا، ولا بدّ منه. ٢٩- ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾ يغيّر ﴿ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ في ذلك ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ فأعذبهم بغير جرم، وظلام بمعنى ذي ظلم، لقوله: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾.

٣٠- ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه ظلّام ﴿نَقُولُ﴾ بالنون والياء ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ استفهام تحقيق لوعده بملئها ﴿وَتَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ أي لا أسع غير ما امتلأت به: أي قد امتلأت.

٣١- ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قرّبت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكانا ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ منهم فيرونها، ويقال لهم:

٣٢- ﴿هَٰذَا﴾ المرئيّ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ بالتاء والياء في الدنيا، ويبدل من «للمتقين» قوله ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجّاع إلى طاعة الله ﴿حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ حافظ لحدوده. ٣٣- ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ خافه ولم يره ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ مقبل على طاعته، ويقال للمتقين أيضا. ٣٤- ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي سالمين من كل مخوف، أو مع سلام: أي سلموا وادخلوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ الدوام في الجنة. ٣٥- ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا.

سورة ق

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠) وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ
(٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣)
فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦)

٣٦- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي أهلكنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ قوة ﴿فَنَقَّبُوا﴾ فتشوا ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦)﴾ لهم أو لغيرهم من الموت فلم يجدوا. ٣٧- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ لعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع الوعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)﴾ حاضر بالقلب. ٣٨- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد، وآخرها الجمعة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨)﴾ تعب: نزل ردًا على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه وبين غيره ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢)﴾.

٣٩- ﴿فَاصْبِرْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صلِّ حامدا ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ أي صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩)﴾ أي صلاة الظهر والعصر. ٤٠- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي صلِّ العشاءين ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠)﴾ بفتح الهمزة جمع دبر، وكسرها مصدر أدبر: أي صلِّ النوافل المسنونة عقب الفرائض. وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات ملابسا للحمد. ٤١- ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ هو إسرافيل ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١)﴾ من السماء وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرّقة، إنّ الله يأمركنّ أن تجتمعن لفصل القضاء. ٤٢- ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» قبله ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي الخلق كلهم ﴿الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ بالبعث وهي النفخة الثانية من إسرافيل. ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي يوم النداء والسماع ﴿يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢)﴾ من القبور، وناصب «يوم» ينادي مقدّرا: أي يعلمون عاقبة تكذيبهم.

٤٣- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣)﴾. ٤٤- ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» قبله، وما بينهما اعتراض ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ جمع سريع: حال من مقدّر، أي: فيخرجون مسرعين ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤)﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص وهو لا يضرّ، وذلك إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه وهو الإحياء بعد الفناء والجمع للعرض والحساب. ٤٥- ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي كفار قريش ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ تجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)﴾ وهم المؤمنون.

سورة الذاريات [مكية وآياتها ٦٠]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ الرياح تذرو التراب وغيره ﴿ذَرْوًا (١)﴾ مصدر، ويقال: تذريه ذريا: تهبّ به.
٢- ﴿فَالْحَامِلَاتِ﴾ السحب تحمل الماء ﴿وِقْرًا (٢)﴾ ثقلا مفعول الحاملات. ٣- ﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿يُسْرًا (٣)﴾ بسهولة مصدر في موضع الحال: أي ميسَّرة. ٤- ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤)﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين البلاد والعباد. ٥- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ ما مصدرية أي وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ (٥)﴾ لوعد صادق. ٦- ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ (٦)﴾ لا محالة.

سورة الذاريات

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

٥٢١

٧- ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ جمع حبيكة كطريقة وطرق: أي صاحبة الطرق في الخلقة كالطريق في الرمل. ٨- ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ قيل: شاعر ساحر كاهن، شعر سحر كهانة. ٩- ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾ عن النبي ﷺ والقرآن: أي عن الإيمان به ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ صرف عن الهداية في علم الله تعالى. ١٠- ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ لعن الكذّابون أصحاب القول المختلف. ١١- ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عن أمر الآخرة. ١٢- ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ النبي استفهام استهزاء ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي متى مجيئه؟ وجوابهم: يجيء. ١٣- ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي يعذبون فيها، ويقال لهم حين التعذيب:

١٤- ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ تعذيبكم ﴿هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في الدنيا، استهزاء. ١٥- ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها. ١٦- ﴿ءَاخِذِينَ﴾ حال من الضمير في خبر «إنّ» ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ من الثواب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾ في الدنيا. ١٧- ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ينامون. و «ما» زائدة، و «يهجعون» خبر «كان» و «قليلا» ظرف: أي ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون أكثره. ١٨- ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا. ١٩- ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يسأل لتعففه. ٢٠- ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿ءَايَٰتٌ﴾ دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾. ٢١- ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ آيات أيضا من مبدأ خلقكم إلى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك فتستدلوا به على صانعه وقدرته. ٢٢- ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي المطر المسبب عنه النبات الذي هو رزق ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من المآب والثواب والعقاب: أي مكتوب ذلك في السماء. ٢٣- ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ﴾ أي ما توعدون ﴿لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ برفع «مثل» صفة، و «ما» مزيدة. وبفتح اللام مركبة مع «ما» المعنى: مثل نطقكم في حقيقته: أي معلوميته عندكم ضرورة صدوره عنكم. ٢٤- ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة، منهم جبريل. ٢٥- ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ «حديث ضيف» ﴿دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي هذا اللفظ ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ أي هذا اللفظ ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ لا نعرفهم: قال ذلك في نفسه، وهو خبر مبتدأ مقدّر: أي هؤلاء. ٢٦- ﴿فَرَاغَ﴾ مال ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ سرًا ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ وفي سورة هود «بعجل حنيذ» أي مشويّ. ٢٧- ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا. ٢٨- ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ إنا رسل ربك ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ ذي علم كثير وهو إسحٰق، كما ذكر في هود. ٢٩- ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ سارة ﴿فِى صَرَّةٍ﴾ صيحة: حال، أي جاءت صائحة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ لطمته ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ لم تلد قط وعمرها تسعة وتسعون سنة وعمر إبراهيم مائة سنة، أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسعون سنة. ٣٠- ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ﴾ أي مثل قولنا في البشارة ﴿قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بخلقه.

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٣٧) وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ
مُّبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ
فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠) وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ
ٱلْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ (٤٢)
وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٤٤) فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ (٤٥) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا
فَٰسِقِينَ (٤٦) وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَٱلْأَرْضَ
فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ (٤٨) وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠)
وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١)

٣١- ﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (٣١)﴾.
٣٢- ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢)﴾ كافرين هم: قوم لوط. ٣٣- ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣)﴾ مطبوخ بالنار. ٣٤- ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة عليها اسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤)﴾ بإتيانهم الذكور مع كفرهم. ٣٥- ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ أي قرى قوم لوط ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣٥)﴾ لإهلاك الكافرين.
٣٦- ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣٦)﴾ وهم لوط وابنتاه وصفوا بالإيمان والإسلام: أي هم مصدّقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات. ٣٧- ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿ءَايَةً﴾ علامة على إهلاكهم ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٣٧)﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم.
٣٨- ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ معطوف على «فيها» المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ملتبسا ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٣٨)﴾ بحجة واضحة. ٣٩- ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ مع جنوده لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسى هو ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩)﴾.
٤٠- ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحر فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي فرعون ﴿مُلِيمٌ (٤٠)﴾ آت بما يلام عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية. ٤١- ﴿وَفِى﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ (٤١)﴾ هي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور.
٤٢- ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ﴾ نفس أو مال ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ (٤٢)﴾ كالبالي المتفتت. ٤٣- ﴿وَفِى﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة ﴿تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣)﴾ أي إلى انقضاء آجالكم، كما في آية ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾. ٤٤- ﴿فَعَتَوْا۟﴾ تكبّروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي عن امتثاله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام: أي الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ (٤٤)﴾ أي بالنهار.
٤٥- ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ أي ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ (٤٥)﴾ على من أهلكهم. ٤٦- ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ بالجر عطف على ثمود، أي: وفي إهلاكهم بما في السماء والأرض آية. وبالنصب، أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٤٦)﴾. ٤٧- ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ بقوّة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)﴾ قادرون، يقال: آد الرجل يئيد: قوي، وأوسع الرجل: صار ذا سعة وقوّة. ٤٨- ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ مهدناها ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ (٤٨)﴾ نحن. ٤٩- ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ متعلق بقوله ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ صنفين كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل فتعلمون أن خالق الأزواج فرد فتعبدوه.
٥٠- ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي إلى ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠)﴾ بين الإنذار. ٥١- ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١)﴾ يقدر قبل «ففرّوا» قل لهم.

تلاحى رجلان من المسلمين فغضب قوم هذا لهذا، وهذا لهذا فاقتتلوا بالأيدي والنعال وأنزل الله ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال: كان رجل من الأنصار يقال له عمران تحبه امرأة يقال لها أم زيد وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها في علية له وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها وكان الرجل قد خرج فاستعان بأهله فجاءه بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

٥٢٣

٥٢- ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ﴾ هو ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ أي مثل تكذيبهم لك بقولهم: إنك ساحر أو مجنون، تكذيبُ الأمم قبلهم رسلهم بقولهم ذلك. ٥٣- ﴿أَتَوَاصَوۡاْ﴾ كلهم ﴿بِهِۦ﴾ استفهام بمعنى النفي ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ جمعهم على هذا القول طغيانهم. ٥٤- ﴿فَتَوَلَّ﴾ أعرض ﴿عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾﴾ لأنك بلغتهم الرسالة. ٥٥- ﴿وَذَكِّرۡ﴾ عظ بالقرآن ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ من علم الله تعالى أنه يؤمن. ٥٦- ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين، لأن الغاية لا يلزم وجودها، كما في قولك: بريت هذا القلم لأكتب به، فإنك قد لا تكتب به. ٥٧- ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾ لي ولأنفسهم وغيرهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم. ٥٨- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ الشديد. ٥٩- ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم ﴿ذَنُوبٗا﴾ نصيبا من العذاب ﴿مِّثۡلَ ذَنُوبِ﴾ نصيب ﴿أَصۡحَٰبِهِمۡ﴾ الهالكين قبلهم ﴿فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾ بالعذاب إن أخرتهم إلى يوم القيامة. ٦٠- ﴿فَوَيۡلٞ﴾ شدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن﴾ في ﴿يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ أي يوم القيامة.

سورة الطور

[مكية وآياتها ٤٩]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾﴾ أي الجبل الذي كلم الله عليه موسى. ٢- ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾﴾. ٣- ﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾﴾ أي التوراة أو القرآن. ٤- ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾﴾ هو في السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحيال الكعبة، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك - بالطواف والصلاة - لا يعودون إليه أبدا. ٥- ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾﴾ أي السماء. ٦- ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾﴾ أي المملوء. ٧- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾﴾ لنازل بمستحقه. ٨- ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾﴾ عنه. ٩- ﴿يَوۡمَ﴾ معمول «لواقع» ﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾﴾ تتحرك وتدور. ١٠- ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾﴾ تصير هباء منثورا، وذلك في يوم القيامة. ١١- ﴿فَوَيۡلٞ﴾ شدة عذاب ﴿يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ للرسل. ١٢- ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ﴾ باطل ﴿يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي يتشاغلون بكفرهم. ١٣- ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ يدفعون بعنف بدل من «يوم تمور» ويقال لهم تبكيتا. ١٤- ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ فبعث إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهم وفاؤوا إلى أمر الله. وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: كانت تكون الخصومة بين الحيين فيدعون إلى الحكم فيأبون أن يجيبوا فأنزل الله ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ الآية، وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما فقال أحدهما للآخر: لآخذن عنوة لكثرة عشيرته، وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى النبي ﷺ فأبى فلم يزل الأمر حتى تناول بعضهم بعضًا بالأيدي والنعال و لم يكن قتال بالسيوف.

■ أسباب نزول الآية ١١ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾ أخرج أصحاب السنن الأربعة عن أبي جبير ابن الضحاك قال:

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

١٥- ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ العذاب الذي ترون؟ كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾. ١٦- ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾ صبركم وجزعكم ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي جزاءه. ١٧- ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾. ١٨- ﴿فَٰكِهِينَ﴾ متلذذين ﴿بِمَا﴾ مصدرية ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ عطفا على «آتاهم» أي بإتيانهم ووقايتهم. ويقال لهم: ١٩- ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾ حال، أي مهنئين. ﴿بِمَا﴾ الباء سببية ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾. ٢٠- ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حال من الضمير المستكنّ في قوله تعالى «في جنات» ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ عطف على «جنات» أي قرناهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ عظام الأعين حسانها. ٢١- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مبتدأ ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾ وفي قراءة (وأتبعناهم) معطوف على «آمنوا» ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ وفي قراءة «ذرياتهم» أولادهم الصغار والكبار، ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ من الكبار ومن أولادهم الصغار. والخبر ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المذكورين في الجنة، فيكونون في درجتهم وإن لم يعملوا بعملهم، تكرمة للآباء باجتماع الأولاد إليهم ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ بفتح اللام وكسرها، نقصناهم ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ يزاد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ﴾ من عمل خير أو شر ﴿رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ مرهون يؤاخذ بالشر ويجازى بالخير. ٢٢- ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه. ٢٣- ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ يتعاطون بينهم ﴿فِيهَا﴾ أي الجنة ﴿كَأْسًا﴾ خمرا ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي بسبب شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ به يلحقهم بخلاف خمر الدنيا. ٢٤- ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿غِلْمَانٌ﴾ أرقاء ﴿لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ حسنا ولطافة ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ مصون في الصدف لأنه فيها أحسن منه في غيرها. ٢٥- ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يسأل بعضهم بعضا عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذذا واعترافا بالنعمة. ٢٦- ﴿قَالُوٓا۟﴾ إيماء إلى علة الوصول ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا﴾ في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ خائفين من عذاب الله. ٢٧- ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ أي النار لدخولها في المسام. وقالوا إيماء أيضا: ٢٨- ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ أي نعبده موحدين ﴿إِنَّهُۥ﴾ بالكسر استئنافا وإن كان تعليلا معنى، وبالفتح تعليلا لفظا ﴿هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ المحسن الصادق في وعده ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ العظيم الرحمة. ٢٩- ﴿فَذَكِّرْ﴾ دم على تذكير المشركين ولا ترجع عنه قولهم لك كاهن مجنون ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك ﴿بِكَاهِنٍ﴾ خبر ما ﴿وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ معطوف عليه . ٣٠- ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء. ٣١- ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ هلاكي ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ هلاككم فعذبوا بالسيف يوم بدر، والتربص الانتظار.

كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكرهه فنزلت ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ قال الترمذي: حسن، وقال الحاكم وغيره من حديثه أيضًا قال: كانت الألقاب في الجاهلية فدعا النبي ﷺ رجلا منهم بلقبه فقيل له: يا رسول الله إنه يكرهه فأنزل الله ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ ولفظ أحمد عنه قال: فينا نزلت في بني سلمة ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ قدم النبي ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا أحدًا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا فنزلت.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

٣٢- ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم﴾ عقولهم ﴿بِهَٰذَا﴾ أي قولهم له ساحر كاهن شاعر مجنون أي لا تأمرهم بذلك ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴿٣٢﴾﴾ بعنادهم. ٣٣- ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ اختلق القرآن لم يختلقه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴿٣٣﴾﴾ استكبارا فإن قالوا اختلقه: ٣٤- ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مختلق ﴿مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴿٣٤﴾﴾ في قولهم. ٣٥- ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴿٣٥﴾﴾ أنفسهم ولا يعقل مخلوق بغير خالق ولا معدوم يخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه. ٣٦- ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق فلم لا يعبدونه ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴿٣٦﴾﴾ به وإلا لآمنوا بنبيه.

٣٧- ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاؤوا بما شاؤوا. ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴿٣٧﴾﴾ المتسلطون الجبارون وفعله سيطر ومثله بيطر وبيقر.

٣٨- ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ مرقى إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي عليه كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبي بزعمهم إن ادعوا ذلك ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ أي مدعي الاستماع عليه ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴿٣٨﴾﴾ بحجة بينة واضحة ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالى: ٣٩- ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ﴾ أي بزعمكم ﴿وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴿٣٩﴾﴾ تعالى الله عما زعموه. ٤٠- ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على ما جئتهم به من الدين ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ غرم ذلك ﴿مُّثْقَلُونَ﴿٤٠﴾﴾ فلا يسلمون. ٤١- ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴿٤١﴾﴾ ذلك حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة بزعمهم. ٤٢- ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك ليهلكوك في دار الندوة ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴿٤٢﴾﴾ المغلوبون المهلكون فحفظه الله منهم ثم أهلكهم ببدر. ٤٣- ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿٤٣﴾﴾ به من الآلهة والاستفهام بأم في مواضعها للتقبيح والتوبيخ. ٤٤- ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا﴾ بعضا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ عليهم كما قالوا «فأسقط علينا كسفا من السماء» أي تعذيبا لهم ﴿يَقُولُوا﴾ هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴿٤٤﴾﴾ متراكب نروى به ولا يؤمنون. ٤٥- ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴿٤٥﴾﴾ يموتون.

٤٦- ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي﴾ بدل من يومهم ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴿٤٦﴾﴾ يمنعون من العذاب في الآخرة.

٤٧- ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بكفرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي في الدنيا قبل موتهم فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴿٤٧﴾﴾ أن العذاب ينزل بهم. ٤٨- ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم ولا يضق صدرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا نراك ونحفظك ﴿وَسَبِّحْ﴾ متلبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي قل سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴿٤٨﴾﴾ من منامك أو من مجلسك. ٤٩- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حقيقة أيضا ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴿٤٩﴾﴾ مصدر أي عقب غروبها سبحه أيضا أو صل في الأول العشاءين وفي الثاني الفجر وقيل الصبح.

■ أسباب نزول الآية ١٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجل أكله ورقاده فنزلت.

■ أسباب نزول الآية ١٣- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقى بلال على ظهر الكعبة فأذن، فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة فقال بعضهم إن يسخط الله هذا يغيره فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الآية. وقال ابن عساكر في مبهماته : وجدت بخط ابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨)
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠)
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥)
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ
الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ
ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ
اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ
وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ (٢٥) ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦)

سورة النجم

[مكية إلا آية ٣٢ فمدنية وآياتها ٦٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالنَّجْمِ﴾ الثريا ﴿إِذَا هَوَىٰ (١)﴾ غاب. ٢- ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَىٰ (٢)﴾ ما لابس الغي وهو جهل من اعتقاد فاسد. ٣- ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ الْهَوَىٰ (٣)﴾ هوى نفسه. ٤- ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ إليه. ٥- ﴿عَلَّمَهُ﴾ إياه ملك. ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)﴾. ٦- ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة وشدة أو منظر حسن أي جبريل عليه السلام ﴿فَاسْتَوَىٰ (٦)﴾ استقر. ٧- ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧)﴾ أفق الشمس أي عند مطلعها على صورته التي خلق عليها فرآه النبي ﷺ وكان بحراء قد سد الأفق إلى المغرب فخر مغشيا عليه وكان قد سأل أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فواعده بحراء فنزل جبريل له في صورة الآدميين. ٨- ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قرب منه ﴿فَتَدَلَّىٰ (٨)﴾ زاد في القرب. ٩- ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ﴾ قدر ﴿قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩)﴾ من ذلك حتى أفاق وسكن روعه. ١٠- ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ تعالى ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ جبريل ﴿مَا أَوْحَىٰ (١٠)﴾ جبريل إلى النبي ﷺ ولم يذكر الموحي تفخيما لشأنه. ١١- ﴿مَا كَذَبَ﴾ بالتخفيف والتشديد أنكر ﴿الْفُؤَادُ﴾ فؤاد النبي ﴿مَا رَأَىٰ (١١)﴾ ببصره من صورة جبريل. ١٢- ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢)﴾ خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي ﷺ لجبريل. ١٣- ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ على صورته ﴿نَزْلَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ (١٣)﴾. ١٤- ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤)﴾ لما أسرى به في السموات وهي شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم. ١٥- ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥)﴾ تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين. ١٦- ﴿إِذْ﴾ حين ﴿يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦)﴾ من طير وغيره وإذ معمولة لرآه. ١٧- ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ (١٧)﴾ أي ما مال بصره عن مرئيه المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة. ١٨- ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ فيها ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)﴾ أي العظام أي بعضها فرأى من عجائب الملكوت رفرفا أخضر سد أفق السماء وجبريل له ستمائة جناح.

١٩- ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩)﴾. ٢٠- ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ﴾ للتين قبلها ﴿الْأُخْرَىٰ (٢٠)﴾ صفة ذم للثالثة وهي أصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله ومفعول أرأيتم الأول اللات وما عطف عليه والثاني محذوف والمعنى أخبروني ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره ولما زعموا أيضا أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزلت: ٢١- ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١)﴾. ٢٢- ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢)﴾ جائرة من ضازه يضيزه إذا ظلمه وجار عليه. ٢٣- ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي ما المذكورات ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي سميتم بها ﴿أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ أصناما تعبدونها ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي بعبادتها ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في عبادتها ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ مما زين لهم الشيطان من أنها تشفع لهم عند الله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣)﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه. ٢٤- ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ﴾ أي لكل إنسان منهم ﴿مَا تَمَنَّىٰ (٢٤)﴾ من أن الأصنام تشفع لهم ليس الأمر كذلك. ٢٥- ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ (٢٥)﴾ أي الدنيا فلا يقع فيهما إلا ما يريده تعالى. ٢٦- ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ أي وكثير من الملائكة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ من عباده ﴿وَيَرْضَىٰ (٢٦)﴾ عنه لقوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾
وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ
ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن
سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ
﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ
مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ
يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ
﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

٢٧- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ ﴾ حيث قالوا هم بنات الله. ٢٨- ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ ﴾ بهذا القول ﴿ مِنْ عِلْمٍ إِن ﴾ ما ﴿ يَتَّبِعُونَ ﴾ فيه ﴿ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ الذي تخيلوه ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾ أي عن العلم فيما المطلوب فيه العلم. ٢٩- ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾ أي القرآن ﴿ وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد. ٣٠- ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي طلب الدنيا ﴿ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ أي نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي عالم بهما فيجازيهما. ٣١- ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي هو مالك لذلك ومنه الضال والمهتدي يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ من الشرك وغيره ﴿ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ أي الجنة وبين المحسنين بقوله: ٣٢- ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ هو صغار الذنوب كالنظر والقبلة واللمسة فهو استثناء منقطع والمعنى لكن اللمم يغفر باجتناب الكبائر ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ بذلك وبقبول التوبة ونزل فيمن كان يقول صلاتنا صيامنا حجنا ﴿ هُوَ أَعْلَمُ ﴾ أي عالم ﴿ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي خلق أباكم آدم من التراب ﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ ﴾ جمع جنين ﴿ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ لا تمدحوها أي على سبيل الإعجاب أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿ هُوَ أَعْلَمُ ﴾ أي عالم ﴿ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾.
٣٣- ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ ﴾ عن الإيمان أي ارتد لما عير به وقال إني خشيت عقاب الله فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله إن رجع إلى شركه وأعطاه من ماله كذا فرجع. ٣٤- ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا ﴾ من المال المسمى ﴿ وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ ﴾ منع الباقي مأخوذ من الكدية وهي أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر. ٣٥- ﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾ يعلم من جملته أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة ألا وهو الوليد بن مغيرة وجملة أعنده المفعول الثاني لرأيت بمعنى أخبرني. ٣٦- ﴿ أَمْ ﴾ بل ﴿ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ أسفار التوراة أو صحف قبلها. ٣٧- ﴿ وَ ﴾ صحف ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ تمم ما أمر به نحو: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ وبيان ما. ٣٨- ﴿ أَ ﴾ ن ﴿ لَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ إلخ وأن مخففة من الثقيلة أي إنه لا تحمل نفس ذنب غيرها. ٣٩- ﴿ وَأَن ﴾ أي إنه ﴿ لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ من خير فليس له من سعي غيره الخير شيء. ٤٠- ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي يبصر في الآخرة. ٤١- ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ الأكمل يقال جزيته سعيه وبسعيه. ٤٢- ﴿ وَأَنَّ ﴾ بالفتح عطفا وقرئ بالكسر استئنافا وكذا ما بعدها فلا يكون مضمون الجمل في الصحف على الثاني. ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ المرجع والمصير بعد الموت فيجازيهم. ٤٣- ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ ﴾ من شاء أفرحه ﴿ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ من شاء أحزنه. ٤٤- ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ ﴾ في الدنيا ﴿ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ للبعث.

بشكوال أن أبا بكر بن أبي داود أخرج في تفسير له أنها نزلت في أبي هند، أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوه امرأة منهم فقالوا: يا رسول الله نزوج بناتنا موالينا فنزلت الآية.

■ أسباب نزول الآية ١٧- قوله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ ﴾ الآية، أخرج الطبراني بسند حسن عن عبد الله بن أبي أوفى أن

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ
عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ
ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾
هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن
دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

سُورَةُ القَمَر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟
وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ
﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

٤٥- ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾.
٤٦- ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ تصب في الرحم.
٤٧- ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ﴾ بالمد والقصر ﴿ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ الخلقة الأخرى للبعث بعد الخلقة الأولى.
٤٨- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ الناس بالكفاية بالأموال ﴿وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ أعطى المال المتخذ قنية.
٤٩- ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ هو كوكب خلف الجوزاء كانت تعبد في الجاهلية.
٥٠- ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ وفي قراءة بإدغام التنوين في اللام وضمها وبلا همزة هي قوم عاد والأخرى قوم صالح.
٥١- ﴿وَثَمُودَا۟﴾ بالصرف اسم للأب وبلا صرف للقبيلة وهو معطوف على عاد ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ منهم أحد.
٥٢- ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي قبل عاد وثمود أهلكناهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ من عاد وثمود لطول لبث نوح فيهم ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه.
٥٣- ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ وهي قرى قوم لوط ﴿أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك.
٥٤- ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ أبهم تهويلاً وفي هود: ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾.
٥٥- ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ تتشكك أيها الإنسان أو تكذب.
٥٦- ﴿هَٰذَا﴾ محمد ﴿نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾ من جنسهم أي رسول كالرسل قبله أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم.
٥٧- ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ قربت القيامة.
٥٨- ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ نفس ﴿كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ أي لا يكشفها ويظهرها إلا هو كقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾.
٥٩- ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي القرآن ﴿تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ تكذيبا.
٦٠- ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ لسماع وعده ووعيده.
٦١- ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ لاهون غافلون عما يطلب منكم.
٦٢- ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ الذي خلقكم ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

سورة القمر [مكية إلا الآية ٤٥ فمدنية وآياتها ٥٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ قربت القيامة ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ انفلق فلقتين على أبي قبيس وقعيقعان آية له ﷺ وقد سئلها فقال «اشهدوا» [1] رواه الشيخان.
٢- ﴿وَإِن يَرَوْا۟﴾ أي كفار قريش ﴿ءَايَةً﴾ معجزة له ﷺ ﴿يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟﴾ هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ قوي من المرة القوة أو دائم.
٣- ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ النبي ﷺ ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في الباطل ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾ بأهله في الجنة أو النار.
٤- ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾﴾ لهم اسم مصدر أو اسم مكان والدال بدل من تاء الافتعال وازدجرته وزجرته نهيته بغلظة وما موصولة أو موصوفة.
٥- ﴿حِكْمَةٌۢ﴾ خبر مبتدأ محذوف أو بدل من ما أو من مزدجر ﴿بَٰلِغَةٌ﴾ تامة ﴿فَمَا تُغْنِ﴾ تنفع فيهم ﴿ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ جمع نذير بمعنى منذر أي الأمور المنذرة لهم وما للنفي أو للاستفهام الإنكاري وهي على الثاني مفعول مقدم.
٦- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ هو فائدة ما قبله وتم به الكلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ هو إسرافيل وناصب يوم يخرجون بعد ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾ بضم الكاف وسكونها أي منكر تنكره النفوس لشدته وهو الحساب.

---

(١) قلت: انشقاق القمر ورد عن جماعة من الصحابة، وانظر هذه الروايات في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» للشيخ مقبل بن هادي.

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧)
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) ۞ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ (٩) فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
(١١) وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢)
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
(١٧) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (١٨) إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ
ٱلْأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ (٢٧)

٧- ﴿خُشَّعًا﴾ ذليلاً وفي قراءة خشعا بضم الخاء وفتح الشين مشددة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ حال من الفاعل ﴿يَخْرُجُونَ﴾ أي الناس ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧)﴾ لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة والجملة حال من فاعل يخرجون وكذا قوله: ٨- ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي مسرعين مادين أعناقهم ﴿إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ منهم ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)﴾ أي صعب على الكافرين كما في المدثر ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. ٩- ﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث الفعل لمعنى قوم ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحا ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ (٩)﴾ أي انتهروه بالسب وغيره.
١٠- ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ بالفتح أي بأني ﴿مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ (١٠)﴾.
١١- ﴿فَفَتَحْنَآ﴾ بالتخفيف والتشديد. ﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١)﴾ منصب انصبابا شديدا. ١٢- ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ تنبع ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ ماء السماء والأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ﴾ ﴿قَدْ قُدِرَ (١٢)﴾ قضي به في الأزل وهو هلاكهم غرقا. ١٣- ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ أي نوحا ﴿عَلَىٰ﴾ سفينة ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ (١٣)﴾ وهو ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها واحدها دسار ككتاب. ١٤- ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا[1] أي محفوظة ﴿جَزَآءً﴾ منصوب بفعل مقدر أي أغرقوا انتصارا ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤)﴾ وهو نوح عليه السلام وقرئ كفر بالبناء للفاعل أي اغرقوا عقاباً لهم. ١٥- ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿ءَايَةً﴾ لمن يعتبر بها أي شاع خبرها واستمر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥)﴾ معتبر ومتعظ بها وأصله مذتكر أبدلت التاء دالاً مهملة وكذا المعجمة وأدغمت فيها. ١٦- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (١٦)﴾ أي إنذاري استفهام تقرير وكيف خبر كان وهي للسؤال عن الحال والمعنى حمل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه. ١٧- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧)﴾ متعظ به وحافظ له والاستفهام بمعنى الأمر أي احفظوه واتعظوا به وليس يحفظ من كتب الله عن ظهر القلب وغيره. ١٨- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نبيهم هودا فعذبوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (١٨)﴾ أي إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أي وقع موقعه وقد بينه بقوله: ١٩- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي شديدة الصوت ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُّسْتَمِرٍّ (١٩)﴾ دائم الشؤم أو قويه وكان يوم الأربعاء آخر الشهر. ٢٠- ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أَعْجَازُ﴾ أصول ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠)﴾ منقلع ساقط على الأرض وشبهوا بالنخل لطولهم وذكر هنا وأنث في الحاقة ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧)﴾ مراعاة للفواصل في الموضعين. ٢١- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (٢١)﴾ . ٢٢- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢)﴾ . ٢٣- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ (٢٣)﴾ جمع نذير بمعنى منذر أي بالأمور التي أنذرهم بها نبيهم صالح إن لم يؤمنوا به ويتبعوه. ٢٤- ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا﴾ منصوب على الاشتغال ﴿مِّنَّا وَٰحِدًا﴾ صفتان لبشرا ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ مفسر للفعل الناصب له والاستفهام بمعنى النفي المعنى كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بملك أي لا نتبعه ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ أي إن اتبعناه ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ﴾ ذهاب عن الصواب ﴿وَسُعُرٍ (٢٤)﴾ جنون.
٢٥- ﴿أَءُلْقِىَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿ٱلذِّكْرُ﴾ الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله إنه أوحي إليه ما ذكر ﴿أَشِرٌ (٢٥)﴾ متكبر بطر قال تعالى:
٢٦- ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ في الآخرة ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ (٢٦)﴾ هو أو هم بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحا.
٢٧- ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا ﴿فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لَّهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ يا صالح أي انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم ﴿وَٱصْطَبِرْ (٢٧)﴾ الطاء بدل من تاء الافتعال أي اصبر على أذاهم.

(١) انظر ما تقدم عند الآية (٣٩) من سورة طه.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ
كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟
بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾
فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ
فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ
﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

٢٨- ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾ نصيب من الماء ﴿مُّحْتَضَرٌ﴿٢٨﴾﴾ يحضره القوم يومهم والناقة يومها فتمادوا على ذلك ثم ملوه فهموا بقتل الناقة. ٢٩- ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ قدارا ليقتلها ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ تناول السيف ﴿فَعَقَرَ﴿٢٩﴾﴾ به الناقة أي قتلها موافقة لهم. ٣٠- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴿٣٠﴾﴾ أي إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أي وقع موقعه وبينه بقوله: ٣١- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴿٣١﴾﴾ هو الذي يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم. ٣٢- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴿٣٢﴾﴾. ٣٣- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴿٣٣﴾﴾ أي بالأمور المنذرة لهم على لسانه. ٣٤- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحا ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة الواحد دون ملء الكف فهلكوا ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ هم ابنتاه معه ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴿٣٤﴾﴾ من الأسحار أي وقت الصبح من يوم غير معين ولو أريد من يوم معين لمنع من الصرف لأنه معرفة معدول عن السحر لأن حقه أن يستعمل في المعرف بأل وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولا؟ قولان وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل وعلى الثاني بأنه منقطع وإن كان من الجنس تسمحا. ٣٥- ﴿نِّعْمَةً﴾ مصدر أي إنعاما ﴿مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك الجزاء ﴿نَجْزِى مَن شَكَرَ﴿٣٥﴾﴾ أنعمنا وهو مؤمن أو من آمن بالله ورسوله وأطاعهما. ٣٦- ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ خوفهم لوط ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذتنا إياهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا۟﴾ تجادلوا وكذبوا ﴿بِٱلنُّذُرِ﴿٣٦﴾﴾ بإنذاره. ٣٧- ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ أي أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف ليخبثوا بهم وكانوا ملائكة ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ أعميناها وجعلناها بلا شق كباقي الوجه بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فَذُوقُوا۟﴾ فقلنا لهم ذوقوا ﴿عَذَابِى وَنُذُرِ﴿٣٧﴾﴾ أي إنذاري وتخويفي أي ثمرته وفائدته. ٣٨- ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ وقت الصبح من يوم غير معين ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴿٣٨﴾﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة. ٣٩- ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴿٣٩﴾﴾. ٤٠- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴿٤٠﴾﴾. ٤١- ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿ٱلنُّذُرُ﴿٤١﴾﴾ الإنذار على لسان موسى وهارون فلم يؤمنوا بل. ٤٢- ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ أي التسع التي أوتيها موسى ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ قوي ﴿مُّقْتَدِرٍ﴿٤٢﴾﴾ قادر لا يعجزه شيء. ٤٣- ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا قريش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون فلم يعذبوا ﴿أَمْ لَكُم﴾ يا كفار قريش ﴿بَرَآءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴿٤٣﴾﴾ الكتب. والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي أي ليس الأمر كذلك. ٤٤- ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي كفار قريش ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ أي جمع ﴿مُّنتَصِرٌ﴿٤٤﴾﴾ على محمد ولما قال أبو جهل يوم بدر إنا جمع منتصر نزل: ٤٥- ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴿٤٥﴾﴾ فهزموا ببدر ونصر رسول الله ﷺ عليهم. ٤٦- ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ أي عذابها ﴿أَدْهَىٰ﴾ أعظم بلية ﴿وَأَمَرُّ﴿٤٦﴾﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا. ٤٧- ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴿٤٧﴾﴾ نار مستعرة بالتشديد أي مهيجة في الآخرة. ٤٨- ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي في الآخرة ويقال لهم ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴿٤٨﴾﴾ إصابة جهنم لكم.

٤٩- ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴿٤٩﴾﴾ بتقدير حال من كل أي مقدرا، وقرئ كل بالرفع مبتدأ خبره خلقناه.

وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٥١ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ٥٣ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥

سُورَةُ الرَّحۡمَٰن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦

٥٠- ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ﴾ لشيء نريد وجوده ﴿إِلَّا﴾ مرة ﴿وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ في السرعة وهي قول كن فيوجد ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] . ٥١- ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ استفهام بمعنى الأمر أي اذكروا واتعظوا.

٥٢- ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ﴾ أي العباد مكتوب ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ كتب الحفظة. ٥٣- ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ﴾ من الذنب أو العمل ﴿مُّسۡتَطَرٌ﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ. ٥٤- ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿وَنَهَرٖ﴾ أريد به الجنس وقرئ بضم النون والهاء جمعا كأسد وأسد المعنى إنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر. ٥٥- ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم أريد به الجنس وقرئ مقاعد المعنى أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل أن تسلم من ذلك وأعرب هذا خبراً ثانياً وبدلا وهو صادق ببدل البعض وغيره ﴿عِندَ مَلِيكٖ﴾ مثال مبالغة أي عزيز الملك واسعه ﴿مُّقۡتَدِرِۭ﴾ قادر لا يعجزه شئ وهو الله تعالى وعند إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله تعالى.

سورة الرحمن [مكية إلا آية ٢٩ فمدنية وآياتها ٧٦ أو ٧٨]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الله تعالى. ٢- ﴿عَلَّمَ﴾ من شاء ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾. ٣- ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أي الجنس. ٤- ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ النطق. ٥- ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ يجريان. ٦- ﴿وَٱلنَّجۡمُ﴾ ما لا ساق له من النبات. ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ ما له ساق ﴿يَسۡجُدَانِ﴾ يخضعان بما يراد منهما. ٧- ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ أثبت العدل. ٨- ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ﴾ أي لأجل أن لا تجوروا ﴿فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾ ما يوزن به. ٩- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ تنقصوا الموزون. ١٠- ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا﴾ أثبتها ﴿لِلۡأَنَامِ﴾ للخلق الإنس والجن وغيرهم. ١١- ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ أوعية طلعها. ١٢- ﴿وَٱلۡحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ التين ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ الورق أو المشموم. ١٣- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ نعم ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيها الإنس والجن ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ ذكرت إحدى وثلاثين مرة والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال «ما لي أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»[1]. ١٤- ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ آدم ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر ﴿كَٱلۡفَخَّارِ﴾ وهو ما طبخ من الطين. ١٥- ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ﴾ أبا الجن وهو إبليس ﴿مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان. ١٦- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

ناسًا من العرب قالوا: يا رسول الله، أسلمنا ولم نقاتلك وقاتلك بنو فلان فأنزل الله ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْ﴾ الآية، وأخرج البزار من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله. وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن الحسن وأن ذلك لما

(١) [حسن]: ورواه أيضًا الترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٣٨).

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ
﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى
وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ
أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ
﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ
إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

١٧- ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ كذلك. ١٨- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾.

١٩- ﴿مَرَجَ﴾ أرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ في رأي العين. ٢٠- ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرته تعالى ﴿لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر فيختلط به. ٢١- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾. ٢٢- ﴿يَخْرُجُ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿مِنْهُمَا﴾ من مجموعهما ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ خرز أحمر أو صغار اللؤلؤ من أحدهما المرجان. ٢٣- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾.

٢٤- ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ السفن ﴿الْمُنْشَآتُ﴾ المحدثات ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾﴾ كالجبال عظما وارتفاعا. ٢٥- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾. ٢٦- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي الأرض من الحيوان ﴿فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ هالك وعبر بمن تغليبا للعقلاء. ٢٧- ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاته[1] ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ العظمة ﴿وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ للمؤمنين بأنعمه عليهم. ٢٨- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾.

٢٩- ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي بنطق أو حال ما يحتاجون إليه من القوّة على العبادة والرزق والمغفرة وغير ذلك ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ وقت ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ أمر يظهره على وفق ما قدّره في الأزل من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك. ٣٠- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾. ٣١- ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ سنقصد لحسابكم ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ الإنس والجنّ. ٣٢- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾. ٣٣- ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾ تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾ نواحي ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ أمر تعجيز ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾﴾ بقوّة، ولا قوّة لكم على ذلك. ٣٤- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾. ٣٥- ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان أو معه ﴿وَنُحَاسٌ﴾ أي دخان لا لهب فيه ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر. ٣٦- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾. ٣٧- ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ انفرجت أبوابا لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي مثلها محمرة ﴿كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ الأديم الأحمر على خلاف العهد بها، وجواب «إذا» فما أعظم الهول.

٣٨- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾. ٣٩- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾﴾ عن ذنبه ويسألون في وقت آخر ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ والجانّ هنا وفيما سيأتي بمعنى الجنّي، والإنس فيها بمعنى الإنسي.

٤٠- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾.

فتحت مكة، وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: قدم عشرة نفر من بني أسد على رسول الله ﷺ سنة تسع وفيهم طلحة بن خويلد ورسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وجئناك يا رسول الله و لم تبعث إلينا بعثا ونحن لمن وراءنا سلم فأنزل الله ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية. وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير قال: أتى قوم من الأعراب من بني أسد النبي ﷺ فقالوا: جئناك و لم نقاتلك فأنزل الله ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ الآية.

(سورة ق)

■ **أسباب نزول الآية ٣٨-** أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أن اليهود أتت رسول الله ﷺ فسألته عن خلق

---

(١) قلت: وهذا لا ينافي صفة الوجه الثابتة له سبحانه، وانظر الكلام على هذه الصفة في «مختصر الصواعق المرسلة».

سورة الرحمن

يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ
﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ
زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ
بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ
وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ
الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا
عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

٥٣٣

٤١- ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي سواد الوجوه وزرقة العيون ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾. ٤٢- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي تضم ناصية كل منهم إلى قدميه من خلف أو قدّام ويلقى في النار ويقال لهم: ٤٣- ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾. ٤٤- ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حارّ ﴿آنٍ﴾ شديد الحرارة يسقونه إذا استغاثوا من حر النار، وهو منقوص كـ «قاض».

٤٥- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٤٦- ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ أي لكل منهم أو لمجموعهم ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته ﴿جَنَّتَانِ﴾.

٤٧- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ٤٨- ﴿ذَوَاتَا﴾ تثنية ذوات على الأصل ولامها ياء ﴿أَفْنَانٍ﴾ أغصان جمع فنن كطلل. ٤٩- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ٥٠- ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾. ٥١- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٥٢- ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ في الدنيا أو كلّ ما يتفكه به ﴿زَوْجَانِ﴾ نوعان: رطب ويابس، والمرّ - منهما في الدنيا كالحنظل - حلو لم يشتمل عليه غيره. ٥٣- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ٥٤- ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال عاملها محذوف: أي يتنعمون ﴿عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ من الديباج وخشن، والظهائر من السندس ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ ثمرهما ﴿دَانٍ﴾ قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع. ٥٥- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٥٦- ﴿فِيهِنَّ﴾ في الجنتين وما اشتملتا عليه من العلالي والقصور ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ العين على أزواجهنّ المتكئين من الإنس والجنّ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ يفتضهنّ، وهنّ من الحور أو من نساء الدنيا المنشآت ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾.

٥٧- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ٥٨- ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾ صفاءً ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ أي اللؤلؤ بياضا.

٥٩- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ٦٠- ﴿هَلْ﴾ ما ﴿جَزَاءُ الْإِحْسَانِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ بالنعيم.

٦١- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ٦٢- ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي الجنتين المذكورتين ﴿جَنَّتَانِ﴾ أيضا لمن خاف مقام ربه. ٦٣- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ٦٤- ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ سوداوان من شدّة خضرتهما.

٦٥- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ٦٦- ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوّارتان بالماء لا تنقطعان.

٦٧- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

السماوات والأرض فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق في أول ساعة الآجال حتى يموت من مات وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء، مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة، قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثم استراح، فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا فنزل ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ وأخرج ابن جرير من طريق عمرو بن قيس المزني: قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ثم أخرج ابن جرير من طريق عمرو بن قيس الملائي عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ثم أخرج عن عمر مرسلا مثله.

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩)
فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ
مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣)
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
(٧٥) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٧٨)

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ
(٣) إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا (٥)
فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً (٧) فَأَصْحَٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ (٩) وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١)
فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ
(١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ (١٦)

٥٣٤

٦٨- ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨)﴾ هما منها، وقيل من غيرها. ٦٩- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩)﴾. ٧٠- ﴿فِيهِنَّ﴾ أي الجنتين وما فيهما ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ أخلاقا ﴿حِسَانٌ (٧٠)﴾ وجوها. ٧١- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١)﴾.

٧٢- ﴿حُورٌ﴾ شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ مستورات ﴿فِى ٱلْخِيَامِ (٧٢)﴾ من درّ مجوّف مضافة إلى القصور شبيهة بالخدور. ٧٣- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣)﴾.

٧٤- ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أزواجهنّ ﴿وَلَا جَآنٌّ (٧٤)﴾.

٧٥- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥)﴾. ٧٦- ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ أي أزواجهم، وإعرابه كما تقدّم ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ جمع رفرفة: أي بسط أو وسائد ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)﴾ جمع عبقرية: أي طنافس. ٧٧- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧)﴾. ٧٨- ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٧٨)﴾ تقدّم، ولفظ «اسم» زائد.

سورة الواقعة

[مكية إلا آيتي ٨١ و٨٢ فمدنيتان وآيتها ٩٦ أو ٩٧ أو ٩٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١)﴾ قامت القيامة. ٢- ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢)﴾ نفس تكذب: بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا. ٣- ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣)﴾ أي هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار ولرفع آخرين بدخولهم الجنة.

٤- ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا (٤)﴾ حركت حركة شديدة. ٥- ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا (٥)﴾ فتّتت.

٦- ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾ غبارا ﴿مُّنۢبَثًّا (٦)﴾ منتشرا، و «إذا» الثانية بدل من الأولى. ٧- ﴿وَكُنتُمْ﴾ في القيامة ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافا ﴿ثَلَٰثَةً (٧)﴾. ٨- ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم: مبتدأ خبره ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (٨)﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة. ٩- ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي الشمال بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (٩)﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار. ١٠- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الخير وهم الأنبياء: مبتدأ. ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠)﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم. ١١- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١)﴾. ١٢- ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (١٢)﴾. ١٣- ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣)﴾مبتدأ: أي جماعة من الأمم الماضية. ١٤- ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ (١٤)﴾ من أمّة محمد ﷺ وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة، والخبر: ١٥- ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥)﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر.

١٦- ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ (١٦)﴾ حالان من الضمير في الخبر.

(سورة الذاريات)

■ أسباب نزول الآية ١٩- أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأصابوا وغنموا، فجاء قوم بعدما فرغوا فنزلت ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ (١٩)﴾.

■ أسباب نزول الآية ٥٤ و٥٥- وأخرج أيضًا ابن منيع وابن راهويه والهيثم بن كليب في مسانيدهم من طريق مجاهد عن علي قال: لما نزلت ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ (٥٤)﴾ لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلكة إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنا فنزلت ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾ فطابت أنفسنا، وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أنه لما نزلت ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ الآية. اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ
ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ
﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا
مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ
أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ
عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

١٧- ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧)﴾ على شكل الأولاد لا يهرمون. ١٨- ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أقداح لا عُرى لها ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ لها عُرى وخراطيم ﴿وَكَأْسٍ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِّن مَّعِينٍ (١٨)﴾ أي خمر جارية من منبع لا ينقطع أبدا. ١٩- ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩)﴾ بفتح الزاي وكسرها، من نزف الشارب وأنزف: أي لا يحصل لهم منها صداع ولا ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا. ٢٠- ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠)﴾. ٢١- ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١)﴾.

٢٢- ﴿وَ﴾ لهم للاستمتاع. ﴿حُورٌ﴾ نساء شديدات سواد العيون وبياضها ﴿عِينٌ (٢٢)﴾ ضخام العيون: كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء ومفرده عيناء كحمراء. وفي قراءة بجرّ «حور عين». ٢٣- ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣)﴾ المصون. ٢٤- ﴿جَزَاءً﴾ مفعول له أو مصدر، والعامل مقدّر: أي جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو جزيناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)﴾.

٢٥- ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ فاحشاً من الكلام ﴿وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥)﴾ ما يؤثم. ٢٦- ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قِيلًا﴾ قولاً ﴿سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)﴾ بدل من «قيلا» فإنهم يسمعونه. ٢٧- ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧)﴾.

٢٨- ﴿فِي سِدْرٍ﴾ شجر النبق ﴿مَّخْضُودٍ (٢٨)﴾ لا شوك فيه. ٢٩- ﴿وَطَلْحٍ﴾ شجر الموز ﴿مَّنضُودٍ (٢٩)﴾ بالحمل من أسفله إلى أعلاه. ٣٠- ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠)﴾ دائم. ٣١- ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١)﴾ جار دائما.

٣٢- ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢)﴾. ٣٣- ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ في زمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣)﴾ بثمن. ٣٤- ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤)﴾ على سرر. ٣٥- ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥)﴾ أي الحور العين من غير ولادة. ٣٦- ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦)﴾ عذارى كلما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ عذارى ولا وجع. ٣٧- ﴿عُرُبًا﴾ بضم الراء وسكونها: جمع عَرُوب: وهي المتحببة إلى زوجها عشقا له ﴿أَتْرَابًا (٣٧)﴾ جمع ترب: أي مستويات في السنّ.

٣٨- ﴿لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨)﴾ صلة «أنشأناهنّ» أو «جعلناهنّ» وهم: ٣٩- ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩)﴾.

٤٠- ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (٤٠)﴾. ٤١- ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١)﴾.

٤٢- ﴿فِي سَمُومٍ﴾ ريح حارّة من النار تنفذ في المسامّ ﴿وَحَمِيمٍ (٤٢)﴾ ماء شديد الحرارة. ٤٣- ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣)﴾ دخان شديد السواد. ٤٤- ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ (٤٤)﴾ حسن المنظر.

٤٥- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ (٤٥)﴾ منعمين لا يتعبون في الطاعة.

٤٦- ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ﴾ الذنب ﴿الْعَظِيمِ (٤٦)﴾ أي الشرك.

٤٧- ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧)﴾ في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين.

٤٨- ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨)﴾ بفتح الواو للعطف والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد. وفي قراءة بسكون الواو عطفا بأو والمعطوف عليه محل «إنّ» واسمها.

٤٩- ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩)﴾.

٥٠- ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ﴾ لوقت ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠)﴾ أي يوم القيامة.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ
حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ
نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ
بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

٥١- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ .

٥٢- ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ بيان للشجر.

٥٣- ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا﴾ من الشجر ﴿ٱلْبُطُونَ﴾.

٥٤- ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي الزقوم المأكول ﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾

٥٥- ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ﴾ بفتح الشين وضمها: مصدر ﴿ٱلْهِيمِ﴾ الإبل العطاش: جمع هيمان للذكر وهيمى للأنثى، كعطشان وعطشى. ٥٦- ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ ما أعدّ لهم ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم القيامة. ٥٧- ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أوجدناكم من عدم ﴿فَلَوْلَا﴾ هلا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بالبعث، إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة. ٥٨- ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ تريقون المنيّ في أرحام النساء. ٥٩- ﴿ءَأَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه في المواضع الأربعة ﴿تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي المنيّ بشرا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾. ٦٠- ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين. ٦١- ﴿عَلَىٰٓ﴾ عن ﴿أَن نُّبَدِّلَ﴾ أي نجعل ﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصور كالقردة والخنازير. ٦٢- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وفي قراءة بسكون الشين ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال. ٦٣- ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ تثيرون في الأرض وتلقون البذر فيها. ٦٤- ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾. ٦٥- ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ نباتا يابسا لا حبّ فيه ﴿فَظَلْتُمْ﴾ أصله: ظللتم بكسر اللام حذفت تخفيفا: أي أقمتم نهارا ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ حذفت منه إحدى التاءين في الأصل: تعجبون من ذلك وتقولون: ٦٦- ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ نفقة زرعنا. ٦٧- ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ممنوعون رزقنا. ٦٨- ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾. ٦٩- ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ السحاب: جمع مزنة ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾. ٧٠- ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ ملحا لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿تَشْكُرُونَ﴾ . ٧١- ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ تخرجون من الشجر الأخضر. ٧٢- ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ كالمرخ والعفار والكلخ ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ . ٧٣- ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم ﴿وَمَتَٰعًا﴾ بلغة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ للمسافرين، من أقوى القوم: أي صاروا بالقوى بالقصر والمدّ: أي القفز وهو مفازة لا نبات فيها ولا ماء. ٧٤- ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزه ﴿بِٱسْمِ﴾ زائد ﴿رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي الله. ٧٥- ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بمساقطها لغروبها.

٧٦- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القسم بها ﴿لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم.

(سورة الطور)

■ **أسباب نزول الآية ٣٠-** أخرج ابن جرير عن ابن عباس أن قريشًا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة فإنما هو كأحدهم، فأنزل الله في ذلك ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾.

(سورة النجم)

■ **أسباب نزول الآية ٣٢-** أخرج الواحدي والطبراني وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: هو صديق، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: كذبت اليهود ما من نسمة يخلقه الله في بطن أمه إلا ويعلم أنه شقي أو سعيد فأنزل الله عند ذلك هذه الآية ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

٧٧- ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي المتلوّ عليكم ﴿لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾.

٧٨- ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ مكتوب ﴿مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ مصون وهو المصحف. ٧٩- ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ خبر بمعنى النهي ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي الذين طهّروا أنفسهم من الأحداث[1].

٨٠- ﴿تَنزِيلٌ﴾ منزل ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾. ٨١- ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾ متهاونون مكذبون.

٨٢- ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ من المطر: أي شكره ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ بسقيا الله حيث قلتم: مُطرنا بنوء كذا.

٨٣- ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح وقت النزع ﴿ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ هو مجرى الطعام. ٨٤- ﴿وَأَنتُمْ﴾ يا حاضري الميّت ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ إليه. ٨٥- ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ بالعلم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ من البصيرة: أي لا تعلمون ذلك. ٨٦- ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلا ﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ مجزيين بأن تبعثوا: أي غير مبعوثين بزعمكم. ٨٧- ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ تردّون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فيما زعمتم، فـ «لولا» الثانية تأكيد للأولى و «إذا» ظرف لـ «تَرْجعون» المتعلق به الشرطان، والمعنى: هلا ترجعونها إن نفيتم البعث صادقين في نفيه أي لينتفي عن محلها الموت كالبعث. ٨٨- ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ الميت ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾. ٨٩- ﴿فَرَوْحٌ﴾ أي فله استراحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ رزق حسن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ وهل الجواب لـ «أمّا» أو لـ «إن» أو لهما؟ أقوال. ٩٠- ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾. ٩١- ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ أي له السلامة من العذاب ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ من جهة أنه منهم. ٩٢- ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾. ٩٣- ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾. ٩٤- ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾. ٩٥- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته. ٩٦- ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ تقدّم.

سورة الحديد [مكية أو مدنية وآياتها ٢٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي نزهه كل شيء، فاللام مزيدة، وجيء بـ «ما» دون «مَن» تغليبا للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ في صنعه. ٢- ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ﴾ بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾. ٣- ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء بلا بداية ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ بعد كل شيء بلا نهاية ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلة عليه ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ عن إدراك الحواسّ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

■ أسباب نزول الآيات ٣٣-٤١- وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة أن النبي ﷺ خرج في غزوة فجاء رجل يريد أن يحمل فلم يجد ما يخرج عليه فلقي صديقًا له فقال: أعطني شيئا فقال: أعطيك بكري هذا على أن تتحمل ذنوبي فقال له: نعم، فأنزل الله ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ الآيات. وأخرج عن دراج أبي السمح قال: خرجت سرية غازية فسأل رجل رسول الله أن يحمله فقال: لا أجد ما أحملك عليه فانصرف حزينًا فمر برجل رحاله منيخة بين يديه فشكا إليه فقال الرجل: هل لك أن أحملك فتلحق الجيش بحسناتك فقال: نعم فركب فنزلت ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ إلى قوله:

(١) قارن بما في «التفسير القيم» عند هذه الآية. وانظر اختصاري لابن كثير (٣/٤٨٦).

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ
عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ
أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ
وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ
وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا
ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

٤- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا: أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الكرسي[1]، استواء يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كالمطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿٤﴾﴾. ٥- ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴿٥﴾﴾ الموجودات جميعا.

٦- ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾ يدخله ﴿فِى ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد وينقص الليل ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد وينقص النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴿٦﴾﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

٧- ﴿ءَامِنُوا۟﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟﴾ في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من مال مَنْ تقدّمكم وسيخلفكم فيه من بعدكم: نزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟﴾ إشارة إلى عثمان رضي الله عنه ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴿٧﴾﴾. ٨- ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ خطاب للكفار: أي لا مانع لكم من الإيمان ﴿بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ﴾ بضم الهمزة وكسر الخاء وبفتحهما ونصب ما بعدهما ﴿مِيثَٰقَكُمْ﴾ عليه: أي أخذه الله في عالم الذرّ حين أشهدهم على أنفسهم «ألست بربكم قالوا بلى» ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴿٨﴾﴾ أي مريدين الإيمان به فبادروا إليه. ٩- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ آيات القرآن ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴿٩﴾﴾. ١٠- ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ بعد إيمانكم ﴿أَلَّا﴾ فيه إدغام نون «أن» في لام «لا» ﴿تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بما فيهما فتصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ لمكة ﴿وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا﴾ من الفريقين. وفي قراءة بالرفع مبتدأ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴿١٠﴾﴾ فيجازيكم به. ١١- ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ وفي قراءة «فيضعّفه» بالتشديد ﴿لَهُۥ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما ذكر في البقرة ﴿وَلَهُۥٓ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴿١١﴾﴾ مقترن به رضا وإقبال.

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: إن رجلاً أسلم فلقيه بعض من يعيره فقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار قال: إني خشيت عذاب الله، قال: أعطني شيئًا وأنا أحمل كل عذاب كان عليك فأعطاه شيئًا فقال: زدني فتعاسرا حتى أعطاه شيئًا وكتب كتابًا وأشهد له، ففيه نزلت هذه الآية ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٦١**- وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلي شامخين، فنزلت ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

---

(١) تقدم أن العرش غير الكرسي، وانظر «الصحيحة» (١٠٩).

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم
بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ
ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ
أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ
ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا
مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾
ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

١٢- اذكر ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَٰنِهِم﴾ ويقال لهم ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ أي ادخلوها ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾. ١٣- ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾ أبصرونا. وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء: أمهلونا ﴿نَقْتَبِسْ﴾ نأخذ القبس والإضاءة ﴿مِن نُّورِكُمْ قِيلَ﴾ لهم استهزاء بهم ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ فرجعوا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ وبين المؤمنين ﴿بِسُورٍ﴾ قيل هو سور الأعراف ﴿لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ من جهة المؤمنين ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ من جهة المنافقين ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾.

١٤- ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ على الطاعة ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في دين الإسلام ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ الأطماع ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ الشيطان. ١٥- ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ بالياء والتاء ﴿مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أولى بكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ هي. ١٦- ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ﴾ يحن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: نزلت في شأن الصحابة لما أكثروا المزاح ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا۟﴾ معطوف على «تخشع» ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ هم اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ الزمن بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لم تلن لذكر الله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾. ١٧- ﴿ٱعْلَمُوٓا۟﴾ خطاب للمؤمنين المذكورين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات، فكذلك يفعل بقلوبكم يردّها إلى الخشـــوع ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدالة على قدرتنا بهذا وغـــيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾. ١٨- ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ من التصـــدّق، أدغمت التاء في الصـــاد: أي الذين تصدّقوا ﴿وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ اللاتي تصدقن. وفي قراءة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق والإيمان ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ راجع إلى الذكور والإناث بالتغليب، وعطف الفعل على الاسم في صلة «أل» لأنه فيها حل محل الفعل، وذكر القرض بوصفه بعد التصدّق تقييد له ﴿يُضَٰعَفُ﴾ وفي قراءة «يضعّف» بالتشديد. أي قرضهم ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

(سورة القمر)

■ **أسباب نزول الآية ١**- أخرج الشيخان والحاكم واللفظ له عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقًا شقين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ فقالوا: سحر القمر، فنزلت ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾. وأخرج الترمذي عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ إلى قوله ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٤٥**- وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا يوم بدر: نحن جميع منتصر فنزلت ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٤٧**- وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ إلى قوله ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

١٩- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ المبالغون في التصديق ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ على المكذبين من الأمم ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة على وحدانيتنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ النار. ٢٠- ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ﴾ تزيين ﴿وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ أي الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿كَمَثَلِ﴾ أي هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل ﴿غَيۡثٍ﴾ مطر ﴿أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ﴾ الزرّاع ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ الناشئ عنه ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗا﴾ فتاتا يضمحل بالرياح ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ لمن آثر عليها الدنيا ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾ ما التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾. ٢١- ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لو وصلت إحداهما بالأخرى والعرض السعة ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾. ٢٢- ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالجدب ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ كالمرض وفقد الولد ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾﴾. ٢٣- ﴿لِّكَيۡلَا﴾ كي ناصبة للفعل بمعنى «أن» أي: أخبر تعالى بذلك لئلا ﴿تَأۡسَوۡاْ﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ﴾ فرح بطر بل فرح شكر على النعمة ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ بالمدّ: أعطاكم، وبالقصر: جاءكم منه ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ﴾ متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ به على الناس.

٢٤- ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ به. لهم وعيد شديد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل. وفي قراءة بسقوطه ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن غيره ﴿ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ لأوليائه.

(سورة الرحمن)

أسباب نزول الآية ٤٦- أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء: أن أبا بكر الصديق ذكر ذات يوم القيامة والموازين والجنة والنار فقال: وددت أني كنت خضراء من هذه الخضر تأتي عليّ بهيمة تأكلني وأني لم أخلق فنزلت ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق.

(سورة الواقعة)

أسباب نزول الآية ١٣ و٣٩- أخرج أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم بسند فيه من لا يعرف عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ شق ذلك على المسلمين فنزلت ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾، وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق بسند فيه نظر من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ وذكر فيها ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ قال عمر: يا رسول الله ثلة من الأولين وقليل منا؟ فأمسك آخر السورة سنة ثم نزلت ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ فقال رسول الله ﷺ: يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وأخرجه ابن أبي حاتم عن عروة بن رويم مرسلاً.

أسباب نزول الآية ٢٧- وأخرج سعيد بن منصور في سننه والبيهقي في البعث عن عطاء ومجاهد قالا: لما سأل أهل الطائف الوادي يحمى لهم وفيه عسل ففعل، وهو واد معجب، فسمعوا الناس يقولون: إن في الجنة كذا وكذا، قالوا

سورة الحديد

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ
أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

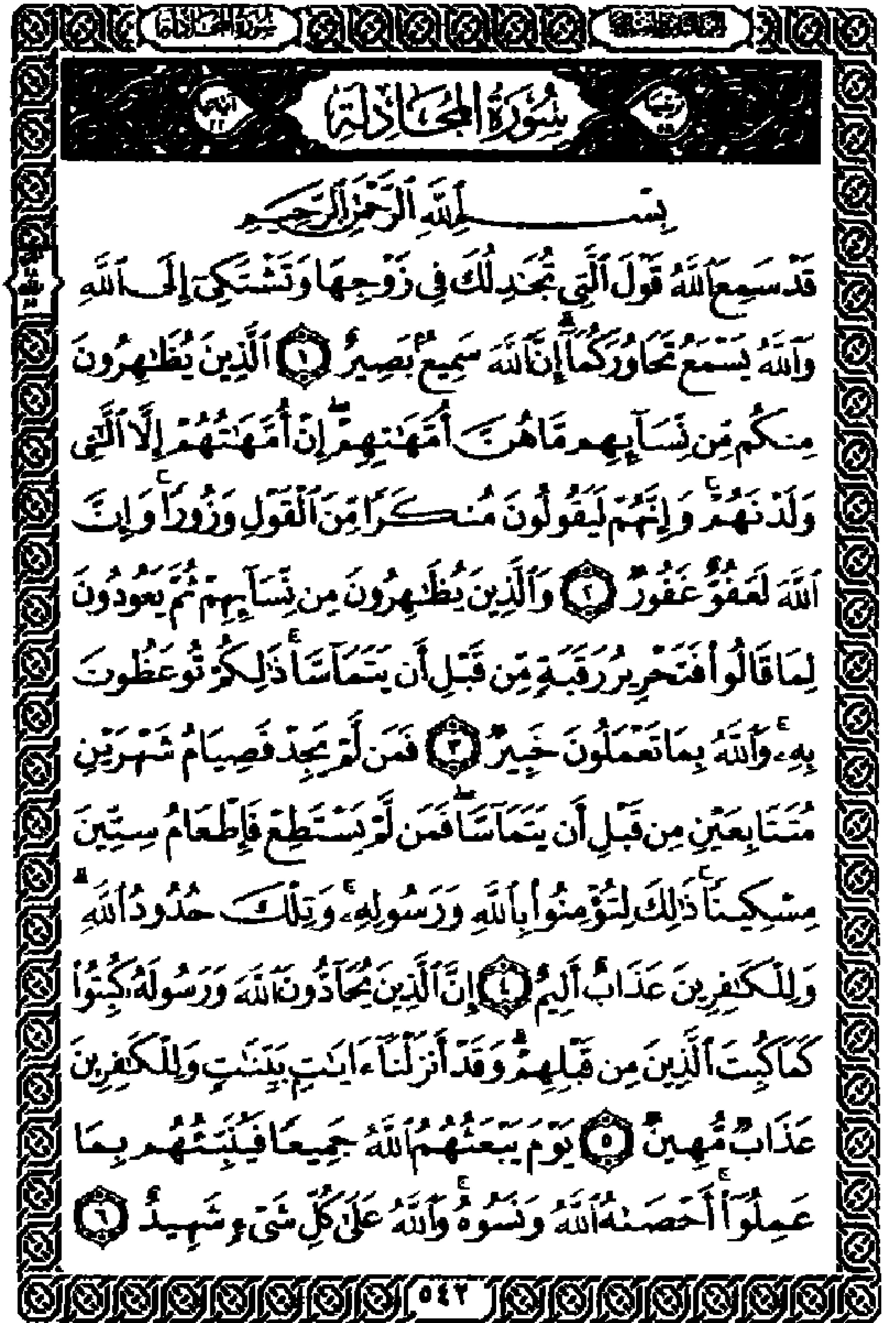
٢٥- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج القواطع ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أخرجناه من المعادن ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقاتل به ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم مشاهدة معطوف على «ليقوم الناس» ﴿مَن يَنصُرُهُ﴾ بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره ﴿وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال من هاء «ينصره» أي غائبا عنهم في الدنيا. قال ابن عباس: ينصرونه ولا يبصرونه ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴿٢٥﴾﴾ لا حاجة له إلى النصرة لكنها تنفع من يأتي بها. ٢٦- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يعني الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان فإنها في ذرّية إبراهيم ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴿٢٦﴾﴾. ٢٧- ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ هي رفض النساء واتخاذ الصوامع ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ من قبل أنفسهم ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾ لكن فعلوها ﴿ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ﴾ مرضاة ﴿اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ إذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم، وبقي على دين عيسى كثير منهم فآمنوا بنبينا ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ به ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴿٢٧﴾﴾.

٢٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بعيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ وعيسى ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِ﴾ لإيمانكم بالنبيَّيْن ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿٢٨﴾﴾. ٢٩- ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أي أعلمكم بذلك ليعلم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أَ﴾نْ مخففة الشأن والمعنى أنهم ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ خلاف ما في زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَن يَشَاءُ﴾ فآتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدّم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴿٢٩﴾﴾.

يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي فأنزل الله ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ الآيات.

■ أسباب نزول الآية ٢٩- وأخرج البيهقي من وجه آخر عن مجاهد قال: كانوا يعجبون بوج - واد في الطائف — وظلاله وطلحه وسدره فأنزل الله ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾.

■ أسباب نزول الآية ٧٥- وأخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة وضعها الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، فنزلت هذه الآيات ﴿۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي حزرة قال: نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار في غزوة تبوك، نزلوا الحجر فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئا، ثم ارتحل ونزل منزلا آخر وليس معهم ماء فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقام فصلى ركعتين ثم دعا فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها. فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك أما ترى ما دعا النبي ﷺ فأمطر الله علينا السماء فقال: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا.



سورة المجادلة

[مدنية وآياتها ٢٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ ﴾ تراجعك أيها النبيّ ﴿ فِي زَوۡجِهَا ﴾ المظاهر منها، وكان قال لها: أنت عليّ كظهر أمي، وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك فأجابها بأنها حرمت عليه، على ما هو المعهود عندهم من أن الظهار موجبه فرقة مؤبدة، وهي خولة بنت ثعلبة، وهو أوس بن الصامت ﴿ وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ وحدتها وفاقتها وصبية صغارا إن ضمتهم إليه ضاعوا أو إليها جاعوا ﴿ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ ﴾ تراجعكما ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾ عالم(١).

٢ - ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ ﴾ أصله: يتظهرون، أدغمت التاء في الظاء. وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة. وفي أخرى كـ «يقاتِلُونَ» والموضع الثاني كذلك ﴿ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي ﴾ بهمزة وياء وبلا ياء ﴿ وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ ﴾ بالظهار ﴿ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ ﴾ كذبا ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢ ﴾ للمظاهر بالكفارة. ٣ - ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ ﴾ أي فيه بأن يخالفوه بإمساك المظاهر منها الذي هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم ﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ ﴾ أي إعتاقها عليه ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ﴾ بالوطء ﴿ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٣ ﴾.

٤ - ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ ﴾ رقبة ﴿ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ ﴾ أي الصيام ﴿ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ﴾ عليه أي من قبل أن يتماسا - حملا للمطلق على المقيد - لكل مسكين مدٌّ من غالب قوت البلد. ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي التخفيف في الكفارة ﴿ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ ﴾ أي الأحكام المذكورة ﴿ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ بها ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤ ﴾ مؤلم. ٥ - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ﴾ يخالفون ﴿ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ ﴾ أي: أذلوا ﴿ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾ في مخالفتهم رسلهم ﴿ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖۚ ﴾ دالة على صدق الرسول ﴿ وَلِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ بالآيات ﴿ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٥ ﴾ ذو إهانة. ٦ - ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٦ ﴾

(سورة الحديد)

■ أسباب نزول الآية ١٦ - أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد العزيز بن أبي رواد: أن أصحاب النبي ﷺ ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: كان أصحاب النبي ﷺ قد أخذوا في شيء من المزاح، فأنزل الله ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية. وأخرج عن السدي عن القاسم قال: مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ ثم ملوا ملة فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية. وأخرج ابن المبارك في الزهد. أنبأنا سفيان عن الأعمش قال: لما قدمَ أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من العيش ما أصابوا بعدما كان بهم من الجهد فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه، فنزلت ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ ﴾ الآية.

---

(١) فيه نظر فالكتاب والسنة على إثبات السمع والبصر من غير مماثلة.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ
مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟
بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

٧- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بعلمه ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾. ٨- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ هم اليهود: نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم أي تحدّثهم سرًّا ناظرين إلى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ أيها النبيّ ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وهو قولهم: السَّام عليك: أي الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ من التحية وأنه ليس بنبيّ إن كان نبيا ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ هي.

٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾. ١٠- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ بالإثم ونحوه ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بغروره ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ﴾ هو ﴿بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي إرادته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

١١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟﴾ توسعوا ﴿فِي ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ مجلس النبي ﷺ والذكر حتى يجلس من جاءكم. وفي قراءة «المجالس» ﴿فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ في الجنة ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟﴾ قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات ﴿فَٱنشُزُوا۟﴾ وفي قراءة بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَ﴾ يرفع ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ في الجنة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٢٨**- وأخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه من لا يعرف عن ابن عباس: أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي ﷺ فشهدوا معه أحدًا فكانت فيهم جراحات ولم يُقتل منهم أحد، فملا رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا: يا رسول الله إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجيء بأموالنا نواسي بها المسلمين، فأنزل الله فيهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ الآيات فلما نزلت قالوا: يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجران، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ الآية وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: ولما نزلت ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ الآية فخر مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي ﷺ فقالوا: لنا أجران ولكم أجر فاشتد ذلك على الصحابة فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ الآية، فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب.

■ **أسباب نزول الآية ٢٩**- وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: بلغنا أنه لما نزلت ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ حسد أهل الكتاب المسلمين عليها فأنزل الله ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية. وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي فيقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية، يعني بالفضل النبوة.

(سورة المجادلة)

■ **أسباب نزول الآية ١**- أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ
صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ
(١٢) ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ
وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (١٣) ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا
غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ (١٥) ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ (١٦) لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١٧) يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ
إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ (١٨) ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ
ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ
(١٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ (٢٠)
كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ (٢١)

١٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ ﴾ أردتم مناجاته ﴿ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ ﴾ قبلها ﴿ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ ﴾ لذنوبكم ﴿ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ ﴾ ما تتصدَّقون به ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ ﴾ لمناجاتكم ﴿ رَّحِيمٌ (١٢) ﴾ بكم، يعني: فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة، ثم نسخ ذلك بقوله:

١٣- ﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه: أي خفتم من ﴿ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ ﴾ لفقر ﴿ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ ﴾ الصدقة ﴿ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ رجع بكم عنها ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ ﴾ أي داوموا على ذلك ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (١٣) ﴾.

١٤- ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ ﴾ تنظر ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ ﴾ هم المنافقون ﴿ قَوۡمًا ﴾ هم اليهود ﴿ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم ﴾ أي المنافقون ﴿ مِّنكُمۡ ﴾ من المؤمنين ﴿ وَلَا مِنۡهُمۡ ﴾ من اليهود، بل هم مذبذبون ﴿ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ ﴾ أي قولهم إنهم مؤمنون ﴿ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ (١٤) ﴾ أنهم كاذبون فيه. ١٥- ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (١٥) ﴾ من المعاصي. ١٦- ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ ﴾ سترا على أنفسهم وأموالهم ﴿ فَصَدُّواْ ﴾ بها المؤمنين ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي الجهاد فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ (١٦) ﴾ ذو إهانة.

١٧- ﴿ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ من عذابه ﴿ شَيۡـًٔاۚ ﴾ من الإغناء ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١٧) ﴾. ١٨- اذكر ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ ﴾ أنهم مؤمنون ﴿ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ ﴾ من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ (١٨) ﴾.

١٩- ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ ﴾ استولى ﴿ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ بطاعتهم له ﴿ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ أتباعه ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (١٩) ﴾. ٢٠- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ﴾ يخالفون ﴿ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ (٢٠) ﴾ المغلوبين. ٢١- ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾ في اللوح المحفوظ، أو قضى ﴿ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ﴾ بالحجة أو السيف ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ (٢١) ﴾.

خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل هؤلاء الآيات ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا ﴾ وهو أوس بن الصامت.

■ **أسباب نزول الآية ٨-** وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة فكانوا إذا مر بهم رجل من الصحابة جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكرهه، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾ الآية، وأخرج أحمد والبزار والطبراني بسند جيد عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليكم ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ وفي الباب عن أنس وعائشة.

■ **أسباب نزول الآية ١٠-** وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: كان المنافقون يتناجون بينهم وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم، فأنزل الله ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ الآية.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣)

٢٢- ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾ يصادقون ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا﴾ أي المحادّون ﴿آبَاءَهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان كما وقع لجماعة من الصحابة ﷺ ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين لا يوادّونهم ﴿كَتَبَ﴾ أثبت ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ﴾ بنور ﴿مِنْهُ﴾ تعالى ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يتبعون أمره ويجتنبون نهيه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ الفائزون.

سورة الحشر

[مدنية وآياتها ٢٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي نزهه، فاللام مزيدة وفي الإتيان بما تغليب للأكثر ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾ في ملكه وصنعه. ٢- ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هم بنو النضير من اليهود ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ مساكنهم بالمدينة ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ هو حشرهم إلى الشام، وآخره أن أجلاهم عمر في خلافته إلى خيبر ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ﴾ خبر «أن» ﴿حُصُونُهُمْ﴾ فاعله، تم به الخبر ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ أمره وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين ﴿وَقَذَفَ﴾ ألقى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضمها الخوف بقتل سيدهم كعب ابن الأشرف ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف، من أخرب ﴿بُيُوتَهُمْ﴾ لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢)﴾.

٣- ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾ قضى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ الخروج من الوطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي كما فعل بقريظة من اليهود ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣)﴾.

■ أسباب نزول الآية ١١- وأخرج أيضًا عنه قال: كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت يوم الجمعة وقد جاء ناس من أهل بدر وفي المكان ضيق فلم يفسح لهم فقاموا على أرجلهم فأقام ﷺ نفرًا بعدهم وأجلسهم مكانهم فكره أولئك النفر ذلك فنزلت.

■ **أسباب نزول الآية ١٢ و١٣:** وأخرج من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه فأنزل ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾ الآية، فلما نزلت صبر كثير من الناس وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد ذلك ﴿أَأَشْفَقْتُمْ﴾ الآية، وأخرج الترمذي وحسنه وغيره عن علي قال: لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ قال لي النبي ﷺ ما ترى؟ دينار قلت: لا يطيقونه، فنصف دينار، قلت لا يطيقونه، قال: فكم؟ قلت شعيرة، قال: إنك لزهيد فنزلت ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ الآية، فبي خفف الله عن هذه الأمة، قال الترمذي: حسن.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً
عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ
دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾
لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

٤- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له. ٥- ﴿مَا قَطَعْتُم﴾ يا مسلمون ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ نخلة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي خيّركم في ذلك ﴿وَلِيُخْزِيَ﴾ بالإذن في القطع ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ اليهود في اعتراضهم أن قطع الشجر المثمر فساد.

٦- ﴿وَمَا أَفَاءَ﴾ ردّ ﴿اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ أسرعتم يا مسلمون ﴿عَلَيْهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ إبل: أي لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا حقّ لكم فيه ويختص به النبيّ ﷺ ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أنّ لكل منهم خمس الخمس وله ﷺ الباقي يفعل فيه ما يشاء، فأعطى المهاجرين وثلاثة من الأنصار لفقرهم. ٧- ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ كالصفراء ووادي القرى وينبع ﴿فَلِلَّهِ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي﴾ صاحب ﴿الْقُرْبَىٰ﴾ قرابة النبي من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين: أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس وله الباقي ﴿كَيْ لَا﴾ «كي» بمعنى اللام، و «أن» مقدّرة بعدها ﴿يَكُونَ﴾ الفيء علة لقسمه كذلك ﴿دُولَةً﴾ متداولاً ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ﴾ أعطاكم ﴿الرَّسُولُ﴾ من الفيء وغيره ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. ٨- ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف: أي أعجبوا ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم. ٩- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أي المدينة ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ أي ألفوه وهم الأنصار ﴿مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسدا ﴿مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي آتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة بهم ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ما يؤثرون به ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حرصها على المال ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ١٤:** وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا ﴾ الآية، بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن نبتل.

■ **أسباب نزول الآية ١٨:** وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ في ظل حجره وقد كاد الظل أن يتقلص، فقال: إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان فإذا جاءكم فلا تكلموه. فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال له حين رآه: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فقال: ذرني آتك بهم فانطلق فدعاهم فحلفوا له ما قالوا وما فعلوا فأنزل الله ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٢٢:** وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ﴾ الآية. وأخرجه الطبراني والحاكم في المستدرك بلفظ: جعل والد أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فنزلت، وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ فصكه أبو بكر صكة فسقط، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: أفعلت يا أبا بكر؟ فقال: و الله لو كان السيف قريبًا مني لضربته به فنزلت ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا ﴾ الآية.

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا
وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا
غِلࣰّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفࣱ رَّحِيمٌ (١٠) ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ
أَحَدًا أَبَدࣰا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ
(١١) لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢)
لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةࣰ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمࣱ
لَّا يَفۡقَهُونَ (١٣) لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرࣰى
مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۢۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدࣱۚ تَحۡسَبُهُمۡ
جَمِيعࣰا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمࣱ لَّا يَعۡقِلُونَ (١٤)
كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبࣰاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمࣱ (١٥) كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيٓءࣱ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٦)

١٠- ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلࣰّا﴾ حقدا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفࣱ رَّحِيمٌ (١٠)﴾. ١١- ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهم بنو النضير وإخوانهم في الكفر ﴿لَئِنۡ﴾ لام قسم في الأربعة ﴿أُخۡرِجۡتُمۡ﴾ من المدينة ﴿لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ﴾ في خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدࣰا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ﴾ حذفت منه اللام الموطئة ﴿لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ (١١)﴾.

١٢- ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ﴾ أي جاؤوا لنصرهم ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾ واستغنى بجواب القسم المقدّر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢)﴾ أي اليهود. ١٣- ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةࣰ﴾ خوفا ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ أي المنافقين ﴿مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ لتأخير عذابه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمࣱ لَّا يَفۡقَهُونَ (١٣)﴾. ١٤- ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ أي اليهود ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرࣰى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ﴾ سور، وفي قراءة «جدر» ﴿جُدُرِۢۚ بَأۡسُهُم﴾ حربهم ﴿بَيۡنَهُمۡ شَدِيدࣱۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعࣰا﴾ مجتمعين ﴿وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ متفرقة خلاف الحسبان ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمࣱ لَّا يَعۡقِلُونَ (١٤)﴾. ١٥- مثلهم في ترك الإيمان ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبࣰاۖ﴾ بزمن قريب وهم أهل بدر من المشركين ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ عقوبته في الدنيا من القتل وغيره ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمࣱ (١٥)﴾ مؤلم في الآخرة.

١٦- مثلهم أيضا في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءࣱ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٦)﴾ كذبا منه ورياء.

(سورة الحشر)

■ **أسباب نزول الآية ١**: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: سورة الأنفال نزلت في بدر وسورة الحشر نزلت في بني النضير، وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم ونخلهم في ناحية المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة وهي السلاح فأنزل الله فيهم ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٥**: وأخرج البخاري وغيره عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع ودي البويرة فأنزل الله ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا﴾ الآية. وأخرج أبو يعلى بسند ضعيف عن جابر قال: رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله هل علينا إثم فيما قطعناه أو تركناه؟ فأنزل الله ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا﴾ الآية، وأخرج ابن إسحاق عن يزيد بن رومان قال: لما نزل رسول الله ﷺ ببني النضير تحصنوا منه في الحصون فأمر بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فنزلت. وأخرج ابن جرير عن قتادة ومجاهد مثله.

■ **أسباب نزول الآية ٩**: وأخرج ابن المنذر عن يزيد الأصم أن الأنصار قالوا: يا رسول الله اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين قال: لا ولكن تكفوهم المؤنة وتقاسموهم الثمرة، والأرض أرضكم قالوا: رضينا، فأنزل الله ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ الآية، وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال: ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله، فقام رجل من

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ
نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ
﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا
ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ
ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ
هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ
﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ
يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ المُمۡتَحَنَةِ

١٧- ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ أي الغاوي والمغوي وقرئ بالرفع اسم «كان» ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ الكافرين. ١٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ ليوم القيامة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾. ١٩- ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ أن يقدموا لها خيرا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾. ٢٠- ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾. ٢١- ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ﴾ وجعل فيه تمييز كالإنسان ﴿لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا﴾ متشققا ﴿مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾ المذكورة ﴿نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ فيؤمنوا. ٢٢- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ السرّ والعلانية ﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾. ٢٣- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما لا يليق به ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾ المصدّق رسله بخلق المعجزة لهم ﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ من هَيْمَنَ يهيمن: إذا كان رقيبا على الشيء: أي الشهيد على عباده بأعمالهم ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ القوي ﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾ جبر خلقه على ما أرادَ ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ نزه نفسه ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ به. ٢٤- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ﴾ المنشيء من العدم ﴿ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث، والحسنى: مؤنث الأحسن ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ تقدم أولها.

الأنصار فقال: أنا يا رسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئًا قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ وأخرج مسدد في مسنده وابن المنذر عن أبي المتوكل الناجي: أن رجلا من المسلمين فذكر نحوه وفيه أن الرجل الذي أضاف ثابت بن قيس بن شماس، فنزلت فيه الآية، وأخرج الواحدي من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر قال: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي فلانًا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى أولئك، فنزلت ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١١: وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: أسلم من أهل قريظة وكان فيهم منافقون وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، فنزلت هذه الآية فيهم ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ﴾.

(سورة الممتحنة)

أسباب نزول الآية ١: أخرج الشيخان عن علي قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فأتوني به، فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال: ما هذا يا حاطب؟ قال لا تعجل عليَّ يا رسول الله إني كنت ملصقًا في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم أن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

٥٤٩

سورة الممتحنة

[مدنية وآياتها ١٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ﴾ أي كفار مكة ﴿ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ ﴾ توصلون ﴿ إِلَيْهِم ﴾ قصد النبي ﷺ غزوهم الذي أسره إليكم وورّى بحنين ﴿ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ بينكم وبينهم. كتب حاطب بن أبي بلتعة إليهم كتابا بذلك لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين فاسترده النبي ﷺ ممن أرسله معه بإعلام الله تعالى له بذلك وقبل عذر حاطب فيه[1] ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾ أي دين الإسـلام والقرآن ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ من مكة بتضييقهم عليكم ﴿ أَن تُؤْمِنُوا ﴾ أي لأجل أن آمنتم ﴿ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا ﴾ للجهاد ﴿ فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ﴾ وجواب الشرط دل عليه ما قبله: أي فلا تتخذوهم أولياء ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ ﴾ أي إسرار خبر النبي إليهم ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ أخطأ طريق الهدى. والسواء في الأصل: الوسط. ٢- ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ ﴾ يظفروا بكم ﴿ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ بالقتل والضرب ﴿ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ﴾ بالسـب والشتم ﴿ وَوَدُّوا ﴾ تمنوا ﴿ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾. ٣- ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ ﴾ قراباتكم ﴿ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴾ المشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر من العذاب في الآخرة ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ وبينهم فتكونون في الجنة وهم في جملة الكفار في النار ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾. ٤- ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ ﴾ بكسر الهمزة وضمها في الموضعين، قدوة ﴿ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ أي به قولا وفعلا ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ من المؤمنين ﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ ﴾ جمع بريء كظريف ﴿ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ أنكرناكم ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واوا ﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ مستثنى من «إسوة» أي فليس لكم التأسي به في ذلك بأن تستغفروا للكفار. وقوله ﴿ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي من عذابه وثوابه ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ كنى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار، فهو مبني عليه مستثنى من حيث المراد منه، وإن كان من حيث ظاهره مما يتأسى فيه ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدوّ الله كما ذكره في براءة ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ من مقول الخليل ومن معه: أي قالوا: ٥- ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا: أي تذهب عقولهم بنا ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ في ملكك وصنعك.

أتخذ يدًا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر، فقال النبي ﷺ: صدق وفيه أنزلت هذه السورة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٨:** وأخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر قالت: أتتني أمي راغبة، فسألت النبي ﷺ أأصلها؟ قال: نعم فأنزل الله فيها ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾، وأخرج أحمد والبزار والحاكم وصححه

(١) انظر «الصحيح المسند من أسباب النزول» (٢٠٩).

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم
مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

٦- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد جواب قسم مقدر ﴿فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ﴾ بدل اشتمال من «كم» بإعادة الجار ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي يخافهما أو يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ بأن يوالي الكفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته. ٧- ﴿۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ من كفار مكة طاعة لله تعالى ﴿مَّوَدَّةً﴾ بأن يهديهم للإيمان فيصيروا لكم أولياء ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك. وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. ٨- ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ من الكفار ﴿فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من «الذين» ﴿وَتُقْسِطُوا﴾ تقضوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسط أي بالعدل وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين. ٩- ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا﴾ عاونوا ﴿عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل اشتمال من «الذين» أي تتخذوهم أولياء ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. ١٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ بألسنتهن ﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾ من الكفار بعد الصلح معهم في الحديبية على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يرد ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالحلف أنهنّ ما خرجن إلا رغبة في الإسلام لا بغضا لأزواجهنّ الكفار ولا عشقا لرجال من المسلمين كذا كان النبي ﷺ يحلفهن ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ ظننتموهنّ بالحلف ﴿مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾ تردّوهنّ ﴿إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم﴾ أي أعطوا الكفار أزواجهنّ ﴿مَّا أَنفَقُوا﴾ عليهنّ من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ بشرطه ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنّ ﴿وَلَا تُمْسِكُوا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ زوجاتكم لقطع إسلامكم لها بشرطه أو اللاحقات بالمشركين مرتدات لقطع ارتدادهنّ نكاحكم بشرطه ﴿وَاسْأَلُوا﴾ اطلبوا ﴿مَا أَنفَقْتُمْ﴾ عليهنّ من المهور في صورة الارتداد ممن تزوجن من الكفار ﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾ على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ به ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. ١١- ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي واحدة فأكثر منهنّ أو شيء من مهورهنّ بالذهاب ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ مرتدات ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فغزوتم وغنمتم ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم﴾ من الغنيمة ﴿مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ لفواته عليهم من جهة الكفار ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم.

عن عبد الله بن الزبير قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية، فقدمت على بنتها بهدايا فأبت أسماء أن تقبل منها أو تدخلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله ﷺ، فأخبرته فأمرها أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها فأنزل الله ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ١٠**: وأخرج الشيخان عن المسور ومروان بن الحكم: أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرت أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط في الهدنة فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله ﷺ وكلماه في أم كلثوم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (١٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ (١٣)

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ (٣) إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ (٤) وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ (٥)

٥٥١

١٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾ كما كان يفعل في الجاهلية من وأد البنات: أي دفنهن أحياء خوف العار والفقر ﴿وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ﴾ أي بولد ملقوط ينسبنه إلى الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعته سقط بين يديها ورجليها ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي﴾ فعل ﴿مَعۡرُوفٖ﴾ هو ما وافق طاعة الله كترك النياحة وتمزيق الثياب وجزّ الشعور وشق الجيب وخمش الوجه ﴿فَبَايِعۡهُنَّ﴾ فعل ذلك ﷺ بالقول ولم يصافح واحدة منهنّ ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (١٢)﴾. ١٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ هم اليهود ﴿قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ من ثوابها مع إيقانهم بها لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ﴾ الكائنون ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ (١٣)﴾ أي المقبورين من خير الآخرة، إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

سورة الصف [مكية أو مدنية وآياتها ١٤]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي نزهه فاللام مزيدة وجيء بـ «ما» دون «من» تغليبا للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ (١)﴾ في صنعه. ٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ﴾ في طلب الجهاد ﴿مَا لَا تَفۡعَلُونَ (٢)﴾ إذ انهزمتم بأحد. ٣- ﴿كَبُرَ﴾ عظم ﴿مَقۡتًا﴾ تمييز ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ﴾ فاعل «كبر» ﴿مَا لَا تَفۡعَلُونَ (٣)﴾. ٤- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾ ينصر ويكرم ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾ حال أي صافين ﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ (٤)﴾ ملزق بعضه إلى بعض ثابت. ٥- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي﴾ قالوا: إنه آدر، أي منتفخ الخصية وليس كذلك وكذبوه ﴿وَقَد﴾ للتحقيق ﴿تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ﴾ الجملة حال والرسول يحترم ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ عدلوا عن الحق بإيذائه ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ أمالها عن الهدى على وفق ما قدره في الأزل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ (٥)﴾ الكافرين في علمه.

أن يردها إليهم فنقض الله العهد بينه وبين المشركين خاصة في النساء ومنع أن يرددن إلى المشركين، فأنزل الله آية الامتحان. وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي حبيب أنه بلغه أنها نزلت في أميمة بنت بشر امرأة أبي حسان الدحداحة، وأخرج عن مقاتل أن امرأة تسمى سعيدة كانت تحت صيفي بن الراهب وهو مشرك من أهل مكة جاءت زمن الهدنة فقالوا: ردها علينا فنزلت. وأخرج ابن جرير عن الزهري أنها نزلت عليه وهو بأسفل الحديبية وكان صالحهم أنه من أتاه رد إليهم فلما جاءه النساء نزلت هذه الآية. وأخرج ابن منيع من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أسلم عمر بن الخطاب فتأخرت امرأته في المشركين فأنزل الله ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ١١**: وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن في قوله ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ﴾ الآية. قال: نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت فتزوجها رجل ثقفي ولم ترتد امرأة من قريش غيرها.

■ **أسباب نزول الآية ١٣**: وأخرج ابن المنذر من طريق ابن إسحاق عن محمد عن عكرمة وأبو سعيد عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحارث يوادان رجالاً من يهود، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ الآية.

(سورة الصف)

■ **أسباب نزول الآية ١ و٢**: أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفرًا من أصحاب

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ
عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ
طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟
أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

٦- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لم يقل: يا قوم لأنه لم يكن له فيهم قرابة ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ جاء أحمد الكفار ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الآيات والعلامات ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا﴾ أي المجيء به ﴿سِحْرٌ﴾ وفي قراءة «ساحر» أي الجائي به ﴿مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ بيّن. ٧- ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ﴾ أشـدّ ظلما ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ووصف آياته بالسحر ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ الكافرين. ٨- ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟﴾ منصوب بـ «أن» مقدرة واللام مزيدة ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بأقوالهم: إنه سحر وشعر وكهانة ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ﴾ مظهر ﴿نُورِهِۦ﴾ وفي قراءة بالإضافة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ ذلك. ٩- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ يعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ ذلك. ١٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ مؤلم فكأنهم قالوا: نعم، فقال: ١١- ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ تدومون على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ أنه خير لكم فافعلوه. ١٢- ﴿يَغْفِرْ﴾ جواب شرط مقدّر: أي إن تفعلوه يغفر ﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾. ١٣- ﴿وَ﴾ يؤتكم نعمة ﴿أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ بالنصر والفتح. ١٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ لدينه وفي قراءة بالإضافة ﴿كَمَا قَالَ﴾ الخ المعنى: كما كان الحواريون كذلك الـدال عليه قال ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: من الأنصار الذين يكونون معي متوجها إلى نصرة الله؟ ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ والحواريون أصفياء عيسى، وهم أوّل من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً؛ من (الحور): وهو البياض الخالص، وقيل كانوا: قصارين يحورون الثياب: أي يبيضونها ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى، وقالوا إنه عبد الله رفع إلى السماء ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ لقولهم إنه ابن الله رفعه إليه فاقتتلت الطائفتان ﴿فَأَيَّدْنَا﴾ قوّينا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من الطائفتين ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ الطائفة الكافرة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ غالبين.

رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ فقرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه.

■ **أسباب نزول الآية ١٠**: وأخرج عن أبي صالح قال: قالوا: لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ الآية، فكرهوا الجهاد، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس نحـوه. وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس

سُورَةُ الجُمُعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾
قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوٓا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ
أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِالظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ
الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

٥٥٣

سورة الجمعة

[مدنية وآياتها ١١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ ينزهه فاللام زائدة ﴿مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ في ذكر «ما» تغليب للأكثر ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ المنزه عما لا يليق به ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ في ملكه وصنعه.

٢- ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ العرب. والأمي من لا يكتب ولا يقرأ كتابا ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي وإنهم ﴿كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ بيِّن.

٣- ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطف على الأمّيين: أي الموجودين ﴿مِنْهُمْ﴾ والآتين منهم بعدهم ﴿لَمَّا﴾ لم ﴿يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ في السابقة والفضل ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ في ملكه وصنعه وهم التابعون، والاقتصار عليهم كافٍ في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي ﷺ على من عداهم ممن بعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجنّ إلى يوم القيامة، لأنّ كل قرن خير ممن يليه. ٤- ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ النبي ومن ذكر معه ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ . ٥- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَىٰةَ﴾ كلفوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بما فيها من نعته ﷺ فلم يؤمنوا به ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ أي كتبا في عدم انتفاعه بها ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾ المصدّقة للنبي ﷺ والمخصوص بالذمّ محذوف، تقديره: هذا المثل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ الكافرين. ٦- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوٓا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ تعلق بـ «تمنوا» الشرطان على أنّ الأوّل قيد في الثاني: أي إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء لله والولي يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنوه. ٧- ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِالظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ الكافرين.

٨- ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ﴾ الفاء زائدة ﴿مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ﴾ السر والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ فيجازيكم به.

وابن جرير عن الضحاك قال: أنزلت ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل، وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت في توليهم يوم أحد.

■ **أسباب نزول الآية ١١:** وأخرج عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ قال المسلمون: لو علمنا ما هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين فنزلت ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

(سورة الجمعة)

■ **أسباب نزول الآية ١١:** أخرج الشيخان عن جابر قال: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير قد قدمت فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوٓا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ
فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ
١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ
مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١
ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ
فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ
وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ
صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤

٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن﴾ بمعنى في ﴿يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ﴾ فامضوا ﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي الصلاة ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ أي اتركوا عقده ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ أنه خير فافعلوه.

١٠- ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أمر إباحة ﴿وَٱبۡتَغُواْ﴾ اطلبوا الرزق ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ ذكرا ﴿كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ تفوزون. كان ﷺ يخطب يوم الجمعة فقدمت عير وضرب لقدومها الطبل على العادة فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلاً فنزلت: ١١- ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ أي التجارة لأنها مطلوبهم دون اللهو ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخطبة ﴿قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيۡرٞ﴾ للذين آمنوا ﴿مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾ يقال: كل إنسان يرزق عائلته أي من رزق الله تعالى.

سورة المنافقون [مدنية وآياتها ١١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ﴾ بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ فيما أضمروه مخالفا لما قالوه. ٢- ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ سترة على أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّواْ﴾ بها ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي من الجهاد فيهم ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢﴾. ٣- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي سوء عملهم ﴿بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بالقلب أي استمروا على كفرهم به ﴿فَطُبِعَ﴾ ختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ بالكفر ﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣﴾ الإيمان. ٤- ﴿۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ لجمالها ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾ لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمۡ﴾ من عظم أجسامهم في ترك التفهم ﴿خُشُبٞ﴾ بسكون الشين وضمها ﴿مُّسَنَّدَةٞۖ﴾ ممالة إلى الجدار ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ﴾ تصاح كنداء في العسكر وإنشاد ضالة ﴿عَلَيۡهِمۡۚ﴾ لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ﴾ فإنهم يفشون سرك للكفار ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ أهلكهم ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤﴾ كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان.

وأخرج ابن جرير عن جابر أيضًا قال: كان الجواري إذا نكحوا كانوا يمرون بالكبر والمزامير ويتركون النبي ﷺ قائمًا على المنبر وينفضون إليها فنزلت وكأنها نزلت في الأمرين معًا، ثم رأيت ابن المنذر أخرجه عن جابر لقصة النكاح وقدوم العير معًا من طريق واحد وأنها نزلت في الأمرين فلله الحمد.

(سورة المنافقون)

■ **أسباب نزول الآية ٥:** أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قيل لعبد الله بن أبي: لو أتيت النبي ﷺ فاستغفر لك، فجعل يلوي رأسه فنزلت فيه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ الآية، وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله.

■ **أسباب نزول الآية ٦:** وأخرج عن عروة قال: لما نزلت ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ قال النبي ﷺ: لأزيدن على السبعين فأنزل الله ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ الآية، وأخرج عن مجاهد وقتادة مثله. وأخرجه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزلت آية براءة قال النبي ﷺ: وأنا أسمع أني قد رخص لي فيهم فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم فنزلت.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُن

٥- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟﴾ معتذرين ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟﴾ بالتشديد والتخفيف عطفوا ﴿رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن ذلك ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴿٥﴾﴾.

٦- ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴿٦﴾﴾. ٧- ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ﴾ يتفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالرزق فهو الرازق للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴿٧﴾﴾.

٨- ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ أي من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾ عنوا به أنفسهم ﴿مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ﴾ عنوا به المؤمنين ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴿٨﴾﴾ ذلك. ٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ﴾ تشغلكم ﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ الصلوات الخمس ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴿٩﴾﴾. ١٠- ﴿وَأَنفِقُوا۟﴾ في الزكاة ﴿مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ﴾ بمعنى هلا أو «لا» زائدة و«لو» للتمني ﴿أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الصاد أتصدّق بالزكاة ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴿١٠﴾﴾ بأن أحجّ. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت. ١١- ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴿١١﴾﴾ بالتاء والياء.

■ أسباب نزول الآية: ٧ و٨: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: سمعت عبد الله بن أبي يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فلئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي فذكر ذلك عمي للنبي ﷺ فدعاني النبي ﷺ فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا فكذبني وصدقه فأصابني شيء لم يصبني قط مثله، فجلست في البيت فقال عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك فأنزل الله ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ فبعث إليّ رسول الله ﷺ فقرأها ثم قال: إن الله قد صدقك، له طرق كثيرة عن زيد وفي بعضها أن ذلك في غزوة تبوك وأن نزول السورة ليلاً.

(سورة التغابن)

■ أسباب نزول الآية ١٤: أخرج الترمذي والحاكم وصححاه عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ﴾ في قوم من أهل مكة أسلموا فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا المدينة فلما قدموا على رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا فهمّوا أن يعاقبوهم، فأنزل الله ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟﴾ الآية، وأخرج ابن جرير عن عطـاء بن يسار قال: نزلت سـورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ووقفوه فقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق ويقيم فنزلت هذه الآية وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة.

■ أسباب نزول الآية ١٦: وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ
وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى
اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي
لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ
صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

سورة التغابن

[مكية أو مدنية وآياتها ١٨]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي ينزهه فـ «اللام» زائدة وأتى بـ «ما» دون «من» تغليبا للأكثر ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿١﴾﴾. ٢- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في أصل الخلقة ثم يميتكم ويعيدكم على ذلك ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿٢﴾﴾ . ٣- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴿٣﴾﴾. ٤- ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴿٤﴾﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات. ٥- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبة الكفر في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٥﴾﴾ مؤلم. ٦- ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي عذاب الدنيا ﴿بِأَنَّهُ﴾ ضمير الشأن ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ﴾ أريد به الجنس ﴿يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾ عن الإيمان ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴿٦﴾﴾ محمود في أفعاله. ٧- ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن﴾ مخففة واسمها محذوف: أي إنهم ﴿لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴿٧﴾﴾ . ٨- ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ﴾ القرآن ﴿الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴿٨﴾﴾ .

٩- اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ يوم القيامة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنة لو آمنوا ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة بالنون في الفعلين ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴿٩﴾﴾.

(سورة الطلاق)

■ أسباب نزول الآية ١ : أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: طلق عبد يزيد أبو ركانة أم ركانة، ثم نكح امرأة من مزينة فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ما عني إلا عن هذه الشقرة فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ وقال الذهبي: الإسناد واه والخبر خطأ فإن عبد يزيد لم يدرك الإسلام، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق قتادة عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ فقيل له: راجعها فإنها صوّامة قوامة، وأخرجه ابن جرير عن قتادة مرسلًا وابن منذر عن ابن سيرين مرسلًا. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الآية، قال: بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن عمرو بن العاص وطفيل بن الحارث وعمرو بن سعيد بن العاص.

■ أسباب نزول الآية ٢ : وأخرج الحاكم عن جابر قال: نزلت هذه الآية ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ في رجل من أشجع كان فقيرًا خفيف ذات اليد كثير العيال فأتى رسول الله ﷺ فسأله، فقال له: اتق الله واصبر فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جاء ابن له بغنم وكان العدو أصابوه فأتى رسول الله ﷺ فأخبره خبرها فقال: كلها، فنزلت، قال الذهبي: حديث منكر له شاهد، وأخرج ابن جرير مثله عن سالم بن أبي الجعد، والسدي وسمى الرجل عوفًا الأشجعي، وأخرج الحاكم أيضًا من حديث ابن مسعود وسماه كذلك. وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: جاء عوف بن

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن
مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

١٠- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ هي.
١١- ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿وَمَن
يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ في قوله: إن المصيبة بقضائه ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾
للصبر عليها ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾. ١٢- ﴿وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ البين. ١٣- ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾. ١٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أن
تطيعوهم في التخلف عن الخير كالجهاد والهجرة، فإن
سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿وَإِن تَعْفُوا﴾ عنهم في
تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم
﴿وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.
١٥- ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لكم شاغلة عن أمور
الآخرة ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ فلا تفوتوه باشتغالكم
بالأموال والأولاد. ١٦- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخة لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ﴿وَاسْمَعُوا﴾
ما أمرتم به سماع قبول ﴿وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا﴾ في الطاعة ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ خبر «يكن» مقدرة جواب الأمر
﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ الفائزون. ١٧- ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن تتصدقوا
عن طيب قلب ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ وفي قراءة «يضعّفه» بالتشديد، بالواحدة عشرا إلى سبعمائة وأكثر ﴿وَيَغْفِرْ
لَكُمْ﴾ ما يشاء ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ مجاز على الطاعة ﴿حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ في العقاب على المعصية. ١٨- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾
السر ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ العلانية ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ في صنعه.

مالك الأشجعي، فقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمه فما تأمرني؟ قال: أمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالت المرأة: نعم ما أمرك، فجعلا يكثران منها، فتغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه، فنزلت ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ الآية. وأخرجه الخطيب في تاريخه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وأخرجه الثعلبي من وجه آخر ضعيف، وابن أبي حاتم من وجه آخر مرسلاً.

■ **أسباب نزول الآية ٤**: وأخرج ابن جرير وإسحاق بن راهويه والحاكم وغيرهم. عن أبي بن كعب قال: لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد من عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن: الصغار والكبار وأولات الأحمال، فأنزلت ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ الآية. صحيح الإسناد. وأخرج مقاتل في تفسيره: أن خلاد بن عمرو بن الجموح سأل النبي ﷺ عن عدة التي لا تحيض فنزلت.

(سورة التحريم)

■ **أسباب نزول الآية ١**: أخرج الحاكم والنسائي بسند صحيح عن أنس: أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به حفصة حتى جعلها على نفسه حرامًا، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٢**: وأخرج الضياء في المختارة من حديث ابن عمر عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لحفصة: لا تخبري أحدًا أن أم إبراهيم علي حرام، فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، فأنزل الله ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾.
وأخرج الطبراني بسند ضعيف من حديث أبي هريرة قال: دخل رسول الله ﷺ بمارية سريته بيت حفصة، فجاءت فوجدها معه فقالت: يا رسول الله في بيتي دون بيوت نسائك قال: فإنها علي حرام أن أمسها يا حفصة واكتمي هذا علي، فخرجت حتى أتت عائشة فأخبرتها، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ الآيات، وأخرج البزار بسند صحيح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ
ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ
ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ
ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ
وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ
بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ
مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ
وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ
إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾

٥٥٨

سورة الطلاق

[مدنية وآياتها ١٢ آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ المراد أمته بقرينة ما بعده، أو قل لهم ﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ أي أردتم الطلاق ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ لأوّلها بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه لتفسيره ﷺ بذلك: رواه الشيخان(١) ﴿ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ﴾ احفظوها لتراجعوا قبل فراغها ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ أطيعوه في أمره ونهيه ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾ منها حتى تنقضي عدّهن ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ ﴾ زنا ﴿ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ بفتح الياء وكسرها: أي بينت، أو بينة فيخرجن لإقامة الحدّ عليهن ﴿ وَتِلْكَ ﴾ المذكورات ﴿ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ الطلاق ﴿ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين. ٢- ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ قاربن انقضاء عدّهن ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾ بأن تراجعوهن ﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾ من غير ضرار ﴿ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدّهن ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ على المراجعة أو الفراق ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ﴾ لا للشهود عليه أو له ﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾ من كرب الدنيا والآخرة.

٣- ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ يخطر بباله ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ في أموره ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ كافيه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ مراده. وفي قراءة بالإضافة ﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ كرخاء وشدّة ﴿ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ ميقاتا. ٤- ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى ﴾ همزة وياء، وبلا ياء في الموضعين ﴿ يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ ﴾ بمعنى الحيض ﴿ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ ﴾ شككتم في عدّهن ﴿ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ﴾ لصغرهن فعدّهن ثلاثة أشهر، والمسألتان في غير المتوفى عنهن أزواجهن، أما هن فعدّهن ما في آية ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ ﴾ انقضاء عدّهن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن ﴿ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ في الدنيا والآخرة. ٥- ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور في العدّة ﴿ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ حكمه ﴿ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾.

عن ابن عباس قال: نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾ الآية، في سريته. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يشرب عند سودة العسل فدخل على عائشة فقالت: إني أجد منك ريحًا، ثم دخل على حفصة فقالت مثل ذلك، فقال: أراه من شـراب شربته عند سودة، والله لا أشربه، فنزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ وله شاهد في الصحيحين، قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معًا. وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن رافع قال: سألت أم سلمة عن هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ قالت: كان عندي عكة من عسل أبيض، فكان النبي ﷺ يلعق منها وكان يحبه، فقالت له عائشة: نحلها يجرس عرفطًا فحرمها، فنزلت هذه الآية.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (الطلاق/٥٢٥٢/فتح)، مسلم في (الطلاق/١٤٧١/عبد الباقي).

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

٦- ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ أي المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي بعض مساكنكم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ أي سعتكم عطف بيان، أو بدل مما قبله بإعادة الجارّ وتقدير مضاف: أي أمكنة سعتكم لا ما دونها ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ﴾ المساكن فيحتجن إلى الخروج أو النفقة فيفتدين منكم ﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم منهنّ ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم﴾ وبينهنّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بجميل في حق الأولاد بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم في الإرضاع فامتنع الأب من الأجرة والأم من فعله ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ﴾ للأب ﴿أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ ولا تكره الأمّ على إرضاعه. ٧- ﴿لِيُنفِقْ﴾ على المطلقات والمرضعات ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ﴾ أعطاه ﴿ٱللَّهُ ۚ﴾ على قدره ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ وقد جعله بالفتوح. ٨- ﴿وَكَأَيِّن﴾ هي كاف الجر دخلت على «أي» بمعنى كم ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي وكثير من القرى ﴿عَتَتْ﴾ عصت، يعني أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ في الآخرة وإن لم تجيء لتحقق وقوعها ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾ بسكون الكاف وضمها: فظيعا وهو عذاب النار. ٩- ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبته ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾ خسارا وهلاكا. ١٠- ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير الوعيد توكيد ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ﴾ نعت للمنادى أو بيان له ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾ هو القرآن. ١١- ﴿رَّسُولًا ﴿١١﴾﴾ أي محمدا ﷺ منصوب بفعل مقدّر: أي وأرسل ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ بفتح الياء وكسرها كما تقدّم ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة بالنون ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ هو رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

١٢- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني سبع أرضين ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ﴾ الوحي ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماوات والأرض: ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟﴾ متعلق بمحذوف: أي أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

وأخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن عائشة قالت: لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح، أنزل الله ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ فأنفق عليه، غريب جدًا في سبب نزولها وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، غريب أيضًا وسنده ضعيف.

▣ أسباب نزول الآية ٥- قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ الآية، تقدم سبب نزولها وهو قول عمر في سورة البقرة.

(سورة القلم)

▣ أسباب نزول الآية ٢- أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال كانوا يقولون للنبي ﷺ: إنه مجنون ثم شيطان، فنزلت ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ
وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا
فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ
﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ
فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا
خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ
ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ
نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ
لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾

٥٦٠

سورة التحريم

[مدنية وآياتها ١٢ آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ من أمتك مارية القبطية، لما واقعها في بيت حفصة، وكانت غائبة فجاءت وشق عليه كون ذلك في بيتها وعلى فراشها حيث قلت هي حرام عليَّ ﴿ تَبۡتَغِي ﴾ بتحريمها ﴿ مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ ﴾ أي رضاهنّ ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ ﴾ غفر لك هذا التحريم[1]. ٢- ﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ ﴾ شرع ﴿ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ ﴾ تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة، ومن الأيمان تحريم الأمة، وهل كفّر ﷺ؟ قال مقاتل: أعتق رقبة في تحريم مارية. وقال الحسن: لم يكفر لأنه ﷺ مغفور له ﴿ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ ﴾ ناصركم ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾. ٣- ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ ﴾ هي حفصة ﴿ حَدِيثٗا ﴾ هو تحريم مارية، وقال لها لا تفشيه ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ ﴾ عائشة ظنا منها أن لا حرج في ذلك ﴿ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ أطلعه ﴿ عَلَيۡهِ ﴾ على المنبأ به ﴿ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ ﴾ لحفصة ﴿ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ تكرما منه ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ أي الله. ٤- ﴿ إِن تَتُوبَآ ﴾ أي حفصة وعائشة ﴿ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ مالت إلى تحريم مارية: أي سرّكما ذلك مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك ذنب، وجواب الشرط محذوف: أي تقبلا، وأطلق «قلوب» على «قلبين» ولم يعبر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا ﴾ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الظاء، وفي قراءة بدونها: تتعاونا ﴿ عَلَيۡهِ ﴾ أي النبيّ فيما يكرهه ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ﴾ ضمير فصل ﴿ مَوۡلَىٰهُ ﴾ ناصره ﴿ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، معطوف على محل اسم «إنّ» فيكونون ناصريه ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ﴾ بعد نصر الله والمذكورين ﴿ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ ظهراء أعوان له في نصره عليكما. ٥- ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ ﴾ أي طلق النبيّ أزواجه ﴿ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ ﴾ خبر «عسى» والجملة جواب الشرط ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط ﴿ مُسۡلِمَٰتٖ ﴾ مقرات بالإسلام ﴿ مُّؤۡمِنَٰتٖ ﴾ مخلصات ﴿ قَٰنِتَٰتٖ ﴾ مطيعات ﴿ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ﴾ صائمات أو مهاجرات ﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴿٥﴾ ﴾. ٦- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ ﴾ بالحمل على طاعة الله ﴿ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ ﴾ الكفار ﴿ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ كأصنامهم منها، يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر، لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه ﴿ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ ﴾ خزنتها عدتهم تسعة عشر، كما سيأتي في المدّثر ﴿ غِلَاظٞ ﴾ من غلظ القلب ﴿ شِدَادٞ ﴾ في البطش ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ ﴾ بدل من الجلالة: أي لا يعصون أمر الله ﴿ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ تأكيد، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد، وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم. ٧- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ يقال لهم ذلك عند دخولهم النار، أي: لأنه لا ينفعكم ﴿ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ أي جزاءه.

▣ أسباب نزول الآية ٤- وأخرج أبو نعيم في الدلائل والواحدي بسند رواه عن عائشة قالت: ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك، فلذلك أنزل الله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾.

▣ أسباب نزول الآيات ١٠ و١١ و١٣- وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ قال:

(١) قارن بما في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (٢١٧-٢١٨).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

٥٦١

٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ بفتح النون وضمها: صادقة بأن لا يعاد إلى الذنب ولا يراد العود إليه ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ ترجية تقع ﴿أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ﴾ بإدخال النار ﴿ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ﴾ مستأنف ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ إلى الجنة والمنافقون يطفأ نورهم ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ ربنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. ٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هي. ١٠- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين إذ كفرتا. وكانت امرأة نوح واسمها واهلة تقول لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط واسمها واعلة تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلا بإيقاد النار، ونهارا بالتدخين ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أي نوح ولوط ﴿عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْـًٔا وَقِيلَ﴾ لهما ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ من كفار قوم نوح وقوم لوط. ١١- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ آمنت بموسى واسمها آسية، فعذبها فرعون بأن أوتد يديها ورجليها وألقى على صدرها رحى عظيمة واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرّق عنها من وكل بها ظللتها الملائكة ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ في حال التعذيب ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فكشف لها فرأته فسهل عليها التعذيب ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ وتعذيبه ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أهل دينه فقبض الله روحها. وقال ابن كيسان: رفعت إلى الجنة حية فهي تأكل وتشرب. ١٢- ﴿وَمَرْيَمَ﴾ عطف على «امرأة فرعون» ﴿ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي: جبريل حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالى فعله الواصل إلى فرجها فحملت بعيسى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ شرائعه ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ المنزلة ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ من القوم المطيعين.

نزلت في الأخنس بن شريق، وأخرج ابن المنذر عن الكلبي مثله، وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت في الأسود بن عبد يغوث، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: نزلت على النبي ﷺ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝﴾ فلم نعرفه حتى نزل بعد ذلك ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝﴾ فعرفناه له زنمة كزنمة الشاة.

■ **أسباب نزول الآية ١٧** - وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج، أن أبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أخذًا فاربطوهم في الجبال ولا تقتلوا منهم أحدًا فنزلت ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ يقول في قدرتهم عليهم كما اقتدر أصحاب الجنة على الجنة.

(سورة الحاقة)

■ **أسباب نزول الآية ١٢** - أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والواحدي عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: إني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وأن تعي، وحق لك أن تعي، قال: فنزلت هذه الآية ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝﴾، لا يصح.

(سورة المعارج)

■ **أسباب نزول الآية ١** - أخرج النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ قال: هو النضر ابن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. وأخرج ابن أبي حاتم عن

سُورَةُ المُلْكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ (٢)
ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
ٱلسَّعِيرِ (٥) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
(٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨)
قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ (١٠) فَٱعْتَرَفُوا بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١١)
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)

٥٦٢

سورة الملك
[مكية وآياتها ٣٠ آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿تَبَٰرَكَ﴾ تنزه عن صفات المحدثين ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِ﴾ في تصرفه ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ السلطان والقدرة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾. ٢- ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾ في الدنيا ﴿وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ في الآخرة أو هما في الدنيا، فالنطفة تعرض لها الحياة وهي ما به الإحساس، والموت ضدّها أو عدمها، قولان، والخلق على الثاني بمعنى التقدير ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركـم في الحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أطوع لله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿ٱلْغَفُورُ (٢)﴾ لمن تاب إليه. ٣- ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض من غير مماسة ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لهنّ أو لغيرهنّ ﴿مِن تَفَٰوُتٍ﴾ تباين وعدم تناسب ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ أعده إلى السـماء ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ فيها ﴿مِن فُطُورٍ (٣)﴾ صدوع وشقوق. ٤- ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ كرة بعد كرة ﴿يَنقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلاً لعدم إدراك خلل ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)﴾ منقطع عن رؤية خلل. ٥- ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ القربى إلى الأرض ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بنجوم ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾ مراجم ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ إذا استرقوا السمع، بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس يؤخـذ من النار فيقتـل الجني أو يخبله، لا أنّ الكوكب يزول عن مكانـه ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ (٥)﴾ النار الموقدة. ٦- ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٦)﴾ هي. ٧- ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتا منكرا كصوت الحمار ﴿وَهِيَ تَفُورُ (٧)﴾ تغلي.

٨- ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ وقرئ «تتميز» على الأصل تتقطع ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ غضبا على الكافر ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ سؤال توبيخ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨)﴾ رسول ينذركم عذاب الله تعالى.

٩- ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ (٩)﴾ يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب، وأن يكون من كلام الكفار للنذر.

١٠- ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي سماع تفهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي عقل تفكر ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١٠)﴾.

١١- ﴿فَٱعْتَرَفُوا﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ وهو تكذيب النذر ﴿فَسُحْقًا﴾ بسكون الحاء وضمها ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١١)﴾ فبعدا لهم عن رحمة الله. ١٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ يخافونه ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ في غيبتهم عن أعين الناس فيطيعونه سرا فيكون علانية أولى ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)﴾ أي الجنة.

السدي في قوله ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ قال: نزلت بمكة في النضر بن الحارث وقد قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية، وكان عذابه يوم بدر.

■ **أسباب نزول الآية ٢-** وأخرج ابن المنذر عن الحسن قال: نزلت ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١)﴾ فقال الناس: على من يقع العذاب؟ فأنزل الله ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ (٢)﴾.

(سورة الجن)

■ **أسباب نزول الآية ١-** أخرج البخاري والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم ولكنه انطلق في طائفة من أصـحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السـماء،

وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى
هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ
﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

١٣- ﴿وَأَسِرُّواْ﴾ أيها النـــاس ﴿قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ بما فيها فكيف بما نطقتم وسبب نزول ذلك أن المشركين قال بعضهم لبعض أسروا قولكم لا يسمعكم إله محمد. ١٤- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تسرون: أي أينتفي علمه بذلك ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ في علمه ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ فيه. ١٥- ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ سهلة للمشي فيها ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ من القبور للجزاء. ١٦- ﴿ءَأَمِنتُم﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينها وبين الأخرى وتركه وإبدالها ألفا ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ سلطانه وقدرتـــه[1] ﴿أَن يَخْسِفَ﴾ بدل من «مَن» ﴿بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ تتحرّك بكم وترتفع فوقكم. ١٧- ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ﴾ بدل من «مَنْ» ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحا ترميكم بالحصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ إنذاري بالعذاب: أي إنه حق. ١٨- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ إنكاري عليهم بالتكذيب عند إهلاكهم: أي إنه حق. ١٩- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ ينظروا ﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ باسطات أجنحتهنّ ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتهنّ بعد البسط: أي وقابضات ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع في حال البسط والقبض ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ المعنى ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدّم وغيره من العذاب؟. ٢٠- ﴿أَمَّنْ﴾ مبتدأ ﴿هَٰذَا﴾ خبره ﴿ٱلَّذِى﴾ بدل من «هذا» ﴿هُوَ جُندٌ﴾ أعوان ﴿لَّكُمْ﴾ صلة «الذي» ﴿يَنصُرُكُم﴾ صفة الجند ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي غيره يدفع عنكم عذابه: أي لا ناصر لكم ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ غرّهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم.

٢١- ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَهُۥ﴾ أي المطر عنكم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي فمن يرزقكم، أي لا رازق لكم غيره ﴿بَل لَّجُّواْ﴾ تمادوا ﴿فِى عُتُوٍّ﴾ تكبر ﴿وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ تباعد عن الحق. ٢٢- ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا﴾ واقعا ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ معتدلاً ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ وخبر «من» الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى: أي أهدى والمثل في المؤمن والكافر: أي أيهما على هدى؟. ٢٣- ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ «ما» مزيدة والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدا على هذه النعم. ٢٤- ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ للحساب. ٢٥- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وعد الحشر ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ فيه. ٢٦- ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ بمجيئه ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾ بيّن الإنذار.

وأرسلت عليهم الشهب فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: ما هذا إلا لشيء قد حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا هذا الذي حدث فانطلقوا فانصرف النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنـــا إنا سمعنا قرآنا عجبًا فأنزل الله على نبيـــه ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ وإنما أوحي إليه قول

(١) قلت هذا الكلام فيه نفي للعلو، واعلم أن «في» هنا بمعنى «على» كما في الآية: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾.

سُورَةُ القَلَمِ

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

٢٧- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريبا ﴿سِيٓـَٔتْ﴾ اسودت ﴿وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ﴾ أي قال الخزنة لهم ﴿هَٰذَا﴾ أي العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ﴾ بإنذاره ﴿تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أنكم لا تبعثون. وهذه حكاية حال تأتي، عبر عنها بطريق المضيّ لتحقق وقوعها. ٢٨- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾ من المؤمنين بعذابه كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعذبنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ أي لا مجير لهم منه. ٢٩- ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ بالتاء والياء عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ بيّن، أنحن أم أنتم أم هم؟. ٣٠- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائرا في الأرض ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ جار تناله الأيدي والدلاء كمائكم: أي لا يأتي به إلا الله تعالى فكيف تنكرون أن يبعثكم؟ ويستحب أن يقول القارئ عقب: معين «الله رب العالمين» كما ورد في الحديث. وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينه وعمي. نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته.

سورة القلم [مكية وآياتها ٥٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿نٓ﴾ أحد حروف الهجاء الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ أي الملائكة من الخير والصلاح. ٢- ﴿مَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ أي انتفى الجنون عنك بسبب إنعام ربك عليك بالنبوّة وغيرها. وهذا رد لقولهم: إنه مجنون. ٣- ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾ مقطوع. ٤- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾ دين ﴿عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾. ٥- ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾﴾. ٦- ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾ مصدر كالمعقول أي الفتون بمعنى الجنون أي أبك أم بهم؟. ٧- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾ له و«أعلم» بمعنى عالم. ٨- ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾﴾. ٩- ﴿وَدُّواْ﴾ تمنوا ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تُدْهِنُ﴾ تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ يلينون لك، وهو معطوف على «تدهن» وإن جعل جواب التمني المفهوم من «ودوا» قدر قبله بعد الفاء: هم. ١٠- ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ حقير. ١١- ﴿هَمَّازٍ﴾ عياب أي مغتاب ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم. ١٢- ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ آثم. ١٣- ﴿عُتُلٍّۭ﴾ غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ دعيّ في قريش وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة. قال ابن عباس: لا نعلم أن الله وصف أحدا بما وصفه به من العيوب فألحق به عارا لا يفارقه أبدا. وتعلق بـ «زنيم» الظرف قبله. ١٤- ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي لأن وهو متعلق بما دل عليه. ١٥- ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ﴾ هي ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ أي كذب بها لإنعامنا عليه بما ذكر. وفي قراءة أأن بهمزتين مفتوحتين.

الجن، وأخرج ابن الجوزي في كتاب «صفوة الصفوة» بسنده عن سهل بن عبد الله قال: كنت في ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة من حجر منقور في وسطها قصر من حجارة، تأويه الجن، فدخلت فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة، فلم أتعجب من عظم خلقه كتعجبي من طراوة جبته، فسلمت عليه فرد علي السلام، وقال: يا سهل إن الأبدان لا تخلق الثياب، وإنما تخلقها روائح الذنوب، ومطاعم السحت، وإن هذه الجبة علي منذ سبعمائة سنة لقيت فيها عيسى ومحمدًا عليهما الصلاة والسلام، فآمنت بهما، فقلت له: ومن أنت؟ قال: من الذين نزلت فيهم ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ١٦ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ
لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١ أَنِ
ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ٢٢ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ٢٣
أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ٢٤ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ٢٥ فَلَمَّا
رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ٢٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٢٧ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل
لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٩ فَأَقۡبَلَ
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ٣٠ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ٣١ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ٣٢ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ
ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٣٣ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
٣٤ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦ أَمۡ
لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ٣٧ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ٣٨ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ
عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ٣٩ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ٤٠ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٤١
يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢

١٦- ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ (١٦)﴾ سنجعل على أنفه علامة يعير بها ما عاش فخطم أنفه بالسيف يوم بدر. ١٧- ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ﴾ امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ البستان ﴿إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا﴾ يقطعون ثمرها ﴿مُصۡبِحِينَ (١٧)﴾ وقت الصباح، كي لا يشعر بهم المساكين فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يتصدَّق به عليهم منها. ١٨- ﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ (١٨)﴾ في يمينهم بمشيئة الله تعالى، والجملة مستأنفة أي وشأنهم ذلك. ١٩- ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ﴾ نار أحرقتها ليلاً ﴿وَهُمۡ نَآئِمُونَ (١٩)﴾. ٢٠- ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ (٢٠)﴾ كالليل الشديد الظلمة أي سوداء. ٢١- ﴿فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ (٢١)﴾. ٢٢- ﴿أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ﴾ غلتكم تفسير لــ «تنادوا» أو «أن» مصدرية أي بأن ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ (٢٢)﴾ مريدين القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله. ٢٣- ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ (٢٣)﴾ يتسارون.
٢٤- ﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ (٢٤)﴾ تفسير لما قبله، أو «أن» مصدرية: أي بأن. ٢٥- ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ﴾ منع للفقراء ﴿قَٰدِرِينَ (٢٥)﴾ عليه في ظنهم. ٢٦- ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا﴾ سوداء محترقة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ (٢٦)﴾ عنها أي ليست هذه، ثم قالوا لما علموها: ٢٧- ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ (٢٧)﴾ ثمرها بمنعنا الفقراء منها.
٢٨- ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ خيرهم ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا﴾ هلا ﴿تُسَبِّحُونَ (٢٨)﴾ الله تائبين. ٢٩- ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٩)﴾ بمنع الفقراء حقهم. ٣٠- ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ (٣٠)﴾. ٣١- ﴿قَالُواْ يَٰ﴾ للتنبيه ﴿وَيۡلَنَآ﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ (٣١)﴾ . ٣٢- ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ (٣٢)﴾ ليقبل توبتنا ويرد علينا خيرا من جنتنا. روي أنهم أبدلوا خيرا منها. ٣٣- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل العذاب لهؤلاء ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾ لمن خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ (٣٣)﴾ عذابها ما خالفوا أمرنا. ونزل لما قالوا: إن بعثنا نعطى أفضل منكم. ٣٤- ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٣٤)﴾. ٣٥- ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ (٣٥)﴾ أي تابعين لهم في العطاء. ٣٦- ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ (٣٦)﴾ هذا الحكم الفاسد. ٣٧- ﴿أَمۡ﴾ أي بل أ ﴿لَكُمۡ كِتَٰبٞ﴾ منزل ﴿فِيهِ تَدۡرُسُونَ (٣٧)﴾ أي تقرؤون.
٣٨- ﴿إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨)﴾ تختارون. ٣٩- ﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ﴾ عهود ﴿عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ﴾ واثقة ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ متعلق معنى بــ «علينا» وفي هذا الكلام معنى القسم أي أقسمنا لكم وجوابه ﴿إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ (٣٩)﴾ به لأنفسكم. ٤٠- ﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿زَعِيمٌ (٤٠)﴾ كفيل لهم. ٤١- ﴿أَمۡ لَهُمۡ﴾ أي عندهم ﴿شُرَكَآءُ﴾ موافقون لهم في هذا القول يكفلون لهم به فإن كان كذلك ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ﴾ الكافلين لهم به ﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ (٤١)﴾. ٤٢- اذكر ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ هو عبارة عن شدّة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء. يقال: كشفت الحرب عن ساق إذا اشتدّ الأمر فيها(١) ﴿وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ امتحانا لإيمانهم ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ (٤٢)﴾ تصير ظهورهم طبقا واحدًا.

---

(١) قلت: الصحيح هو إثبات صفة الساق لله ﷻ كما ثبت في البخاري: يكشف ربنا عن ساقه... فأضاف ﷺ الساق لله ﷻ، وانظر «فتح القدير» للشوكاني عند هذه الآية.

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ
(٤٣) فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ
لَا يَعۡلَمُونَ (٤٤) وَأُمۡلِي لَهُمۡ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرًا فَهُم
مِّن مَّغۡرَمٍ مُّثۡقَلُونَ (٤٦) أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ (٤٧) فَٱصۡبِرۡ
لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٌ (٤٨) لَّوۡلَآ
أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٌ (٤٩) فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٥٠) وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ
لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ (٥٢)

سُورَةُ الحَاقَّة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ (١) مَا ٱلۡحَآقَّةُ (٢) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ (٣) كَذَّبَتۡ ثَمُودُ
وَعَادٌۢ بِٱلۡقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا
عَادٌ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٍ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ
سَبۡعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ
كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ (٨)

٥٦٦

٤٣- ﴿خَٰشِعَةً﴾ حال من ضمير «يدعون» أي ذليلة ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرۡهَقُهُمۡ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ (٤٣)﴾ فلا يأتون به بأن لا يصلّوا. ٤٤- ﴿فَذَرۡنِي﴾ دعني ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ نأخذهم قليلا قليلا ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ (٤٤)﴾. ٤٥- ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ (٤٥)﴾ شديد لا يطاق. ٤٦- ﴿أَمۡ﴾ بل أ ﴿تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجۡرًا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٍ﴾ مما يعطونكه ﴿مُّثۡقَلُونَ (٤٦)﴾ فلا يؤمنون لذلك. ٤٧- ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ﴾ أي اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب ﴿فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ (٤٧)﴾ منه ما يقولون. ٤٨- ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة، وهو يونس ﷺ ﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكۡظُومٌ (٤٨)﴾ مملوء غما في بطن الحوت. ٤٩- ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾ أدركه ﴿نِعۡمَةٌ﴾ رحمة ﴿مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ﴾ من بطن الحوت ﴿بِٱلۡعَرَآءِ﴾ بالأرض الفضاء ﴿وَهُوَ مَذۡمُومٌ (٤٩)﴾ لكنه رحم فنبذ غير مذموم. ٥٠- ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٥٠)﴾ الأنبياء. ٥١- ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ﴾ بضم الياء وفتحها ﴿بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ أي ينظرون إليك نظرا شديدا يكاد أن يصرعك ويسقطك من مكانك ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسدا ﴿إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٌ (٥١)﴾ بسبب القرآن الذي جاء به. ٥٢- ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكۡرٌ﴾ موعظة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ (٥٢)﴾ الجن والإنس لا يحدث بسببه جنون.

سورة الحاقة [مكية وآيتها ٥١ أو ٥٢]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ٱلۡحَآقَّةُ (١)﴾ القيامة التي يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء أو المظهرة لذلك.

٢- ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ (٢)﴾ تعظيم لشأنها وهو مبتدأ وخبر الحاقة: ٣- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ (٣)﴾ زيادة تعظيم لشأنها فما الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدرى.

٤- ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلۡقَارِعَةِ (٤)﴾ القيامة لأنها تقرع القلوب بأهوالها. ٥- ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ (٥)﴾ بالصيحة المجاوزة للحدّ في الشدّة. ٦- ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٍ صَرۡصَرٍ﴾ شديدة الصوت ﴿عَاتِيَةٍ (٦)﴾ قوية شديدة على عاد مع قوّتهم وشدّتهم. ٧- ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسلها بالقهر ﴿عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوّال. وكانت في عجز الشتاء ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات، شبهت بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكيّ على الداء كرّة بعد أخرى حتى ينحسم. ﴿فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ﴾ مطروحين هالكين ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ﴾ أصول ﴿نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ (٧)﴾ ساقطة فارغة.

٨- ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ (٨)﴾ صفة «نفس» مقدرة، أو التاء للمبالغة، أي: باقٍ؟ لا.

■ أسباب نزول الآية ٦- وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعي فقال: عامر الوادي جارك، فنادى لا نراه يا سرحان فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم، وأنزل الله على رسوله بمكة ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ الآية، وأخرج ابن سعد

وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾

٥٦٧

٩- ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ﴾ أتباعه. وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي من تقدمه من الأمم الكافرة ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ﴾ أي أهلها وهي قرى قوم لوط ﴿بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾﴾ بالفعلات ذات الخطأ. ١٠- ﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ﴾ أي لوطا وغيره ﴿فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ زائدة في الشدة على غيرها. ١١- ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾ علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان ﴿حَمَلۡنَٰكُمۡ﴾ يعني آباءكم إذ أنتم في أصلابهم ﴿فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ السفينة التي عملها نوح ونجا هو ومن كان معه وغرق الآخرون. ١٢- ﴿لِنَجۡعَلَهَا﴾ أي هذه الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ﴾ عظة ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ ولتحفظها ﴿أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴿١٢﴾﴾ حافظة لما تسمع. ١٣- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾﴾ للفصل بين الخلائق وهي الثانية. ١٤- ﴿وَحُمِلَتِ﴾ رفعت ﴿ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾ دقتا ﴿دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾﴾. ١٥- ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ قامت القيامة. ١٦- ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾﴾ ضعيفة. ١٧- ﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ يعني الملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ جوانب السماء ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ﴾ أي الملائكة المذكورين. ﴿يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾﴾ من الملائكة أو من صفوفهم.

١٨- ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ﴾ للحساب ﴿لَا تَخۡفَىٰ﴾ بالتاء والياء ﴿مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾﴾ من السرائر. ١٩- ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ خطابا لجماعته لما سر به ﴿هَآؤُمُ﴾ خذوا ﴿ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾﴾ تنازع فيه «هاؤم» واقرؤوا. ٢٠- ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ تيقنت ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾﴾. ٢١- ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾﴾ مرضية.

٢٢- ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾﴾. ٢٣- ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها ﴿دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

٢٤- فيقال لهم ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾ حال أي متهنئين ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ الماضية في الدنيا. ٢٥- ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰ﴾ للتنبيه ﴿لَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾﴾. ٢٦- ﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾﴾. ٢٧- ﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾ أي الموتة في الدنيا ﴿كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ القاطعة لحياتي بأن لا أبعث.

٢٨- ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾﴾. ٢٩- ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ قوتي وحجتي و «ها» في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت وقفا ووصلا اتباعا للمصحف الإمام والنقل ومنهم من حذفها وصلا.

٣٠- ﴿خُذُوهُ﴾ خطاب لخزنة جهنم ﴿فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ اجمعوا يديه إلى عنقه في الغل. ٣١- ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ النار المحرقة ﴿صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ أدخلوه. ٣٢- ﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾ بذراع الملك ﴿فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ أي أدخلوه فيها بعد إدخاله النار. ولم يمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم.

٣٣- ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾. ٣٤- ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾﴾.

عن أبي رجاء العطاردي من بني تميم قال: بُعث رسول الله ﷺ وقد رعيت على أهلي وكفيت مهنتهم، فلما بُعث النبي ﷺ خرجنا هرابًا فأتينا على فلاة من الأرض، وكنا إذا أمسينا بمثلها قال شيخنا: إنا نعوذ بعزيز هذا الوادي من الجن الليلة فقلنا ذاك، فقيل لنا: إنما سبيل هذا الرجل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله من أقر بها أمن على دمه وماله، فرجعنا فدخلنا في الإسلام، قال أبو رجاء: إني لأرى هذه الآية نزلت في وفي أصحابي ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴿٦﴾﴾ الآيــة، وأخرج الخرائطي في كتاب «هواتف الجان»: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي حدثنا عمارة بن زيد حدثني عبد الله بن العلاء حدثنا محمــد بن عكير عن سعيد بن جبير أن رجلاً من بني تميم يقال له:

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ
إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ المَعَارِجِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ
ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ
﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

٣٥- ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ قريب ينتفع به. ٣٦- ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ صديد أهل النار أو شجر فيها. ٣٧- ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ الكافرون. ٣٨- ﴿فَلَآ﴾ زائدة ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ من المخلوقات. ٣٩- ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ منها أي بكل مخلـوق. ٤٠- ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ أي قاله رسالة عن الله تعالى. ٤١- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾. ٤٢- ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ بالتاء والياء في الفعلين و «ما» مزيدة مؤكدة. والمعنى أهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها مما أتى به النبي ﷺ من الخير والصلة والعفاف فلم تغن عنهم شيئا.

٤٣- بل هو ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾. ٤٤- ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ أي النبي ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ بأن قال عنا ما لم نقله. ٤٥- ﴿لَأَخَذْنَا﴾ لنلنا ﴿مِنْهُ﴾ عقابا ﴿بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ بالقوّة والقدرة. ٤٦- ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ نياط القلب، وهو عرق متصل إذا انقطع مات صاحبه.

٤٧- ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ هو اسم ما ومن زائدة لتأكيد النفى ومنكم حال من أحد ﴿عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ما نعين خبر ما وجمع لأن أحداً في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي ﷺ لا مانع لنا عنه من حيث العقاب. ٤٨- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾. ٤٩- ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم﴾ أيها الناس ﴿مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ بالقرآن ومصدّقين. ٥٠- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ إذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به . ٥١- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ أي اليقين الحق. ٥٢- ﴿فَسَبِّحْ﴾ نزه ﴿بِٱسْمِ﴾ الباء زائدة ﴿رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ سبحانه.

سورة المعارج

[مكية وآياتها ٤٤ آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ دعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾. ٢- ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ هو النضر بن الحارث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ الآية. ٣- ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متصل بـ «واقع» ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ مصاعد الملائكة وهي السّماوات. ٤- ﴿تَعْرُجُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ جبريل ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى مهبط أمره من السماء[1] ﴿فِى يَوْمٍ﴾ متعلق بمحذوف أي يقع العذاب بهم في يوم القيامة ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ بالنسبة إلى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث. ٥- ﴿فَٱصْبِرْ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ أي لا جزع فيه. ٦- ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ أي العذاب ﴿بَعِيدًا ﴿٦﴾﴾ غير واقع. ٧- ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ واقعا لا محالة. ٨- ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ﴾ متعلق بمحذوف تقديره أي يقع ﴿كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾ كذائب الفضة. ٩- ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ كالصوف في الخفة والطيران بالريح. ١٠- ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ قريب قريبه لاشتغال كل بحاله.

---

(١) قلت: هذا الكلام فيه نفي صفة العلو، وانظر للكلام على ذلك «شرح العقيدة الطحاوية»، «مختصر العلو» للألباني.

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا
﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ
ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ
أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

١١- ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي يبصر الأحماء بعضهم بعضا ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾ يتمنى الكافر ﴿لَوْ﴾ بمعنى أن ﴿يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ بكسر الميم وفتحها ﴿بِبَنِيهِ﴾. ١٢- ﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ زوجته ﴿وَأَخِيهِ﴾. ١٣- ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته لفصله منها ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ تضمه. ١٤- ﴿وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك الافتداء عطف على «يفتدي». ١٥- ﴿كَلَّا﴾ ردّ لما يودّه ﴿إِنَّهَا﴾ أي النار ﴿لَظَىٰ﴾ اسم لجهنم لأنها تتلظى: أي تتلهب على الكفار. ١٦- ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ جمع شواة وهي جلدة الرأس. ١٧- ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان بأن تقول: إليّ إليّ. ١٨- ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَوْعَىٰ﴾ أمسكه في وعائه ولم يؤدّ حق الله منه. ١٩- ﴿۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ حال مقدّرة، وتفسيره: ٢٠- ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقت مس الشر. ٢١- ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وقت مس الخير أي المال لحق الله منه. ٢٢- ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ أي المؤمنين. ٢٣- ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ مواظبون. ٢٤- ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ هو الزكاة. ٢٥- ﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ المتعفف عن السؤال فيُحرَم. ٢٦- ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ الجزاء. ٢٧- ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ خائفون. ٢٨- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ نزوله. ٢٩- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾. ٣٠- ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾. ٣١- ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام. ٣٢- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ وفي قراءة بالإفراد: ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رَاعُونَ﴾ حافظون. ٣٣- ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ﴾ وفي قراءة بالجمع ﴿قَائِمُونَ﴾ يقيمونها ولا يكتمونها. ٣٤- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها. ٣٥- ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾. ٣٦- ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾ نحوك ﴿مُهْطِعِينَ﴾ حال أي مديمي النظر. ٣٧- ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منك ﴿عِزِينَ﴾ حال أيضا أي جماعات حلقا حلقا، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم. قال تعالى: ٣٨- ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾. ٣٩- ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم﴾ كغيرهم ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ من نطف فلا يطمع بذلك في الجنة، وإنما يطمع فيها بالتقوى.

رافع بن عمير، حدث عن بدء إسلامه قال: إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت، وقد تعوذت قبل نومي فقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن، فرأيت في منامي رجلا بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعًا، فنظرت يمينًا وشمالاً فلم أر شيئا، فقلت: هذا حلم، ثم عدت فغفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب، والتفت وإذا برجل شاب كالذي رأيته بالمنام بيده حربة، ورجل شيخ ممسك بيده يدفعه عنها، فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى: قم فخذ أيتها شئت فداء لناقة جاري الإنسي، فقام الفتى فأخذ ثورًا وانصرف، ثم التفت إلي الشيخ وقال: يا هذا إذا نزلت واديًا من الأودية فخفت هوله فقل: أعوذ برب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها، فقلت له: ومن محمد هذا؟ قال: نبي عربي لا شرقي ولا غربي، بعث يوم الاثنين، قلت: فأين مسكنه؟ قال: يثرب ذات النخل، فركبت راحلتي حين ترقى لي الصبح وجددت السير حتى تقحمت المدينة، فرآني رسول الله ﷺ فحدثني بحديثي قبل أن أذكر منه شيئا، ودعاني إلى الإسلام فأسلمت قال سعيد بن جبير: وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

■ أسباب نزول الآية ١٦- وأخرج عن مقاتل في قوله ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ قال نزلت في كفار قريش حين منع المطر سبع سنين.

فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ (٤٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى
يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ
(٤٣) خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ (٤٤)

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
(٤) قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا
فِرَارًا (٦) وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ
فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا
(٧) ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا (١٠)

٤٠- ﴿فَلَآ﴾ «لا» زائدة ﴿أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ (٤٠)﴾.

٤١- ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾ نأتي بدلهم ﴿خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)﴾ بعاجزين عن ذلك. ٤٢- ﴿فَذَرْهُمْ﴾ اتركهم ﴿يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟﴾ يلقوا ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ (٤٢)﴾ فيه العذاب. ٤٣- ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعًا﴾ إلى المحشر ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ وفي قراءة بضم الحرفين، شيء منصوب كعلم أو راية ﴿يُوفِضُونَ (٤٣)﴾ يسرعون. ٤٤- ﴿خَٰشِعَةً﴾ ذليلة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ (٤٤)﴾ «ذلك» مبتدأ وما بعده الخبر، ومعناه يوم القيامة.

سورة نوح [مكية وآياتها ٢٨ أو ٢٩ آية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ﴾ أي بإنذار ﴿قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ (١)﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة. ٢- ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢)﴾ بين الإنذار. ٣- ﴿أَنِ﴾ أي بأن أقول لكم ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣)﴾. ٤- ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» زائدة فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ بعذابكم إن لم تؤمنوا ﴿إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤)﴾ ذلك لآمنتم.

٥- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا (٥)﴾ أي دائما متصلا. ٦- ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا (٦)﴾ عن الإيمان. ٧- ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ لئلا يسمعوا كلامي ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ غطوا رؤوسهم بها لئلا ينظروني ﴿وَأَصَرُّوا۟﴾ على كفرهم ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿ٱسْتِكْبَارًا (٧)﴾. ٨- ﴿ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨)﴾ أي بأعلى صوتي. ٩- ﴿ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ صوتي ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ الكلام ﴿لَهُمْ إِسْرَارًا (٩)﴾.

١٠- ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ .

■ **أسباب نزول الآية ١٨**- وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن ابن عباس قال: قالت الجن: يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا (١٨)﴾ وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قالت الجن للنبي ﷺ: كيف لنا نأتي المسجد ونحن ناؤون عنك، أو كيف نشهد الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ الآية.

■ **أسباب نزول الآية ٢٢**- وأخرج ابن جرير عن حضرمي: أنه ذكر له أن جنيًا من الجن من أشرافهم ذا تبع قال: إنما يريد محمد أن يجيره الله وأنا أجيره فأنزل الله ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ الآية.

(سورة المزمل)

■ **أسباب نزول الآية ١**- أخرج البزار والطبراني بسند واه عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار الندوة فقالت: سموا هذا الرجل اسمًا يصدر عنه الناس، قالوا: كاهن، قالوا: ليس بكاهن، قالوا: مجنون، قالوا: ليس بمجنون، قالوا: ساحر، قالوا: ليس بساحر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه فتدثر فيها، فأتاه جبريل فقال: يا أيها المزمل يا أيها المدثر. وأخرج ابن أبي حاتم عن إبراهيم النخعي في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ (١)﴾ قال: نزلت وهو في قطيفة.

■ **أسباب نزول الآية ٢٠**- وأخرج الحاكم عن عائشة قالت: لما أنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢)﴾ قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم فأنزلت ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾، وأخرج ابن جرير مثله عن ابن عباس وغيره.

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣)
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا (١٨) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا (٢٤)
مِّمَّا خَطِيٓـَٰتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا (٢٧) رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا (٢٨)

١١- ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر وكانوا قد منعوه ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١)﴾ كثير الدرور. ١٢- ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا (١٢)﴾ جارية.

١٣- ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣)﴾ أي تأملون وقار الله إياكم بأن تؤمنوا. ١٤- ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)﴾ جمع طور وهو الحال فطورا نطفة وطورا علقة إلى تمام خلق الإنسان والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه. ١٥- ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ تنظروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا (١٥)﴾ بعضها فوق بعض. ١٦- ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي في مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا ﴿نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)﴾ مصباحا مضيئا هو أقوى من نور القمر. ١٧- ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ إذ خلق أباكم آدم منها ﴿نَبَاتًا (١٧)﴾. ١٨- ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ للبعث ﴿إِخْرَاجًا (١٨)﴾.

١٩- ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩)﴾ مبسوطة.

٢٠- ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا﴾ طرقا ﴿فِجَاجًا (٢٠)﴾ واسعة. ٢١- ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا﴾ أي السفلة والفقراء ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك و «وُلْد» بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما والأول قيل جمع ولد بفتحهما كخُشب وخَشب، وقيل بمعناه كبُخل وبَخل ﴿إِلَّا خَسَارًا (٢١)﴾ طغيانا وكفرا. ٢٢- ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي الرؤساء ﴿مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢)﴾ عظيما جدا بأن كذبوا نوحا وآذوه ومن اتبعه. ٢٣- ﴿وَقَالُوا﴾ للسفلة ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ بفتح الواو وضمها ﴿وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣)﴾ هي أسماء أصنامهم[1].
٢٤- ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ بها ﴿كَثِيرًا﴾ من الناس بأن أمروهم بعبادتهم ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا (٢٤)﴾ عطفا على «قد أضلوا» دعا عليهم لما أوحي إليه «إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن». ٢٥- ﴿مِّمَّا﴾ «ما» صلة ﴿خَطِيٓـَٰتِهِمْ﴾ وفي قراءة «خطيئاتهم» بالهمز ﴿أُغْرِقُوا﴾ بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ﴾ أي غير ﴿ٱللَّهِ أَنصَارًا (٢٥)﴾ يمنعون عنهم العذاب. ٢٦- ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا (٢٦)﴾ أي نازل دار والمعنى أحدا. ٢٧- ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧)﴾ من يفجر ويكفر، قال ذلك لما تقدّم من الإيحاء إليه. ٢٨- ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ منزلي أو مسجدي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا (٢٨)﴾ هلاكا فأهلكوا.

(سورة المدثر)

■ أسباب نزول الآية ١ - أخرج الشيخان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ جاورت بحراء شهرًا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت فلم أر أحدًا، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، فرجعت فقلت: دثروني فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢)﴾.

■ أسباب نزول الآيات ١-٧- وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعامًا فلما أكلوا قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال

(١) قال ابن عباس: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد، فلما نُسخ العلم عبدت.

سُورَةُ الجِنّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ
اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ
آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

سورة الجن [مكية وآياتها ٢٨]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي أخبرت بالوحي من الله تعالى ﴿أَنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿اسْتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جنّ نصيبين وذلك في صلاة الصبح ببطن نخل موضع بين مكة والطائف وهم الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآية ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ يتعجب منه في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك. ٢- ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الإيمان والصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ﴾ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾. ٣- ﴿وَأَنَّهُ﴾ الضمير للشأن فيه وفي الموضعين بعده ﴿تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ تنزه جلاله وعظمته عما نسب إليه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾. ٤- ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾ غلوًّا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد. ٥- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن﴾ مخففة أي إنه ﴿لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ بوصفه بذلك حتى تبينا كذبهم بذلك. قال تعالى: ٦- ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ﴾ يستعيذون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف فيقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ بعوذهم بهم ﴿رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ طغيانا فقالوا سدنا الجنّ والإنس. ٧- ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي الجنّ ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا إنس ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة أي أنه ﴿لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ بعد موته. ٨- قال الجنّ ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ رمنا استراق السمع ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ نجوما محرقة وذلك لما بعث النبي ﷺ. ٩- ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي قبل مبعثه ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي نستمع ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ أي أرصد له ليرمى به. ١٠- ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعدم استراق السمع ﴿بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ خيرا. ١١- ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي قوم غير صالحين ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ فرقا مختلفين مسلمين وكافرين. ١٢- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن﴾ مخففة أي من الثقيلة أنه ﴿لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ أي لا نفوته كائنين في الأرض أو هاربين منها في السماء. ١٣- ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾ القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾ بتقدير هو ﴿بَخْسًا﴾ نقصا من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ ظلما بالزيادة في سيئاته.

بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر، وقال بعضهم: سحر يؤثر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه وتدثر، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾.

■ **أسباب نزول الآية ١١**- وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتتعرض لما قبله، قال: لقد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وأنك كاره له، فقال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمنير أعلاه مشرق

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ
تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي
لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ
يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ
رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

١٤- ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ﴾ الجائرون
بكفرهم ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ ﴾ قصدوا
هداية. ١٥- ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾
وقودا وأنا وأنهم وأنه في اثني عشر موضعا هي وأنه تعالى وأنا
منا المسلمون وما بينهما بكسر الهمزة استئنافا وبفتحها بما
يوجه به. ١٦- قال تعالى في كفار مكة ﴿ وَأَن ﴾ مخففة
من الثقيلة واسمها محذوف أي وأنهم وهو معطوف على أنه
استمع ﴿ لَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ أي طريقة الإسلام
﴿ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ كثيرا من السماء وذلك بعد ما رفع
المطر عنهم سبع سنين. ١٧- ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ ﴾ لنختبرهم ﴿ فِيهِ ﴾
فنعلم كيف شكرهم علمَ ظهور ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ ﴾
القرآن ﴿ نَسْلُكْهُ ﴾ بالنون والياء ندخله ﴿ عَذَابًا صَعَدًا
﴿١٧﴾ ﴾ شاقا. ١٨- ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ ﴾ مواضع الصلاة ﴿ لِلَّهِ
فَلَا تَدْعُواْ ﴾ فيها ﴿ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ بأن تشركوا كما
كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم
أشركوا[1]. ١٩- ﴿ وَأَنَّهُۥ ﴾ بالفتح والكسر استئنافا
والضمير للشأن ﴿ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ محمد النبي ﷺ
﴿ يَدْعُوهُ ﴾ يعبده ببطن نخل ﴿ كَادُواْ ﴾ أي الجنّ المستمعون لقراءته ﴿ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ بكسر اللام
وضمها جمع لبدة كاللبد في ركوب بعضهم بعضا ازدحاما حرصا على سماع القرآن. ٢٠- ﴿ قَالَ ﴾ مجيبا
للكفار في قولهم ارجع عما أنت فيه وفي قراءة (قل) ﴿ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي ﴾ إلها ﴿ وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾.
٢١- ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا ﴾ غيا ﴿ وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾ خيرا. ٢٢- ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ ﴾ من
عذابه إن عصيته ﴿ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي غيره ﴿ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ ملتجأ. ٢٣- ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا ﴾ استثناء من
مفعول «أملك» أي لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي عنه ﴿ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾ عطف على «بلاغا»
وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ في التوحيد فلم
يؤمن ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ ﴾ حال من ضمير «من» في «له» رعاية في معناها، وهي حال مقدّرة،
والمعنى يدخلونها مقدّرا خلودهم ﴿ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ . ٢٤- ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ ﴾ «حتى» ابتدائية فيها معنى
الغاية لمقدر قبلها: أي لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا ﴿ مَا يُوعَدُونَ ﴾ به من العذاب ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾
عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة ﴿ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ أعوانا، أهم أم المؤمنون؟ على
القول الأول، أو أنا أم هم؟ على الثاني فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل: ٢٥- ﴿ قُلْ إِنْ ﴾ أي ما
﴿ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ به من العذاب ﴿ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ ﴾ غاية وأجلا لا يعلمه إلا هو.
٢٦- ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ ما غاب عن العباد ﴿ فَلَا يُظْهِرُ ﴾ يطلع ﴿ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ من الناس. ٢٧- ﴿ إِلَّا
مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ ﴾ مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿ يَسْلُكُ ﴾ يجعل ويسير ﴿ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾
أي الرسول ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ ملائكة يحفظونه حتى يبلغه في جملة الوحي. ٢٨- ﴿ لِّيَعْلَمَ ﴾ الله
علم ظهور ﴿ أَن ﴾ مخففة من الثقيلة أي إنه ﴿ قَدْ أَبْلَغُواْ ﴾ أي الرسل ﴿ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ روعي بجمع الضمير
معنى «من» ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ عطف على مقدر أي فعلم ذلك ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ تمييز
وهو محوّل من المفعول والأصل أحصى عدد كل شيء.

---

(١) قال العلماء: ويدخل في ذلك الاستغاثة ونداء المفطر ويدخل في ذلك أيضًا كل ما هو عبادة كالنذر والذبح وغيره.

سُورَةُ المُزَّمِّل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا (٢) نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا
(٣) أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا
ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي
ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا (٧) وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا (٨)
رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا (٩) وَٱصۡبِرۡ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا (١٠) وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ
أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا (١٢)
وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا (١٣) يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ
وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا (١٤) إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا
عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا (١٥) فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ
فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا (١٦) فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ
ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا (١٧) ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا (١٨)
إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (١٩)

سورة المزمل

[مكية إلا آية ٢٠ فمدنية وآياتها ٢٠ آية]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ (١)﴾ النبي وأصله المتزمّل أدغمت التاء في الزاي أي المتلفف بثيابه حين مجيء الوحي له خوفا منه لهيبته. ٢- ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ صلّ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا (٢)﴾. ٣- ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بدل من قليلاً وقلته بالنظر إلى الكل ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا (٣)﴾ إلى الثلث. ٤- ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ إلى الثلثين، وأو للتخيير ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ تثبت في تلاوته ﴿تَرۡتِيلًا (٤)﴾. ٥- ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا﴾ قرآنا ﴿ثَقِيلًا (٥)﴾ مهيبا أو شديدا لما فيه من التكاليف. ٦- ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾ موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا (٦)﴾ أبين قولاً. ٧- ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا (٧)﴾ تصرفا في أشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن. ٨- ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ أي قل «بسم الله الرحمن الرحيم» في ابتداء قراءتك ﴿وَتَبَتَّلۡ﴾ انقطع. ﴿إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا (٨)﴾ مصدر «بتّل» جيء به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتل. ٩- هو ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا (٩)﴾ موكلا له أمورك. ١٠- ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي كفار مكة من أذاهم ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا (١٠)﴾ لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم. ١١- ﴿وَذَرۡنِي﴾ اتركني ﴿وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ عطف على المفعول، أو مفعول معه، والمعنى أنا كافيكهم. وهم صناديد قريش ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ التنعم ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا (١١)﴾ من الزمن فقتلوا بعد يسير منه ببدر. ١٢- ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا﴾ قيودا ثقالًا جمع: نكل بكسر النون ﴿وَجَحِيمٗا (١٢)﴾ نارا محرقة. ١٣- ﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾ يغص به في الحلق وهو الزقوم أو الضريع أو الغسلين أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وَعَذَابًا أَلِيمٗا (١٣)﴾ مؤلما زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ. ١٤- ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ﴾ تزلزل ﴿ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا﴾ رملاً مجتمعا ﴿مَّهِيلًا (١٤)﴾ سائلا بعد اجتماعه وهو من: هال يهيل، وأصله: مَهْيول استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء. ١٥- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولٗا﴾ هو محمد ﷺ ﴿شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ يوم القيامة بما يصدر منكم من العصيان ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا (١٥)﴾ هو موسى عليه الصلاة والسلام. ١٦- ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا (١٦)﴾ شديدا.

١٧- ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ﴾ في الدنيا ﴿يَوۡمٗا﴾ مفعول «تتقون» أي عذابه: بأي حصن تتحصنون من عذاب يوم ﴿يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا (١٧)﴾ جمع أشيب لشدّة هوله وهو يوم القيامة. والأصل في شين شيبا الضم وكسرت لمجانسة الياء. ويقال في اليوم الشديد: يوم يشيب نواصي الأطفال. وهو مجاز: ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة. ١٨- ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ﴾ ذات انفطار أي انشقاق ﴿بِهِۦ﴾ بذلك اليوم لشدته ﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ تعالى بمجيء ذلك اليوم ﴿مَفۡعُولًا (١٨)﴾ أي هو كائن لا محالة. ١٩- ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات المخوفة ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (١٩)﴾ طريقا بالإيمان والطاعة.

أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا (١١)﴾ إسناده صحيح على شرط البخاري، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق أخرى نحوه.

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ
ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ
وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ المُدَّثِّر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾
فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

٢٠- ﴿ * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ ﴾ أقل ﴿ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ بالجر عطف على «ثلثي» وبالنصب على «أدنى» وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة ﴿ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ عطف على ضمير «تقوم» وجاز من غير تأكيد للفصل وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به، ومنهم من كان لا يدري كم صلى من الليل وكم بقي منه فكان يقوم الليل كله احتياطا، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر فخفف عنهم. قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ﴾ يحصي ﴿ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي إنه ﴿ لَّن تُحْصُوهُ ﴾ أي الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ رجع بكم إلى التخفيف ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ في الصلاة بأن تصلوا ما تيسر ﴿ عَلِمَ أَن ﴾ مخففة من الثقيلة: أي إنه ﴿ سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يسافرون ﴿ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها ﴿ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ كما تقدّم ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ المفروضة ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ عن طيب قلب ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا ﴾ مما خلفتم. و «هو» فصل، وما بعده وإن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف ﴿ وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ للمؤمنين.

سورة المدثر [مكية وآياتها ٥٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ النبي ﷺ وأصله المتدثر أدغمت التاء في الدال أي المتلفف بثيابه عند نزول الوحي عليه. ٢- ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ خوف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا. ٣- ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ عظم عن إشراك المشركين. ٤- ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ عن النجاسة أو قصرها خلاف جرّ العرب ثيابهم خيلاء فربما أصابتها نجاسة. ٥- ﴿ وَٱلرُّجْزَ ﴾ فسره النبي ﷺ بالأوثان ﴿ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ أي دم على هجره. ٦- ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾ بالرفع حال أي لا تعط شيئا لتطلب منه أكثر، وهذا خاص به ﷺ لأنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب. ٧- ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ على الأوامر والنواهي. ٨- ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ ﴾ نفخ في الصور وهو القرن النفخة الثانية. ٩- ﴿ فَذَٰلِكَ ﴾ أي وقت النقر ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ بدل مما قبله المبتدأ وبني لإضافته إلى غير متمكن. وخبر المبتدأ ﴿ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾ والعامل في «إذا» ما دلت عليه الجملة أي اشتدّ الأمر. ١٠- ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين أي في عسره. ١١- ﴿ ذَرْنِى ﴾ اتركني ﴿ وَمَنْ خَلَقْتُ ﴾ عطف على المفعول أو مفعول معه ﴿ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ حال من «من» أو من ضميره المحذوف من «خلقت» أي منفردا بلا أهل ولا مال هو الوليد بن المغيرة المخزومي. ١٢- ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ ﴾ واسعا متصلاً من الزروع والضروع والتجارة. ١٣- ﴿ وَبَنِينَ ﴾ عشرة أو أكثر ﴿ شُهُودًا ﴿١٣﴾ ﴾ يشهدون المحافل وتسمع شهاداتهم. ١٤- ﴿ وَمَهَّدتُّ ﴾ بسطت ﴿ لَهُۥ ﴾ في العيش والعمر والولد ﴿ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ﴾. ١٥- ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ ﴾. ١٦- ﴿ كَلَّآ ﴾ لا أزيده على ذلك ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا ﴾ أي القرآن ﴿ عَنِيدًا ﴿١٦﴾ ﴾ معاندا.
١٧- ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ ﴾ أكلفه ﴿ صَعُودًا ﴿١٧﴾ ﴾ مشقة من العذاب أو جبلا من نار يصعد فيه ثم يهوي أبدا.

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ
(٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
(٣٠) وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا
وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى
مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا
وَٱلْقَمَرِ (٣٢) وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى
ٱلْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ
نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ
(٤٠) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (٤٢) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ
ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلْخَآئِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ (٤٧)

١٨- ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ذلك. ١٩- ﴿فَقُتِلَ﴾ لعن وعذب ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ على أي حال كان تقديره. ٢٠- ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾. ٢١- ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وجوه قومه أو فيما يقدح به فيه. ٢٢- ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قبض وجهه وكلحه ضيقا بما يقول ﴿وَبَسَرَ﴾ زاد في القبض والكلوح. ٢٣- ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ تكبر عن اتباع النبي ﷺ. ٢٤- ﴿فَقَالَ﴾ فيما جاء به ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ ينقل عن السحرة. ٢٥- ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ كما قالوا: (إنما يعلمه بشر). ٢٦- ﴿سَأُصْلِيهِ﴾ أدخله ﴿سَقَرَ﴾ جهنم. ٢٧- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظيم لشأنها. ٢٨- ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾ شيئا من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان. ٢٩- ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ محرقة لظاهر الجلد. ٣٠- ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ملكا خزنتها. قال بعض الكفار وكان قويا شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين، قال تعالى:

٣١- ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي فلا يطاقون كما يتوهمون ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ ضلالا ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بأن يقولوا لم كانوا تسعة عشر ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ ليستبين ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي اليهود صدق النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر الموافق لما في كتابهم ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَٰنًا﴾ تصديقا لموافقة ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ من غيرهم في عدد الملائكة ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك بالمدينة ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بمكة ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ العدد ﴿مَثَلًا﴾ سموه لغرابته بذلك وأعرب حالا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة في قوتهم وأعوانهم ﴿إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ﴾ أي سقر ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾. ٣٢- ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿وَٱلْقَمَرِ﴾. ٣٣- ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا﴾ بفتح الذال ﴿دَبَرَ﴾ جاء بعد النهار. وفي قراءة ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ بسكون الذال بعدها همزة: أي مضى. ٣٤- ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ ظهر. ٣٥- ﴿إِنَّهَا﴾ أي سقر ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ البلايا العظام. ٣٦- ﴿نَذِيرًا﴾ حال من «إحدى» وذكر لأنها بمعنى العذاب ﴿لِّلْبَشَرِ﴾. ٣٧- ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدل من البشر ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير أو الجنة بالإيمان ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ إلى الشر أو النار بالكفر. ٣٨- ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ مرهونة مأخوذة بعملها في النار. ٣٩- ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ وهم المؤمنون فناجون منها كائنون. ٤٠- ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ بينهم. ٤١- ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وحالهم ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار. ٤٢- ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أدخلكم ﴿فِى سَقَرَ﴾. ٤٣- ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾. ٤٤- ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾. ٤٥- ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ في الباطل ﴿مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾. ٤٦- ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ البعث والجزاء. ٤٧- ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ الموت.

■ **أسباب نزول الآية ٣٠-** وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن البراء أن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب النبي ﷺ عن خزنة جهنم، فجاء فأخبر النبي ﷺ فنزل عليه ساعتئذ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٣١-** وأخرج عن ابن إسحاق قال: قال أبو جهل يوما: يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عددا، أفيعجز مائة رجل منكم على رجل منهم، فأنزل الله

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ
ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ ٱلْقِيَٰمَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ
أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ
وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

٤٨- ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى لا شفاعة لهم. ٤٩- ﴿فَمَا﴾ مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾ خبره متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه ﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ حال من الضمير، والمعنى: أيّ شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ. ٥٠- ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ وحشية. ٥١- ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ أسد: أي هربت منه أشدّ الهرب. ٥٢- ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي من الله تعالى باتباع النبي كما قالوا «لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه». ٥٣- ﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي عذابها. ٥٤- ﴿كَلَّآ﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة. ٥٥- ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ قرأه فاتعظ به. ٥٦- ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بأن يتقى ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ بأن يغفر لمن اتقاه.

سورة القيامة [مكية وآيتها ٤٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿لَآ﴾ زائدة في الموضعين ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. ٢- ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان وجواب القسم محذوف: أي لتبعثن، دل عليه. ٣- ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي الكافر ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ للبعث والإحياء. ٤- ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ مع جمعها ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ وهو الأصابع أن نعيد عظامها كما كانت مع صغرها فكيف بالكبيرة. ٥- ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة ونصبه بـ «أن» مقدّرة: أي أن يكذب ﴿أَمَامَهُۥ﴾ أي يوم القيامة دل عليه: ٦- ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾ متى ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب. ٧- ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ بكسر الراء وفتحها: دهش وتحير لما رأى مما كان يكذبه. ٨- ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ أظلم وذهب ضوؤه. ٩- ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ فطلعا من المغرب أو ذهب ضوؤهما وذلك في يوم القيامة. ١٠- ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ الفرار. ١١- ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ يتحصن به. ١٢- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ مستقرّ الخلائق فيحاسبون ويجازون. ١٣- ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بأوّل عمله وآخره. ١٤- ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد تنطق جوارحه بعمله. والهاء للمبالغة فلا بد من جزائه. ١٥- ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ جمع معذرة على غير قياس أي لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه. قال تعالى لنبيه: ١٦- ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ خوف أن ينفلت منك. ١٧- ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قراءتك إياه: أي جريانه على لسانك. ١٨- ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ استمع قراءته فكان ﷺ يستمع ثم يقرؤه. ١٩- ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ بالتفهيم لك والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ الآية، وأخرج نحوه عن قتادة قال: ذكر لنا، فذكره، وأخرج عن السدي قال: لما نزلت ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال رجل من قريش يدعى أبا الأشد: يا معشر قريش لا يهولنكم التسعة عشر، أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة، وبمنكبي الأيسر التسعة فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٥٧٨

٢٠- ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى ألا ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ (٢٠)﴾ الدنيا بالياء والتاء في الفعلين. ٢١- ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ (٢١)﴾ فلا يعملون لها. ٢٢- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي في يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ (٢٢)﴾ حسنة مضيئة. ٢٣- ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ أي يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة. ٢٤- ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ (٢٤)﴾ كالحة شديدة العبوس. ٢٥- ﴿تَظُنُّ﴾ توقن ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)﴾ داهية عظيمة تكسر فقار الظهر. ٢٦- ﴿كَلَّآ﴾ بمعنى ألا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس ﴿ٱلتَّرَاقِيَ (٢٦)﴾ عظام الحلق. ٢٧- ﴿وَقِيلَ﴾ قال من حوله ﴿مَنْ رَاقٍ (٢٧)﴾ يرقيه ليشفى. ٢٨- ﴿وَظَنَّ﴾ أيقن مَن بلغت نفسه ذلك ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ (٢٨)﴾ فراق الدنيا.

٢٩- ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (٢٩)﴾ أي إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت، أو التفت شدّة فراق الدنيا بشدّة إقبال الآخرة.

٣٠- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ (٣٠)﴾ أي السوق. وهذا يدل على العامل في «إذا» المعنى: إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها. ٣١- ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ الإنسان ﴿وَلَا صَلَّىٰ (٣١)﴾ أي لم يصدّق ولم يصل. ٣٢- ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰ (٣٢)﴾ عن الإيمان. ٣٣- ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ (٣٣)﴾ يتبختر في مشيته إعجابا. ٣٤- ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل واللام للتبيين: أي وليك ما تكره ﴿فَأَوْلَىٰ (٣٤)﴾ أي فهو أولى بك من غيرك.

٣٥- ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ (٣٥)﴾ تأكيد. ٣٦- ﴿أَيَحْسَبُ﴾ يظنّ ﴿ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)﴾ هملاً لا يكلف بالشرائع أي لا يحسب ذلك. ٣٧- ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ أي كان ﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ (٣٧)﴾ بالياء والتاء تصب في الرحم. ٣٨- ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ المني ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾ الله منها الإنسان ﴿فَسَوَّىٰ (٣٨)﴾ عدل أعضاءه. ٣٩- ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ من المني الذي صار علقة أي قطعة دم، ثم مضغة أي قطعة لحم ﴿ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ النوعين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ (٣٩)﴾ يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر تارة. ٤٠- ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الفعّال لهذه الأشياء ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ (٤٠)﴾؟ قال ﷺ: بلى.

سورة الإنسان أو الدهر [مكية أو مدنية وآياتها ٣١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿هَلْ﴾ قد ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ آدم ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ أربعون سنة ﴿لَمْ يَكُن﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا مَّذْكُورًا (١)﴾ كان فيه مصوّرا من طين لا يذكر، أو المراد بالإنسان الجنس وبالحين مدّة الحمل. ٢- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نختبره بالتكليف، والجملة مستأنفة، أو حال مقدرة أي مريدين ابتلاءه حين تأهله ﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ بسبب ذلك ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا (٢)﴾. ٣- ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بيّنا له طريق الهدى ببعث الرسل ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ أي مؤمنا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا (٣)﴾ حالان من المفعول أي بينا له في حال شكره أو كفره المقدرة وإما لتفصيل الأحوال. ٤- ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ يسحبون بها في النار ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ في أعناقهم تشدّ فيها السلاسل ﴿وَسَعِيرًا (٤)﴾ نارا مسعرة أي مهيجة يعذبون بها. ٥- ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع بر أو بارّ، وهم المطيعون ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ هو إناء شرب الخمر وهي فيه، والمراد من خمر تسمية للحال باسم المحل و «من» للتبعيض ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿كَافُورًا (٥)﴾.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

٦- ﴿عَيْنًا﴾ بدل من «كافورا» فيها رائحته ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ منها ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم. ٧- ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ في طاعة الله ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ منتشرا. ٨- ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي الطعام وشهوتهم له ﴿مِسْكِينًا﴾ فقيرا ﴿وَيَتِيمًا﴾ لا أب له ﴿وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ يعني المحبوس بحق.

٩- ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ لطلب ثوابه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ شكرا فيه علة الإطعام، وهل تكلموا بذلك أو علمه الله منهم فأثنى عليهم به؟ قولان. ١٠- ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ تكلح الوجوه فيه أي كريه المنظر لشدّته ﴿قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ شديدا في ذلك. ١١- ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ حسنا وإضاءة في وجوههم ﴿وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾. ١٢- ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم عن المعصية ﴿جَنَّةً﴾ أدخلوها ﴿وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ ألبسوه.

١٣- ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حال من مرفوع: أدخلوها، المقدّر ﴿فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ السرر في الحجال ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ لا يجدون، حال ثانية ﴿فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ أي لا حرا ولا بردا. وقيل الزمهرير: القمر فهي مضيئة من غير شمس ولا قمر. ١٤- ﴿وَدَانِيَةً﴾ قريبة عطف على محل لا يرون أي غير رائين ﴿عَلَيْهِمْ﴾ منهم ﴿ظِلَٰلُهَا﴾ شجرها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ أدنيت ثمارها فينالها القائم والقاعد والمضطجع. ١٥- ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ فيها ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أقداح بلا عرى ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾﴾. ١٦- ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ أي إنها من فضة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج ﴿قَدَّرُوهَا﴾ أي الطائفون ﴿تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ على قدر ريّ الشاربين من غير زيادة ولا نقص، وذلك ألذّ الشراب. ١٧- ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي خمرا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾. ١٨- ﴿عَيْنًا﴾ بدل من «زنجبيلا» ﴿فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ يعني أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب سهل المساغ في الحلق. ١٩- ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ بصفة الولدان لا يشيبون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ من سلكه أو من صدفه، وهو أحسن منه في غير ذلك.

٢٠- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي وجدت الرؤية منك في الجنة ﴿رَأَيْتَ﴾ جواب «إذا» ﴿نَعِيمًا﴾ لا يوصف ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ واسعا لا غاية له. ٢١- ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ فوقهم فنصبه على الظرفية. وهو خبر لمبتدأ بعده. وفي قراءة بسكون الياء مبتدأ، وما بعده خبره، والضمير المتصل به للمعطوف عليهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ حرير ﴿خُضْرٌ﴾ بالرفع ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالجر ما غلظ من الديباج فهو البطائن، والسندس الظهائر. وفي قراءة عكس ما ذكر فيهما. وفي أخرى برفعهما. وفي أخرى بجرّهما ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي موضع من ذهب للإيذان بأنهم يحلون من النوعين معا ومفرقا ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ مبالغة في طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا. ٢٢- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾. ٢٣- ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم «إن» أو فصل ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ خبر «إن» أي فصلناه ولم ننزله جملة واحدة. ٢٤- ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ رسالته ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ أي الكفار ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ أي عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة، قالا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر. ويجوز أن يراد كل آثم وكافر: أي لا تطع أحدهما أيا كان فيما دعاك إليه من إثم أو كفر. ٢٥- ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ في الصلاة ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ يعني الفجر والظهر والعصر.

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

٢٦- ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ صل التطوّع فيه كما تقدّم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه. ٢٧- ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾﴾ شديدا – أي يوم القيامة– لا يعملون له. ٢٨- ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ﴾ قوّينا ﴿أَسۡرَهُمۡ﴾ أعضاءهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ﴾ جعلنا ﴿أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾ في الخلقة بدلاً منهم بأن نهلكهم ﴿تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ تأكيد، ووقعت «إذا» موقع «إن» نحو «إن يشأ يذهبكم» لأنه تعالى لم يشأ ذلك وإذا لما يقع. ٢٩- ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السورة ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾﴾ طريقا بالطاعة. ٣٠- ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ بالتاء والياء اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾﴾ في فعله[1]. ٣١- ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ جنته وهم المؤمنون ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ناصبه فعل مقدّر، أي أعدّ يفسره ﴿أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾﴾ مؤلما وهم الكافرون.

سورة المرسلات [مكية وآياتها ٥٠]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾﴾ أي: الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا، ونصبه على الحال.

٢- ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾﴾ الرياح الشديدة. ٣- ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾﴾ الرياح تنشر المطر.

٤- ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾﴾ أي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام. ٥- ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾﴾ أي الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء، والرسل يلقون الوحي إلى الأمم. ٦- ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾﴾ أي للإعذار والإنذار من الله تعالى، وفي قراءة بضم ذال «نُذُرا» وقرئ بضم ذال «عُذُرا». ٧- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ – أي يا كفّار مكة – من البعث والعذاب ﴿لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾﴾ كائن لا محالة. ٨- ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾﴾ محي نورها. ٩- ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾﴾ شُقّت. ١٠- ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾﴾ فتّتت وسيّرت. ١١- ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾﴾ بالواو وبالهمزة بدلاً منها: أي جُمعت لوقْت. ١٢- ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ﴾ ليوم عظيم ﴿أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾﴾ للشهادة على أممهم بالتبليغ. ١٣- ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾﴾ بين الخلق، ويؤخذ منه جواب «إذا» أي: وقع الفصل بين الخلائق. ١٤- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾﴾ تهويل لشأنه. ١٥- ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ هذا وعيد لهم. ١٦- ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾ بتكذيبهم؟ أي أهلكناهم. ١٧- ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ ممن كذّبوا – ككفار مكة – فنهلكهم. ١٨- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾. بكل من أجرم فيما يستقبل: فنهلكهم. ١٩- ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ تأكيد.

■ **أسباب نزول الآية ٥٢**- وأخرج ابن المنذر عن السدي قال: قالوا: لئن كان محمد صادقًا فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأمنة من النار، فنزلت ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾﴾.

(سورة القيامة)

■ **أسباب نزول الآية ١٦**- وأخرج البخاري عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل الوحي يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فأنزل الله ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ الآية.

---

(١) قال الشيخ عبد الرازق العفيفي: الله حكيم في كل شؤونه، فهو حكيم في صنعه، وتشريعه، وجزائه، وقدره، وكلامه وغير ذلك.

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤)
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)
ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٩) ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ
شُعَبٍ (٣٠) لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤)
هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي
ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ (٥٠)

٢٠- ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ ضعيف؟ وهو المنيّ.
٢١- ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ حريز وهو الرحم. ٢٢- ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو وقت الولادة. ٢٣- ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلك ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ نحن. ٢٤- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ٢٥- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ مصدر كفت بمعنى ضم: أي ضامة. ٢٦- ﴿أَحْيَآءً﴾ على ظهرها ﴿وَأَمْوَٰتًا﴾ في بطنها. ٢٧- ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ جبالا مرتفعات ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ عذبا.
٢٨- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ويقال للمكذبين يوم القيامة.
٢٩- ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ﴾ من العذاب ﴿تُكَذِّبُونَ﴾. ٣٠- ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ هو دخان جهنم إذا ارتفع افترق ثلاث فرق لعظمه. ٣١- ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ كنين يظلهم من حرّ ذلك اليوم ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ يردّ عنهم شيئا ﴿مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ النار. ٣٢- ﴿إِنَّهَا﴾ أي النار ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ هو ما تطاير منها ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ من البناء في عظمه وارتفاعه. ٣٣- ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ جمع «جمالة» جمع جمل وفي قراءة «جمالة» ﴿صُفْرٌ﴾ في هيئتها ولونها وفي الحديث «شرار الناس أسود كالقير» والعرب تسمي سود الإبل صفرا لشوب سوادها بصفرة فقيل صفر في الآية: بمعنى سود، لما ذكر وقيل لا. والشرر جمع شرارة. والقير القار. ٣٤- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ٣٥- ﴿هَٰذَا﴾ أي يوم القيامة ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ فيه بشيء.
٣٦- ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في العذر ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عطف على «يؤذن» من غير تسبب عنه فهو داخل في حيز النفي أي لا إذن فلا اعتذار. ٣٧- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ٣٨- ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ﴾ أيها المكذبون من هذه الأمة ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعا. ٣٩- ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حيلة في دفع العذاب عنكم ﴿فَكِيدُونِ﴾ فافعلوها. ٤٠- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ٤١- ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ﴾ أي تكاثف أشجار، إذ لا شمس يُظَلّ من حرها ﴿وَعُيُونٍ﴾ نابعة من الماء.
٤٢- ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس في الأغلب ويقال لهم. ٤٣- ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا﴾ حال أي متهنئين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الطاعة. ٤٤- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزينا المتقين ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ٤٥- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.
٤٦- ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ﴾ خطاب للكفار في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ من الزمان وغايته إلى الموت وفي هذا تهديد لهم ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾. ٤٧- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ٤٨- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ﴾ صلوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لا يصلون. ٤٩- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ٥٠- ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ أي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره.

■ أسباب نزول الآية ٣٤ و٣٥- وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، يخبركم ابن أبي كبشة أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فأوحى الله إلى رسوله أن يأتي أبا جهل فيقول له ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾. وأخرج النسائي عن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عن قوله ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ أشيء قاله رسول الله ﷺ من قبل نفسه أم أمره الله به؟ قال: بل قاله من قبل نفسه ثم أنزله الله.

سورة النبأ [مكية وآياتها ٤٠ أو ٤١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿عَمَّ﴾ عن أي شيء ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴿١﴾﴾ يسأل بعض قريش بعضا. ٢- ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴿٢﴾﴾ بيان لذلك الشيء. والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن المشتمل على البعث وغيره. ٣- ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴿٣﴾﴾ فالمؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه. ٤- ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَيَعْلَمُونَ﴿٤﴾﴾ ما يحل بهم على إنكارهم له. ٥- ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴿٥﴾﴾ تأكيد. وجيء فيه بـ «ثم» للإيذان بأن الوعيد الثاني أشدّ من الأوّل ثم أومأ تعالى إلى القدرة على البعث فقال: ٦- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴿٦﴾﴾ فراشا كالمهد. ٧- ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴿٧﴾﴾ تثبت بها الأرض كما تثبت الخيام بالأوتاد. والاستفهام للتقرير. ٨- ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴿٨﴾﴾ ذكورا وإناثا. ٩- ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴿٩﴾﴾ راحة لأبدانكم. ١٠- ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴿١٠﴾﴾ ساترا بسواده.

١١- ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴿١١﴾﴾ وقتا للمعايش. ١٢- ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ سبع سموات ﴿شِدَادًا﴿١٢﴾﴾ جمع شديدة أي قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان. ١٣- ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ منيرا ﴿وَهَّاجًا﴿١٣﴾﴾ وقادا يعني الشمس. ١٤- ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ السحابات التي حان لها أن تمطر، كالمعصر: الجارية التي دنت من الحيض ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴿١٤﴾﴾ صبابا.

١٥- ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾ كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا﴿١٥﴾﴾ كالتين. ١٦- ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿أَلْفَافًا﴿١٦﴾﴾ ملتفة جمع لفيف كشريف وأشراف. ١٧- ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴿١٧﴾﴾ وقتا للثواب والعقاب. ١٨- ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له، والنافخ إسرافيل ﴿فَتَأْتُونَ﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿أَفْوَاجًا﴿١٨﴾﴾ جماعات مختلفة. ١٩- ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ بالتشديد والتخفيف: شققت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴿١٩﴾﴾ ذات أبواب. ٢٠- ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ ذهب بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴿٢٠﴾﴾ هباء أي مثله في خفة سيرها.

٢١- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴿٢١﴾﴾ راصدة أو مرصدة. ٢٢- ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ الكافرين فلا يتجاوزونها ﴿مَـَٔابًا﴿٢٢﴾﴾ مرجعا لهم فيدخلونها. ٢٣- ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ حال مقدرة أي مقدرا لبثهم ﴿فِيهَآ أَحْقَابًا﴿٢٣﴾﴾ دهورا لا نهاية لها، جمع حُقُب بضم أوله. ٢٤- ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نوما، فإنهم لا يذوقونه ﴿وَلَا شَرَابًا﴿٢٤﴾﴾ ما يشرب تلذذا. ٢٥- ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿حَمِيمًا﴾ ماء حارًا غاية الحرارة ﴿وَغَسَّاقًا﴿٢٥﴾﴾ بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار، فإنهم يذوقونه جوزوا بذلك. ٢٦- ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴿٢٦﴾﴾ موافقا لعملهم فلا ذنب أعظم من الكفر ولا عذاب أعظم من النار. ٢٧- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿حِسَابًا﴿٢٧﴾﴾ لإنكارهم البعث. ٢٨- ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿كِذَّابًا﴿٢٨﴾﴾ تكذيبا. ٢٩- ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾ ضبطناه ﴿كِتَٰبًا﴿٢٩﴾﴾ كتبا في اللوح المحفوظ لنجازي عليه ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن. ٣٠- ﴿فَذُوقُوا۟﴾ أي فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب عليهم: ذوقوا جزاءكم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴿٣٠﴾﴾ فوق عذابكم.

سورة النبأ

سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾
وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ
مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

٥٨٢

(سورة الإنسان أو الدهر)

■ **أسباب نزول الآية ٨-** أخرج ابن المنذر عن ابن جرير في قوله ﴿وَأَسِيرًا﴿٨﴾﴾ قال: لم يكن النبي يأسر أهل الإسلام، ولكنها نزلت في أسارى أهل الشرك، كانوا يأسرونهم في العذاب، فنزلت فيهم فكان النبي ﷺ يأمرهم بالإصلاح إليهم.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ ٱلنَّازِعَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا
﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ
﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا
خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا
عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ
وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾

٣١- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١)﴾ مكان فوز في الجنة.
٣٢- ﴿حَدَآئِقَ﴾ بساتين بدل من «مفازا» أو بيان له ﴿وَأَعْنَٰبًا (٣٢)﴾ عطف على «مفازا». ٣٣- ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جواري تكعبت ثديهن: جمع كاعب ﴿أَتْرَابًا (٣٣)﴾ على سنٍّ واحد جمع تِرْب بكسر التاء وسكون الراء. ٣٤- ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤)﴾ خمرا مالئة محالها. وفي سورة القتال ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾. ٣٥- ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال ﴿لَغْوًا﴾ باطلا من القول ﴿وَلَا كِذَّٰبًا (٣٥)﴾ بالتخفيف أي كذبا، وبالتشديد أي تكذيبا من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر. ٣٦- ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطَآءً﴾ بدل من «جزاء» ﴿حِسَابًا (٣٦)﴾ أي كثيرا من قولهم: أعطاني فأحسبني: أي أكثر عليَّ حتى قلت حسبي. ٣٧- ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالجرّ والرفع ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ كذلك وبرفعه مع جرّ «ربّ» ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي الخلق ﴿مِنْهُ﴾ تعالى ﴿خِطَابًا (٣٧)﴾ أي لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفا منه. ٣٨- ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ«يملكون» ﴿يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ جبريل أو جند الله ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ حال أي مصطفين ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي الخلق ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولا ﴿صَوَابًا (٣٨)﴾ من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى. ٣٩- ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت وقوعه وهو يوم القيامة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا (٣٩)﴾ مرجعا أي رجع إلى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه. ٤٠- ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي عذاب يوم القيامة الآتي، وكل آت قريب ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ«عذابا» بصفته ﴿يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾ كل امرئ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير وشرّ ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰ﴾ حرف تنبيه ﴿لَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا (٤٠)﴾ يعني فلا أعذب. يقول ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: كوني ترابا.

سورة النازعات [مكية وآياتها ٤٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْقًا (١)﴾ نزعا بشدة. ٢- ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا (٢)﴾ الملائكة تنشط أرواح المؤمنين: أي تسلها برفق. ٣- ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا (٣)﴾ الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى أي تنزل. ٤- ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا (٤)﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. ٥- ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا (٥)﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره. وجواب هذه الأقسام محذوف: أي لتبعثنّ يا كفار مكة وهو عامل في:
٦- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ (٦)﴾ النفخة الأولى بها يرجف كل شيء: أي يتزلزل فوصفت بما يحدث منها.
٧- ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ (٧)﴾ النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة. والجملة حال من «الراجفة» فاليوم واسع للنفختين وغيرهما، فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية. ٨- ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨)﴾ خائفة قلقة. ٩- ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ (٩)﴾ ذليلة لهول ما ترى. ١٠- ﴿يَقُولُونَ﴾ أي أرباب القلوب والأبصار استهزاء وإنكارا للبعث ﴿أَءِنَّا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ (١٠)﴾ أي: أنرد بعد الموت إلى الحياة؟ «والحافرة» اسم لأوّل الأمر. ومنه رجع فلان في حافرته إذا رجع من حيث جاء.
١١- ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً (١١)﴾ وفي قراءة «ناخرة» بالية متفتتة أي نحيا. ١٢- ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ﴾ أي رجعتنا إلى الحياة ﴿إِذًا﴾ إن صحت ﴿كَرَّةٌ﴾ رجعة ﴿خَاسِرَةٌ (١٢)﴾ ذات خسران قال تعالى: ١٣- ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ أي الرادفة التي يعقبها البعث ﴿زَجْرَةٌ﴾ نفخة ﴿وَٰحِدَةٌ (١٣)﴾ فإذا نفخت. ١٤- ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي كل الخلائق ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ (١٤)﴾ بوجه الأرض أحياء بعد ما كانوا ببطنها أمواتا. ١٥- ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (١٥)﴾ عامل في:

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ
الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾
وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ
الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ
هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

١٦- ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴿١٦﴾﴾ اسم الوادي – بالتنوين وتركه – فقال: ١٧- ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴿١٧﴾﴾ تجاوز الحد في الكفر. ١٨- ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ﴾ أدعوك ﴿إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴿١٨﴾﴾ وفي قراءة بتشديد «الزاي» بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها: تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلا الله. ١٩- ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته ببرهان ﴿فَتَخْشَىٰ﴿١٩﴾﴾ فتخافه. ٢٠- ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴿٢٠﴾﴾ من الآيات التسع وهي اليد أو العصا. ٢١- ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون موسى ﴿وَعَصَىٰ﴿٢١﴾﴾ الله تعالى. ٢٢- ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسْعَىٰ﴿٢٢﴾﴾ في الأرض بالفساد. ٢٣- ﴿فَحَشَرَ﴾ جمع السحرة وجنده ﴿فَنَادَىٰ﴿٢٣﴾﴾. ٢٤- ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴿٢٤﴾﴾ لا رب فوقي.

٢٥- ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ أهلكه بالغرق ﴿نَكَالَ﴾ عقوبة ﴿الْآخِرَةِ﴾ أي هذه الكلمة ﴿وَالْأُولَىٰ﴿٢٥﴾﴾ أي قوله قبلها «ما علمت لكم من إله غيري» وكان بينهما أربعون سنة. ٢٦- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴿٢٦﴾﴾ الله تعالى.

٢٧- ﴿أَأَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه: أي منكرو البعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ أشدّ خلقا ﴿بَنَاهَا﴿٢٧﴾﴾ بيان لكيفية خلقها. ٢٨- ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ تفسير لكيفية البناء: أي جعل سمتها في جهة العلو رفيعا. وقيل سمكها: سقفها ﴿فَسَوَّاهَا﴿٢٨﴾﴾ جعلها مستوية بلا عيب. ٢٩- ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴿٢٩﴾﴾ أبرز نور شمسها وأضيف إليها الليل لأنه ظلها والشمس لأنها سراجها. ٣٠- ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴿٣٠﴾﴾ بسطها وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو. ٣١- ﴿أَخْرَجَ﴾ حال بإضمار «قد» أي مخرجا ﴿مِنْهَا مَاءَهَا﴾ بتفجير عيونها ﴿وَمَرْعَاهَا﴿٣١﴾﴾ ما ترعاه النعم من الشجر والعشب وما يأكله الناس من الأقوات والثمار، وإطلاق المرعى عليه استعارة. ٣٢- ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴿٣٢﴾﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن. ٣٣- ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول له لمقدّر: أي فعل ذلك متعة، أو مصدر: أي تمتيعا ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴿٣٣﴾﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم. ٣٤- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴿٣٤﴾﴾ النفخة الثانية. ٣٥- ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾ بدل من «إذا» ﴿مَا سَعَىٰ﴿٣٥﴾﴾ في الدنيا من خير وشر.

٣٦- ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ أظهرت ﴿الْجَحِيمُ﴾ النار المحرقة ﴿لِمَن يَرَىٰ﴿٣٦﴾﴾ لكل راء وجواب إذا: ٣٧- ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴿٣٧﴾﴾ كفر. ٣٨- ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴿٣٨﴾﴾ باتباع الشهوات.

٣٩- ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴿٣٩﴾﴾ مأواه. ٤٠- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمارة ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴿٤٠﴾﴾ المردي باتباع الشهوات. ٤١- ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴿٤١﴾﴾. وحاصل الجواب: فالعاصي في النار والمطيع في الجنة. ٤٢- ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي كفار مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴿٤٢﴾﴾ متى وقوعها وقيامها. ٤٣- ﴿فِيمَ﴾ في أي شيء ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴿٤٣﴾﴾ أي ليس عندك علمها حتى تذكرها.

٤٤- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴿٤٤﴾﴾ منتهى علمها لا يعلمه غيره.

٤٥- ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿مَن يَخْشَاهَا﴿٤٥﴾﴾ يخافها. ٤٦- ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في قبورهم ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴿٤٦﴾﴾ أي عشية يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملابسة إذ هما طرفا النهار، وحسن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ (٢) وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوۡ
يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦)
وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخۡشَىٰ (٩) فَأَنتَ
عَنۡهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ
(١٣) مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۢ (١٤) بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ (١٥) كِرَامِۢ بَرَرَةٖ (١٦) قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ
مَآ أَكۡفَرَهُۥ (١٧) مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ
ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا
يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣) فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا
(٢٥) ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا (٢٦) فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا (٢٧) وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا (٢٨)
وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا (٣٠) وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا (٣١) مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ
وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ (٣٢) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ (٣٤)
وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ
يُغۡنِيهِ (٣٧) وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ (٣٨) ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ (٣٩) وَوُجُوهٞ
يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ (٤٠) تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ (٤٢)

٥٨٥

سورة عبس [مكية وآياتها ٤٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿عَبَسَ﴾ النبي كلح وجهه ﴿وَتَوَلَّىٰٓ (١)﴾ أعرض لأجل. ٢- ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ (٢)﴾ عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش الذي هو حريص على إسلامهم ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك فناداه علمني مما علمك الله فانصرف النبي ﷺ إلى بيته فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي» ويبسط له رداءه. ٣- ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ يعلمك. ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣)﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي أي يتطهر من الذنوب بما يسمع منك. ٤- ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ (٤)﴾ العظة المسموعة منك وفي قراءة بنصب تنفعه جواب الترجي. ٥- ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ (٥)﴾ بالمال. ٦- ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦)﴾ وفي قراءة بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها تقبل وتتعرض. ٧- ﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧)﴾ يؤمن. ٨- ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ (٨)﴾ حال من فاعل جاء. ٩- ﴿وَهُوَ يَخۡشَىٰ (٩)﴾ الله حال من فاعل يسعى وهو الأعمى. ١٠- ﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ (١٠)﴾ فيه حذف التاء الأخرى في الأصل أي تتشاغل. ١١- ﴿كَلَّآ﴾ لا تفعل مثل ذلك ﴿إِنَّهَا﴾ أي السورة أو الآيات ﴿تَذۡكِرَةٞ (١١)﴾ عظة للخلق. ١٢- ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢)﴾ حفظ ذلك فاتعظ به. ١٣- ﴿فِي صُحُفٖ﴾ خبر ثان لأنها وما قبله اعتراض ﴿مُّكَرَّمَةٖ (١٣)﴾ عند الله. ١٤- ﴿مَّرۡفُوعَةٖ﴾ في السماء ﴿مُّطَهَّرَةِۢ (١٤)﴾ منزهة عن مس الشياطين. ١٥- ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ (١٥)﴾ كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ. ١٦- ﴿كِرَامِۢ بَرَرَةٖ (١٦)﴾ مطيعين لله تعالى وهم الملائكة. ١٧- ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ لعن الكافر ﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ (١٧)﴾ استفهام توبيخ أيُّ ما حمله على الكفر. ١٨- ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ (١٨)﴾ استفهام تقرير ثم بينه فقال. ١٩- ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩)﴾ علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه. ٢٠- ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي طريق خروجه من بطن أمه. ﴿يَسَّرَهُۥ (٢٠)﴾ . ٢١- ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ (٢١)﴾ جعله في قبر يستره. ٢٢- ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢)﴾ للبعث. ٢٣- ﴿كَلَّا﴾ حقا ﴿لَمَّا يَقۡضِ﴾ لم يفعل ﴿مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣)﴾ به ربه. ٢٤- ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ نظر اعتبار ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤)﴾ كيف قدر ودبر له. ٢٥- ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ﴾ من السحاب ﴿صَبّٗا (٢٥)﴾ . ٢٦- ﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالنبات ﴿شَقّٗا (٢٦)﴾ . ٢٧- ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا (٢٧)﴾ كالحنطة والشعير. ٢٨- ﴿وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا (٢٨)﴾ هو القت الرطب. ٢٩- ﴿وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا (٢٩)﴾. ٣٠- ﴿وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا (٣٠)﴾ بساتين كثيرة الأشجار. ٣١- ﴿وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا (٣١)﴾ ما ترعاه البهائم وقيل التبن. ٣٢- ﴿مَّتَٰعٗا﴾ متعة أو تمتيعا كما تقدم في السورة قبلها ﴿لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ (٣٢)﴾ تقدم فيها أيضا. ٣٣- ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣)﴾ النفخة الثانية. ٣٤- ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ (٣٤)﴾ . ٣٥- ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥)﴾. ٣٦- ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَبَنِيهِ (٣٦)﴾ يوم بدل من إذا وجوابها دل عليه. ٣٧- ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ (٣٧)﴾ حال يشغله عن شأن غيره أي اشتغل كل واحد بنفسه. ٣٨- ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ (٣٨)﴾ مضيئة. ٣٩- ﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ (٣٩)﴾ فرحة وهم المؤمنون. ٤٠- ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ (٤٠)﴾ غبار. ٤١- ﴿تَرۡهَقُهَا﴾ تغشاها ﴿قَتَرَةٌ (٤١)﴾ ظلمة وسواد. ٤٢- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أهل هذه الحالة ﴿هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ (٤٢)﴾ أي الجامعون بين الكفر والفجور.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ
سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ
﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا
ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ
﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ
أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾
ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ
ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾
فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن
يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الانفِطَارِ

سورة التكوير

[مكية وآياتها ٢٩]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾﴾ لففت وذهبت بنورها.

٢- ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾﴾ انقضت وتساقطت على الأرض. ٣- ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾﴾ ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا. ٤- ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ﴾ النوق الحوامل ﴿عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾﴾ تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر ولم يكن مال أعجب إليهم منها. ٥- ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾﴾ جمعت بعد البعث ليقتص لبعض من بعض ثم تصير ترابا.

٦- ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾﴾ بالتخفيف والتشديد أوقدت فصارت نارا. ٧- ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾﴾ قرنت بأجسادها. ٨- ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ﴾ الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة ﴿سُئِلَتۡ ﴿٨﴾﴾ تبكيتا لقاتلها. ٩- ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾﴾ وقرئ بكسر التاء حكاية لما تخاطب به وجوابها أن تقول قتلت بلا ذنب. ١٠- ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾ صحف الأعمال ﴿نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾﴾ بالتخفيف والتشديد فتحت وبسطت. ١١- ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾﴾ نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة. ١٢- ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ﴾ النار ﴿سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾﴾ بالتخفيف والتشديد أججت. ١٣- ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾﴾ قربت لأهلها ليدخلوها وجواب إذا أول السورة وما عطف عليها. ١٤- ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾ أي كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة ﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾﴾ من خير وشر. ١٥- ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾ ١٦- ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون أي ترجع في مجراها وراءها بينما نرى النجم في آخر البرج إذ كرّ راجعا إلى أوله وتكنس بكسر النون تدخل في كناسها أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها. ١٧- ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾﴾ أقبل بظلامه أو أدبر. ١٨- ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ امتد حتى يصير نهارا بينا. ١٩- ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾﴾ على الله تعالى وهو جبريل أضيف إليه لنزوله به. ٢٠- ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي شديد القوى ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي الله تعالى ﴿مَكِينٖ ﴿٢٠﴾﴾ ذي مكانة متعلق به عند. ٢١- ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ أي تطيعه الملائكة في السموات ﴿أَمِينٖ ﴿٢١﴾﴾ على الوحي. ٢٢- ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ محمد ﷺ عطف على أنه إلى آخر المقسم عليه ﴿بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾﴾ كما زعمتم. ٢٣- ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ﴾ محمد ﷺ جبريل. على صورته التي خلق عليها ﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ البين وهو الأعلى بناحية المشرق. ٢٤- ﴿وَمَا هُوَ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾﴾ أي: بمتهم وفي قراءة بالضاد أي ببخيل فينتقص شيئا منه. ٢٥- ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي القرآن ﴿بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ﴾ مسترق السمع ﴿رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾ مرجوم.

٢٦- ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فبأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه.

٢٧- ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ عظة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ الإنس والجن. ٢٨- ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ﴾ بدل من العالمين بإعادة الجار ﴿أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ باتباع الحق. ٢٩- ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة على الحق ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ الخلائق استقامتكم عليه.

سورة الانفطار — الجزء ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ
﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم
مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

٥٨٧

سورة الانفطار [مكية وآيتها ١٩]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴿١﴾﴾ انشقت. ٢- ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ
انتَثَرَتْ﴿٢﴾﴾ انقضت وتساقطت. ٣- ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ
﴿٣﴾﴾ فتح بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا واختلط
العذب بالملح. ٤- ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴿٤﴾﴾ قلب ترابها وبعث
موتاها وجواب إذا وما عطف عليها. ٥- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي
كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾
من الأعمال ﴿وَ﴾ ما ﴿أَخَّرَتْ﴿٥﴾﴾ منها فلم تعمله.
٦- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾ الكافر ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴿٦﴾﴾
حتى عصيته. ٧- ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن ﴿فَسَوَّاكَ﴾
جعلك مستوي الخلقة سالم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴿٧﴾﴾ بالتخفيف
والتشديد جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أو
رجل أطول من الأخرى. ٨- ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا﴾ صلة ﴿شَاءَ
رَكَّبَكَ﴿٨﴾﴾. ٩- ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى
﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي يا كفار مكة ﴿بِالدِّينِ﴿٩﴾﴾ بالجزاء على الأعمال. ١٠- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴿١٠﴾﴾ من
الملائكة لأعمالكم. ١١- ﴿كِرَامًا﴾ على الله ﴿كَاتِبِينَ﴿١١﴾﴾ لها. ١٢- ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴿١٢﴾﴾ جميعه.
١٣- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴿١٣﴾﴾ جنة. ١٤- ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ الكفار ﴿لَفِي
جَحِيمٍ﴿١٤﴾﴾ نار محرقة. ١٥- ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ويقاسون حرها ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴿١٥﴾﴾ الجزاء. ١٦- ﴿وَمَا هُمْ
عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴿١٦﴾﴾ بمخرجين. ١٧- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك. ﴿مَا يَوْمُ الدِّينِ﴿١٧﴾﴾. ١٨- ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الدِّينِ﴿١٨﴾﴾ تعظيم لشأنه. ١٩- ﴿يَوْمَ﴾ بالرفع أي هو يوم ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ من المنفعة
﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴿١٩﴾﴾ لا أمر لغيره فيه أي لم يمكن أحد من التوسط فيه بخلاف الدنيا.

▣ أسباب نزول الآية ٢٠- وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وهو راقد على حصير من جريد، وقد أثر في جنبه، فبكى عمر، فقال ﷺ: ما يبكيك؟ قال عمر: ذكرت كسرى وملكه، وهرمز وملكه وصاحب الحبشة وملكه، وأنت رسول الله على حصير من جريد! فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ فأنزل الله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

▣ أسباب نزول الآية ٢٤- وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة: أنه بلغه أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأن عنقه، فأنزل الله ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾.

(سورة المرسلات)

▣ أسباب نزول الآية ٤٨- وأخرج ابن المنذر عن مجاهد في قوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ قال: نزلت في ثقيف.

(سورة النبأ)

▣ أسباب نزول الآية ١- أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال: لما بُعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم فنزلت ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾
وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ
﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ
﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾
خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ
مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

سورة المطففين
[مكية أو مدنية وآياتها ٣٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب أو واد في جهنم ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ (١)﴾.
٢- ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى﴾ أي من ﴿ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢)﴾ الكيل. ٣- ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي كالوا لهم ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أي وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ (٣)﴾ ينقصون الكيل أو الوزن. ٤- ﴿أَلَا﴾ استفهام توبيخ ﴿يَظُنُّ﴾ يتيقن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤)﴾.
٥- ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥)﴾ أي فيه وهو يوم القيامة. ٦- ﴿يَوْمَ﴾ بدل من محل «ليوم» فنصبه «مبعوثون» ﴿يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦)﴾ الخلائق لأجل أمره وحسابه وجزائه. ٧- ﴿كَلَّآ﴾ حقا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ أي كتاب أعمال الكفار ﴿لَفِى سِجِّينٍ (٧)﴾ قيل هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وقيل هو مكان أسفل الأرض السابعة وهو محل إبليس وجنوده. ٨- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ (٨)﴾ ما كتاب سجين؟.
٩- ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٩)﴾ مختوم. ١٠- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠)﴾. ١١- ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (١١)﴾ الجزاء بدل أو بيان «للمكذبين». ١٢- ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز الحد ﴿أَثِيمٍ (١٢)﴾ صيغة مبالغة. ١٣- ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣)﴾ الحكايات التي سطرت قديما: جمع «أسطورة» بالضم أو «إسطارة» بالكسر. ١٤- ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿بَلْ رَانَ﴾ غلب ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ فغشيها ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٤)﴾ من المعاصي فهو كالصدأ. ١٥- ﴿كَلَّآ﴾ حقا ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ فلا يرونه. ١٦- ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ (١٦)﴾ لداخلو النار المحرقة. ١٧- ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم ﴿هَٰذَا﴾ أي العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (١٧)﴾. ١٨- ﴿كَلَّآ﴾ حقا ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ أي كتاب أعمال المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ (١٨)﴾ قيل هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل هو مكان في السماء السابعة تحت العرش. ١٩- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا عِلِّيُّونَ (١٩)﴾ ما كتاب عليين؟. ٢٠- هو ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٢٠)﴾ مختوم. ٢١- ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢١)﴾ من الملائكة. ٢٢- ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (٢٢)﴾ جنة. ٢٣- ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ السرر في الحجال ﴿يَنظُرُونَ (٢٣)﴾ ما أعطوا من النعيم. ٢٤- ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ (٢٤)﴾ بهجة التنعم وحسنه. ٢٥- ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ خمر خالصة من الدنس ﴿مَّخْتُومٍ (٢٥)﴾ على إنائها لا يفك ختمه غيرهم. ٢٦- ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي آخر شربه يفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦)﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله. ٢٧- ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي ما يمزج به ﴿مِن تَسْنِيمٍ (٢٧)﴾ فسر بقوله: ٢٨- ﴿عَيْنًا﴾ فنصبه بـ «امدح» مقدرا ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾ أي منها أو ضمن «يشرب» معنى يلتذ. ٢٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ كأبي جهل ونحوه ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كعمار وبلال ونحوهما ﴿يَضْحَكُونَ (٢٩)﴾ استهزاء بهم. ٣٠- ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟﴾ أي المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠)﴾ أي يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء. ٣١- ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ (٣١)﴾ وفي قراءة «فكهين» معجبين بذكرهم المؤمنين. ٣٢- ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ رأوا المؤمنين ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ (٣٢)﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ. ٣٣- قال تعالى: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟﴾ أي الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ (٣٣)﴾ لهم أو لأعمالهم حتى يردوهم إلى مصالحهم. ٣٤- ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ أي يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤)﴾.

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (٣٦)

سُورَةُ الانشقاق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا (١٥) فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ (١٦) وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ (٢١) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)

٣٥- ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ في الجنة ﴿يَنظُرُونَ (٣٥)﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا. ٣٦- ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ جوزي ﴿ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾؟ نعم.

سورة الانشقاق

[مكية وآيتها ثلاث أو خمس وعشرون]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ (١)﴾. ٢- ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢)﴾ أي وحق لها أن تسمع وتطيع. ٣- ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ (٣)﴾ زيد في سعتها كما يمد الأديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل.
٤- ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿وَتَخَلَّتْ (٤)﴾ عنه. ٥- ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥)﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة. وجواب «إذا» وما عطف عليها محذوف، دل عليه ما بعده تقديره لقي الإنسان عمله. ٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جاهد في عملك ﴿إِلَىٰ﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ وهو الموت ﴿كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ (٦)﴾ أي ملاق عملك المذكور من خير أو شر يوم القيامة.
٧- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ﴾ كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِۦ (٧)﴾ هو المؤمن. ٨- ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨)﴾ هو عرض عمله كما في حديث الصحيحين وفيه: «من نوقش الحساب هلك»(1). وبعد العرض يتجاوز عنه.
٩- ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا (٩)﴾ بذلك. ١٠- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ (١٠)﴾ هو الكافر تغل يمناه إلى عنقه، وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ بها كتابه. ١١- ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ثُبُورًا (١١)﴾ ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه. ١٢- ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢)﴾ يدخل النار الشديدة. وفي قراءة بضم الياء وفتح الصاد واللام المشدّدة. ١٣- ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ عشيرته في الدنيا ﴿مَسْرُورًا (١٣)﴾ بطرا باتباعه لهواه. ١٤- ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه ﴿لَّن يَحُورَ (١٤)﴾ يرجع إلى ربه. ١٥- ﴿بَلَىٰٓ﴾ يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا (١٥)﴾ عالما برجوعه إليه. ١٦- ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِٱلشَّفَقِ (١٦)﴾ هو الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس. ١٧- ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧)﴾ جمع ما دخل عليه من الدواب أو غيرها. ١٨- ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ (١٨)﴾ اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض. ١٩- ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس. أصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال والواو لالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩)﴾ حالاً بعد حال، وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة. ٢٠- ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)﴾ أي أيّ مانع لهم من الإيمان، أو أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه؟ ٢١- ﴿وَ﴾ ما لهم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ (٢١)﴾ يخضعون بأن يؤمنوا به لإعجازه. ٢٢- ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ (٢٢)﴾ بالبعث وغيره.
٢٣- ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣)﴾ يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء.
٢٤- ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤)﴾ مؤلم. ٢٥- ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)﴾ غير مقطوع ولا منقوص ولا يمنّ به عليهم.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخاري في (العلم/١٠٣/فتح)، مسلم في (الجنة/٢٨٧٦/عبد الباقي).

سُورَةُ البُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن
وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ

سورة البروج [مكية وآياتها ٢٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾﴾ الكواكب اثنا عشر برجا تقدمت في الفرقان. ٢- ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾ يوم القيامة. ٣- ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يوم الجمعة ﴿وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾ يوم عرفة كذا فسرت الثلاثة في الحديث فالأول موعود به والثاني شاهد بالعمل فيه والثالث تشهده الناس والملائكة وجواب القسم محذوف صدره تقديره لقد. ٤- ﴿قُتِلَ﴾ لعن ﴿أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾ الشق في الأرض. ٥- ﴿النَّارِ﴾ بدل اشتمال منه ﴿ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾ ما توقد به. ٦- ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ أي حولها على جانب الأخدود على الكراسي ﴿قُعُودٌ ﴿٦﴾﴾. ٧- ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله من تعذيبهم بالإلقاء في النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾ حضور، روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار إلى من ثم فأحرقتهم. ٨- ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ المحمود. ٩- ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ أي ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم. ١٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالإحراق ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ أي عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة وقيل في الدنيا بأن أخرجت النار فأحرقتهم كما تقدم. ١١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾. ١٢- ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالكفار ﴿لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ بحسب إرادته. ١٣- ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ﴾ الخلق ﴿وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ فلا يعجزه ما يريد. ١٤- ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ للمذنبين المؤمنين ﴿الْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ المتودد إلى أوليائه بالكرامة. ١٥- ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكه ﴿الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ بالرفع المستحق لكمال صفات العلو. ١٦- ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ لا يعجزه شيء. ١٧- ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾. ١٨- ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ بدل من الجنود واستغنى بذكر فرعون عن أتباعه وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن ليتعظوا. ١٩- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾ بما ذكر. ٢٠- ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾ لا عاصم لهم منه. ٢١- ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ عظيم. ٢٢- ﴿فِي لَوْحٍ﴾ هو في الهواء فوق السماء السابعة ﴿مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ بالجر من الشياطين ومن تغيير شيء منه طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وهو من درة بيضاء قاله ابن عباس رضي الله عنهما(1).

(سورة النازعات)

■ **أسباب نزول الآية ١٠ و١٢-** أخرج سعيد بن منصور عن محمد بن كعب قال: لما نزل قوله ﴿أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾﴾ قال كفار قريش: لئن حيينا بعد الموت لنخسرن، فنزلت ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

■ **أسباب نزول الآية ٤٢:** أخرج الحاكم وابن جرير عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة، حتى أنزل عليه ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾﴾ فانتهى. وأخرج ابن

---

(١) قلت: هذا يحتاج إلى دليل.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الأَعْلَى — مكية ٨٧ — آياتها ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

سورة الطارق [مكية وآياتها ١٧ آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ①﴾ أصله كل آت ليلاً، ومنه النجوم لطلوعها ليلا. ٢- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ ②﴾ مبتدأ وخبر في محل المفعول الثاني لـ«أدرى» وما بعد الأولى خبرها. وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده هو: ٣- ﴿النَّجْمُ﴾ أي الثريا أو كل نجم ﴿الثَّاقِبُ ③﴾ المضيء لثقبه الظلام بضوئه. وجواب القسم: ٤- ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ④﴾ بتخفيف «ما» فهي مزيدة و«إن» مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي إنه، واللام فارقة. وبتشديدها فـ «إن» نافية ولما بمعنى إلا. والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشر. ٥- ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ﴾ نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ ⑤﴾ من أي شيء؟. ٦- جوابه ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ⑥﴾ ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها. ٧- ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للرجل ﴿وَالتَّرَائِبِ ⑦﴾ للمرأة وهي عظام الصدر. ٨- ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِ﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿لَقَادِرٌ ⑧﴾ فإذا اعتبر أصله علم أن القادر على ذلك قادر على بعثه. ٩- ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ تختبر وتكشف ﴿السَّرَائِرُ ⑨﴾ ضمائر القلوب في العقائد والنيات. ١٠- ﴿فَمَا لَهُ﴾ لمنكر البعث ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ يمتنع بها من العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٍ ⑩﴾ يدفعه عنه. ١١- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ⑪﴾ المطر لعوده كل حين. ١٢- ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ⑫﴾ الشق عن النبات. ١٣- ﴿إِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ ⑬﴾ يفصل بين الحق والباطل. ١٤- ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ⑭﴾ باللعب والباطل. ١٥- ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا ⑮﴾ يعملون المكايد للنبي ﷺ. ١٦- ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ⑯﴾ أستدرجهم من حيث لا يعلمون. ١٧- ﴿فَمَهِّلِ﴾ يا محمد ﴿الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ تأكيد حسّنه مخالفة اللفظ: أي أنظرهم ﴿رُوَيْدًا ⑰﴾ قليلا وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل، مصغر: رود أو أرواد على الترخيم، وقد أخذهم الله تعالى ببدر، ونسخ الإمهال بآية السيف أي الأمر بالقتال والجهاد.

سورة الأعلى [مكية وآياتها ١٩ آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي نزه ربك عما لا يليق به و «اسم» زائد ﴿الْأَعْلَى ①﴾ صفة لربك. ٢- ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ②﴾ مخلوقه، جعله متناسب الأجزاء غير متفاوت. ٣- ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَىٰ ③﴾ إلى ما قدّره من خير وشر. ٤- ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ④﴾ أنبت العشب. ٥- ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة ﴿غُثَاءً﴾ جافا هشيما ﴿أَحْوَىٰ ⑤﴾ أسود يابسا. ٦- ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ القرآن ﴿فَلَا تَنسَىٰ ⑥﴾ ما تقرؤه. ٧- ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي تنساه بنسخ تلاوته وحكمه. وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان فكأنه قيل له: لا تعجل بها إنك لا تنسى فلا تتعب نفسك بالجهر بها ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَىٰ ⑦﴾ منهما. ٨- ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ⑧﴾ للشريعة السهلة وهي الإسلام. ٩- ﴿فَذَكِّرْ﴾ عظ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ⑨﴾ من تذكرة المذكور في «سيذكر» يعني وإن لم تنفع، ونفعها لبعض وعدم النفع لبعض آخر. ١٠- ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ بها ﴿مَن يَخْشَىٰ ⑩﴾ يخاف الله تعالى، كآية: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾. ١١- ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي الذكرى أي يتركها جانبا لا يلتفت إليها ﴿الْأَشْقَى ⑪﴾ بمعنى الشقي أي الكافر. ١٢- ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ⑫﴾ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا. ١٣- ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ⑬﴾ حياة هنيئة. ١٤- ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿مَن تَزَكَّىٰ ⑭﴾ تطهر بالإيمان. ١٥- ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ مكبرا ﴿فَصَلَّىٰ ⑮﴾ الصلوات الخمس وذلك من أمور الآخرة، وكفار مكة معرضون عنها.

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾
لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾
أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم
بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ
الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

١٦- ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ على الآخرة. ١٧- ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ المشتملة على الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾. ١٨- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي إفلاح من تزكى وكون الآخرة خيرا ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ أي المنزلة قبل القرآن. ١٩- ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ وهي عشرة صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

سورة الغاشية

[مكية وآياتها ٢٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿هَلْ﴾ قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾ القيامة لأنها تغشى الخلائق بأهوالها. ٢- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ عبر بها عن الذوات في الموضعين ﴿خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ ذليلة. ٣- ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال. ٤- ﴿تَصْلَىٰ﴾ بضم التاء وفتحها ﴿نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾. ٥- ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ شديدة الحرارة. ٦- ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه. ٧- ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾. ٨- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾﴾ حسنة. ٩- ﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه. ١٠- ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾ حسا ومعنى. ١١- ﴿لَّا يَسْمَعُ﴾ بالياء والتاء ﴿فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾ أي نفس ذات لغو أي هذيان من الكلام. ١٢- ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ بالماء بمعنى عيون. ١٣- ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾ ذاتا وقدرا ومحلا. ١٤- ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ أقداح لا عُرى لها ﴿مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ على حافة العيون معدّة لشربهم. ١٥- ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾ بعضها بجنب بعض يستند إليها. ١٦- ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ بسط طنافس لها خمل ﴿مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ مبسوطة. ١٧- ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ أي كفار مكة نظر اعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾. ١٨- ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾. ١٩- ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾. ٢٠- ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ أي بسطت فيستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته، وصدرت بالإبل لأنهم أشدّ ملابسة لها من غيرها. وقوله «سطحت» ظاهر في أن الأرض سطح وعليه علماء الشرع - لا كرة كما قاله أهل الهيئة - وإن لم ينقض ركنا من أركان الشرع. ٢١- ﴿فَذَكِّرْ﴾ هم نعم الله ودلائل توحيده ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾. ٢٢- ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ وفي قراءة بالسين بدل الصاد أي بمسلط. وهذا قبل الأمر بالجهاد. ٢٣- ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾ بالقرآن. ٢٤- ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ عذاب الآخرة، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر. ٢٥- ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ رجوعهم بعد الموت. ٢٦- ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ جزاءهم لا نتركه أبدا.

أبي حاتم من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، أن مشركي أهل مكة سألوا النبي ﷺ فقالوا: متى تقوم الساعة؟ استهزاء منهم، فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ إلى آخر السورة، وأخرج الطبراني وابن جرير عن طارق بن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ يكثر ذكر الساعة حتى نزلت ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَا ﴿٤٤﴾﴾ وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن عروة.

(سورة عبس)

■ أسباب نزول الآية ١: أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت: أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين،

سورة الفجر [وآياتها ٣٠]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾﴾ أي فجر كل يوم. ٢- ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾
أي عشر ذي الحجة. ٣- ﴿وَالشَّفْعِ﴾ الزوج ﴿وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾﴾
بفتح الواو وكسرها لغتان: الفرد. ٤- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾
مقبلا ومدبرا. ٥- ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾ القسم ﴿قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ
﴿٥﴾﴾ عقل. وجواب القسم محذوف: أي لتعذبن يا كفار مكة.
٦- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾ . ٧-
﴿إِرَمَ﴾ هي عاد الأولى فـ «إرم» عطف بيان أو بدل، ومنع
الصرف للعلمية والتأنيث ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾ أي الطول. كان
طول الطويل منهم أربعمائة ذراع. ٨- ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي
الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ في بطشهم وقوتهم. ٩- ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾
قطعوا ﴿الصَّخْرَ﴾ جمع صخرة واتخذوها بيوتا ﴿بِالْوَادِ ﴿٩﴾﴾
وادي القرى. ١٠- ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾﴾ كان يتد أربعة
أوتاد يشدّ إليها يدي ورجلي من يعذبه. ١١- ﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾
تجبروا ﴿فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾﴾. ١٢- ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾ القتل
وغيره. ١٣- ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ﴾ نوع ﴿عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾.
١٤- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شيء ليجازيهم عليها. ١٥- ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾
الكافر ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ اختبره ﴿رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمال وغيره ﴿وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾. ١٦- ﴿وَأَمَّا إِذَا
مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾﴾. ١٧- ﴿كَلَّا﴾ ردع أي ليس الإكرام بالغنى،
والإهانة بالفقر، وإنما هو بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا يتنبهون لذلك ﴿بَلْ لَا يُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ لا يحسنون
إليه مع غناهم أو لا يعطونه حقه من الميراث. ١٨- ﴿وَلَا تَحَٰضُّونَ﴾ أنفسهم ولا غيرهم ﴿عَلَىٰ طَعَامِ﴾ أي
إطعام ﴿الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ . ١٩- ﴿وَيَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ الميراث ﴿أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾﴾ أي شديدا للَمِّهم نصيب
النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه أو مع مالهم. ٢٠- ﴿وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ أي كثيرا فلا
ينفقونه، وفي قراءة بالفوقانية في الأفعال الأربعة. ٢١- ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا
﴿٢١﴾﴾ زلزلت حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم. ٢٢- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي أمره[1] ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي الملائكة ﴿صَفًّا
صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ حال أي مصطفين أو ذوي صفوف كثيرة. ٢٣- ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تقاد بسبعين ألف زمام
كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إذا» وجوابها ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ أي
الكافر ما فرط فيه ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ استفهام بمعنى النفي أي لا ينفعه تذكره ذلك.

سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

٥٩٣

فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، فيقول له: أترى بما أقول بأسًا؟ فيقول: لا فنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ وأخرج أبو يعلى مثله عن أنس.

■ **أسباب نزول الآية ١٧**: وأخرج ابن المنذر عن عكرمة في قوله ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾﴾ قال: نزلت في عتبة ابن أبي لهب حين قال: كفرت برب النجم.

(سورة التكوير)

■ **أسباب نزول الآية ٢٩**: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن سليمان بن موســى، قال: لما أنزلت ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ

(١) هذا الكلام فيه تعطيل لصفة المجيء، وانظر «الردود والتعقبات» لمشهور حسن سلمان (١٧٩) وما بعدها.

الفجر | سورة البلد

يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠

سُورَةُ البَلَدِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ
٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ
أَحَدٞ ٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ
٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ
ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢
فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ
١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ
بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠

سُورَةُ الشَّمۡسِ

٢٤- ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكره ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ الخير والإيمان ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطيبة في الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا. ٢٥- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ﴾ بكسر الذال ﴿عَذَابَهُ﴾ أي الله ﴿أَحَدٌ﴾ أي لا يكله إلى غيره. ٢٦- ﴿وَ﴾ كذا ﴿لَا يُوثِقُ﴾ بكسر الثاء ﴿وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ وفي قراءة بفتح الذال والثاء فضمير «عذابه» و«وثاقه» للكافر، والمعنى: لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل إيثاقه. ٢٧- ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآمنة وهي المؤمنة. ٢٨- ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ يقال لها ذلك عند الموت، أي: ارجعي إلى أمره وإرادته ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عند الله بعملك أي جامعة بين الوصفين وهما حالان ويقال لها في القيامة. ٢٩- ﴿فَادْخُلِي﴾ جملة ﴿فِي عِبَادِي﴾ الصالحين. ٣٠- ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم.

سورة البلد [مكية وآيتها ٢٠]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿لَا﴾ زائدة ﴿أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ مكة. ٢- ﴿وَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ بأن يحل لك فتقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح. فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه. ٣- ﴿وَوَالِدٍ﴾ أي آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي ذريته و«ما» بمعنى مَن. ٤- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ أي الجنس ﴿فِي كَبَدٍ﴾ نصب وشدّة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. ٥- ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أيظن الإنسان - قوي قريش وهو أبو الأشدّ بن كلدة - بقوّته ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي أنه ﴿لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ والله قادر عليه. ٦- ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عداوة محمد ﴿مَالًا لُّبَدًا﴾ كثيرا بعضه على بعض. ٧- ﴿أَيَحْسَبُ أَن﴾ أي إنه ﴿لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيما أنفقه فيعلم قدره، والله عالم بقدره وأنه ليس مما يتكثر به ومجازيه على فعله السيّىء. ٨- ﴿أَلَمْ نَجْعَل﴾ استفهام تقرير، أي جعلنا ﴿لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾. ٩- ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾. ١٠- ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ بيّنا له طريقي الخير والشر. ١١- ﴿فَلَا﴾ فهلا ﴿اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ جاوزها. ١٢- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾ التي يقتحمها تعظيم لشأنها، والجملة اعتراض. وبيّن سبب جوازها بقوله: ١٣- ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ من الرق بأن أعتقها. ١٤- ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ مجاعة. ١٥- ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قرابة. ١٦- ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي لصوق بالتراب لفقره. وفي قراءة بدل الفعلين مصدران مرفوعان مضاف الأوّل لرقبة، وينوّن الثاني، فيقدر قبل «العقبة» اقتحام. والقراءة المذكورة بيانه. ١٧- ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ عطف على «اقتحم» و«ثم» للترتيب الذكري: والمعنى كان وقت الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ الرحمة على الخلق.
١٨- ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ اليمين. ١٩- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الشمال. ٢٠- ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ بالهمزة والواو بدله مطبقة.

أن يَسْتَقِيمَ ﴿ ﴾ قال أبو جهل: ذاك إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم من طريق بقية عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة مثله، وأخرج ابن المنذر من طريق سليمان عن القاسم بن مخيمرة مثله.

سورة الشمس [مكية وآياتها ١٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ①﴾ ضوئها. ٢- ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ②﴾ تبعها طالعا عند غروبها. ٣- ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ③﴾ بارتفاعه.
٤- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④﴾ يغطيها بظلمته، وإذا في الثلاثة لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم. ٥- ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤﴾.
٦- ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ⑥﴾ بسطها. ٧- ﴿وَنَفْسٍ﴾ بمعنى نفوس ﴿وَمَا سَوَّاهَا ⑦﴾ في الخلقة و «ما» في الثلاثة مصدرية أو بمعنى «من». ٨- ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧﴾ بيّن لها طريقي الخير والشر، وأخر التقوى رعاية لرؤوس الآي، وجواب القسم.
٩- ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حذفت منه اللام لطول الكلام ﴿مَنْ زَكَّاهَا ⑨﴾ طهرها من الذنوب. ١٠- ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ دَسَّاهَا ⑩﴾ أخفاها بالمعصية. وأصله دسسها أبدلت السين الثانية ألفا تخفيفا.
١١- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولها صالحا ﴿بِطَغْوَاهَا ⑪﴾ بسبب طغيانها. ١٢- ﴿إِذِ انْبَعَثَ﴾ أسرع ﴿أَشْقَاهَا ⑫﴾ واسمه قدار إلى عقر الناقة برضاهم. ١٣- ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صالح ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أي ذروها ﴿وَسُقْيَاهَا ⑬﴾ شربها في يومها وكان لها يوم ولهم يوم. ١٤- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في قوله ذلك عن الله المرتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ قتلوها ليسلم لهم ماء شربها. ﴿فَدَمْدَمَ﴾ أطبق ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ العذاب ﴿بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ⑭﴾ أي الدمدمة عليهم أي عمهم بها فلم يفلت منه أحدا. ١٥- ﴿وَلَا﴾ بالواو والفاء ﴿يَخَافُ﴾ تعالى ﴿عُقْبَاهَا ⑮﴾ تبعتها.

سورة الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا
﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ
﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

٥٩٥

سورة الليل [مكية وآيتها ٢١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ①﴾ بظلمته كل ما بين السماء والأرض. ٢- ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ②﴾ تكشف وظهر، وإذا في الموضعين لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم. ٣- ﴿وَمَا﴾ بمعنى من أو مصدرية ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ③﴾ آدم وحوّاء وكل ذكر وكل أنثى والخنثى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرا ولا أنثى. ٤- ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ عملكم ﴿لَشَتَّىٰ ④﴾ مختلف فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية. ٥- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ حق الله ﴿وَاتَّقَىٰ ⑤﴾ الله. ٦- ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ⑥﴾ أي بلا إله إلا الله في الموضعين. ٧- ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ⑦﴾ للجنة. ٨- ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بحق الله ﴿وَاسْتَغْنَىٰ ⑧﴾ عن ثوابه. ٩- ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ⑨﴾ . ١٠- ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ نهيئه ﴿لِلْعُسْرَىٰ ⑩﴾ للنار. ١١- ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ⑪﴾ في النار. ١٢- ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ⑫﴾ لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال ليمتثل أمرنا بسلوك الأول ونهينا عن ارتكاب الثاني. ١٣- ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ⑬﴾ أي الدنيا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ. ١٤- ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾ خوفتكم يا أهل مكة ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ ⑭﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل وقرئ بثبوتها أي تتوقد.

(سورة الانفطار)

■ أسباب نزول الآية ٦ : أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ ﴾ الآية، قال: نزلت في أبي ابن خلف.

(سورة المطففين)

■ أسباب نزول الآية ١ : أخرج النسائي وابن ماجه بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أبخس الناس كيلا، فأنزل الله ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ① ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

٥٩٦

١٥- ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ يدخلها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ بمعنى الشقي. **١٦**- ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ النبي ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ عن الإيمان وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» فيكون المراد الصلي المؤبد. **١٧**- ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ يبعد عنها ﴿ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ بمعنى التقي. **١٨**- ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ متزكيًا به عند الله تعالى بأن يخرجه لله تعالى لا رياء ولا سمعة فيكون زاكيًا عند الله وهذا نزل في الصديق ﷺ لما اشترى بلالاً المعذب على إيمانه وأعتقه فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزلت: **١٩**- ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾. **٢٠**- ﴿إِلَّا﴾ لكن فعل ذلك. ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ أي طلب ثواب الله. **٢١**- ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ بما يعطاه من الثواب في الجنة والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله تعالى عنه فيبعد عن النار ويثاب.

سورة الضحى [مكية وآياتها إحدى عشرة]

ولما نزلت كبر ﷺ آخرها، فسن التكبير آخرها. وروى الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها، وهو: الله أكبر، أو: لا إله إلا الله والله أكبر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾﴾ أي أول النهار أو كله. **٢**- ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾ غطى بظلامه أو سكن. **٣**- ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ تركك يا محمد ﴿رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ أبغضك. نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوما إن ربه ودّعه وقلاه. **٤**- ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ﴾ لما فيها من الكرامات لك ﴿مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ الدنيا. **٥**- ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلاً ﴿فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ به، فقال ﷺ: «إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار». إلى هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد منفيين. **٦**- ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ استفهام تقرير أي وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها ﴿فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾﴾ بأن ضمك إلى عمك أبي طالب. **٧**- ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ عما أنت عليه الآن من الشريعة ﴿فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ أي هداك إليها. **٨**- ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ فقيرا ﴿فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ أغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها. وفي الحديث: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»[1]. **٩**- ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ بأخذ ماله أو غير ذلك. **١٠**- ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ تزجره لفقره. **١١**- ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ عليك بالنبوّة وغيرها ﴿فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ أخبر. وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رعاية للفواصل..

سورة الشرح [مكية وآياتها ثمان]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ استفهام تقرير أي شرحنا ﴿لَكَ﴾ يا محمد ﴿صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ بالنبوّة وغيرها. **٢**- ﴿وَوَضَعْنَا﴾ حططنا ﴿عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ . **٣**- ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ﴾ أثقل ﴿ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾. **٤**- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ بأن تذكر مع ذكري في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها. **٥**- ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾ الشدّة ﴿يُسْرًا ﴿٥﴾﴾ سهولة. **٦**- ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ والنبي ﷺ قاسى من الكفار شدّة، ثم حصل له اليسر بنصره عليهم. **٧**- ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصلاة ﴿فَٱنصَبْ ﴿٧﴾﴾ اتعب في الدعاء. **٨**- ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ تضرع.

---

(١) **[صحيح]**: أخرجه البخاري في (الطلاق/٦٤٤٦/فتح)، مسلم في (الزكاة/١٠٥١/عبد الباقي).

سُورَةُ التِّين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَلَق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

سورة التين

[مكية أو مدنية وآيتها ثمان]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ أي المأكولين أو جبلين بالشام ينبتان المأكولين. ٢- ﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى، ومعنى سينين: المبارك أو الحسن بالأشجار المثمرة. ٣- ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ مكة لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاما. ٤- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ تعديل لصورته. ٥- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ في بعض أفراده ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾﴾ كناية عن الهرم والضعف فينقص عمل المؤمنين عن زمن الشباب، ويكون له أجره بقوله تعالى: ٦- ﴿إِلَّا﴾ أي لكن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ مقطوع. وفي الحديث: إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل[1]. ٧- ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الكافر ﴿بَعْدُ﴾ أي بعد ما ذكر من خلق الإنسان في أحسن صورة، ثم ردّه إلى أرذل العمر الدال على القـدرة على البعث ﴿بِالدِّينِ ﴿٧﴾﴾ بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب: أي ما يجعلك مكذبا بذلك ولا جاعل له. ٨- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ أي هو أقضى القاضين وحكمه بالجزاء من ذلك. وفي الحديث: «من قرأ والتين إلى آخرها فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».

سورة العلق

[مكية وآيتها ١٩ صدرها إلى «ما لم يعلم» أول ما نزل من القرآن، وذلك بغار حراء. رواه البخاري]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿اقْرَأْ﴾ أوجد القراءة مبتدئا ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ الخلائق. ٢- ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ جمع علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ. ٣- ﴿اقْرَأْ﴾ تأكيد للأول ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ الذي لا يوازيه كريم حال من الضمير في «اقرأ». ٤- ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ الخط ﴿بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ وأول من خط به إدريس عليه السلام. ٥- ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها. ٦- ﴿كَلَّا﴾ حقا ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾﴾. ٧- ﴿أَن رَّآهُ﴾ أي نفسه ﴿اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾﴾ بالمال. نزل في أبي جهل و «رأى» علمية و «استغنى» مفعـول ثان و «أن رآه» مفعول له. ٨- ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا إنسان ﴿الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾﴾ أي الرجوع تخويف له فيجازى الطاغي بما يستحقه. ٩- ﴿أَرَأَيْتَ﴾ في مواضعها الثلاثة للتعجب ﴿الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾﴾ هو أبو جهل. ١٠- ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ ﴿إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾﴾. ١١- ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ﴾ أي المنهي ﴿عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾﴾. ١٢- ﴿أَوْ﴾ للتقسيم ﴿أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾﴾. ١٣- ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ أي الناهي النبي ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾﴾ عن الإيمان. ١٤- ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ ما صدر منه أي يعلمه فيجازيه عليه: أي اعجب منه يا مخاطب من حيث نهيه عن الصلاة ومن حيث إن المنهي على الهدى آمر بالتقوى ومن حيث إن الناهي مكذب متول عن الإيمان.

١٥- ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ لنجرّن بناصيته إلى النار. ١٦- ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ وصفها بذلك مجاز والمراد صاحبها. ١٧- ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾﴾ أي أهل ناديه وهو المجلس ينتدي - يتحدّث - فيه القوم، وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة لقد علمت ما بها رجل أكثر ناديا مني لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلا جردا ورجالا مردا. ١٨- ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه. كما في الحديث: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا». ١٩- ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ يا محمد في ترك الصلاة ﴿وَاسْجُدْ﴾ صلّ لله ﴿وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ منه بطاعته.

---

(١) **[صحيح]**: بنحوه أخرجه البخاري في (الجهاد/٢٩٩٦/فتح).

سُورَةُ القَدْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ
حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾
فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ
ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ
فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

٥٩٨

سورة القدر

[مكية أو مدنية وآياتها ٥ أو ٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ أي الشرف والعظم. ٢- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾ تعظيم لشأنها وتعجيب منه. ٣- ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ ليس فيها ليلة القدر فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها.

٤- ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ أي جبريل ﴿فِيهَا﴾ في الليلة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ بأمره ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ قضاه الله فيها لتلك السنة إلى قابل و «من» سببية بمعنى الباء.

٥- ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ خبر مقدّم ومبتدأ ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ بفتح اللام وكسرها إلى وقت طلوعه. جعلت سلاماً لكثرة السلام فيها من الملائكة لا تمرّ بمؤمن ولا بمؤمنة إلا سلمت عليه.

سورة البينة [مكية أو مدنية وآياتها ٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ﴾ للبيان ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي عبدة الأصنام: عطف على «أهل» ﴿مُنفَكِّينَ﴾ خبر «يكن» أي زائلين عما هم عليه ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ﴾ أي أتتهم ﴿ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ أي الحجة الواضحة وهي محمد ﷺ. ٢- ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بدل من «البينة» وهو النبي محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ من الباطل. ٣- ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ أحكام مكتوبة ﴿قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ مستقيمة أي يتلو مضمون ذلك وهو القرآن، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر. ٤- ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في الإيمان به ﷺ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ أي هو ﷺ أو القرآن الجائي به معجزة له، وقبل مجيئه ﷺ كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء فحسده من كفر به منهم. ٥- ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ في كتابيهم التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي أن يعبدوه فحذفت أن وزيدت اللام ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿حُنَفَآءَ﴾ مستقيمين على دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء فكيف كفروا به ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ﴾ الملة ﴿ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ المستقيمة. ٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ﴾ حال مقدّرة أي مقدّرا خلودهم فيها من الله تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾. ٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ الخليقة.

(سورة الطارق)

■ أسباب نزول الآية ٥: أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ قال: نزلت في أبي الأشد كان يقوم على الأدم فيقول: يا معشر قريش من أزالني عنه فله كذا، ويقول: إن محمدًا يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر فأنا أكفيكم وحدي عشرة واكفوني أنتم تسعة.

(سورة الأعلى)

■ أسباب نزول الآية ٦: أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من الوحي حتى يتكلم النبي ﷺ بأوله، مخافة أن ينساه فأنزل الله ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾، في إسناده جويبر ضعيف جدًا.

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

٨- ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ خاف عقابه فانتهى عن معصيته تعالى.

سورة الزلزلة [مكية أو مدنية وآياتها ٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ حركت لقيام الساعة ﴿زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ تحريكها الشديد المناسب لعظمتها.

٢- ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾ كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها.

٣- ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر بالبعث ﴿مَا لَهَا ﴿٣﴾﴾ إنكارا لتلك الحالة.

٤- ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إذا» وجوابها ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ تخبر بما عمل عليها من خير وشر.

٥- ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ أي أمرها بذلك. وفي الحديث: «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها»(١).

٦- ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ ينصرفون من موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرقين فآخذٌ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾﴾ أي جزاءها من الجنة أو النار. ٧- ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ زنة نملة صغيرة ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ ير ثوابه. ٨- ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ ير جزاءه.

سورة العاديات [مكية أو مدنية وآياتها ١١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ الخيل تعدو في الغزو وتضبح ﴿ضَبْحًا ﴿١﴾﴾ هو صوت أجوافها إذا عدت.

٢- ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾ الخيل توري النار ﴿قَدْحًا ﴿٢﴾﴾ بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل.

٣- ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾﴾ الخيل تغير على العدوّ وقت الصبح بإغارة أصحابها.

٤- ﴿فَأَثَرْنَ﴾ هيجن ﴿بِهِۦ﴾ بمكان عدوهنّ أو بذلك الوقت ﴿نَقْعًا ﴿٤﴾﴾ غبارا لشدّة حركتهن.

٥- ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ بالنقع ﴿جَمْعًا ﴿٥﴾﴾ من العدوّ أي صرن وسطه، وعطف الفعل على الاسم لأنه في تأويل الفعل: أي واللاتي عدون فأورين فأغرن.

٦- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ لكفور يجحد نعمته تعالى.

٧- ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي كنوده ﴿لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾ يشهد على نفسه بصنعه.

٨- ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي المال ﴿لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ أي لشديد الحب له فيبخل به.

٩- ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ أثير وأخرج ﴿مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾ من الموتى أي بعثوا.

---

(١) [صحيح]: أخرجه الترمذي، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٤٥٠).

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

١٠- ﴿وَحُصِّلَ﴾ بيّن وأفرز ﴿مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ القلوب من الكفر والإيمان. ١١- ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ لعالم فيجازيهم على كفرهم. أُعيد الضمير جمعا نظرًا لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول «يعلم» أي إنا نجازيه وقت ما ذُكر. وتعلق «خبير» بـ «يومئذ» وهو تعالى خبير دائما لأنه يوم المجازاة.

سورة القارعة [مكية وآياتها ١١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ أي القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها.
٢- ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ تهويل لشأنها، وهما مبتدأ وخبر: خبر «القارعة». ٣- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أعلمك ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ زيادة تهويل لها و «ما» الأولى مبتدأ وما بعدها خبره، و «ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لـ «أدرى». ٤- ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه دل عليه القارعة أي تقرع ﴿يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم في بعض للحيرة إلى أن يُدْعَوْا للحساب.
٥- ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض. ٦- ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته.
٧- ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ في الجنة، أي ذات رضا يرضاها أي مرضية له. ٨- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته. ٩- ﴿فَأُمُّهُۥ﴾ فمسكنه ﴿هَاوِيَةٌ﴾. ١٠- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ أي ما هاوية.
١١- هي ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ شديدة الحرارة وهاء «هيه» للسكت تثبت وصلاً ووقفا. وفي قراءة تحذف وصلاً.

سورة التكاثر [مكية وآياتها ٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ شغلكم عن طاعة الله ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال. ٢- ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ بأن متم فدفنتم فيها أو عددتم الموتى تكاثرا. ٣- ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. ٤- ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبة تفاخركم عند النزع، ثم في القبر. ٥- ﴿كَلَّا﴾ حقا ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي علما يقينا عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به. ٦- ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ النار جواب قسم محذوف. وحذف منه لام الفعل وعينه وأُلقيت حركتها على الراء. ٧- ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تأكيد ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ مصدر: لأن رأى وعاين، بمعنى واحد.
٨- ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم رؤيتها ﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ما يلتذ به في الدنيا من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب وغير ذلك.

(سورة الغاشية)

■ **أسباب نزول الآية ١٧:** أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: لما نعتَ الله ما في الجنة، عجب من ذلك أهل الضلالة فأنزل الله ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

(سورة الفجر)

■ **أسباب نزول الآية ٢٧:** أخرج ابن أبي حاتم عن بريدة في قوله ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: نزلت في حمزة، وأخرج من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: من يشتري بئر رومة يستعذب بها غفر الله له، فاشتراها عثمان فقال: هل لك أن تجعلها سقاية الناس، قال: نعم، فأنزل الله في عثمان ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾.

سُورَةُ العَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

٦٠١

سورة العصر [وآياتها ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ الدهر، أو ما بعد الزوال إلى الغروب، أو صلاة العصر. ٢- ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ في تجارته.
٣- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خسران ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضا ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي الإيمان ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ على الطاعة وعن المعصية.

سورة الهُمَزَة [مكية أو مدنية وآيتها تسع]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو واد في جهنم ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ أي كثير الهمز واللمز أي الغيبة. نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما.
٢- ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾﴾ أحصاه وجعله عدّة لحوادث الدهر. ٣- ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾﴾ جعله خالدا لا يموت. ٤- ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾ جواب قسم محذوف أي ليطرحنّ ﴿فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾﴾ التي تحطم كل ما ألقي فيها. ٥- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾﴾. ٦- ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾ المسعرة. ٧- ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾ تشرف ﴿عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾﴾ القلوب فتحرقها وألمها أشدّ من ألم غيرها للطفها. ٨- ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾ جمع الضمير رعاية لمعنى «كل» ﴿مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾﴾ بالهمز وبالواو بدله: مطبقة. ٩- ﴿فِي عَمَدٍ﴾ بضم الحرفين وبفتحهما ﴿مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ صفة لما قبله فتكون النار داخل العمد.

سورة الفيل [مكية وآيتها خمس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجب أي اعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾﴾ هو محمود، وأصحابه: أبرهة (ملك اليمن) وجيشه، بنى بصنعاء كنيسة ليصرف إليها الحاج عن مكة: فأحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالعذرة احتقارا بها فحلف أبرهة ليهدمنّ الكعبة فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها محمود فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله. ٢- ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ أي جعل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾ خسار وهلاك. ٣- ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾ جماعات جماعات قيل لا واحد له كأساطير، وقيل واحده أبول أو إبّال أو إبيل كعجول ومفتاح وسكين. ٤- ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ طين مطبوخ. ٥- ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته: أي أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة. يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل إلى الأرض. وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.

(سورة الليل)

■ أسباب نزول الآيات ١-٢١: أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس: أن رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، فكان الرجل إذا جاء فدخل الدار فصعد إلى النخلة ليأخذ منها الثمرة فربما تقع ثمرة فيأخذها صبيان الفقير فينزل من نخلته فيأخذ الثمرة من أيديهم، وإن وجدها في فم أحدهم أدخل إصبعه حتى يخرج الثمرة من فيه فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ فقال: اذهب، ولقي النبي ﷺ صاحب النخلة فقال له: أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة، فقال الرجل: لقد أعطيت وإن لي لنخلاً كثيرًا وما فيه نخلة أعجب إلي ثمرة منها، ثم ذهب الرجل ولقي رجلاً كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة، فأتى رسول الله ﷺ فقال:

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ (١) إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ (٣) ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ (٤)

سُورَةُ ٱلْمَاعُونِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ (٧)

سُورَةُ ٱلْكَوْثَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ (٣)

٦٠٢

سورة قريش [مكية أو مدنية وآياتها أربع]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ (١)﴾. ٢- ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾ تأكيد وهو مصدر آلف بالمدّ ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾ إلى اليمن ﴿وَ﴾ رحلة ﴿ٱلصَّيْفِ (٢)﴾ إلى الشام في كل عام يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم ولد النضر بن كنانة. ٣- ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ تعلق به لـ «إيلاف» والفاء زائدة ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ (٣)﴾. ٤- ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي من أجله ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ (٤)﴾ أي من أجله وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة وخافوا جيش الفيل.

سورة الماعون

[مكية أو مدنية، أو نصفها ونصفها. وآياتها ست أو سبع]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ (١)﴾ بالجزاء والحساب؟ أي هل عرفته وإن لم تعرفه. ٢- ﴿فَذَٰلِكَ﴾ بتقدير هو بعد الفاء ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ (٢)﴾ أي يدفعه بعنف عن حقه. ٣- ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣)﴾ أي إطعامه. نزلت في العاص بن وائل أو الوليد بن المغيرة. ٤- ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤)﴾. ٥- ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾ غافلون يؤخرونها عن وقتها. ٦- ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ (٦)﴾ في الصلاة وغيرها. ٧- ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ (٧)﴾ كالإبرة والفأس والقدر والقصعة.

سورة الكوثر [مكية أو مدنية وآياتها ثلاث]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكَوْثَرَ (١)﴾ هو نهر في الجنة -هو حوضه- ترد عليه أمته، والكوثر: الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها. ٢- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة عيد النحر ﴿وَٱنْحَرْ (٢)﴾ نسكك. ٣- ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي مبغضك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ (٣)﴾ المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب. نزلت في العاص بن وائل سمى النبي ﷺ: أبتر، عند موت ابنه القاسم.

أتعطيني يا رسول الله ما أعطيت الرجل إن أنا أخذتها، قال: نعم، فذهب الرجل فلقي صاحب النخلة، ولكليهما نخل، فقال له صاحب النخلة: أشعرت أن محمدًا ﷺ أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة، فقلت له: لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها ولي ... كثير ما فيه نخلة أعجب إلي ثمرة منها، فقال له الآخر: أتريد بيعها، فقال: لا إلا أن أعطى بها ما أريد ولا أظن أعطى، فقال: فكم مُناك فيها، قال: أربعون نخلة، قال: لقد جئت بأمر عظيم، ثم سكت عنه، فقال له: أنا أعطيتك أربعين نخلة فاشهد لي إن كنت صادقا، فدعا قومه فأشهد له، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إن النخلة قد صارت لي وهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال له: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١)﴾ إلى آخر السورة قال ابن كثير: حديث غريب جدًا.

■ **أسباب نزول الآية ٥:** وأخرج الحاكم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقابًا ضعافا فلو أنك أعتقت رجالاً جلدًا يمنعونك ويقومون دونك يا بني، فقال: يا أبت إنما أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآيات فيه ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥)﴾ إلى آخر السورة.

■ **أسباب نزول الآية ١٧:** وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة: أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله، وفيه نزلت ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى (١٧)﴾ إلى آخر السورة.

■ **أسباب نزول الآية ١٩:** وأخرج البزار عن ابن الزبير قال: نزلت هذه الآية ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ (١٩)﴾ إلى آخرها في أبي بكر الصديق.

(سورة الضحى)

■ **أسباب نزول الآية ١:** أخرج الشيخان وغيرهما عن جندب قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة،

سُورَةُ الكَافِرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

سُورَةُ المَسَدِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا
كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ
حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

سورة الكافرون

[مكية أو مدنية وآياتها ست]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نزلت لما قال رهط من المشركين لرسول الله ﷺ تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة. ١- ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾. ٢- ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ في الحال ﴿مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ من الأصنام. ٣- ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ في الحال ﴿مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ وهو الله تعالى وحده. ٤- ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ﴾ في الاستقبال ﴿مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾. ٥- ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق «ما» على الله على وجه المقابلة. ٦- ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الشرك ﴿وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ الإسلام. وهذا قبل أن يؤمر بالحرب. وحذف ياء الإضافة القراء السبعة وقفا ووصلا. وأثبتها يعقوب في الحالين.

سورة النصر

[نزلت بمنى في حجة الوداع، فتعد مدنية وهي آخر ما نزل من السور وآياتها ثلاث]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ نبيه ﷺ على أعدائه ﴿وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ فتح مكة. ٢- ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي الإسلام ﴿أَفْوَاجًا ۝٢﴾ جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد، وذلك بعد فتح مكة جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين. ٣- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي متلبسا بحمده ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» وعلم بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان. وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

سورة المسد [مكية وآياتها خمس]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- لما دعا النبي ﷺ قومه وقال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال عمه أبو لهب: تبًا لك ألهذا دعوتنا، فنزل: ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت ﴿يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ أي جملته، وعبر عنها باليدين مجازا لأن أكثر الأفعال تزاول بهما، وهذه الجملة دعاء ﴿وَتَبَّ ۝١﴾ خسر هو، وهذه خبر كقولهم: أهلكه الله وقد هلك. ولما خوفه النبي بالعذاب فقال: إن كان ما يقول ابن أخي حقا فإني أفتدي منه بمالي وولدي نزل: ٢- ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ أي وكسبه، أي ولده ما «أغنى» بمعنى يغني. ٣- ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ أي تلهب وتوقد فهي مآل تكنيته لتلهب وجهه إشراقا وحمرة. ٤- ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ عطف على ضمير «يصلى» سوغه الفصل بالمفعول وصفته، وهي أم جميل ﴿حَمَّالَةَ﴾ بالرفع والنصب ﴿ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ الشوك والسعدان تلقيه في طريق النبي ﷺ. ٥- ﴿فِى جِيدِهَا﴾ عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ أي ليف. وهذه الجملة حال من «حمالة الحطب» الذي هو نعت لـ «امرأته» أو خبر مبتدأ مقدّر.

فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝﴾ وأخرج سعيد بن منصور والفريابي عن جندب قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فقال المشركون: قد ودع محمد فنزلت، وأخرج الحاكم عن زيد بن أرقم قال: مكث رسول الله ﷺ أيامًا لا ينزل عليه جبريل فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك، فأنزل الله ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝﴾ الآيات، وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة في مسنده والواحدي وغيرهم بسند فيه من لا يُعرف عن حفص بن ميسرة القرشي عن أمه عن أمها خولة، وقد كانت خادم رسول الله ﷺ أن جروًا دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني، فقلت في نفسي: لو هيأت البيت فكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ يرعد بجبته وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة فأنزل الله ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝﴾

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

سُورَةُ الفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ
النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي
يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

سورة الإخلاص [مكية أو مدنية وآيتها ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- سئل النبي ﷺ عن ربه فنزل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ فـ «الله» خبر «هو» و «أحد» بدل منه أو خبر ثان. ٢- ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ مبتدأ وخبر: أي المقصود في الحوائج على الدوام. ٣- ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لانتفاء مجانسته. ﴿وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ لانتفاء الحدوث عنه. ٤- ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ أي مكافئا ومماثلاً و «له» متعلق بـ «كفوا» وقدم عليه لأنه محط القصد بالنفي، وأخر «أحد» وهو اسم «يكن» عن خبرها رعاية للفاصلة.

سورة الفلق [مكية أو مدنية وآيتها ٥]

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبيَّ ﷺ في وتر به إحدى عشرة عقدة فأعلمه الله بذلك وبمحله، فأحضر بين يديه ﷺ وأمر بالتعوذ بالسورتين، فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة وَوَجَدَ خفة، حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما نشط من عقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ الصبح. ٢- ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك.

٣- ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ أي الليل إذا أظلم، والقمر إذا غاب. ٤- ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ السواحر تنفث ﴿فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ التي تعقدها في الخيط تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق. وقال الزمخشري: معه كبنات لبيد المذكور. ٥- ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ أظهر حسده وعمل بمقتضاه كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكر الثلاثة الشامل لها «ما خلق» بعده لشدّة شرها.

سورة الناس [مكية أو مدنية وآيتها ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾ خالقهم ومالكهم خصّوا بالذكر تشريفا لهم ومناسبة للاستفادة من شر الموسوس في صدورهم. ٢- ﴿مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾﴾. ٣- ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ بدلان أو صفتان أو عطفا بيان وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان. ٤- ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ الشيطان سمي بالحدث لكثرة ملابسته له ﴿الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ لأنه يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله. ٥- ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾﴾ قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله. ٦- ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي، كقوله تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ أو من الجنة بيان له والناس عطف على الوسواس وعلى كل يشتمل شر لبيد وبناته المذكورين، واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضا بمعنى يليق بهم في الظاهر ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك والله تعالى أعلم.

إلى قوله ﴿فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ قال الحافظ ابن حجر: قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، لكن كونها سبب نزول الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح. وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ: ما أرى ربك إلا قد قلاك فنزلت، وأخرج أيضًا عن عروة قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعًا شديدًا، فقالت خديجة: إني أرى ربك قد قلاك مما يرى من جزعك فنزلت، وكلاهما مرسل ورواتهما ثقات، قال الحافظ ابن حجر: فالذي يظهر أن كلا من أم جميل وخديجة قالت ذلك، لكن أم جميل قالته شماتة وخديجة قالته توجعًا.

■ **أسباب نزول الآية ٤**: وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال رسول الله: «عرض عليَّ ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرني فأنزل الله ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ » إسناده حسن.

علامات الوقف ومصطلحات الضبط :

مـ تفيد لزوم الوقف

لا تفيد النهي عن الوقف

صلى تفيد بأن الوصل أولى مع جواز الوقف

قلى تفيد بأن الوقف أولى

ج تفيد جواز الوقف

∴ ∴ تفيد جواز الوقف بأحد الموضعين وليس في كليهما

۟ للدلالة على زيادة الحرف وعدم النطق به

۠ للدلالة على زيادة الحرف حين الوصل

ۡ للدلالة على سكون الحرف

ۢ للدلالة على وجود الإقلاب

ً ٌ للدلالة على إظهار التنوين

ً ٌ للدلالة على الإدغام والإخفاء

ۥ للدلالة على وجوب النطق بالحروف المتروكة

س للدلالة على وجوب النطق بالسين بدل الصاد

وإذا وضعت بالأسفل فالنطق بالصاد أشهر

ٓ للدلالة على لزوم المد الزائد

۩ للدلالة على موضع السجود ، أما كلمة وجوب السجود

فقد وضع تحتها خط

۞ للدلالة على بداية الأجزاء والأحزاب وأنصافها وأرباعها

﴿٤﴾ للدلالة على نهاية الآية ورقمها .

فهرس

رقم السورة	اسم السورة	موضع نزولها	موضعها في المصحف	موضعها في التفسير
٢٩	العنكبوت	مكية	٣٩٦	٣٧٨
٣٠	الروم	مكية	٤٠٤	٣٨٤
٣١	لقمان	مكية	٤١١	٣٩٠
٣٢	السجدة	مكية	٤١٥	٣٩٣
٣٣	الأحزاب	مكية	٤١٨	٣٩٦
٣٤	سبأ	مكية	٤٢٨	٤٠٧
٣٥	فاطر	مكية	٤٣٨	٤١٣
٣٦	يس	مكية	٤٤٠	٤١٧
٣٧	الصافات	مكية	٤٤٦	٤٢٤
٣٨	ص	مكية	٤٥٣	٤٣٣
٣٩	الزمر	مكية	٤٥٨	٤٣٩
٤٠	غافر	مكية	٤٦٧	٤٤٦
٤١	فصلت	مكية	٤٧٧	٤٥٣
٤٢	الشورى	مكية	٤٨٥	٤٥٨
٤٣	الزخرف	مكية	٤٨٩	٤٦٣
٤٤	الدخان	مكية	٤٩٦	٤٦٩
٤٥	الجاثية	مكية	٤٩٩	٤٧٢
٤٦	الأحقاف	مكية	٥٠٢	٤٧٦
٤٧	محمد	مدنية	٥٠٧	٤٨٠
٤٨	الفتح	مدنية	٥١١	٤٨٤
٤٩	الحجرات	مدنية	٥١٥	٤٨٩
٥٠	ق	مكية	٥١٨	٤٩٣
٥١	الذاريات	مكية	٥٢٠	٤٩٧
٥٢	الطور	مكية	٥٢٣	٥٠٠
٥٣	النجم	مكية	٥٢٦	٥٠٣
٥٤	القمر	مكية	٥٢٨	٥٠٧
٥٥	الرحمن	مدنية	٥٣١	٥١٢
٥٦	الواقعة	مكية	٥٣٤	٥١٥
٥٧	الحديد	مدنية	٥٣٧	٥٢٠
٥٨	المجادلة	مدنية	٥٤٢	٥٢٣

رقم السورة	اسم السورة	موضع نزولها	موضعها في المصحف	موضعها في التفسير
٥٩	الحشر	مدنية	٥٤٥	٥٢٧
٦٠	الممتحنة	مدنية	٥٤٩	٥٣٠
٦١	الصف	مدنية	٥٥١	٥٣٣
٦٢	الجمعة	مدنية	٥٥٣	٥٣٤
٦٣	المنافقون	مدنية	٥٥٤	٥٣٦
٦٤	التغابن	مدنية	٥٥٦	٥٣٧
٦٥	الطلاق	مدنية	٥٥٨	٥٣٩
٦٦	التحريم	مدنية	٥٦٠	٥٤١
٦٧	الملك	مكية	٥٦٢	٥٤٤
٦٨	القلم	مكية	٥٦٤	٥٤٦
٦٩	الحاقة	مكية	٥٦٦	٥٤٩
٧٠	المعارج	مكية	٥٦٨	٥٥٢
٧١	نوح	مكية	٥٧٠	٥٥٤
٧٢	الجن	مكية	٥٧٢	٥٥٦
٧٣	المزمل	مكية	٥٧٤	٥٥٩
٧٤	المدثر	مكية	٥٧٥	٥٦١
٧٥	القيامة	مكية	٥٧٧	٥٦٤
٧٦	الإنسان	مدنية	٥٧٨	٥٦٦
٧٧	المرسلات	مكية	٥٨٠	٥٦٨
٧٨	النبأ	مكية	٥٨٢	٥٧١
٧٩	النازعات	مكية	٥٨٣	٥٧٣
٨٠	عبس	مكية	٥٨٥	٥٧٥
٨١	التكوير	مكية	٥٨٦	٥٧٧
٨٢	الانفطار	مكية	٥٨٧	٥٧٨
٨٣	المطففين	مكية	٥٨٧	٥٧٩
٨٤	الانشقاق	مكية	٥٨٩	٥٨١
٨٥	البروج	مكية	٥٩٠	٥٨٢
٨٦	الطارق	مكية	٥٩١	٥٨٤
٨٧	الأعلى	مكية	٥٩١	٥٨٥
٨٨	الغاشية	مكية	٥٩٢	٥٨٦

رقم السورة	اسم السورة	موضع نزولها	موضعها في المصحف	موضعها في التفسير
٨٩	الفجر	مكية	٥٩٣	٥٨٧
٩٠	البلد	مكية	٥٩٤	٥٨٨
٩١	الشمس	مكية	٥٩٥	٥٨٩
٩٢	الليل	مكية	٥٩٥	٥٩٠
٩٣	الضحى	مكية	٥٩٦	٥٩٢
٩٤	الشرح	مكية	٥٩٦	٥٩٣
٩٥	التين	مكية	٥٩٧	٥٩٣
٩٦	العلق	مكية	٥٩٧	٥٩٤
٩٧	القدر	مكية	٥٩٨	٥٩٥
٩٨	البينة	مدنية	٥٩٨	٥٩٥
٩٩	الزلزلة	مدنية	٥٩٩	٥٩٦
١٠٠	العاديات	مكية	٥٩٩	٥٩٧
١٠١	القارعة	مكية	٦٠٠	٥٩٧
١٠٢	التكاثر	مكية	٦٠٠	٥٩٨
١٠٣	العصر	مكية	٦٠١	٥٩٩
١٠٤	الهمزة	مكية	٦٠١	٥٩٩
١٠٥	الفيل	مكية	٦٠١	٥٩٩
١٠٦	قريش	مكية	٦٠٢	٦٠٠
١٠٧	الماعون	مكية	٦٠٢	٦٠٠
١٠٨	الكوثر	مكية	٦٠٢	٦٠١
١٠٩	الكافرون	مكية	٦٠٣	٦٠١
١١٠	النصر	مدنية	٦٠٣	٦٠٢
١١١	المسد	مكية	٦٠٣	٦٠٢
١١٢	الإخلاص	مكية	٦٠٤	٦٠٣
١١٣	الفلق	مكية	٦٠٤	٦٠٤
١١٤	الناس	مكية	٦٠٤	٦٠٤

تم بحمد الله تعالى

